مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية

السيرة النبوية

في ضوء المصادر الأصلية

دراسة تحليلية

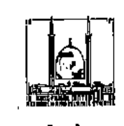
الدكتور مهدي رزق الله أحمد

الأستاذ المشارك - بكلية التربية

جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى ١٤١٢ - ١٩٩٢م

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الاسلامية

إهـداء

أهدي هذا الكتاب إلى أساتذة التاريخ الإسلامي بصفة خاصة، وإلى طلاب العلم الباحثين عن الحقيقة، الذين يرغبون في معرفة سيرة الرسول ﷺ في ضوء الروايات الموثقة، وفق مناهج المحدثين، بصفة عامة.

شكـر وتقديـر

أحمـد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإكمال هذا البحث، ثم أشكر القائمين على أمر جامعة الملك سعود، وكل من كان سببا في منحي إجازة تفرغ علمي لمدة عام دراسي كامل، أتاحت لي فرصة إكمال جمع مادة هذا البحث، ثم إخراجه إلى النور.

وأشكـر كل من أعـانني بنصيحـة أو بمشورة أو بتشجيع معنوي، أو بتخريج بعض الأخبار أو بإعارته إياي بعض المصادر والمراجع. وذلك عملا بقوله عليه الصلاة والسلام «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1].

وأسأل الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه الخير.

(١) رواه الترمذي: السنن (٣/٢٢٨)، من حديث أبي هريرة وصححه.

تقديم

شغُل المسلمون منذ الأيام الأولى للإسلام بسيرة الرسول محمد ﷺ فاعتنوا بتسجيل وقائعها، وحرصوا على نقلها دقيقة موثقة سواء في كتب الحديث النبوي أو في كتب السيرة أو كتب التاريخ العامة. وقد اختلفت مناهج العلماء باختلاف عصورهم وتخصصهم؛ فللمحدِّثين منهج يتسم بالضبط الشديد والتحري الدقيق لكل مانسب إلى الرسول ﷺ من قول أو عمل. وللمؤرخين وكتّاب السيرة النبوية مناهج مستقاة من مناهج المحدثين؛ ولا غرابة في هذا فإن دراسة التاريخ قد نشأت في بيئة أهل العلم التي كان قوام اهتمامها الحرصَ على جمع الحديث النبوي والسيرة العطرة. ولذا احتكم الأخباريون والمؤرخون إلى مناهج المحدّثين وأساليبهم في نقل الوقائع والأحداث التاريخية معتمدين على الأسانيد والروايات، ولكن على نحو يختلف في تفاصيله وظروف تطبيقه ودوافعه عن مناهج أهل الحديث.

ولا شك أن السيرة النبوية من أهم مجالات الدراسة التي عني بها المسلمون قديما وحديثا، وستظل موضع عناية المسلمين بإذن الله لأن سيرته عليه الصلاة والسلام تنفيذ عملي للتشريع الرباني وبيان لأحكامه. ومن هنا تعددت المصادر التي نقلت السيرة النبوية وتنوعت مناهجها. وظهرت في كل عصر دراسات في السيرة النبوية تتخذ طوابع مختلفة فمنها ما يحرص على اختصار السيرة، ومنها ما يعنى بالدروس الدينية والتربوية المستقاة منها، ومنها ما يطمح إلى التحقق من بعض الوقائع والأقوال.. إلى غير ذلك.

إن غنى السيرة التي تسجل حياة خير البشرية عليه الصلاة والسلام ذو أثر واضح في تنوع النظرات والمناهج والاستنباطات؛ فكل قارئ للسيرة يجد فيها من جوانب الإعجاز النبوي ما يروقه. ولذا فسوف تظل السيرة معيناً لا ينضب مهما كثر عليه الواردون، ونهل من نبعه الناهلون.

وهذا الكتاب الذي يقدمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، **وهو السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية** للدكتور مهدي رزق الله أحمد، يرتبط بسلسلة المؤلفات التي تتخذ من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام مجالا للدراسة والاستنباط. وهدف المؤلف في هذا العمل أن يكتب السيرة النبوية معتمداً على مصادرها الأصيلة المتنوعة، مختاراً ماكان من الروايات قويا، ومناقشاً ماكان محل نقاش وإن كان مشهوراً بين الناس. وقد حوى الكتاب مادة علمية غزيرة استطاع المؤلف من خلال منهجه المتميز أن يجمع شتاتها ويدققها، خصوصاً ماتناثر منها في المصادر المتعددة ككتب التفسير والحديث والسير والمغازي والتاريخ والطبقات والتراجم والفقه. وربما لا يجد القارئ ذكراً لبعض كتب السيرة القديمة شيئاً ما أو الحديثة، وهذا الأمر مرده إلى منهج المؤلف الذي التزم فيه بالاعتماد على الكتب الأصلية التي عنيت بنقل السيرة عن الرواة الأولين.

ولم يخلُ هذا الكتاب من إشارات تربوية مفيدة، أو لمسات إيمانية معبرة، كما لم يقف عند حدود سرد النصوص بلا تمعن أو إشارة إلى فقهها ودروسها خصوصا وهي محل الأسوة والاقتداء.

وقد قام مركز الملك فيصل بإعداد فهارس للكتاب كفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية القولية، والأعلام، والأماكن، والغزوات والسرايا والحروب، والأشعار، والحكم والأمثال من أجل تيسير الوصول إلى موضوعاته وتحقيق مزيداً من النفع به. وقد بات ذلك ضرورياً في النشر العلمي اليوم خصوصاً في مصادر العلوم النقلية ذات الصبغة المرجعية.

نرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب، وأن يسد به ثغرة في المكتبة الإسلامية، وأن يثيب مؤلفه. ولله الحمد أولا وأخرا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمين العام

د. زيد بن عبدالمحسن آل حسين

مقدمة

منذ عام ١٣٩٧ هـ أوكل اليَّ تدريس مادة «السيرة النبوية» بقسم الثقافة الإسلامية ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية. وخلال هذه الفترة واجهتني مشكلة المراجع التي يمكن أن يعتمد عليها المدرس والطالب. فلم أعثر على كتاب تَحَقَّقَ فيه معظم المواصفات المطلوبة حسبما تبلورت في ذهني، وبناء على تجربتي المحدودة وقلة بضاعتي؛ فقد كنت أتوق دائما إلى العثور على كتاب تتحقق فيه مواصفات معينة، أبرزها:

١ ـ غزارة مادته العلمية وشموله أبرز أحداث السيرة النبوية.

٢ ـ أن يكون مختصرا بحيث لا يتجاوز حجمه المجلد الواحد أو في نحو ستمائة صفحة.

٣ ـ أن يكون وفق المنهج الذي سوف أصف أهم ملامحه.

عندما لم أجد كتابا تحققت فيه هذه المواصفات، أقدمت على القيام بهذه المحاولة التي أرى أنه قد تحقق فيها جزء كبير من تلك المواصفات. وإذا كان هناك قصور في بعض الجوانب فهو مني وذلك لأن بضاعتي في الحديث مزجاة، وكان ينبغي أن يقوم بهذا البحث علم من أعلام الحديث في زماننا هذا، ولما لم يفعلوا حتى الآن، فقد اضطررت للتطفل على موائدهم؛ ومما أغراني بذلك أنني وجدتها عامرة بما لذ وطاب من التحقيقات العلمية والأحكام على مرويات السيرة العطرة، مما وفر علي كثيرا من الجهد والوقت.

وأرجو من أساتذتنا العلماء أن يسدوا لنا كل ما يستطيعون من نصح وتقويم وتصحيح حتى يخرج هذا البحث في صورة مرضية في طبعته الثانية ـ إن شاء الله ـ ليستفيد منه مؤلفه ومطالعوه، ويستعين به مؤلفه ـ بعد الله

تعالى ـ على أداء مهمته الأكاديمية والتربوية، وينفع الله به أبناء المسلمين وطلاب العلم.

والله أسأل أن يمنحني أجرَي المصيب أو أجر المخطىء.

منهج البحث

إن مرويات سيرة الرسول ﷺ كثيرة جدا، ولذا فقد يلحظ القارىء أن الباحث قد أهمل طائفة من الروايات الضعيفة التي يكثر من روايتها بعض أهل المغازي والسير والتاريخ، لأن هدف البحث ليس استقصاء جميع مرويات السيرة النبوية، بل الهدف رسم هيكل للسيرة يستوعب معظم الصحيح من مرويات السيرة، وإذا لم أجد الصحيح ذكرت مرويات ضعيفة، فيما لا يتعلق بالعقيدة والأحكام، ونبهت على ذلك، لأن بعض العلماء يجوّز رواية الحديث الضعيف فيما دون المسائل العقدية والأحكام الفقهية.

إن من الأهداف الرئيسة لهذا البحث الاعتماد على المرويات الصحيحة، وإذا أخفق الباحث في شيء من هذا فمرده إلى نقص فيه، ويرجو من أهل الصنعة الحديثية أن يصححوه ويقوموه.

لقد حاولت التقليل من حجم الحواشي حتى لا يتضخم الكتاب. وعلى الرغم من هذا كادت الحواشي أن تصل إلى نحو ثلث الكتاب، وذلك لأن الضرورة العلمية اقتضت ذلك، خاصة إن كثيرا من الأحاديث الضعيفة تتقوى بالشواهد والمتابعات التي لابد من ذكر بعضها. إضافة إلى هذا فإنني رأيت ضرورة وأهمية إثبات كثير من مرويات أهل السير والمغازي إلى جانب الروايات الصحيحة، وذلك على الرغم من ضعف مرويات أهل المغازي ليتبين للقارئ أن كثيراً من مرويات أهل المغازي والسير لها أصل في الصحيح، وان روايات أهل الحديث الصحيحة تؤكدها وتجعل لها قيمة علمية معتبرة.

من المتعارف عليه بين غالبية الباحثين الأكاديميين ان المصدر أو المرجع إذا ذكر لأول مرة، ذكرت جميع البيانات المتعلقة به، ولكثرة المصادر والمراجع

وخشية الإطالة، رأيت أن أذكر البيانات الكاملة عن المصادر والمراجع في قائمة ثبت المصادر والمراجع.

ورأيت أن أستخدم بعض الرموز والمصطلحات على سبيل الاختصار أيضا، وهي:

١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري لابن حجر = البخاري /الفتح.

٢) صحيح مسلم مع شرح النووي له = مسلم / النووي.

٣) الإمام أحمد بن حنبل: المسند بترتيب البنا الساعاتي، المسمى الفتح الرباني مع شرحه له والمسمى بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني = أحمد: الفتح الرباني...

٤) ك. = كتاب ٥) ب = باب ٦) ح. = حديث رقم كذا

٧) ط. = طبعة ٨) ص = صفحة ٩) ص ص = من صفحة كذا إلى صفحة كذا.

١٠) جـ = جزء ١١) م = مجلد.

لقد أهملت تعريف بعض الأعلام الذين أذكرهم، مكتفيا بالإحالة إلى بعض المصادر التي تتناول تعريفهم. وذلك للاختصار.

إذا ورد الخبر في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهذا في الغالب، ولم أذكر روايات أهل الحديث الآخرين إذا لم يكن بها زيادات مفيدة، ولكني كثيرا مما أذكر روايات ضعيفة أو ضعيفة جداً لأهل المغازي والسير، إما لأن كثيرا ما يوجد بها زيادات تتقوى بالشواهد والمتابعات، أو على أقل تقدير يعرف أن للكثير منها أصلاً.

وإذا قلت عن الرواية إنها معلقة أو بدون إسناد أو منقطعة أو معضلة، أو مرسلة لا تنجبر أو من رواية الواقدي وغيره من المتروكين والضعفاء، فهذا يعني ان هذه الرواية ضعيفة أو ضعيفة جداً. وذلك لتقليل التكرار.

لقد حرصت أن تكون كل معلوماتي موثقة ليسهل على القارىء التأكد من صحة النقل أو الاستزادة من المعلومات التي وردت مختصرة.

رأيت أن يعتمد هذا الكتاب في معلوماته على أوثق المصادر وعلى رأسها

كتاب الله تعالى ثم كتب التفسير والحديث والمغازي والسير، وأن أذكر درجة الخبر ليعرف إن كان مما يحتج به أم لا، وذلك في ضوء آراء أهل الحديث.

لقد أعطيت الأولوية في الاستشهاد للآيات القرآنية، ثم روايات الصحيحين، ثم الصحيح من الروايات المبثوثة في كتب التفسير والحديث والدلائل والمغازي والسير والتاريخ العام والآداب، وغيرها من كتب أهل العلم المختلفة.

ورأيت أن استنبط من كثير من أحداث السيرة بعض رؤوس المسائل الفقهية والحِكَم والعبر.

أهداف دراسة السيرة النبوية

١ ـ إن الدارس لسيرة الرسول ﷺ يقف على التطبيق العملي لأحكام الإسلام التي تضمنتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في مجالات الحياة المختلفة.

٢ ـ إن الاقتداء برسول الله ﷺ يقتضي معرفة شمائله وأحواله ﷺ في المجالات المختلفة ومن عرف شمائله وأحواله وأحبه واقتدى به، فسينال ما يدخره الله له على ذلك. قال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾[٢].

٣ ـ إن الاقتداء برسول الله ﷺ واتباعه دليل على محبة العبد ربه، وسينال العبد محبة الله له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[٣].

٤ ـ يقف الدارس لسيرته ﷺ على دلائل معجزاته ـ دلائل نبوته ـ مما يقوي ويزيد الإيمان.

٥ ـ إن معرفة ما حفلت به السيرة من مواقف إيمانية عقدية، وقفها الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، تقوي من عزائم المؤمنين

(٢) الأحزاب: ٢١.
(٣) آل عمران: ٣١.

السائرين على درب الرسول ﷺ، وتثبتهم للدفاع عن الدين والحق، وتقذف في قلوبهم الطمأنينة.

٦ - في السيرة كثير من العظات والعبر والحكم التي يتعظ ويعتبر بها كل ذي لب من الحكام والمحكومين، فيعرف من تحدثه نفسه بالجبروت والكبرياء مآل من اتصف بهذه الصفات.

٧ - في سيرته ﷺ دروس كثيرة لجميع فئات الناس، ومواساة لهم في كافة أنواع الابتلاءات التي يتعرضون لها، لا سيما الدعاة.

٨ - إن سيرة الرسول ﷺ هي المثل الأعلى للإنسان الكامل في جميع الجوانب.

٩ - يجد المرء في سيرته ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

١٠ - يحصل دارس السيرة على قدر كبير من المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، من عقيدة وشريعة وأخلاق وتفسير وحديث وسياسة وتربية واجتماع... الخ.

١١ - يتعرف الدارس لسيرته ﷺ تطور الدعوة الإسلامية، وما كابده الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، وما واجهه هو وأصحابه من مشكلات، وكيفية التصرف في تذليل تلك العقبات، وحل تلك المشكلات.

١٢ - إن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية ومناسبات أقوال كثيرة للنبي ﷺ وأصحابه لا تعرف إلا بمعرفة السيرة النبوية.

١٣ - إن علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم والسنة، لا يتأتى فهمه ومعرفته إلا في ضوء وقائع السيرة.

١٤ - إن المعجزات التي أجراها الله تعالى على يدي نبيه محمد ﷺ لا تفهم جيدا إلا في ضوء معرفة وقائع السيرة التي حدثت خلالها تلك المعجزات.

مصادر السيرة النبوية

١ - القرآن الكريم:

لقد تناولت كثير من الآيات القرآنية الكريمة حياة الرسول ﷺ في أطوارها

المختلفة، قبل البعثة وبعدها، وهو ما ستلحظه عند قراءتك هذا الكتاب، أو عند القاء نظرة سريعة على حواشيه في الصفحات المختلفة. وقد ألف الأستاذ محمد عزة دروزة كتابا في مجلدين تحت عنوان: (سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن الكريم)، وإن هذا وذاك يدل على أن المصدر الرئيس لسيرة الرسول ﷺ ينبغي أن يكون القرآن الكريم، لأنه نص قطعي الثبوت، بل هو أصح نص عرفته البشرية في تاريخها، وليس من الإيمان أو من أبجديات المنهج العلمي التغاضي عن هذه الحقيقة التي لا تحتاج مني إلى كثير كلام لإثبات ذلك.

وتناول القرآن في حديثه أمورا كثيرة عن العرب قبل الإسلام، وذلك في جميع مجالات حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. كما حدثنا القرآن عن الحضارات القديمة التي كانت في الجزيرة العربية وما جاورها، مما يلقي الضوء على أحوال المجتمعات الإنسانية، قبل وحين ظهور الإسلام.

وحتى تكتمل الاستفادة من القرآن الكريم لمعرفة سيرة الرسول ﷺ، لابد من الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور، التي ساقت الأحاديث المسندة لتفسير الآيات المختلفة، وبينت الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، مع مراعاة أن الأحاديث التي يستشهد بها المفسرون ليست كلها على درجة واحدة من حيث القبول؛ فمنها الصحيح والحسن والضعيف والواهي والموضوع. فإذن لابد أن تُقَوَّم مروياتها ويختار منها ما تثبت صحته، أو يكون صالحا للاحتجاج به، وفقا لمعايير أئمة أهل الجرح والتعديل ورجال الحديث.

ومن أشهر وأوثق كتب التفسير بالمأثور تفسير الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ)، والإمام ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ). وقد لخص الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ) هذه التفاسير في كتابه: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، وحفظ لنا نصوص ما فقد أو أهمل من هذه التفاسير[٤].

(٤) انظر: د. فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ص ص٣٤ - ٣٥.

٢ ـ الحديث النبوي الشريف:

عنيت كتب الحديث بجمع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلقية والخُلقية. وتناول بعضها طرفا من سيرته ومغازيه وسراياه وبعوثه، سواء كانت أبوابا ضمن كتبهم أو روايات مبثوثة في ثنايا كل أبواب كتبهم. وتتفاوت درجة الاهتمام بأبحاث السيرة بين كتاب وآخر. فنجد البخاري ـ مثلا ـ يهتم بسيرة الرسول ﷺ فيفرد كتبا وأبوابا من جامعه الصحيح لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده، ومغازيه وسراياه وبعوثه، ومكاتباته، وفضائل أصحابه، وزوجاته، إضافة إلى ما هو مبثوث من أحداث السيرة ضمن مرويات كتب وأبواب جامعه الصحيح.

والمتأمل في حواشي هذا الكتاب يقف على حقيقة هامة حول هذا الكتاب، وهي أن البخاري كاد أن يغطي أبرز أحداث سيرة الرسول ﷺ.

وكذلك الإمام مسلم، فقد أفرد كتبا وأبوابا من صحيحه للحديث عن سيرته ﷺ، ومثال ذلك كتب: الجهاد والسير، فضائل النبي ﷺ، فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)، الإمارة. إضافة إلى المرويات الكثيرة المبثوثة في ثنايا الأبواب الأخرى من صحيحه. وهو ما ستلحظه عند قراءة هذا الكتاب، أو إذا ألقيت نظرة عاجلة على حواشيه. وقد استدرك الإمام الحاكم النيسابوري أحاديث لم يذكرها البخاري ومسلم، وهي حسب معياره على شرطهما أو على شرط أحدهما. وقد تتبعه الإمام الذهبي فوافقه في كثير منها ولم يوافقه في بعضها وسكت عن بعضها، وجاء من بعدهما من تتبعهما ولم يوافقهما في بعض الأحاديث. وفي هذا المستدرك قسم خاص بالمغازي والسير، إضافة إلى الأحاديث الأخرى المبثوثة في ثناياه ذات العلاقة المباشرة بأحداث كثيرة من السيرة.

أما كتب السنن الأربعة فأكثرها ذكرا للسيرة جامع الإمام الترمذي، خاصة في أبواب المناقب. ويليه كتاب سنن أبي داود، ثم كتاب سنن ابن ماجه، خاصة كتاب الجهاد، ثم سنن النِّسائي.

ويضاف إلى ما سبق، فقد حفل كتاب السنن الكبرى للبيهقي بمادة معتبرة

في السيرة.

أما كتب المسانيد، فيتربع على قمتها مسند الإمام أحمد، ويبدو لك جليا غزارة مادة السيرة فيه ـ إذا نظرت في كتاب الجهاد منه بالمجلد رقم ١٣، وكتاب السيرة النبوية بالمجلدات: ٢٠، ٢١، ٢٢ وكتاب المناقب بالمجلد رقم ٢٢، بترتيب البنا الساعاتي، المعروف بـ« الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني » وحسب علمي، فإنها أغزر مادة في السيرة وجدت في كتاب حديث. والمتأمل في المجلدات المذكورة وفي كتابنا هذا، سوف يقف على هذه الحقيقة، وليس هذا بغريب في كتاب ضخم قيل إنه ضم بين دفتيه نحو ثلاثين أو اربعين ألف حديث، قيل مع المكرر وقيل من دون المكرر[٥].

ليست كل كتب الحديث على درجة واحدة من الالتزام برواية الصحيح. فكما هو معروف كان على رأس من التزم الصحة في مروياته الإمامان الشيخان البخاري ومسلم. ولذا يتعين على المرء أن ينظر في أسانيد كتب السنن والمسانيد والمستدركات وغيرها من كتب الحديث التي التزمت الإسناد، فيقبل ما هو صحيح أو حسن، فيحتج به، وإذا استأنس بالضعيف فيما دون ذلك، فعليه أن يكون عالما بذلك منبها عليه.

ومن نعم الله على عباده أن قيض لهذه الكتب من يقوم بخدمتها ـ قديما وحديثا ـ ولذا ترى ان معظم الأحاديث في السيرة وغيرها قد حكم عليه الائمة وبينوا مرتبته، وهو ما ستلمسه عند مطالعتك في هذا الكتاب.

وقد ألفت كتب خاصة تخدم كتب الحديث، وهي كتب التراجم والطبقات والمعاجم. والمتتبع لكتب الطبقات التي تناولت تراجم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ورواة الأحاديث، سيجد فيها كثيرا من الأحاديث التي تتعلق بالسيرة، والتي يمكن تقويمها للاحتجاج بالصحيح والحسن منها، مثل: طبقات ابن سعد والاصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبدالبر وأسد

---

(٥) انظر: المسند (١/٣٢ ـ ٣٣) شرح لأحمد محمد شاكر، تحت عنوان «طلائع الكتاب» ـ المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد للحافظ شمس الدين بن الجزري.

الغابة لابن الأثير ومعاجم الطبراني، وهو ما ستراه واضحا عند قراءتك في هذا الكتاب.

٣ ـ كتب الشمائل:

على الرغم من أن معظم الأحاديث المتعلقة بشمائل الرسول ﷺ مثبوتة في ثنايا كتب الحديث فقد أفرد لها بعض أهل الحديث كتبا وأبوابا في مصنفاتهم. ومثال ذلك انك تجد في صحيح البخاري ما يسمى بـ« كتاب الأدب »، وكتاب الاستئذان وكتاب اللباس، وتجد في صحيح مسلم كتاب: البر والصلة والآداب، وكتاب فضائل النبي ﷺ وكتاب اللباس والزينة وكتاب الزهد والرقائق، وتجد في سنن الترمذي أبواب البر والصلة وأبواب الاستئذان، وتجد في سنن ابن ماجة كتاب الادب وكتاب الزهد.

ومن أهل الحديث من أفرد شمائل الرسول ﷺ بالتصنيف مثل ما فعل الإمام الترمذي، حيث ألف كتاب الشمائل، الذي اختصره وحققه الشيخ ناصر الدين الألباني، وحققه من قبله الأستاذ الدعاس، ومثل كتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ، والأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي، وغيرهم.

وجمعت هذه الكتب الصحيح والسقيم، فعلينا ان نأخذ منها ما تثبت صحته.

٤ ـ كتب دلائل النبوة ـ المعجزات:

لقد تناثرت أحاديث الدلائل والمعجزات في بطون وثنايا كتب الحديث، ولكن أراد بعض العلماء أن يفردوها بالتأليف، وضاع معظمها، ولم يسلم من ذلك سوى النذر اليسير، وأشهرها: **دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني**، ودلائل النبوة للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي. وعلى الرغم من أن عنوان كتاب البيهقي يشير إلى أن مضمون الكتاب في الدلائل، إلا أن الحقيقة غير ذلك، إذ إن الكتاب فيه كل شيء استطاع أن يجمعه مؤلفه عن سيرة

الرسول ﷺ وقد طبع في سبع مجلدات، بتحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعة جي. وهو من أنفس الكتب في السيرة عامة والدلائل خاصة. فقد استفاد مؤلفه من مؤلفات سابقيه في الحديث، فجاء مصدرا ومرجعا لا يستغني عنه أي باحث في السيرة.

وقد جمع السيوطي في كتابه «الخصائص الكبرى» طائفة كبيرة من الدلائل التي ذكرت في كتب سابقيه من رجال الحديث بصفة خاصة.

وتحتاج هذه الكتب إلى مزيد عناية ودراسة وتمحيص لتمييز الصحيح من السقيم، فيستفيد منها من يريد أن يكتب شيئا في ضوء صحيح السيرة أكثر.

٥ ـ كتب المغازي والسير:

مما لا شك فيه ان معظم أصل مادة كتب المغازي والسير، هي مرويات مبثوثة في كتب السنة، حتى إن المحدثين عندما عَرَّفُوا السنة، جعلوا السيرة جزءاً منها. فقالوا: (إنها كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة.).

وكما ذكرنا عند الكلام عن كتب الحديث باعتبارها من مصادر السيرة، لمسنا ما تكونه مادة السيرة من أجزاء في كتب الحديث. وكشأن العلوم الإسلامية المختلفة التي أخذت تنفرد بالتخصص في جوانب معينة، فقد أخذ بعض العلماء ـ وهم أصلا محدثون ـ في إفراد السيرة باهتمام خاص وكتب خاصة.

ولعل أوائل أبرز من اهتموا بالكتابة في السيرة عموما في القرن الأول الهجري: عبدالله بن عباس (المتوفى سنة ٧٨هـ)، سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي، المولود في حياة الرسول ﷺ، وهو والد شرحبيل بن سعيد، وسهل ابن أبي حَثْمَة المدني الأنصاري، المولود سنة ثلاث من الهجرة، والمتوفى في عهد معاوية (رضي الله عنه)، وعروة بن الزبيربن العوام (ت ٩٢ أو ٩٤هـ)، وسعيد بن المسيب المخزومي (ت ٩٤هـ)، وأَبان بن عثمان بن عفان (ت ما بين ٨٦ و ١٠٥هـ)، وأبو فضالة عبدالله بن كعب بن مالك

الأنصاري (ت ٩٧هـ).

وفي القرن الثاني الهجري، برز: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٧هـ)، ووهب بن منبه (ت ١١٤هـ)، وشرحبيل بن سعيد (ت ١٢٣هـ)، وأبوروح يزيد بن رومان الأسدي (ت ١٣٠هـ)، وأبوالأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل الأسدي، يتيم عروة (ت ١٣١هـ)، وعبدالله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠ ـ ١٣٥هـ)، وموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ)، ومحمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت ١٥١هـ)ويونس بن يزيد الأيلي (ت ١٥٢هـ)، ومعمر بن راشد البصري (ت ١٥٤هـ)، وأبومعشر السندي (ت بعد سنة ١٧٠هـ)، وأبواسحاق الفزاري (ت ١٨٦هـ)، والوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥هـ).

وبرز في القرن الثالث الهجري: محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) وعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، وسعيد بن المغيرة بن الصياد المصيصي (ت ٢٢٠هـ)، وأحمد بن محمد الوراق (ت ٢٢٨هـ)، ومحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، ومحمد بن عائذ القرشي (ت ٢٢٤هـ)، وسليمان بن طرخان التيمي (ت ٢٤٥هـ)، وهشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ)، وسعيد بن يحيى الأموي (ت ٢٤٩هـ)، وعمر بن شبة بن عبيد (ت ٢٦٢هـ).

لقد قسم بعض المؤرخين هؤلاء المؤلفين في السيرة إلى طبقات: أولى وثانية وثالثة ورابعة. فأشهر رجال الطبقة الأولى أبَان وعروة وشرحبيل وابن منبه. ولم تصلنا كتبهم، بل وصلنا كثير من مروياتهم في السيرة مبثوثة في بطون كتب اللاحقين من أهل المصنفات الكبيرة في الحديث والتفسير والسيرة. وعثر المستشرق بيكر على قطعة من كتاب المغازي لوهب، بين أوراق بردي شتارينهارت المحفوظة الآن بمدينة هيدلبرج الألمانية، برواية عبدالمنعم ابن بنت وهب، وهو عند المحدثين من الكذابين. وقام الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، بجمع مرويات عروة في السيرة، برواية أبي الاسود، ونشرها في كتاب بعنوان: (مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ـ برواية أبي الأسود يتيم عروة).

ومن أشهر رجال الطبقة الثانية: عبدالله بن أبي بكر وعاصم والزهري. وكذلك لم تصلنا كتبهم، بل وصلتنا كثير من مروياتهم في كتب اللاحقين. وقد قام الدكتور سهيل زكار بجمع مرويات الزهري من بطون الكتب، ونشرها في كتاب تحت عنوان: (المغازي النبوية...).

ومن أشهر رجال الطبقة الثالثة: ابن عقبة وابن راشد وابن إسحاق، وثلاثتهم من تلاميذ الزهري، والفزاري والوليد والواقدي وعبدالرزاق والمصيصي وابن سعد والوراق وابن عائذ وابن أبي شيبة وابن طرخان وابن عمار والأموي. وقد وصلتنا أجزاء من كتب معظم رجال هذه الطبقة، فقد وصلتنا أجزاء من مغازي ابن عقبة، وهو القطعة التي وجدها ادوارد سخاو ونشرها مع ترجمة ألمانية له سنة ١٩٠٤م، وأجزاء من سيرة ابن إسحاق، أهمها الجزء المشهور بسيرة ابن هشام، ثم الجزء المسمى (السير والمغازي)، وقد صدرت طبعة منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي، وأخرى بتحقيق الدكتور سهيل زكار، وسيرة الرسول ﷺ للفزاري، حيث وجد منها جزءان بمكتبة جامعة القرويين بالمغرب، وسينشرها ـ إن شاء الله ـ الدكتور فاروق حمادة، ومغازي الواقدي، وهو كتاب مطبوع في ثلاث مجلدات، بتحقيق المستشرق مارسدن جونز. ووصلنا كتاب السيرة لعبد الرزاق ضمن مؤلفه المشهور (المصنف)، وهو مطبوع متداول. ووصلنا كتاب ابن سعد المعروف بـ(الطبقات الكبرى)، وطبع في سبعة مجلدات، المجلد الأول والثاني في السيرة النبوية، ومعظم مروياته في السيرة من طريق شيخه الواقدي، فقد نقل عنه في ثلاثة وأربعين ومائة موضع[٦].

ووصلنا كتاب ابن عائذ، ولكنه مازال مخطوطا بالمتحف البريطاني بلندن.

ووصلنا كتاب ابن أبي شيبة، المعروف بـ(تاريخ ابن أبي شيبة) وهو مخطوط، ومنه نسخة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

---

(٦) انظر: زياد محمد منصور، مقدمة تحقيقه لكتاب الطبقات لابن سعد ـ القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ص٥١. فقد أحصى الأستاذ زياد عدد الروايات التي نقلها ابن سعد عن كل شيخ من شيوخه.

ويلاحظ ان من قسم مؤرخي السيرة إلى هذه الطبقات، أهمل ذكر اسماء كثيرة ممن ذكرنا، ولم يضعها في مكانها المناسب من الطبقات.

يتفاوت حجم المادة في السيرة بين مؤلف وآخر كما ستراه واضحا من خلال المستشهد به في هذا الكتاب، ومن خلال نظرتك للمطبوع والمخطوط والمتناثر في بطون الكتب. فنجد ـ مثلا ـ مادة غزيرة في السيرة عند ابن اسحاق والواقدي وابن سعد والفزاري وعروة بن الزبير والزهري وابن أبي شيبة وابن عقبة، والأموي، بينما نجد مادة أقل نسبيا عند الوليد وابن طرخان وابن عائذ وابن عمار... ولم يكن كل هؤلاء المصنفين في السيرة على درجة واحدة من حيث توثيق علماء الجرح والتعديل. فبينما نجدهم يعدلون بعضهم ويضعونهم في طبقات الثقات، نجدهم يجرحون بعضهم ويضعونهم في طبقات المدلسين أو الضعفاء أو المتروكين.

والقائمة الآتية توضح لنا مكانة مشاهير هؤلاء المؤرخين في السيرة عند كبار أهل الجرح والتعديل وكيفية وصول مروياتهم في السيرة النبوية إلينا.

سنذكر العلم وتاريخ وفاته بالتقويم الهجري، ثم كيفية وصول مروياته إلينا، ثم تقويمه من كتاب «تقريب التهذيب» لابن حجر، وإذ ذكرنا غيره أشرنا إلى ذلك.

١ ـ سهل بن أبي حَثْمَة. ولد سنة ٣ هـ وتوفي في عهد معاوية (٤١ ـ ٦٠ هـ).

بقيت من كتابه في المغازي نصوص عديدة لدى البلاذري في «أنساب الأشراف» وابن سعد في الطبقات والطبري في تاريخه والواقدي.

صحابي صغير. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر.

٢ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي (ت ؟).

بقيت من كتابه في المغازي نصوص محدودة في مسند الإمام أحمد ابن حنبل وتاريخ الطبري ومسند أبي عوانة.

صحابي صغير. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر.

٣ ـ عبدالله بن عباس (ت ٧٨ هـ).

مروياته مبثوثة في كتب الحديث والتفسير والسير المطبوعة والمخطوطة.
صحابي، والصحابة كلهم عدول بتعديل الله ورسوله.

٤ ـ عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ).
رَوَت عنه الكتب الستة وغيرها، مثل كتب ابن إسحاق وابن سيد الناس وابن كثير وابن حجر وابن عبدالبر... إلخ.
ثقة، فقيه مشهور، ص ٣٨٩، من التقريب.

٥ ـ سعيد بن المسيب المخزومي (ت ٩٤ هـ).
من شيوخ الزهري. كتب شيئاً عن حياة الرسول ﷺ والفتوح، رواه عنه الطبري في تاريخه.
أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، تابعي، ص ٢٤١ : التقريب.

٦ ـ أبوفضالة عبدالله بن كعب بن مالك (ت ٩٧ هـ).
روى عنه ابن إسحاق في كتبه والطبري في تاريخه.
ثقة، ص ٣١٩. التقريب.

٧ ـ أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠١ ـ ١٠٥ هـ).
روى عنه الإمام مالك بن أنس في «الموطأ» وابن سعد في «الطبقات» والطبري في تاريخه واليعقوبي في تاريخه.
ثقة، ص ٨٧. التقريب.

٨ ـ عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ).
روى عنه: أبو إسحاق السبيعي وسعيد بن مسروق الثوري والأعمش وقتادة ومجالد بن سعيد وخلق كثير.
محدث ثقة مشهور فقيه فاضل، ص ٢٨٧. التقريب

٩ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٧ هـ).
حفظ لنا الطبري في تاريخه العديد من مروياته، ونجد بعضها عند البلاذري في أنسابه والواقدي في مغازيه.
ثقة، ص ٣١٩. التقريب.

١٠ ـ وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ).

وجدت قطعة مخطوطة من مغازيه بمدينة هيدلبرج الألمانية، وأخذ عنه ابن إسحاق وابن قتيبة والمسعودي والمقدسي والطبري والكسائي وثعلب.
ثقة، ص ٥٨٥. التقريب.

١١ - عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠ هـ).
نقل لنا عنه ابن إسحاق والواقدي والطبري، ونقل عنه ابن سعد خبراً واحداً عن سقوط عين قتادة على وجنتيه في معركة أحد.
ثقة، ص ٢٨٦.

١٢ - شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة (ت ١٢٣ هـ).
روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن إسحاق ومالك وغيرهم من أهل الحديث والمغازي.
مقبول، ص ٢٦٥، ووثقه آخرون كابن حبان وابن خزيمة.

١٣ - محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ).
مروياته في الكتب الستة وغيرها، وممن اقتطف من سيرته: الطبري في تاريخه.
متفق على إمامته وإتقانه وتوثيقه، ص ٥٠٦.

١٤ - أبو إسحاق السبيعي (ت ١٢٧ هـ).
روى عنه الجماعة وغيرهم، أمثال: الأعمش وشعبة والثوري وابن عيينة وإسرائيل بن أبي إسحاق - حفيده - وعبدالغفار بن القاسم وعبدالكريم بن دينار ونوح بن أبي مريم ويونس بن أبي إسحاق. وهذه المرويات منثورة في كتب الحديث والسير. لم يذكر له مؤلف.
ثقة مكثر عابد، اختلط بأَخَرَة. ص ٤٢٣.

١٥ - يعقوب بن عتبة بن المغيرة المدني (ت ١٢٨ هـ)
روى عنه ابنه محمد ومحمد بن إسحاق وإبراهيم بن سعد وغيرهم.
ثقة، ص ٦٠٨

١٦ - أبوروح يزيد بن رومان الأسدي المدني (ت ١٣٠ هـ).
إقتبس من كتابه في المغازي: الواقدي وابن سعد والطبري في كتبهم المعروفة.
ثقة، ص ٦٠١

١٧ ـ أبو الأسود المدني محمد بن عبدالرحمن بن نوفل (ت ١٣١ أو ١٣٧ هـ).

روت عنه الكتب الستة وغيرها. نقل عنه ابن سعد والطبري والبلاذري وابن حجر وابن كثير وابن القيم وابن سيد الناس وغيرهم. ولابن حجر في الإصابة ٤٨ قطعة من كتابه في المغازي والسير.

ثقة، ص ٦٠١.

١٨ ـ عبدالله بن حزم (ت بين سنتي ١٣٠ و ١٣٥ هـ).

توجد مروياته في أغلب كتب الحديث، مثل مسند الإمام أحمد، ونقل عنه ابن إسحاق والواقدي والطبري وابن كثير.

ثقة، ص ٢٩٧.

١٩ ـ داود بن الحصين الأموي (ت ١٣٥ هـ).

روى عنه مالك وابن إسحاق وغيرهما.

ثقة إلا في عكرمة، ص ١٩٨.

٢٠ ـ موسى بن عقبة (ت ١٤٠ ـ ١٤١هـ).

مروياته في الكتب الستة وغيرها، ونقل عنه: ابن سعد والطبري وابن حجر وابن كثير والعصفري والزرقاني. ونشر قطعة منه «ادوارد سخاو» سنة ١٩٠٤م بعنوان: «المنتقى من مغازي موسى بن عقبة» عن مخطوطة وجدها ببرلين. وتوجد قطعة منه ضمن أمالي ابن الصاعد كما ذكر الدكتور الأعظمي في «دراسات». وجمع الدكتور العمري كثيراً من مروياته، ونشرها في بحث بمجلة كلية الدراسات الإسلامية، بغداد، العدد الأول، عام ١٣٨٧هـ.

ثقة، ص ٥٥٢.

٢١ ـ سليمان بن طرخان التيمي (ت ١٤٣ هـ).

كتب كتاب: «السيرة الصحيحة»، وفقدت إلا سبعاً وسبعين صفحة منها، نشرها المستشرق «فون كريمر» في ختام كتاب المغازي للواقدي، الذي طبع بكلكتا عام ١٨٥٦م. وتوجد مروياته في الكتب الستة وغيرها، برواية ابنه معتمر، وعند الأشبيلي

(ت ٥٧٥ هـ)، والسهيلي في الروض الأنف، وابن حجر في مؤلفاته المختلفة.

ثقة عابد، ص ٢٥٢.

٢٢ ـ **محمد بن إسحاق** (ت ١٥٠ أو ١٥١ هـ).

نشرت قطعة من مروياته بتهذيب ابن هشام، وهي المشهورة بسيرة ابن هشام برواية البكائي. ونشر الدكتور سهيل زكار ومحمد حميدالله قطعة منها برواية يونس بن بكير وأخرى برواية محمد بن سلمة وسينشر ـ إن شاء الله ـ محمد حميد الله قطعة أخرى. ومنها مقتبسات منثورة في كتب الحديث والتاريخ والأدب.

صدوق يدلس، فإذا صرح بالتحديث وإسناده متصل ورواته ثقات، فحديثه حسن لذاته.

٢٣ ـ **يونس بن يزيد الأيلي** (ت ١٥٢ هـ).

من رواة علم الزهري. روى له الجماعة وغيرهم.

ثقة، إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، وفي غيره خطأ، ص ٦١٤.

٢٤ ـ **معمر بن راشد** (ت ١٥٠ ـ ١٥٣ هـ).

اقتبس منها أهل الحديث والمغازي والتاريخ، أمثال: الواقدي والبلاذري وابن سعد والطبري. توجد نسخة من مغازيه بالمعهد الشرقي بشيكاغو، نشرته نبيهة عبود، وما تزال قطعة منه مخطوطة، في إسلامبول والرباط ودمشق.

ثقة ثبت فاضل، ص ٥٤١.

٢٥ ـ **أبو محمد عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحنيفي** (ت ١٦٢ هـ).

روى عنه فليح بن سليمان وسعيد بن أبي مريم والقعنبي والواقدي.

صدوق يخطئ، ص ٣٤٥ ووثقه آخرون.

٢٦ ـ محمد بن صالح بن دينار (ت ١٦٨).

روى عنه في السيرة: الواقدي والدراوردي وغيرهما.

صدوق يخطئ، ص ٤٨٤. ووثقه أحمد وابن حبان.

٢٧ ـ عبدالله بن جعفر المخرمي المدني (ت ١٧٠).
وردت له مرويات في السيرة عن كثير من أهل الحديث والمغازي.
ليس به بأس، ووثقه أحمد والعجلي، ص ٢٩٨.

٢٨ ـ أبو معشر السندي (ت ١٧٠).
اقتبس منه الواقدي وابن سعد والطبري وابن حجر. احتج بتاريخه الأئمة، ولكنهم ضعفوه في الحديث.
ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه أحمد. التقريب ص ٥٥٩ تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣٥).

٢٩ ـ عبدالملك أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم المدني (ت ١٧٦ ـ ١٧٧).
روى عنه ابن إسحاق وابن وهب وشريح بن النعمان والجوهري وعبدالله بن صالح العجلي.
ثقة ـ كما في التهذيب ٦/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

٣٠ ـ على بن مجاهد بن مسلم القاضي الكابُلي (ت بعد سنة ١٨٢).
له مرويات في بعض كتب الحديث، فهو من شيوخ الإمام أحمد، ومن رجال الترمذي.
متروك، ليس في شيوخ أحمد أضعف منه، ثقة عند الترمذي عندما يروي عن ثعلبة عن الزهري ـ انظر، تهذيب ٧/ ٣٨٧.

٣١ ـ زياد البكائي (ت ١٨٣).
من رواة سيرة ابن إسحاق، وروى عنه جماعة، منهم: الإمام أحمد وأحمد بن عبده الضبي وأبوغسان النهدي وإسماعيل بن توبة وسهل ابن عثمان ويوسف بن حماد وعمرو بن زرارة وابن هشام صاحب السيرة.
صدوق، ثبت في المغازي ـ تهذيب ٣/ ٣٧٥.

٣٢ ـ أبو إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد بن الحارث (ت ١٨٦).
اقتبس من سيرته الأشبيلي في الفهرست، ومنها جزءان مخطوطان بالقرويين، سيخرجهما إلى النور أحد الباحثين قريبا ـ إن شاء الله.
ثقة، ص ٩٢.

٣٣ ـ سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري (ت ١٩١ هـ).

من رواة سيرة ابن إسحاق. روى عنه الطبري كثيراً. له كتاب في السيرة لم يصلنا بعد.

صدوق كثير الخطأ، ضعيف عند المحدثين، وثقه ابن معين في المغازي وابن حبان ـ التهذيب (٤/١٥٣ ـ ١٥٤).

٣٤ ـ يحيى بن سعيد الأموي (ت ١٩٤).

ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون أنه ممن صنفوا في المغازي.

روى عنه ابنه سعيد وأحمد وإسحاق وابن معين.

صدوق يُغرب، وثقه ابن سعد وابن معين ـ التقريب ص ٥٩٠ التهذيب ١١/٢١٣ ـ ١٤.

٣٥ ـ الوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥ أو ١٩٦ هـ).

روى مغازيه ابن خير الأشبيلي في الفهرست.

ثقة، ولكنه كثير التدليس، ص ٥٨٤

٣٦ ـ يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ).

من رواة سيرة ابن إسحاق، وله ذيل عليها. روى عنه ابنه عبدالله وابن معين وأبوبكر بن أبي شيبة وغيرهم.

صدوق يخطىء انظر: التهذيب (١١/ ٤٣٥).

٣٧ ـ أبوحذيفة إسحاق بن بشر بن محمد البخاري (ت ٢٠٦ هـ).

ذكر ابن النديم أن له كتاب المبتدأ. وصل منه إلينا قسمان: الرابع والخامس عن السيرة، بالمكتبة الظاهرية، مجموع ٧١ (الأوراق من ١٥٠ ـ ١٦٣)، انظر: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٩٩. وهناك مقتبسات منه في الإصابة لابن حجر...

ضعيف في الحديث. كذبه ابن المديني وابن حبان والدارقطني وابن حجر ـ انظر: لسان الميزان (١/ ٣٥٤).

٣٨ ـ أبوالعباس وهب بن جرير بن حازم الأزدي (ت ٢٠٦ هـ).

روى سيرة ابن إسحاق، ورويت عنه بعض الأخبار في السيرة.

وأشهر من روى عنه: ابن حنبل وعلى بن المديني ويحيى بن معين وابن راهويه.. إلخ.

ثقة حافظ، ص ٥٨٥

٣٩ - محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ).

طبع كتابه بتحقيق مارسدن جونز، ونقل إلينا الطبري وابن سيد الناس وغيرهما طرفاً من مروياته الأخرى في السيرة.

متروك مع سعة علمه، ص ٤٩٨

٤٠ - الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الثعلي (ت ٢٠٧ هـ).

له كتاب التاريخ وغيره. لم يصل من مروياته في السيرة سوى ما نقله عنه الطبري والبلاذري وابن قتيبة والمسعودي.

قال ابن حجر في اللسان (٦/ ٢٠٩) كذبه البخاري ويحيى وأبوداود والنسائي.. وقال: كان إخبارياً علامة.

٤١ - عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ).

توجد مروياته في الكتب الستة وغيرها، وقد طبع مصنفه وفيه السيرة.

ثقة حافظ، ص ٣٥٤.

٤٢ - ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣ - ٢١٨ هـ).

لخص سيرة ابن إسحاق وله عليها زيادات قليلة وقد اشتهرت باسم: «سيرة ابن هشام».

قال السيوطي: وثقه القفطي - انباه الرواة ٢/ ٢١١ - ووثقه أبوسعد ابن يونس - بغية الوعاة ص ٣١٥ وغيرها.

٤٣ - سعيد بن المغيرة المصيصي (ت ٢٢٠).

وجدت له مرويات في سنن النسائي.

ثقة، ص ٢٤١

٤٤ - الأزرقي: أبوالوليد محمد بن عبدالله (ت ٢٢٣ هـ).

تناول سيرة الرسول ﷺ في كتابه المطبوع: «أخبار مكة».

. . . .

٤٥ ـ على بن محمد المدائني (ت ٢٢٥).
له مؤلف في السيرة ـ انظر: ترجمته في لسان الميزان للعسقلاني. تناول موضوعات من السيرة أفردها في مصنف، تناولت جوانب اقتصادية واجتماعية.
ضعفه ابن عدي والعسقلاني في الحديث. ورد في ترجمته ما يدل على صدقه في الأخبار.

٤٦ ـ صالح بن إسحاق الجرمي النحوي (ت ٢٢٥ هـ).
له كتاب في السيرة والأخبار عجيب كما ذكر الخطيب في تاريخ بغداد (٩/٣١٤). روى عنه أحمد بن ملاعب المخرمي وأبوخليفة الجمحي، وغيرهما. الخطيب (٩/٣١٤).
ذكر الخطيب أنه كان جليلاً في الحديث والأخبار (٩/٣١٤).

٤٧ ـ أحمد بن محمد الوراق (ت ٢٢٨).
في سنن أبي داود ومسند أبي يعلى ومصنف يعقوب بن أبي شيبة.
صدوق، ص ٨٣.

٤٨ ـ محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ).
نشر كتابه الطبقات في ثماني مجلدات. الأول والثاني منها في السيرة. وتأتي معلومات كثيرة في السيرة في ثنايا تراجم من ترجم لهم.
صدوق، ص ٤٨٦

٤٩ ـ محمد بن عائذ القرشي (ت ٢٣٤ هـ).
يوجد منها في سنن أبي داود والنسائي
صدوق، ص ٤٨٦

٥٠ ـ عبدالله بن محمد بن على بن نفيل الحراني (ت ٢٣٤).
له كتاب المغازي. روى عنه أبوداود فأكثر والباقون سوى مسلم بواسطة الذهلي..
ثقة حافظ ـ التقريب، ص ٣٢١. التهذيب (٦/١٦، ١٨)

٥١ ـ ابن أبي شيبة: **أبوبكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥)**

جاءت مروياته في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وينسب له كتاب: «أوائل الاسلام» الذي نقحه مؤلف آخر سنة ٣٠٠هـ، ومنه نسخة محفوظة في مكتبة برلين برقم ٩٠٤٩ كما قال الدكتور شاكر (ص ٢٠٨).

ثقة حافظ ثبت، ص ٣٢٠

٥٢ - هشام بن عمار (ت ٢٤٥ هـ).

توجد في صحيح البخاري وسنن أبي داود وسنن النسائي.

صدوق، ص ٥٧٣

٥٣ - سعيد بن يحيى الأموي (ت ٢٤٩ هـ).

توجد في الكتب الستة، ماعدا ابن ماجة

ثقة، ربما أخطأ، ص ٢٤٢

٥٤ - الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ).

من كتبه ذات الصلة بالسيرة: أزواج النبي ﷺ. وهو مطبوع، وصغير الحجم.

ثقة، ص ٢١٤

٥٥ - أحمد بن الحارث الخراز (ت ٢٥٨ هـ).

له كتاب في مغازي النبي ﷺ وسراياه وأزواجه الطاهرات.

. . . .

٥٦ - عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ).

روى السيرة - العهد المدني - في كتابه: تاريخ المدينة المنورة. وقد طبع بعناية الشيخ حبيب محمود أحمد. وأخيراً بتحقيق الشيخ عبدالله الدويش.

صدوق، ص ٤١٣

٥٧ - عبدالملك بن محمد الرقاشي البصري (ت ٢٧٦ هـ).

له كتاب في المغازي. روى عنه ابن ماجه والصنعاني - وهو من أقرانه - وابن خزيمة وابن جرير وآخرون.

صدوق يخطىء، ص ٣٦٥.

٥٨ ـ **إسماعيل بن جميع (ت ٢٧٧ هـ).**

ذكر ابن النديم (ص ١١٢) أن له كتابا في أخبار النبي ﷺ ومغازيه وسراياه.

لم أقف على تقويمه.

٥٩ ـ **ابن أبي خيثمة: أبوبكر أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩).**

من أهم كتبه: التاريخ الكبير، وهو من مصادر الطبري والذهبي والخطيب. أورد السيرة بإيجاز وعلى ترتيب السنين. بقيت منه قطعة مخطوطة بالقرويين كما ذكر الدكتور شاكر مصطفى (ص ٢٢٣).

قال ابن أبي حاتم: «كان صدوقا» الجرح والتعديل (١/١/٥٢) ووثقه الخطيب كما ذكر ابن حجر في اللسان (١/ ١٧٤).

٦٠ ـ **أبوزرعة: عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري الدمشقي (ت ٢٨١ هـ) أو (ت ٢٨٢هـ).**

له كتاب في التاريخ ويتضمن سيرة النبي الكريم وتاريخ الخلفاء الراشدين.

ثقة حافظ مصنف.

٦١ ـ **الثقفي: إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت ٢٨٣)،**

له كتاب في السيرة كما ذكر الصفدي في الوافي (٦/ ١٢٠) والطوسي في الفهرست (ص ٢٨). لم يذكر من ترجم له أسماء من أوصلوا علمه في السيرة إلينا.

لم نقف على توثيق له. كان اخبارياً من مشهوري الإمامية وله تصانيف كثيرة.

٦٢ ـ **الحربي: أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير (ت ٢٨٥ هـ).**

له كتاب في السيرة ـ كما جاء في ترجمته عند الخطيب (٦/٢٨ ـ ٤٠) روى عنه موسى بن هارون الحافظ، ويحيى بن صاعد، كما ذكر الخطيب. **وثقه الدارقطني كما ذكر الخطيب (٦/ ٤٠). كان إماماً في**

العلم ويقاس بابن حنبل في زهده وعلمه وورعه.

(١) ملاحظة: ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن المحدثين أمثال البخاري ومسلم وبقية الجماعة والإمام أحمد والحاكم وغيرهم قد أسهموا بجهد وافر في التاريخ في السيرة.

من المراجع التي أفادتنا في وضع هذه القائمة:

أ ـ الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ومغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير.

ب ـ الأستاذ الدكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها.

ج ـ الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون.

د ـ المستشرق هورفتش: المغازي الأولى ومؤلفوها.

هـ ـ أحمد أمين: ضحى الإسلام، الجزء الثاني، الفصل السابع «التاريخ والمؤرخون».

و ـ مارسدن جونز: مقدمة تحقيقه لمغازي الواقدي.

ز ـ كتب الحديث والتفسير والمغازي والتاريخ العام التي طالعناها.

ح ـ الأستاذ الدكتور/ أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة ـ خصائصه...

ط ـ الأستاذ الدكتور/ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ـ (المجلد الأول ـ الجزء الثاني ـ التدوين التاريخي.

على الرغم من شهرة هؤلاء الذين ذكرناهم عند المحدثين، وتوثيقهم لمعظمهم كما ترى، إلا أنه لم يشتهر منهم عند بعض المؤرخين سوى العدد

القليل، وهم: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وخاصة ابن إسحاق الذي تميز على غيره بأن اشتهرت سيرته بين عامة الناس وخاصتهم. وقد علمت حكم علماء الرجال فيهم من حيث الحديث، أما من حيث معرفتهم بالمغازي والسير، فلم تنكر إمامتهم في هذا الميدان. وحتى ما لحق بعضهم من تجريح في ميدان الحديث لم يكن مجمعا عليه بين علماء الرجال، كما سترى بعد قليل.

ويرجع السبب في شهرة سيرة ابن إسحاق بين العامة إلى عدة أمور منها:ـ

١) اتباعه أسلوب التسلسل الزمني في إيراد الأحداث. وقد استفاد في هذا من شيخه الزهري الذي صنف سيرته على الحوليات والأبواب. وكان هذا التسلسل المنهجي مبتكرا في عصره.

٢) كان يجمع كل ما يصله من مرويات عن الواقعة الواحدة ويسوقها مساقا واحدا دون الالتزام الصارم بتمييز رواية كل شخص على حدة، وهو ما عابه عليه أهل الحديث، وبذلك جعل السيرة قصة متكاملة شاملة، فأضحت قريبة إلى قلب المستمع، وأيسر للفهم والتلقين والحفظ، لا سيما لدى طلاب العلم المبتدئين.

٣) سعة علم ابن إسحاق ومكانته العلمية في عصره، وفصاحته في الإيراد.

٤) أعطاها تهذيب ابن هشام بهاء وجلاء، و فتح للعلماء باب الاهتمام بها، فتناولوها بالدراسة والشرح والتعليق، ووصل رواياتها المنقطعة..... وغير ذلك[٧].

أما شهرة الواقدي وتلميذه ابن سعد[٨] عند المؤرخين المحدثين فيرجع إلى ذات الأسباب: ١، ٢، ٣، التي أدت إلى شهرة سيرة ابن إسحاق، مع مراعاة تفوق ابن إسحاق في الفصاحة، وقبوله لدى بعض المحدثين.

ولأهمية هؤلاء الأعلام الثلاثة في ميدان السيرة، سوف نلقي بعض الضوء على مكانتهم العلمية، ليقف بعض زملائنا المؤرخين والقراء على ذلك.

---

(٧) انظر في هذه النقاط، الدكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة، ص ٧١ ـ ٧٢.

(٨) مع ملاحظة أن معظم علم ابن سعد في السيرة هو علم الواقدي.

ابن إسحـاق:

هو أبوبكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي. كان ولاؤه لقيس ابن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي، سبى خالد بن الوليد جده يسار من بلده عين التمر، قرب الأنبار العراقية، سنة اثنتي عشرة هجرية.[9].

نشأ في المدينة المنورة، واهتم بالجلوس إلى العلماء لحفظ الحديث. فقد تتلمذ على القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبان بن عثمان، وأبي سلمة ابن عبدالرحمن بن عوف، ونافع مولى عبدالله بن عمر، وابن شهاب الزهري. ورأى أنس بن مالـك وسعيد بن المسيب. وتنقـل بين كثير من الأمصار الإسلامية المشرقية، ولذا تفرد بأحاديث عن شيوخ من تلك الأمصار.

واختلف أهل الحديث في عدالته، فقد وصفه الإمام مالك بن أنس بأنه دجال من الدجاجلة، واتهمه هشام بن عروة بن الزبير بالكذب لأنه كان يروي عن زوجته فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وكان هشام ينكر سماع ابن إسحاق عنها، ويقول: هو كان يدخل على امرأتي؟. ورمي بالقدر[10] والتشيُّع ولم يرو له الإمـام مسلم في صحيحه إلا مقرونا بآخر، أي روى له في المتابعات. وكذلك لم يرو له الإمام البخاري في صحيحه إلا في المعلقات[11].

ووثقه جماعة، منهم شعبة بن الحجاج ـ إمام علم الرجال في عصره ـ حيث قال عنه: «محمد بن إسحاق أمير المؤمنين ـ يعني في الحديث»، وقال: «لـو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين». وكان أصحاب الزهري يلجؤون إليه فيما شكوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه، ووثقه يحيى بن معين، إذ قال عنه: «ابن إسحاق ثبت في الحديث». وسئل

---

(٩) ابن سعد: الطبقات (٧/ ٣٢١)، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(١٠) القدرية هم الذين يقولون إن العباد يفعلون مالا يريده الله عز وجل، ولم يقدره من أفعال الشر، مثل القتل والزنا وغير ذلك.
انظر: عبدالله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص٢٧٢.

(١١) والمراد بالمعلق: ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد، وتارة يجزم به كما في التصدير بكلمة «قال» وتارة لا يجزم به كما في التصدير بكلمة «يذكر».
انـظر: ابن حجر: هدي الساري، الفصل الرابع، ص١٥ وما بعدها. ومثالا للمعلق انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ١٤١/ك. المغازي/ ب. غزوة العشيرة).

عنه فقال: «قال عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق». ووثقه يحيى بن سعيد القطان وابن حنبل واحتج هؤلاء الأئمة بحديثه، وروى له أصحاب السنن والمسانيد والمستدركات وغيرهم.
وروى عنه الأئمة الكبار، أمثال: يحيى بن سعيد الأنصاري ـ شيخ الإمام مالك ـ والسفيانان. ومما قاله عنه سفيان بن عيينة: «ما أدركت أحدا يتهم ابن اسحاق في حديثه». وروى عنه الحمادان (حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم) والثوري، وشعبة وابن جريج. وقال أبوزرعة: «قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه». وقال عنه الذهبي: «حسن الحديث، صالح صدوق، وما انفرد به ففيه نكارة، وقد احتج به أئمة...». وذكره البخاري في تاريخه ووثقه ولم يذكره في كتاب الضعفاء.
وقال ابن عدي: «فتشت أحاديثه الكثيرة، فلم أجد ما تهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم في الشيء بعد الشيء كما يخطىء غيره».

وقال من وثقه من العلماء إن جرح من جرحه لم تتوافر فيه شروط الجرح المقبول، ولذا ردوا ذلك التجريح، واعترفوا بمنزلة ابن إسحاق.

وساق ابن سيد الناس[12] والخطيب البغدادي[13] جميع الأقوال فيه ـ تقريبا ـ جرحا وتعديلا، ثم فنداها، وجنحا إلى توثيقه.

أما إمامته في المغازي والسير فقد اتفق عليها الجميع[14].

وخلاصة رأي المحدّثين في حديثه، أنه في مرتبة الحسن لذاته، إذا صرح بالتحديث، وروى بإسناد متصل رجاله ثقات، وذلك لأنه من المدلسين.

---

(١٢) عيون الأثر في فنون المغازي والسير، ص ص ٨ ـ ١٧.
(١٣) تاريخ بغداد (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥).
(١٤) انظر ترجمته في كتب تراجم الرجال، وفي الأبحاث التي تناولته، مثل: بحث ابن سيد الناس المشار إليه، ودراسة الدكتور سليمان بن حمود العودة، في مقدمة رسالته للدكتوراه تحت عنوان: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ـ دراسة مقارنة في العهد المكي، جامعة الإمام، ١٤٠٧هـ، وكتاب الدكتور حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها وترجمة محمد بن إسحاق للدكتورين: همام سعيد وأبي صعيليك، في مقدمة تحقيقهما لسيرة ابن هشام (١/ ١٢ ـ ٢١). ودراسة الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني عنه في خطبة ومقدمة كتابه: «صحيح السيرة النبوية المسماة بالسيرة الذهبية، ص ص ٢٠ ـ ٢٤.

أثر ابن هشام في سيرة ابن إسحاق:

جمع ابن هشام سيرة ابن إسحاق برواية البكائي[١٥]، ثم تعقب ابن إسحاق في بعض ما أورده بالتحرير والاختصار والنقد، أو بذكر رواية أخرى فات ابن إسحاق ذكرها. ويبدو لنا أثر ابن هشام جليا في سيرة ابن إسحاق عندما نقف على منهجه في نقلها إلينا، إذ يقول: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن من شيء وليس سببا من هذا الكتاب، ولا تفسيرا له، ولا شاهدا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء يشنع الحديث بها، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له، والعلم به»[١٦].

ولهذا العمل الذي قام به ابن هشام كاد الناس ينسون مؤلفها الأول: ابن إسحاق.

الواقــدي:

هو محمد بن عمر بن واقد أبو عبدالله الواقدي المديني، نزيل بغداد، مولى عبدالله بن بريدة الأسلمي.

ضعفه في الحـديث أكثر النقاد من المحدثين الأوائل. فقد قال عنه

---

(١٥) هو زياد بن عبدالله بن الطفيل البكائي العامري (ت ١٨٣هـ) قال عنه ابن حجر في التقريب، ص ٢٣٠:
«صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين،... وله في البخاري موضع واحد متابعة». قلت: قال السهيلي (١/ ٦): والبكائي هذا ثقة خرَّج عنه البخاري في كتاب الجهاد، وخرج عنه مسلم في مواضع من كتابه، وحسبك بهذا تزكية وقد روى زياد عن حميد الطويل، وذكر البخاري في التاريخ عن وكيع قال: زياد أشرف من أن يكذب في الحديث.

(١٦) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٣٦).

البخاري والرازي والنسائي والدارقطني: إنه متروك الحديث. ووثقه الدراوردي، ويزيد بن هارون، وأبوعبيد القاسم بن سلام، وأبوبكر الصنعاني، ومصعب الزبيري، ومجاهد بن موسى، والمسيب، وابراهيم الحربي[١٧]. وأصبح المعول على رأي البخاري وجماعته، ولذا قال ابن حجر في التقريب: «متروك مع سعة علمه». ولم يخرج له من الجماعة سوى ابن ماجه.

وقد ساق ابن سيد الناس[١٨] جميع الأقوال فيه ـ تقريبا ـ جرحا وتعديلا، ودافع عنه، وقوى من أمره.

ومع أن أغلب العلماء يضعفونه في الحديث، إلا أن إمامته في المغازي والسير لا تنكر[١٩].

إن من أهم السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي، تطبيقه المنهج العلمي الفني، فقد كان يرتب التفاصيل المختلفة للحوادث بأسلوب منطقي لا يتبدل. فهو مثلا يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثم يذكر المغازي واحدة واحدة، مع تحديد لتاريخ الغزوة، وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة أو السرية، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي ﷺ وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيرا يذكر شعار[٢٠] المسلمين في القتال.

وإذا كان قد نزل كثير من الآيات القرآنية بمناسبة الغزوة أو السرية المعينة فإنه يفردها بمبحث خاص في نهاية الحادثة، ويفسرها.

---

(١٧) انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(١٨) عيون الأثر، ص ص ١٧ ـ ٢١.

(١٩) انظر: ابن طرهوني، مرجع سبق ذكره، (١/ ٢٤ ـ ٢٩).

(٢٠) مثلا كان شعار النبي ﷺ في إحدى غزواته: أمت ـ أخرجه أبوداود في الجهاد، باب ٧١، ٩٣. والدارمي في سننه، ك. السير، ب: ١٤. وأحمد في المسند (٤/ ٤٦)، وأبوالشيخ في: أخلاق النبي، ص ١٥٥. وقال الرسول ﷺ: «إن لقيتم العدو فإن شعاركم: حم لا ينصرون» أخرجه أبوداود في سننه، ك. الجهاد، ب: ٧١، والإمام أحمد (٤/ ٦٥، ٢٨٩)، (٣٧٧٥) انظر في هذا كله: الوفا لابن الجوزي ـ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطاء، ط ١٩٨٨، ص ٧٢٦، حاشية المحقق ٢٨، ٢٩ في تعليقه على الأثر رقم ١٣٩٤ والحديث رقم: ١٣٩٥.

ابن سعد:

هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، مولاهم، أبوعبدالله البصري، المعروف بابن سعد، وبكاتب الواقدي، لكونه لازم شيخه الواقدي زمانا طويلا، وكتب له.

وكاد ابن سعد يسلم من جرح النقاد لولا أن ابن معين كذبه[٢١].

وقد ذكر زياد منصور[٢٢] أقوال النقاد فيه، وناقشها، ومما قاله في مناقشته: «يتضح انفراد يحيى بن معين في تكذيب ابن سعد، ودفاع الخطيب البغدادي والسمعاني وابن تغري بردي، يبعد عنه ذلك، بالإضافة إلى أن الحفاظ عدوا ابن معين في طبقة المتشددين من بين طبقات النقاد. فلا يقبل قوله إذا انفرد بالجرح وخالفه بقية النقاد...».

وقال: «ويظهر من أقوال النقاد انهم لم يلمزوه في عدالته، بل عاب بعضهم عليه روايته عن الضعفاء. ويتضح ذلك في قول ابن الصلاح (ت ٢١٣ هـ): «هو ثقة غير انه كثير الرواية في الطبقات عن الضعفاء ومنهم الواقدي محمد بن عمر»[٢٣]. وممن وثقه أبوحاتم الرازي، وهو من المتشددين أيضا، والذهبي، وابن حجر، اللذان عليهما التعويل في الموازنة والترجيح بين أقوال قدامى النقاد، والوصول إلى الأحكام المتزنه والأقوال المعتدلة».

«كما لا تعتبر رواية ابن سعد عن الواقدي وغيره من الضعفاء سببا في الطعن عليه، فقد شاركه في هذا كبار الحفاظ، ومن أسند فقد أحال، وابن سعد يسوق الروايات عن الضعفاء والثقات بالأسانيد، ويبرأ من العهدة، ولم يقل إن شرطه ذكر الروايات الصحيحة، فلا حجة عليه في ذلك[٢٤].

٦ - المؤلفات في تاريخ الحرمين الشريفين:

أفرد بعض العلماء كتبا خاصة في تاريخ مكة والمدينة وما يتعلق بهما من

---

(٢١) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (٥/ ٣٢١).
(٢٢) مقدمة تحقيقه الطبقات الكبرى...، ص ص ٤٢ - ٤٦، والنص المذكور في ص ٤٥.
(٢٣) المرجع نفسه، ص ٤٣، وانظر كلام ابن الصلاح في مقدمة ابن الصلاح، ص ٥٩٩.
(٢٤) المرجع نفسه، ص ٤٦.

أخبار وآثار قبل الإسلام وبعده. ومن أهم الكتب المطبوعة في هذا: تاريخ مكة لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي (ت ٢٥٠ هـ). وقد قام بتحقيقه الشيخ رشدي الصالح ملحس. أما الكتب غير المطبوعة في تاريخ الحرمين، فمثل كتاب ابن النجار أبي عبدالله البغدادي محمد بن محمود بن الحسن ابن هبة الله: تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، أما كتابه: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، فقد نشره محققاً صالح محمد جمال بمكة عام ١٩٦٦م بعنوان: أخبار مدينة الرسول وتاريخ مكة للفاكهي (ت ٢٨٠ هـ)، وقد طبع وستنفيلد زياداته على الأزرقي. وله مخطوطات في بعض الخزائن. طبع مصوراً في بيروت سنة ١٩٦٤. وقد حققه عبدالملك بن دهيش عام ١٤٠٧هـ. وتاريخ المدينة لابن زبالة (ت قبل سنة ٢٠٠ هـ) وتاريخ المدينة لابن بكار (ت ٢٥٦ هـ). و«تاريخ المدينة» لعمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ). وقد طبعه الشيخ السيد حبيب محمود أحمد ـ ناظر أوقاف المدينة المنورة. بتحقيق فهيم شلتوت سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م وفيه مادة غزيرة في السيرة النبوية. و«شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام لمحمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ)، نزيل مكة وقد حققه في مجلدين الدكتور عمر عبدالسلام تدمري سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. وله أيضا العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين[٢٥]. ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي (ت ٩٢٢ هـ). وقد طبع أخيرا في ثلاث مجلدات، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالمجيد.

وتتم الاستفادة من هذه المؤلفات بعد النظر في أسانيدها، وتمييز صحيحها من سقيمها، فيعتمد الصحيح ويحتج به في مسائل العقيدة والأحكام، وما سوى ذلك، مثل الخطط والأوصاف والآثار، فلا ضير من الاستئناس به على ضعفه.

٧ ـ كتب التاريخ العام:

إن هذا الصنف من المؤلفات يتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمان المؤلف. وكثيرا ما تبدأ من بدء الخلق.

(٢٥) انظر الدكتور: فاروق حمادة، مصادر السيرة، ص ص ٧٨ ـ ٧٩.

وهي كثيرة، وأهمها:

أ) تاريخ الأمم والرسل والملوك:

لابن جرير الطبري، المشهور بتاريخ الطبري. والطبري محدث واسع الرواية، وقد ضمن تاريخه قسما كبيرا من السيرة، ولكنه يروي الصحيح والضعيف والواهي، ولذا كان مرتعا خصبا لكثير من أهل الأهواء لتشويه الإسلام وتاريخه، إذ يأخذون الواهي فيحتجون به، ويحيلون القارىء إلى الطبري. ولذا لابد من النظر في أسانيده في ضوء منهج النقد الحديثي، لأن جل الحفاظ الأقدمين، ومنهم الطبري، يروون في مصنفاتهم الروايات الضعيفة والواهية مع سكوتهم عليها في الغالب، لأنهم يرون انه متى أبرزوا الإسناد فقد برئوا من العهدة، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده. والطبري نفسه يقول في مقدمة تاريخه: «... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنًا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»[٢٦].

والطبري إمام ثقة.

ب) تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ):

رتب ابن خياط كتابه على الحوليات سنة فسنة، وبدأه بالكلام على كيفية بدء التاريخ الهجري، ثم كتب عن السيرة فصلا قصيرا في نحو الخمسين صفحة، اعتمد فيه بالدرجة الأولى على محمد ابن إسحاق من رواية بكر بن سليمان[٢٧] ووهب بن جرير بن

---

(٢٦) تاريخ الطبري (١/٨).

(٢٧) سكت عنه البخاري، وقال أبوحاتم: هو مجهول. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، (م١/٢/٠٩٠). وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (م/١/١/٣٨٧).

حازم[٢٨]. وشملت مادة ابن إسحاق عنده سائر الأحداث الهامة المتعلقة بالسيرة بإيجاز، إذ اختصر روايات ابن إسحاق، فأعطى هيكل السيرة دون تفصيل.

وبما أن العصفري كان من المحدثيَن الثقات الذين أخرج لهم البخاري في الصحيح وغيره، فقد ظهر أثر ذلك في تاريخه، وفي قسم السيرة منه كان يروي بأسانيده عن شيوخه، وفيهم طائفة كبيرة من ثقات المحدثين وأئمتهم، كابن عيينة، ويزيد بن زريع وغندر وإسماعيل بن علية، وفيه أسانيد في غاية الصحة والثقة[٢٩].

قال عنه ابن حجر في التهذيب: «... صدوق ربما أخطأ. إخباري».

ج) كتب أخرى:

ومن كتب التاريخ العام الأخرى الهامة: كتاب «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ)، وكتاب «فتوح البلدان» لأحمد ابن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، وله كثير من الأسانيد الصحيحة، وتميز بنقل عدد من نصوص العهود والمعاهدات التي كان النبي ﷺ يكتبها للمعاهدين، وكتاب «تاريخ اليعقوبي»، لأحمد ابن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢ هـ)، وقد أهمل الإسناد واهتم بإيراد نماذج من خطب الرسول ﷺ، وكتب أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، مثل: «مروج الذهب» والتنبيه والإشراف، «وفيها يسوق الأحداث مختصرة، وبدون إسناد، وربما يعزو إلى من نقل عنهم أمثال الواقدي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي عبيد القاسم بن سلام» وكتاب «تاريخ دمشق الكبير» لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، حافظ عصره.

---

(٢٨) وهب: من ثقات المحدثين (ت ٢٠٦ هـ). انظر: تقريب التهذيب، ص ٥٨٥ وجرير ثقة، في حديثه عن قتادة ضعف، له أوهام إذا حدث من حفظه. التقريب، ص ١٣٨.

(٢٩) الدكتور حمادة: مصادر السيرة، ص ٨١، د. العمري: مقدمة تحقيقه لتاريخ ابن خياط، ص ص ٥ - ١٨.

وفي قسم السيرة منه، ينقل رواياته بالأسانيد، وفي أحايين كثيرة يُقَوِّمُ أسانيده، وكتاب «المحبر» لابن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، ولكنه لم يهتم بالإسناد، والمعرفة والتاريخ للفسوي، أبي يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٢٧ هـ)، والتاريخ الكبير لابن أبي خَيْثَمَة، أبي بكر أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩ هـ)، وعيون الأخبار والمعارف لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٠ هـ)، والأخبار الطوال للدينوري: أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ)، وتاريخ الاسلام للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ).

وهذه الكتب تروي الصحيح والحسن والضعيف بأنواعه، فلا تعتمد رواياتها إلا بعد النظر في أسانيدها[٣٠].

٨ ـ كتب الأدب:

إهتم المؤلفون الأقدمون بالشعر المتعلق بالأحداث، على رأسهم ابن إسحاق وابن هشام، وتابعهم في هذا الأئمة بمن فيهم أمثال البخاري ومسلم. إلا أنهم ساقوا الشعر للاستشهاد، وينبغي الاستيثاق من نسبته إلى قائليه.

ومن بين أهم كتب النثر التي تضمنت نصوصا نبوية، كتب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، مثل: البيان والتبيين والحيوان. وبعض هذه النصوص صحيح وبعضها مكذوب. وكتب عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، مثل: المعارف والشعر والشعراء، وقد كان محدثا كبيرا، ومن علماء القرآن والتفسير، وأديبا عظيما، وقد عاصر أصحاب الكتب الستة، واشترك معهم في عديد من الشيوخ. وكتاب الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المعروف بالمبرد، وكتب أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت ٣١٧ هـ)، مثل كتابه: الوقف والابتداء، والأضداد.

وأهم كتب الأدب: «الأغاني» لأبي الفرج على بن الحسين بن محمد

(٣٠) الدكتور حمادة: المرجع نفسه، ص ص ٨٢ ـ ٨٨.

القرشي الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، والعقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي (ت ٣٢٧ هـ).

وفي كتاب الأغاني، يسوق أبوالفرج الأخبار بالإسناد في غالب الأحوال، فاطمأن كثير من الباحثين إلى رواياته دون النظر في تقويمها، ولذا كان مرتعا خصبا لأهل الأهواء من المستشرقين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، أو من جهل المنهج العلمي لتقويم المصادر.

لقد أعدت دراسات معتبرة حول كتاب الأغاني ومؤلفه، نبهت إلى خطورة الثقة بها. ومن أبرز هذه الدراسات:

١) جولة في آفاق الأغاني، بقلم الأستاذ نذير محمد مكتبي ـ البصائر / ١٠، ص ص ٧ ـ ١٠٩.
٢) دراسة الدكتور داود سلوم في شخصية أبي الفرج الأدبية والفكرية من خلال كتابه. وفيه دراسة لمصادره وأسانيده ونصوص رواياته وأخباره. . .
٣) دراسة شوقي أبي خليل في كتابه: «هارون الرشيد. . .» الفصل الذي عنوانه: «من شوه سيرة الرشيد؟»، ص ص ١٢٣ ـ ١٣٣.
٤) الدكتور زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

فقد تناول جانبا من شخصية أبي الفرج وأبدى رأيه في خلقه الشخصي وفي كتابه من حيث هدف مؤلفه. ونبه إلى فكرة خاطئة، وهي اقتران العبقرية بالنزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين. ونبه إلى أن الخطر كل الخطر، أن يطمئن الباحثون إلى أن لرواية الأغاني قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التاريخ.

لقد نقل ابن كثير[٣١] رأى ابن الجوزي فيه، وهو: «ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتابه رأى فيه كل قبيح ومنكر، وقد روى الحديث

---

(٣١) البداية والنهاية (١١/ ٢٩٤).

عن محمد بن عبدالله بن بطيت وخلق، وروى عنه الدارقطني وغيره...».

أما العقد الفريد، ففيه فوائد عن السيرة، ينبغي أن تمحص كسائر كتب الأدب التي تجري على منواله.

كلمة أخيرة عن المصادر:

إن من ألف في السيرة النبوية بعد هؤلاء الذين ذكرنا، قد اعتمد عليهم اعتمادا كبيرا في تأليفه، وعلى الباحث والمؤلف الحديث أن ينظر في أسانيدهم ويمحصها، فيحتج بالصحيح منها ويستأنس بالضعيف فيما لا يتعلق بالعقيدة والأحكام، ويدع الواهي، وينبه إلى كل ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

وتقويمنا لكل ما ألف في عصرنا هذا والعصور التي سبقته، يعتمد على النظر في أسانيدهم، ومن ثم تقويمها. فالمؤلفات التي تبين درجة مروياتها، وتعتمد الصحيح وتحتج به، فهي الجديرة عندنا بالاهتمام.

ومادامت مادة السيرة النبوية الموجودة في المصادر المحترمة التي أشرنا إليها غزيرة جدا وصحيحة، فينبغي الاعتماد عليها، إذ لا توجد ضرورة للاعتماد على الروايات الضعيفة، مع وجود الروايات الصحيحة.

وفي الصفحات التالية سوف نتناول باختصار جوانب من تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام لمعرفة البيئة التي ظهر فيها الإسلام ونشأ فيها الرسول محمد ﷺ.

الجزيرة العربية قبل الاسلام

نشـأة مكـة:

هاجر إبراهيم (عليه السلام) من العراق إلى الشام، ثم من الشام إلى مصر. وكان يحمل معه في ترحاله هذا رسالة التوحيد[٣٢]. وكانت ترافقه زوجته سارة. وكانت امرأة جميلة. وكان من عادة ملك مصر أن يستأثر لنفسه بكـل امرأة جميلة. وشاء الله أن يصرفه عن سارة. وتنقلب منه بجارية لتخدمها، وهي هاجر أم إسماعيل (عليه السلام)[٣٣].

ولما كانت سارة عقيما، وطعن إبراهيم (عليه السلام) في السن، وابيض شعره، رأت أن تهب له الجارية هاجر ليتزوجها، لعل الله يرزقه منها ذرية صالحة. وشاء الله أن تلد له هاجر ابنها الأول، فسماه إسماعيل[٣٤].

واشتدت الغيرة بسارة عندما ولدت هاجر إسماعيل، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء[٣٥]. فاتخذت هاجر منطقا له ذيل، فشدت به وسطها، وهربت مع زوجها، وهي تجر ذيلها لتخفي أثرها عن سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند مكان البيت الحرام، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد[٣٦]، وليس بها ماء. ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفل راجعا، فتبعته

---

(٣٢) انظر الآية ١٢٠ من النحل: ﴿إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾. وقصته مع الأصنام ومشركي زمانه مشهورة، حكاها القرآن في عدة سور، مثل: الأنعام (٧٤ ـ ٨٣)، والانبياء (٥١ ـ ٧٠)، ومريم (٤٦ ـ ٤٨) والبقرة (٢٥٨ ـ ٢٦٠) والتوبة (٢٦). أما قصته مع التوحيد في مكة فانظرها في سورة إبراهيم، مثل الآيات: ٣٧، ٩٩ـ١١١، وفي الصافات: ١٠٢.

(٣٣) انظر: البخاري / الفتح (١٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥/ ح ٣٣٥٨). وانظر تفاصيل قصتها بهذا الصدد عند ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٧.

(٣٤) انظر الخبر من رواية ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص١٢، بإسناد ضعيف، والأزرقي: أخبار مكة، (١/ ٥٤). وإسناد الأزرقي ضعيف.

(٣٥) ابن حجر: الفتح (١٣/ ١٤١/ شرح الحديث ٣٣٦٤).

(٣٦) روى الأزرقي (أخبار مكة ١/ ٥٤)، بإسناد ضعيف، أن العماليق كانت تسكن خارجها.

هاجر، فقالت: «يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟» فقالت له ذلك مرارا، وهو لا يلتفت إليها، فقالت له: «آلله الذي أمرك بهذا؟»، «قال: نعم»، قالت: «إذن لا يضيعنا». ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرى، استقبل بوجهه مكان البيت، ثم دعا قائلا: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾، حتى بلغ ﴿يشكرون﴾[٣٧].

لم يلبث أن نفد ما عند هاجر من ماء، فعطشت هي وابنها، فكرهت أن تنظر إلى ابنها وهو يتلوى من العطش، فانطلقت حتى قامت على أقرب جبل منها، وهو الصفا، ثم استقبلت الوادي لتنظر، هل ترى أحدا. فلما لم تر أحدا هبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا. ففعلت ذلك سبع مرات ـ وذلك سعي الناس بينهما كما قال الرسول ﷺ. وفي نهاية المرة السابعة جاءها الملك جبريل وأخذ يبحث بعقبه أو بجناحه عند موضع زمزم، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، ثم تغرف منه في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف منه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم»، أو قال: «لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معيناً[٣٨]. فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: «لا تخافوا الضيعة، فإن هذا بيت الله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله».

وبينما هي على هذا الحال، مر بهم أهل بيت من قبيلة جرهم اليمانية القحطانية. وعندما وجدوا الماء، استأذنوها في النزول عندها، فأذنت لهم بشرط أن لا يكون لهم حق في الماء، فوافقوا، وأرسلوا إلى بقية أهليهم فنزلوا معهم. وشب الغلام بينهم، تعلم اللغة العربية منهم وأعجبهم حين شب،

---

(٣٧) انظر الآية ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٣٨) وفي رواية للبخاري أنه قال: «يرحم الله أم إسماعيل، لولا أنها عجلت لكان زمزم عينا معينا».
انظر: الفتح (١٣/ ١٤٠/ ح ٣٣٦٢.

فلما كبر زوجوه امرأة منهم[٣٩].

وعندما ماتت هاجر جاء إبراهيم، ولم يجد حينها ولده إسماعيل بالبيت، فأخبرته زوجه انه خرج في حاجتهم. وعندما سألها عن عيشهم، شكت إليه مر الشكوى مما يلاقيانه من شدة، فأوصاها أن تقرئه السلام وتقول له بأن يغير عتبة بيته. فعندما عاد إسماعيل أخبرته زوجته بالذي حدث، فعرف من وصفها أنه أبوه، وفهم الوصية، وفهم أن العتبة تعني زوجته، فطلقها، وتزوج امرأة أخرى. وبعد فترة من الزمان عاد إبراهيم مرة أخرى فلم يجد إسماعيل بالمنزل، وسأل زوجه عن عيشهم، فحمدت الله وأثنت عليه بما وسع عليهم في الرزق، فأوصاها بأن تقرئه السلام وتقول له أن يثبت عتبة بيته. فعندما عاد إسماعيل وأخبر بما حدث، عرف أباه وفهم وصيته، فأمسك عليه زوجه.

ثم غاب إبراهيم ما شاء الله، ثم عاد، ووجد ابنه من وراء زمزم يصلح نبلا له تحت دوحة عظيمة قريبة من زمزم. فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد مع الولد. فطلب إبراهيم من ابنه أن يعينه بما أمره الله به، وهو بناء الكعبة على مكان مرتفع قرب زمزم. فكان إبراهيم يبني ويأتيه إسماعيل بالحجارة، حتى ارتفع البناء، فجاءه بحجر المقام فوضعه له فقام عليه. وكانا يقولان وهما يبنيان: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾[٤٠]،[٤١].

ليست هذه هي المرة الأولى التي يعين فيها إسماعيل أباه على طاعة الله وتنفيذ أمره. فقد ثبت أن إبراهيم عاد إلى مكه عندما شب إسماعيل، وقد أوحى الله إليه مناما أن يذبحه قربانا لله تعالى. فاستشار إبراهيم ابنه إسماعيل في ذلك قائلا: «يا بني إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى» فأجاب إسماعيل قائلا: «... يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين»[٤٢].

---

(٣٩) وقيل إن زوجته الأولى كانت من العماليق. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (١/ ٢٠٩).
(٤٠) البقرة: ١٢٧.
(٤١) روى هذه القصة البخاري / الفتح (١٣/ ١٤١ - ١٥٢/ ح ٣٣٦٤ وح ٣٣٦٥.
(٤٢) انظر هذه الآيات في قصة الذبح والفداء في سورة: الصافات: ١٠٢ - ١٠٧.

وخرج به إلى منى لتنفيذ أمر ربه. ولما تله للجبين والسكين بيده، ناداه ربه: ﴿... ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا...﴾ وفداه الله بذبح عظيم ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾[43]، أي بكبش أملح كبير، فترك الولد وذبح الكبش. وفاز الوالد والولد برضا الله تعالى[44].

وعندما فرغ إسماعيل وإبراهيم من بناء البيت، أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[45]، فقيل صعد (عليه السلام) جبل أبي قبيس أو الحِجر أو الصفا، ونادى باسم الله تعالى قائلا: «أيها الناس! إن ربكم بنى لكم بيتا فحجوه». فأسمع الله نداءه كل مخلوق، ومن كتب الله انه يحج إلى يوم القيامة، فلبى قائلا: «لبيك اللهم لبيك».[46].

ودعا إبراهيم وإسماعيل ربهما بما حكاه عنهما القرآن الكريم: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾[47]. قال الطبري[48]: «وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد ﷺ خاصة، وهي الدعوة التي كان نبينا محمد ﷺ يقول عنها: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى...»».

وعاش إسماعيل بجوار البيت الحرام مع أصهاره جرهم إلى أن بعثه الله رسولا إليهم وإلى كافة من بالحجاز من قبيلة العماليق وأهل اليمن[49]. قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا

---

(٤٣) انظر هذه الآيات في قصة الذبح والفداء في سورة: الصافات: ١٠٢ - ١٠٧.
(٤٤) وانظر تفسير الآيات في كتب التفسير، مثل زاد المسير لابن الجوزي (٧/ ٧١ - ٧٨)، ابن كثير: (٧/ ٢٢ - ٣٠).
(٤٥) الحج: ٢٧.
(٤٦) انظر تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٠) وهو مضمون ماروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن جبير وغير واحد من السلف، وأوردها ابن جرير (١٧/ ١٠٦ - ١٠٧) وابن أبي حاتم مطولة كما قال ابن كثير.
(٤٧) البقرة: ١٢٩. وانظر تفسيرها عند الطبري (٣/ ٨٢ - ٨٨/ شاكر).
(٤٨) التفسير (٣/ ٨٢/ شاكر) وقد رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧ - ١٢٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٦ - ١٧) بمثل إسناد أحمد، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. قلت: «إسناده حسن لأنه من طريق ابن إسحاق، وهو مدلس وقد صرح بالتحديث».
(٤٩) ابن كثير: البداية (١/ ٢٠٩)، بدون إسناد، فهو ضعيف.

نبيا﴾[٥٠] وأنجب اثني عشر ولدا ذكرا. وقد سماهم محمد بن إسحاق، ونقل ذلك عنه ابن كثير[٥١]، وأولهما نابت وقيذار. ونابت هو الذي اختير لأن يكون من آباء دعوة إبراهيم وإسماعيل. واختفت حلقات السلسلة الذهبية فيما بين نابت وعدنان لظروف غامضة غير معروفة. وكان عدد الآباء ما بين نابت وعدنان يقدر بستة آباء، وقد عاشوا جميعا بالحرم المكي. ومع هذا لم تضبط أسماء هؤلاء الآباء الستة. وقد جزم الرسول ﷺ بنسبه إلى عدنان، أما أجداده ما بين عدنان وإسماعيل فمختلف فيهم[٥٢].

وعندما مات إسماعيل دفن مع أمه في الحجر، وكان عمره مائة وسبعا وثلاثين سنة. وينتسب كل عرب الحجاز إلى ولديه نابت وقيذار[٥٣].

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن عهد إبراهيم (عليه السلام) كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد[٥٤].

تعدد بناء الكعبة

المرة الأولى: عمارة الملائكة، كما روى الأزرقي[٥٥].

المرة الثانية: عمارة آدم (عليه السلام)، كما روى البيهقي[٥٦] وغيره[٥٧].

المرة الثالثة: عمارة أولاد آدم (عليه السلام)، كما روى الأزرقي[٥٨] وغيره[٥٩]،

---

(٥٠) مريم: ٥٤. وانظر كذلك في أمر نبوته - مثلا -: البقرة: ١٣٦. النساء: ١٦٣.
(٥١) البداية (١/ ٢٠٨) - بدون إسناد. فهو إذن خبر ضعيف.
(٥٢) انظر الأقوال في هذا عند ابن عساكر: تاريخ دمشق، قسم السيرة، ص ص ٣٦ - ٥٣، الذهبي: السيرة النبوية، ص ص ١٨ - ٢٢، وغيرهما.
(٥٣) ابن كثير: البداية (١/ ٢١٠). وعن أخبار العرب العاربة والمستعربة، وتاريخ مكة إلى زمان الرسول ﷺ، انظر: البداية (٢/ ١٧١ - ٢٧١)، ولولا خشية الإطالة للخصنا ذلك.
(٥٤) انظر: أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط ٢، العربي للإعلان والنشر، دمشق، ١٩٧٣م، ص ٢٣٢، ومحمد محمد حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٦١.
(٥٥) أخبار مكة (١/ ٢)، وانظر: السهيلي: الروض (١/ ٢٢٢ - ٢٣)، ابن حجر: الفتح (١٣/ ١٤٤)، البيهقي: الدلائل (٢/ ٤٤).
(٥٦) دلائل النبوة (٢/ ٤٥)، وانظر: ابن حجر: الفتح (١٣/ ١٤٤).
(٥٧) انظر في هذا: السيرة الشامية (١/ ١٧١)، وقال الشامي: «رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والطبراني موقوفاً، والأزرقي وأبوالشيخ في العظمة وابن عساكر عن ابن عباس. وفي مكان آخر (١/ ٢٤٢ - ٤٣) أورد عدة أخبار وأحاديث في حج آدم. وانظر ابن كثير: التفسير (١/ ٢٥٩).
(٥٨) أخبار مكة (١/ ٨).
(٥٩) انظر: السيرة الشامية (١/ ١٧٢) حيث ذكر أن ممن رواه ابن المنذر.

عن وهب بن منبه. وذكر السهيلي[٦٠] أن الذي بناها شيث بن آدم (عليه السلام).

المرة الرابعة: عمارة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) التي ذكرناها، وجزم ابن كثير[٦١] بأن هذا كان أول بناء. قال: «ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل (عليه السلام)، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿..مكان البيت..﴾ فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم». وقال الشامي[٦٢] معلقا على كلام ابن كثير هذا: .. وفيه نظر لما ذكر من الآثار السابقة واللاحقة.

المرة الخامسة والسادسة: عمارة العماليق ثم جرهم، كما نقل الشامي[٦٣] من رواية ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنده، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن علي (رضي الله عنه). قال السهيلي[٦٤]: «وقد قيل إنه بني في أيام جرهم مرة أو مرتين؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه، ولم يكن ذلك بنياناً على نحو ما قدمنا، إنما كان إصلاحاً لما وهى منه، وجداراً بني بينه وبين السيل، بناه عامر الجارود، وقد تقدم هذا الخبر».

المرة السابعة: عمارة قصي بن كلاب ـ جد النبي (عليه السلام) ـ قال الشامي[٦٥]: «نقله الزبير بن بكار في كتاب النسب، وجزم به الإمام أبوإسحاق الماوردي في الأحكام السلطانية[٦٦].

المرة الثامنة: عمارة قريش، حين كان للرسول (عليه السلام) خمسة وثلاثون عاماً، كما سيأتي ذكره هنا في المبحث الخاص بمشاركة الرسول (عليه السلام) في بناء الكعبة.

---

(٦٠) الروض الأنف (١/ ٢٢١) وعنده أنها المرة الأولى.
(٦١) البداية والنهاية (١/ ١٧٨).
(٦٢) سبل الهدى والرشاد (١/ ١٧٢).
(٦٣) المرجع نفسه (١/ ١٩٢).
(٦٤) الروض الأنف (١/ ٢٢٢).
(٦٥) سبل الهدى والرشاد (١/ ١٩٢).
(٦٦) ص ١٤٣، طبعة دار السعادة، ١٣٢٧ هـ.

المرة التاسعة: عمارة عبدالله بن الزبير، كما روى الشيخان[٦٧] وغيرهما. وسيأتي ذكره في الفصل الأول، المبحث رقم **(٢٣)** - الأسلوب الثامن من أساليب المشركين في الصد عن سبيل الله - آخر فقرة منه، ص **١٧٧**.

المرة العاشرة: عمارة الحجاج بن يوسف بأمر عبدالملك بن مروان الأموي، كما روى الإمام مسلم[٦٨]. وعندما شكك عبدالملك في سماع ابن الزبير من خالته عائشة (رضي الله عنها) حديث الرسول ﷺ: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال: بكفر - لهدمتها وجعلت لها غلقاً وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر»، أكد له الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة - المعروف بالقباع وأخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور - انه سمعه منها، فندم على نقضه وإعادته[٦٩].

وروي أن الرشيد العباسي عزم على نقضها وإعادتها كما بناها ابن الزبير، فقال له مالك بن أنس: أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس. فصرفه عن رأيه فيه[٧٠].

دلت الآيات القرآنية التي نزلت في شأن بناء الكعبة والأحاديث الصحيحة التي رواها البخاري وغيره على أن أول من بنى الكعبة هو إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام). وقد كان مكان البيت ربوة عالية مشرفة على ما حولها، معروفة للملائكة، ولمن سبق من الأنبياء وبقعة مشرفة معظمة من قديم الزمان حتى جاء الخليل فأسس قواعده وبناه.

أما الروايات التي تقول ببناء الكعبة قبل هذا فأغلبها موقوفة على بعض الصحابة أو التابعين، ورواها أهل التاريخ والسير كالأزرقي والفاكهي وبعض

---

(٦٧) انظر الشامي: سبل الهدى والرشاد (١/١٩٢ - ١٩٦).

(٦٨) صحيحه (٢/٩٧١/ح ١٣٣٣/٤٠٢).

(٦٩) مسلم (٢/٩٧٢/ح ١٣٣٣/٤٠٣)، السهيلي (١/٢٢٢)؛ الشامي (١/١٩٦).

(٧٠) قال ابن كثير إن الذي أراد نقضها هو المهدي بن المنصور. انظر: البداية والنهاية (١/١٨٠) وقال السهيلي (١/٢٢٤) إن أباجعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا في إتقان المسجد وتحسين هيئته. وقال الدكتور البوطي: «هذا وفي شرح النووي على مسلم والفتح على البخاري، أن الذي هم بنقض الكعبة هو الرشيد، وذكر في عيون الأثر [١/٥٣] وإعلام الساجد أنه أبوجعفر المنصور، ومعلوم أن مالكاً - يرحمه الله - عاصر كلا من المنصور وهارون الرشيد، فالاحتمال قائم».

المفسرين والمحدثين الذين لا يلتزمون إخراج الروايات الصحيحة أو الحسنة. وقد مر بك قول ابن كثير: «ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل (عليه السلام)».

ويقول أبوشهبة[٧١] بعد ترجيحه كلام ابن كثير ـ: «ولا ينافي ما رجحناه وذهبنا إليه ما روي: انه ما من نبي إلا وقد حج البيت» مارواه أبويعلى في مسنده بسنده عن ابن عباس، قال: حج رسول الله ﷺ، فلما أتى وادي «عسفان» قال: «ياأبابكر، أي وادٍ هذا؟» قال: هذا وادي عسفان، قال: «لقد مر بهذا نوح وهود وإبراهيم على بكرات[٧٢] لهم حمر، خطمهم[٧٣] الليف، وأزرهم العباء[٧٤]، وأرديتهم النمار[٧٥] يحجون البيت العتيق»، وما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس، قال: لما مر النبي ﷺ بوادي عسفان حين حج قال: «ياأبابكر، أي وادٍ هذا؟» قال: وادي عسفان، قال: لقد مر به هود وصالح (عليهما السلام) على بكرات حمر، خطمها الليف، وأزرهم العباء، وأرديتهم النمار، يلبون يحجون البيت العتيق». إسناده حسن. لأن المقصود الحج إلى محله، وبقصته المعروفة، وإن لم يكن ثم بناء»[٧٦].

عمل ابن الزبير وغيره في عمارة الكعبة:

عندما قرر ابن الزبير تجديد الكعبة، باشر المسلمون نقضها حتى بلغوا بها الأرض، فأقاموا أعمدة من حولها وأرخوا عليها الستور، ثم باشروا في رفع بنائها، وزادوا فيها الأذرع الستة التي أنقصتها منه قريش، وزادوا في طولها إلى السماء عشرة أذرع، وجعلوا لها بابين من الشرق والغرب، أحدهما

---

(٧١) السيرة النبوية في ضور القرآن والسنة (١/ ١٢٦).
(٧٢) بكرات: جمع بكرة، وهي الناقة الفتية القوية.
(٧٣) خطم: جمع خطام، وهو الزمام الذي تشد به الناقة.
(٧٤) أزر: جمع إزار، وهو ما يستر به أسفل الجسم من الوسط.
(٧٥) أردية: جمع رداء، وهو ما يوضع على الكتفين ويستر به النصف الأعلى. والنمار جمع نمرة، وهو الكساء المخطط.
(٧٦) ابن كثير: البداية والنهاية (١/ . .).

يدخل منه والآخر يخرج منه. وذلك استناداً إلى قول الرسول ﷺ: الذي رواه الشيخان: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس إبراهيم»، أوفي معنى هذا.

وذكر الأزرقي[٧٧] أن إبراهيم (عليه السلام) جعل طول بناء الكعبة في السماء تسعة أذرع وطولها في الأرض اثنين وثلاثين ذراعا وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً، وكانت بغير سقف. وحكى السهيلي[٧٨] أن طولها في السماء كان تسع أذرع من عهد إسماعيل، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع، فكانت ثمانية عشر ذراعاً، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يُصعد إليها إلا في دَرَج أو سلم، وقد ذكرنا أن أول من عمل لها غَلَقَا هو تُبَّع، ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع، فكانت سبعاً وعشرين ذراعاً، وعلى ذلك هي الآن».

لم يكن للمسجد الحرام سور. وكانت تحيط به الدور من كل الجهات، وعندما رأى ابن الخطاب أن المسجد قد ضاق بالحجاج والزوار، اشترى الدور التي حوله من أهلها فوسعه وجعل له سوراً على قامة الرجل، وأناره[٧٩]. وعندما رأى عثمان (رضي الله عنه) أن المسجد أيضاً قد ضاق بالحجاج والمعتمرين، اشترى دوراً أخرى فوسع بها الحرم[٨٠]. وكذلك فعل ابن الزبير[٨١].

ولم يزل الخلفاء والأمراء من ذلك الزمان يتعهدون الحرم بالتوسعة[٨٢] إلى زماننا هذا الذي يشهد فيه أضخم توسعة على يد الحكومة السعودية.

---

(٧٧) تاريخ مكة (١/ ٦٤) وانظر: الزركشي: اعلام الساجد (ص٤٦)، وابن حجر: الفتح (١٤٩/١٣).
(٧٨) الروض الأنف (١/ ٢٢١).
(٧٩) الأزرقي (٢/ ٦٨ - ٦٩)؛ السهيلي: الروض (١/ ٢٢٤).
(٨٠) الأزرقي (٢/ ٦٩) السهيلي: الروض (١/ ٢٢٤).
(٨١) الأزرقي (٢/ ٦٩ - ٧٠).
(٨٢) انظر: الأزرقي (٢/ ٧١ وما بعدها)، فقد ذكر أولئك الذين وسعوا الحرم إلى زمانه.

مقام إبراهيم (عليه السلام)

المقام: هو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم (عليه السلام) لما ارتفع البناء عن قامته كما ذكرنا، وقد تركت قدماه أثراً فيه، وظل هذا الأثر إلى أول الإسلام، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم. وفي هذا يقول أبوطالب:

ومَوطِىء إبراهيـم في الصخر رطبة * على قدميـه حافيا غير ناعـل[٨٣].

وقد روي أن المقام كان ملصقاً بحائط الكعبة، على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأخره عن البيت قليلاً توسعة على الطائفين والمصلين عند المقام، ووافق الصحابة على عمل الفاروق[٨٤].

وقد سبق وأن وافق الله تعالى على قوله لرسول الله ﷺ: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»، فأنزل الله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى[٨٥][٨٦]﴾.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إبراهيم (عليه السلام) بنى أيضاً المسجد الأقصى، وقيل إن يعقوب (عليه السلام) هو الذي أسسه. وقد كان بين البناءين أربعون عاماً، كما قال الرسول ﷺ[٨٧].

---

(٨٣) ابن كثير: البداية والنهاية (١/ ١٧٨ - ١٧٩) والتفسير (١/ ٢٤٦).

(٨٤) أحمد: فضائل الصحابة (١/ ٣٢٤) من طريق عبدالرزاق، بإسناد صحيح إلى عطاء؛ انظر المصنف (٥/ ٤٨) مثله، وله شاهد صحيح عن مجاهد، أخرجه عبدالرزاق؛ الأزرقي أخبار مكة (٢/ ٣٣). قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٦٩/ ط. السلفية بالقاهرة: «... وأخرج البيهقي عن عائشة مثله. بسند قوي ولفظه أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر.. وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال: «كان المقام في سقع البيت في عهد رسول الله ﷺ فحوله عمر فجاء سيل فذهب به فرده عمر إليه. قال سفيان لا أدري أكان لاصقاً بالبيت أم لا». وانظر أحمد: الفضائل (١/ ٣٢٥) حاشية المحقق. وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٢٤٦) بعد إيراد أثري عطاء ومجاهد عند عبدالرزاق وأثر عائشة عند البيهقي: «وهذ إسناد صحيح مع ما تقدم» وقال بعد ايراد أثر سفيان عند ابن أبي حاتم: «فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه».

(٨٥) البقرة: ١٢٥.

(٨٦) رواه البخاري (١/ ٥٠٤)، وأحمد: المسند (١/ ٢٣) وفي فضائل الصحابة (١/ ٣١٥ - ١٦/ ح ٤٣٥) و(١/ ٣٤٢/ح ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥) بإسناد صحيح.

(٨٧) البخاري/ الفتح (١٣/ ٢١٨ - ٢١٩/ح ٣٤٢٥)؛ مسلم (١/ ٣٧٠/ح ٥٢٠).

أما الحديث الذي رواه النسائي[٨٨]، وفيه أن سليمان بن داود (عليهما السلام) هو الذي بنى المسجد الأقصى، فالمقصود بالبناء هنا هو التجديد كما ذكر السيوطي[٨٩] وابن القيم[٩٠] وابن حجر[٩١] واستعمال البناء بمعنى التجديد وارد في اللغة العربية، كما قال الدكتور أبوشهبة[٩٢].

حالة العالم حين بعث محمد ﷺ:

لقد عاشت البشرية في ظلام من الجاهلية في القرنين السادس والسابع الميلاديين، إذ سادت الوثنيات والخرافات والعصبيات والقبليات والطبقيات والمفاسد الاجتماعية والسياسية. وحرفت معظم الأفكار الإصلاحية السليمة، سواء التي جاء بها أنبياء الله المرسلون أو الحكماء الذين استقامت فطرهم على الحق. وقد عبر الرسول ﷺ عن هذه الحقيقة في قوله: «إن الله نظر إلى سكان العالم فمقتهم، عربهم وعجمهم جميعا إلا بقايا من أهل الكتاب»[٩٣].

وفي الصفحات القليلة التالية، نذكر باختصار، ما كانت عليه البشرية في تلك الفترة، لبيان ضرورة رسالة النبي ﷺ وما تضمنته من أسس ومعايير، كانت ومازالت وستظل، عوامل رئيسة في بناء الحضارة الإنسانية.

---

(٨٨) السنن (٢/ ٣٤) بإسناد صحيح كما ذكر الشارح ـ السيوطي (٢/ ٣٣).
(٨٩) المصدر والمكان نفسيهما.
(٩٠) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٩ ـ ٥٠).
(٩١) الفتح (١٣/ ١٥٢) وصحح إسناد النسائي.
(٩٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/ ١٣٤).
(٩٣) أخرجه مسلم ضمن حديث طويل. والمراد بأهل الكتاب هنا: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تحريف.

١ ـ في الجزيــرة العربيــة :

أ ـ الحالــة السياســية

الملــك باليمــن :

إن من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم. ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم بأحد عشر قرنا. وفي سنة ثلثمائة الميلادية غلبت على ملكهم قبيلة حمير، ثم بدأت اليمن في دور الانحطاط، وأخذت القبائل القحطانية في الهجرة إلى البلاد المختلفة.

وتوالت عليهم الاضطرابات والحروب الأهلية في المائتين والسبعين سنة التي سبقت دخــول الإســلام اليمن، مما أتـاح للأجـانب القضـاء على استقلالهم. فدخلت الرومان عدن، وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة، سنــة ٣٤٠ م، مستغلين التنـافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر احتـلالهم إلى سنــة ٣٧٨ م. ثم نالت اليمن استقلالها، ولكن سلط الله عليهم سيل العرم سنة ٤٥٠ م أو ٤٥١ م فهدم سد مأرب الذي جعله الله مصدر نعمة ورخاء لهم[٩٤]. وكل ذلك بسبب عتوهم وفسادهم وانحرافهم. وهذه سنة الله في ذلك.

وفي سنة ٥٢٣ م قام ملكهم ذو نواس بحملة ضد المسيحيين لصرفهم عن دينهم، فلما أبوا، حفر لهم أخدودا، وأوقد فيه نارا، فقذفهم فيها، وهم الذين حكى الله تعالى خبرهم في الآيات: ﴿قتل أصحاب الأخدود. النار

---

(٩٤) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٥).

ذات الوقود. . . ﴾[٩٥] وكان ذلك سببا في تحريض الروم الأحباش ليحتلوا اليمن للمرة الثانية بقيادة أرياط سنة ٥٢٥م، وظل حاكما على اليمن إلى أن اغتاله أبرهة ـ أحد قواد جيشه. وحكم مكانه بعد أن نال رضى ملك الحبشة. وقام أبرهة بمحاولة هدم الكعبة بمكة، ولكن الله رده بقوته، كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة الفيل.

واستنجد اليمانيون بالفرس فأعانوهم على إجلاء الأحباش سنة ٥٧٥م، بقيادة معديكرب بن سيف بن ذي يزن الحميري، وملكوه عليهم. وكان قد أبقى جمعا من الحبشة لخدمته، فاغتالوه، وبموته انقطع الملك عن بيته، وولى كسرى عاملا فارسيا على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية. وكان آخر ولاتهم باذان، الذي اعتنق الإسلام، وبإسلامه انتهى نفوذ الفرس في بلاد اليمن[٩٦]، وكان إسلام باذان في جمادي الأولى سنة سبع من الهجرة/ ٦٢٨م)[٩٧].

الملك بالحيـــرة:

حكمت الفرس العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قوروش الكبير (٥٥٧ ـ ٥٢٩ ق. م) ثم فرق شملهم الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٦ ق. م عنـدمـا هزم ملكهم دارا الأول، ودخلت البـلاد في حكم الـطوائف إلى سنة ٣٣٠م. وفي عهد هؤلاء الملوك هاجر القحطانيون وسكنوا جزءا من ريف

---

(٩٥) البروج: ٤ ـ ٨.
وقد روى طرفا من قصتهم اليعقوبي في تاريخه (١/ ١١٩)، دار صادر ودار بيروت، بيروت. ١٣٧٩/ ١٩٦٠.

(٩٦) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٠)، والدكتور محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية في حياة محمد ﷺ، ص ص ٢٥ ـ ٣١، والرحيق المختوم، ص ص ٢٨ ـ ٣٠، ونقله مؤلفه المباركفوري عن: تفهيم القرآن (٤/ ١٩٥ ـ ١٩٨) وتاريخ أرض القرآن الكريم (١/ ١٣٣) وما بعدها). وقال: وفي تعيين السنين اختلاف كبير بين المصادر التاريخية، وقد قال بعض الكتاب عن هذه التفاصيل: «إن هذا إلا أساطير الأولين». وانظر، ابن كثير: البداية (١/ ١٧٤ ـ ١٩٨) وكلها من طريق ابن إسحاق، إلا النزر اليسير جدا فهو من غير طريقه. وهي إما معلقة أو منقطعة أو مرسلة، أما ما ثبت بالقرآن فلا جدال فيه.

(٩٧) ابن سعـد: الطبقات الكبرى (١/ ٢٦٠) من طريق شيخه الواقدي، وهو متروك في الحديث، الطبري: التاريخ (٢/ ٦٥٦) من رواية الواقدي أيضا.

العراق. ثم لحقهم من هاجر إلى العدنانيين فزاحموهم حتى سكنوا جزءا من الجزيرة الفراتية.

وجمع أردشير الفارسي - مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة ٢٢٦م - شمل الفرس وسيطر على العرب المقيمين على تخوم مملكته، وكان ذلك سببا في رحيل قضاعة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار، ولصعوبة حكم المناطق البعيدة رأى أن ينصب عليهم ملكا منهم اسمه جذيمة الوضاح، ويعينه بكتيبة من الفرس، ليقفوا جميعا في وجه مطامع الروم وعرب الشام، الذين اصطنعهم الروم. واشتهر من ملوك الحيرة النعمان بن المنذر. وهو الذي خاض حربا ضد ملك الفرس، وهزم جيش الفرس في موقعة ذي قار، بعد ميلاد الرسول ﷺ. وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم[٩٨]، وقيل إن الرسول ﷺ قال عنه: «هذا أول يوم انتصف العرب فيه من العجم، وبي نصروا»[٩٩].

الملك بالشام:

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاعة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليح بن حلوان، الذين منهم بنو ضجعم بن سليح، المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكا، ثم تعاقب الملك فيهم زمانا إلى أن غلبهم عليه الغساسنة. وظل الغساسنة في الملك من قِبَل الروم إلى أن كانت وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ (٦٣٤م). ودخل في الإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم، في عهد عمر (رضي الله عنه)[١٠٠].

---

(٩٨) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ١٧١ - ١٧٤)، واليعقوبي: التاريخ (١/ ٢١٤ - ٢١٥) والأسانيد ضعيفة.

(٩٩) الطبري: التاريخ (٢/ ١٩٣) بدون إسناد، وانظر القصة بكاملها فيه، واليعقوبي: التاريخ (١/ ٢١٥) بدون إسناد. فالأسانيد ضعيفة.

(١٠٠) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧)، وابن الوردي: التاريخ: (١/ ٦٣)، وأبوالفدا: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت د.ت، (١/ ٧٢ - ٧٣) والدكتور سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، ص ٣٥ - ٤٠، والمباركفوري: الرحيق المختوم، ص ٣٢ وجميعهم بطرق ضعيفة.

الحجـــاز:

لم يقم بالحجاز كيان سياسي موحد يمكن أن يسمى بالدولة، وإنما قامت بها مدن، لكل منها نظامها السياسي الذي هو أقرب إلى المشيخة منه إلى نظام الملك. ومن أشهر المدن: مكة ويثرب والطائف.

أ ـ مكـــة:

تناولت فيما سبق طرفا من تاريخ نشأة مكة. وذكرنا أصل سكانها، وهم جرهم، وقيل كان قبلهم العماليق، الذين كانوا يسكنون خارجها، أي من حولها[١٠١].

لم تحافظ جرهم على حرمة الحرم بعد إسماعيل، فكثر في أيامهم البغي والفساد. واغتصب كثير منهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها. ويقال إن ماء زمزم نضب في عهدهم، كما أن البئر نفسها زالت معالمها. وعندما تفرق بعض عرب اليمن بعد سيل العرم، هاجر ثعلبة بن عمرو بن عامر مع قومه إلى مكة، ولم تقبلهم جرهم، ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة جرهم.

وعندما مرض ثعلبة، رحل إلى الشام، وولى أمر مكة وحجابة الكعبة ابن أخيه ربيعة بن حارثة بن عمرو وهو لحي، وعرف قومه بخزاعة. وقد انحاز إليهم بنو إسماعيل بن إبراهيم. وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثعلبة[١٠٢].

ظلت خزاعة تلي أمر البيت الحرام نحواً من ثلثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة. وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب ووحد بطونها، وخاض حربا ضد خزاعة حول ولاية البيت. وأعانته قضاعة في حربه. وتدخلت قبائل العرب، وانتهت الحرب بالتحكيم الذي نتج عنه أحقية قصي بولاية الكعبة. ومنذ ذلك اليوم ارتفعت مكانة قريش بين

---

(١٠١) الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سبق ذكره، (١/ ٥٤). إسناده ضعيف.

(١٠٢) انظر: الأزرقي: أخبار مكة (١/ ٩٠-٩٦)، وابن إسحاق ـ بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٦٠ـ ١٦١) فالأسانيد ضعيفة.

العرب[١٠٣].

قام قصي بتقطيع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وكانت له جميع الرئاسات من حجابة وسقاية وسدانة ولواء. وبنى دارا لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات، سماها دار الندوة، وكان يرأس اجتماعاتها ويدير شؤونها. وفرض على قريش خرجا سنويا يؤدونه إليه لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج.

وعندما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف والرئاسات إلى أكبر أبنائه - عبدالدار. ولما مات عبدالدار وإخوته: عبد مناف وعبد شمس وعبد، اختلف أبناؤهم في هذه الرئاسات، وافترقوا إلى فرقتين، ففرقة بايعت بني عبدالدار وفرقة بايعت بني عبد مناف، ووضع حلف بني عبد مناف أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين. أما بنو عبدالدار ومن حالفهم، فقد أخرجوا جفنة مملوءة دما، وفعلوا مافعله بنو عبد مناف عند الكعبة، وسموا الأحلاف.

ثم أخيرا اصطلح الفريقان على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبدالدار[١٠٤] وقسمت الرئاسات التي نالها بنو عبد مناف بين هاشم وأخيه عبد شمس، فكانت السقاية والرفادة لهاشم، والقيادة لعبد شمس[١٠٥].

وعندما علت مكانة هاشم بين قومه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس، وحاول أن ينافسه في إطعام الحجاج فعجز، فشمت به بعض قومه فزاد حسده وحقده على عمه.

وولي السقاية والرفادة المطلب بعد وفاة أخيه هاشم، ثم عندما مات

---

(١٠٣) الأزرقي: المصدر نفسه (١/ ١٠٣ - ١٠٧)، وابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٦٤ -١٦٥و ١٧١ - ١٧٢)، ابن كثير: البداية (٢/ ٢٢٤ - ٢٢٥) من رواية ابن إسحاق - بدون إسناد. فالأسانيد ضعيفة.

(١٠٤) انظر: ابن إسحاق - بدون اسناد (ابن هشام ١/ ١٧٢ - ١٨١)، وابن كثير: البداية (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٨)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ١٦٠)، الأزرقي: أخبار مكة (١/ ١٠٧ - ١١٠) وكلها اسانيد ضعيفة.

(١٠٥) الأزرقي: المصدر نفسه (١/ ١١٠ - ١١١، ١١٥) بأسانيد ضعيفة.

المطلب خلفه ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم، ثم عندما مات خلفه ابنه العباس بن عبدالمطلب. وقد أبقاهما الرسول ﷺ في يده بعد فتح مكة.

أما بنو عبدالدار فقد توارثوا الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة. وقد أبقى الرسول ﷺ الحجابة بأيديهم عندما فتح مكة ودفع بمفتاح الكعبة إلى عثمان ابن طلحة، وهي فيهم إلى اليوم. وقيل إن الآية: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[١٠٦] قد نزلت بهذا الخصوص[١٠٧]. ولم يستبعد الطبري[١٠٨] ذلك، وساق أقوالا أخرى في ذلك.

يثـــرب:

كان أول من سكنها العمالقة، ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية، فأقاموا بها، خاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، إثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسورية، فتفرقوا في البلاد، فلجأت قبائلهم وعلى رأسهم بنو النضير وبنو قريظة إلى يثرب. وأقاموا بها حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج عندما تهدم سد مأرب[١٠٩].

عاش اليهود والأوس والخزرج في وئام فترة من الزمان، وتحالفوا ليأمن بعضهم بعضا. وعندما قويت شوكة الأوس والخزرج تنمر اليهود عليهم ونقضوا الحلف الذي بينهم، فاستنجد العرب ببني عمومتهم الغساسنة، فأنجدوهم أنفة من تسلط اليهود عليهم[١١٠].

وكذلك عاش الأوس والخزرج في وئام في بداية أمرهم، ثم وقعت بينهما حروب طويلة، كان النصر في أغلب الأحيان للخزرج. ولهذا حاولت الأوس محالفة قريش ضد الخزرج، فلم تفلح، فلجؤوا إلى الحلف مع بني قريظة

---

(١٠٦) النساء: ٥٧.

(١٠٧) روى ذلك الطبري في التفسير (٨/ ٤٩١ - ٤٩٣/ تحقيق أحمد شاكر)، موقوفا على ابن جريج وفي إسناده ضعف.

(١٠٨) التفسير (٨/ ٤٩٣/ تحقيق أحمد شاكر) وسيأتي الكلام على إسناد ذلك في فتح مكة. وانظر: الأزرقي (١/ ٦٤ - ٦٥). بإسناد ضعيف.

(١٠٩) انظر: المقريزي: إمتاع الأسماع (١/ ١٠٥)، الأصبهاني: الأغاني (١٩/ ٩٤).

(١١٠) القلقشندي: صبح الأعشى (٤/ ٢٩٤).

والنضير. وسمعت الخزرج بهذا فأرسلت تستوضح الموقف، فأفادتهم يهود بأنها لا ترغب في الحرب، فأرادت الخزرج أن تتأكد من هذا، فطلبت منهم أربعين غلاما، ليتخذوهم رهائن لديهم، وعندما استجابوا لهم، خيروهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان، فآثروا الخروج من ديارهم، غير أن كعب بن أسد القرظي أقنعهم بالبقاء والتضحية بالرهائن، فقتل الخزرج الغلمان، فغضب يهود وجاهروا بحلفهم مع الأوس، ووقفوا معهم في موقعة بعاث، فانتصر الأوس، بعد أن أوقعوا في الخزرج مقتلة عظيمة. ثم تصالح الفريقان، واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور بيثرب، برئاسة عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي[111] وبينما كانوا يستعدون لذلك قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجرا، فدان الجميع لسلطان الإسلام. ولم يجد ابن أبي سلول بدا من الدخول في الإسلام ظاهرا بعد موقعة بدر، ودلت مواقفه بعد ذلك على نفاقه كما سيأتي بيانه. وهو ممن اتفق على نفاقه بين أهل الحديث والتفسير والمغازي والسير. أما زعيم الأوس: أبوعامر بن صيفي بن النعمان، والد أبي حنظلة الغسيل، فقد أبى إلا الكفر فخرج إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الروم بالشام، محاولا في كل أطوار حياته القضاء على الإسلام. وكان قد ترهب في الجاهلية، فسموه الراهب، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق».[112]

الطائف:

كانت الطائف تعرف باسم «وج»، نسبة إلى وج بن عبدالحي، أحد العمالقة الذين سكنوها. رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القرى، وتزوج زعيمها قسب بن منبه بن بكر بن هوازن بابنة زعيم وج عامر العدواني، واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد...، وعندما تكاثروا بنوا سورا يكون

---

(١١١) السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ص ص ٢١٥ - ٢١٩.

(١١٢) انظر: ابن إسحاق - بإسناد مرسل (ابن هشام ٣/٩٧ - ٩٨)، الواقدي (١/٢٢٣)، ابن سعد (٢/٤٠) - معلقا، السمهودي: وفاء الوفا، ص ص ٢١٨ - ٢١٩، بدون إسناد. وهذا يعني أنها كلها من طرق ضعيفة.

حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لإطافته بهم، ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف بدلا من وج[113].

وعندما ظهر الإسلام كانت ثقيف تنقسم إلى فرقتين: الفرقة الأولى هم بنو مالك والثانية الأحلاف. وكانت بينهم شحناء أدت إلى حرب بينهما، انتصر فيها الأحلاف وأخرجوا بني مالك إلى واد وراء الطائف. ثم رأى بنو مالك أن يعززوا موقفهم العسكري بالتحالف مع بعض القبائل، فحالفوا دوسا وخثعما وغيرهما على الأحلاف. ولكن لم تقع بينهم بعد ذلك حروب ذات بال[114].

ب ـ الحالة الدينية عند العرب في الجزيرة العربية:

استمرت خزاعة على ولاية الكعبة نحوا من ثلثمائة، وقيل خمسمائة سنة. وكانوا قوم سوء في ولايتهم، وذلك لأنه كان في زمانهم أول عبادة الأوثان بالحجاز، بسبب رئيسهم عمرو بن لحي[115]، الذي زار الشام ووجد العماليق بمؤاب من أرض البلقاء يعبدون الأصنام، وقالوا له إنهم يعبدونها لأنهم يستمطرونها فتمطرهم ويستنصرونها فتنصرهم. فطلب صنما فأعطوه صنم هبل، فجاء به مكة ونصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، لأنه كان سيدا مطاعا فيهم. وعندما بدأ بنو إسماعيل يتفرقون في البلاد أخذوا يحملون معهم من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالبيت، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، وخلفت الخلوف ونسوا ماكانوا عليه من دين إبراهيم[116]. وكثرت فيهم الأصنام، فكان «ود» لبني كلب بن مرة بدومة الجندل، و«سواع» لبني هذيل بمكان يسمى رهاط، على ثلاث ليال من مكة، و«يغوث» لبني أنعم

---

(113) البكري: معجم ما استعجم (١/٧٦ ـ ٧٧)، ياقوت الحموي: معجم البلدان (٦/١٢ ـ ١٣). والأسانيد ضعيفة.

(114) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/٢٥٣ ـ ٢٥٤). بإسناد ضعيف.

(115) روى مسلم (٤/٢١٩١/ ح ٢٨٥٦) أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار» وذلك لهذا الفعل الشنيع.

(116) ابن كثير: البداية (٢/٢٠٥)، اليعقوبي: التاريخ (١/٢٥٤)، ابن الوردي: التاريخ (١/٦٥). وأسانيدهم ضعيفة.

من طيء ولأهل جرش من مذحج اليمنية، وكان منصوبا بجرش، و«يعوق» لبني خيوان الهمدانيين، و«نسر» لقبيلة ذي الكلاع الحميرية[117].

وهذه الأصنام هي التي عبدها قوم نوح، وحكى خبرها القرآن الكريم، قائلا ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا. . .﴾[118]، فعندما فارق ولد إسماعيل وغيرهم دين إبراهيم عبدوا هذه الأصنام[119].

وكان لخولان صنم يدعى «عم أنس» وقيل «عميا نوس»، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله ـ فيما يزعمون ـ وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾[120]. وكان لبني ملكان بن كنانة صنم يقال له «سعد». وكان لدوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي. وكان لقريش مع هبل صنما: «إساف» و«نائلة»، على موضع زمزم، ينحرون عندهما. قالت عائشة (رضي الله عنها): «مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله (عز وجل) حجرين»[121]. . .

واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، وكان آخر ما يفعلونه عند الشروع في السفر وأول ما يفعلونه حين العودة منه، التمسح بالصنم. فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد، عابوا عليه ذلك وقالوا: ﴿أجعل الالهة إلها

---

(١١٧) ابن إسحاق ـ بدون اسناد ـ ابن هشام (١/ ١٢٣ ـ ١٣٢). ولهذا فهو ضعيف.

١١٨) نوح: ٢٣ ـ ٢٤. وانظر قصة تاريخ هذه الأصنام عند اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٥٥)، وعند أبي الشيخ في كتابه «العظمة»، وابن حجر: الفتح (١٨/ ٣١٢-٣١٤/ شرح الحديث ٤٩٢٠)، البخاري/ الفتح (١٨/ ٣١٢ ـ ٣١٤/ ح ٤٩٢٠). وعنده أن «يغوث» كانت لمراد، ثم لبني غطيف عند سبأ، وهو الأصح عندنا لأن قول ابن إسحاق إن يغوث كانت لبني أنعم من طيء. .. فيستبعد الجمع بين مناطق طيء وهي في الشمال ومذحج باليمن.

(١١٩) وخلاصة القول ـ كما روى البخاري/ الفتح (١٨/ ٣١٣/ح ٤٩٢٠) وغيره ـ في أصنام قوم نوح أنها كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابا وسموها بأسمائهم. ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت، فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان إلى مشركي العرب.
انظر: ابن حجر: الفتح (١٨/ ٣١٢).

(١٢٠) الأنعام: ١٣٦.

(١٢١) رواه ابن إسحاق ـ بإسناد حسن ـ (ابن هشام ١/ ١٢٧).

واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾[١٢٢].

وفي الصحيح عن أبي الرجاء العطاردي، قال: «كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجرا جمعنا جُثوة من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا بها»[١٢٣].

وروى ابن كثير[١٢٤] عدة أحاديث صحيحة تدل على ما ابتدعه عمرو ابن لحي في الدين واتبعه العرب في ذلك، فضلوا ضلالا بعيدا، من ذلك رواية الشيخين[١٢٥]: «قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي [أي عمرو بن لحي] يجر قصبة في النار، كان أول من سيب السوائب...» ورواية ابن إسحاق[١٢٦] الأكثر تفصيلاً وبإسناد صحيح، ولفظها: «... إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي». وقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك في أكثر من آية، فقد قال (عز وجل): ـ ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب...﴾[١٢٧].

قال ابن عباس[١٢٨]: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام...» ففيها خلاصة عبادة العرب وما نتج عن ذلك من ممارسات اجتماعية ضارة.

ولم يبق من دين إبراهيم إلا القليل، مثل تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة، والوقوف بعرفات والمزدلفة وإهداء البدن مع إدخالهم في هذا ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا بالحج أو العمرة قالوا: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه ومامللك»، فيوحدونه

---

(١٢٢) سورة ص: آية ٥.
(١٢٣) البخاري (٨/ ٩٠)، ابن كثير: البداية (٢/ ٢٠٥).
(١٢٤) البداية (٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧).
(١٢٥) البخاري/ الفتح ١٧/ ١٥٦ - ٥٨/ح ٤٦٢٣، ٤٦٢٤)، مسلم (٤/ ٢١٩٢/ح ٢٨٥٦).
(١٢٦) ابن اسحاق بإسناد حسن - (ابن هشام ١/ ١٢١).
(١٢٧) النحل: ١١٦، وانظر: المائدة: ١٠٣، والنحل: ٥٦، والأنعام: ١٣٦ - ١٤٠ وذكرها ابن كثير في البداية (٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨).
(١٢٨) الطبري: التفسير (١٢/ ١٥٥/ شاكر/ ح ١٣٩٥٣) والآية هي الأنعام: ١٤٠.

بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده[١٢٩]. وكانوا يطوفون بالبيت عراة وهم يصرخون.

واتخذت العرب طواغيت مع الكعبة. وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدى لها، ويطاف بها، وينحر عندها. فكانت لقريش وبني كنانة «العزى» بنخلة، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان، من سليم، حلفاء بني هاشم. وكانت «اللات» لثقيف بالطائف. وكان سدنتها وحجابها من بني معتب، من ثقيف. وكان «مناة» للأوس والخزرج ومن دان بدينهم، بناحية المشلل بقديد. وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى...﴾[١٣٠]. وكان «ذو الخلصة» لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، وكان يقال له «الكعبة اليمانية»، ويقال لبيت مكة «الكعبة الشامية». وكان «فلس» لطيء ومن يليها بجبلي طيء بين أجا وسلمى. وكان «رئام» بيتا لحمير وأهل اليمن وكانت «رضاء» بيتا لبني ربيعة ابن كعب. وكان «ذو الكعبات» لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد[١٣١]

وكان للعرب أصنام أخرى غير التي ذكرنا، حفلت بذكرها المصادر المختلفة[١٣٢].

وهناك روايات طريفة عن موقف بعض العرب من أصنامهم. من ذلك ما روي من أن السائب بن عبدالله كان له حجر نحته بيده ليعبده، فيجيء

---

(١٢٩) ابن اسحاق، بدون إسناد. انظر: ابن هشام (١/ ١٢٢). وخبر ادخال الشرك في التلبية رواه البزار بإسناد حسن. ولفظه: وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء، يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك: إلا شريك هو لك: تملكه وما ملك. فما زال حتى أخرجهم من الإسلام إلى الشرك. انظر: كشف الأستار (٢/ ١٥). وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٢٣) رجاله رجال الصحيح. ويقول الشيخ طرهوني (١/ ٣١٥/ حاشية ١٩٤): واسناده رباعي وفيه عنعنة قتادة ولكن يتساهل فيها وخصوصا لوجود ما يشهد له. وانظر تلبية القبائل المختلفة عند اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٥٥ - ٢٥٦).

(١٣٠) النجم: ١٩.

(١٣١) سيأتي ذكر معظم هذه البيوت عند الكلام عن تكسيرها بعد فتح مكة. وانظر المصادر المذكورة في هذا الباب من الكتاب.

(١٣٢) انظر في ذلك مثلا: اليعقوبي في تاريخه (١/ ٢٥٥ وما بعدها) والكلبي في كتابه الأصنام، والأسانيد ضعيفة.

باللبن الخاثر الذي ينفسه على نفسه فيصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشفر فيبول.. الحديث[133]. وما يروى من أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلها من حيس، فعبدوه دهرا طويلا، ثم أصابتهم مجاعة، فأكلوه، فقال رجل من بني تميم يعيرهم بذلك:

أكلت ربها حنيفة من جو * ع قديم بها ومن إعواز

وقال فيهم آخر:

أكلت حنيفة ربها * زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم * سوء العواقب والتباعة[134]

وهناك قصة الرجل الذي قال شعرا في صنمهم عندما رأى ثعلبين يبولان عليه[135]. وقصة عمر بن الخطاب الذي أكل صنمه من العجوة عندما جاع... إلخ. وهي قصص وإن لم يثبت بعضها حديثيا إلا انها تصور الحالة التي كان عليها العرب في جاهليتهم.

ظهرت في بلاد العرب إلى جانب عبادة الأصنام، عبادة النجوم والكواكب، خاصة في حران والبحرين والبادية. ويقال إنه كان بمكة رجل يدعى «أبو كبشة» عبد نجما اسمه «الشعرى»، ودعا قريشا إلى عبادته. وانتشرت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وخزاعة وقريش. وعندما دعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده سموه ابن أبي كبشة لمخالفته إياهم في العبادة كما خالفهم في عبادته من قبله ابن أبي كبشة[136].

وعبدت الشمس في بلاد اليمن، وفي ذلك قال تعالى في قصة ملكة سبأ: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم،

---

(١٣٣) أخرجه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٠) وعزاه إلى الحاكم في المستدرك وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(١٣٤) انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٢١ وإسناده ضعيف.
(١٣٥) ابن سعد (١/ ٣٠٧ - ٣٠٩) وقد ذكرنا القصة عند الكلام عن الوفود - وفد بني أسلم.
(١٣٦) الألوسي: بلوغ الأرب في أحوال العرب (٢/ ٢٣٩).

فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾[١٣٧].

وتسربت بعض فرق المجوسية الفارسية إلى بلاد العرب. وفي ذلك يقول ابن قتيبة[١٣٨]: «وكانت المجوسية في تميم منهم زرارة وحاجب بن زرارة... وكانت الزندقة في قريش، أخذوها من الحيرة»، وكان الأقرع بن حابس وأبو سود - جد وكيع بن حسان - ممن دان بالمجوسية[١٣٩]. وتسربت إلى هجر[١٤٠] من البحرين. وكانوا يقولون: إن قتل عدوهم على أرضهم ينجسها عليهم[١٤١].

ودخلت اليهودية بلاد العرب بصفة عامة والمدينة وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء[١٤٢] بصفة خاصة عندما نزح إليها اليهود. ووصلت إلى اليمن، ودان بها ذونواس الملك الحميري، وحاول حمل النصارى على اعتناقها كما ذكرنا سابقا. وانتشرت في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وربما وصلتهم من يهود يثرب وخيبر[١٤٣].

وتسربت المسيحية إلى الغساسنة والمناذرة، ومن أشهر الأديرة في الحيرة: «دير هند الأقدم» «ودير اللج» «ودير حارة مريم»[١٤٤]، وتسربت إلى جنوبي الجزيرة العربية، وأنشئت كنيسة بظفار وأخرى بعدن[١٤٥]. ولنصارى نجران قصة مع الرسول ﷺ في مكة وأخرى بالمدينة. سيأتي ذكرها.

ودانت بعض قبائل قريش بالمسيحية، منها: بنوأسد بن عبدالعزى، كما اعتنقها بنو امرىء القيس من تميم وبنو تغلب من ربيعة وبعض قبائل

---

(١٣٧) النمل: ٢٣ و ٢٤.
(١٣٨) المعارف: ص ٦٢١.
(١٣٩) المصدر والمكان نفسيهما.
(١٤٠) انظر: البخاري (٦/٢٥٧/ طبعة الشعب).
(١٤١) الحاكم: المستدرك (٣/٤٥١) بإسناد صحيح.
(١٤٢) تأتي أدلة ذلك بالتفصيل في غزوات الرسول ﷺ ومواقفه المختلفة من اليهود في هذه المناطق. وفيها أدلة صحيحة كثيرة.
(١٤٣) انظر: الألوسي: بلوغ الأرب (٢/٢٤١).
(١٤٤) انظر، البكري: معجم ما أستعجم (٢/٦٠٦، ٢/٥٩٥، ٢/٦٠٤) وسمى الحموي «دير هند الأقدم»، «دير هند الكبرى» - معجم البلدان (٢/٧٠٩).
(١٤٥) د. سرور: قيام الدولة العربية، ص٦١، الألوسي: بلوغ الأرب، ص ص ٢٤١ - ٢٤٤.

قضاعة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم[١٤٦]. وممن تنصر بنصرانية محرفة من العرب: عدي بن حاتم الطائي[١٤٧].

لم تنتشر اليهودية والنصرانية انتشارا واسعا في بلاد العرب كما هو واضح من تاريخها وسيرتها وسط القبائل والأفراد. ولم تندثر تماما ديانة إبراهيم (عليه السلام)، بل تمسك بها نفر قليل جدا وسط دياجير ظلام الجاهلية وعبادة الأوثان. وعرف هؤلاء النفر بالحنفيين أو الحنفاء. فقد كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه، توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية، وينتظرون النبوة[١٤٨].

وكان من هؤلاء الحنفاء: قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب ـ أحد أجداد النبي ﷺ[١٤٩].

وقد سموا بالحنفاء نسبة إلى ما وصف به دين إبراهيم في القرآن الكريم ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾[١٥٠]، ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين﴾[١٥١]. ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[١٥٢].

ولنقف وقفة قصيرة مع أشهر هؤلاء الحنفاء، لإلقاء بعض الضوء على سيرهم ومعتقداتهم:

---

(١٤٦) اليعقوبي، تاريخه (١/ ٢١٤)، «وهي رواية ضعيفة». الآلوسي: بلوغ الأرب (٢/ ٢٤١). د. سرور ص ٦٢، ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٢١.

(١٤٧) انظر البخاري (٦/ ٥٣٣)، احمد (٤/ ٣٧٧، ٣٧٨) واسناده حسن.

(١٤٨) انظر في هذا ـ مثلا ـ: الآلوسي: بلوغ الارب، ص ص ٢٨٧ ـ ٣٤٩. وتأتي الأدلة الصحيحة على هذا من خلال ما سنذكر من مرويات صحيحة عن أحوالهم.

(١٤٩) انظر أخبارهم عند ابن كثير: البداية (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٦٦). وانظر ما جاء من أخبارهم بأسانيد صحيحة في الفقرات التالية.

(١٥٠) الأنعام: ٧٩.

(١٥١) آل عمران: ٦٧.

(١٥٢) آل عمران: ٩٥.

١ - زيد بن عمرو بن نفيل:

روى ابن إسحاق[١٥٣] بإسناده إلى أسماء بنت أبي بكر، قالت: «لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة، يقول: «يامعشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري». ثم يقول: «اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم». ثم يسجد على راحلته، وكان يصلي إلى الكعبة ويقول: «إلهي إلٰه إبراهيم، وديني دين إبراهيم». وكان يحيي الموؤودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: «لا تقتلها، ادفعها إلى أكفلها، فإذا ترعرعت فخذها، وإن شئت فادفعها».

وروى البخاري[١٥٤] عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن دين صحيح يتبعه. فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم، لعله يتبعه، فقال له اليهودي: «إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله». قال زيد: «وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا أستطيع، فهل تدلني على غيره؟» قال: «ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً». قال زيد: «وما الحنيف؟ «قال: «دين إبراهيم (عليه السلام) لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله». فخرج زيد، فلقي عالما نصرانيا، فدار بينهما مثل مادار بينه وبين اليهودي. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم، خرج، فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني أشهدك اني على دين إبراهيم».

وكان زيد يرفض الأكل من ذبائح قريش، ويقول: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»، ويعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم

---

(١٥٣) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥٨)، وإسناده حسن. والشطر الأول من الرواية عند ابن هشام (١/ ٢٨٧) إلى قوله: «ثم يسجد على راحلته» وإسناده حسن.

(١٥٤) الفتح (١٤/ ٢٩٩ - ٣٠١/ ح ٣٨٢٧).

الله؟» إنكاراً لذلك وإعظاما له[١٥٥].

ورويت أحاديث أخرى من طرق ضعيفة، لكنها تعتضد وتتقوى بعضها ببعض وبأحاديث البخاري فترتفع الى درجة الحسن لغيره، دلت على أن زيدا كان يبحث عن الدين الصحيح، وأخيرا استقر على دين إبراهيم (عليه السلام)[١٥٦].

ولهذا قال عنه الرسول ﷺ: «يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم[١٥٧]. وقال: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو دوحتين»[١٥٨].

لقد لقي زيد بن نفيل الرسول ﷺ ومات قبل أن يبعث الرسول ﷺ[١٥٩].

٢ - ورقة بن نوفـل:

روي أنه خرج مع زيد بن نفيل يبحث عن دين صحيح يتبعه، وبعد البحث تنصر ورقة، ولم يرتض زيد سوى دين إبراهيم (عليه السلام)[١٦٠].

قال النبي ﷺ يوما لخديجة (رضي الله عنها) إنه يرى ضوءا ويخشى أن يكون به جنن، فطمأنته، ثم أتت به ورقة، وذكرت له ما يقع له، فقال ورقة: «إن يك صادقا فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى،

---

(١٥٥) البخاري / الفتح (١٤/٢٩٨ - ٩٩/ ح ٣٨٢٦).

(١٥٦) انظرها عند: ابن كثير: البداية (٢/ ٢٦٠ - ٢٦٥)، وابن سعد (١/ ١٦١ - ١٦٢)، والطيالسي بترتيب الساعاتي (٢/ ١٦١).

(١٥٧) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٦٢) من رواية عثمان بن أبي شيبة، وقال ابن كثير: «إسناده جيد حسن». وقال ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣٠١) بعد أن ذكر الحديث بلفظ «يبعث يوم القيامة أمة وحده»: «روى البغوي في الصحابة من حديث جابر نحو هذه الزيادة».

(١٥٨) نقله ابن كثير في البداية (١٢/ ٢٦٣) من رواية الباغندي، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد».

(١٥٩) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٩٨/ ح ٣٨٢٦).

(١٦٠) من رواية الطيالسي - ترتيب البنا (٢/ ١٦١)، بإسناد ضعيف، لأن فيه نفيل بن هاشم، وهو مجهول، ولم يوثقه سوى ابن حبان، وله شواهد تقويه، فيرتفع إلى درجة الحسن لغيره، وهي الأحاديث الخاصة برحلة زيد إلى الشام بحثا عن الدين الصحيح. فانظرها ففيها القوي والضعيف.

فإن بعث وأنا حي فسأعزه وأنصره وأومن به.»[١٦١].

وسيأتي خبره والآثار الواردة في إسلامه عند الكلام على بداية نزول الوحي على الرسول ﷺ، والمسلمين الأوائل. وله أبيات شعرية رائعة في التوحيد والبعث[١٦٢].

٣ ـ قس بن ساعدة الإيادي:

روي عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وغيره انه عندما قدم وفد إياد على الرسول ﷺ سألهم عن قس بن ساعدة، فذكروا له انه هلك. فقال النبي ﷺ: «لقد شهدته يوما بعكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مؤنق لا أجدني أحفظه. فذكر أحد أفراد الوفد انه يحفظه، فهو: «يا معشر الناس اجتمعوا، فكل من مات فات، وكل شيء آت آت، ليل داج وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهر، وجبال مرساة، وأنهار مجراة، إن في السماء لعبرا، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا، أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه، ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا»، وأنشد في ذلك شعرا.[١٦٣]

وروى ابن عباس انه عندما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ سألهم عن قس، فقالوا: «هلك». قال: «...» فذكر كلاما بنحو ما جاء في رواية ابن الصامت[١٦٤].

---

(١٦١) أحمد: الفتح الرباني (٢٠٧/٢٠) بإسناد حسن، مرة مرسلا ومرة متصلا.
(١٦٢) انظر: ابن هشام (١/ ٢٩٤) ـ ٢٩٥) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد. فهي ضعيفة.
(١٦٣) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥٠ ـ ٥١) من رواية الخرائطي، بإسناد ضعيف، لأن نصر بن حماد الوراق المعروف بأبي الحارث الوراق ضعيف واه ـ انظر: المغني للذهبي (٢/ ٧٧٩) وقال ابن كثير في البداية «وهذا إسناد غريب من هذا الوجه».
(١٦٤) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥١) من رواية الطبراني، ورواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٠٤)، وإسنادهما ضعيف جدا، لأن فيه محمد بن الحجاج، كذبه أبوحاتم وجماعة كما في المغني للذهبي (٢/ ٥٦٥).

وروى ابن كثير[١٦٥] والبيهقي[١٦٦] أحاديث أخرى بهذا المعنى في قصة قس وتعبده بالحنيفية وأقواله، وأشعاره في ذلك، دلت على أن لقصته أصلا تاريخيا، كما ذكر ابن كثير والبيهقي.

٤ ـ أمية بن أبي الصلت:

هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[١٦٧]. وفي رواية: «فلقد كاد أن يسلم في شعره»[١٦٨]. ويقال إنه ممن دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة[١٦٩]، فقد كان من فحول الشعراء[١٧٠]، عاش إلى زمان البعثة ولم يؤمن تكبرا عن أن يكون تابعا للرسول ﷺ[١٧١]، وفيه نزل قول الله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾[١٧٢، ١٧٣].

قيل إنه مات سنة تسع، وقيل سنة اثنتين[١٧٤]، وله شعر في رثاء قتلى قريش يوم بدر الكبرى[١٧٥].

٥ ـ لبيد بن ربيعة العامري ثم الكلابي ثم الجعفري:

كان من فحول شعراء الجاهلية، ومن شعراء المعلقات. قال

(١٦٥) البداية (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٨) وقال (ص ٢٥٧): «... وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة...» وذكر كلام البيهقي عن هذه الطرق (ص٢٥٨).

(١٦٦) دلائل النبوة (٢/ ١٠٢ ـ ١١٣) وقال بعد سياقه هذه الطرق: «... وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا، والله أعلم».

(١٦٧) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣١٠/ ح ٣٨٤١)، مسلم (٤/ ١٧٦٨/ ح ٢٢٥٦).

(١٦٨) مسلم (٤/ ١٧٦٨/ ح ٢٢٥٥).

(١٦٩) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٣١٠/ ش ح ٣٨٤١) وانظر مثاله عند ابن اسحاق (ابن هشام ١/ ٢٨٩ ـ ٩٠).

(١٧٠) انظر شعره عند ابن إسحاق، مثلا: ابن هشام (١/ ٨٦، ١٠٠، ١٠٨، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٧)، (٢/ ٢١٠)، (٣/ ٤٢)، وقد أنشد الشريد بن سويد الرسول ﷺ مائة بيت من شعره، كما روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٧/ ح ٢٢٥٥).

(١٧١) من رواية الطبري كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠)، ولم يتكلم على إسناده.

(١٧٢) الأعراف: ١٧٥.

(١٧٣) من رواية ابن مردويه بإسناد قوي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، كما نقله ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠) ثم قال: «وروى من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي، وهو المشهور».

(١٧٤) ذكره ابن سبط الجوزي كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠).

(١٧٥) ابن إسحاق (ابن هشام ٣/ ٤٢ ـ ٤٨).

الرسول ﷺ عنه: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ماخلا الله باطل»(١٧٦). وله قصة مع عثمان بن مظعون، سنذكرها في الكلام عن أساليب حرب المشركين للدعوة ـ الأسلوب العاشر.

وقد أسلم لبيد، ومات في خلافة عثمان، بعد أن عاش مائة وخمسين عاما، وقيل أكثر(١٧٧).

وممن ذكر من الحنفاء غير هؤلاء: أرباب بن رئاب، والشاعر سويد ابن عامر المصطلقي، وأسعد أبوكرب الحميري، ووكيع بن سلمة بن زهير الإيادي، وعمير بن حيذب الجهني، وعدي بن زيد العبادي ـ تنصر ـ، وأبوقيس صرة بن أبي أنس البخاري، وسيف بن ذي يزن الحميري وعامر بن الظرب العدواني، والشاعر عبدالطانجة بن ثعلب ابن وبرة بن قضاعة، وعلاف بن شهاب التميمي، والملتمس بن أمية الكناني، والشاعر زهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان بن غيث العبسي. وعبدالله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب القرشي ـ أحد أجداد النبي ﷺ(١٧٨)، وعثمان بن الحويرث، الذي رحل في طلب الدين، فاستقر به المقام عند قيصر، فتنصر وأقام عنده بأحسن مقام(١٧٩)، وعمرو بن عبسة السلمي، الذي أكرمه الله بالإسلام(١٨٠)، وأكثم بن صيفي بن رباح(١٨١)، وعبدالمطلب ـ جد النبي ﷺ(١٨٢).

---

(١٧٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣٠٩/ ح ٣٨٤١)، مسلم (١٧٦٨/٤ - ٦٩/ ح ٢٢٥٦).
(١٧٧) انظر: ابن حجر: الفتح (١٤/ ٣١٠).
(١٧٨) انظر سيرهم وأقوالهم وأشعارهم عند: الألوسي: بلوغ الأرب، ص ص ٢٥٨ - ٢٨٢، وابن قتيبة: المعارف، ص ص ٥٨ - ٦٢.
(١٧٩) ابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٨٦) فهو ضعيف.
(١٨٠) انظر أخباره في ترجمته في الإصابة (٣/ ٥ - ٦) وعند الطبري: التاريخ (٢/ ٣١٥) بإسناد صحيح.
(١٨١) انظر خبره عند الألوسي: بلوغ الأرب (١/ ٣٠٨ - ٣٠٩).
(١٨٢) انظر: المسعودي: مروج الذهب (١/ ٢٣٩ - ٢٤٨)، الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٢٤٨). وكون عبدالمطلب جد النبي ﷺ أمر لا خلاف فيه بين أهل التفسير والحديث والمغازي والسير والتاريخ وسيأتي قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب..» بمناسبة غزوة حنين.

جـ ـ الحياة الاجتماعية عند العرب في الجزيرة العربية:

إن الحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات لا تكاد تنفصل عن الحياة الدينية والاقتصادية. ولأن الوثنية التي سادت بين العرب كانت ضد الفطرة والمنطق فقد نتج عن ذلك مظاهر اجتماعية ضد الفطرة والمنطق.

ومن بين تلك المظاهر: الانحطاط الأخلاقي الذي تمثل في ممارسة كثير من الرذائل مثل شرب الخمر ولعب الميسر، والزواج بغير عدد، وقتل بعضهم الأولاد خشية الفقر أو بسبب الفقر، وقتل بعضهم الإناث بالذات خوف العار، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب، وأخذ الثأر. وقد حكى عنهم الله كل هذه الرذائل في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله، وعابها عليهم، وظل الرسول ﷺ يحاربها طوال حياته كما هو معروف، ومثال ذلك: ما قاله ابن عباس: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام» وقوله تعالى ﴿وإذا الموؤدة سئلت. بأي ذنب قتلت[183]﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾[184]، وقوله تعالى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون؟ أم يدسه في التراب؟ ألا ساء ما يحكمون﴾[185]، وقوله ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[186]، وقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق...﴾[187]، وقوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾[188].

وسادت في بعض أوساط غير الأشراف أنواع من الأنكحة التي لا تختلف

---

(١٨٣) التكوير: ٨ ـ ٩.
(١٨٤) الزخرف: ١٧.
(١٨٥) النحل: ٥٨ ـ ٥٩.
(١٨٦) المائدة: ٩٠.
(١٨٧) الأنعام: ١٥١.
(١٨٨) الإسراء: ٣١.

عن الدعارة. فقد روى البخاري[١٨٩] وأبو داود[١٩٠] عن عائشة (رضي الله عنها) انها قالت إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فكان منها نكاح الناس اليوم... ونكاح الاستبضاع، وهو أن يصيب الرجل الأجنبي امرأة غيره في طهر لم يجامعها فيه زوجها ولا يقربها زوجها حتى يتبين حملها، ونكاح الرهط، وهو أن يجتمع الرهط دون العشرة، فيصيب كل منهم امرأة غيره، فعندما تضع حملها ترسل إليهم فيجتمعون عندها، فتلحق المولود بمن تريد منهم، ونكاح رابع، وهو أن يجتمع الرجال الكثير على المرأة التي تنصب راية على بيتها، فإذا حملت فوضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرونه أكثر شبهاً به. وقد أبطل الإسلام كل هذه الأنكحة ما عدا نكاح الناس اليوم. ولم يكن يحس بعضهم بعار هذه الممارسات، فقد روى الشيخان[١٩١] أن رجلا قام فقال: «يارسول الله: إن فلانا ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «لا دعوة في الإسلام. ذهب أمر الجاهلية. الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وسيأتي ذكر قصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة ـ وهو عبدالرحمن بن زمعة ـ في فقه عمرة القضاء.

وكانوا يجمعون بين الاختين، ويتزوجون بزوجات آبائهم إذا طلقت أو ماتوا عنهن. وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾[١٩٢]، ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء...﴾[١٩٣].

ولم يكن للطلاق عدد معين[١٩٤]، فحدده الإسلام باثنتين، كما في قوله تعالى: (الطلاق مرتان)[١٩٥].

---

(١٨٩) الفتح: (١٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢/ ح ٥١٢٧).
(١٩٠) السنن (٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣/ك. الطلاق/ ب. في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية/ح ٢٢٧٢) وإسناده حسن إلى عائشة (رضي الله عنها).
(١٩١) البخاري/ الفتح (٩/ ١٣٨/ ح ٢٠٥٣)، ومسلم (٢/ ١٠٨٠/ ح ١٤٥٧)، وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم.
(١٩٢) النساء: ٢٣.
(١٩٣) النساء: ٢٢.
(١٩٤) أبوداود: السنن (٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥/ ك. الطلاق/ ب. نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاثة/ ح ٢١٩٥) وإسناده صحيح.
(١٩٥) البقرة: ٢٢٩، وانظر كتب التفسير.

وعلى الرغم من وجود هذه الأمراض الخلقية عند عرب الجاهلية إلا أن هناك جوانب مضيئة في حياتهم السياسية والاجتماعية لا يمكن إنكارها، ولعلها كانت سببا في اختيار الله لهم لحمل رسالته إلى العالمين. ومثال ذلك أن جاهليتهم لم تكن مركبة تقوم على فلسفة معقدة يصعب إزالتها، كما كان الحال في المجتمعات الأخرى المجاورة. وكانوا أصحاب عزيمة قوية يصدقون عندما يؤمنون، وقد وصفهم القرآن بهذا في قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[١٩٦]. وكان كثير منهم يتمسك بالفضائل ويقدرون من يتصف بمكارم الأخلاق، كما كان موقفهم من الرسول ﷺ في هذا الجانب بالذات، وهو موقف عبر عنه أبوسفيان في حديثه المشهور لهرقل، كما سيأتي.

وكانوا من أصفى الناس ذهنا، وتحكى في ذلك الحقائق والغرائب، فقد ذكر ابن عبدالبر[١٩٧]، أن ابن شهاب الزهري كان يقول: «إني لأمر بالبقيع فأسد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته»، وقال ابن عبدالبر[١٩٨] أيضا: «كان أحدهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة. وقد جاء أن ابن عباس (رضي الله عنه) حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

في سمعة واحدة على ما ذكروا، وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم...».

وليس بعد هذا يستغرب عدد الأحاديث التي رواها ابن عباس وأبوهريرة، وابن مسعود، وعائشة (رضي الله عنهم). فقد روى أبو هريرة خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثا، وروى عبدالله بن عمر ألفي حديث

---

(١٩٦) الأحزاب: ٢٣.
(١٩٧) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٩) وإسناده صحيح.
(١٩٨) المرجع نفسه، ص ص ٦٩ - ٧٠.

وستمائة وثلاثين حديثا. . . إلخ[199].

وكانوا يعشقون الحرية، ولم يعرفوا الخضوع إلا لذوي الأسنان منهم، ممن تتوافر فيهم شروط النجدة والبسالة، والرجولة والصبر والحلم والأناة، وكل خصال الخير.

وعلى الرغم من عبادتهم الأوثان، إلا أنهم كانوا لا ينكرون وجود الله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله. . .﴾[200]، ﴿ولئن سألتهم من نَزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله. . .﴾[201].

وكانوا أصحاب لغة واحدة، ذات سحر وبيان، عبرت عن الإسلام أحسن تعبير.

---

(١٩٩) انظر: ابن حزم: جوامع السيرة، ص ص ٢٧٥ - ٧٦.
(٢٠٠) العنكبوت: ٦١.
(٢٠١) العنكبوت: ٦٣.

٢ ـ في خارج الجزيرة العربية:

أ ـ جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل اليهودية:

أولاً: جوانب من الحياة الدينية:

لقد تعرضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل[٢٠٢] ومن ثم فقدتا الروح ولم تَعُودا تمثلان دورهما الأساسي في إصلاح الناس الذين جاءتا من أجلهم.

فاليهودية، بالإضافة إلى التحريف الذي حدث في أصولها، كانت ديانة أراد الله أن تكون لبني إسرائيل خاصة. غير أنها أصيبت في عقيدة التوحيد التي فضل الله بها بني إسرائيل على أهل زمانهم، إذ اقتبس اليهود كثيرا من العقائد والتقاليد الوثنية الجاهلية للأمم التي جاوروها أو سيطروا عليها أو عاشوا وسطها. وقد اعترف بهذه الحقيقة مؤرخو اليهود المنصفون. ومثال ذلك ما جاء في دائرة المعارف اليهودية[٢٠٣] مامعناه:

---

(٢٠٢) لقد ذكر القرآن الكريم في عدة آيات مجالات تحريفهم وافترائهم واقرأ عن هذا التحريف والتبديل في مثل الكتب أو الأبحاث الآتية:

أ) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة للدكتور موريس بوكاي.

ب) الصراع بين الدين والعلم للكاتب الأوروبي الشهير دريبر:

ج) التوراة للدكتور مصطفى محمود ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٢م.

د) أسطورة تجسد الإله في المسيح ـ تحرير سبعة من أساتذة اللاهوت البريطانيين على رأسهم الأستاذ الدكتور جون هك، أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام. والكتاب من مائتي صفحة من القطع المتوسط، مقسمة على عشرة فصول. صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٧ بلندن.

هـ) مجلة كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ العدد الأول ١٣٩٧/١٣٩٨هـ، ص ص ٢٧ ـ ٦٦ ـ بحث بعنوان «تحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها» بقلم الدكتور/ محمد أبوالغيط الفرت.

و) الرد الصحيح على من بدل دين المسيح لابن تيمية.

ز) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، خاصة الجزء الأول والثاني.

ح) إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

ط) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد التنير.

(٢٠٣) نقلا عن الدكتور الفرت في بحثه المشار إليه في الفقره (هـ) من الحاشية (٢٠٢).

«إن سخط الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان تدل على أن عبادة الأوثان والآلهة كانت قد تسربت إلى نفوس الإسرائيليين، ولم تستأصل شأفتها إلى أيام رجوعهم من الجلاء والنفي في بابل، وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة، وإن التلمود[٢٠٤] أيضا يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود. . .».

هذا بالإضافة إلى أن توراتهم وتلمودهم قد طفحا بأوصاف ونعوت لا تليق بذات الله ووحيه وأنبيائه ورسالاتهم.

فتراهم في توراتهم المحرفة وعهدهم القديم[٢٠٥] - مثلا - يذكرون أن الله قد تعب في اليوم السادس وهو يخلق الكون، واستراح في اليوم السابع، وبارك اليوم السابع وقدسه لأنه استراح فيه من جميع أعماله[٢٠٦]. ولذلك كان تحريم اليهود للعمل يوم السبت.

وجاء في عهدهم القديم في قصة آدم وزوجه حواء (عليهما السلام): «وسمعنا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة، عند هبوب رياح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟. .»

وهكذا يصورون الله وكأنه بشر لا يعرف ما يحدث في حديقة منزله[٢٠٧].

وقد أعقب هذا قولهم إن آدم عندما أكل من شجرة المعرفة ارتفع بهذا العصيان إلى مراتب الآلهة، وأدرك الخير والشر، على الرغم من أن الرب

---

(٢٠٤) هو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم، وهو مجموع حواشي وشروح كتاب المشنا (الشريعة) لعلماء اليهود في عصور مختلفة، انظر في ذلك: التلمود - تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان.

(٢٠٥) فيما سيرد من معلومات توارتية، انظر: التوراة السامرية - ترجمة الكاهن السامري: أبوالحسن إسحق الصوري - نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا - نشر دار الأنصار المصرية.

(٢٠٦) انظر: سفر التكوين: الإصحاح الثاني.

(٢٠٧) سفر التكوين: الإصحاح الثالث. وقارن هذا بتصور الإسلام لله تعالى في قوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ - (يونس: آية ٦١) - وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ - (قاف: آية ١٦).

عندما خلقه كان حريصا على بقائه جاهلا بها. وعندما خشي الرب على ازدياد تمرد آدم واستفحال أمره، أخرجه وزوجه من الجنة حتى لا تمتد أيديهما إلى شجرة الحياة فيكتب لهما الخلود[٢٠٨]. ولم ترضه أيضا سيرة آدم وأبنائه في الأرض، لأنه فوجئ بهم يملؤونها بالشرور والآثام، فحزن وتأسف على خلقهم[٢٠٩].

والله في كتابهم المقدس يندم على إغراق الأرض بالطوفان[٢١٠]. ويقبل ضيافة نبيه إبراهيم، ويأتي إلى منزله بصحبة اثنين من ملائكته ويأكلون من مائدة إبراهيم الدسمة[٢١١].

والله في توراتهم المحرفة يدخل في عراك ومصارعة مع عبده ونبيه يعقوب، دامت ليلة كاملة. وعندما أوشك يعقوب أن ينتصر عليه، لجأ إلى خدعة مكنته من كسب الجولة والغلبة، وهي أنه ضرب حق فخذ يعقوب حتى انخلع. وعلى الرغم من ذلك لم يتركه يعقوب إلا بعد أن باركه ونال منه لقب إسرائيل[٢١٢].

والله في توراتهم إله خاص بهم: لا يحب غيرهم، لأنهم شعبه المختار. وأن الأمم الأخرى فهي كالأغنام لا يأبه بها الإله[٢١٣]. ويبنون كراهيتهم للأجناس الأخرى، وعلى رأسهم العرب، على أساس من دينهم المحرف. فتراهم يذكرون في توراتهم قصة يزعمون فيها أن نوحا ـ نبي الله ـ سكر حتى استلقى وانكشفت سوأته، ولما رآه ابنه حام ـ أبوكنعان ـ ضحك منه وفضحه عند أخويه سام ويافث، اللذين ستراه دون النظر إلى عورته. وعندما أفاق نوح من سكرته، وعلم بما حدث من ابنه الأصغر حام، استنزل عليه لعنة الله قائلا:

«ملعون كنعان عبدالعبيد يكون لإخوته. مبارك الرب إله سام، وليكن

---

(٢٠٨) سفر التكوين: الإصحاح الثالث.
(٢٠٩) سفر التكوين: الإصحاح السادس.
(٢١٠) سفر التكوين: الإصحاح التاسع.
(٢١١) سفر التكوين: الإصحاح الثامن.
(٢١٢) سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثين.
(٢١٣) الإصحاح السابع والإصحاح السادس.

كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم. . »[٢١٤].

وظاهر في هذه القصة إرادة اليهود استعباد الكنعانيين أبناء حام ـ وهم لا ذنب لهم ـ وتزكية الإسرائيليين أبناء سام.

وكما صور اليهود نوحا سكيرا ليصلوا إلى أهداف معينة، تراهم أيضا يصورون لوطا سكيرا وعاهرا يزني بابنتيه في حالة سكر، وتحبلان منه وتلدان. وزعموا أن ابن البنت البكر عرف بـ (مؤاب)، أبو المؤابيين إلى اليوم[٢١٥]، ليصلوا بذلك إلى هدف واضح أيضا وهو تجريح أعدائهم الموابيين، وكل ذلك باسم الوحي.

وصدق الله العظيم الذي قال في القرآن الكريم:

﴿. . . وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[٢١٦]. ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبتْ أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[٢١٧].

وتدّعي توراتهم أن كل النساء غير اليهوديات مومسات. ويستحق القتل كل الجوييم[٢١٨] ـ غير اليهود ـ حتى ذوو الفضل منهم. وأن من يقتل غير اليهودي يقدم قربانا للرب[٢١٩].

هل يمكن أن يكون هذا كتابا إلهيا مقدسا لتعريف البشر بالله وهدايتهم إلى طريقه؟!

إن هذا الإعتقاد الباطل هو الذي جعلهم لا يبالون بكل القيم في سبيل

---

(٢١٤) سفر التكوين: الإصحاح التاسع ـ وانظر: الملل والنحل لابن حزم، ج ١، ص ١٢٣.
(٢١٥) سفر التكوين: الإصحاح التاسع عشر.
(٢١٦) آل عمران: آية ٧٨.
(٢١٧) البقرة: ٧٩.
(٢١٨) ومعناها عندهم: العبيد أو الحمير.
(٢١٩) انظر: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة الدكتور/ عبدالحليم عويس. طبعة النادي الأدبي بالرياض ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص ص ١٢١ ـ ١٢٢.

الوصول إلى أهدافهم كما هو واضح من بروتكولات حكماء صهيون. ولا يبالون في وصف أنبياء الله بأوصاف لا تليق بهم كما قلنا. فهاهم مثلا - يصورون إبراهيم (عليه السلام) ديوثا في سبيل حرصه على الحياة والمنافع الدنيوية. فيذكرون في توراتهم أنه أغرى زوجته سارة بالذهاب إلى بيت فرعون بصفتها أخت إبراهيم من أجل الحصول على حظيرة من الغنم والحمير، قال لها «قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك..»[٢٢٠].

ويصورون يعقوب (عليه السلام) بأنه محتال، سرق النبوة من أخيه البكر بأسلوب قذر[٢٢١].

ويصورون ابنة يعقوب المسماة «دينة» بأنها زانية، زنا بها ابن رئيس المدينة المجاورة[٢٢٢].

ويقولون في تلمودهم بأن عيسى بن مريم (عليه السلام) ابن غير شرعي، حملته أمه سفاحا وهي حائض، من العسكري «باندارا»، وإنه كذاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثني. ووصف تلمودهم المسيحيين بأنهم ليسوا أكثر من خرق حيض المرأة التي تُرمَى في القاذورات، وأنّهم وثنيون وقتلة وفسقة وحيوانات قذرة وحمير وخنازير وكلاب[٢٢٣].

ويصورون نبيهم داود يزني بامرأة أحد ضباطه، وتحبل منه، وذلك عندما رآها على السطوح فأعجبه جمالها، وأرسل الضابط إلى ميادين القتال ليهلك، ومن ثم يتزوج هو زوجته[٢٢٤].

أي بشاعة هذه؟ إن هذا الكلام لا يمكن أو يعقل أن يكون من عند الله، وبالتالي لا يمكن أن يكون صالحا لهداية البشرية.

لقد حكى القرآن الكريم عن جوانب كثيرة من تفكير اليهود الديني

---

(٢٢٠) سفر التكوين: الإصحاح الحادي والعشرون.

(٢٢١) انظر سفر التكوين: الإصحاح السابع والعشرون.

(٢٢٢) انظر القصة كاملة في سفر التكوين: الإصحاح الرابع والثلاثين.

(٢٢٣) انظر: التوراة للدكتور مصطفى محمود، مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٧ - ٧٠.

(٢٢٤) انظر: ثقافة المسلم في وجه التحديات المعاصرة للدكتور/ عبدالحليم عويس، مرجع سابق.

وموقفهم من كتابهم ورسلهم. ومن ذلك ماحكاه عن:

ميلهم إلى الوثنية على الرغم من وجود نبيهم موسى (عليه السلام) بينهم، فقد قالوا له: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾[٢٢٥] وعندما عاد إليهم موسى بعد ملاقاة ربه، وجدهم عاكفين على عبادة عجل، قائلين: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾[٢٢٦].

. وعدم تخليهم عن شغفهم بالوثنية بعد موسى، كما قال تعالى ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون... وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم...﴾[٢٢٧].

وذكر القرآن نوعا من تعنتهم مع موسى، ويتمثل ذلك في قولهم له ﴿أرنا الله جهرة﴾[٢٢٨]، وذكر نوعا من سوء أدبهم مع الله، فقال: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم﴾. [المائدة: الآية ٦٤].

ونسبهم بنوة البشر لله تعالى، قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾[٢٢٩].

وألهوا أحبارهم، كما قال تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾[٢٣٠].

وعدم تورعهم في تحريف كلام الله كما حكى عنهم القرآن في الآية ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون﴾[٢٣١]، وفي الآية ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾[٢٣٢].

---

(٢٢٥) الأعراف: ١٣٨.
(٢٢٦) طه: ٩١ وانظر القصة في سورة طه الآيات ٨٣ ـ ٩٧.
(٢٢٧) البقـرة: ٩٢، ٩٣.
(٢٢٨) النسـاء: ١٥٣.
(٢٢٩) التوبـة: ٣٠.
(٢٣٠) التوبـة: ٣١.
(٢٣١) البقـرة: ٧٩.
(٢٣٢) البقـرة: ٧٥.

ومما حكاه القرآن عن موقفهم من رسلهم قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾[٢٣٣] وقوله تعالى: ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾[٢٣٤] وقوله: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾[٢٣٥].

ويتضح لك مما سقناه من أدلة من كتب اليهود ومن كتاب الله إلى أي درك وصلت هذه الديانة على أيدي هؤلاء البشر.

ثانيا: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات اليهودية:

إن الله تعالى لا يرضى لدينه أن يكون عنصريا بعيدا عن الإنسانية، ولكن اليهود بدلوا دين الله وجعلوه عنصريا لا يحمل للإنسانية رحمة، وافتروا على أنبياء الله تعالى ووصفوهم بكل النقائص والرذائل البشرية كما رأينا. ولهذا فلا غرابة أن يعيشوا في صراع وفتن مع الشعوب غير اليهودية إلى يومنا هذا.

ففي القرن السابع الميلادي بالذات، أوقعوا بين المسيحيين في أنطاكية والقائد الفارسي فوكاس، مما ترتب عليه وقوع مذابح فظيعة في نصارى أنطاكية. وساعدوا جيوش الفرس في محاربة نصارى الشام وقتلوا بأنفسهم النصارى في الشام مثلما حدث في صور. وكان جزاؤهم أن عاقبهم هرقل ملك الروم عقوبة قاسية عندما علم بما ارتكبوه من مآسٍ في حق النصارى بالشام[٢٣٦].

لقد وصفهم القرآن الكريم وصفا دقيقا يصور ماكانوا عليه في القرنين السادس والسابع الميلاديين من تدهور خلقي وانحطاط نفسي وفساد اجتماعي جعلهم غير أهل لإمامة الأمم وقيادتها. ومن ذلك قول الله تعالى فيهم: ﴿... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله

(٢٣٣) البقرة: ٨٧.
(٢٣٤) البقرة: ٦١.
(٢٣٥) البقرة: ٩١.
(٢٣٦) المقريزي: الخطط المقريزية (٤/٣٩٢ ومابعدها).

الكذب وهم يعلمون﴾(٢٣٧).

وقد ذاق العرب في يثرب الويلات نتيجة لحرص اليهود على إثارة الفرقة والحروب بين الأوس والخزرج واحتكارهم التجارة وتسخير العرب في مصالحهم الاقتصادية. وعادوا الرسول ﷺ وكادوا له كيدا عظيما، ومكروا به كثيرا، ولكن الله مكر بهم وكانت مشيئة الله أن أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة وأجلاهم عمر (رضي الله عنه) عن الجزيرة العربية تنظيفا للمجتمع الإسلامي من شرورهم وآثامهم(٢٣٨).

ب ـ جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المسيحية:

أولا : الحياة الدينية:

وكذلك المسيحية، فبالإضافة إلى ما لحق بها من تحريف(٢٣٩)، فقد شابتها

---

(٢٣٧) آل عمران: ٧٥.

(٢٣٨) انظر تفاصيل مواقفهم من الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث وكتب السيرة القديمة والحديثة، مثل: سيرة ابن إسحق. وعيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس، وفقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي، وفقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.. الخ.
وسيأتي بيان ذلك في مكانه من الكتاب واقرأ الآيات ٤٠ ـ ٤٤ وما بعدها من سورة البقرة.
* إضافة إلى ما ذكره القرآن الكريم وماجاء في كتب السنة والمغازي والتاريخ القديمة من إشارة إلى هذا التحريف

(٢٣٩) قام الدكتور محمد أبوالغيط في بحثه الذي سبق الإشارة إليه بتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين (وهي: إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا) ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها، وخرج بنتيجة هامة يقول فيها:
«عرضنا فيما تقدم حديثا عن تاريخ الأناجيل المعتمدة عند النصارى ومقدار صلتها بأصحابها وتبين أن (متى) الحواري تكاد الصلة أن تنقطع بينه وبين الإنجيل الحالي، حيث دخلته شخصية مترجمة من العبرية إلى اليونانية ولم نتحقق بالضبط كما لم يتحقق الناقدون المدققون هل المترجم أضاف جديدا إلى ترجمته وأدخل فيها من الحواشي والتفسيرات ما أدخل أم أنه كان أمينا بصيرا في قيامه بالترجمة.
ثم إن فقدان الأصل العبري قبل ظهور الترجمة وإخفاء اسم ذلك المترجم ينقص كثيرا من وزن ذلك الإنجيل مع الترجيح بأنه من عمل أحد أتباع (متى) العشار كما سبق تحقيق ذلك.
كما تقرر أيضا أن (مرقس) لم يكن من الحواريين، وأنه كتب إنجيله عن معلمه (بطرس). وأن إنجيل (لوقا) لم يتعد أن يكون رسالة أخذ يسرد فيها وقائع الأحداث التي علمها ممن سبقه مستخلصة من حقائق مغلوطة بالتزييف مشوبة بالهوى تحتاج في استخلاصها إلى ضابط يقود زمام الفكر ودقة البحث مع فقدان الضابط فضلا عن كون (لوقا) ليس من الحواريين والتلاميذ مع كونه في الوقت نفسه تلميذا لبولس المتهم بتحريف الديانة النصرانية.
كما تبين لنا أيضا حال (يوحنا) والشك في كون الإنجيل من وضعه مؤكدا ذلك بالشواهد المذكورة عند الكلام عنه مع ميلنا إلى أنه من وضعه في أخريات حياته المشبعة بالفلسفة والفكر الهليني.
==

ألوان شتى من الوثنية والخرافات اليونانية والرومانية، اضمحلت في جانبها تعاليم المسيح الميسرة، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية تحول بين الإنسان والعلم والفكر والمنطق. ومن الأدلة الواضحة على ذلك ما ذكره باكستر الأوروبي[٢٤٠]، والذي ترجمته:

«لقد انتهت الوثنية، ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل إنها تغلغلت في النفوس واستمر كل شيء فيها باسم المسيحية وفي ستارها، فالذين تجردوا عن آلهتهم وأبطالهم وتخلوا عنهم أخذوا شهيدا من شهدائهم ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تمثالا. وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأوثان إلى هؤلاء الشهداء المحليين، ولم ينته هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقا وسطا بين الله والإنسان، ويحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزا لقداسة القرون الوسطى ووعيها وطهرها. وغيرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام ٤٠٠ ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح».

وما ذكره الدكتور أبوالغيط[٢٤١] في كلامه عن الوثنية في المسيحية ختمه بقوله:

== وأضيف إلى ذلك أن حواري المسيح كانوا لا يفهمون في كثير من الأحيان إلا بالأمثال، لما كان يصطبغ به في كلامه بالرمزية في كثير من مخاطباته. فإذا أخذنا كل ذلك وغيره في اعتبارنا علمنا علم اليقين أن هذه الأناجيل بعيدة كل البعد عن الإلهام وليس بينها وبين السماء أدنى صلة، ويحق لنا بعد ذلك أن نقول: إن هذه الأناجيل لا تتصل بإنجيل المسيح إلا بخيط أوهى من خيط العنكبوت، وإنها لذلك ليست على شيء باستثناء فقرات مقتبسة من تعاليم المسيح أودعت هذه الأناجيل من ذكريات مؤلفيها لتكون شاهد حق ومعالم صدق للنبي الخاتم محمد ﷺ ولكتابه الكامل كتاب الله العزيز. وعقد ابن حزم الظاهري في كتابه (الملل والنحل، ج ١، ص ١١٦) فصلا عن المتناقضات الظاهرة والأكاذيب الواضحة في التوراة والأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى. فانظره.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلا: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وقصة الحضارة لديورانت... إلخ.

(٢٤٠) Rev. James Houstom Baxter: History of Christianity in the Light of Modern Knowledge, Glasgo, 1926, p.407.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلاً: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي وقصة الحضارة لديورانت.

(٢٤١) مرجع سبق ذكره، ص ٦٠

«.. وهكذا كانت عبادة الأوثان في عصور الاضطهاد هذه يرتفع سوقها وينخفض تبعا لتأييد النصارى للحكام الرومانيين وإقبالهم على تلبية رغباتهم في الولاء لتمثال القيصر، ومن يتباطأ عن ذلك كان مصيره الحرق والهدم والتدمير كما يقول بذلك التاريخ المسيحي كله، حتى طأطأت المسيحية رأسها أخيرا للوثنية وغطرستها بعد طول التجاذب والصراع بينهما. فحيثما دخلت المسيحية بلدا ووجدت أهلها مقيمين على الوثنية أقروهم على عبادتهم بالإضافة إلى المعتقدات المسيحية».

وابتدع النصارى الرهبانية، وأدخلوا في أناجيلهم ما لا تستسيغه الأفهام. فابن حزم ـ أحد رواد علم مقارنة الأديان ـ انتهى إلى نتائج خطيرة عندما درس المصادر الأصلية للمسيحية. ومن مناقشاته للنصارى في عقيدتهم قوله:

«.. وقالت (اليعقوبية) إن المسيح هو الله تعالى نفسه وإن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ مات وصلب وقتل، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان. وإن الله تعالى عاد محدثا وإن المحدث عاد قديما وإنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به..».

«ولولا ان الله تعالى وصف قولهم في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم..﴾ (المائدة/ ٧٢) وإذ يقول الله تعالى حاكيا عنهم: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة/ ٧٣) وإذ يقول تعالى ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (المائدة/ ١١٦)، لولا ذلك لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف. وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون. ونعوذ بالله من الخذلان..».

ويقول في دحض هذا القول:

«.. ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السماوات والأرض، وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التي كان فيها ميتا.. ثم يقال للقائلين بأن الباريء تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس. أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق

أن يكون أحدهما يسمى أبا والثاني ابنا وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد وإن كان منها هو الآخر فالأب هو الابن والابن هو الأب وهذا هو عين التخليط. وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه: «سأقعد عن يمين أبي»، وبقولهم إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده وإن الابن لا يعلمها، فهذا يوجب أن الابن ليس هو الأب. . وإن كانت الثلاثة متغايرة ـ وهم لا يقولون بهذا ـ فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص، به وجب أن ينحط عن درجة الأب. والنقص ليس من صفة الذي لم يزل. . »[٢٤٢].

وخلاصة قول ابن حزم[٢٤٣] في عقيدتهم التي جاءت في أناجيلهم: «فهذه سبعون فصلا من أناجيلهم من كذب بحت ومناقضة لا حيلة فيها، ومنها فصول يجمع الفصل من ثلاث كذبات فأقل على قلة مقدار أناجيلهم.

وجملة أمرهم في المسيح (عليه السلام) أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف وابن داوود وابن الإنسان، ومرة هو إله يخلق ويرزق، ومرة هو خروف الله، ومرة هو في الله والله فيه، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه، ومرة هو علم الله وقدرته، ومرة لا يحتكم على أحد ولا ينفذ إرادته، ومرة هو نبي وغلام الله، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولاه هو وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ويعطش ويشرب ويعرق من الخوف ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينا يأكله، ويفشل فيركب حماره ويأخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة، ويزق في وجهه ويضرب ظهره بالسياط ويميته الشرط، ويتهكمون به ويسقى الخل في الحنظل ويصلب بين سارقين ويسمر يداه ومات الساعة ودفن ثم يحيا بعد الموت ولم يكن له هم إذا حيي بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه الخبز والحوت المشوي، وسقوه العسل، ثم انطلق إلى شغله. . ».

---

(٢٤٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٤٩ وما بعدها.
(٢٤٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦٩.

ثم أخذ ابن حزم في بيان الكذب والكفر والهوس الذي جاء في كتبهم غير الأناجيل[٢٤٤] إن هذا المآل الذي آلت إليه المسيحية واليهودية، اقتضى أن يرسل الله رسولاً آخر، هو محمد بن عبدالله (عليه الصلاة والسلام)، لإنقاذ البشرية من هذا الضلال، ويكون الدين الخاتم لكل البشرية بعد أن أعدت لتلقيه.

ثانيا: الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات النصرانية:

حل القرن السادس الميلادي والحرب قائمة بين نصارى الشام والدولة الرومانية وبين نصارى مصر، أو بين الملكانية ـ التي يمثلها حزب الدولة ـ والمنوفيسية ـ التي يمثلها حزب القبط ـ بعبارة أخرى، وذلك لاختلافهم حول حقيقة وطبيعة المسيح (عليه السلام) إذ يعتقد الملكانية في ازدواج طبيعة المسيح بينما يعتقد المنوفيسيون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة. وأصبح العالم المسيحي في شغل بنفسه عن محاربة الفساد والإصلاح ودعوة الأمم إلى الخير. وابتلي القبط بمصر لاعتقادهم المخالف لاعتقاد الدولة[٢٤٥].

وفي الدولة الرومانية الشرقية ـ بالذات ـ ساءت أحوال الناس حتى فضلوا الحكومات الأجنبية على حكوماتهم. وقامت فتن وثورات. وقد هلك في عام **٥٣٢**م ـ مثلا ـ في اضطراب واحد ثلاثون ألف شخص في القسطنطينية[٢٤٦] وأمعنوا في أساليب التسلية التي وصلت إلى حد الوحشية[٢٤٧].

وفي مصر البيزنطية ساد الاضطهاد الديني والاستبداد السياسي والبؤس والفقر إذ كانت شاتهم الحلوب التي يحسنون حلبها ويسيئون علفها. ولم ينقذ المصريين من هذا الحال إلا المسلمون، كما يعترف بذلك من ينتسبون إلى النصرانية، أمثال غوستاف لوبون[٢٤٨]

---

(٢٤٤) انظر ذلك في: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢ / ٦٩ وما بعدها.
(٢٤٥) انظر: بتلر: فتح العرب لمصر: تعريب محمد فريد أبوحديد، ص ص ٣٧ ـ ٣٨، ٤٧.
(٢٤٦) انظر: دائرة المعارف البريطانية، مادة: جستنيان.
(٢٤٧) انظر: إدوارد جيبون: إنحطاط الدولة الرومانية وسقوطها ـ ترجمة محمد علي أبودرة ص ص ٣ ـ ٥.
(٢٤٨) حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٥٨.

وفي سورية البيزنطية سادت المظالم إلى الحد الذي اضطر كثيراً من السوريين لبيع أبنائهم ليوفوا ديونهم[٢٤٩].

أما الأمم الأوروبية في الغرب والشمال فكانت تعيش حروبا دامية وجهلا مطبقا وغلوا في الدين. وكانوا يبحثون في قضايا مثل: هل المرأة حيوان أم إنسان، وهل لها روح خالدة أم لا؟ وهل لها حق الملكية والبيع والشراء؟.. إلخ[٢٥٠].

جـ ـ جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

أولا: الحياة الدينية:

لقد شاع في إيران قبل ظهور زرادشت[٢٥١]، الاعتقاد بألوهية «ميثرا» و«بيما» و«آشاه»، وظل ذلك حتى بعد ظهور الزرادشتية، التي تأثرت بهذه الديانة الوثنية القديمة، التي تقدس بعض العناصر الطبيعية، مثل: النار والكواكب، ويعبد فيها آلهة متعددة.

أما الزرادشتية في أصلها فقد كانت حربا على عقيدة ميثرا وبيما وآشاه، تلك العقيدة الوثنية[٢٥٢]، إذ كان من أبرز مبادىء الزرادشتية دعوة الناس إلى عبادة إله واحد وهجر الوثنية والصابئية التي كانت تتمثل في عبادة بعض الكواكب وغيرها من القوى الطبيعية[٢٥٣]، والدعوة إلى تقديس عنصري الشمس والنار على أنهما رمزان لتلك القوة الواحدة التي لا تفتأ تفيض رحمة ونورا وعطفا وطهوراً وتعمل على إنقاذ الإنسان من البلاء[٢٥٤]، وتقديس التراب والماء والهواء لأهميتهما

---

(٢٤٩) انظر: محمد كردعلي: خطط الشام، (١/١٠١).

(٢٥٠) السيرة النبوية، ص ص ١٨ ـ ١٩، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٤.

(٢٥١) هو نبي قدماء الايرانيين. انظر سيرته في كتاب: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٧٧ ـ ٨٠)، وكتاب: زرادشت الحكيم نبي قدامي الإيرانيين، حياته وفلسفته لحامد عبدالقادر، الكتاب رقم (١) من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. وخلاصة القول فيها عنده أن الزرادشتية لم تكن في الأصل وثنية، بل كانت توحيدية تؤمن بإله واحد وتكفر بالشيطان وتؤمن بالثواب والعقاب وتدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (انظر بالذات الفصل الثالث عشر، ص ص ٧٩ ـ ١١٠) الديانة الزرادشتية) وانظر كذلك: الطبري: التاريخ (١/٥٤٠ ـ ٦١).

(٢٥٢) انظر الشهرستاني (٢/٧٧) وانظر: زرادشت الحكيم: المرجع نفسه، ص ٨٠.

(٢٥٣) المرجع والمكان نفساهما.

(٢٥٤) المرجع نفسه، ص ٨٦.

في حياة الإنسان.

وبعد موت زرادشت، ظهرت فرقة المجوس(٢٥٥) الذين يعبدون النار ويرونها إلها ويستعملونها في شعائرهم الدينية متناسين أنها كانت فقط رمزا للضعفاء، حتى أصبحوا يعرفون بأنهم عبدة النار، وأحيانا كهنة المجوسية. ومن الطقوس التي كانت موجودة من قبل زرادشت: عبادة الأصنام وتقديم القرابين، وبخاصة للإله (ميثرا) الذي أصبح أبرز الآلهة(٢٥٦).

ولما غزا الإسكندر المقدوني بلاد إيران في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، اختفت الزرادشتية ولم تظهر إلا بعد خمسة قرون عندما قامت الدولة الساسانية التي حاولت العودة إلى الزرادشتية باعتبارها جزءا من تراث إيران، ولكن الزرادشتية الساسانية كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهات زرادشت، وكانت تحقق أهداف الملوك وطغيان الكهنة(٢٥٧).

وفي القرن الثالث قبل الميلاد ظهر «ماني» بمذهبه الذي كان مزيجا من الزرادشتية والمسيحية والديصانية(٢٥٨) وعده الزرادشتيون ملحدا خارجا عن الزرادشتية الدين الحق ـ أي عدوه زنديقا ـ لأن ديانته ثنوية صريحة، إذ تقول بوجود كائن ثنائي الطبيعة، وبوجود مبدأ أو كائنين يسيطران على العالم، هما: مبدأ النور ومبدأ الظلام. الأول مصدر الخير والثاني مصدر الشر، ولكل منهما قدرة على الإدراك(٢٥٩) وعند امتزاج هذين الكائنين نشأ الكون بما فيه من ظواهر وحوادث وأجسام كثيفة وكائنات حية..(٢٦٠) ويرون أن كل من يساعد على إطالة أمد امتزاج النور بالظلام هو شر كله، وفي مقدمة ذلك: الزواج والتناسل، ولذلك رأوا أن من والواجب أن يسلك الإنسان مسلك العزلة

(٢٥٥) يفرق حامد عبدالقادر بين الزرادشتية والمجوسية تفريقا واضحا تميز به عن كثير غيره ممن كتب عن الديانات الإيرانية القديمة (انظره في ص ص ١١٥ ـ ١١٨).

(٢٥٦) انظر: آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ـ ترجمة يحيى الخشاب، ص ص ١٩ ـ ٢٩، والدكتور أحمد شلبي: الإسلام ـ سلسلة مقارنة الأديان رقم (٣)، ص ٤١.

(٢٥٧) المرجع نفسه، ص ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢٥٨) نسبة إلى واضع أسسها ابن ديصان ـ سيأتي ذكرها ـ.

(٢٥٩) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨١) وما بعدها، وانظر: زرادشت، المرجع السابق، ص ١٢٥، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية للدكتور/ عبدالله سلوم السامرائي. رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٤.

(٢٦٠) الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٤)؛ زرادشت، المرجع السابق، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

والرهبنة وأن يقطع دابر التناسل حتى يفنى العالم المادي ويتخلص النور من الظلام.

وفي سنة ٢٧٦م، قتله الملك الإيراني (بهرام بن هرمز بن شابور)، وقال عنه: «إن هذا الرجل قد جاء يدعو الناس إلى تدمير الكون، فالواجب أن يبدأ بتدمير نفسه»[٢٦١].

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد استمرت المانوية وتحولت إلى حركة سرية، وبقيت كذلك في الفترة الإسلامية[٢٦٢].

وظهر مزدك في أواخر القرن الخامس الميلادي (٤٧٨ م) وسار على تعاليم ماني، معلنا شيوعية المال والنساء[٢٦٣].

وأخذ الملك الإيراني قباذ بآراء مزدك وطبقها في المجتمع في السنوات العشر الأولى من حكمه، وعندما وقف على بطلانها وحقيقتها تحول عنها وقتل مزدكاً وأوقع بأنصارها سنة ٥٢٩م، فتحولوا إلى العمل السري أيام الدولة الساسانية. ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية[٢٦٤].

وظهرت في إيران كذلك الديانة المرقونية ـ نسبة إلى واضع أسسها «مرقيون»[٢٦٥] وعقيدتها ثنوية، لزعمهم أن النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر[٢٦٦]. وتأثرت بالزرادشتية والمسيحية.

وكذلك ظهرت في إيران الديانة الديصانية. وهي من الديانات الثنوية. وذهبت إلى ما ذهبت إليه المرقونية من وجود عالم ثالث إضافة إلى النور والظلمة، مهمته أن يفصل بين عالم النور وعالم الظلمة، ولم توضح كيفية وجود

---

(٢٦١) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨١)، زرادشت: المرجع نفسه، ص ص ١٣٠ - ١٣٢، الإسلام لأحمد شلبي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ١٦٩ ـ ١٩٥ الفصل الذي بعنوان: النبي ماني ومذهبه»، وهو الفصل الرابع.

(٢٦٢) انظر طرفا من سيرتها في هذه الفترة في كتاب: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ص ٢٤ ـ ٢٥ وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦).

(٢٦٣) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦)، والغلو والفرق الغالية، ص ٢٥، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٤٨ ـ ٤٩. الدكتور شلبي: الإسلام، ص ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٢٦٤) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦) والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ٢٦.

(٢٦٥) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦) والغلو والفرق الغالية المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٢٦٦) الشهرستاني: المرجع والمكان نفسيهما، الغلو والفرق الغالية، المرجع والمكان نفسيهما.

هذا العالم الثالث[٢٦٧]. وابن ديصان الذي تنسب إليه هذه النحلة أول من مهد لفكرة الحلول، حيث زعم أن نور الله قد حل قلبه[٢٦٨].

ثانيا: الحياة السياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

لقد شاع الفساد في إيران في ظل دياناتها الوثنية القديمة التي سبقت الزرادشتية، خاصة سكان البادية، فقد كان بعضهم يعتدي على بعض بالسلب والنهب وإزهاق الأرواح[٢٦٩].

وعندما جاءت الزرادشتية حاولت القضاء على هذه المفاسد، ولكن إلى حين، وذلك لظهور عقائد أخرى مثل المانوية، والمزدكية.

وفي ظل المجوسية المنبثقة عن الزرادشتية، وفي ظل بقايا المانوية والمزدكية والديانات الإيرانية القديمة عاشت إيران في فوضى أخلاقية وتشتت عقدي وحروب دامية داخلية، وخارجية. فكثيرا ما كان مقدسو النار يهزمون عبدة المسيح وينهبون أموالهم ويأسرون منهم. وأحيانا كانت الدائرة تدور على الفرس - الإيرانيين - فيغلبهم الروم.[٢٧٠].

وكان المجوس من الفرس لا يعبدون الإله الحق، ولم تتمكن الأخلاق الفاضلة في نفوسهم. وكان الأكاسرة يضطهدون الفرق الدينية المخالفة لهم في العقيدة.

ومن الممارسات الاجتماعية البارزة استحلال الزرادشتيين زواج المحارم، وقالوا «الابن أحرى بتسكين شهوة أمه، وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة»[٢٧١] ولذلك تزوج ملكهم يزدجرد الثاني - حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي - ابنته، ثم قتلها. وان بهرام جوبين - الذي ملك في القرن السادس الميلادي - كان متزوجا بأخته[٢٧٢].

(٢٦٧) انظر الشهرستاني: المرجع نفسه، (٢/٨٨)، والغلو والفرق الغالية، ص ص ٢٢ - ٢٣.
(٢٦٨) انظر الشهرستاني: المرجع نفسه (٢/٨٨ - ٨٩)، والغلو والفرق الغالية، ص ٢٣.
(٢٦٩) انظر حامد عبدالقادر: زرادشت الحكيم ص ٢٣.
(٢٧٠) انظر ابن كثير: التفسير (٦/٣٠٥ وما بعدها) في تفسير الآيات ١ - ٧ من سورة الروم، زرادشت الحكيم المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٢٧١) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.
(٢٧٢) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٢/١٧٨)، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٧. آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ٣٠٩ - ٣١١.

وحظيت الدعوة المزدكية بتأييد الشباب والأغنياء والمترفين والطبقة العامة لما صادفته من هوى في نفوسهم، وحظيت بتأثير الحاكم كما قلنا لفترة، مما كان له أكبر الأثر في نشاطها. وانغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية[٢٧٣].

وكان للإيرانيين اعتقاد في البويتات الروحية والأشراف من قومهم، إذ يرونهم فوق العامة في طينتهم، وفوق مستوى الناس في عقولهم ونفوسهم، ويمنحونهم سلطة روحية لا حدّ لها، ويخضعون لها خضوعا كاملاً.

وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تمييزا واضحا. وكان لكل طبقة مركز محدد في المجتمع[٢٧٤].

وكانوا يبالغون في تمجيد القومية الفارسية، ويرون أن لها فضلا على سائر الأجناس والأمم، وأن الله قد خصها بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحدا. وكانوا ينظرون إلى الأمم من حولهم نظرة ازدراء وامتهان، ويلقبونها بألقاب تدل على هذه النظرة[٢٧٥].

ولما كانت النار لا توحي إلى عبادها بشريعة، ولا ترسل رسلا، ولا تتدخل في شؤون حياتهم، ولا تعاقب العصاة المجرمين، فقد أصبحت الديانة عند المجوس ـ الذين حرفوا الزرادشتية الأصلية ـ عبارة عن طقوس وتقاليد تؤدى في أمكنة خاصة وفي ساعات خاصة. أما خارج المعابد، وفي دورهم وأماكن أعمالهم وفي الشارع وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك، فقد كانوا أحرارا، يسيرون على هواهم شأن المشركين في كل عصر[٢٧٦].

وهكذا حرمت الأمة الفارسية في حياتها ـ في ظل المجوسية ـ دينا عميقا جامعا

---

(٢٧٣) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٩، وانظر: الدكتور شلبي الإسلام، ص٤٢، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢٧٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٠ ـ ٥١، آرثر: المرجع السابق، ص ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧.

(٢٧٥) انظر الطبري: التاريخ (٣/ ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣)، الندوي: ماذا خسر العالم ص٥٢.

(٢٧٦) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٩٢ ـ ٩٣)، وماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

يكون مربيا ومهذبا على عمل الخيرات، ويكون نظاما لكل أنشطة الإنسان والمجتمع والدولة، وحائلا بين الناس وطغيان الحكام(٢٧٧). وهو ما وجدوه في ظل الإسلام.

وحرمت حكما رشيدا لقمع الفساد، بل كان ملوكها عنصرا أساسيا من عناصر الإفساد، لأنهم تألهوا عندما لم يعبد الناس الإله الحق. وتنافسوا على العرش حتى إن ستة منهم تولوا العرش في أشهر قليلة، وبذلك تدهورت حتى قيمة العرش وأصبحت كل موارد البلاد ملكا لملوكها الذين وصل بهم الترف والبذخ إلى حد خرافي، ومثال ذلك أن يزدجرد، آخر ملوكهم، عندما فر أمام الفتح الإسلامي، كان معه ألف طاه وألف مغن وألف قيم على النمور وألف قيم على البزاة، وحاشية أخرى، ومع ذلك كان يعتبر نفسه لاجئا حقيرا في حالة يرثى لها من قلة الحاشية وفقدان أسباب التسلية(٢٧٨). وعاش الشعب في بؤس وشقاء تثقل كاهله الضرائب والحروب(٢٧٩).

د ـ جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الصينية:

أولا: الحياة الدينية:

كانت تسود الصين في القرن السادس الميلادي ثلاث ديانات. ديانة لاتسو(٢٨٠) وديانة كونفوشيوس والبوذية. أما الأولى فقد كانت وثنية، تعني بالنظريات أكثر منها بالعمليات. وعاش أتباعها زاهدين رهبانا، فانفض عنها إلى غيرها الذين جاءوا بعد مؤسسها(٢٨١).

وأما كونفوشيوس فقد كان يعنى بالأمور العملية أكثر من النظريات، ولكن انحصرت تعاليمه في شؤون الدنيا. وكان أتباعه لا يعتقدون ـ في بعض

---

(٢٧٧) انظر: ماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٢٧٨) الندوي: السيرة النبوية ص ١٤، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين.

(٢٧٩) انظر الطبري: التاريخ (٢/ ١٥٠)، وآرثر المرجع نفسه، ص١٩٦ وما بعدها ـ الفصل الخامس.

(٢٨٠) ويرسمها بعضهم (لاوتسي) و«لوتس» ـ انظر في هذا الإسلام للدكتور شلبي مرجع سبق ذكره، ص ٤٣. ولاوتسو أسن من كونفوشيوس بنحو خمسين سنة. وقد تقابلا وتدارسا بضع مشكلات (انظر المرجع والمكان نفساهما).

(٢٨١) انظر الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٣.

الأزمنة ـ بعبادة إله معين، ويعبدون ما يشاؤون من الأشجار والأنهار(٢٨٢). واتجهوا إلى كونفوشيوس يبنون له الهياكل ويعبدونه، ويقدمون أمام تماثيله الذبائح والقرابين ويركعون لها.

وشاعت في الصين قبيل الإسلام عبادة الأرواح وبخاصة عبادة أرواح الآباء والأجداد، إذ كانوا يعتقدون أن هذه الأرواح تعيش معهم بعد وفاة أصحابها(٢٨٣).

وأما البوذية الصينية فقد فقدت حتى القدر القليل جدا من بساطتها، وابتلعتها البرهمية الثائرة الموتورة فتحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سادت، وتبني الهياكل وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت. وغمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التي ظهرت في عهد ازدهار البوذية(٢٨٤). وتسربت إلى مناهج الحياة والعبادة السحر والأوهام، وبدأت تتقهقر وتنحط بعد أن سادت ألف سنة(٢٨٥).

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

ليس في الديانات الصينية، الكونفوشيوسية أو التي سبقتها نور من يقين ولا باعث من إيمان ولاشرع سماوي يحلون به مشاكل العالم، وإنما هي حكم حكماء وتجارب خبراء، يستفيد بها الإنسان إذا شاء، ويرفضها إذا شاء(٢٨٦). ونتج عن ذلك ـ مثلا ـ تمجيد الذكور كما كان يفعل العرب في جاهليتهم، فعندما يبشر الصيني بالذكر يعلق القوس والنشاب على الباب، دليل مولد الذكر الذي يحمي العشيرة، أما إذا بشر بالأنثى علق على بابه مغزلا، دليل الخنوع والضعف(٢٨٧).

---

(٢٨٢) المرجع والمكان نفساهما.
(٢٨٣) الدكتور شلبي: الإسلام، ص ٤١.
(٢٨٤) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٣ ـ ٥٤، الدكتور شلبي: الإسلام، ص ٤١.
(٢٨٥) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٢٨٦) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٣ ـ ٥٥، الدكتور شلبي: الإسلام، ص ٤٤.
(٢٨٧) الدكتور شلبي، الإسلام، ص ص ٤٤ ـ ٤٥.

وفي ظل البوذية الصينية قامت دول تعنى بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل. وتغير محيط الروابط الأخوية البوذية وظهرت البدع والخزعبلات ولم تمنع الفلسفة الكونفوشيوسية وجود نظام طبقي اجتماعي، وإن كان أقل حدة من النظام الطبقي البوذي الذي ساد في الهند كما سنرى في الصفحة التالية[٢٨٨].

هـ - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الهندية:

أولا: الحياة الدينية:

سادت في الهند الديانة البرهمية التي عبد أتباعها القوى المؤثرة في الكون، والتي جسدوها ثم اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها. وتعددت آلهتهم. ثم حل بعقائدهم التغيير والتبديل حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم. براهما وسيفا أو سيو ويشنو[٢٨٩].

ومن بعد البرهمية سادت البوذية في الهند. والبوذية لم تعن بالبحث عما وراء الطبيعة، بل كانت عنايتها تتجه إلى الإصلاح الاجتماعي عن طريق رياضة الإرادة على الحرمان، وتعويدها السيطرة والرغبة في الملاذ لكيلا تشقى بطلبها ويحز فيها الحرمان[٢٩٠].

وعلى الرغم من ذلك، وبمرور الزمن، أظلت الأفكار العليلة تعاليم بوذا الخلقية، حتى توارت وراء التخيلات السقيمة بسبب الترقيعات الكلامية والتنطعات. وانحطت البوذية كما انحطت البرهمية ودخلت فيها العادات الساقطة، وأصبح من العسير التمييز بينهما. لقد اندمجت البوذية في البرهمية وذابت فيها[٢٩١].

وسادت الوثنية المجتمع الهندي بأسره حتى وصل عدد الآلهة حدا خرافيا،

---

(٢٨٨) المرجع نفسه، ص ٤٥، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤. ومرجع الندوي هنا هو كتاب الهند القديمة - بالأردو - للأستاذ إيشو أتوبا. وعن النظام الطبقي في الفلسفة الكونفوشيوسية، انظر كتاب: كونفوشيوس للدكتور حسن شحاتة سعفان - سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، رقم (٢)، ص ص ٧٦ - ٨٣.

(٢٨٩) انظر محمد أبوزهرة: الديانات القديمة، ص ص ٢٧ - ٢٨.

(٢٩٠) انظر: المرجع نفسه، ص ص ٧٧ - ٧٨. وعن البوذية راجع المرجع نفسه ص ٥٣ وما بعدها، الندوي: السيرة النبوية، ص ٦، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٢٩١) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ص ٥٤ - ٥٥.

ووجدت في كل مرفق ومن كل نوع. فمنها أشخاص تاريخية وأبطال تمثل فيهم الله ـ حسب زعمهم ـ وجبال تجلس عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج وآلات الحرب والكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية[٢٩٢].

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذي يبتدىء من مستهل القرن السادس الميلادي. إذ انتشرت فيه المفاسد حتى في المعابد الدينية. وعبد بعض رجال الفرق الدينية النساء العاريات، وعبدت النساء الرجال العراة[٢٩٣]. ولم تعد للمرأة قيمة أو كرامة، حتى أن الرجل ليخسر امرأته في القمار، ولا تتزوج بعد وفاة زوجها. وانتشرت عادة إحراق الأيامى نفوسهن على وفاة أزواجهن، خاصة في الطبقات العليا[٢٩٤]، وأنزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء[٢٩٥].

وقامت فلسفتهم الدينية على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات، وهي:

١) البراهمة ـ الكهنة ورجال الدين.
٢) شتری ـ رجال الحرب.
٣) ويش ـ رجال الزراعة والتجارة.
٤) شودر ـ رجال الخدمة ـ خدمة الطبقات الثلاث.

وهذه الطبقة الأخيرة تعد نجسة، لا تخالط ولا تتعلم حتى الكتب المقدسة[٢٩٦]. وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل

---

(٢٩٢) المرجع نفسه، ص ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٢٩٣) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٨ ـ ٥٩.
(٢٩٤) المرجع نفسه، ص ص ٥٩ ـ ٦٠، السيرة النبوية، ص ١٥، الديانات القديمة، ص ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٢٩٥) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٦٠ ـ ٦١.
(٢٩٦) المرجع نفسه، ص ٦٠ ومصدره في هذا «منوشا ستر» أي قانون منو ـ مؤلف هذا القانون.

الـطبقـة المنبوذة سواء[٢٩٧]. أما البراهمة فهم فوق القانون ويحل لهم إبادة الآخرين[٢٩٨]. هذا الفساد والضياع الذي عاشه العالم في الجزيرة العربية وخارجها كان يقتضي إرسال رسول، فأرسل الله سبحانه محمداً ﷺ للناس كافة عربهم وعجمهم لينقذهم من هذا الضياع والانحراف، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

---

(٢٩٧) انظر: تفاصيل أكثر عن الشقاء الذي كان يرسف في أغلاله هؤلاء الناس، في كتاب الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. وعن امتيازات طبقة البراهمة انظر المرجع نفسه، ص ٥٩ ومصدره: منوشاستر.

(٢٩٨) المرجع نفسه، ص ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠.

الفصل الأول

من المولد إلى المبعث

المبحث الأول: نسب الرسول ﷺ:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان.

أخرج هذا القدر من نسبه البخاري في صحيحه[1]، وهو المجمع عليه بين العلماء، أما ما بعده إلى آدم (عليه السلام) فمختلف فيه كثيرا[2]، وليس فيه ما يعتمد عليه[3]. ولكن مما لا خلاف فيه أن عدنان من نسل إسماعيل ابن إبراهيم (عليهما السلام)[4].

وأخواله من بني زهرة[5]، لأن أمه آمنة بنت وهب كانت منهم[6]. ويلتقي نسبه بنسبها في كلاب بن مرة[7].

وشاء الله أن يكون من أعلى وأطهر أهل الأرض نسبا وأشرفهم قوما وقبيلة وفخذا. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: إن الله اصطفى كنانة من ولد

---

(١) الفتح (١٥/٣/ك. المبعث).

(٢) انظر هذا الاختلاف في مصادر مثل: تاريخ دمشق، السيرة النبوية، القسم الأول، ص ص ٣٦ - ٥٣، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان ص ص ٤٠ - ٤٣، تاريخ الإسلام للذهبي - السيرة النبوية، ص ص ١٧ - ٢٢.

(٣) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (١/ ١٨٠).

(٤) يفهم ذلك من قول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل... الحديث» - مسلم (١٧٨٢/٤/ح ٢٢٧٦)، وغيره.

(٥) انظر: البخاري / الفتح (١٤/ ٢٢٣٠/ك. المناقب).

(٦) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٣٠).

(٧) انظر: السيرة النبوية لابن حبان، ص ٤٤.

إســماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشـم، واصطفاني من بني هاشم[٨]. ويقول: «إن الله (عز وجل) يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم حين فرقهم جعلني في خير الفريقين، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نسبا، وخيرهم بيتا»[٩].

ولم يستطع أبوسفيان أن ينكر علو وسمو نسب الرسول ﷺ على الرغم مما كان له من عداء للرسول ﷺ قبل إسلامه، فقال: «هو فينا ذو نسب»[١٠].

ذلكم هو نسب محمد ﷺ الذي سماه جده عبدالمطلب بهذا الاسم رغبة منه عن أسماء أهل بيته، وأراد أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض[١١].

حكم وفوائد من هذا الاصطفاء:

١ - مادامت العرب لا تسمع إلا لذوي الأنساب العالية فيهم، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون نبيه محمد ﷺ من أعلاهم نسبا حتى لا يكون لأعداء الإسلام سلاح في أيديهم للصد عن سبيل الله، وحتى لا يتوهم متوهم أن رسالته ماهي إلا وسيلة لغاية وهي تغيير وضعه الاجتماعي.

٢ - إن اختيار الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من العرب من دلائل حب الله تعالى لهم، وهذا يقتضي من المسلم أن يحبهم من حيث الجنس، لا من حيث الأفراد، لأن الأفراد قد ينحرفون عن الإسلام، فينبغي هنا كره أفعالهم المنحرفة لا كره جنسهم العربي.

---

(٨) مسلم (٤/١٧٨٢/ح ٢٢٧٦).

(٩) انظره في: البيهقي، دلائل النبوة (١/١٦٨)، سنن الترمذي (٥/٦٥٣/ح ٣٧٥٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وفي الزوائد: «رجال إسناده ثقات». وروى بمعناه الإمام أحمد: المسند (٤/١٦٦ - ١٦٧)، وبنحوه أبونعيم في الدلائل (١/٥٨).

(١٠) البخاري / الفتح (١٢/٧٠/ح ٢٩٤١).

(١١) ابن حجر: الفتح (١٥/٣) من رواية البيهقي بإسناد مرسل كما قال ابن حجر. وانظر: البيهقي: دلائل النبوة (١/١٦١).

المبحث الثاني: الختان والتسمية:

اختلف العلماء في أمر ختانه، فمنهم من قال إنه ولد مختونا. ومنهم من قال:

«ختنه جده عبدالمطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة، وسماه محمداً»[١٢] والذي رجحه بعض كبار العلماء القدماء أنه ولد مختونا[١٣]. وعندما سأله قومه عن سبب رغبته عن أسماء أهل بيته، أجابهم بأنه يريد أن يحمده الله في السماء ويحمده خلقه في الأرض[١٤].

وعرف الرسول ﷺ باسماء أخرى. فقد قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وقال الراوي ـ الزهري: «والعاقب الذي ليس بعده نبي»[١٥]. وزاد ابن سعد[١٦]: «... والخاتم...»، وزاد مسلم[١٧] أسماء أخرى، وهي المقفى ونبي الرحمة، وزاد الترمذي[١٨] «...

---

(١٢) قاله الوليد بن مسلم بسنده إلى ابن عباس كما نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام ـ السيرة، ص٢٧، وقال الذهبي إن هذا أصح مما رواه ابن سعد (١/١٠٣) بإسناده إلى العباس (رضي الله عنه) من أنه ولد مختونا مسرورا،...». قال محققا زاد المعاد (١/٨٢/حاشية ١) عن إسناد الوليد بن مسلم: «لا يصح، لأن محمد بن أبي السرى قال أبوحاتم: «لين الحديث، وقال ابن عدي: كثير الغلط، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن». وذكر ابن القيم في الزاد (١/٨٢) رأي ابن عبدالبر فيه بأنه حديث مسند غريب، ورأي يحيى بن أيوب ـ أحد رواة الحديث ـ أنه طلب هذا الحديث فلم يجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيه إلا عند ابن أبي السري. ثم قال ابن القيم: «وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين، صنف أحدهما مصنفا في أنه ولد مختونا وأجلب فيه من الأحاديث التي لاخطام لها ولا زمام، وهو كمال الدين بن طلحة، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم، وبين فيه أنه ختن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها، والله أعلم».

(١٣) روى أبونعيم في دلائله (١/١٥٤) مرفوعا إلى النبي ﷺ قوله: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا، ولم يرَ أحد سوءتي»، وقال المحققان: «وأخرجه أيضا الطبراني في الأوسط والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس وصححه الضياء في المختارة...» قال الحاكم في المستدرك (٢/٦٠٢): «وتواترت الأحاديث أنه (عليه السلام) ولد مختونا» وانظر السيرة النبوية لابن حبان، ص٥٨، والسيرة الشامية (١/٤٢٠ ـ ٤٢١). وقد قوى الشيخ طرهوني: صحيح السيرة النبوية ـ حاشية رقم ١٤١ أحاديث ختان جده له».

(١٤) ابن حجر: الفتح (٣/١٥) من رواية البيهقي بإسناد مرسل كما قال ابن حجر.

(١٥) البخاري / الفتح (١٨/٢٨٠ح ٤٨٩٦)، مسلم (٤/١٨٢٨/ح ٢٣٥٤)، وغيرهما.

(١٦) الطبقات (١/١٠٤) بإسناد قوي حسن كما قال الذهبي في سيرته، ص٣٠.

(١٧) الصحيح (٤/١٨٢٨/ح ٢٣٥٥).

(١٨) الشمائل (٣٦٠) بإسناد حسن كما قال محقق تاريخ الإسلام للذهبي ـ السيرة ص ٣١ ـ حاشية (٥).

نبي الملاحم...»[١٩]. وقد وردت أخبار بأن أمه سمته أحمد. فقد روى ابن سعد[٢٠] بإسناد حسن عن على (رضي الله عنه) قال: «قال رسول الله ﷺ: سميت أحمد.»

ولما كان والده قد توفي وهو في بطن أمه، فينصرف القائم بالتسمية إلى الأم. ويشهد لذلك ما رواه ابن سعد[٢١] من طريق الواقدي بسنده إلى أبي جعفر محمد بن علي، قال: أمرت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد. ويشهد له أيضاً ما رواه أبونعيم[٢٢] عن بريدة وابن عباس قالا: «رأت آمنة في منامها فقيل لها: إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه أحمد ومحمداً... إلخ». ويشهد له ما رواه ابن اسحاق[٢٣] ومن طريقه البيهقي في الدلائل[٢٤]، وقال: «وكانت آمنة تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها: فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة والإنجيل أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمد. فسمته بذلك. وفي آخره أنها أخبرت عبدالمطلب بما أمرت أن تسميه. فقال شعراً وفي آخره: أحمد مكتوب على اللسان». وقد رواه ابن عساكر[٢٥] أيضاً.

وكني بأبي القاسم[٢٦]، وأمر أن نسمي باسمه ولا نكني بكنيته[٢٧]. وكناه جبريل (عليه السلام) بأبي إبراهيم، ولكنه كره أن يحول كنيته التي عرف بها[٢٨]. واختلف العلماء في أمر التكني بكنيته، وفي أمر الجمع بين اسمه

---

(١٩) وعن المرويات عن أسماء النبي ﷺ - مما ذكرنا أو لم نذكر - انظر دلائل البيهقي: (١/ ١٥١ - ١٦١) والسيرة الشامية (١/ ٥١٢ - ٦٦٣) فقد عدها الشامي مرتبة على الحروف الأبجدية.

(٢٠) الطبقات (١/ ١٠٤).

(٢١) المصدر والمكان نفسايهما.

(٢٢) دلائل النبوة (١/ ٣٦ - ٣٧).

(٢٣) ابن هشام (١/ ٢١٠) بلفظ قريب من لفظ أبي نعيم، وبدون إسناد، فهو ضعيف.

(٢٤) دلائل النبوة (١/ ١١١ - ١١٢).

(٢٥) تاريخ دمشق - السيرة (١/ ٤٠٤).

(٢٦) انظر: مسلم (٣/ ١٦٨٢/ح ٢١٣٣)، أحمد: المسند (٢/ ٤٣٣ و٣/ ٣٠١)، ابن سعد (١/ ١٠٧).

(٢٧) البخاري / الفتح (٢٢/ ٣٨٢ - ٨٤/ح ٦١٨٧ - ٦١٩٠)، مسلم (٣/ ١٦٨٤/ح ٢١٣٤). وعن المرويات الأخرى عن كنيته، انظر دلائل البيهقي (١/ ١٦٢ - ١٦٤).

(٢٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق - قسم السيرة، ص ص ٢٧ - ٣٦، بإسناد حسن. وانظر الحديث في الإصابة (٣/ ٣٣٥ - ٣٦) في ترجمة «مأبور» من رواية ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر.

وكنيته، فقيل إنما نهى عن التكني بكنيته في حال حياته، وقيل إنما نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته فقط[٢٩].

ولم يعرف اسم: أحمد قبله، وسمت بعض العرب باسم محمد لما شاع قبيل وجوده أن نبياً سيبعث اسمه محمدٌ [٣٠].

المبحث الثالث: اليتم ورعاية الجد ثم العم:

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ وفاة والده. والذي قاله ابن إسحاق[٣١]، ورجحه ابن سعد[٣٢]، ان ذلك كان وهو في بطن أمه، وهو المشهور، الذي رجحه كثير من العلماء[٣٣]، أمثال: الذهبي[٣٤]، وابن كثير[٣٥]، وهو الذي قطعت به الآية القرآنية الكريمة: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾[٣٦].

وبذلك يكون الرسول ﷺ قد ولد يتيماً.

والمشهور أنه ولد بمكة يتيم الأب، في يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول[٣٧]، في العام المشهور بعام الفيل[٣٨]. وهو ما يراه المستشرقون مقابلا لعام ٥٧٠م. ولكن الباحث محمود باشا الفلكي توصل إلى انه كان

---

(٢٩) تفاصيل ذلك عند: ابن عساكر: تاريخ دمشق - السيرة - ص ص ٢٦ - ٣٤، وابن الجوزي الوفا بأحوال المصطفى (تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١ ١٩٨٨م) ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣٠) انظر السيرة الشامية (١/ ٥٠٣) وما بعدها. وممن سمي محمداً: محمد بن أحَيحَة، محمد بن أسامة محمد بن البِر، محمد بن الحارث بن حُدَيْج، محمد بن حِرْمَاز، محمد بن حمران، محمد بن خزاعي، محمد بن خَوْلي، محمد بن مسلمة، محمد بن سفيان بن مُجَاشع جَدّ جَدُ الفرزدق، محمد بن عدي.. إلخ وهم دون العشرين.

(٣١) ابن هشام (١/ ٢١٠) - بدون إسناد، فهو يكون بذلك ضعيفاً.

(٣٢) الطبقات الكبرى (١/ ٩٩ - ١٠٠) بإسناد ضعيف.

(٣٣) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦) حيث ذكر الروايات المختلفة في ذلك؛ البيهقي: دلائل النبوة (١/ ١٨٧ - ١٨٨).

(٣٤) تاريخ الإسلام - السيرة النبوية، ص ٥٠.

(٣٥) البداية والنهاية (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٣٦) سورة الضحى: الآية رقم ٦.

(٣٧) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (١/ ٢١١)، فهو إذن ضعيف.

(٣٨) انظر النووي: السيرة، ص ١٥. وقد روى الذهبي بسنده إلى ابن عباس أن النبي ﷺ ولد يوم الفيل، وقال عن إسناده: «صحيح» - انظر: تاريخ الإسلام - السيرة، ص ٢٢. وروى ابن إسحاق بإسناد حسن أن الرسول ﷺ ولد عام الفيل. انظر: ابن هشام (١/ ٢١١).

التاسع من ربيع الأول، الموافق العشرين من (نيسان) عام ٥٧١م[٣٩].

وعندما مات والده كفله جده عبدالمطلب، وهو تحت رعاية أمه آمنة بنت وهب[٤٠].

وكانت وفاة والده بالمدينة، عند أخواله بني عدي بن النجار، عندما أرسله والده عبدالمطلب إليها ليشتري منها تمرا[٤١]. ودفن في دار النابغة، تحت عتبة البيت الثاني على يسار من يدخل دار النابغة. وكانت وفاته عن خمس وعشرين سنة[٤٢].

ظل الرسول ﷺ في رعاية أمه آمنة وكفالة جده عبدالمطلب بعد أوبته من بادية بني سعد.

وعندما بلغ من العمر ست سنين توفيت والدته آمنة بالأبواء[٤٣]، وهي راجعة به إلى مكة من زيارة قامت بها معه إلى أخوال أبيه بني عدي ابن النجار[٤٤] بالمدينة المنورة[٤٥].

وحملته مولاته وحاضنته أم أيمن إلى جده عبدالمطلب بمكة، فأخذ يحوطه

---

(٣٩) الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (١/ ٦٢).

(٤٠) وقد ثبت كفالة جده له من طرق عدة تتقوى إلى درجة الحسن لغيره. انظر في ذلك الحاشية رقم: ١٤١، ١٣٢، ١٦٧، ١٦١... من كتاب صحيح السيرة للطرهوني. وانظر: ابن إسحاق - بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٢١٢).

(٤١) قاله ابن عبدالبر في الاستيعاب (١/ ١٤)، مرسلا عن الزهري، وقيل بل أرسله إلى الشام في تجارة فعاد من غزة مريضا فتوفي بالمدينة. انظر: ابن سعد (١/ ٩٩) من رواية شيخه الواقدي.

(٤٢) انظر: ابن سعد (١/ ٩٩) وعمر بن شبة: تاريخ المدينة (١/ ١١٦ - ١١٧)، وعمدة الأخبار، ص١٦٧. وقال صاحب وفاء الوفا (٣/ ٨٦٧) ان دار النابغة كانت شامي (أي شمالي) المسجد النبوي، عند بني جديلة. وانظر: ابن سعد: الطبقات (١/ ١١٦) بإسناد ضعيف لأن فيه عبدالعزيز ابن عمران وهو متروك في الحديث.

(٤٣) قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا - معجم البلدان (١/ ٧٩). وقالوا: واد من أودية الحجاز التهامية يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة، فيتكون منهما وينحدر إلى البحر مارا ببلدة مستورة، ثم يبحر - عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة.

(٤٤) لأن هاشما بن عبد مناف تزوج بالمدينة سلمى بنت عمرو النجارية، فولدت له عبدالمطلب (شيبة). انظر ابن إسحاق: (ابن هشام ١/ ٢٢٣)، ودلائل البيهقي (١/ ١٨٨).

(٤٥) ابن سعد (١/ ١١٦) من طريق الواقدي، ابن إسحاق بإسناد مرسل: (ابن هشام ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣)، عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣١٨) بإسناد مرسل ومرسل ابن إسحاق ومرسل عبدالرزاق صحيحان، ويشهد لها ماروا ابن سعد. وخبر وفاة أمه وهو غلام صغير ووفاتها بالأبواء ورد بطرق تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن لغيره. انظر تفاصيل ذلك عند الشيخ طرهوني: صحيح السيرة، حاشية رقم ١٦٥ ورقم: ١٦٦.

بعنايته إلى أن توفي وللنبي ﷺ ثمان سنوات من العمر[٤٦]، فأوصى به إلى عمه أبي طالب[٤٧]، أخي أبيه عبدالله لأمه وأبيه، أمهما فاطمة بنت عمرو ابن عائذ[٤٨].

وقد رويت أخبار في مدى عناية جده عبدالمطلب به. من ذلك ما رواه أبويعلى[٤٩] ان عبدالمطلب أرسل محمدا ذات مرة في إثر إبل له ضلت، فاحتبس عليه حتى حزن حزنا شديدا. وعندما عاد محمد بالإبل أقسم ألا يبعثه في حاجة له أبدا. ولا يفارقه بعد هذا أبدا.

وكان يقربه ويدنيه منه ولا يدع أحدا يدخل عليه وهو نائم. وكان له مجلس لا يجلس عليه غيره. وكان له فراش في ظل الكعبة، يجلس حوله بنوه ويجلس النبي ﷺ عليه مع جده[٥٠].

وتروي كتب السير ان أبا طالب كان شديد الاعتناء أيضا بابن أخيه محمد ﷺ. فكان لا ينام إلا ومحمد إلى جنبه، ولا يخرج إلا معه، ويخصه بالطعام، ولا يأكل إلا عندما يحضر محمد[٥١]. وظل يحوطه بعنايته إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين.

حكمة يتم الرسول ﷺ:

١) لقد شاء الله (عز وجل) أن ينشأ الرسول ﷺ يتيما، بعيدا عن تربية

---

(٤٦) انظر ابن إسحاق، بإسناد مرسل (ابن هشام ١/ ٢٢٣)، الأزرقي تاريخ مكة (١/ ٣١٤، ٣١٥) بإسناد حسن، الذهبي: السيرة، ص ٢٥، بإسناد معلق وللقصة شواهد، منها ماروراه البيهقي في الدلائل بإسناد صحيح (٢/ ٢٢)، وعبدالرزاق بإسناد مرسل صحيح (٥/ ٣١٨) وابن سعد (١/ ١١٧ - ١١٨) من رواية الواقدي.

(٤٧) ابن هشام، بدون إسناد (١/ ٢٣٥)، ابن سعد (١/ ١١٨) من طريق الواقدي، الذهبي: السيرة، ص ٥٠. ومما يدل على أن لهذا أصلاً ماجاء في قصة الراهب بحيرا مع الرسول ﷺ في رحلته إلى الشام وهو صغير وسيأتي ذكرها، وهي صحيحة كما ستعلم.

(٤٨) ابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٣٥) فهو ضعيف.

(٤٩) الهيثمي: مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٤) وحسن الهيثمي إسناده، الحاكم المستدرك (٢/ ٦٠٣-٤) وصححه ووافقه الذهبي. البيهقي: الدلائل (٢/ ٢٠ - ٢١) من طريقين، أحدهما طريق الحاكم...

(٥٠) الأزرقي: تاريخ مكة (١/ ٣١٤ - ٣١٥)، وإسناده حسن ولروايته هذه القصة شواهد ذكرناها في الحاشية رقم (٤٦) هنا. وابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٢٣).

(٥١) الطبقات (١/ ١١٩ - ١٢٠) من طريق الواقدي. والواقدي متروك، ولذا فالإسناد ضعيف جداً، ومما يشهد بأن لرواية الواقدي أصلاً في المرويات الصحيحة قصة النبي ﷺ مع الراهب بحيرا في خبر سفره إلى الشام وهو صغير. كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه من هذا الكتاب.

أبيه وأمه وجده، إذ إن والده قد توفي وهو في بطن أمه، وقضى معظم فترة طفولته الأولى ببادية بني سعد، بعيدا عن أسرته كلها، ثم ما لبث أن توفيت أمه، ولم يمكث معها سوى مدة يسيرة، وبعدها بمدة يسيرة توفي جده عبدالمطلب. كل ذلك لحكم، لعل من أبرزها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب أو إيهام الناس بأن محمدا إنما رضع لبان دعوته ورسالته منذ صباه بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ليصل إلى جاه الدنيا باصطناع النبوة. فقد كان لجده مكانة مرموقة في قومه، فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية، أي إطعام الحجاج وسقايتهم(٥٢).

٢) ولعل في يتمه أسوة للأيتام في كل زمان ومكان، ليعرفوا أن اليتم ليس نقمة، وانه لا يجب أن يقعد بصاحبه عن بلوغ أسمى المراتب.

المبحث الرابع: من إرهاصات النبوة عند ميلاده:

وصاحبت ولادته بعض الإرهاصات الدالة على نبوته. وما ثبت منها بطرق صحيحة، قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، رأت أمي حين حملت بي كأن نورا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»(٥٣).

ومالم يثبت بطرق صحيحة، ولكنه اشتهر، مثل قولهم: إنه حين ولد سقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي كان يعبدها

---

(٥٢) انظر. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، ص ص ٥٠ - ٥١.

(٥٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧ و٥/ ٢٦٢) عن العرباض بن سارية، وعن أبي أمامة وعن أبي النضر وعن فرج. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١٢): «إسناد أحمد حسن» وفيه رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٦ - ١٧) بمثل سند أحمد، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢١٩ - ٢٢٠) إذ إن جهالة الصحابي فيه لا تضر، ولذا قال عنه ابن كثير في البداية (٢/ ٢٩٩): «وهذا إسناد جيد قوي».

المجوس، وغاصت بحيرة «ساوة» وانهدمت المعابد التي كانت حولها[٥٤].

المبحث الخامس: رضاعة الرسول ﷺ:

اشتهر عند أهل المغازي والسير ان ممن أرضعنه حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، حين أخذته معها إلى بادية قومها، فأقام معها نحو أربع سنين، ثم ردته إلى أمه.

لقد تفرد ابن إسحاق[٥٥] برواية خبر إرضاع حليمة الرسول ﷺ وإقامته معها ببادية بني سعد. وقد رواه بإسناد منقطع، إذ لم يصرح فيه عبدالله ابن جعفر بالسماع عن حليمة، وفي إسناده جهم بن أبي جهم، الذي عده الذهبي[٥٦] من المجاهيل. ورواه أبويعلى[٥٧] في مسنده، وابن حبان[٥٨] في صحيحه، وليس فيهما تصريح بالتحديث بين عبدالله وحليمة، كما قال الشيخ الألباني[٥٩]، وخَطَّأ ابن حجر[٦٠]، لأنه قال بأن عبدالله قد صرح بالتحديث. ورواه الطبراني[٦١] كذلك، ووثق الهيثمي[٦٢] رجال أبي يعلى والطبراني. وحكم محققا سيرة ابن هشام[٦٣]، والشيخ الألباني[٦٤] بضعف هذا الخبر.

---

(٥٤) جاء ذلك في الخبر الطويل عن سطيح وابن أخته عبدالمسيح. انظره في دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٢٦ - ١٢٩)، قال المحقق، الدكتور عبدالمعطي قلعة جي عنه: «وهذا حديث ليس بصحيح...». وانظر الخبر في البداية والنهاية (٢/ ٢٩١ - ٢٩٢) وقال عنه ابن كثير: «أما هذا الحديث فلا أصل له من كتب الإسلام المعهودة، ولم أره بإسناد أصلاً». وقال محققا دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٩ - ١٤١) بعد أن خرجا الخبر:... قال ابن عساكر: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه، تفرد به أبو أيوب البجلي... وقال ابن حجر في الإصابة» مرسل ..إلخ.

(٥٥) ابن هشام (١/ ٢١٤) وانظر حاشية المحققين حيث خرجا هذا الخبر. وخرجه كذلك الدكتور سليمان العودة في رسالته للدكتوراه: السيرة في الصحيحين وابن إسحاق، ص ص ١١٨ - ١١٩.

(٥٦) ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦).

(٥٧) (١/ ١٢٨). وانظر الهيثمي: مجمع الزوائد (٨/ ٢٢١)، ومرويات غزوة حنين (٢/ ٤٣٥).

(٥٨) موارد الظمآن، ص ص ٥١٢ - ٥١٣.

(٥٩) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات البوطي في فقه السيرة ص ٣٩.

(٦٠) الاصابة (٤/ ٢٧٤).

(٦١) المعجم الكبير (٢٤/ ٢١٢ - ٢١٥/ ح ٥٤٥)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٥): «ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة».

(٦٢) المجمع (٨/ ٢٢١).

(٦٣) ابن هشام (١/ ٢١٤) حاشية (ج).

(٦٤) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص ٣٨ وما بعدها.

وعلى الرغم مما قيل في إسناد هذا الخبر إلا أن مما لا شك فيه ثبوت استرضاع الرسول ﷺ في بادية بني سعد، وذلك لأن رواية الصحيح[٦٥] تتفق مع رواية ابن إسحاق في أن حادثة شق الصدر قد وقعت للرسول ﷺ وهو صغير مسترضع في بادية بني سعد، وكذلك رواية الحاكم[٦٦]، وأحمد[٦٧] وابن إسحاق[٦٨] في حديث «أنا دعوة أبي إبراهيم.... واسترضعت في بني سعد ابن بكر....»، وفي الحديث الذي رواه ابن إسحاق[٦٩] بإسناد حسن، قال وفد هوازن للرسول ﷺ وهو بالجعرانة حين منصرفه من حنين: «إنما في الحظائر - أي الأَسْر - عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك...»، في هذا الحديث إشارة إلى رضاعة النبي ﷺ في أهل مناطق الطائف، أي في هوازن، التي منها بنو سعد، قوم حليمة بنت أبي ذؤيب[٧٠].

وروى ابن سعد[٧١] بسنده إلى ابن القبطية أن النبي ﷺ كان مسترضعا في بني سعد بن بكر. وفي رواية أخرى لابن سعد[٧٢] أن أم النبي ﷺ دفعته إلى السعدية التي ارضعته....

وذكـر ابن كثـير[٧٣] أن أبا نعيم روى بسنده إلى عتبة بن عبدالله أن رجلا

---

(٦٥) مسلم (١/١٤٧/ح ٢٦١).

(٦٦) المستدرك (٢/٦٠٠) وصحح إسناده وأقره الذهبي.

(٦٧) المسند (٤/١٢٧ - ٢٨) من غير طريق ابن إسحاق، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٢٢): «وإسناده حسن وله شواهد تقويه». ومن تلك الشواهد رواية الطيالسي في مسنده، كما في منحة المعبود (٢/٨٦) والطبراني في الكبير (٨/٢٠٥ - ٦)، وكلاهما من غير طريق ابن اسحاق وفي إسنادهما إبن فضالة، وهو ضعيف.

(٦٨) ابن هشام (١/٢١٩ - ٢٢٠) بإسناد مرسل وجهالة الصحابي لاتضر ولذا قال عنه ابن كثير في البداية (٢/٢٩٩): «وهذا إسناد جيد قوي».

(٦٩) سيرة إبن هشام (٤/١٨٣ - ١٨٥).

(٧٠) انظر نسبها في السيرة النبوية لابن حبان، ص ص ٥٣ - ٥٤، بدون إسناد وفي سيرة ابن هشام (١/٢١٣)، بدون إسناد.

(٧١) الطبقات (١/١١٣) بإسناد ضعيف لعلة الإرسال، ورجاله ثقات.

(٧٢) الطبقات (١/١١٣) بإسناد ضعيف للإرسال ولأن فيه عمرو بن عاصم الكلابي وهو صدوق في حفظه شيء.

(٧٣) البداية (٢/٢٩٩). وعند الرجوع إلى دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/٢٢٠) لم نجد نص الحديث الذي ذكره ابن كثير، بل وجدناه يقول: «و رواه عبدالرحمن بن عمرو عن عتبة بن عبد انفقا على أنه كان مسترضعا في بني سعد، وقد تقدم ذكره» وقال المحققان في الحاشية: «لم يتقدم ذكره وكأنه من الأحاديث التي حذفها صانع هذا المنتخب». وقالا عن حديث عتبة بن عبد: خرجه أحمد والطبراني ولم يسق المتن وإسناد أحمد حسن. راجع: مجمع الزوائد (٨/٢٢٢)، وأخرجه الدارمي في سننه رقم ١٣ وقال في الخصائص (١/١٥٩): أخرجه أحمد والدارمي والحاكم وصححه (٢/٦١٦) والبيهقي والطبراني وأبو نعيم».

سأل النبي ﷺ، فقال: كيف كان أول شأنك يارسول الله؟ قال: «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر... الحديث».

ويضاف إلى هذه الآثار التي تدل على مجيء أبوي الرسول ﷺ من الرضاعة إليه وتعرفه على الشيماء - أخته من الرضاعة - التي جيء بها ضمن أسرى غزوة حنين[٧٤].

وخلال حياته في رعاية حليمة السعدية وقعت للنبي ﷺ إرهاصات دلت على بركته وعناية الله به، وحفظه له. وأشهر ماروي في ذلك حديث حليمة السعدية الطويل المشهور، الذي فيه أنه بحلول محمد ﷺ عليها، در ثديها اللبن، فارتوى منه محمد وابنها الذي كانت تحمله بعد أن كان يبكي من الجوع لجفاف ثدي أمه، ولا ينام هو وأهله، وأمتلأ ضرع راحلتها باللبن بعد أن كان يابسا، فشبعت منها مع زوجها وأصبحت الراحلة نشطة قوية، تسير في مقدمة الركب، بعد أن كانت عاجزة تسير في مؤخرة الركبان. وحيثما حلت أغنام حليمة، تجد مرعى خصبا، فتشبع ولا تجد أغنام غيرها شيئا، وكان ينمو نموا سريعا، لا يشبه نمو الغلمان[٧٥].

حكمة الرضاعة في البادية:

كانت عادة الحضر من العرب أن يسترضعوا أبناءهم في البدو، ابتعادا

---

(٧٤) سيأتي ذكره في مكانه من الكتاب - أحداث غزوة حنين - وانظر ابن كثير: البداية (٢/ ٣٠١ وما بعدها). وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهل السير رووا أن ممن أرضعنه إضافة إلى حليمة، امرأة أخرى من بني سعد، أرضعته هو وعمه حمزة، حين كان هو أيضا مسترضعا في بني سعد. انظر في هذا: ابن سعد (١/ ١٠٩) من طريق الواقدي. وجملة من قيل إنهن أرضعنه كما ذكر محقق دلائل البيهقي (١/ ١٣١) عشر نسوة، وذكر أسماءهن ومصادره في ذلك. وأشهر من أرضعنه مع أمه بمكة ثويبة مولاة عمه أبي لهب، وأرضعت معه أباسلمة - انظر: البخاري/ الفتح (١٩/ ١٧١ - ٧٣/ح ٥١٠٠و ٥١٠١)، ومسلم (٢/ ١٠٧٢/ح ١٤٤٩) وغيرهما. وروى ابن سعد من طرق عن شيخه الواقدي أن ثويبة أرضعت حمزة قبل محمد ﷺ - الطبقات (١/ ١٠٨ - ١٠٩) وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٤): قال مصعب الزبيري كانت ثويبة أرضعت رسول الله ﷺ بعدما أرضعت حمزة ثم أرضعت أبا سلمة. كانت ثويبة مولاة لأبي لهب، أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبولهب أريه بعض أهله في أسوأ حال، فسألوه، فقال: «لم ألق بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه - وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه - بعتاقتي ثويبة». - انظر: البخاري/ الفتح (١٩/ ١٧٣/ح ٥١٠١)، وابن القيم: زاد المعاد (١/ ٨٢) حاشية (٢).

(٧٥) سبق الكلام على إسناده (ابن هشام ١/ ٢١٤ - ٢٢٠) وقلنا إنه ضعيف. انظر: الألباني دفاع، ص٣٩، وتحقيق د. همام وأبي صعيليك (ابن هشام ١/ ٢١٤).

بهم عن أمراض المدن، ورغبة في تقوية أجسادهم، وتعويدا وتربية لهم على الاعتماد على النفس منذ الصغر، بعيدا عن تدليل الأمهات والجدات وبقية الاقارب، وتقويما لألسنتهم من اللحن وغيره من مفسدات اللغة.

المبحث السادس: حادثة شق الصدر:

وقعت للرسول ﷺ وهو في بادية بني سعد حادثة شق الصدر، كما جاء ذلك صريحا في رواية أبي نعيم عند ابن كثير[٧٦]، ونصها: «. . . كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم[٧٧] لنا، ولم نأخذ معنا زادا، فقلت ياأخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال نعم! فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني للقفا، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة فذرها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه، وختم على قلبي بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة، فإذا أنا انظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر علي بعضهم، فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا فتركاني وفرقت فرقا شديدا ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد لبس بي، فقالت أعيذك بالله، فرحلت بعيرا لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت أديت أمانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها، وقالت: إني رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام».

وروى قصة هذا الشق مسلم[٧٨]، باختصار، ولم يصرح بمكان وقوعها،

---

(٧٦) البداية والنهاية ٢/ ٢٩٩)، وقال عنه الذهبي في سيرته. ص٤٨: «وهو صحيح».
(٧٧) البهم: صغار الغنم.
(٧٨) صحيحه (١/١٤٧/ح ٢٦١). وانظر: البداية لابن كثير (٢/ ٣٠٠) ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٣٦) حاشية رقم (٣٢١).

ونصه عن أنس (رضي الله عنه)، «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل (عليه السلام) وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه. فاستخرج القلب. فاستخرج منه علقه. فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم. ثم لأمه. ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره - مرضعته) فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره».

لقد سكتت بعض المصادر عن تحديد سنه ﷺ حين وقعت له هذه الحادثة لأول مرة[٧٩]. أما البعض الذين حددوا سنه، فلم يتفقوا على سن محددة. فيفهم من رواية ابن إسحاق[٨٠] ان ذلك كان وعمره ﷺ فوق الثانية بشهور، إذ تقول حليمة: «فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا[٨١]، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا. . . فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا. . .» وفي رواية ابن سعد[٨٢] أن القصة وقعت وللرسول ﷺ أربع سنين، وقال بهذا أبونعيم[٨٣] من طريق ضعيفة أيضا. ويذكر آخرون انه كان في الخامسة[٨٤] أو بعدها[٨٥].

ونحن نميل مع الزرقاني[٨٦] ونرجح رواية ابن سعد في انه كان في الرابعة، لأنها السن التي يمكن أن يمارس فيها رعي البهم، ويفهم شيئا مما يدور حوله.

ولقد تكرر حادث شق صدر الرسول ﷺ مرات أخرى غير هذه التي

---

(٧٩) منهم مسلم في روايته عن أنس (١/١٤٧/ح ٢٦١).
(٨٠) ابن هشام (١/ ٢١٤)، وهي ضعيفة.
(٨١) جفرا: أي غليظا شديدا.
(٨٢) الطبقات (١/ ١١٢) من طريق شيخه الواقدي. فالرواية ضعيفة جداً.
(٨٣) دلائل النبوة (١/ ١٥٩، ١٦١).
(٨٤) انظر: دلائل أبي نعيم (١/ ١٦٢)، ونسب ذلك لابن عباس ولم يسق لذلك سندا وذكر أن غير ابن عباس كان يقول إن إرجاع حليمة النبي ﷺ إلى أمه بعد الحادثة كان وعمره أربع سنوات.
(٨٥) انظر. المواهب اللدنية بشرح الزرقاني (١/ ١٤٩ - ١٥٠) والبداية (٢/ ٣٠٠ - ٣٠١) حيث ذكر رواية للأموي مرسلة موقوفة على ابن المسيب وضعيفة لأن فيها عثمان الوقاصي، وهو ضعيف كما قال ابن كثير، ذكر الأموي أن عمره كان ست سنين.
(٨٦) شرحه على المواهب اللدنية (١/ ١٥٠).

في بادية بني سعد. فقد روى أحمد[٨٧] وابن عساكر[٨٨] وغيرهما أن شق الصدر قد وقع له وهو ابن عشر سنين وأشهر. وروى البخاري[٨٩] ومسلم[٩٠] وأحمد[٩١] والحاكم[٩٢] والترمذي[٩٣] ان شقا لصدره قد وقع له وقد تجاوز الخمسين من العمر، حين أسري به الى بيت المقدس. وذكر الذهبي[٩٤] الروايات الدالة على أن شق صدره كان مرتين: في صغره ووقت الاسراء به. وهناك من ذكر وقوعها مرة رابعة[٩٥].

لقد ذهب بعض أصحاب المدرسة العقلية من المستشرقين والمتأثرين بهم من المسلمين إلى تأويل حادث شق الصدر. فمنهم من قال إنها أسطورة ومنهم من قال إنها أمر معنوي و.... و.... إلخ[٩٦].

ومن أوجز ما قيل في حادثة شق الصدر قول ابن حجر[٩٧]: «إن جميع ماورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك.».

وينبغي على المسلم أن يعلم بأن ميزان قبول الخبر إنما هو صحة الرواية، فإذا صحت فلا يجدي البحث بعد هذا عن صرف الكلام إلى غير حقيقته أو تأويله تأويلا عقليا ممجوجا كما يفعل أصحاب المدرسة العقلية.

حكمة شق الصدر:

١ - يبدو أن هذه الحادثة كانت إعلانا لأمر الرسول ﷺ والتهيئة للعصمة

---

(٨٧) الفتح الرباني (٢٠/ ١٩٥)، وقال الساعاتي: «رجاله ثقات».
(٨٨) تاريخ مدينة دمشق، ص ٣٧٥، وهو من طريق أحمد نفسها.
(٨٩) الفتح (١٣/ ٢٤/ح ٣٢٠٧).
(٩٠) (١/ ١٤٧/ح ٢٦١، ٢٦٢).
(٩١) المسند (٣/ ١٢١، ١٤٩، ٢٨٨).
(٩٢) المستدرك (٢/ ٦١٦).
(٩٣) انظر: صحيح الترمذي للألباني (٣/ ٦٣١ - ٦٣٢/ح ٣٥٨٤).
(٩٤) السيرة النبوية، ص ٤٩.
(٩٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٦) - الحاشية، والفتح الرباني (٢٠/ ١٩٥ - ١٩٦).
(٩٦) انظر محمد أبو شبهة: السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، (١/ ١٩٩ - ٢٠٣) وقد ناقش المنكرين لشق الصدر والمشككين فيه.
(٩٧) الفتح (١٥/ ٥٢/ح ٣٨٨٧).

والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذاً عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الاعلان الإلهي بين أبصار الناس وأسماعهم[98].

٢ ـ فيها بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمدا ﷺ لتلقي الوحي عنه.

٣ ـ تشير الحادثة إلى تعهد الله (عز وجل) نبيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، وهي حصانة أضفاها الله (عز وجل) على نبيه محمداً ﷺ.

المبحث السابع: رحلته إلى الشام:

روى الترمذي[99] بسنده إلى أبي موسى الأشعري، انه قال: «خرج أبوطالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب ـ يعني بحيرىٰ ـ هبطوا، فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال: فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، بعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدون إلا لنبي، واني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به ـ وكان هو في رعية الإبل ـ قال: أرسلوا إليه، فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء ـ ظل ـ شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم،

---

(٩٨) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٥٢.

(٩٩) انظر: صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني (٣/ ١٩١)، وقال عنه: «صحيح» ثم ذكر المراجع التي ألفها وفيها تخريج هذا الحديث، ثم قال: «لكن ذكر بلال فيه منكر كما قيل» وسنن الترمذي (٥/ ٢٥٠/ح ٣٦٢٤) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، التفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وإنّا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا، إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده. قال: فقال الراهب: أنشدكم الله! أيكم وليه؟ قالوا: أبوطالب. فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبوبكر بلالا، وزوده الراهب من الكعك والزيت.».

اختلف العلماء في هذا الحديث. فقد حسنه الترمذي وصححه الحاكم[١٠٠]، والألباني[١٠١]، وعرجون[١٠٢] وشعيب وعبدالقادر الأرنؤوط[١٠٣] وابن حجر. وقال ابن حجر[١٠٤]: «رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه النقطة - أي ذكر أبي بكر وبلال - فيحتمل أن تكون مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته.». وقال ابن القيم[١٠٥] إن هذه النقطة من الغلط الواضح.

وأنكره الذهبي[١٠٦] وقال: «وهو حديث منكر جدا، وأين كان أبوبكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف، وأين

---

(١٠٠) المستدرك (٢/ ٦١٦) وقال إنه على شرط الشيخين.

(١٠١) حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ٦٨، دفاع، ص ص ٦٢ - ٧٢، قال: «وإسناده صحيح كما قال الجزري». قال: «وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ» ثم قال: وقد رواه البزار، فقال: «أرسل معه عمه رجلا».

(١٠٢) محمد رسول الله (١/ ١٦٩ - ٧١).

(١٠٣) حاشية الزاد (١/ ٧٦) وقال في تخريجه: «... وسنده صحيح، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: رجاله ثقات، وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ، وقد رواه البزار في مسنده، فقال: «وأرسل معه عمه رجلا». وقال عبدالقادر الأرنؤوط - محقق جامع الأصول في حاشيته (١١/ ٢٦١)، بعد تخريج الحديث: «... وذكر بلال فيه غير محفوظ وعده الأئمة وهما، فإن سن النبي ﷺ إذ ذاك اثنتا عشرة سنة. وأبوبكر أصغر منه بسنتين، وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت».

(١٠٤) نقلا عن شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١/ ١٩٦).

(١٠٥) زاد المعاد (١/ ٧٦).

(١٠٦) تاريخ الاسلام - السيرة، ص ٥٧.

كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبابكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد، وأيضا، فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجـرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم في فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النبي ﷺ ذَكَّرَ أباطالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقي عنده حس من النبوة ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولا بغار حراء وأتى خديجة خائفا على عقله. . . وأيضا فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرا لخديجة؟» وفي الحديث ألفاظ منكرة، تشبه ألفاظ الطرقية، مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبوبكر بلالا».

وقال ابن كثير[١٠٧]: «فيه من الغرائب: أنه من مرسلات الصحابة، فإن أباموسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة. . . وعلى كل تقدير فهو مرسل. . . إن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا. . .» ثم اعترض على ذكر أبي بكر وبلال بما اعترض عليه الذهبي.

وقال ابن سيد النـاس[١٠٨] إن في متنـه نكارة. وقال الذهبي[١٠٩] في تلخيصه على المستدرك: «وأظنه موضوعا، فبعضه باطل.».

وأنكر الشيخ عبدالرحمن الوكيل[١١٠] في تعليقه على الروض الأنف، ذكر أبي بكر وبلال في هذا الحديث.

ونحن نميل مع الذين قبلوا هذا الحديث ولم يردوه، أمثال: الترمذي والحاكم وابن سيد الناس والجزري وابن كثير والعسقلاني والسيوطي وابن حجر والألباني، وغيرهم من القدماء والمُحْدَثين، إذ إنه يمكن الجمع بين أقوال النقاد. فمادامت المشكلة هي خطأ ورود ذكر أبي بكر وبلال في القصة،

---

(١٠٧) البداية والنهاية (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).
(١٠٨) انظر. عيون الأثر في فنون المغازي والسير (١/ ٤٣).
(١٠٩) المستدرك للحاكم (٢/ ٦١٥).
(١١٠) الروض الأنف للسهيلي بشرح الوكيل (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٧)

فتحمل على أنها مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته كما قال ابن حجر.

وذكر ابن إسحاق[111] القصة بنحو سياق الترمذي، وليس فيه ذكر أبي بكر وبلال، ولكنها بدون إسناد، فيستأنس بروايته لإمامته في المغازي، ويكاد يكون لكل رواياته غير المسندة أصل[112].

أما إعلال ابن كثير[113] للقصة لأنها من رواية الأشعري الذي قدم على الرسول ﷺ بعد فتح خيبر، فمع محاولة ابن كثير الإجابة عن ذلك فهناك رواية أخرى رواها رزين[114] عن علي بن أبي طالب عن أبيه، وقال ابن الأثير[115] عنها: «وليس بينها وبين رواية الترمذي عن أبي موسى كبير اختلاف، ولعل بها يزول الإرسال المذكور[116]. ثم إن مرسل الصحابي يحتج به عند عامة العلماء.

وروى الأموي[117] أن الرسول ﷺ سافر مع عمه الزبير في تجارته إلى اليمن، عندما كان له من العمر بضع عشرة سنة. وذكروا انهم رأوا منه آيات في تلك الرحلة، من ذلك: ان فحلا من الإبل كان يقطع الطريق في واد يمرون عليه، فلما رأى الفحل رسول الله ﷺ برك حتى حك بكلكله الأرض، فركبه رسول الله. وأنه اعترضهم سيل عرم فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوا الوادي.

الحكمة من أقوال أهل الكتاب في صفة محمد ﷺ

إن في قصة الراهب بحيرى مع الرسول ﷺ دليل على معرفة أهل الكتاب

(١١١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٦ - ٢٤٠).
(١١٢) انظر: الدراسات التي تناولت أقوال النقاد عن ابن إسحاق في هذا الكتاب: مبحث مصادر السيرة...
(١١٣) البداية والنهاية (٢/ ٣٠٩).
(١١٤) انظر مقدمة جامع الأصول (١/ ٤٨).
(١١٥) جامع الأصول (١١/ ٢٥٩ - ٢٦١).
(١١٦) د. سليمان العودة: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ص ١٣٤.
(١١٧) المغازي، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٢/ ٣٠٠ - ٣٠١) وإسناده ضعيف لأن فيه عثمان الوقاصي، وهو ضعيف، ولأنه مرسل، موقوف على ابن المسيب.

صفة رسول الله ﷺ وزمانه كما هي عندهم في كتبهم، وهي تفسر لنا قوله تعالى في اليهود ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[118].

روى البخاري[119] من حديث عطاء بن يسار، أن عبدالله بن عمرو ابن العاص كان يقول إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾[120]، هي في التوراة: (يأيها النبي إنا ارسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك: المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا).

ولقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي وغيره (رضي الله عنهم)، تتبع خبر النبي ﷺ وصفاته من أحبار اليهود ورهبان النصارى.

ومن المعلوم أن أهل الكتاب حاولوا طمس هذه الحقيقة فيما بعد، كما حكى ذلك القرآن ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾[121][122]. ولم يوفقوا في طمس كل الحقيقة كما هو واضح من عبارات وردت في بعض أناجيل النصارى خاصة ببيان اسم النبي ﷺ المنتظر وصفته وزمانه ومكانه[123]، وقد فصل في ذلك

---

(١١٨) البقرة: ٨٩. وانظر الآثار الواردة في تفسير هذه الآية عند الطبري (٢/ ٣٣٢ - ٣٦/ شاكر) وهي آثار يتقوى ضعفها ببعضه ليرتفع إلى مرتبة الحسن لغيره.

(١١٩) الفتح (١٨/ ٢١٣ - ١٤/ح ٤٨٣٨). وانظر الحديث من طريق عبدالله بن سلام وكعب الأحبار وعائشة (رضي الله عنهم) في البخاري كما نقله عنه البيهقي في الدلائل (١/ ٣٧٦ - ٧٨). وانظر أحاديث أخرى في هذا الباب عند البيهقي في الدلائل (١/ ٣٧٨ - ٨٣).

(١٢٠) الأحزاب: ٤٥.

(١٢١) البقرة: ٧٩.

(١٢٢) انظر الآثار الواردة في تفسير هذه الآية عند الطبري: التفسير (٢/ ٣٣٢ - ٣٦/ شاكر).

(١٢٣) انظر. إنجيل برنابا، فصل ٤٢/ ٣ فما بعدها، وفصل ٤٣/ ٢٥ فما بعدها، وفصل ٤١/ ٢٧ فما بعدها. وانظر: إنجيل متى: ٤/ ١٧، ٢٠/ ٦١، ٢١/ ٤٢ - ٤٤. وانظر: العهد القديم - التوراة: سفر دانيال ٢/ ٣١ - ٤٥ فإنه يحدد الزمن الذي يظهر فيه النبي محمد ﷺ.

الدكتـور محمـد رواس قلعجـي[١٢٤]. وسيأتـي مزيد كلام عن هذه المسألة في الفصل الخاص بإرهاصات النبوة عندما قارب زمان الرسول ﷺ.

المبحث الثامـن: أ - رعيه الغنم في صباه، والحكم والعبر من ذلك:

روى البخاري[١٢٥] بسنده إلى أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «مامن نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يارسول الله؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط[١٢٦] لأهل مكة.».

وروى البخاري[١٢٧] ومسلم[١٢٨] من حديث جابر أن الرسول ﷺ رعى الغنم.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذا الرعي:

١) قال ابن حجر[١٢٩]: «قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ولأن مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة...» ثم قال:

«وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه

---

(١٢٤) في كتابه: من روح القرآن، ص ٣٥ وما بعدها من الطبعة الأولى، وكتابه محمد في الكتب المقدسة، وكتابه: العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة. وهذه الحاشية والتي قبلها أخذناها من كتابه: قراءة جديدة للسيرة النبوية، مرجع سبق ذكره، ص٣٩، وذلك تسهيلا لمن يرغب في الاستزادة.

(١٢٥) الفتح (١٠/٥/ح ٢٢٦٢).

(١٢٦) ذكر ابن حجر أن للعلماء قولين في معنى قراريط. أولها: القيراط جزء من الدينار أو الدرهم. وثانيهما: أن قراريط اسم موضع بمكة - الفتح (١٠/٥).

(١٢٧) الفتح (٢٠/٢٧٨/ح ٥٤٥٣).

(١٢٨) صحيحه (٣/١٦٢١/ح ٢٠٥٠).

(١٢٩) الفتح (١٠/٥ - ٦/ شرح الحديث رقم ٥٤٥٣).

من الأنبياء».

٢) يتجلى لنا في رعيه الغنم الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمل الله بهما نبيه محمدا ﷺ. إذ إن الرسول ﷺ ما ان آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤنة الإنفاق على عمه الذي وفر له وسائل العيش الكريم على الرغم من أنه كان ذو عيال كثيرين.

٣) إن الله (عز وجل) لا يعجزه أن يهيّئ لمحمد ﷺ كل وسائل الرفاهية ويغنيه عن الكدح سعيا وراء القوت، ولكن اقتضت حكمة الله أن تعلمنا ان خير مال الإنسان ما اكتسبه بجهده، وان قيمة الإنسان هي فيما يقدمه لمجتمعه من خدمات قدر طاقته.

٤) لن تكون لأصحاب الدعوات قيمة معتبرة عند الناس إذا كان كسبهم من عطايا الناس وصدقاتهم، ولذا فإن صاحب الدعوة أحرى الناس بالاعتماد على نفسه وجهده الشخصي في معيشته، والابتعاد عن الاستجداء، حتى لا يكون لأحد عليه منة أو فضل في دنياه فيعيقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه[١٣٠].

المبحث التاسع: عناية الله له وحفظه من بعض أمور الجاهلية والحكم والعبر من ذلك:

لقد شارك الرسول ﷺ في إعادة بناء الكعبة عندما تهدمت. فكان ينقل معهم الحجارة للبناء وعليه إزاره. فاقترح عليه عمه العباس أن يجعل إزاره على منكبيه ليقيه الحجارة. وعندما فعل ذلك، سقط مغشيا عليه، فما رئي بعد ذلك عريانا[١٣١].

وكان يوما ينقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، وذلك عندما كان صغيرا يلعب مع أترابه غلمان قريش، فأخذ إزاره فجعله على رقبته ليحمل

---

(١٣٠) انظر البوطي. فقه السيرة، ص ص ٥٤ ـ ٥٥.

(١٣١) البخاري/ الفتح (٣/٢٤/ح ٣٦٤)، مسلم (١/٢٦٨/ح ٣٤٠).

عليه الحجارة، فتعرى، وحينها لكمه من لم يره لكمة موجعة، وقال له: «شد عليك إزارك»، فشده عليه، وذلك دون غيره من الغلمان الذين كانوا معه[١٣٢].

وروي أن الله عصمه مرتين عندما حاول أن يسمر كما يسمر الشباب. ولكن اختلف العلماء في تصحيح هذا الخبر. فبينما صححه الحاكم والذهبي[١٣٣] وغيرهما، ضعفه ابن كثير[١٣٤] والألباني[١٣٥] لعلل ذكروها، وحججها قوية.

وخالف الرسول ﷺ قومه من أهل الحرم الذين عرفوا بـ«الحِمْس»[١٣٦]، إذ كان يفيض مع الناس من عرفات حين كانت الحمس تفيض من مزدلفة (جمع). وقد تعجب جُبَيْرُ بن مُطْعِم من الرسول ﷺ لهذا الفعل[١٣٧]، وكان ذلك توفيقا من الله تعالى له، كما قال جبير بن مطعم بعد إسلامه[١٣٨].

وجاء الإسلام، فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قد ابتدعته

---

(١٣٢) ابن إسحاق - بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٢٤١).

(١٣٣) المستدرك (٤/ ٢٥٤).

(١٣٤) البداية والنهاية (٢/ ٣١٢).

(١٣٥) حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ص ٧٢ - ٧٣، ودفاع...، ص ١٣ وما بعدها وانظر الخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٨٦) وقال المحققان في تخريجه: «أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده وابن إسحاق والبزار والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر، كلهم عن علي بن أبي طالب. وقال ابن حجر: إسناده حسن متصل ورجاله ثقات. وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٦): رواه البزار ورجاله ثقات». ومن العلل التي ذكرها الألباني:
١ - إنه ليس على شرط مسلم كما توهم الحاكم والذهبي لأن مسلماً إنما يروي لابن إسحاق مقرونا بغيره، والحاكم لم يروه عنه مقرونا بغيره.
٢ - محمد بن عبدالله بن قيس ليس مشهور العدالة فلم يوثقه غير ابن حبان وهو ممن يوثق المجهولين.
٣ - ومحمد بن قيس ليس من رجال مسلم... وانظر بقية كلام الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ٧٣.

(١٣٦) والحِمْس هم أهل الحرم ومن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم ومن دخل معهم من العرب مثل كنانة وجديلة، رأوا أن لهم منزلة فوق منزلة بقية العرب ولذلك ميزوا أنفسهم عنهم بأن تركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها. انظر: البخاري/ الفتح (٧/ ٣٢٠/ح/ ١٦٦٥) ومسلم (٢/ ٨٩٣ - ٩٤/ح ١٢١٩ وابن هشام (١/ ٢٥٦) وابن كثير (٢/ ٣١٣).

(١٣٧) البخاري/ الفتح (٧/ ٣٢٠/ح ١٦٦٤)، ابن إسحاق، بإسناد حسن (ابن هشام ١/ ٢٦١)، الحميدي: المسند (١/ ٢٥٥)، مسلم (٢/ ٨٩٤/ح ١٢٢٠)، الإصابة (٢/ ٦٥) ترجمة جبير ابن مطعم.

(١٣٨) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١/ ٢٦١ - ٢٦٢)، البداية والنهاية (٢/ ٣١٣).

قريش، قال تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[١٣٩].

وروى البيهقي[١٤٠] من حديث زيد بن حارثة أن الرسول ﷺ ما استلم صنما قط، وكان ينهى عن ذلك في الجاهلية. ورفض أن يمس صنم إساف أو نائلة عند طوافه كما كانت عادة أهل الجاهلية.

وروى ابن إسحاق[١٤١] أن بحيرا الراهب عندما حلف باللات والعزى، متابعة لقريش في طريقة حلفهم، قال له النبي ﷺ: «لا تسألني باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت بغضها شيئا قط.».

وحفظه الله (عز وجل) من كيد الشياطين[١٤٢]، في الجاهلية والإسلام[١٤٣].

ورفض الرسول ﷺ أن يعتكف عند صنم بوانة - حيث كان لقريش عيد عنده مرة كل عام - فغضب منه عمه أبوطالب وعماته غضبا شديدا، فعندما هم بمطاوعتهم عصمه الله من مس الأصنام، حيث تمثل له رجل أبيض طويل منعه من مسها، فلم يشارك في عيد لهم في حياته[١٤٤].

---

(١٣٩) البقرة: ١٩٩. وفي سبب نزولها انظر: مسلم (٢/ ٨٩٤/ح ١٢١٩) وابن اسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (١/ ٢٦١). وما يروي بدون إسناد فهو من باب الضعيف.

(١٤٠) دلائل النبوة (٢/ ٣٤)، البداية (٢/ ٣١٢)، سيرة الذهبي، ص ٨١، وحسنه الذهبي وقال محقق سيرته، الدكتور تدمري: «رواه أبويعلى والبزار والطبراني - مجمع الزوائد (٩/ ٤١٨)»، قلت: «إسناده حسن لغيره لأنه فيه محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص وهو صدوق له أوهام، وللحديث شاهد صحيح من حديث أسماء كما في السنن الكبرى للنسائي، ص ٤٩».

(١٤١) ابن هشام (١/ ٢٣٨) بإسناد معلق، وانظر البداية والنهاية (٢/ ٣١٢ - ١٣) ودلائل البيهقي (٢/ ٣٥). وكلها أسانيد ضعيفة. أما عدم حلفه باللات والعزى وبغضه لهما فقد ثبت بأسانيد صحيحة، وفي ذلك انظر أحمد: المسند (٤/ ٢٢٢) بإسناد صحيح، ورواه الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٥) وقال عنه: رجاله رجال الصحيح. والرواية تقول: «وكان جاره ﷺ هو وخديجة، يحدث أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: أي خديجة، والله لا أعبد اللات والعزى أبداً. والله لا أعبدالعزى أبداً. فتقول خديجة خل اللات، خل العزى..»

(١٤٢) دلائل أبي نعيم (١/ ١٩١)، الإصابة (٢/ ٣٨٩)، أحمد: المسند (٣/ ٤١٩)، وغيرها، ورجاله ثقات، كما ذكر محققا دلائل النبوة لأبي نعيم.

(١٤٣) انظر: دلائل النبوة لابي نعيم (١/ ١٩٢ - ٢١٢) واسناده في الطريقين ضعيف لضعف الحسين ابن عبدالله. ولكن تشهد له الأخبار الصحيحة والضعيفة التى جاءت عن بغضه الأصنام، فيتقوى.

(١٤٤) ابن سعد: الطبقات (١/ ١٥٨) من طريق الواقدي. فالإسناد ضعيف.

وروى البيهقي[١٤٥] ان ملكين منعاه أن يشهد مع المشركين مشاهدهم، فانتهى عن ذلك.

ومن أبرز الحكم والعبر من أخبار عناية الله وحفظه من أمور الجاهلية:

١ - أن في هذه الأخبار دليلاً على أن الرسول ﷺ كان مصونا عما يستقبح من أمور الجاهلية قبل البعثة وبعدها، وذلك من حماية الله تعالى له عما يسيء إلى شخصه ودعوته.

٢ - إن من الأمور المستقبحة عند الله تعالى التعرّي بحضرة الناس. وقد حرم الإسلام ذلك إلا للضرورة، مثل العلاج ونحوه[١٤٦].

٣ - إن عصمة الله تعالى له من ممارسة أفعال الجاهلية لدليل على تهيئة الله تعالى له لأمر جليل.

المبحث العاشر: حرب الفجار:

سميت الحرب التي دارت بين كنانة وقريش من جهة، وقيس عيلان من جهة أخرى بحرب الفِجَار لأنهم استحلوا المحارم بينهم[١٤٧]. وكان سببها تافها، لم يَعْدُ قتل رجل من قريش، تداعى بعده الأحلاف للقتال[١٤٨].

ذكر ابن إسحاق[١٤٩] ان هذه الحرب عندما هاجت كان لرسول الله ﷺ

---

(١٤٥) انظر الحديث كاملا عنده في الدلائل (٢/ ٣٥) والبداية والنهاية (٢/ ٣١٢) من حديث عثمان ابن أبي شيبة. قال ابن كثير عن الحديث: «أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة... وقد حكى البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٦) عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام، وذلك قبل أن يوحى إليه، والله أعلم».
وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥) أن عثمان بن أبي شيبة ممن اعتمده الشيخان في صحيحيهما. ورد قول العقيلي والأزدي اللذان ضعفا الحديث. وقال محقق دلائل البيهقي - الدكتور عبدالمعطي قلعة جي، الذي يميل الى تصحيح الخبر - في تخريج الحديث: «رواه أبو يعلى وابن عدي وابن عساكر عن جابر بن عبدالله...».
لقد أورد الذهبي في السيرة (٧٩ وما بعدها) أحاديث كثيرة تدل على عصمة الله للرسول ﷺ في الجاهلية، ومنها ما ساقه بأسانيده ولم يحكم عليها هو أو المحقق - الدكتور تدمري - ومنها ما لا إسناد له أصلا.. وحسن الشيخ طرهوني إسناده كما في صحيح السيرة النبوية، حاشية رقم (٢٠٩).

(١٤٦) انظر ابن حجر: الفتح (٣/ ٢٤).

(١٤٧) انظر ابن حجر: الفتح (٣/ ٢٤).

(١٤٨) ابن هشام (١/ ٢٤١ - ٢٤٣) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(١٤٩) ابن هشام (١/ ٢٤٣) بدون إسناد. فهو ضعيف.

عشرون سنة. وقال ابن هشام[١٥٠] إنها هاجت ولرسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، وان رسول الله ﷺ شهد بعض أيامهم مع أعمامه، وقال: «كنت أنبل على أعمامي» - أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

ولما كانت حرب الفجار قد استمرت زمنا طويلا فيمكن الجمع بين قولي ابن إسحاق وابن هشام بأن عمر الرسول ﷺ كان في مبتدئها نحو خمس عشرة سنة، ولذا كان ينبل على أعمامه. وعند انتهائها كان عمره عشرين سنة.

ومما يلفت النظر انه لم يرد ذكر لاشتراك الرسول ﷺ مباشرة في هذه الحرب وقد كان بلغ سن القتال، كما في رواية ابن إسحاق المذكورة. وعلل السهيلي[١٥١] ذلك لأنها كانت حرب فجار بين كفار، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله تعالى هي العليا.

قلت: لو صح حديث نبله على أعمامه، فهو دليل على اشتراكه في الحرب اشتراكا رمزيا غير مباشر، ويمكن تفسيره بأن الرسول ﷺ اشترك بهذه الكيفية في الدفاع عن المقدسات والمحارم، وخاصة أن قيس عيلان هي المعتدية، وهذا من القيم العليا التي اهتم بها الرسل والمصلحون، أي نصرة المظلوم.

المبحث الحادي عشر: شهوده حلف الفضول والحكم والعبر من ذلك:

روى أحمد[١٥٢] ان الرسول ﷺ قال: «شهدت حلف المطيبين[١٥٣] مع

---

(١٥٠) (١/ ٢٤١). وانظر تفاصيلها هنا، ص ص ٢٤١ - ٢٤٢، والحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ إسناده منقطع، فهو ضعيف.

(١٥١) الروض الأنف (١/ ٢٠٩).

(١٥٢) المسند (٣/ ١٢١/ شاكر). وصحح شاكر إسناده.

(١٥٣) المطيبون: هاشم وزهرة ومخزوم. قاله بعض رواة حديث أبي هريرة عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨). وقال البيهقي: «كذا روي هذا التفسير من رجال في الحديث ولا أدري قائله...». وقد سبق القول إن ابن إسحاق (ابن هشام ١/ ١٧٩ - ١٨١) أشار إلى حلف المطيبين، وهو اختلاف قريش بعد قصي: بني عبد مناف ومن حالفهم، وبني عبدالدار ومن حالفهم... فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا عند الكعبة... ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا بالمطيبين. وتعاقد بنو عبدالدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا لعدو، فسموا الأحلاف...

عمومتي وأنا غلام، وما أحب أنّ لي حمر النعم وأني أنكثه». وقال في رواية البيهقي[١٥٤]: «ما شهدت حلفا لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب ان لي حمر النعم وأني كنت نقضته».

قال البيهقي[١٥٥] معلقا على هذا الحديث: «زعم بعض أهل السير[١٥٦] انه أراد حلف الفضول، فإن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيبين». والراجح عندي قول أهل السير.

والبيهقي نفسه يقول في السنن الكبرى[١٥٧] إن الرسول ﷺ لم يدرك حلف المطيبين.

ويمكن الجمع بين رواية أحمد والبيهقي ورواية أهل السير ان حلف المطيبين قد تجدد في حياة الرسول ﷺ وعرف باسم آخر هو «حلف الفضول»[١٥٨]، والله أعلم.

وروى الحميدي[١٥٩] ان رسول الله ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان[١٦٠] حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوما». وروى ابن إسحاق[١٦١]

---

(١٥٤) دلائل النبوة (٢/ ٣٧ - ٣٨)، ابن كثير: البداية (٢/ ٣١٥) من رواية البيهقي، ومن عدة طرق وإسناده قوي.

(١٥٥) الدلائل (٢/ ٣٨).

(١٥٦) يشير هنا إلى ابن قتيبة - صاحب المعارف -، الذي قال إن حلف المطيبين هو حلف الفضول، وغلطه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦٧) لأن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيبين الذي كان قبل أن يولد النبي ﷺ بمدة، ووافقه ابن كثير (البداية ٢/ ٣١٥) وجزم بأن الحلف المراد والذي شهده الرسول ﷺ هو حلف الفضول. و قال الدكتور قلعة جي في تحقيقه لدلائل البيهقي إنه من خلال سياق قصة تكوين حلف المطيبين يتبين أنه في زمان هاشم أبي عبدالمطلب جد الرسول ﷺ. وقد فرق ابن هشام بين حلف المطيبين وحلف الفضول. وذكر ابن اسحاق عناصر كل حلف منها وسببه مما يبدو معه أن هناك فرقا بينها. انظر مناقشة هذه القضية عند ابن كثير في البداية (٢/ ٣١٥ - ٣١٧) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٧ - ٤٢) خاصة حاشية المحقق.

(١٥٧) (٦/ ٣٦٧).

(١٥٨) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٤٥٦/ مادة الفاء مع الضاد)، وأحمد شاكر: حاشيته على مسند أحمد (٣/ ١٢٢)، والشامي: سبل الهدى والرشاد (٢/ ٢٠٩).

(١٥٩) نقله عنه ابن كثير في البداية (٢/ ٣١٥) وإسناده صحيح. قال الشامي في سيرته والدكتور قلعة جي - محقق دلائل البيهقي (١/ ٤٠) إن قوله: تحالفوا... إلى آخره، مدرج من بعض رواته وليس بمرفوع، فلا دلالة حينئذ فيه.

(١٦٠) تيمي من قرابة عائشة (رضي الله عنها)، يكنى بأبي زهير.

(١٦١) ابن هشام (١/ ١٨٢ - ١٨٣) وإسناده صحيح مرسل، ويشهد له حديث الحميدي، فيتقوى.

أن الرسول ﷺ قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

لقد عقد هذا الحلف بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم، على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم[١٦٢]. وكان ذلك في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة، منصرف قريش من حرب الفجار، ولرسول الله ﷺ يومئذ عشرون سنة. وكان أول من دعا اليه الزبيربن عبدالمطلب، عم رسول الله ﷺ.

وكان سببه، ان رجلا من زبيد، قدم مكة ببضاعة له، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وكان ذو شرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبدالدار ومخزوما وجمحا وسهما، فأبوا أن يعينوه على العاص، وزجروه. فلما رأى الزبيدي الشر، رقى على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فقال بأعلى صوته:

«يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... ياللرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر»

فقام في ذلك الزبير بن عبدالمطلب، وقال: «أهذا مترك؟» فاجتمعت قريش وزهرة وتيم، في دار عبدالله بن جدعان، فتحالفوا وتعاهدوا في ذي القعدة الحرام ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة[١٦٣] ومارسا ثبير وحراء مكانهما، وعلى التأسي في المعاش. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضول من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها اليه[١٦٤].

---

(١٦٢) ابن إسحاق، بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٨٢).

(١٦٣) ما بل بحر صوفة يعني إلى الأبد، أي ما قام في البحر ماء ولو قطرة. انظر: الشامي سبل الهدى والرشاد، (٢/ ٢١٠).

(١٦٤) ابن كثير: البداية (٢/ ٣١٥) - ٣١٦) ولم يسنده، ولم يعزه لأحد من أهل السير، ورواه ابن سعد (١/ ١٢٨ - ٢٩) مختصرا، من طريق الواقدي. ولزيادة المعلومات عن سبب هذه التسمية انظر: السهيلي: الروض (١/ ١٥٥).

ومن أبرز الحكم والعبر من خبر شهوده حلف الفضول:

١) إذا كان أهل الجاهلية يرفضون الظلم بدوافع فطرية فأولى بأهل الإسلام رفضه بدوافع عقدية، لأن الإسلام، جاء حاثا على عدم الظلم ومتمشيا مع الفطرة ومقوما لها من أي انحراف. ولا غرابة أن يؤكد الرسول ﷺ على أهمية ذلك الحلف لأن مضمونه هو مضمون مادعا إليه الإسلام في أمر إحقاق الحق وإبطال الظلم.

٢) إن الدور الذي قام به الزبير في هذا الحلف لدليل على مروءة رجال البيت الهاشمي، وبيان فضلهم على غيرهم في مثل هذه المواطن، وحسبهم فضلا وشرفا أن الرسول ﷺ كان منهم.

المبحث الثاني عشر: أ ـ زواجه من خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب امرأة حازمة شريفة لبيبة، من أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكان رجال قومها يحرصون على الزواج منها. وكانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فوافق، وخرج مع غلام لها يدعى ميسرة. ومن خلال معاشرة ميسرة للرسول ﷺ رأى من الآيات والمعجزات ماحكاه لسيدته خديجة، فرغبت في الزواج منه[١٦٥].

ومن تلك الآيات ان الرسول ﷺ عندما قدم بصرى من أرض الشام، نزل في ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، لاتفارقه، قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء.

---

(١٦٥) ابن إسحاق، دون إسناد ـ ابن هشام (١/ ٢٤٤ ـ ٤٥).

وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه إذا اشتدت الهاجرة. وتقول الرواية إن خديجة رأت ذلك عندما دخل محمد ﷺ مكة في ساعة الظهيرة. وفي القصة انه وقع بين الرسول ﷺ ورجل تلاح في البيع، فقال الرجل للنبي ﷺ: أحلف باللات والعزى، فقال النبي ﷺ: «ما حلفت بهما قط، واني لأمُرُّ فأعرض عنهما».

وقال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم. وفي القصة أيضا أن تجارة الرسول ﷺ ربحت ضعف ماكانوا يربحون، وأضعفت خديجة للنبي ﷺ ضعف ما سمت له من قبل، وهو أصلا ضعف ماكانت تعطي لغيره من قريش.

وذكرت خديجة لابن عمها ورقة بن نوفل قول الراهب نسطورا الذي سمعه منه ميسرة، وهو: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي»، وما كان يرى ميسرة من إظلال الملكين له، فقال ورقة: «لئن كان هذا حقا ياخديجة، إن محمدا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه»[١٦٦].

كان هذا الذي سمعته خديجة من ميسرة وورقة تأكيدا لما كانت تعرفه من أخلاقه وعلو شأنه، لذا رغبت في الزواج منه، فأرسلت صديقتها نفيسة بنت منية تعرض عليه ذلك، فوافق ﷺ على ذلك، فتم الزواج[١٦٧].

وقد أخرج البزار[١٦٨] والطبراني[١٦٩] عن جابر ان أختاً لخديجة استكرت رسول الله ﷺ وشريكاً له. فلما قضيا السفر بقي لهما عليها شيء، فجعل

---

(١٦٦) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥٦): «إسناده حسن». ورواه ابن إسحاق دون إسناد ـ ابن هشام (١/ ٢٤٧). وحديث الطبراني شاهد على أن لحديث المحاملي وابن سعد وابن إسحاق أصلا ـ سيأتي ذكر ذلك قريبا.

(١٦٧) رواه المحاملي كما ذكر الذهبي في السيرة، ص ٦٤، من حديث نفيسة بنت منية. وأنكر الذهبي ماجاء في قصة خروجه ﷺ إلى الشام تاجرا من حديث نفيسة بنت منية، الذي فيه خبر إرسال خديجة نفيسة لتعرض على الرسول ﷺ رغبتها الزواج منه. وهو عنده خبر ضعيف لأن فيه عبدالله ابن شبيب، وهو واه، وموسى بن شيبة، وهو ضعيف، وعمر بن أبي بكر العدوي وهو ضعيف. ورواه ابن إسحاق بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، وابن سعد (١/ ١٢٩ ـ ١٣٣) باسناد ضعيف.

(١٦٨) انظر: كشف الأستار (٣/ ٢٣٧).

(١٦٩) مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٢٢٢) والخبر إسناده حسن على الأقل.

شريكه يأتيهم ويتقاضاهم، وعندما يطلب من محمد ﷺ أن يفعل مثله يعتذر بحجة انه يستحي من ذلك. فذكرت ذلك لخديجة فأعجبت به وطلبت منه أن يخطبها إلى أبيها، فقال: أبوك رجل كثير المال وهو لا يفعل. قالت: انطلق فالقه وكلمه، ثم أنا أكفيك، وائت عند سكره.

وتزوجت خديجة، قبل الرسول ﷺ عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له امرأة، ومن بعده تزوجت أبا هالة بن النباش التميمي، وولدت منه ابنها هنداً وامرأة، ومات أبو هالة في الجاهلية(١٧٠).

وذكر ابن سعد(١٧١) ان أول من تزوجها هو أبو هالة واسمه هند ابن النباش بن زرارة، فولدت له رجلاً يقال له هند ثم خلف عليها بعده عتيق ابن عابد بن عبدالله المخزومي، فولدت له جارية يقال لها هند، فتزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبدالله. قلت: ولمحمد بن صيفي ترجمة في الإصابة والاستيعاب. أما الرسول ﷺ فكان أول من تزوجها هي خديجة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت(١٧٢). وكان ذلك سنة خمس وعشرين من مولده ﷺ في قول الجمهور(١٧٣).

واختلف العلماء في الذي تولى أمر زواجها. فقد ذكر البيهقي(١٧٤) ان

---

(١٧٠) قاله ابن حجر في الفتح (١٤/ ٢٨٧)، انظر: ابن عساكر، ص ص ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩. وهو من رواية ابن إسحاق في السير والمغازي، ص ٢٤٥. وعند ابن سعد (٨/ ١٥) ابن عابد وفي الإكمال (٦/ ١) ابن عائذ.

(١٧١) الطبقات (٨/ ١٤ - ١٥).

(١٧٢) مسلم (٤/ ١٨٨٩/ح ٢٤٣٦)، ابن هشام (١/ ٢٤٦) معلقا. وقال ابن حجر في الفتح (١٤/ ٢٩١): «وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار».

(١٧٣) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٨٦ - ٢٩٥). وقد أفرد البخاري بابا بعنوان: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (رضي الله عنها)، فانظر: البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٨٦ - ٢٩٥/ح ٣٨١٨ - ٣٨٢٤). وانظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق - السيرة النبوية، القسم الأول، ص ١٥٦، ١٥٧، ابن سعد (٨/ ١٦، ١٧) من طريق الواقدي، وقيل كان عمره يومئذ ثلاثين عاما - انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق - السيرة النبوية، القسم الأول - ص ١٥٨، وإسناده ضعيف، وهو شاذ لمخالفته قول الجمهور.

(١٧٤) دلائل النبوة (٢/ ٧١ - ٧٢). وإسناده ضعيف جدا. وقاله ابن إسحاق - انظر: ابن هشام (١/ ٢٤٦). وله شواهد تقويه، منها: أ - حديث ابن عباس الذي رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٧٣) باسناد ضعيف. ب - حديث أبي مجلز عند ابن سعد (١/ ١٣٢) بإسناد ضعيف. ج - حديث ابن عباس عند أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ١٩٧) بإسناد قوي. د - حديث الزهري الذي رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٦٩) بإسناد مرسل.

الذي زوجه إياها هو أبوها خويلد، وهو سكران، وفي نهاية الخبر يقول الراوي - المؤملي - عمر بن أبي بكر: «والمجتمع ان عمها عمرو بن أسد الذي زوجها». وقد ضعف الهيثمي[175] هذا الخبر لأن فيه عمر بن أبي بكر - المؤملي - وهو متروك. وذكر ابن إسحاق[176] أن الذي زوجها هو أبوها خويلد، وقال السهيلي[177] وابن كثير[178] والشامي[179] ان ابن إسحاق ذكر في السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها، ولكن لم نجد ذلك في المطبوع من سيرة ابن إسحاق. وذكر الواقدي[180] أن عمها عمرو بن أسد هو الذي ولي نكاحها، وخطأ من قال بغير هذا، لأن والدها - كما ذكر - مات قبل حرب الفجار، ووافقه على هذا السهيلي[181]، وابن سيد الناس[182] وابن عبدالبر[183]، والشامي[184].

وإذا ثبت هلاك والدها قبل الفجار فيلزم أن يكون الذي تولى نكاحها هو عمها. والظاهر ان أحاديث ولاية أبيها لنكاحها أقوى، لأنها جاءت من عدة طرق تعتضد لترتقي إلى درجة الحسن لغيره، وعلى أقل تقدير تدل على أن للقصة أصلا، والله أعلم[185].

وكان الذي ذهب مع الرسول ﷺ لخطبة خديجة، عمه حمزة بن عبدالمطلب.

---

(١٧٥) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٠ - ٢٢١). وروى البيهقي من غير طريق المؤملي أن أباها زوجها وهو سكران. وقال المحقق: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣١٢) مطولا بإسناد ضعيف، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٠) عنه وعن الطبراني، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح».

(١٧٦) ابن هشام (١/ ٢٤٦).

(١٧٧) الروض الأنف (١/ ٢١٤).

(١٧٨) البداية والنهاية (٢/ ٣٢٠).

(١٧٩) سبل الهدى والرشاد (٢/ ٢٢٥).

(١٨٠) ابن سعد (١/ ١٣٢ - ١٣٣)، الطبري (٢/ ٢٨٢).

(١٨١) الروض الأنف (١/ ٢١٣).

(١٨٢) عيون الأثر (١/ ٥٠).

(١٨٣) الاستيعاب (٤/ ٢٨٠).

(١٨٤) سبل الهدى والرشاد (٢/ ٢٢٤). ويقول الشامي هنا: «... ما تقدم من أن عمها هو الذي زوجها رسول الله ﷺ ذكره أكثر علماء أهل السير. قال السهيلي: وهو الصحيح، لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم وابن عباس وعائشة كلهم قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله ﷺ وإن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه».

(١٨٥) وقد حسن الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني إسناد قصة ولاية أبيها لنكاحها وهو سكران «فلينظر تفاصيل تحقيقه لطرق هذه الرواية في كتابه: صحيح السيرة النبوية (١/ ٢١٥ - ٢١٦).

لقد كان لخديجة (رضي الله عنها) مكانة عظيمة عند الرسول ﷺ. ورويت في الصحيحين[١٨٦] وغيرهما عدة أحاديث في مناقبها الكثيرة. ولا غرابة في ذلك، فهي ذات الخصال الحميدة التي ذكرنا طرفا منها، وفوق ذلك فهي التي عرفت بين قومها بـ«الطاهرة العفيفة»[١٨٧]. وهي التي رزق منها الرسول ﷺ جميع أبنائه[١٨٨] ما عدا إبراهيم، فهو من مارية القبطية[١٨٩]، والمتفق عليه من أولاده منها: القاسم - وبه كان يكنى - ومات صغيرا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة - وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة - ثم ولده عبدالله، الذي ولد بعد المبعث، وكان يقال له الطاهر والطيب[١٩٠]، ويقال هما أخوان له[١٩١]. ومات الأبناء الذكور صغارا باتفاق[١٩٢]. أما البنات فأدركن البعثة ودخلن في الإسلام، وهاجرن معه ﷺ[١٩٣].

---

(١٨٦) انظر: البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٨٦ - ٢٩٥/ح ٣٨١٨ - ٣٨٢٤)، مسلم (٤/ ١٨٨٦ - ١٨٨٩/ح ٢٤٣٠ - ٢٤٣٧). وزيادة على ذلك انظر: جامع الأصول (٩/ ١٢٠ - ١٢٥) وانظر تعليق ابن حجر على معنى ألا يتزوج عليها - الفتح (١٤/ ٢٩١) وتعليق النووي على أحاديث فضلها - مسلم بشرح النووي (١٥/ ٢٠٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٣١٨ - ٣٢٠). ومن أمثلة ذلك قول الرسول ﷺ: «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» - البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٨٨/ح ٣٨١٨)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦/ح ٢٤٣٠) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يارسول الله، هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» - البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٩٣/ح ٣٨٢٣)، ومسلم (٤/ ١٨٨٧/ح ٢٤٣٢).

(١٨٧) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص ١٠٩، ١٥٩.

(١٨٨) انظر: الفتح (١٤/ ٢٩١/ح ٣٨٢١)، سيرة الذهبي، ص ص ٦٥ - ٦٦، ابن هشام (١/ ٢٤٦). وذكر ابن إسحاق - بدون إسناد - أن أولاده الذكور هم: القاسم والطيب والطاهر. تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده لأبي عبيد ص ص ٤٨ - ٥٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص ص ١٠٢ - ١٣٦، وقد استقصى - تقريبا - جميع الأقوال في أبناء الرسول ﷺ وتواريخ ميلادهم ووفاتهم وعددهم وأسمائهم، وما جاء في أحوالهم أحياء وأمواتا.

(١٨٩) انظر ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٩١)، ابن اسحاق - بدون إسناد (ابن هشام (١/ ٢٤٧)، ابن سعد (١/ ١٣٤ - ٣٥) بأسانيد مختلفة في بعضها الواقدي - وعموما فالخبر مشهور، لاخلاف فيه يذكر.

(١٩٠) انظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق - السيرة النبوية، القسم الأول، ص ١٠٨ و ١١٧.

(١٩١) المصدر نفسه، ص: ١٠٨، ١١٧، ١١٨.

(١٩٢) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٩١)، البداية والنهاية (٢/ ٣١٨) - ١٩) البيهقي: الدلائل (٢/ ٧٠) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا لأن فيه إبراهيم بن عثمان - متروك؛ ابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام (١/ ٢٤٧ - ٢٤٧).

(١٩٣) البداية والنهاية (٢/ ٣١٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٦٩).

ومـاتت خديجـة عن خمس وستين سنة[١٩٤] كما هو المشهور، وقيل غير ذلـك[١٩٥] وكـان عمـرها عندما تزوجها الرسول ﷺ اربعين سنة، كما هو المشهور[١٩٦]، وقيل غير ذلك[١٩٧].

ب ـ حكم وفوائد من هذا المقطع

١) إن في إظلال الملكين له وشهادة الراهب له بالنبوة دليلا على النبوة.
٢) إن في رغبة خديجة الزواج منه دليلا على ما كان يتميز به الرسول ﷺ من أخلاق عالية.
٣) إن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل خديجة دليل على شرفها وعلو مكانتها عند الله ورسوله والناس.
٤) لا غضاضة في أن تبدي المرأة الصالحة رغبة الزواج من الرجل الصالح كما فعلت خديجة عندما خطبت محمدا إلى نفسها، رغبة فيه لصلاحه.
٥) إن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتما بذلك كبقية أقرانه من الشبان لطمع بمن هي أقل منه سنا أو بمن ليست أكبر منه على اقل تقدير، أو بمن ليست ثيبا. ويتجلى لنا أنه ﷺ انما رغب فيها لشرفها ونبلها حتى انها كانت تلقب بالعفيفة الطاهرة. ولقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما. وقد ناهز هو الخمسين من العمر، وفي تلك الفترة ـ من فترة الشباب إلى الخمسين ـ تكون رغبة الرجال في النساء والميل إلى التعدد لدوافع الشهوة. ولكن الرسول ﷺ لم يفكر في ذلك، ولو شاء لوجد الكثير من النساء الراغبات أو الإماء،

---

(١٩٤) ابن سعد (٨/٦، ١٨) من طريق الواقدي وهو متروك.
(١٩٥) قال مصعب الزبيري: «وبلغت خديجة خمسا وستين سنة، ويقال خمسين، وهو أصح».. نقلا عن دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧٠ - ٧١) وابن كثير في البداية (٢/ ٣١٨) ولم يعلق عليه.
(١٩٦) انظر ابن سعد: الطبقات (٨/ ١٧) من طريق الواقدي والواقدي متروك.
(١٩٧) روى هشام الكلبي أن عمرها كان ثمانيا وعشرين سنة ـ انظر ابن سعد: الطبقات (٨/ ١٦ - ١٧). والكلبي متروك، وهـذا القول شاذ. وفي رواية للواقدي أنها كانت يومئذ بنت خمس وأربعين سنة ـ انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ـ السيرة النبوية، القسم الأول ـ ص١٥٧ والرواية ضعيفة لأن الواقدي متروك في الحديث مع سعة علمه، ولا تنكر إمامته في المغازي والسير.

دون أن يخرج عن مألوف.

٦) إن في التقاء العفيفة الطاهرة بالصادق الأمين وإنجاب الذرية الصالحة من هذا الزواج لمكرمة أكرم الله نبيه ﷺ بها ليظل في مكانة اجتماعية مرموقة لا مطعن فيها.

المبحث الثالث عشر: أ ـ مشاركته في بناء الكعبة ووضعه الحجر الأسود في مكانه:

روى البيهقي[١٩٨] ان الله أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) أن ابن لي بيتا في الأرض، فضاق به ذرعا، فأرسل الله (عز وجل) إليه السكينة، وهي ريح خجوج[١٩٩] لها رأس، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت، ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية، فبنى إبراهيم، فكان يبني ساقا كل يوم، حتى إذا بلغ مكان الحجر، قال لابنه: ابغني حجرا، فالتمس حجرا حتى أتاه به، فوجد الحجر الأسود قد ركب، فقال له ابنه: من أين لك هذا؟ قال جاء به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل (عليه السلام) من السماء فأتمه.

وروى البيهقي[٢٠٠] من طريق آخر بمعناه، وزاد فيه، انه عندما انهدم بنته العمالقة، وعندما انهدم للمرة الثانية بنته جرهم وعندما انهدم للمرة الثالثة بنته قريش ورسول الله ﷺ يومئذ رجل شاب. وعندما أرادوا هدمه إذ هم بحية على سور البيت فروعتهم فلم يقدروا على هدمه. فاجتمعت قريش عند البيت وتضرعوا إلى الله ليزيل عنهم هذا البلاء، فأرسل الله طائرا فغرز مخالبه في قفا الحية، ثم انطلق بها يجرها حتى انتهى بها نحو أجياد، فتمكنت

---

(١٩٨) دلائل النبوة (٢/ ٥٥) وأخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٩ ـ ٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٢ ـ ٩٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٢٤ ـ ٢٥).

(١٩٩) خجوج: أي شديدة.

(٢٠٠) دلائل النبوة (٢/ ٥٦، ٥٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٨) وصححه وأقره الذهبي.

قريش من هدم الكعبة لإعادة البناء[٢٠١]. فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود إلى مكانه اختصموا فيه. فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة، فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم. فقضى بينهم أن يجعلوه في مِرْط، ثم ترفعه جميع القبائل[٢٠٢].

وروى الإمام أحمد[٢٠٣] وأهل السير[٢٠٤] ان قريشا عندما اختلفت في وضع الحجر الأسود في مكانه، قالوا: اجعلوا بينكم حكما، فقالوا أول رجل يطلع من الفج، فجاء رسول الله ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فرفعوا نواحيه، فوضعه النبي ﷺ في مكانه المطلوب.

ولولا حكمة الله وهداية رسوله ﷺ إلى هذا الحل، لسفكت الدماء[٢٠٥].
فقد روي ان الخلاف في وضع الحجر الأسود قد وصل إلى أن قربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، دون أن يردها إلى الوفاق أي رأي أو تدبير، حتى كان خمود نار الفتنة على يد رسول الله ﷺ[٢٠٦].

---

(٢٠١) طرف من حديث رواه عبدالرزاق في مصنفه (٥/١٠٢/ح ٩١٠٦) وقال الذهبي في السيرة ص٧٧: «هذا حديث صحيح»، ورواه الذهبي بنحوه في السيرة، ص٧٧، من حديث محمد ابن كثير المصيصي، بإسناد صحيح.

(٢٠٢) هو تكملة حديث البيهقي في الدلائل (٢/٥٦، ٥٧) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٤٥٨) وصححه وأقره الذهبي.

(٢٠٣) المسند (٣/٤٢٥) من حديث السائب بن عبدالله، ومن غير طريق ابن إسحاق وحسن الألباني إسناده ـ حاشية فقه السيرة للغزالي، ص٨٤. وقد صحح السند نفسه الحاكم (١/٤٥٨) وسكت عنه الذهبي ـ انظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) حيث رواية في إسنادها هلال بن خباب، وقد اختلط في آخره. ولكن له شاهد من حديث علي. ورواه الذهبي في سيرته، ص٦٨، والبيهقي في دلائله (٢/٥٧) من حديث الزهري بإسناد مرسل، وفيه أن ذلك كان عندما بلغ رسول الله ﷺ الحلم!! وبذلك يكون خبر حكم الرسول ﷺ بين قريش عندما اختلفوا في وضع الحجر الأسود صحيحا بمجموع هذه الطرق.

(٢٠٤) ابن إسحاق، بدون إسناد ـ ابن هشام (١/٢٥٤ ـ ٢٥٥). وانظر حاشية المحققين في تخريج هذا الخبر. وانظر حاشية محققي الدلائل للأصبهاني (١/١٧٥، ١٧٦) وسيرة الذهبي، ص ص٦٦ ـ ٦٨، ابن سعد (١/١٤٥) من طريق الواقدي. ويشهد لحديث ابن إسحاق حديث أحمد والحاكم والذهبي وغيرهم.

(٢٠٥) انظر أعداد الفريقين المتنافسين للحرب عند ابن إسحاق ـ ابن هشام (١/٢٥٤).

(٢٠٦) ابن إسحاق، بدون إسناد ـ ابن هشام (١/٢٥٤).

وعندما أكملوا البناء ساق الله إليهم سفينة من أرض الروم، فانكسرت قريبا من جدة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا روميا نجارا عندها، فأخذوا الخشب بإذنه، وقدموا بالخشب والنجار الرومي ليبني لهم به عرش الكعبة[٢٠٧].

وقد جزم عبدالرزاق[٢٠٨] وابن إسحاق[٢٠٩] ان عمر النبي ﷺ إذ ذاك كان خمسة وثلاثين عاما، وهو المشهور[٢١٠]. وقيل كان ابن خمس وعشرين سنة[٢١١]، وقيل كان غلاما[٢١٢].

ب ـ حكم وعبر من هذا المقطع:

١) إن قبول قريش تحكيم الرسول ﷺ في أمر وضع الحجر الأسود في مكانه من البيت الحرام، ووصفهم له بالأمين، دليل على تربية الله سبحانه لنبيه على مكارم الأخلاق التي كان من بينها الصدق والأمانة.

٢) إن الاقتراح الذي توصل إليه الرسول ﷺ لحل هذه الأزمة كان بتوفيق من الله تعالى ليلفت أنظار الناس إلى ما سيختاره له الله من القيام بأمر أكبر من هذا لتوحيد الناس... وهو الإسلام.

٣) جاء إسهام الرسول ﷺ في القضايا الكبرى التي عاشتها مكة آنذاك، متنوعا شاملا مغطيا شتى مساحات العمل البشري الجماعي، وكأنه أريد له أن يجرب كل شيء، أن يسهم عاملا في كل اتجاه، وأن يبني عبر نشاطاته المتنوعة جميعا شخصية قادرة على التصدي لكل مشكلة،

---

(٢٠٧) طرف من حديث رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/١٠٢/ح ٩١٠٦) وقد سبق تصحيحه وذكره في هذا المبحث نفسه. حاشية رقم (٢٠١).

(٢٠٨) المصنف (٥/١٠٢) بإسناد صحيح، ولفظه: «وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل الله خمس سنين».

(٢٠٩) سيرة ابن هشام (١/٢٤٩) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٢١٠) انظر: البداية والنهاية (٢/٣٢٤) والسيرة النبوية للذهبي، ص٧٧ من حديث عبدالرزاق الذي صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو في المصنف (٥/١٠٢ ـ ١٠٣) برقم ٩١٠٦.

(٢١١) البيهقي: دلائل النبوة (٢/٦٢) وممن قاله: موسى بن عقبة ومجاهد وعروة بن الزبير ومحمد بن جبير، بطرق موقوفة عليهم. وانظر البداية (٢/٣٢٤).

(٢١٢) البيهقي: دلائل النبوة (٢/٥٧)، وهو موقوف على الزهري. وانظر مناقشة هذه الأقوال عند الدكتور قلعة جي في حاشية الدلائل (٢/٦٢)....

والإسهام الإيجابي الفعال في كل ما من شأنه أن يعيد حقا أو يقيم عدلا . . . وكـان إسهامه في بناء الكعبة، وحل مشكلة وضع الحجر الأسود التي كادت تؤدي إلى فتنة، اثنين من بين عدة أنشطة متنوعة قام بها الرسول ﷺ فأكسبته خبرة في مجال التعامل مع الأحداث[٢١٣].

المبحث الرابع عشر: أ ـ من إرهاصات النبوة عند اهل الكتاب وكهان العرب عندما قارب زمن بعثة الرسول ﷺ:

عقد ابن إسحاق[٢١٤] فصلا عن أخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى بقرب مبعث النبي ﷺ.

ومما روي في أمر كهان العرب بطرق صحيحة حديث ابن عباس في رمي الجن بالنجوم قطعا لمصدر كهانة العرب في الجاهلية[٢١٥]. وخبر سواد بن قارب الكاهن مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث كان سواد يقول: «إن الشياطين قد سكتت ذليلة مغلوبة قبيل مبعث النبي ﷺ[٢١٦]»، وكان سبب إسلامه هو ما رآه من إرهاصات عن طريق ممارسته الكهانة والاستعانة بالجن في ذلك، كما جاء ذلك في خبره[٢١٧].

روى ابن إسحاق[٢١٨] في إخبار يهود برسول الله ﷺ ان يهوديا كان من جيران بني عبدالأشهل، حدثهم عن البعث والجزاء فاستنكروا ذلك وطالبوه

---

(٢١٣) انظر الدكتور عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص ص ٤٨ ـ ٤٩.
(٢١٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٢).
(٢١٥) مسلم (٤/ ١٧٥١/ح ٢٢٢٩).
(٢١٦) انظره كاملا في سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨) بسند منقطع من رواية ابن إسحاق، وروى قصته مع عمر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٢١ ـ ٢٥/ح ٢٨٦٦)، ولم يصرح البخاري أن الكاهن هو سواد، ولكن ابن حجر هو الذي صرح بذلك من طرق يقوي بعضها بعضا ـ الفتح (١٥/ ٢٢)، وكذلك العيني في عمدة القاري (١٧/ ٦ ـ ٧)، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٤) بإسناد متصل إلى البراء بن عازب، وحاشية محققي سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨).
(٢١٧) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٥)، دلائل البيهقي (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥١).
(٢١٨) ابن هشام (١/ ٢٧٠) وسنده متصل ورجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فهو حسن. ورواه من طريقه غير واحد، مثل: أحمد (٣/ ٤٦٧)، الهيثمي: المجمع (٨/ ٢٣٠)، وأبونعيم: الدلائل (١/ ٧٤ ـ ٧٥)، والبيهقي: الدلائل (٢/ ٧٨ ـ ٧٩)، والحاكم: المستدرك (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨). وانظر سيرة الذهبي، ص ٧٤ والخبر صحيح عند كل هؤلاء.

بآية ذلك، فقال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده جهة مكة واليمن.

وروى ابن إسحاق[٢١٩] ان من أسباب إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد من يهود بني هدل، إخوة بني قريظة، ما أخبرهم به يهودي يقال له ابن الهيبان، قدم من الشام إلى المدينة قبيل البعثة بسنين. قال لهم إن سبب قدومه المدينة توقع خروج نبي فيتبعه، ودعا اليهود إلى اتباعه وألا يسبقهم إليه أحد، وذكر لهم بعض صفاته. فعندما تأكدوا منها يوم حصار قريظة أسلموا.

وفي قصة سلمان الفارسي وخروجه من بلاده بحثا عن الدين الحق وتقلبه في الرق إلى أن جاء إلى المدينة[٢٢٠]، وقصة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وخروجهما من مكة بحثا عن الدين الحق حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، قال الراهب لزيد إن الذي تلتمس يوشك أن يظهر في أرضهما[٢٢١]. في هذه القصص وغيرها دليل على ما كان سائدا عند اليهود والنصارى في ذلك الوقت، من اعتقاد بقرب ظهور النبي محمد ﷺ. وللصفات التي عرفت من الأحبار والرهبان عن الرسول ﷺ أسلم سلمان الفارسي.

---

(٢١٩) القصة عند ابن اسحاق بسند منقطع (ابن هشام ١/٢٧٢)، وكذلك في دلائل أبي نعيم (١/ ٨١) ودلائل البيهقي (٢/ ٨٠ - ٨١) كلاهما عن طريق ابن إسحاق، وعند ابن سعد (١/ ١٦٠) من طريق الواقدي. ويتقوى هذا الأثر بالمتابعة وقابل للاحتجاج به لأن البخاري ومسلم قد أشارا في صحيحيهما إلى أن بعض بني قريظة قد لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا. انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٢٠٣/ح ٤٠٢٨)، ومسلم (٣/١٣٨٨/ح ١٧٦٦)، وأباداود في سننه (٢/ ١٤٠ - ٤١) وأباعوانة في مسنده (٤/١٦٣). انظر تخريج الخبر عند السندي في رسالته: مرويات تاريخ يهود المدنية، ص٢٧٣، ٢٨٠ - ٨١ .

(٢٢٠) انظر قصته بطولها عند ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ١/ ٢٧٣ - ١٨٢) أما البخاري فقد ذكر توجيه الرسول ﷺ لسلمان بأن يعتق نفسه بالمكاتبه ـ البخاري/ الفتح (٩/ ٢٨٠/ ك. البيوع/ ب، شراء المملوك من الحربي) وهو معلق. ورواه غير واحد من طريق ابن اسحاق. انظر حاشية ابن هشام (١/ ٢٨٢)، وابن حجر: الفتح (٩/ ٢٨٠)، وقال ابن حجر هنا: «... وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما من وجه اخر عن زيد بن صوحان عن سلمان نحوه. وأخرجه أبو أحمد وأبو يعلى والحاكم من حديث بريدة بمعناه».

(٢٢١) الخبر بتمامه أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣٩) وصححه، وأبوداود الطيالسي ـ ترتيب البنا (٢/ ١٦١) بإسناد حسن لغيره، إذ تقويه رواية ابن سعد (١/ ١٦٢) وانظره في دلائل البيهقي (٢/ ١٢٤ - ١٢٦). وفي خروج زيد إلى الشام انظر البخاري/ الفتح (١٤/ ٣٠٠/ح ٣٨٢٧).

وجاء في صحيح الأخبار ان الله تعالى لما أراد هدي زيد بن سعنة ـ الحبر اليهودي ـ قال: «إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت اليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما»، فخالط الرسول ﷺ حتى تأكد من هاتين الخصلتين[٢٢٢].

وجاء في الأخبار أن سبب إسلام عامر بن ربيعة العدوي هو ما كان يقوله زيد بن عمرو بن نفيل من أنه ينتظر نبيا من ولد إسماعيل من بني عبدالمطلب اسمه أحمد، ولا يرى أن يدركه، وكان ينعته للناس، لما عرفه عنه من أهل الكتاب[٢٢٣].

وكان قس بن ساعدة الإيادي يقول: «أقسم قس قسما برا لا إثم فيه، ما لله على الأرض دين هو أحب إليه من دين أظلكم إبّانه وأدرككم أوانه، طوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن أدركه ففارقه...»[٢٢٤].

وقال المفسرون وأهل السير إن الآية ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون[٢٢٥] على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[٢٢٦] نزلت في اليهود

---

(٢٢٢) انظر الخبر بتمامه في سيرة الذهبي، ص ص ٩١ ـ ٩٣، وقال المحققان في تخريجه: «أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ زوائد ابن حبان، ص ٥١٦، والطبراني والحاكم (٣/ ٦٠٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٤٠) رجال الطبراني ثقات. وقال ابن حجر في الإصابة (١/ ٥٤٨): ورجال الإسناد موثقون، وقد صرح الوليد بن مسلم فيه بالتحديث. ومداره على محمد بن أبي السري، وهو محمد بن المتوكل، وثقه ابن معين ولينه أبوحاتم».

(٢٢٣) انظر القصة في الفتح (١٤/ ٢٩٧/ح ٢٨٢٦) وابن سعد (١/ ١٦١)، وقال محققا دلائل أبي نعيم (١/ ١٠٠) عن إسناد ابن حجر: «ويظهر أن إسناده عنده مقبول لأنه اشترط في مقدمة الفتح أن لا يذكر من الحديث إلا ما توفر فيه شرط الصحة أو الحسن (هدى الساري ١/ ١٦)، والسيوطي. الخصائص (١/ ٦١).»

(٢٢٤) انظر قصته في دلائل أبي نعيم (١، ١٠٤ ـ ١٠٥) ومما قاله المحققان في تخريج الخبر: «... وقال السيوطي في الخصائص ثم وقفت عليه من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه الإمام محمد ابن داود الظاهري في كتاب الزهرة له فقال: حدثنا... فذكره، وهو أمثل طرق الحديث...» ويفهم من تخريجها للخبر أنه حسن... وانظره في دلائل البيهقي (١/ ١٠١ ـ ١٠٤) وفي إسناده مقال. وانظر كلامنا عن الحنفاء في تمهيدنا لهذا الكتاب ـ مبحث قس بن ساعدة.

(٢٢٥) يستنصرون الله به على مشركي العرب.

(٢٢٦) البقرة: ٨٩.

الذين كانوا في صراع مع الأوس والخزرج. وإذا نال الأوس والخزرج منهم قالوا لهم إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما ظهر اتبعه الأوس والخزرج وكفرت به اليهود[٢٢٧].

وقصة هرقل مع أبي سفيان تدل على ذلك، خاصة قول هرقل لأبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين.»[٢٢٨].

وجاءت الأحاديث مصرحة بأن محمدا ﷺ قد كتب نبيا منذ القدم. فقد روى الإمام أحمد[٢٢٩] والترمذي[٢٣٠] قول الرسول ﷺ: إنه كان نبيا «وآدم بين الروح والجسد». وعند أحمد[٢٣١] من حديث العرباض بن سارية: «وإن آدم لمنجدل في طينته». وعند أبي نعيم[٢٣٢]، قال، قال الرسول ﷺ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث».

ب ـ حكم وعبر من هذا المبحث:

١) وخلاصة القول إن علماء اليهود والنصارى كانوا يعرفون الرسول ﷺ قبل مبعثه مما يجدونه من أوصافه وزمان خروجه في التوراة والإنجيل. وقد أشار القرآن إلى ذلك في عدة آيات[٢٣٣]. ولذلك أسلم بعض اليهود وفي مقدمتهم عبدالله بن سلام وبعض النصارى وفي مقدمتهم النجاشي

---

(٢٢٧) ابن إسحاق، بإسناد فيه جهالة (ابن هشام ١/ ٧٠) ولكنه يتقوى مع المتابعة. ومن متابعاته رواية سلمة بن سلامة في قصة يهودي بني عبدالأشهل بإسناد حسن لذاته ـ انظر: مرويات يهود المدينة، ص ٤٩. وتفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٢/ ٣٣٣).

(٢٢٨) البخاري/ الفتح (١٢/ ٧١/ح ٢٩٤١)، مسلم (٣/ ١٣٩٥/ح ١٧٧٣).

(٢٢٩) المسند (٤/ ٥٩، ٦٦، ٥/ ٣٧٩) وانظر طرقه المختلفة.

(٢٣٠) السنن (٩/ ٢٣٧/ح ٣٦١٣/ ط. الدعاس) وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن ميسرة الفجر». وصححه الألباني ـ صحيح الترمذي (٣/ ١٨٩/ح ٢٨٧٠).

(٢٣١) المسند (٤/ ١٢٨)، سبق تخريجه عند الكلام عن إرهاصات النبوة التي صاحبت ميلاده.

(٢٣٢) دلائل النبوة (١/ ٤٢) وقد رمز السيوطي في الجامع الصغير إلى صحته ولم يوافقه المناوي.

(٢٣٣) مثل الآية: ١٤٦ من سورة البقرة ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ والآية: ٢٠ من سورة الأنعام: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . . .﴾والآية: ٦ من سورة الصف: ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾، والآية: ١٥٧ من الأعراف: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل. . .﴾ والآية: ٨٩ من البقرة: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾.

ملك الحبشة. وإن ممن امتنع عن الدخول في الإسلام لأسباب مادية أو سياسية كما هو الحال في قصة حيي بن أخطب وهرقل ومقوقس مصر.

٢) ويضاف إلى هذا ما سبق أن قلناه عند الكلام عن رحلته ﷺ إلى الشام والحكم المستفادة من ذلك.

المبحث الخامس عشر: التحنث في غار حراء

كان رسول الله ﷺ ينفرد إلى نفسه متقربا إلى الله (عز وجل) في غار معروف بغار حراء. وقد حبب الله إليه ذلك، لم يأمره بذلك أحد. فكان يبقى في هذا الغار الأيام والليالي إلى أن أتاه الوحي فيه[٢٣٤]، وكانت سنه آنذاك أربعين سنة[٢٣٥].

وكان يمكث في حراء شهرا من كل سنة، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية، كما ذكر ابن إسحاق[٢٣٦]، ويطعم من جاءه من المساكين. وإذا قضى جواره من شهره هذا، كان أول ما يبدأ به الطواف بالكعبة[٢٣٧].

وقد اختلف العلماء في تعبده (عليه السلام) قبل البعثة، هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع؟ فقيل شرع نوح، وقيل شرع إبراهيم، وهو الأشبه الأقوى، وقيل موسى، وقيل عيسى، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به. ولبسط هذه الأقوال ومناسبتها مواضع أخرى[٢٣٨].

المبحث السادس عشر: أ ـ من إرهاصات النبوة قبيل البعثة:

قالت عائشة (رضي الله عنها): «إن أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث ـ يتعبد ـ فيه

---

(٢٣٤) انظر هذا المعنى في حديث عائشة عند البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب الأنبياء، والتعبير وغيرها ـ مثلا: البخاري/ الفتح (٢٦/ ٢٠٤/ح ٦٩٨٢).

(٢٣٥) من حديث أخرجه البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٣/ح ٣٩٠٢).

(٢٣٦) انظر الخبر عند ابن هشام (١/ ٢٩٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن وفيه دليل على أن التحنث كان معروفا في مكة.

(٢٣٧) جاء ذلك في حديث ابن إسحاق المذكور آنفا بإسناد حسن.

(٢٣٨) ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٧).

الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله. ويتزود لذلك. ثم يرجع الى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء...»[٢٣٩].

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن»[٢٤٠].

وروي أن ملكين أتياه وهو ببعض بطحاء مكة، فقال أحدهما للآخر: زنه برجل، فوزنه، فرجح به محمد ﷺ إلى أن وزنه بألف من أمته فرجحهم، ثم قال له: لو وزنته بأمته لرجحها. ثم قال أحدهما للآخر: شق بطنه، فشقه، ثم أخرج منه فعم ـ حظ ـ الشيطان، وعلق الدم، فطرحها، فقال أحدهما للآخر: اغسل بطنه غسل الإناء، ففعل، ثم دعا بالسكينة فأدخلت قلبه، ثم قال أحدهما للآخر: خط بطنه، ففعل، وجعلا الخاتم بين كتفيه، ثم وليا عنه، وكأنما يعاين الأمر معاينة[٢٤١].

وروي انه خرج من عند خديجة، ثم عاد فأخبرها انه رأى بطنه قد شق، ثم طهر وغسل، ثم أعيد كما كان، فقالت: «هذا والله خير فأبشر»[٢٤٢].

وقال النبي ﷺ لخديجة: «إني أرى ضوءا وأسمع صوتا وإني أخشى أن يكون بي جنن». قالت: «لم يكن الله ليفعل ذلك بك يابن عبدالله»، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له فقال: «إن يك صادقا فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي فسأعزره، وأنصره، وأومن به»[٢٤٣].

---

(٢٣٩) البخاري/ الفتح (٢٦/ ١٩٧ - ٢٠٠/ح ٦٩٨٢)، مسلم (١/ ١٣٩ - ١٤٠/ح ١٦٠)، وغيرهما. واللفظ لمسلم.

(٢٤٠) مسلم (٤/١٧٨٢/ح ٢٢٧٧)، الترمذي: صحيح الترمذي للألباني (٣/١٩٢/ح ٢٨٦٥).

(٢٤١) من رواية ابن عساكر، نقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٩) - من حديث أبي ذر (رضي الله عنه). رواه البزار كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٢٥٥) وإسناده ضعيف، ويتقوى بحديث الزهري الآتي.

(٢٤٢) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٤٢، ١٤٥ - ١٤٦) من طريقين، الأول من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب، مرسلا. والثاني من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة مرسلا، والطريقان ضعيفان، ولكنهما شاهدان يتقوى بهما حديث ابن عساكر والبزار. انظر: محمد الصوياني: القصيمية: دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية، ص ص ١٨٧ - ١٨٩).

(٢٤٣) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠٧٢٠) بإسناد حسن، من حديث عمار بن أبي عمار موصولا ومرسلا.

ب ـ العبــر والعظــات:

١) إن الآيات والمعجزات التي وقعت للرسول ﷺ من قبيل الإرهاصات الدالة على تميزه عن غيره من الحنيفيين الذين عاصروه، وأن الله (عز وجل) سيختاره هو بالذات لأمر عظيم.

٢) تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، إذ إن فترة الوحي كانت ثلاثا وعشرين سنة منها ستة أشهر كانت مناما.

٣) استحباب العزلة لفترات تعين المسلم على التفكير في أحوال المجتمع إذا سادت فيه الجاهلية والفساد. أما الاعتزال الدائم للمجتمع والذي ابتدعته جماعة من الجماعات الدينية في زماننا هذا فهو مخالف لسنته ﷺ العملية والقولية. فلم يعرف عن الرسول ﷺ انه اعتزل المجتمع، وقال في نبذ مثل هذه الاتجاهات:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»[٢٤٤].

«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. وخير الناس أنفعهم للناس»[٢٤٥].

المبحث السابع عشر: أ ـ نزول الوحي:

فجأ أمين الوحي الرسول ﷺ لأول مرة في يوم الاثنين، الحادي والعشرين

---

(٢٤٤) أحمد: المسند (٧/ ٩٤/ ط. شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح».
الألباني: صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٣٧٣/ ك. الفتن/ ب. الصبر على البلاء/ ح ٤٠٣٢)، وقال الألباني: «صحيح»، وأشار إلى تخريجه في مشكاة المصابيح رقم ٥٠٨٧ وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٣٩.
الألباني: صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٧/ أبواب صفة القيامة/ ج ٢٦٣٨) وقال الألباني: «صحيح». ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٨.

(٢٤٥) السيوطي: الجامع الصغير (٢/ ١٨٤) وقال: رواه الدارقطني، وهو صحيح.

من شهر رمضان[٢٤٦]، من العام الأربعين لميلاده ﷺ، بينما كان يتحنث بغار حراء. وقال له: اقرأ، قال في الحديث: «فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾ قالت عائشة (رضي الله عنها) ـ راوية الحديث ـ: فرجع بها ترجف بوادره[٢٤٧] حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: ياخديجة، مالي! وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا فوالله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلَّ وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيراً قد عمي. فقالت: اسمع من ابن أخيك فقال: ياابن أخي ماترى؟ فأخبره. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ياليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك، قال: أوَمخرِجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم يلبث ورقة أن توفي»[٢٤٨].

أما الخبر الذي أورده ابن إسحاق[٢٤٩] عن كيفية بدء الوحي، والذي قال

---

(٢٤٦) جاء التصريح به في الآية الكريمة ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ البقرة: ١٨٥. وفي حديث عند مسلم (٢/ ٨١٩/ح ١١٦٢) وفيه التصريح بيوم الاثنين. وانظر: ابن هشام (١/ ٣٠٤) حيث قال ابن إسحاق إنه في رمضان واستشهد بآيات قرآنية غير هذه، ومسند أحمد (٥/ ٢٩٧، ٢٩٩) والسنن الكبري للبيهقي (٤/ ٢٩٣). واختلف العلماء في تحديد تاريخ ذلك اليوم، ورجح المباركفوري في الرحيق، حاشية ص ٧٥ ـ ٧٦، أنه اليوم الحادي والعشرون وهو مالم يقل به غيره، حسب علمي المحدود.

(٢٤٧) البوادر: جمع بادرة وهي اللحمة التي ما بين المنكب والعنق، وقد جرت العادة أنها تضطرب عند الفزع. انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٣٣).

(٢٤٨) البخاري/ الفتح (٢٦/ ٢٠٤/ح ٦٩٨٢)، مسلم (١/ ١٣٩ ـ ١٤٠/ح ١٦٠)، أحمد: الفتح الرباني (١٨/ ٤٧). والكَلّ: الذي لا يستقل بأمره.

(٢٤٩) سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٢) بإسناد حسن.

فيه «فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ...» فهو يخالف في الظاهر حديث عائشة (رضي الله عنها) عند البخاري ومسلم الذي فيه التصريح بأن مجيء الوحي كان في حالة اليقظة وأن الرؤيا الصادقة كانت قبل نزول الوحي، ولذا قال السهيلي[٢٥٠]: «وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة، توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمرالنبوة عظيم، وعبئها ثقيل، والبشر ضعيف».

وقال ابن كثير[٢٥١] بما قاله السهيلي، ثم زاد: «... وقد جاء مصرحا بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري، انه رأى ذلك في المنام، ثم جاءه الملك في اليقظة»، وقال في مكان آخر[٢٥٢]: «ويحتمل ان هذا المنام كان بعدما رآه في اليقظة صبيحة ليلتئذ، ويحتمل انه كان بعده بمدة، والله أعلم».

ب ـ العبر والعظات والدلائل:

١) دل تصرف خديجة إزاء ما وقع للرسول ﷺ في الغار على رجاحة عقلها، وحسن تصرفها، وفضلها، وسلامة فطرتها.

٢) دل تحليل ورقة لظاهرة ما حدث للرسول ﷺ بالغار على صحة علمه وفضله.

٣) يتبين من رؤية الرسول ﷺ جبريل بعينيه، يقظة، أن ظاهرة الوحي ليست أمرا ذاتيا داخليا مرده إلى حديث النفس المجرد أو ما شابه ذلك من التمحلات، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات. وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات، قائلا في كل مرة: «اقرأ...» يعتبر تأكيدا لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ماقد يتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالا داخليا فقط.

٤) أ ـ يدل خوفه مما حدث له مع جبريل على أنه ﷺ لم يكن متوقعا الرسالة

---

(٢٥٠) الروض الأنف (١/ ٢٦٩).

(٢٥١) البداية والنهاية (٣/ ٥٠٤)، ورواية ابن عقبة أوردها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٤ ـ ١٥).

(٢٥٢) البداية والنهاية (٣/ ١٤).

التي سيدعى إلى حملها وبثها في العالم. وبذلك يتضح لكل عاقل مفكر ان ظاهرة الوحي هذه لم تأت منسجمة أو متممة لشيء مما قد يتصوره أو يخطر في باله، وإنما طرأت طروءا على حياته وفوجىء بها دون أي توقع سابق. ولا شك ان هذا ليس شأن من يتدرج في التأمل والتفكير إلى ان تتكون في نفسه ـ بطريقة الكشف التدريجي المستمر ـ عقيدة يؤمن بالدعوة إليها!، كما يدعي بعض المستشرقين(*).

ب ـ الله (عز وجل) قادر على أن يربط على قلب رسول الله ﷺ ويطمئن نفسه بأن هذا الذي كلمه ليس إلا جبريل ـ ملك من ملائكة الله جاء ليخبره أنه رسول الله إلى الناس ـ ولكن الحكمة الإلهية الباهرة تريد إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها، وبيان أن شيئا من أركان العقيدة الإسلامية أو التشريع الإسلامي لم يكن في ذهن الرسول ﷺ مسبقا ولم يتصور الدعوة إليه سلفا.

جـ ـ إن فيما ألهم الله به خديجة من الذهاب به (عليه السلام) إلى ورقة، تأكيدا من جانب آخر بأن هذا الذي فوجىء به (عليه السلام) إنما هو الوحي الإلهي الذي كان قد أنزل على الأنبياء من قبله، وإزالة لغاشية اللبس التي كانت تحوم حول نفسه بالخوف والتصورات المختلفة عن تفسير ما رآه وسمعه(٢٥٣).

د ـ لو كان الوحي أمرا ذاتيا لما جاءت آيات في القرآن تعتب عليه أو تلومه لبعض التصرفات.

هـ ـ لو كان الوحي أمراً ذاتيا لما خاطب الله تعالى نبيه بقوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾(٢٥٤).

و ـ لو كان الوحي أمرا ذاتيا لما كان الرسول ﷺ يسكت عن إجابات

---

(٢٥٣) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ص ٦٨ ـ ٧٠.
(٢٥٤) يونس: ٩٤. * أمثال كارادوفو الفرنسي. انظر: حاضر العالم الإسلامي (١/ ٣٩).

السائلين لفترة زمنية قد تطول وقد تقصر، ولما عانى من نتائج بعض الأحداث، مثل حادث الإفك الذي استمرت محنته لشهر. . إلخ.

٥) اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرسول ﷺ أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي ذلك إبعاد لشبهة الشك في مصدر القرآن، وفي ذلك يقول المولى (عز وجل): ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾[٢٥٥].

المبحث الثامن عشر: فترة انقطاع الوحي ثم تتابعه:

انقطع جبريل (عليه السلام) عن النبي ﷺ بعد هذا فترة من الزمان، اختلف العلماء في مدتها. قال البوطي[٢٥٦]: «والراجح ما رواه البيهقي من انها كانت ستة أشهر». وقيل إن الأقرب إلى الصواب هو ماروي عن ابن عباس ان فترة انقطاع الوحي كانت أربعين يوما[٢٥٧]، وقيل إنها كانت أياما[٢٥٨].

لقد جزع رسول الله ﷺ من هذا الانقطاع، حتى قيل إنه كان يحاول أن يتردى من شواهق الجبال[٢٥٩]. وقد ضعف الشيخ الألباني[٢٦٠] هذه الجزئية من الحديث لكونها من بلاغات الزهري، وأنها تتنافى مع عصمة الأنبياء.

بعد فترة الفتور أو الانقطاع المذكورة، نزل عليه الوحي مرة أخرى. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله (عز وجل): ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ (المدثر/ ١

---

(٢٥٥) العنكبوت: ٤٨.
(٢٥٦) فقه السيرة، ص ٦٧، ولم يذكر مكانه من مؤلفي البيهقي: الدلائل والسنن الكبرى، أو غيرهما. والذي وقفنا عليه في السنن الكبرى (٩/ ٦) أن الوحي انقطع، ولم يذكر أنها ستة أشهر.
(٢٥٧) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني (١/ ٢٣٦) وذكر فيه الأقوال الواردة بهذا الصدد، ولم يستند أصحاب هذه الأقوال إلى دليل صالح للاحتجاج به، وانظر الشامي: من معين السيرة، ص ٢٩.
(٢٥٨) ابن حجر: فتح الباري (٢٦/ ٢٠٥/ح ٦٩٨٢).
(٢٥٩) البخاري/ الفتح (٢٦/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥/ح ٦٩٨٢).
(٢٦٠) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص ٤٠.

ـ ٥)، فحمي الوحي وتواتر»[٢٦١].

ب ـ الحكمة من هذا الانقطاع:

١) ليحصل للرسول ﷺ التشوق إلى العود بعد أن تثبت لديه الحقيقة أنه أضحى نبيا[٢٦٢].

٢) إن في انقطاع الوحي ثم استمراره تأكيدا للحقيقة التي ذكرناها، وهي ان الوحي ظاهرة منفصلة عن ذات الرسول ﷺ.

المبحث التاسع عشر: مراتب الوحي:

قال ابن القيم[٢٦٣] إن الله تعالى قد كمل لنبيه من مراتب الوحي مراتب عديدة: أحدها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحي الله إليه، كما في حديث عائشة (رضي الله عنها): «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...»[٢٦٤].

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب،... الحديث»[٢٦٥].

---

(٢٦١) البخاري/ الفتح (١٨/ ٣٢٥/ك. التفسير/ ب. وثيابك فطهر/ح ٤٩٢٥)، مسلم (١/ ١٤٣/ح ١٦١/ك. الإيمان/ ب. بدء الوحي)، أحمد: المسند (٣/ ٣٠٦)، و(٣/ ٣٩٢) أو انظر: الفتح الرباني (١٨/ ٤٨ ـ ٤٩).

(٢٦٢) انظر ابن حجر: الفتح (٢٦/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦/ح ٦٩٨٢).

(٢٦٣) زاد المعاد (١/ ٧٨ ـ ٨٠)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١٣/ ٣٢١) ومحمد رسول الله ﷺ لعرجون (١/ ٢٧٨).

(٢٦٤) البخاري/ الفتح (٢٦/ ٢٠٤/ح ٦٩٨٢)، مسلم (١/ ١٣٩/ح ١٦٠)، أحمد: الفتح الرباني (١٨/ ٤٧).

(٢٦٥) حديث يتقوى مع المتابعة والشواهد. وقد خرجه الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ٩٦، وقال عنه: «حديث صحيح جاء من طرق: الأول عن ابن مسعود، أخرجه الحاكم (٢/ ٤) والثاني: عن ابن أبي أمامة أخرجه الطبراني في (الكبير) وأبونعيم في (حلية الأولياء) (١٠/ ٢٦، ٢٧). والثالث: عن حذيفة. أخرجه البزار كما في الترغيب (٣/ ٧) ـ والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧١). فهذه طرق يقوي بعضها بعضا. ولهذا والله أعلم ـ جزم ابن القيم في (زاد المعاد) بنسبة الحديث إلى الرسول. وخرجه محققا الزاد: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط (١/ ٧٩). ويتفقان مع الألباني على تصحيح الحديث بالشواهد. وذكرا الشواهد التي ذكرها الألباني وأضافا شواهد أخرى، وهي حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤) وابن حبان (١٠٨٤) و(١٠٨٥).

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلا، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا(٢٦٦).

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض...»(٢٦٧).

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ماشاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم(٢٦٨).

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾(٢٦٩) وثبوتها لنبينا ﷺ وهو في حديث الإسراء والمعراج، الذي فيه قول الرسول ﷺ: «... ثم عرج به حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»(٢٧٠).

المبحث العشرون: مراتب الدعوة ومراحلها:

أ ـ مراتب الدعوة..

ذكر لها ابن القيم(٢٧١) خمس مراتب: ـ

الأولى: النبوة، الثانية: إنذار عشيرته الأقربين، الثالثة: إنذار قومه، الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله، وهم العرب قاطبة، والخامسة: إنذار

---

(٢٦٦) كما في الحديث الذي قال فيه الرسول الكريم لعمر: «ياعمر أتدري من السائل؟ قلت ـ أي عمر ـ الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم». انظر: مسلم (١/٣٦ ـ ٣٧/ح ٨). قال محققا الزاد (١/ ٧٩). وروى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عمر. «كان جبريل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي.».

(٢٦٧) ممن أخرجه: البخاري/ الفتح (١٣/ ٣١/ح ٣٢١٥)، ومسلم (٤/ ١٨١٦/ح ٢٣٣٣)، وغيرهما.

(٢٦٨) الأنبياء. ٧ و١٣. وانظر مسلم (١/ ١٥٩/ح ١٧٧).

(٢٦٩) النساء: ١٦٤.

(٢٧٠) مسلم (١/ ١٤٩/ح ١٦٣).

(٢٧١) زاد المعاد (١/ ٨٦).

جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.

ب ـ مراحل الدعوة خلال حياة الرسول ﷺ:[272]

المرحلة الاولى: الدعوة سرا، واستمرت ثلاث سنين.
المرحلة الثانية: الدعوة جهرا والكف عن القتال. واستمرت إلى الهجرة.
المرحلة الثالثة: الدعوة جهرا مع قتال المبتدئين بالقتال، واستمرت إلى صلح الحديبية.
المرحلة الرابعة: الدعوة جهرا، مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة.

وقفة عند فقه هذه المراحل:

ربما يتبادر سؤال إلى الذهن، وهو: هل يجب على دعاة قيام الدولة الإسلامية ـ خاصة في العصر الحديث ـ التقيد بهذه المراحل بمداها الزمني كما وقعت للرسول ﷺ؟ والجواب عن هذا السؤال، هو أنه ليس عليهم التقيد بهذه المراحل[273] ولا بالمدى الزمني الذي مرت به في حياة الرسول ﷺ. وذلك لأن المدى الزمني لتلك المراحل تقدير رباني وليس جهدا بشريا فقط[274]. فالتقيد بهذه المراحل لا يتمشى مع مرونة الإسلام في معالجة الأمور ومواجهة الأحداث. والسيرة النبوية التي تمثل حركة الإسلام تفتح أمام الدعاة نماذج للخيارات المتعددة التي يقدمها المنهج الإسلامي بحركته الفذة الفريدة... وما السرية، أو طلب النصرة، أو الهجرة إلا وسائل اتخذها رسول الله ﷺ لنشر دعوته، ضمن ظروف ومواصفات معينة... فمثلا نجد في زماننا هذا ان الدول الغربية الديمقراطية لا تحجر أي نشاط لرجال الأديان المختلفة، فلا ضرورة

---

(٢٧٢) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٥٧، المباركفوري: الرحيق المختوم، ص ٨٤.
(٢٧٣) انظر زهير سالم: عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٢٩ وما بعدها والكتاب دراسة واعية للفقه الحركي الإسلامي من خلال السيرة، وتقويم موفق لدراسة الشيخ الغضبان في كتابه الرائد. المنهج الحركي للسيرة النبوية.
(٢٧٤) انظر منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٩. والكتاب يفتح بابا هاما للمناقشة بين رجال الدعوة الإسلامية لوضع أسس سليمة للمنهج الحركي للسيرة.

هنا للتقيد بمرحلة السرية في الدعوة، بينما نجد الدول الشيوعية لا تسمح للمسلم بممارسة أي نشاط سياسي، فيضطر أن يستخفي بدينه حتى يتمكن، وهنا تصبح السرية ضرورة اقتضتها ظروف معينة. وإذا اقتضت حكمة الدعوة أن يكون هناك عمل سريّ وآخر علنيّ فلا بأس، وذلك في مثل البلاد التي تسمح بنشاط المسلمين في حدود ضيقة جدا.

وخلاصة القول إن السرية تقدر بقدرها، حسب ظروف البيئة التي يعيشها المسلم[٢٧٥].

المبحث الحادي والعشرون:

أ ـ المرحلة الاولى: الدعوة السرية:

استجاب الرسول ﷺ للأوامر الإلهٰية التي صدرت له بالتبليغ، وقد جاءت هذه الأوامر واضحة في الآيات التي نزلت بعد آيات سورة العلق: ﴿يأيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر. والرجز فاهجر: ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾[٢٧٦].

لقد لخصت هذه الآيات الكريمات مضمون الدعوة التي أنيط به تبليغها إلى الناس. ولا تكاد الآيات القرآنية التي نزلت في مكة تخرج عن إطارها العام.

ففي قوله تعالى له: ﴿يأيها المدثر﴾ إشارة إلى أن زمان التدثر والخلود إلى الراحة في المضجع بين الزوجة والأبناء قد ولى، وجاء زمان المجاهدة بكل أبعادها، المادية والمعنوية.

وفي قوله تعالى: ﴿قم فأنذر﴾ إشارة إلى تكليفه بأمر دعوة كل الناس إلى الإسلام. وفي قوله تعالى: ﴿وربك فكبر﴾ إشارة إلى أن ليس في الوجود أكبر من الله تعالى خالق الوجود. ولذا عليه أن يعلم الناس بهذه الحقيقة ليتواضع

---

(٢٧٥) انظر زهير سالم: المرجع السابق، ص ص ٢٨ ـ ٣٥، وهو هنا يناقش الشيخ الغضبان في قوله بإلزامية المرحلة السرية، ويبدو أن الغضبان قد انصب كلامه على بعض الأنظمة الاستبدادية وفاته ما هو واقع في كثير من البلاد الغربية، ولذا لم يوفق عندما عمم القاعدة. وانظر الدكتور البوطي، فقه السيرة، ص ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢٧٦) سورة المدثر: الآيات ١ ـ ٧.

الناس كلهم لله الكبير المتعال. وهذا هو التوحيد المطلق.

وفي قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ إشارة إلى أن الداعية إلى الله لابد أن يبدأ بتطهير نفسه ظاهرا وباطنا حتى يكون المثل الأعلى لمن يدعوهم إلى الطهارة بكل معانيها.

وفي قوله تعالى ﴿والرجز فاهجر﴾ إشارة إلى أن التوحيد الخالص يقتضي عدم تعظيم أو تقديس أي شيء ليتبارك الخالق في ربوبيته.

وفي قوله تعالى ﴿ولا تمنن تستكثر﴾، إشارة إلى أن ماخص به من منع إعطاء الشيء ابتغاء شيء أكثر منه هو أنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب ليكون مثلا أعلى للبشرية وهو يدعوها إلى مكارم الأخلاق.

وللقيام بهذه الأمور كان لابد من ختمها بحقيقة هامة للوصول إلى الأهداف المرجوة من هذه الأوامر، هذه الحقيقة هي أن تَحَمُّلَ أمانة الدعوة في عناصرها المذكورة لابد له من الصبر على كل أصناف أذى المعارضين، والصبر على تربية الأتباع والصبر على الابتلاء. فقال تعالى ﴿ولربك فاصبر﴾.

نهض الرسول ﷺ من فراشه وأخذ يدعو إلى ما أمر به سرا لمدة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق[٢٧٧]، ولفظه: وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه. ومما يدل على السرية في الدعوة ماجاء في خبر إسلام عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) حيث قال: «أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مُسْتَخْفٍ...»[٢٧٨]. بدأ بالدعوة الى التوحيد ونبذ كل مظاهر الشرك.

وكان تحركه في هذه الفترة وسط الذين تربطهم به صلات، مثل زوجته وأبنائه ومولاه وربيبه وأصدقائه وكل من يطمئن إلى انه يكتم السر[٢٧٩]. ولهذا يلحظ ان من أوائل الذين دخلوا في الإسلام:

---

(٢٧٧) ابن هشام (١/ ٣٢٥) - بدون إسناد.
(٢٧٨) مسلم (١/ ٥٦٩/ح ٨٣٢).
(٢٧٩) انظر ابن هشام (١/ ٣٠٩) - خبر إسلام علي.

١) زوجه خديجة (رضي الله عنها) التي كانت أول من آمن بالله وبرسوله ـ كما هو مشهور ـ وهونت عليه أمر الناس، وكانت بذلك أول مَنْ أُمِرَ الرسول ﷺ بتبشيره بالجنة، قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لاصخب فيه ولا نصب»[٢٨٠] وقد جاءت الأحاديث الصحيحة كثيرة في فضائلها وأخبارها[٢٨١].

٢) ابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان في حجره، وهو يومئذ ابن عشر سنين على أصح الأقوال[٢٨٢].

٣) مولاه زيد بن حارثة، الذي قال له الرسول ﷺ عندما جاء أبوه يطلبه: «إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك.»[٢٨٣]، فأقام عنده وعرف بـ«زيد بن محمد» حتى نزلت آية:

---

(٢٨٠) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٨٦ وما بعدها/ح ٣٨٢٢)، مسلم (٤/ ١٨٨٦/ح ٢٤٣٣، 2435، ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) واللفظ له، ابن كثير: البداية (٣/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٢٨١) انظرها في أماكنها عند البخاري ومسلم وغيرهما في أبواب الفضائل والمناقب وانظر أخبارها في مصادر السيرة الأخرى، مثل: الذهبي في سيرته، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٩، حيث أشار إلى المصادر التي ذكرت سبق إسلامها.

(٢٨٢) روى ابن إسحاق في السيرة، ص ١٣٧ من رواية يونس بن بكير بإسناد حسن ما يفيد أن عليا أول من آمن من الفتيان. انظر الخبر الذي فيه حوار عفيف مع العباس عندما جاءه بائعا ومبتاعا، فشاهد الرسول ﷺ يخرج الى الكعبة ويصلي ومعه امرأته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب، فقال عنهم عفيف: «فليتني آمنت يومئذ وكنت أكون ثانيا»، يعني الشخص الثاني من الذكور. ورواية يونس بن بكير هذه في دلائل البيهقي (٢/ ١٦٢ ـ ٦٣)، قال الدكتور قلعة جي في تخريجه لها: «حديث صحيح، أخرجة البخاري في «التاريخ الكبير»، وابن كثير في التاريخ والحاكم في المستدرك وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي ورواه الطبري في «التاريخ» وابن عبدالبر في الاستيعاب. وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٣). رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والطبراني بأسانيد، ورجال أحمد ثقات». وروى خبر إسلامه ابن اسحاق بأسانيد منقطعة ـ ابن هشام (١/ ٣١٢ ـ ٣١٤)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/ ٩٢ ـ ٩٣) بأسانيد ضعيفة. وعن الاختلاف في سنه يوم أسلم. انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢٨٣) رواه ابن هشام معلقا (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦)، والترمذي ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ انظر: صحيح الترمذي للألباني (٣/ ٢٣١/ح ٤٠٨٥) وفيه أن جبلة أخا زيد هو الذي قدم على رسول ﷺ في طلب أخيه زيد. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وحسنه الألباني، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٤) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح» ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٢١ ـ ٢٢) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٤): «وإسناده حسن» وانظر تخريجه في حاشية محققي سيرة ابن هشام (١/ ٣١٦). وخبره مشهور، فانظره في كتب السير، مثل: عيون الأثر (١/ ٩٤) وابن إسحاق: ابن هشام (١/ ٣١٤) وسيرة الذهبي. ص ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾[٢٨٤].

٤) أبوبكر الصديق (رضي الله عنه). وهو أول من صدق من الرجال، وفيه قال الرسول ﷺ لعمر: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبوبكر صدق...»[٢٨٥]. وقال: «مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبابكر، ماعتم منه حين ذكرته وما تردد فيه»[٢٨٦]. وقال هو عن نفسه عندما اختير خليفة للمسلمين: «ألست أحق الناس بها؟ ألست أول من أسلم؟...»[٢٨٧].

وفي إطار هذه السرية تحرك أبوبكر وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه ومن يثق به من قومه. فاستجاب له نفر كريم، منهم: عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف[٢٨٨]، وعثمان بن مظعون وأبوعبيدة بن الجراح وأبوسلمة بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم[٢٨٩].

ومن خلال علاقات هؤلاء وغيرهم أخذ الإسلام ينتشر في مكة وخارجها[٢٩٠]، ودخل فيه أناس من بطون قريش ومواليها كافة. وممن

---

(٢٨٤) الأحزاب: ٥. والخبر في صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٣١) من حديث ابن عمر وقد صححه الترمذي والألباني.

(٢٨٥) من حديث رواه البخاري/ الفتح (١٤/ ١٥٧/ح ٣٦٦١) وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٣٠): «وهذا كالنص على أنه أول من أسلم (رضي الله عنه)».

(٢٨٦) رواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ١٣٩، بإسناد منقطع والمنقطع ضعيف كما علمت.

(٢٨٧) من حديث رواه الترمذي - انظر: صحيح الترمذي (٣/ ٢٠١) وصححه الترمذي والألباني. والأحاديث الصحيحة في كون أبي بكر أول من أسلم من الرجال كثيرة. انظرها في البداية (٣/ ٣٠ - ٣٢) - وقد ناقش ابن كثير هنا الأحاديث المخالفة لهذه الحقيقة -، وعيون الأثر (١/ ٩٤ - ٩٥)، ابن هشام (١/ ٣١٦ - ٣١٩) سيرة ابن إسحاق، ص ص ١٣٩ - ١٤٠، سيرة الذهبي ص ١٣٨. فضائل الصحابة لابن حنبل (١/ ٢٢٣ - ٣١) تحت عنوان: ماروي أن أول من أسلم أبوبكر.
وقال ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبوبكر و...» وإسناده صحيح وسيأتي ذكره في مبحث تعذيب الموالي (٢٣).

(٢٨٨) الى هنا ذكرهم ابن إسحاق في السيرة، ص ١٤٠، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٣١٧ - ١٨) دون إسناد.

(٢٨٩) ومن ابن مظعون إلى الأرقم صرح ابن كثير في البداية (٣/ ٣٣) بأنهم أسلموا من طريق أبي بكر، زيادة على الآخرين.

(٢٩٠) في خبر إسلام عمرو بن عبسة عند مسلم - كما سبق الإشارة إليه - دليل على وصول خبر الإسلام إلى خارج مكة، حيث قال له الرسول ﷺ: «... ولكن الحق بقومك فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني».

اشتهروا بين السابقين إلى الإسلام من الموالي: بلال بن رباح وصهيب ابن سنان وعمار بن ياسر ووالده وأمه سمية بنت خياط[٢٩١].

وفي فترة وجيزة وصل عدد الذين سبقوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من أربعين نفرا، كما عدهم ابن هشام[٢٩٢]، وأكثر من خمسين كما عدهم اليعمري[٢٩٣].

٥) وثبت أن ورقة بن نوفل كان من المسلمين الأوائل، وذلك بدليل قول الرسول ﷺ: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض»[٢٩٤]. وقال ﷺ في رواية أخرى: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة، وعليه السندس»[٢٩٥]. وقال ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين»[٢٩٦]، وقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده»[٢٩٧].

ويتضح من سجل أسماء السابقين الأولين إلى الإسلام انهم كانوا من خيرة أقوامهم ولم يكونوا كما يذكر بعض الكتاب المسلمين وغيرهم انهم كانوا في معظمهم خليطا من الفقراء والضعفاء والأرقاء الذين أرادوا استعادة حريتهم أو كرامتهم.

والقول السديد في هذا هو ان الذين تحملوا القسط الأكبر من التعذيب

---

(٢٩١) ورد ذكرهم في خبر موقوف على مجاهد وإسناده صحيح - انظره في فضائل الصحابة لابن حنبل (١/ ٢٣١). وأخرجه ابن سعد عن مجاهد مثله (٣/ ٢٣٣)، وابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ١٨٢) عن ابن مسعود بإسناد متصل حسن، كما خرجه المحقق، وهو في المسند (١/ ٤٠٤)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٨٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن هشام (١/ ٣٢٤) معلقا، ابن سعد (٣/ ٢٢٦) مرسلا عن الحسن، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٤) عن أنس و(٨/ ١٣١) عن أبي أمامه وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٥): «ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة، وفيه خلاف، وإسناده حسن.

(٢٩٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٨ - ٣٢٤).

(٢٩٣) عيون الأثر (١/ ٩٣ - ٩٨)، وانظر: جوامع السيرة لابن حزم، ص ص ٤٤ - ٥١.

(٢٩٤) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ١٧٤)، وحسن الساعاتي إسناده.

(٢٩٥) رواه ابن كثير في البداية (٣/ ١٠) عن أبي يعلى، وحسنه.

(٢٩٦) رواه البزار من طريق عائشة (رضي الله عنها) كما ذكر ابن كثير في البداية (٣/ ١٠)، وقال ابن كثير عن إسناده: «وهذا إسناد جيد». وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٩) من حديث عائشة (رضي الله عنها) وصححه ووافقه الذهبي. والحديث بجميع هذه الطرق حسن. وانظر تخريجه عند الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ١٠٠.

(٢٩٧) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٩/ ٤١٦)، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

هم الأرقاء والموالي، وكانت فتنتهم على ملأ من الناس، ولذا انتشر أمرهم، بينما امتنع الآخرون بأقوامهم، ومن عذب منهم عذب ضمن قبيلته. ولذا لم ينتشر أمرهم، ولم يذكروا كثيرا[٢٩٨].

وفي هذه المعاني رويت عدة أحاديث، منها ما رواه أحمد[٢٩٩] عن ابن مسعود، قال: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد[٣٠٠]، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه. وأما أبوبكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس...».

وذكر ابن إسحاق[٣٠١] ان قريشا عدت على من أسلم ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم. وذكر[٣٠٢] ان رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد يستأذنونه في اتخاذ ما يرونه من وسائل لصده عن الدين هو ومن أسلم معه من فتية بني مخزوم، الذين كان منهم سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة. فسمح لهم بما يريدون وحذرهم من قتله.

وروى ابن إسحاق[٣٠٣] في قصة هجرة عمر وقصة عياش معه ان قريشا منعت هشام بن العاصي بن وائل السهمي من الهجرة مع عمر وعياش وفتنته فافتتن، واحتالوا على عياش فردوه من المدينة إلى مكة مقيدا.

وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم يوثق سعيد بن زيد، ابن عمه، ويكرهه ليرجع عن الإسلام[٣٠٤]. ولم يستطع الرسول ﷺ أن يفعل لهم

---

(٢٩٨) انظر الشامي: من معين السيرة، ص ص ٣٥ - ٣٦.
(٢٩٩) سبق الإشارة إليه، وقلنا إن وصي الله قد حسن إسناده - فضائل الصحابة (١/ ١٨٢).
(٣٠٠) ابن سعد (٣/ ٢٣٣) عن مجاهد مرسلا، وذكر «خباب» بدلا من «المقداد» الذي في حديث أحمد.
(٣٠١) السيرة، ص ١٤٨، وابن هشام من رواية ابن إسحاق بدون إسناد (١/ ٣٩٢) وغير المسند ضعيف جداً كما تعلم.
(٣٠٢) ابن هشام (١/ ٣٩٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد منقطع.
(٣٠٣) سيرة ابن هشام (١/ ١٢٩) عن ابن إسحاق بإسناد حسن. ورواه البزار، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٢)، البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٦١ - ٤٦٢) والسنن الكبرى (٩/ ١٣ - ١٤) من طريق ابن إسحاق.
(٣٠٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٩/ ح ٣٨٦٢).

شيئا. وحتى عندما استقر بالمدينة لم يملك لهؤلاء غير الدعاء، حيث كان يقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف»[٣٠٥].

وقد أوضح ابن حجر[٣٠٦] معنى كلمتي «الضعفاء» و«الشرفاء» اللتين وردتا في حديث هرقل مع أبي سفيان. فمعنى الأولى عنده ان أتباع الرسل في الغالب أهل الاستكانة لا أهل الاستكبار الذين أصروا على الشقاق بغيا وحسدا، كأبي جهل وأتباعه. وفي معنى الثانية أن الشرف يقصد به ما يرادف التكبر. وهذا هو التفسير الذي ينبغي أن نفهم في ضوئه ما يرد من عبارات تتعلق بالشرفاء أو المستضعفين.

هذا ويلحظ أن من مجموع السبعة والستين الذين سبقوا إلى الإسلام ثلاثة عشر فقط ممن هم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء والأخلاط من مختلف الأعاجم. فهم إذن نحو الخمس من المجموع. وما كان كذلك لا يقال عنه «أكثرهم» ولا «معظمهم» ولا «عامتهم»[٣٠٧].

ب ـ العبر والعظات في هذا المقطع:

١) إن في إلهام الله تعالى لرسول الله ﷺ بأن يبدأ الدعوة سرا، تعليما للدعاة في كل زمان ومكان، وإرشادا لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها. على أن لا يتغلب ذلك كله على الاعتماد والاتكال على الله وحده، وعلى أن لا يذهب الإنسان في التمسك بهذه الأسباب مذهبا يعطيها معنى التـأثـير والفعالية في تصوره وتفكيره. فهذا يخدش أصل الإيمان بالله

---

(٣٠٥) أحمد: المسند (١٢/ ٢٥٠/ح ٧٢٥٩)، وقال شاكر: «إسناده صحيح»، وعند ابن سعد (٤/ ١/ ٩٦) بهذا الإسناد، ورواه مسلم (١/ ٤٦٧/ح ٦٧٥) والبخاري عن أوجه كثيرة منها (٢/ ٢٤٢) و (٨/ ١٧٠).

(٣٠٦) فتح الباري (١/ ٣٥ ـ ٣٦/ح ٦)، ط دار القلم، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.

(٣٠٧) انظر الشامي: من معين السيرة، ص ص ٣٧ ـ ٣٩ فكلامه في هذه الناحية من أروع ماكتب.

تعالى، فضلا عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام.

ومن هنا تدرك، ان أسلوب دعوته ﷺ في هذه الفترة كان من قبيل السياسة الشرعية بوصف كونه إماما، وليس من أعماله التبليغية عن الله تعالى بوصف كونه نبيا[٣٠٨].

٢) أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن انهم سيقتلون من غير أي نكاية في أعدائهم إذا ما أجمعوا على حربهم، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة، وهي مصلحة حفظ الدين، موهومة أو منفية الوقوع، وهذا ما يقرره العزبن عبدالسلام[٣٠٩]. ويقول الدكتور البوطي[٣١٠] في تعليقه على هذا القول إنه من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد، فإنها في الواقع مصلحة دين، إذ المصلحة الدينية تقتضي ـ في مثل هذه الحال ـ أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى. وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضرارا بالدين ذاته، وفسحا للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدودا أمامهم من السبل.

وهو بهذا يعني أن عدم القتال تقديم لمصلحة الدين المتيقنة على مصلحة الدين المرجوحة.

المبحث الثاني والعشرون:

أ ـ الجهر بالدعوة:

روى أحمد[٣١١] عن علي (رضي الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر

---

(٣٠٨) انظر الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص ٧٦.

(٣٠٩) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١١١ ـ ١١٢) ط. مصر، سنة ١٩٦٨م وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢٦١، فقه السيرة للبوطي، ص ٧٧.

(٣١٠) فقه السيرة، ص ٧٧.

(٣١١) المسند (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦/ تحقيق أحمد شاكر) وقال أحمد شاكر: «إسناده حسن»، وهو الطريق الأول، والطريق الثاني: المسند (٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) وصحح شاكر إسناده.

عشيرتك الأقربين﴾ قال: جمع النبي ﷺ أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل: يارسول الله، أنت كنت بحرا، من يقوم بهذا؟... فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي: أنا.

وفي رواية ابن إسحاق[٣١٢] ان الرسول ﷺ قال لهم في ذلك اللقاء: «يابني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة».

ثم خطا الرسول ﷺ خطوة أخرى لتنفيذ أمر الله تعالى. فقد روى البخاري[٣١٣] ومسلم[٣١٤] عن ابن عباس، قال: «لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٣١٥]، ﴿ورهطك منهم المخلصين﴾[٣١٦]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف ياصباحاه، فقالوا: من هذا: فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقِيِّ؟ قالوا: ماجربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. قال أبولهب: تبا لك ماجمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام. فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾[٣١٧]».

---

(٣١٢) السير والمغازي، ص ص ١٤٥ - ١٤٦ ووصله الطبري في التفسير (١٩/ ٧٥)، وإسناده في المكاثين ضعيف، ولكنه يتقوى بالشواهد. ومن شواهده: حديث أحمد المذكور بطريقيه، وحديث من رواية ابن أبي حاتم بسنده إلى علي، كما نقله عنه ابن كثير في التفسير (٦/ ١٨٠ - ١٨١).

(٣١٣) الفتح (١٨/٣٩٧/ح ٤٩٧١ - ٤٩٧٢) واللفظ له.

(٣١٤) (١/ ١٩٤/ح ٢٠٨).

(٣١٥) الشعراء: ٢١٤.

(٣١٦) قال النووي: «الظاهر إن هذا كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري -انظر شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٨٢ - ٨٣) وذكر ذلك محمد فؤاد عبدالباقي في شرحه على صحيح مسلم (١/ ١٩٤/ ...) ولم يعلق عليها، والدكتور قلعة جي في شرحه على دلائل البيهقي (٢/ ١٨١) ولم يعلق عليها. وقد نبه ابن حجر (الفتح ١٨/ ١١٣) على وجودها في رواية البخاري عن ابن عباس كما هو مبين في الحديث الذي أثبته هنا، ولا توجد هذه الزيادة في حديث البخاري الذي في كتاب التفسير -سورة الشعراء- باب وأنذر عشيرتك الأقربين- الفتح (١٨/ ١١٣/ح ٤٧٧٠)... وانظر شرح ابن حجر لمعنى هذه الزيادة. هذا وقد جاء هذا الحديث بعدة طرق وألفاظ تدور في نفس المعنى. فانظرها في المصادر المشار إليها، وفي غيرها، مثل: سيرة الذهبي، ص١٤٣ - ١٤٤، دلائل البيهقي (٢/ ١٨١ - ١٨٢)، والبداية والنهاية (٣/ ٤٢ - ٤٤).

(٣١٧) المسد: ١.

وروى الشيخان[318] عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا. فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يابني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار. يابني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يابني عبدشمس! أنقذوا أنفسكم من النار. يابني عبدمناف! أنقذوا أنفسكم من النار. يابني هاشم!... يابني عبدالمطلب!... يافاطمة!... فإني لا أملك لكم من الله شيئا. غير أن لكم رَحِمَا سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا.».

كانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ. فقد فاصل الرسول ﷺ قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله[319].

ب - دروس وعبر من هذا المقطع:

١) إن الموقف السلبي لعشيرة الرسول ﷺ بصفة خاصة والعرب القرشيين بصفة عامة من الدعوة في هذه الفترة، فيه الرد القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بأنه ثمرة من ثمار القومية، ويدعون ان محمدا ﷺ إنما كان يمثل بدعوته التي دعا إليها، آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين.

٢) إن في تباطؤ الناس عن الدخول في الإسلام، لدليلاً على مدى قوة وتغلغل العادات والتقاليد في المجتمعات التي تعيش ردحا من الزمان في الجاهلية وفساد الفطرة. وهو وضع يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات قديما وحديثا، حتى المجتمعات الإسلامية، عندما يخبو فيها صوت الدعوة المهتدية بسنة الرسول ﷺ تجد أثرا كبيرا للعادات والتقاليد في تسيير حركة المجتمع في المجالات المختلفة، وتجد استنكارا ممن وقعوا في

(٣١٨) الفتح (١٨/١١٥/ح/ ٤٧٧١)، مسلم (١/١٩٢/ح ٢٠٤) واللفظ لمسلم - وانظر سيرة ابن إسحاق، ص١٤٧.

(٣١٩) انظر فقه السيرة للغزالي، ص ١٠١.

أسر هذه العادات والتقاليد، لصوت العقل المهتدي بسنة الرسول ﷺ والسلف الصالح، في فهم الإسلام.

٣) إن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة، إشارة إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموما والدعاة منهم خصوصا. فقد كان الرسول ﷺ يتحمل المسؤولية تجاه نفسه، بوصف كونه مكلفا. ويتحملها تجاه أسرته وأهله، بوصف كونه رب أسرة وذا آصرة قربى، ثم كان يتحمل المسؤولية تجاه الناس كلهم بوصف كونه نبيا ورسولا من الله عز وجل.

ويشترك مع النبي ﷺ في الأولى، كل مكلف، وفي الثانية كل صاحب أسرة، أو كل فرد له عشيرة، وفي الثالثة العلماء والحكام(٣٢٠).

المبحث الثالث والعشرون:

أ ـ أساليب المشركين في محاربة الدعوة الإسلامية:

لم تزل أصداء تلك الصيحة ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ مدوية في جنبات أم القرى، حتى نزل قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾(٣٢١) فقام الرسول ﷺ مشمرا عن ساعد الجد، صادعا بالحق، داعيا إلى هجر الأوثان، مسفها عقول المؤمنين بها، مبينا حقائق الإسلام، داحضا الأباطيل العقدية التي تعشعش في عقول أهل الجاهلية.

عندما رأت قريش أن أثر هذه الدعوة لم يكن محدودا كما كان الحال مع من دعا إلى نبذ الأصنام قبل محمد ﷺ، أمثال زيد بن نفيل وورقة وابن صيفي، قامت في وجه محمد ﷺ ومن تبعه، وأخذت تمارس شتى أساليب ووسائل الترغيب والترهيب، لصدهم عن هذا الطريق الذي هدد مصالحهم، التي يجنونها من وجود الحرم في أرضهم، وحط من تكبرهم على غيرهم، ووقف أمام شهواتهم في السيطرة واقتراف السيئات والموبقات. وقد كان أكثر هؤلاء من أصحاب النفوذ والمصالح.

---

(٣٢٠) انظر الدكتور البوطي: فقه السيرة، ص ص ٨١ ـ ٨٢.
(٣٢١) الحجر: ٩٤.

ومن أبرز تلك الأساليب:

الأسلوب الاول: كان أول أسلوب لجؤوا اليه هو محاولة التأثير على عمه أبي طالب حتى يكفه عن الدعوة أو تجريده من جواره ـ أي حمايته ـ فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب وقالوا له إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبوطالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه[٣٢٢].

الأسلوب الثاني: التهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب.

ولما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو اليه، غضبت منه قريش وعادوه وحقدوا عليه وأكثروا من ذكره وحض بعضهم بعضا ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأقسموا بأنهم لن يصبروا على أفعاله حتى يكفه عنهم أو ينازلوه وإياه في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. عند هذا عظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه[٣٢٣]. ولذا أبلغ الرسول ﷺ بالذي قالوه، وطلب منه أن يبقي عليه وعلى نفسه ولا يحمله من الأمر مالا يطيق[٣٢٤].

وفي رواية لابن إسحاق[٣٢٥] أن الرسول ﷺ ظن أن عمه قد ضعف عن نصرته ولذا قال له: «ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ماتركته»

---

(٣٢٢) ابن هشام (١/ ٣٢٨) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد.

(٣٢٣) المصدر والمكان نفسيهما، وسيرة ابن إسحاق، ص١٤٥. وإسناد ابن إسحاق في المصدرين معلق لذلك فهو ضعيف.

(٣٢٤) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (١/ ٣٢٩) وسيرة ابن إسحاق، ص ١٥٤ بالإسناد نفسه، وهو منقطع كما قلنا فهو ضعيف.

(٣٢٥) ابن هشام (١/ ٣٢٩ - ٣٠) وسيرة ابن إسحاق، ص ١٥٤. وإسناد ابن إسحاق هنا معضل فهو ضعيف.

ثم بكى رسول الله ﷺ وقام من عند عمه، فلما ولى ناداه عمه، فقال: «أقبل ياابن أخي». فلما أقبل قال له: «اذهب ياابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا». وفي رواية أخرى لابن إسحاق[٣٢٦] من حديث عقيل بن أبي طالب أن أباطالب أرسل عقيلا إلى النبي ﷺ، فلما حضر قال له عمه: «إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة، فقال أبوطالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا». وهذه الرواية هي الصحيحة.

ومن أبرز الحكم والعبر في هذين الأسلوبين، أن هذا الموقف القوي للرسول ﷺ من قومه ينسجم مع ما أمر به من البلاغ، أما موقف أبي طالب فعجيب حقا، ولم يجد ابن كثير[٣٢٧] تفسيرا له سوى قوله: «إن الله تعالى قد امتحن قلبه بحب محمد ﷺ حبا طبيعيا لا شرعيا. وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبوطالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه. ولتجرؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا، فهذان العمان كافران: أبوطالب وأبولهب. ولكن هذا يكون يوم القيامة في ضحضاح من نار[٣٢٨]، وذلك في الدرك

---

(٣٢٦) سيرة ابن إسحاق، ص ١٥٥ بإسناد حسن. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٥): رواه أبويعلى بإختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ص ١١٤ - ١١٥، بعد ذكره قول الهيثمي، قال: إن هذه القصة قد أخرجها مختصرة الطبراني في الأوسط والكبير من حديث عقيل بن أبي طالب... ورواه الذهبي في السيرة ص ص ١٤٨ - ١٤٩، بنفس سند ابن إسحاق، ثم قال: رواه البخاري في التاريخ عن أبي كريب عن يونس. وعند البيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٦) من حديث عقيل، وقال البيهقي: رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء، عن يونس (٤/ ١/ ٥١).

(٣٢٧) البداية والنهاية (٣/ ٤٥ - ٤٦).

(٣٢٨) إشارة إلى الحديث المتفق عليه عن العباس أنه قال: «يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». - انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٤٠/ح ٣٨٨٣)، مسلم (١/ ١٩٤ - ١٩٥/ح ٢٠٩). والتخفيف عنه بسببه. والضحضاح: مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين.

الأسفل من النار، وأنزل فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر وتقرأ في المواعظ والخطب تتضمن أنه سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب» [٣٢٩].

وظل أبوطالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول ﷺ ويحميه وينأى عن الدخول في الإسلام. وقد روي أن الآية ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾[٣٣٠] قد نزلت فيه[٣٣١].

الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه.

ومن تلك الاتهامات:

أ) اتهموه بالجنون. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وقالوا ياأيها الذي نُزِّلَ عليه الذكرُ إنك لمجنون﴾[٣٣٢]. وقد أجابهم الله في آية القلم ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ (القلم/ ٢). وحكى عنهم في قوله ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾[٣٣٣].

ب) اتهموه بالسحر. وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقـال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾[٣٣٤]، ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾[٣٣٥].

وقد تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن. فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه من عتاة المعاندين، فقال لهم: «يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد

---

(٣٢٩) سبق الإشارة إلى أن سورة «المسد» قد نزلت في أبي لهب، وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما.

(٣٣٠) الأنعام: ٢٦.

(٣٣١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٧) إن في سبب نزولها قولان: أحدهما: إن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به، وقال: «رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول عمرو بن دينار وعطاء بن دينار والقاسم بن مخيمرة».
والثاني: إن كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع النبي ﷺ ويتباعدون بأنفسهم عنه وقال: «رواه الوالبي عن ابن عباس وبه قال ابن الحنفية والضحاك والسدي».
قلت: وقد روى ابن إسحاق في السيرة، ص٢٣٨، بإسناده إلى ابن عباس ولكنه أبهم أحد رواته أنها نزلت في أبي طالب... وانظر تفسير الطبري بتحقيق شاكر (١١/ ٣١١ - ٣١٥) في تفسير هذه الآية.

(٣٣٢) الحجر: ٦. (٣٣٣) القلم: ٥١. (٣٣٤) ص: ٤. (٣٣٥) الفرقان: ٨.
وتتكرر مثل هذه التهم على ألسنة أولياء الشيطان تجاه موسى في أكثر من سورة. انظر في هذا: سورة القصص: آية ٣٦، والنمل: آية ١٣. وتتكرر على ألسنة الطواغيت عموماً للرسل. انظر الذاريات: ٥٢.

سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا...» وعلى الرغم من استبعادهم انه كاهن أو شاعر أو ساحر إلا انهم اتفقوا على أن يقولوا للناس إنه ساحر، لأنه يفرق بين الأقارب، فأنزل الله في الوليد ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا....﴾[٣٣٦] ثم أخذوا يتلقون الناس يحذرونهم من أمر محمد. وشاء الله أن تصدر العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها[٣٣٧].

وكان مثل هذه المواقف سببا في إسلام الناس في المواسم. وما روي في قصة إسلام طفيل بن عمرو الدوسي دليل على ذلك[٣٣٨].

جـ) واتهموه بالكذب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾، ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾[٣٣٩].

د) واتهموه بالإتيان بالأساطير. قال تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾[٣٤٠].

هـ) وقالوا إن القرآن ليس من عند الله وإنما هو من عند البشر ﴿ولقد نعلم

---

(٣٣٦) المدثر: ١١. وانظر الآيات التي بعد هذه الآية في صفات الوليد.

(٣٣٧) ابن هشام (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٧) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد. ورواه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٥٧) من طريق ابن إسحاق، موقوفا عن ابن عباس، وقد صرح عنده بالسماع، ورواه أبونعيم في الدلائل (١/ ٢٣٢) مرسلا في أول الخبر وموصولا في نهايته، وهو من طريق ابن اسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس. قال محققا سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٦): «ورواه عبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم مختصرا. انظر: الدر المنثور (٦/ ٢٨٢) ورواه الواحدي في أسباب النزول من طريق ابن إسحاق، ص٢٩٥، مختصرا. وفي سنده إسحاق بن إبراهيم الدبري وفيه كلام، انظره في الميزان (١/ ١٨١)».

(٣٣٨) انظرها في دلائل أبي نعيم (١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠)، قال المحققان: «أخرجه البيهقي عن ابن إسحاق معلقا، وهو في السيرة (١/ ٣٨٢) ـ بدون إسناد أيضا. قال في الخصائص (١/ ٣٣٧): أخرجه أبونعيم من طريق الواقدي... ووصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح ابن كيسان عن الطفيل بن عمرو وهو في سائر النسخ بغير إسناد...».

(٣٣٩) الفرقان: ٤. انظر تفسيرها في مثل: زاد المسير (٦/ ٧٢ ـ ٧٣). قال مجاهد في قوله وأعانه... آخرون: يعنون اليهود. وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حويطب ويسار غلام عامر ابن الحضرمي وجبر مولى لعامر أيضا، وثلاثتهم من أهل الكتاب.

(٣٤٠) الفرقان: ٥. قال المفسرون إن الذي قال هذا هو النضر بن الحارث. انظر: زاد المسير (٦/ ٦٣).

أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[٣٤١].

و) واتهموا المؤمنين بالضلالة... ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾[٣٤٢].

الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين:

يقول الله تعالى عن سخريتهم من الذين آمنوا: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، أليس الله بأعلمَ بالشاكرين﴾[٣٤٣] وروى البخاري[٣٤٤] أن امرأة قالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: «إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا!» فأنزل الله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى ماودعك ربك وما قلى﴾.

وروى البخاري[٣٤٥] أن أباجهل قال مستهزئا: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم». فنزلت: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام[٣٤٦].

وذكر ابن إسحاق[٣٤٧] حديث الإراشي الذي ابتاع منه أبوجهل الإبل ومطله بأثمانها ودلالة قريش إياه على رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل

---

(٣٤١) النحل: ١٠٣. وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال... انظر: زاد المسير (٤/ ٤٩٢ - ٩٣).
(٣٤٢) المطففين: ٣٢.
(٣٤٣) الأنعام: ٥٣.
(٣٤٤) الفتح (١٨/ ٣٦٤/ح ٤٩٥٠). وقد وردت أقوال أخرى في سبب نزول هذه الآيات، منها المقبول ومنها المردود، انظر ابن حجر: الفتح (١٨/ ٣٣٦ - ٦٤).
(٣٤٥) الفتح (١٧/ ١٨٥/ح ٤٦٤٨).
(٣٤٦) الأنفال: ٣٢ - ٣٤.
(٣٤٧) السير والمغازي، ص ص ١٩٥ - ١٩٦، بإسناد منقطع، وابن هشام (٢/ ٣٣ - ٣٤) بسند ابن إسحاق في السيرة فهو ضعيف. والهامة: الرأس، والقَصَرَة: أصل العنق.

استهزاء لما يعلمون من العداوة بينهما. وعندما جاء الإراشي إلى رسول ﷺ شاكيا، مشى معه إلى أبي جهل وأخذ له بحقه. وعندما سألت قريش عن صنيعه هذا، قال: ويحكم والله ماهو إلا أن ضرب عليَّ بابي وسمعت صوته ملئت رعبا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قَصْرَتِهِ ولا أنيابه لِفَحْلٍ قَطُّ، والله لو أبيت لأكلني.

وقال الله تعالى عن ضحكهم وغمزهم: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾[٣٤٨].

وثبت من طرق صحيحة أن أشراف قريش اجتمعوا يوما في الحجر يتذاكرون أمر الرسول ﷺ وما جاء به. وبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ليطوف بالبيت. فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ثلاث مرات، فقال لهم: «يامعشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح...» وقد فزعوا من هذا الموقف[٣٤٩].

ومن منطلق الاستعلاء والسخرية، قال المشركون للنبي ﷺ: «لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء ـ يعنون صهيبا وبلالاً وخبابا ـ فاطردهم عنك». فهم النبي ﷺ بذلك طمعا في إسلامهم وإسلام قومهم، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾[٣٥٠].

ومر الرسول ﷺ يوما بجماعة من زعماء قريش فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله (عز وجل) ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق

(٣٤٨) سورة المطففين: ٢٩ ـ ٣١.

(٣٤٩) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢٠/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) وطبعة أحمد شاكر (١١/ ٢٢٧/ح ٧٠٣٦) وصحح شاكر إسناده، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/ ٢٩٧) وابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (١/ ٣٥٨).

(٣٥٠) الأنعام: ٥٢. وانظر سبب نزولها في تفسير الطبري (١١/ ٣٧٤ ـ ٣٨٨) وقد جمع الطبري الآثار الواردة في ذلك وخرجها وحققها الشيخ شاكر. وما أثبتنا معناه هنا في المتن هو مضمون الأثر رقم (١٣٢٥٨) بإسناد صحيح. وقد روى مسلم والنسائي بعضه من حديث سعد بن أبي وقاص. (وانظر تفسير الآية عند ابن كثير والقرطبي وغيرهما).

بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون﴾[٣٥١].

ومن كبار المستهزئين والساخرين: الأسود بن عبدالمطلب بن أسد[٣٥٢]، الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري، الوليد بن المغيرة المخزومي، العاص بن وائل السهمي[٣٥٣]، الحارث بن الطلاطلة الخزاعي[٣٥٤]. وروى أبونعيم[٣٥٥] ان الله تعالى أنزل فيهم: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[٣٥٦]. فقد روي أن جبريل (عليه السلام) رمى في وجه الأسود بن عبدالمطلب ورقة خضراء فعمي. ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات من ذلك. ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين فانتقض به فقتله. ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به حماره على نبات خفيف فدخلت في أخمص رجله منها شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فتحرك القيح فيه فقتله[٣٥٧].

ومن كبار المستهزئين الساخرين ـ أيضا ـ: أبوجهل[٣٥٨] وأمية بن خلف[٣٥٩]

---

(٣٥١) الأنعام: ١٠. وذكر ذلك ابن إسحاق بلاغا ـ ابن هشام (٢/ ٤٢). ولم يذكر المفسرون سببا معينا لهذه الآية. ومن ذكره منهم رواه من طريق ابن إسحاق، مثل ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣/ ٥).

(٣٥٢) قاله ابن حجر في الفتح (١٨/ ٣٥٩) وأبونعيم في الدلائل (١/ ٢٦٨)، وانظر ابن هشام (١/ ٣٦٠) ورواية أبي نعيم من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل.

(٣٥٣) ابن هشام (١/ ٤٣٨).

(٣٥٤) هؤلاء الخمسة ذكرهم أبونعيم في الدلائل (١/ ٢٦٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل ومن طريق آخر (١/ ٢٧٠/ح ٢٠٣) بسنده إلى ابن عباس وفيه الكلبي ـ متروك.

(٣٥٥) دلائل النبوة (١/ ٢٦٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل، وهي من مرويات إبراهيم بن سعد، أحد تلاميذ ابن إسحاق.

(٣٥٦) الحجر: ٩٥. السير والمغازي، ص ص ١٩٥ ـ ١٩٦، بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣٣ ـ ٣٤) بإسناد ابن إسحاق في السير والمغازي.

(٣٥٧) أخرجها أبونعيم في الدلائل (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) وقال المحققان: «أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٤١٠) ورجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ولكنه مرسل. وقال السيوطي في الخصائص (١/ ٣٦٥): أخرجه البيهقي وأبونعيم عن ابن عباس فذكر نحو حديث الباب، ثم قال، وله طرق عن ابن عباس وغيره أوردتها في التفسير المسند. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٧) بعد أن أخرجه من حديث ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ بمعنى قريب من حديث الباب: أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبدالحكيم النيسابوري، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات». وذكر ابن حجر في الفتح (١٨/ ٣) كيفية هلاك العاص.

(٣٥٨) ابن هشام (١/ ٤٤٧).

(٣٥٩) ابن هشام (١/ ٤٣٧).

والنضر بن الحارث[٣٦٠] والاخنس بن شريق[٣٦١] وأبي بن خلف[٣٦٢].

الأسلوب الخامس: التشويــش:

كان المشركون يتواصون بينهم بافتعال ضجة عالية وصياح منكر عندما يقرأ القرآن، حتى لا يسمع فيفهم فيترك أثرا في عقل نقي وقلب طيب. وفي ذلك قال المولى (عز وجل): ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه لعلكم تَغْلِبُون﴾[٣٦٣].

الأسلوب السادس: طلبهم أن تكون للرسول ﷺ معجزات أو مزايا ليست عند البشر العاديين:

من ذلك قولهم ﴿. . . مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا. أو يلقَى إليه كنز أو تكون له جنة يأكـل منها﴾[٣٦٤] وقولهم: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ورد عليه الله تعالى في الآية نفسها ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتَّبِعُ إلا ما يوحى إليَّ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[٣٦٥].

وقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنْبُوْعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فَتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسْقِطَ السماء كما زعمت علينا كِسَفا أو تأتِيَ بالله والملائكة قَبيلا. أو يكونَ لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولَن نؤمن لرقيِّك حتى تُنَزِّلَ علينا كتابا نقرؤه﴾. ولذا قال لهم الرسول ﷺ كما جاء في الآية نفسها ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾[٣٦٦].

---

(٣٦٠) ابن هشام (١/ ٤٣٩).
(٣٦١) ابن هشام (١/ ٤٤٣).
(٣٦٢) ابن هشام (١/ ٤٤٥).
(٣٦٣) فصلت: ٢٦، انظر زاد المسير (٧/ ٢٥٢).
(٣٦٤) الفرقان: ٧ ـ ٨ وقال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾. الأنعام: ٨.
(٣٦٥) يونس: ١٥.
(٣٦٦) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٤.

وسألوه أن يسير لهم جبال مكة ويقطع لهم الأرض ليزرعوها ويبعث لهم من مضى من الآباء الموتى أمثال قصي ليسألوه عن صدق محمد ورد الله عليهم في قوله: ﴿ولو أن قرآنا سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمر جميعا﴾[٣٦٧]، أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

لقد كان طلبهم على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا. قال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمِنُنَّ بها، قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون... ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾[٣٦٨]. وقال تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون...﴾[٣٦٩].

وروى أحمد[٣٧٠] من حديث ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا - اي يزرعوا مكانها - فقيل له إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم. قال: «لا، بل استأني بهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن

---

(٣٦٧) الرعد: ٣١. وانظر سبب نزولها عند ابن كثير: التفسير (٤/٣٨٢)، والطبري (١٦/٤٤٦ - ٤٥٠/ شاكر) متصلا إلى ابن عباس ومرسلا إلى مجاهد والضحاك، وابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (١/٣٨١). وانظر الشامي: سبل الهدى (٢/٤٥٦ - ٥٧) من خبر رواه أبويعلى وأبو نعيم عن الزبير بن العوام، كما ذكر وانظره في (٢/٤٥٢) حول هذا الخبر من رواية ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي - كما قال.

(٣٦٨) الأنعام: ١٠٩ - ١١١.

(٣٦٩) الإسراء: ٥٩ - انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٣/٥٥).

(٣٧٠) انظر: الفتح الرباني (٢٠/٢٢٢ - ٢٢٣) رواه من طريقين، نقلهما عنه ابن كثير في البداية (٣/٥٧) وقال: «وهذان إسنادان جيدان. وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين، منهم: سعيد ابن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد». وقال: «وهكذا رواه النسائي من حديث جرير». وقال الساعاتي: الفتح الرباني (٢٠/٢٢٣): «أورده الهيثمي». وقال: «رجال الروايتين رجال الصحيح إلا أن في أحد طرقه عمران بن الحكم (يعني طريق حديث الباب) وهو وهم، وفي بعضها عمران أبوالحكم، وهو ابن الحارث وهو الصحيح، ورواه البزار بنحوه». ثم قال الساعاتي: «وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للإمام أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي». وذكر الشامي في سبله (٢/٤٥٨) أن ممن رواه أيضا الضياء في صحيحه عن ابن عباس.

كذب بها الأولون. وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾[٣٧١].

وروي أنهم طلبوا منه أن يجعل صخرة معينة ذهبا لينحتوا منها وتغنيهم عن رحلتي الشتاء والصيف[٣٧٢].

الأسلوب السابع: المساومـات:

لقد حاولت قريش من خلال هذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، وذلك بأن يترك المشركون بعض ماهم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ماهو عليه. قال تعالى ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾[٣٧٣].

وعندما قالوا له أعبد آلهتنا يوما ونعبد إلهك يوما، أنزل الله تعالى سورة الكافرون: ﴿قل ياأيها الكافرون. لاأعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين﴾ وحسم هذه المساومة الهزلية.

لقد ساوموا عمه فيه، حين اقترحوا على عمه بأن يعطوه عمارة بن الوليد بن المغيرة بدلا عن محمد ﷺ فيأخذوه ويقتلوه[٣٧٤].

وعندما اشتكى أبوطالب وبلغ قريش ثقله قال بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها. فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا. وعندما جاء وفدهم إلى أبي طالب، قال لمحمد ﷺ: «يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومـك قد اجتمعـوا إليك ليعـطوك وليأخـذوا منك. فقال رسول الله ﷺ: نعم كلمـة واحدة يعطونيها يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم. وفي رواية: تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية. ففـزعـوا لكلمتـه ولقـولـه. فقال القوم: كلمة واحدة؟ قال: نعم. فقال

---

(٣٧١) الإسراء: ٥٩.

(٣٧٢) من رواية أبي يعلى وأبي نعيم عن الزبير بن العوام. كذا قال الشامي في السبل (٢/ ٤٥٧)، وبقية الخبر هو في معنى الخبر السابق.

(٣٧٣) القلم: ٩.

(٣٧٤) ابن هشام (١/ ٣٣٠) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد.

أبوجهل: نعم وأبيك عشر كلمات: قال: تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه. فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: يامحمد تريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا؟ إن أمرك لعجب.

ثم قال بعضهم لبعض: ماهذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه. ثم تفرقوا، فأنزل الله فيهم أول سورة «ص»...[٣٧٥]

الأسلوب الثامن: سب القرآن ومنزله ومن جاء به:

روى البخاري[٣٧٦] ومسلم[٣٧٧] والترمذي[٣٧٨] وغيرهم في قوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أن ابن عباس قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة. كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن: ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾.»

وروى ابن إسحاق[٣٧٩] أن رسول الله ﷺ كان إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من

---

(٣٧٥) رواه أحمد: المسند (٣/ ٣١٤ - ٣١٥/ تحقيق شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح»، والترمذي: السنن (٨/ ٣٦١/ح ٣٢٣٠).
وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم: المستدرك (٢/ ٤٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، والطبري: التفسير (٢٣/ ١٢٥)، والواحدي: أسباب النزول، ص ٢٠٩، والسيوطي: الدر المنثور (٥/ ٢٩٥) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. ورواه غير هؤلاء من أهل الحديث. وممن رواه من أهل السير: ابن إسحاق بإسناد منقطع كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٦٧-٦٨) والسير والمغازي، ص ٢٣٦، معلقا، ويشهد له ما جاء بأسانيد صحيحة عند أهل الحديث كما ذكرت.

(٣٧٦) الفتح (١٧/ ٢٩٩ - ٣٠٠/ح ٤٧٢٢). والحديث الذي يليه (٤٧٢٣) فيه تفسير عائشة (رضي الله عنها) بأن الآية نزلت في الدعاء، قال ابن حجر: «ورجح النووي وغيره قول ابن عباس كما رجحه الطبري، لكن يحتمل الجمع بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة. وقد روى ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء فنزلت. وجاء عند أهل التفسير في ذلك أقوال أخر ...» - الفتح (١٧/ ٣٠٠).

(٣٧٧) مسلم (١/ ٣٢٩/ح ١٤٥).

(٣٧٨) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٠/ح ٣٣٦٦ - ٣٣٦٧)، قال الألباني: «صحيح: متفق عليه».

(٣٧٩) السير والمغازي، ص ٢٠٦ بإسناد ضعيف لضعف داود بن الحصين في روايته عن عكرمة - انظر الكامل (٣/ ٩٥٩) والتهذيب (٣/ ١٨١)، التقريب، ص ١٩٩.

رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي يسترق السمع دونهم فَرَقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذي يستمع أنهم لم يسمعوا شيئا من قراءته وسمع من دونهم التفت إليه يستمع، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيتفرقوا عنك، ﴿ولا تخافت بها﴾ فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾[٣٨٠].

وعندما كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، أخذ المشركون يسبون الله عدوا بغير علم، فأنزل الله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم[٣٨١]﴾[٣٨٢].

وهذ النهي عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا انه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين[٣٨٣].

ومن هذا القبيل ـ وهـو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ـ ماجاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه». قالوا يارسـول الله، وهل، يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه»[٣٨٤]. وقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنهـا): «لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة، ولجعلتها على

---

(٣٨٠) الإسراء: ١١٠.
(٣٨١) الأنعام: ١٠٨.
(٣٨٢) أورد الطبري في التفسير (١٢/ ٣٣ ـ ٣٥/ تحقيق شاكر) عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، منها أثر مرفوع إلى ابن عباس بإسناده ومنها أثران مرسلان من حديث قتادة من طريقين مختلفين، وأثر مرسل من حديث السدي، فالأثر المرفوع إلى ابن عباس منقطع لأنه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فالرواية هنا إذن ضعيفة. أما مراسيل قتادة فهي ضعيفة، لأنه لم يسمع من صحابي غير أنس. وأثر السدي ضعيف لأنه متكلم فيه مع أنه لا يروي إلا عن صغار الصحابة كابن عباس وأنس، فهو من صغار التابعين. والخلاصة إن هذه الآثار كلها ضعيفة ولاتنجبر.
(٣٨٣) ابن كثير: التفسير (٣/ ٣٠٦).
(٣٨٤) مسلم (١/ ٩٢/ح ٩٠)، أحمد: المسند (٢/ ١٤٦، ١٩٥، ٢١٤، ٢١٦) من حديث عبدالله ابن عمرو. وانظر ابن كثير: التفسير (٣/ ٣٠٨).

أساس إبراهيم...»[٣٨٥]. وكان هذا الحديث سنداً لابن الزبير في بناء الكعبة على قواعد إبراهيم.

الأسلوب التاسع: الاتصال باليهود للإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ:

أوفدت قريش نفرا منهم إلى المدينة، على رأسهم: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية فيطرحونها على الرسول ﷺ. فقالت لهم يهود: سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين والروح. ولكن الله أبطل كيدهم عندما أنزل الله قرآنا في شأن الإجابة عن أسئلتهم[٣٨٦].

الأسلوب العاشر: الترغيـــب:

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب، فأرسلت عتبة بن ربيعة، الذي قال للرسول ﷺ: «يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك. وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ».

فلما فرغ من قوله تلا رسول الله ﷺ صدر صورة «فصلت» إلى قوله

---

(٣٨٥) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: البخاري، كتاب العلم، ومسلم - واللفظ هنا له - (٢/٩٦٨ - ٩٧٣/ح ١٣٣٣).

(٣٨٦) روى هذه القصة ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (١/٣٧١ - ٣٧٢)، والترمذي صحيح الترمذي (٣/٦٩/ح ٣٣٦١ - ٣٣٦٢) من حديث ابن عباس: وقال الألباني: «صحيح الإسناد» وفيها السؤال عن الروح فقط.
ورواه أحمد في مسنده. انظر: الفتح الرباني (١٨/١٩٦ - ١٩٧) بنفس سند ومتن الترمذي.
ورواه البيهقي في الدلائل (٢/٢٦٩ - ٢٧٠) من حديث ابن إسحاق بتمامه، بإسناد منقطع، لأن ابن اسحاق أبهم اسم من حدثه، وبقية رجاله ثقات. ورواه غير هؤلاء. وروى الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود حديثا يفيد أن اليهود سألوا الرسول ﷺ عن الروح وهو بالمدينة، وفي ذلك نزلت الآية ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ - الإسراء: ٥٨. وجمع بين حديث ابن عباس وابن مسعود بتعدد النزول.

تعالى ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[٣٨٧]. وعندها وضع عتبة يده على جنبه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش مخبرا إياهم بأن ما سمع ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة، واقترح على قريش أن تدع محمدا وشأنه[٣٨٨]. وفي رواية البيهقي وابن أبي شيبة وابن حميد من حديث جابر، زادوا: «وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت»*.

وفي رواية إن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أباجهل، فأتاه، فقال: «ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.» قال: «لم؟» قال: «ليعطوك، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله..» ثم قال عن القرآن الذي سمعه من محمد ﷺ: «ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته...»[٣٨٩].

الأسلوب الحادي عشر: الترهيب:

كان أبوجهل، إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنبه وأخزاه، وقال له: «تركت دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك ولنضعفن رأيك ولنضعن شرفك»، وإن كان تاجرا قال له: «لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك»، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به[٣٩٠].

---

(٣٨٧) فصلت: ١٣.
(٣٨٨) روى هذا الخبر ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (١/٣٦٢ - ٦٣)، وعبد بن حميد - انظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد بتحقيق السامرائي والصعيدي، ص٣٣٧/ح ١١٢٣، بإسناد متصل من حديث جابر - رواية ابن أبي شيبة - وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات، ولذلك حسن الألباني إسناده - انظر: فقه السيرة للغزالي، ص١١٣ - الحاشية. وقال الألباني عن إسناد ابن إسحاق إنه حسن مرسل... ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/٢٩٥ - ٢٩٧) من غير طريق ابن إسحاق، وفيه الأجلح... والبيهقي في الدلائل (٢/٢٠٢ - ٢٠٣) بمثل رواية ابن أبي شيبة، وأبونعيم في الدلائل (١/٢٣٤). وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (٦/٢٠). * في الأماكن المذكورة هنا.
(٣٨٩) رواه الحاكم في المستدرك موصولا (٢/٥٠٦ - ٥٠٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، على شرط البخاري ولم يخرجاه» والبيهقي في الدلائل (٢/١٩٨ - ١٩٩)من هذا الطريق، ومن طرق أخرى مرسلا، ثم قال بعد إيراد جميع الطرق: «وكل ذلك يؤكد بعضه بعضا».
(٣٩٠) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (١/٣٩٥).

الأسلوب الثاني عشر:

أ ـ الاعتداء الجسدي:

عندما لم تثمر كل الأساليب السابقة في صد الرسول ﷺ وأصحابه عن دينهم، لجأت قريش إلى أسلوب الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية.

لقد استفحل إيذاؤهم للرسول ﷺ في الفترة العلنية لغضبهم منه حين أضحى يظهر شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة. فقد روى مسلم[٣٩١] عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال، قال أبوجهل: «هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ـ زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة». فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا.»، قال: فأنزل الله (عز وجل) ﴿. . . كلا إن الإنسان ليطغى. . . أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى. . . أرأيت إن كذب وتولى. . . كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية. . . كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾[٣٩٢].

وروى البخاري[٣٩٣] بسنده إلى عروة بن الزبير، قال: «سألت عبدالله ابن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة ابن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ، وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فجاء أبوبكر حتى دفعه عنه ﷺ، فقال: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟»».

---

(٣٩١) (٤/٢١٤٥ ـ ٢١٥٥/ح ٢٧٩٧)، وانظره مختصرا عند البخاري في الفتح (١٨/ ٣٨٠/ح ٤٩٥٨).

(٣٩٢) العلق: ٦ ـ ١٩.

(٣٩٣) الفتح (١٤/ ١٧٩/ح ٣٦٧٨) و (١٥/ ٩ ـ ١١/ح ٣٨٥٦).
والخبر عند ابن إسحاق بإسناد حسن، انظر ابن هشام (١/ ٣٥٨ ـ ٥٩)، وهو عنده في سيرته بنفس الإسناد، ص ٢٢٩ ـ ٣٠، من رواية يونس بن بكير.

وروى البخاري[٣٩٤] ومسلم[٣٩٥] من حديث ابن مسعود، قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبوجهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبوجهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم[٣٩٦] فأخذه. فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر. لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم.. فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر».

قال ابن حجر[٣٩٧]: «وقد أخرج أبويعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس، قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبوبكر فجعل ينادي: ويلكم، أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر...».

وتسلط عليه عتيبة بن أبي لهب بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه ﷺ إلا أن البزاق لم يقع عليه، وحينئذ دعا عليه النبي ﷺ، وقال: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك». واستجيب دعاؤه، فذبحه السبع وهو بالزرقاء بالشام[٣٩٨] وحاولت أم جميل - زوجة أبي لهب - أن تعتدي عليه بحجر فحماه الله منها - كما روى البيهقي في الدلائل (١٩٦/٢) بإسناد حسن لغيره لأنه تقوى بآخر. وكانت تحمل الحطب لتضعه في طريقه - كما حكاه القرآن الكريم [المسد: ٤].

---

(٣٩٤) الفتح (٦٦/١٢/ح ٢٩٣٤).
(٣٩٥) (١٤١٨/٣ - ١٤١٩/ح ١٧٩٤) ورواه غيرهما، مثل: أحمد: المسند (٢٧٢/٥/ح ٣٧٢٢) وصحح شاكر إسناده؛ وابن إسحاق، السيرة، ص ٢١١، وعند ابن هشام (٦٥/٢ - ٦٦) بدون إسناد، وبمعنى قريب من رواية الشيخين وأحمد.
(٣٩٦) هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية عند مسلم (١٤١٩/٣/ح ١٧٩٤).
(٣٩٧) الفتح (١١/١٥/ح ٣٨٥٦).
(٣٩٨) انظر البيهقي: الدلائل (٣٣٨/٢) وقال عن إسناده: «كذا قال عباس بن الفضل، وليس بالقوي».

وروى أحمد[٣٩٩] أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله... وأخبرته ابنته فاطمة بالذي قالوا، فجاءهم وحصبهم بقبضة من تراب، من أصابته منهم قتل يوم بدر كافرا.

وروى الإمام أحمد[٤٠٠] من حديث أنس، ان جبريل (عليه السلام) جاء ذات يوم إلى النبي ﷺ وهو جالس حزينا قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له مَالَك؟ قال: «فعل بي هؤلاء وفعلوا، فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع بتلك الشجرة، فدعاها، فجاءت حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله ﷺ حسبي».

يرى ابن كثير[٤٠١] ان غالب ما وقع للرسول ﷺ من اعتداء جسدي وما يشبه ذلك، كان بعد وفاة عمه أبي طالب.

ونال أبا بكر (رضي الله عنه) نصيبُه من الأذى، حتى فكر في الهجرة إلى الحبشة فرارا بدينه[٤٠٢].

وذات يوم قام أبوبكر خطيباً في المسجد الحرام، فضربه المشركون ضربا شديدا، وممن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب إلى منزله، ولا يشكون في موته،

---

(٣٩٩) المسند (٤/ ٢٦٩/ح ٢٧٦٢)، قال شاكر: «إسناده صحيح»، وهو في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٨)، وقال: «رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح»، وأقول: «بل كلاهما». والمسند (٥/ ١٦٣) بإسناد آخر إلى ابن عباس وقد صححه شاكر. وسندا هذه القصة في مرتبة الحسن، وقد يصلان إلى درجة الصحيح بالتعدد وكون رجالها رجال الصحيح، كما قال باوزير في كتابه: مرويات غزوة بدر، ص ٢٢٣.

(٤٠٠) الساعاتي: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٠)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير الإمام أحمد ورجاله من رجال الصحيحين».

(٤٠١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٨).

(٤٠٢) انظر الحديث بتمامه من رواية البخاري/ الفتح (١٠/ ٤٣ - ٤٤/ح ٢٢٩٧)، ورواه بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٤ - ١٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٨٤ - ٣٨٩) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٧١ - ٤٧٣). وسيأتي الكلام عن هذه الهجرة في نهاية الكلام عن هجرة الرسول ﷺ إلى الطائف.

وأقسموا لئن مات أبوبكر ليقتلن عتبة بن ربيعة[٤٠٣].

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدالله بن مسعود، على الرغم من تحذير المسلمين من عدوان المشركين وخشيتهم عليه. فعندما فعل ذلك، ضربوه على وجهه حتى أثروا فيه. وعندما قال له الصحابة: « هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا. قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون»[٤٠٤].

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته[٤٠٥]. وروي انه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وأقسم ألا يحله إلا إذا ترك الإسلام. فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام. فلما رأى عمه صلابته في دينه تركه[٤٠٦].

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته. وكان من أنعم الناس عيشا، فتخشف جلده تخشف الحية، وحتى حمله أصحابه على قسيهم؛ لشدة ما به من الجهد[٤٠٧].

واعتدوا على عمر بن الخطاب عندما أسلم، وحاولوا قتله لولا أن أنقذه الله بالعاص بن وائل[٤٠٨].

وممن أوذي عثمان بن مظعون. فقد روي انه عندما رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة، دخل في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن، رد جوار الوليد. وعندما قدم لبيد بن ربيعة إلى مكة، وكان في مجلس لقريش ينشدهم شعره، قال لبيد: «ألا كل شيء ماخلا الله باطل» قال عثمان بن مظعون: «صدقت، وعندما قال: وكل نعيم لا محالة

---

(٤٠٣) انظر القصة في البداية (٣/ ٣٣ - ٣٤).
(٤٠٤) رواه ابن إسحاق بسند حسن مرسل موقوف على عروة ابن هشام (١/ ٣٨٨ - ٣٨٩) ورواه في السير والمغازي، ص١٨٦.
(٤٠٥) المنصورفوري: رحمة للعالمين (١/ ٥٢) ولم نقف على مصدر المنصورفوري.
(٤٠٦) ابن سعد (٣/ ٥٥) من رواية الواقدي.
(٤٠٧) ابن إسحاق، السيرة، ص١٩٣، بسند معضل فهو ضعيف.
(٤٠٨) يأتي ذكره في إسلام عمر (رضي الله عنه) بإسناد حسن من رواية ابن إسحاق.

زائل، قال له عثمان: «كذبت. نعيم الجنة لا يزول»، قال لبيد: «يامعشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟» فقال رجل من القوم: «إن هذا أيضا في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله. فرد عليه عثمان حتى تفاقم أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل، فلطم عينه فَخَضَّرَهَا، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: «أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابت لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة»، قال عثمان: «بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أباعبد شمس»، فقال له الوليد: «هلم يا ابن أخي، إن شئت فعد إلى جوارك» فقال: «لا[409]».

وكان عم الزبير بن العوام يعلقه في حصير، ويدخن عليه النار، ويقول: «ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير. لا أكفر أبدا[410]».

ولم يقتصر التعذيب الجسدي على المسلمين بمكة، بل امتد إلى بعض الأفراد الذين أسلموا من القبائل البعيدة عن مكة. فقد روى ابن سعد[411] ان أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم عندما أسلمت هي وزوجها، وهاجر زوجها مع أبي هريرة وجماعة من قومها، جاءها أهل زوجها أبي العكر فسألوها إن كانت على دينه، فأقرت بإسلامها، فأقسموا على تعذيبها. فعندما ارتحلوا من مكان إلى آخر، حملوها على شر ركابهم وأغلظه، ثم أطعموها خبزا وعسلا ومنعوا عنها الماء، وتركوها في الشمس حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، وكرروا ذلك لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث، طلبوا منها ترك دينها، فلم تفعل غير الإشارة بأصبعها إلى السماء بالتوحيد ولا تعي ما يقولون

---

(٤٠٩) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ابن هشام (٢/ ١٠ - ١٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣) من طريق موسى بن عقبة، ولم يسم ابن عقبة من حدثه، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١ - ٢٤) مرسلا عن عروة، وفيه ابن لهيعة، ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢ - ٣٤)، وكل هذه الطرق ضعيفة، ولكنها تدل على أن للقصة أصلا.

(٤١٠) الحاكم: المستدرك (٣/ ٣٦٠) وسكت عنه الحاكم والذهبي. فيه أبو الأسود وقد عنعن، وهو من مرسل عروة، وأبونعيم في الحلية (١/ ٨٩) بإسناد مرسل رجاله ثقات.

(٤١١) الطبقات (٧/ ١٥٥ - ١٥٧) من رواية الواقدي، وهو متروك فالإسناد ضعيف جداً.

من شدة الإعياء والإغماء، وأكرمها الله بدلو من ماء شربت منه، فكان ذلك سببا في إسلام أهل زوجها وهجرتهم إلى النبي ﷺ.

وعندما سمع أبوذر الغفاري بخبر النبي ﷺ جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول ﷺ فضربه أهل مكة حتى أغشي عليه[٤١٢]، وكاد أن يموت، فخلصه العباس (رضي الله عنه) منهم[٤١٣].

ب ـ تعذيب الموالـي:

لقد نفس الكفار كل أحقادهم على الإسلام ومعتنقيه في أشخاص الموالي، لأنه لم تكن لهم منعة. فكان العذاب أقسى وأفظع.

وقد عذر الله المعذبين فيما يقولون حينما يبلغ الجهد منهم مبلغه. قال سعيد بن جبير لابن عباس: «أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟» قال: «نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده[٤١٤]». قال ابن كثير[٤١٥]: «وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾».

قال ابن مسعود: « أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأبوبكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون

---

(٤١٢) و (٤١٣) طرف من حديث في قصة إسلام أبي ذر، متفق عليه: البخاري/ الفتح (١٤/٣٣/ح ٣٥٢٢)، مسلم (٤/١٩٢٠/ح ٢٤٧٣)، و(٤/١٩٢٣ ـ ٢٤/ح ٢٤٧٤).

(٤١٤) رواه ابن إسحاق ابن هشام (١/٣٩٦) وقد صرح بالسماع وفي سنده حكيم بن جبير، وهو ضعيف كما قال ابن حجر في التقريب، ص١٧٦. ونقله ابن كثير في البداية (٣/٦٥) عن ابن إسحاق بهذا الإسناد.

(٤١٥) البداية والنهاية (٣/٦٥).
والآية ١٠٦ من سورة النحل.

فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد[٤١٦].

جـ - آل ياسر:

كانت هذه الأسرة ممن يضرب بها المثل فيما لاقاه المستضعفون من الابتلاءات في تاريخ الإسلام. فقد كان بنومخزوم يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة فيعذبونهم برمضاء مكة[٤١٧].

ومر بهم الرسول ﷺ ذات مرة وهم يعذبون، فقال لهم: «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة»[٤١٨].

وكان أول من استشهد في سبيل الله من هذه الأسرة خاصة، وفي الإسلام عامة: أم عمار - سمية بنت خباط - فقد طعنها أبوجهل بحربة في قبلها فماتت من جراء هذا الاعتداء الآثم[٤١٩].

---

(٤١٦) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣١٩/ح ٣٨٣٢/ شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح»، وخرجه من مصادر أخرى فانظرها إن شئت. وذكره الذهبي في السيرة، ص٢١٧ - ٢١٨، وقال عنه: «حديث صحيح». وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وأبونعيم في الحلية (١/ ١٤٩)، وابن ماجة: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٠/ الألباني) وقال الألباني: «حسن»، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨١ - ٨٢) وابن كثير في البداية (٣/ ٦٤) وقال: ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا.

(٤١٧) ابن هشام (١/ ٣٩٥) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، وعن قصة إغراقه في الماء، انظر سيرة ابن إسحاق، ص١٩٢ من حديث ابن سيرين.

(٤١٨) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨) من حديث جابر، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقد وهم محققا سيرة ابن هشام عندما قالا إن الذهبي سكت عنه - ابن هشام (١/ ٣٩٥). وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٩٣) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» وقال الألباني: «حسن صحيح» كما في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص١٠٧ - ١٠٨، ورواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (١/ ٣٩٥) ولفظه: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنة...» وذكره الذهبي السيرة، ص٢١٨، عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر، وأبوالزبير مدلس وقد عنعن ولكن ما ذكرناه من شواهد تقوي حديث أبي الزبير وترفعه إلى درجة الحسن لغيره. انظر الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٠).

(٤١٩) من رواية أحمد: المسند (١/ ٤٠٤)، من مرسل مجاهد، ورواه من الطريق نفسه: البيهقي: دلائل النبوة (٢/ ٢٨٢)، والذهبي: السيرة النبوية، ص٢١٨، ورواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (١/ ٣٩٥) وفيه قوله: «فأما أمه - أم عمار - فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام» والخبر في الإصابة (٣٥/ ٦٤٨) - ترجمة ياسر العبسي و(٤/ ٣٣٤) - ترجمة سمية، والبلاذري: أنساب الأشراف (١/ ١٩٠).

ومات ياسر في العذاب، ورمي ابنه عبدالله فسقط[٤٢٠]. وتفننوا في إيذاء عمار، حتى أجبروه على أن يتلفظ بكلمة الكفر بلسانه. وذكر جمهور المفسرين[٤٢١] أن من أسباب نزول الآية الكريمة ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان...﴾[٤٢٢] هو موقف عمار بن ياسر[٤٢٣] هذا.

د - بلال:

كان بلال مولى لبعض بني جمح. وهو بلال بن رباح، وأمه حمامة. ذكر أنه كان حبشيا، وهو المشهور، وقيل كان نوبيا[٤٢٤].

كان طاهر القلب صادق الإسلام. وكان مولاه أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: «لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى»، فيقول وهو في ذلك البلاء: «أحد

---

(٤٢٠) قاله ابن حجر في الإصابة (٣/٦٤٨) وعزاه إلى ابن الكلبي في التفسير عن أبي صالح عن ابن عباس، وابن الكلبي متروك في الحديث.

(٤٢١) ذكر ابن الجوزي في الزاد (٤/٤٩٥) أربعة أقوال فيمن نزلت فيه هذه الآية، أحدها إنها نزلت في عمار بن ياسر. رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال قتادة. وقال ابن كثير في التفسير (٤/٥٢٥): «وهكذا قال الشعبي، وأبومالك، وقتادة»، ثم قال: «وقد روى العوني عن ابن عباس أنها نزلت في عمار».
أما رواية ابن جرير من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وقوله: «أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان. قال النبي ﷺ: «إن عادوا فعد». لقد ضعف هذه الرواية الألباني لعلة الإرسال، وصحح سبب نزول الآية في عمار لمجيء ذلك من طرق ساقها ابن جرير. انظر حاشية فقه السيرة للغزالي، ص١٠٨، وفي تخريجه للحديث فوائد فانظرها، فقد تركناها مع غيرها في مواطن كثيرة للألباني وغيره وذلك خشية الإطالة.

(٤٢٢) النحل: ١٠٦.

(٤٢٣) قال ابن حجر في الفتح (٩/٢٨١): «كان عمار عربيا عنسيا، ما وقع عليه سبي، وإنما سكن أبوه ياسر مكة وحالف بني مخزوم فزوجوه سمية وهي من مواليهم، فولدت له عمارا، فيحتمل أن يكون المشركون عاملوا عمارا معاملة السبي لكون أمه من مواليهم».
وقال ابن إسحاق في السيرة، ص ١٩٢: «إن ياسرا كان عبدا لبني بكر من بني الأشجع، فاشتروه منهم فزوجوه سمية أم عمار، فولدت عمارا. وكانت سمية أمة لهم، فأعتقوا سمية وعمارا». وانظر ترجمته في كتب التراجم.

(٤٢٤) ابن حجر: الفتح (١٤/٢٤٨/ك. فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب بلال.
وعن كونه من سبي الجاهلية، انظر رواية البخاري (٩/ ٢٨٠ - ٨١ ك. البيوع/ ب. شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه/ ترجمة الباب/ معلقا).

أحد»[٤٢٥].

وروى البلاذري[٤٢٦] عن عمرو بن العاص، قال: «مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء ولو ان بضعة لحم وضعت عليه لنضجت، وهو يقول: أنا كافر باللات والعزى. وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذابا فيقبل عليه فيدغت في حلقه فيغشى عليه ثم يفيق».

وروي البلاذري[٤٢٧] عن مجاهد، قال: «جعلوا في عنق بلال حبلا وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة -يعني جبليها- ففعلوا ذلك وهو يقول أحد أحد».

وقال البلاذري[٤٢٨]: «وروي أن بلالا قال: أعطشوني يوما وليلة، ثم أخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار».

وعندما رآه أبوبكر (رضي الله عنه) في هذه الحالة ساوم سادته على شرائه، فاشتراه وأعتقه. فقد روى ابن أبي شيبة[٤٢٩] بإسناد صحيح، والبلاذري[٤٣٠] بإسناد جيد، أن أبابكر اشترى بلالا بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة. وفي الصحيح أن بلالا قال لأبي بكر: «إن كنت إنما اشتريتني

---

(٤٢٥) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (١/ ٣٩٢)، ولهذا الحديث شاهد وهو حديث ابن مسعود الذي سبق ذكره، في آخر الفقرة (ب: تعذيب الموالي)، وهو حديث صحيح.
أما ما روي من أن ورقة بن نوفل كان يمر ببلال وهو يضرب، وقوله: «لئن قتلوه على هذا لأتخذنه حنانا»، فقد رواه ابن إسحاق موقوفا على عروة، فهو مرسل - ابن هشام (١/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، ومخالف لما في الصحيحين.

(٤٢٦) أنساب الأشراف (١/ ١٨٥).

(٤٢٧) المصدر والمكان نفساهما.

(٤٢٨) المصدر نفسه (١/ ١٨٦).

(٤٢٩) قاله ابن حجر في الفتح (٤// ٢٤٨). ورواه ابن عبدالبر في الإستيعاب (٢/ ٣٤) بإسناد قوي كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٣) - وانظر تخريجه في القصيمية، ص ٣٦٧. وقد ذكر ابن حجر أقوالا أخرى في قصة عتقه كما في الفتح (٩/ ٢٨١). وذكر ابن الجوزي في الزاد (٩/ ١٤٦) في سبب نزول الآية ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ من قول ابن مسعود إنه اشتراه ببردة وعشرة أواق، وقال: رواه الواحدي في أسباب النزول، ص ٣٣٥، وأورده السيوطي في الدر (٦/ ٣٥٨) من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر عن أبي مسعود. وذكره البغوي والخازن بغير إسناد. وكذلك روى ابن عبدالبر أحاديث في قصة شرائه فانظرها في الاستيعاب (١/ ٣٢ - ٣٤)، وهي مرسلة تتقوى ببعضها، وتخريجها في القصيمية، ص ص ٣٦٨ - ٣٦٩، وهناك أحاديث أخرى خرجها صاحب القصيمية من كتب أخرى، فانظره، ص ص ٣٧٠ - ٣٧٢.

(٤٣٠) أنساب الأشراف (١/ ١٨٦).

لنفسك فأمسكني وإن كنت اشتريتني لله فدعني وعمل الله[431]».

هـ ـ خباب بن الأَرَتّ:

هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة... بن تميم التميمي، ويقال الخزاعي...[432] سبي في الجاهلية، فبيع بمكة. وكان مولى لأم أنمار الخزاعية، وقيل غير ذلك. ثم حالف بني زهرة. كان يعمل قينا ـ حدادا ـ في صناعة الأسنة، وبخاصة السيوف[433]. وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

وعندما أظهر إسلامه لاقى صنوفا شتى من العذاب في المال والنفس، ضمن سائر المستضعفين[434]. ومما روي في ذلك انهم كانوا يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبا، ويلوون عنقه بعنف، واضجعوه مرات عديدة على صخور ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرا حتى لا يستطيع أن يقوم[435]. وأوقدوا له ناراً ووضعوه عليها، فما أطفأها إلا ودك ظهره، كما ذكر خباب نفسه، وقد كشف عن ظهره وأرى أثر ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[436] وذكر أيضا انهم كانوا يضجعونه على الرضف، ومع ذلك لم ينالوا

---

(431) البخاري/ الفتح (14/ 249/ح 5537). وروى ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل أنه استبدله من سيده بغلام أسود ـ ابن هشام (1/ 393).

(432) قاله ابن هشام بدون إسناد، (1/ 319). وانظر ترجمته في الإصابة (1/ 416).

(433) جاء ذلك في قصته مع العاصي بن وائل عند البخاري ومسلم وغيرهما، كما سيأتي ذكره.

(434) انظر أحمد: فضائل الصحابة (1/ 182) من حديث ابن مسعود الذي سبق ذكره. فقد جاء في الحديث أن خبابا كان ضمن سائر من أخذهم المشركون وألبسوهم الدروع والحديد وصهروهم في الشمس. وذكر ابن سعد (3/ 165)، أنه كان ضمن المستضعفين المعذبين. وإسناده مرسل ورجاله ثقات ماعدا الواقدي. وذكر ذلك أبونعيم في الحلية (1/ 143) بإسناد صحيح كما خرجه صاحب القصيمية، ص 375.

(435) ابن الجوزي: تلقيح فهوم الأثر، ص 60.

(436) رواه أبونعيم في الحلية (1/ 144) بإسناد مرسل عن الشعبي، وإذا ثبت سماع الشعبي من خباب فيكون الحديث متصلا صحيحا، ولكن الحديث حسن بالشواهد التي ذكرناها في أمر تعذيبه. وذكر ابن سعد في الطبقات (3/ 165) من حديث أبي ليلى الكندي، رؤية خباب عمرا آثارا في ظهره مما عذبه به المشركون، وإسناده حسن، ورواه ابن ماجه: السنن/ المقدمة (153) وإسناده صحيح كما قال البوصيري في «الزوائد»: (12)، وصححه الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (1/ 31/ح 153) و أشار إلى ذكره في مؤلفه الذي لم ير النور بعد: «صحيح السيرة النبوية». وانظر بقية أخباره في البلاذري: أنساب الأشراف (1/ 175 ـ 179). وروى البلاذري في هذا المصدر (1/ 176) انه سمي الأرَتّ للكنة في لسانه إذا تكلم بالعربية.

منه ما أرادوا[٤٣٧].

وله قصة مشهورة مع العاصي بن وائل، رواها البخاري[٤٣٨] ومسلم[٤٣٩] وغيرهما، من حديث خباب نفسه، قال: «كنت قينا بمكة فعملت للعاصي ابن وائل السهمي سيفا، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فسأقضيك، فأنزل الله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتَيَنَّ مالا وولدا، أَطَّلَعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾[٤٤٠]».

وعندما اشتد البلاء بخباب وإخوانه المسلمين المستضعفين، شكوا إلى الرسول ﷺ حالهم. فقد روى البخاري[٤٤١] عن خباب قوله: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

عامة الموالي المستضعفين:

منهم حمامة، والدة بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عبيس، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني عدي، التي كان يعذبها عمر بن الخطاب قبل أن

---

(٤٣٧) رواه أبونعيم في الحلية (١/ ١٤٤) بإسناد صحيح.
(٤٣٨) الفتح (١٨/ ٣١/ح ٤٧٣٣) وانظر أحاديث الباب - واللفظ للبخاري.
(٤٣٩) (٤/ ٢١٥٣/ح ٢٧٩٥). وللبخاري عدة روايات بهذا المعنى. وذكر القصة ابن إسحاق بدون إسناد، وأحمد (٥/ ١١٠)، والترمذي (٨/ ٣٠٨ - ٩) - انظر: صحيح الترمذي (٣/ ٧٦/ح ٣٣٨٥) وقال الألباني: «متفق عليه»، وهو يشير إلى ماذكرناه...
(٤٤٠) مريم: ٧٧ - ٧٨.
(٤٤١) الفتح (١٤/ ١١٣ - ١١٤/ح ٣٦١٢).

يسلم[٤٤٢]. وقد أعتقهم أبوبكر جميعا[٤٤٣].

وعندما رأى أبوقحافة ابنه أبابكر يعتق هؤلاء المستضعفين، قال له: «يابني، إني لمراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبوبكر: «يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله عز وجل». فأنزلت فيه الآية ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ إلى قوله عز وجل ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى[٤٤٤]﴾[٤٤٥]».

وقد أصيب بصر زنيرة حين أعتقها أبوبكر، فقالت قريش: «ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى» فقالت: «كذبوا وبيت الله، ما تضران اللات والعزى وما تنفعان». فرد الله بصرها[٤٤٦].

وكان أفلح - أبو فكيهة - مولى لبني عبدالدار - كانوا يشدونه بالحبل من رجله ثم يجرونه على الأرض، ليفتنوه عن دينه[٤٤٧].

ب - العبـر والعظـات:

١ - ربما يتساءل المرء: فيم هذا العذاب الذي لقيه الرسول ﷺ وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله تعالى منه وهم جنوده وفيهم رسوله؟ والجواب: أن أول صفة للإنسان في الدنيا، أنه مكلف، وأمر

---

(٤٤٢) انظر ابن كثير: الفصول في إختصار سيرة الرسول، ص٨٧، ابن هشام (١/ ٣٩٣ - ٩٤) من رواية ابن اسحاق بدون إسناد. وسبق الكلام عن أن أبا بكر قد أعتق بلالا.

(٤٤٣) انظر: ابن هشام (١/ ٣٩٤) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، وسيرة ابن إسحاق، ص١٩١، بدون إسناد أيضا، والبلاذري: أنساب الأشراف (١/ ١٥٨، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦).

(٤٤٤) الآيات ٥ - ٢١ من سورة الليل.

(٤٤٥) المستدرك (٢/ ٥٢٥) من حديث زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحاق. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وسكت عليه الذهبي، ورواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (١/ ٣٩٤) وفي السير والمغازي، ص ص١٩١ - ١٩٢) بإسناد منقطع، وهو الإسناد الذي وصله الحاكم. ورواه الواحدي في أسباب النزول، ص٣٣٦ من حديث إبراهيم ابن سعد عن محمد بن إسحاق به، ورواه السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٨) من رواية ابن جرير وزاد نسبته لابن عساكر، وانظر زاد المسير (٩/ ١٤٨) حاشية المحققين.

(٤٤٦) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل لأنه موقوف على عروة وراوه غيره عنه ولم يصلوه - انظر ابن هشام (١/ ٣٩٢ - ٣٩٣) وسيرة ابن إسحاق، ص ١٩١ والذهبي: السيرة، ص٢١٨.

(٤٤٧) ابن حجر: الإصابة (٤/ ١٥٦/ ترجمة أبي فكيهة/ رقم ٩٠٧) بدون إسناد.

الدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، والتكليف من أهم لوازم العبودية لله تعالى. وعبودية الإنسان لله (عز وجل) ضرورة من ضرورات ألوهيته (عز وجل)، ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[٤٤٨].

فقد استلزمت العبودية ـ إذاً ـ التكليف، واستلزم التكليف تحميل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء، والصمود في وجه الفتن والابتلاءات.

والفتنة والابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، وفي ذلك يقول المولى (عز وجل): ﴿الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٤٤٩]، ويقول: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[٤٥٠].

وما دام الأمر كذلك فلا ينبغي للمسلم أن يتوهم اليأس إذا ماعانى شيئا من المشقة والمحنة. بل العكس هو المنسجم مع طبيعة هذا الدين، أي إن على المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيدا من الضر والنكبات سعيا إلى تحقيق أمر ربهم (عز وجل)، ويتجلى برهان ذلك في قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء، وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب[٤٥١]﴾[٤٥٢].

٢ ـ المقرر عند علماء المسلمين أن الأخذ بالعزيمة في ميدان الإكراه أولى من الرخصة، وأن أخذ الأئمة والقادة بالعزيمة هو الأولى والأجمل. ويعتبر الفقهاء الإكراه بمدى قدرة المكره على إيقاع ما هدد به[٤٥٣].

---

(٤٤٨) الذاريات: ٥٦.
(٤٤٩) العنكبوت: ١ ـ ٣.
(٤٥٠) آل عمران: ١٤٢.
(٤٥١) البقرة: ٢١٤.
(٤٥٢) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ص ٨٥ ـ ٨٧.
(٤٥٣) انظر الموصلي: الإختيار لتعليل المختار في الفقه الحنفي، طبعة دار المعرفة، بيروت، (٢/ ١٠٤)، نقلا عن الشيخ زهير سالم: عثرات وسقطات، ص٤٣٨.

وان أخذ عامة المسلمين بالرخصة ليس دليلا على فساد في العقيدة، بدليل قول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر: «إن عادوا فعد»، أي إذا عادوا وطلبوا منك ذكر آلهتم بخير، فاذكرها، مادام قلبك مطمئناً بالإيمان[٤٥٤].

يقول ابن كثير[٤٥٥] في تعليقه على موقف عمار بن ياسر من التعذيب: «ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر، إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يستقتل كما كان بلال (رضي الله عنه) يأبى عليهم ذلك، وهم يفعلون به الأفاعيل،... وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري، لما قال له مسيلمة الكذاب: «أتشهد أن محمداً رسول؟» فيقول: «نعم» فيقول. «أتشهد أني رسول الله؟» فيقول: «لا أسمع». فلم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت على ذلك... والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله، كما قال الحافظ ابن عساكر، في ترجمة عبدالله بن حذافة السهمي...».

وفي تعليقه على الموقف ذاته قال ابن الجوزي[٤٥٦]: «الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به. والثانية أن التخويف لا يكون إكراها حتى ينال بعذاب. وإذا ثبت جواز «التقية»، فالأفضل ألا يفعل...».

إن في مواقف المؤمنين - بمختلف قبائلهم - وثباتهم على دينهم ورضاهم بجوار ربهم، مثلاً عالياً في التوكل على الله تعالى، ولن ينسى التاريخ تلك المواقف الإيمانية البطولية لهؤلاء المسلمين الأوائل، الذين كانوا قدوة لأصحاب المبادئ في كل زمان ومكان.

إن أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، لم يكفوا ولن يكفوا عن استخدام

---

(٤٥٤) انظر: الشيخ زهير سالم، ص ص ٣٩ - ٤٠.
(٤٥٥) تفسيره (٤/٥٢٥ - ٥٢٦).
(٤٥٦) زاد المسير (٤/٤٩٦).

كافة الوسائل والأساليب لإطفاء نور الإسلام ومحاربة دعاته، وربما تتجدد الأساليب والوسائل، ولكنها لا تخرج في مضمونها عن تلك الأساليب التي مارسها كفار قريش ضد المسلمين المستضعفين بمكة. وسيطول بنا الشرح إذا وقفنا عند كل أسلوب، وذكرنا له أمثلة من واقع حركة الإسلام وسط المجتمعات والشراذم الرافضة لتحكيم شرع الله.

كان من جليل حكمة الله تعالى أن يقوم مشركو قريش بسلسلة من المساومات مع الرسول ﷺ بعد أن صوروا في أنفسهم كل ما يمكن أن يظنوه سببا أو هدفا وراء دعوته، ورفض الرسول ﷺ قبول كل العروض التي قدموها له مقابل أن يتخلى عن دعوته ليثبت للتاريخ أن هدفه شيء واحد، وهو الإسلام، وليقطع الطريق أمام المتشككين في أهداف دعوته ﷺ، أو فهموا فهما مغايرا لما كشفت عنه تلك اللقاءات بين الرسول ﷺ وبين مساوميه من الكفار، وكانت سيرته ﷺ فيما بعد تأكيدا ودليلا على أنه لم يكن يطلب شيئا غير الإسلام[٤٥٧].

الأسلوب الثالث عشر: ملاحقة المسلمين خارج مكة والتحريض عليهم: عندما هاجر بعض المسلمين إلى النجاشي، أرسلوا خلفهم من حاول اللحاق بهم قبل العبور إلى الحبشة، وعندما استقروا بالحبشة وكثر عددهم، أرسلوا في طلبهم، واستخدموا في ذلك الرشوة والحيلة للوقيعة بين المسلمين والنجاشي، ولكنهم فشلوا في ذلك.

وسيأتي بيان ذلك في هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة وهجرة المدينة.

الأسلوب الرابع عشر: **المقاطعة العامة**: سيأتي ذكرها في مكانها من هذا الكتاب (مبحث ٢٨).

الأسلوب الخامس عشر: **محاولة قتل الرسول، ثم شن الحرب عليه**: سيأتي ذكر ذلك من خلال أبحاث وفصول الكتاب.

---

(٤٥٧) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٩٠.

المبحث الرابع والعشرون: مكان التقاء الرسول ﷺ بالمسلمين:

كان الرسول ﷺ يلتقي سرا بالداخلين في الإسلام؛ ليعلمهم ما ينزل به الوحي من تعاليم الدين. وفي السنة الخامسة من ابتداء الدعوة اختار الرسول ﷺ منزل أحد المسلمين، وهو الأرقم بن أبي الأرقم[٤٥٨]، ليلتقي بأكبر عدد منهم، وحافظوا على كتمان سرية هذا المكان[٤٥٩]، لأن عامة الصحابة كانوا يخفون إسلامهم، ولذا فمن الحكمة اتباع السرية لما فيها من صالح للمسلمين وللإسلام. أما لماذا اختار الرسول ﷺ دار الأرقم بالذات؟ أجاب عن هذا السؤال ـ استنتاجا ـ المباركفوري[٤٦٠]، فقال: «لأن الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه، ولأنه من بني مخزوم التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم إذ يستبعد أن يختفي الرسول ﷺ في قلب العدو، ولأنه كان فتى صغيرا عندما أسلم. في حدود الست عشرة سنة(*)، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة».

ويلحظ ان دار الأرقم كانت قرب الصفا، وهي منطقة تشتد فيها حركة الناس بصورة طبيعية، مما يصعب معه إدراك وجود حركة خاصة بأناس تجتمع وتنفض في هذه الدار.

وعندما شك الكفار في وجود مكان يلتقي فيه المسلمون، كان كل الذي توصلوا إليه أنه يلتقي بهم في دار عند الصفا[٤٦١].

إن مراعاة السرية والكتمان في حياته ﷺ واضحة في مواقف كثيرة منها هذا الموقف.

---

(٤٥٨) ودار الأرقم هذا هي الدار المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا، كما قال الشامي: السبل (٢/ ٤٣٠) وقال اللواء إبراهيم رفعت باشا في: مرآة الحرمين، ط ١، (١/ ١٩٩٢)«... هذه الدار في زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة...»

(٤٥٩) انظر قصة خطبة أبي بكر في الحرم وضرب المشركين له حيث جاء فيها أن أم جميل بنت الخطاب (رضي الله عنها) أنكرت معرفتها بأبي بكر وبمحمد ﷺ ومكان وجود أبي بكر ـ البداية (٣/ ٣٣ ـ ٣٤).

(٤٦٠) الرحيق المختوم، ص ٤٩. * قلت: مابين الـ ١٧ والـ ١٩ كما عند ابن سعد (٣/ ٢٤٤).

(٤٦١) انظر: ابن إسحاق ـ بدون إسناد، ابن هشام (١/ ٤٢٤) والأصبهاني: المعرفة (٢/ ٣٧٨).

المبحث الخامس والعشرون: أ ـ الهجرة الأولى إلى الحبشة:

كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة، ثم لم تزل في ازدياد يوماً يوماً وشهرا شهرا، حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة، وأعوزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذا الوقت العصيب نزلت سورة الكهف ردودا على أسئلة طرحها المشركون على النبي ﷺ، ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين. فقصة أهل الكهف ترشد المؤمن إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكلا على الله ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيّئ لكم من أمركم مرفقا﴾[٤٦٢].

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تنتج حسب الظاهر دائما، بل ربما يكون الأمر على خلاف الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس تماما، وسيصادر هؤلاء الطغاة المشركون ـ إن لم يؤمنوا ـ أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده ـ بين آونة وأخرى ـ من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ومأجوج ذلك الزمان، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هو عباد الله الصالحون[٤٦٣].

ثم نزلت سورة «الزمر» تشير إلى الهجرة وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة، ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، وأرض الله واسعة، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[٤٦٤].

---

(٤٦٢) الكهف: ١٦.
(٤٦٣) انظر القصة في الآيات ٨٣ ـ ٩٧ من سورة الكهف، خاصة الآية ٩٤ ﴿قالوا ياذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾.
(٤٦٤) الزمر: ١٠.

في هذه الظروف كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة، فرارا بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان[٤٦٥].

روى ابن إسحاق[٤٦٦] من حديث أم سلمة، قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لايصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه، فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلما. . .».

روى ابن سعد[٤٦٧] أنهم خرجوا متسللين سرا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعيبة، منهم الراكب والماشي، ووفق الله تعالى للمسلمين ساعةَ جاؤوا سفينتَين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار. وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ[٤٦٨]، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحدا.

وذكر ابن سعد في رواية ثانية[٤٦٩] أسماء اثني عشر رجلا وأربع نسوة،

---

(٤٦٥) وعن إشارات سورة الكهف والزمر، انظر: الرحيق، ص ص ١٠٥ - ١٠٦ وهي اشارات جميلة. وعن الابتلاء في الدين وكونه السبب الرئيس وراء هذه الهجرة الأولى إلى الحبشة، انظر: البخاري/ الفتح (١٠/ ٤٣ - ٤٤/ح ٢٢٩٧) وانظر رسالة العودة، ص ٢٩٩ وما بعدها، ففيها استيعاب جيد للموضوع، وابن كثير: البداية (٣/ ٧٣ وما بعدها).

(٤٦٦) السير والمغازي، ص ١٢٣، من رواية يونس بن بكير، ابن هشام (١/ ٤١٣)، من رواية البكائي، وإسناده حسن، وهو خبر طويل في قصة هجرة الحبشة الأولى، وستأتي الإشارة إلى أجزاء منه في هذا الباب. وذكره غير واحد من طريق ابن إسحاق.

(٤٦٧) الطبقات (١/ ٢٠٤) وفي سنده ثلاث علل: الواقدي وجهالة عبيدالله بن عباس الهذلي والإرسال.

(٤٦٨) وهذا موافق لقول ابن إسحاق من إن وقوع الهجرة الأولى قبل المقاطعة وذلك خلافا لموسى بن عقبة. انظر: ابن هشام (١/ ٤٣٠)، وابن كثير في البداية (٣/ ٧٤) حيث قال: «وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل ابوطالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب».

(٤٦٩) الطبقات (١/ ٢٠٤) من طريق الواقدي، وهذا هو الذي اختاره ابن القيم في الزاد (٣/ ٢٣).

ووافقه في ذلك ابن سيد الناس[٤٧٠]، وزاد عليه امرأة خامسة، وهي أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، زوجة أبي سبرة. وروى ابن إسحاق[٤٧١] أنهم كانوا عشرة من الرجال وأربع نسوة. إذ إنه لم يذكر فيهم ابن مسعود، وذكر حاطبا بالشك «ويقال...». ووافق الذهبي[٤٧٢] ابن إسحاق في عدد الرجال والنساء ولكنه ذكر أبا سبرة ولم يذكر أبا حاطب أو حاطبا، ولم يذكر ابن مسعود. وذكر عروة[٤٧٣] أنهم كانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، وذكر فيهم ابن مسعود ولم يذكر حاطبا.

وكان ضمن هؤلاء المهاجرين: أبوسلمة بن عبدالأسد، وزوجه أم سلمة بنت أبي أمية، أم المؤمنين فيما بعد، وراوية الحديث الطويل في قصة الهجرة، وعثمان بن مظعون، ومصعب بن عمير، وعثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال الرسول ﷺ في عثمان ورقية (رضي الله عنهما): «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام»[٤٧٤].

وعرفت هذه الهجرة بالهجرة الأولى إلى الحبشة، وذكر ابن هشام[٤٧٥] أنه كان عليهم عثمان بن مظعون.

لم يمكث هؤلاء المهاجرون طويلا حتى بلغتهم الأخبار بأن أهل مكة قد أسلموا، فلذا قرروا العودة إلى وطنهم مكة في شوال من نفس السنة[٤٧٦].

وعندما اقتربوا من مكة علموا بأن الذي بلغهم كان مجرد إشاعة، وعرفوا أن نار العداوة مازالت مشتعلة. فرجع منهم من رجع إلى الحبشة، ومن دخل منهم مكة دخلها مستخفيا أو في جوار رجل من قريش[٤٧٧].

---

(٤٧٠) عيون الأثر (١/ ١٥٥).
(٤٧١) ابن هشام (١/ ٣٩٨ - ٩٩)، والسير والمغازي، ص ص ٢٢٣ - ٢٢٤، بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٤٧٢) سيرته، ص ص ١٨٤ - ١٨٥.
(٤٧٣) مغازية، ص ١٠٥. وإسناده ضعيف.
(٤٧٤) البيهقي: الدلائل (٢/ ٢٩٧) من حديث أنس بإسناد ضعيف، لضعف بشر بن موسى الخفاف.
(٤٧٥) السيرة (١/ ٣٩٩).
(٤٧٦) الطبقات (١/ ٢٠٦) من طريق الواقدي، ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ٥). فالأسانيد ضعيفة.
(٤٧٧) ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ٥). فهو ضعيف.

ويزعم بعض الناس أن سبب رجوعهم كان لوقوع هدنة حقيقية بين الإسلام والوثنية، أساسها أن محمدا ﷺ تقرب إلى المشركين بمدح أصنامهم والاعتراف بمنزلتها، إذ زعموا أنه قرأ على المشركين سورة النجم حتى وصل قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في آذان المشركين قوله (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فسجد وسجد كفار مكة. فلما بلغهم ذلك في الحبشة ظنوا أن القوم قد أسلموا لهذه القصة المزعومة.

وممن روى هذه القصة ابن سعد[٤٧٨] والطبري[٤٧٩] والبيهقي[٤٨٠]، ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير.

وهي باطلة من حيث السند والمتن. وإليك أقوال العلماء في هذا:

١ ـ بطلان القصة من جهة النقل (السند):

قال ابن كثير[٤٨١]: «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم».

وللقاضي عياض[٤٨٢] عدة مآخذ على هذه القصة، وفي ذلك يقول: «أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية... إلخ».

---

(٤٧٨) النجم: ١٩ و ٢٠، الطبقات (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، من طريق الواقدي فهو ضعيف جداً.
(٤٧٩) التفسير (١٧/ ١٣١ ـ ١٣٢) وفي إسناده أبومعشر، فالإسناد ضعيف.
(٤٨٠) الدلائل (٢/ ٢٨٥ ـ ٨٧) وإسناده ضعيف.
(٤٨١) التفسير (٣/ ٢٢٩).
(٤٨٢) الشفا (٢/ ٧٥٠ وما بعدها).

وقال ابن حجر[٤٨٣] بعد ذكر بعض مصادر القصة وأسانيدها وطرقها: «وكلها سوى طريق سعيد بن جبير: إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب. . . والثاني ما أخرجه أيضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة. . .».

وساق الدكتور عبدالمعطي قلعجي[٤٨٤] الحجج الحديثية والمنطقية لتفنيد أكذوبة الغرانيق.

وللشيخ الألباني[٤٨٥] رسالة بعنوان: (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق)، خرج فيها أحاديث هذه القصة وحكم عليها بالضعف والبطلان، مشيرا إلى أن هناك عدة روايات مرسلة أسانيدها صحيحة إلى مرسليها، وهو يتفق في هذا مع ابن حجر، ولكنه يختلف معه في النتيجة. فقد ذهب ابن حجر[٤٨٦] إلى تقوية تلك الأحاديث المرسلة، حين قال: «فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا، وقد ذكرت ان ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض». أما الألباني[٤٨٧] فإنه يرى أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، وله منطقه وحجته في هذا، وخلص إلى رد تلك الآثار المرسلة لكونها لا تعتضد عنده.

وقد وقف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي[٤٨٨] عند هذه المسألة ليناقش فيها الشيخ الألباني، قائلا: «ونقل الألباني[٤٨٩] عن ابن تيمية في مسألة الاحتجاج بالمرسل ما مفاده: . . . وإن جاء المرسل من وجهين، كل

---

(٤٨٣) الفتح (١٨/ ٤١).
(٤٨٤) انظر: حاشية (١٣) من دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٨٧ - ٢٩١).
(٤٨٥) انظر: الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٢م. نشر المكتب الإسلامي.
(٤٨٦) الفتح (١٨/ ٤٢).
(٤٨٧) نصيب المنجانيق، ص ٢٠ وما بعدها.
(٤٨٨) حاشية مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ص ١٠٧.
(٤٨٩) نصب المنجانيق، ص ٢٣.

من الراويين أخذ العلم عن غير شيوخ الآخر فهذا يدل على صدقه، فإن مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب...

وقد رد بعض المشايخ على الألباني في اتباعه هذه القاعدة، ولذلك أحببت أن أذكر أن هذه القاعدة ليست من بنات أفكار الشيخ الألباني، بل اعتمد فيها على ما قاله الشافعي، ومن جاء بعده من المحققين كابن تيمية والنووي وغيرهم. قال السيوطي(٤٩٠): «فإن صح مخرج المرسل بمجيئه أو نحوه من وجه آخر مسندا أو مرسلا أرسله من أخذ العلم عن غير رجال المرسل الأول كان صحيحا». هكذا نص عليه الشافعي(٤٩١) في الرسالة، مقيدا له بمرسل كبار التابعين، ومن إذا سمى من أرسل عنه سمي ثقة، وإذا شاركه الحفاظ المأمونون لم يخالفوه، وزاد في الاعتضاد أن يوافق قول صحابي أو يفتي أكثر العلماء بمقتضاه، فإن فقد شرط مما ذكر لم يقبل مرسله... . ومما لا شك فيه ان وجود هذه الشروط مستحيلة في هذه الفرية. لذلك فإن تقوية ابن حجر (رحمه الله) هذه المراسيل ذهول منه».

ويجيب الدكتور أبو شهبة(٤٩٢) على ما ذكره ابن حجر في «الفتح» وتابعه عليه السيوطي وغيره، قائلا:

١ - «إن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة، وعلى الثاني فلا يؤمن أن يكون كذابا، وقد قرر الإمام مسلم(٤٩٣) هذه الحقيقة فقال: « والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة». وقال ابن الصلاح(٤٩٤): «وما ذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث وتداولوه في تصانيفهم، والاحتجاج به مذهب مالك وأبي

---

(٤٩٠) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ١٩٨ - ١٩٩).
(٤٩١) انظر الرسالة، ص ص ٤٦١ - ٤٦٢.
(٤٩٢) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٣٦٨ - ٣٦٩).
(٤٩٣) انظر: مقدمة صحيح مسلم (١/ ٣٠).
(٤٩٤) انظر. مقدمة ابن الصلاح، ص ٥٨، طبعة العلمية بحلب.

حنيفة وأصحابها في طائفة، أما الشافعي فيحتج به بشروط ذكرها في رسالته، وقد نقلها العراقي في شرح ألفيته وغيره.

٢ ـ الاحتجاج بالمرسل إنما هو في فروع الدين التي يكتفَى فيها بالظن، أما الاحتجاج به على شيء يصادم العقيدة وينافي دليل العصمة فغير مسلم، وقد قال علماء التوحيد: إن خبر الواحد لو كان صحيحا لا يؤخذ به في العقائد لأنه لا يكتفى فيها إلا بما يفيد اليقين، فما بالك بالضعيف أو المختلف فيه.

هذا إضافة إلى أن القصة لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة أو الإمام أحمد، ولا غيرهم من اصحاب الكتب المعتمدة على التحرير».

٢ ـ بطلان القصة من حيث المتن (أو العقل):

أ ـ مخالفة القصة للقرآن الكريم:

يقول الدكتور الأعظمي[٤٩٥] في تفنيد هذه الفرية، «ولو فرضنا ـ جدلا ـ أن أسانيدها صحيحة ثابتة، فهل تثبت بذلك صحة القصة، معاذ الله؟!

والمعروف للجميع أن الحديث الشاذ ـ وهو الحديث الذي يخالف الراوي الثقة فيه من هو أوثق منه أو اكثر عدداً ـ من الأحاديث الضعيفة. وهذا في خبر الآحاد. فإذا كان خبر من خبر الآحاد يخالف القرآن الكريم وإجماع الأمة مثلا كالإيمان بعصمة الأنبياء فلا يكون الحديث شاذا، بل يكون موضوعا في هذه الحالة.

وقد قال ابن الجوزي[٤٩٦] قديما: «كل حديث رأيته يخالف العقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، فلا يتكلف اعتباره ـ أي لا تعتبر روايته».

وقد قال ابن أبي حاتم الرازي[٤٩٧] «. . . ويقاس صحة الحديث بعدالة

---

(٤٩٥) حاشيته على مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير.
(٤٩٦) فتح المغيث: ص ١١٤
(٤٩٧) مقدمة الجرح والتعديل، ص ٣٥١

ناقليه، وأن يكون كلاما يصلح أن يكون من كلام النبوة. . .» وأي عقل ـ مهما بلغ من السخافة ـ يستطيع أن يقبل أن الرسول ﷺ الذي دعا إلى التوحيد الخالص يأتي عليه زمان فيصالح المشركين بتمجيد آلهتهم، ثم ينسب ذلك القول اللعين إلى ربه جلّ وعلا؟.

«فإذا كانت الأسانيد مثل الشمس لا تثبت هذه القصة من قريب أو من بعيد، فكيف ثبتت بهذه الأسانيد الضعيفة حتى نبحث عن تأويلها. . .».

ومن الأدلة الصريحة على مخالفة هذه القصة للقرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾(٤٩٨). وقد أبعد الله الغواية عن عباده المرسلين. وقد أقر رئيس الشياطين بأن لا سلطان له على عباد الله المخلصين، كما حكاه الله عنه في قوله تعالى:

﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين﴾(٤٩٩) ومن هو ذلك الأخلص من النبي محمد ﷺ.

بل ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. كما قال الله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾(٥٠٠).

وأي الناس أصدق إيمانا بالله وأشد توكلا عليه من الأنبياء، بله رسول الله ﷺ.

ب ـ اضطراب روايات القصة:

ومما يضعف هذه القصة ويوهنها شدة اضطراب رواياتها، فرواية تقول: وقعت خارج الصلاة، ورواية: إنه كان في الصلاة، وثالثة تقول: بل حدث نفسه فسها، ورابعة تقول: إن الشيطان قالها على لسان النبي ﷺ قرأها، وسادسة تقول: إن النبي ﷺ قال ذلك وهو ناعس. وسابعة تقول: إن

---

(٤٩٨) الحجر: ٤٢.
(٤٩٩) ص: ٨٢ ـ ٨٣.
(٥٠٠) النحل: ٩٩.

الشيطان انتهز سكتة من سكتات النبي ﷺ في القراءة، فقرأها حاكيا صوت النبي ﷺ. كما رويت عبارة: «تلك الغرانيق العلا» بألفاظ مختلفة.

جـ - اللغة العربية تنكر القصة:

نقل الشيخ أبوشهبة[٥٠١] رأي الشيخ محمد عبده في رد هذه الفرية من ناحية اللغة العربية. فقد قال الشيخ عبده إن وصف العرب لآلهتهم بالغرنيق لم يرد لافي نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم إلا ماجاء في معجم ياقوت من غير سند، ولا معروف بطريق صحيح، والذي تعرفه اللغة أن الغُرْنوق، والغِرنوق، والغُرنيق، والغِرنيق اسم لطائر مائي أسود أو أبيض. ومن معانيه الشاب الأبيض الجميل، ويطلق على غير ذلك، ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان...

ووجه آخر لبطلان هذه القصة من حيث الأسلوب اللغوي السليم هو قول المفترين إن آيات الغرانيق جاءت بين الآيات ﴿أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذا قسمة ضيزى﴾[٥٠٢]، والآيات ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[٥٠٣].

ما هذا؟ ذم ثم مدح ثم ذم لذات الشيء. فلو أن القصة صحيحة لكان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها، ولما كان النظم مفككا والكلام متناقضا، وهو مما لا يخفى على المبتدئين في تعلم اللغة العربية، دعك عن عرب قريش، أهل الفصاحة والبيان[٥٠٤].

---

(٥٠١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/٣٦٧).
(٥٠٢) النجم: ١٩ - ٢٢.
(٥٠٣) النجم: ٢٣.
(٥٠٤) انظر الغزالي: فقه السيرة، ص ١١٨، محمد بن شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/ ٣٧١ - ٣٧٢).

أما الآية التي اقترن تفسيرها بقصة الغرانيق: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم﴾(٥٠٥) فخلاصة ما يقال عنها: إن تفسير البخاري «التمني» بما نقله عن ابن عباس غير ملزم لتعين تفسير «التمني» في الآية بالتلاوة والقراءة، وهو التفسير الذي كان مفتاحا لباب اختراع أكذوبة الغرانيق وما اشتملت عليه من طامات وبلايا، لأن التمني جاء في الآية مطلقا عن قيد الإضافة إلى الكتاب، فلم يذكر له مفعول قيد به(٥٠٦).

د ـ بطلان القصة من حيث الزمان:

وممـا ساقه الدكتور الشامي(٥٠٧) لدحض هذه الفرية هو أن آية سورة الحج، آية التمني هذه، إن لم تكن مدنية، فهي مما نزل بين مكة والمدينة. والحادثة حسب زعم رواتها ـ مكية، فهل يعقل أن يكون ذلك الزمن غير القصير بين الحادثة وبين نزول الآية التي جاءت تعقيبا عليها؟.

سبب سجود المشركين:

والذي ثبت في الصحيح(٥٠٨) أن الرسول ﷺ قرأ سورة النجم، في جماعة من المسلمين والمشركين، وخواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب. فلما أخذ صوت الرسول ﷺ يهدر بها ويرعد بنذرها حتى وصل إلى قول الله تعالى ﴿والمؤتفكة أهوى. فغشاها ماغشى. فبأي آلاء ربك تتمارى. هذا نذير من النذر الأولى. أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة. أفمن هذا الحـديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون﴾، كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن

---

(٥٠٥) الحج: ٥٢.
(٥٠٦) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ، (٢/٧٥).
(٥٠٧) من معين السيرة، ص ٧٦ ـ حاشية (٣).
(٥٠٨) البخاري/ الفتح (١٨/٢٤٧ ـ ٤٨/ح ٤٨٦٢، ٤٨٦٣.

يخروا لله ساجدين، مع غيرهم من المسلمين، حتى إن الوليد بن المغيرة ـ وكان كبير السن ـ أخذ كفا من البطحاء وسجد عليه.

فلما نكسوا على رؤوسهم وأحسوا أن جلال الإيمان لوى زمامهم، ندموا على ما كان منهم، وأحبوا أن يعتذروا عنه، بأنهم ما سجدوا مع محمد ﷺ إلا لأن محمداً ﷺ عطف على أصنامهم بكلمة تقدير..[٥٠٩].

ب ـ الهجرة الثانية إلى الحبشة:

عندما عاد بعض من هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، ووجدوا أن الابتلاء الواقع على المسلمين أصبح أشد مما كان، ولما رأى الرسول ﷺ حالهم، أذن لهم بالهجرة مرة ثانية. وكانوا هذه المرة نيفا وثمانين رجلا وتسع عشرة امرأة[٥١٠]. وقيل غير ذلك.

فقد روى الإمام أحمد[٥١١] ان ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: «بعثنا

---

(٥٠٩) انظر الغزالي: فقه السيرة، ص ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٥١٠) انظر: ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ سيرة ابن هشام (١/٤٠٨)، زاد المعاد (٣/٢٦).

(٥١١) المسند (٦/١٨٥/ح ٤٤٠٠/ شاكر)، قال شاكر: «إسناده حسن» وقال ابن كثير في البداية (٣/٧٧) إن إسناده جيد قوي وسياقه حسن، وفيه ما يقتضي أن اباموسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة، وقال إنه روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر، عن أبي بردة عن أبي موسى، عند ابن نعيم في دلائله (١/٢٥٢) وجاء في أوله: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة...» وفي أواخره وبعد ذكر إكرام النجاشي لهم قال: «وأمر لنا بطعام وكسوة...» ثم قال ابن كثير (٣/٧٧): «وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل (٢/٢٩٩ ـ ٣٠٠) من طريق أبي علي الحسن ابن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى، فذكر بإسناده مثله إلى قوله: «فأمر لنا بطعام وكسوة». قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح. وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة. والصحيح عن يزيد بن عبدالله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى: أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلا في سفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فأمره جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده، حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر. قال: وأبوموسي شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال: ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق، والله أعلم».
قال شاكر عن تحقيق ابن كثير هذا: «هذا تحقيق جيد...» انظر حاشية المسند (٦/١٨٧ وما قبلها). وعن قدوم أبي موسى مع جعفر يوم فتح خيبر، انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٣٦/ح ٣٨٧٦) ـ وسيأتي ذكره في الكلام عن غزوة خيبر إن شاء الله.
أما ابن حجر فقد حاول الجمع بين الروايات، وذلك بأن يكون هاجر أولا إلى مكة فأسلم فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فهاجت البحر فألقتهم السفينة إلى الحبشة ـ (الفتح ١٥/٣٢/...).

==

رسـول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا، فيهم جعفر، وعبـدالله بن عرفـطة وعثمان بن مظعون، وأبوموسى، . . .» ولم يذكر عدد النساء. وذكر ابن سعد[٥١٢] أن عدد الرجال ثلاثة وثمانين رجلا وعدد النساء إحدى عشرة امرأة. وذكر ابن إسحاق[٥١٣] في السير والمغازي أنهم كانوا نيفا وثمانين رجلا، وذكر أسماء ست عشرة امرأة، وذكر في السيرة[٥١٤] أنهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلا، وإذا اعتبرنا من ولدت ريطة بنت الحارث، فيكون عدد النساء عنده عشرين أمرأة، وقد ذكر ابن القيم[٥١٥] انهن تسع عشرة امرأة، والله أعلم.

ويشهد بقبول ما جاء عند أهل المغازي والسير في عدد المهاجرين هذه المرة، رواية أحمد المذكورة من حديث ابن مسعود.

جـ - قريش تسعى لإعادة المهاجرين:

روى ابن إسحاق[٥١٦] من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) في هجرة الحبشة، أنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[٥١٧]، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا

==

وقـد ارتضى هذا الجمـع بعض العلماء، منهم: الصالحي في سيرته: سبل الهدى والرشاد (٢/ ٥٣٣)، والسعود في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان: أحاديث الهجرة (ص ٥٠)، والعـودة في رسالته المقدمة لنيل الدكتوراه، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ص ٣٠١. ويتفق البخاري ومسلم مع ابن إسحاق على أن عودته كانت مع جعفر والرسـول ﷺ بخيبر، كما سيأتي ذكره في غزوة خيبر.

(٥١٢) الطبقات (١/ ٢٠٧). بإسناد ضعيف.

(٥١٣) ص: ٢٢٨.

(٥١٤) ابن هشام (١/ ٤٠٨) بدون إسناد. فهو ضعيف.

(٥١٥) زاد المعاد (٣/ ٢٦) نقلا عن ابن إسحاق في السيرة وهو ضعيف.

(٥١٦) السير والمغازي، ص ٢١٣ وما بعدها، وابن هشام (١/ ٤١٣ وما بعدها)، وإسناده حسن. وقد سبق ذكره، وهي من أجود ما روي في هذا الباب.

(٥١٧) الأدم: الجلود، وأحدها: أديم.

إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة[٥١٨] وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. فخرجا حتى قدما على النجاشي... فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم...».

وفي الحديث أن الوفد اتفق مع البطارقة أن يشيروا على النجاشي بأن يسلمهم إليهم ولا يكلمهم. ولكن النجاشي عندما أشير اليه بذلك رأى أن يدعو المسلمين ويستمع بنفسه إلى ما يقولونه.

وعندما حضروا أمامه تكلم نيابة عنهم جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فأوضح للنجاشي حقيقة الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وموقف قومهم منه.

وعندما طلب النجاشي شيئا مما جاء به ﷺ قرأ عليه جعفر صدر سورة مريم. فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى أساقفته حتى ابتلت كتبهم التي يحملونها.

ثم قال النجاشي مخاطبا سفيري قريش: «إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، والله لا أسلمهم إليكما أبدا»[٥١٩].

---

(٥١٨) في حديث ابن مسعود عند أحمد في المسند (٦/ ١٨٥) بإسناد حسن، وقد سبق الكلام عليه، وأن الذي بعثوه مع عمرو هو عمارة بن الوليد. والذي رجحه عرجون في كتابه محمد رسول الله ﷺ (٢/ ٢٤) - جمعا بين الروايات - أن قريشا بعثت في أثر المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين بعثة واحدة، كانت في الهجرة الثانية، وكان فيها عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، مبعوثين أصليين، وكان معهما رديفا وتابعا عمارة بن الوليد...
انظر كامل المناقشة في كتابه المذكور ٢/ ٢١ - ٢٤).

(٥١٩) ربما يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: هل كان النجاشي وأساقفته يعرفون العربية حتى ينفعلوا هذا الانفعال مع القرآن الكريم؟
يقول السهيلي في الروض الأنف (٢/ ٩٣) في تعليقه على حديث عائشة (رضي الله عنها) في قصة تملك النجاشي على الحبشة: «وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه، وأن قومه كانوا باعوه إلى تاجر من العرب، فلما مرج أمر الحبشة، أخذوه من سيده، واستردوه. فظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده وقد تبين في حديث آخر أن
==

وعندما خرجا، قال عمرو لعبدالله: «والله لآتينه غدا بما يبيد خضراءهم».

فلما كان الغد جاء عمرو إلى النجاشي وقال له: «إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما». فأرسل النجاشي إليهم، وعندما جاؤوه سألهم عن قولهم في المسيح، فقال جعفر: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا، هو عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

فأخذ النجاشي عودا من الأرض، وقال لجعفر: «ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود». ولم يأبه لامتعاض بطارقته، فأعطى المسلمين الأمان في بلاده، ورد هدية قريش[٥٢٠].

أخفقت سفارة قريش في مهمتها، ولم تجد قريش أمامها غير التشفي ممن هم تحت أيديها.

== سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلا، وهو الذي يقتضيه قوله: فلما مرج على الحبشة أمرهم وصاق عليهم ما هم فيه...، وهذا يدل على طول مدة مغيبه عنهم... وقد روي أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها من عنده من المسلمين، فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه إذ هو قد لبس مسحا... إلى قوله: «بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر، كثير الأراك كنت أرعى فيه الغنم على سيدي، وهو من بني ضمرة، وأن الله قد هزم أعداءه ونصر دينه»، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب، فمن هنا ـ والله أعلم ـ تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم، حين تليت عليه».

قلت: وإذا سلمنا بوجوده فترة من الزمان بالحجاز وعلمنا بوجود علاقات تجارية بين الحبشة والحجاز وإمكان تعلم رجال البلاط الحبشي للغة العربية لأهميتها في هذه العلاقات، كما كان يحدث عند المسلمين حيث إن رسل الرسول ﷺ كانوا يتحدثون لسان من يرسلهم إليهم، وإذا علمنا أن أبانيرز، مولى علي بن أبي طالب، كان ابنا للنجاشي نفسه، وأن عليا وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع والده مع المسلمين (انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ص ٢٢٠)، بإسناد حسن. هذا في رواية، وفي أخرى أن ناسا من الحبشة قدموا مكة ـ ونزلوا على أبي نيرز مدة شهر، يعرضون عليه الرجوع إلى بلاده ليملكوه، فرفض (المصدر والمكان نفسيهما، بإسناد حسن). إذا علمنا ذلك كله فليس هناك ما يمنع معرفة النجاشي وجماعته العربية. إضافة إلى أن الواقع المشاهد في البلاد غير العربية، نجد بعض المسلمين يحفظون القرآن عن ظهر قلب وينفعلون معه دون فهمهم لمعناه جيدا. وهذا من إعجاز القرآن: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾. وقد شوهد أناس من غير المسلمين ولا يعرفون العربية ينفعلون مع القرآن الكريم. وفي رواية لابن إسحاق عن عروة أن الذي كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان، انظر السير والمغازي، ص ص ٢١٨ ـ ٢١٩، والمشهور أن جعفرا هو المتكلم ـ انظر ابن كثير. البداية (٣/ ٨٤) وهو ما جزم به ابن إسحاق في رده على عروة، قائلا: «وليس كذلك، إنما كان يكلمه جعفر بن أبي طالب» ـ انظر: ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢١٨، معلقا. والروايات في هذا الموضوع تحتاج إلى وقفه متأنية في فرصة أخرى إن شاء الله.

(٥٢٠) انظر نص حديث أم سلمة كاملا في السير والمغازي لابن إسحاق، ص ص ٢١٣ ـ ٢١٦، وابن هشام (١/ ٤١٣ ـ ٤١٨).

أما الإسلام فقد كسب إلى جانبه النجاشي وعمرو بن العاص[٥٢١].

ومكث المسلمون ما شاء الله لهم، فعاد من عاد منهم بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وقبل وقعة بدر، وهم ثلاثة وثلاثون رجلا وثماني نسوة[٥٢٢]. وعاد الباقون مع جعفر عندما فرغ الرسول ﷺ من فتح خيبر في العام السابع الهجري[٥٢٣].

د ـ حكم وعظات وعبر من هذا المقطع:

١) إن في هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة دليلاً على مشروعية الهجرة، وهي الانتقال من بلد الكفر حيث يتعذر على العبد أن يعبد الله، إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله بدون فتنة. وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

٢) إن من أسس ودعامات الدين التضحية بالمال والوطن والنفس في سبيله، لأن الدين إذا فقد لم يغن من ورائه المال والوطن والنفس، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضا من ورائه، أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود أقوى من ذي قبل، حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة. ولذا كانت الهجرة نفسها ضرباً من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين وتضحية بالوطن والمال، وتبديل محنة أقسى بأخرى أقل قسوة ريثما يأتي الفرج والنصر.

٣) يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي النصراني، والذي أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم، وكأبي طالب الذي حمى الرسول ﷺ، والمطعم ابن عدي الذي حمى النبي ﷺ عندما عاد من الطائف[٥٢٤].

(٥٢١) يأتي الكلام عن إسلامه فيما بعد وعلاقة ذلك بسفارته إلى الحبشة.
(٥٢٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٧ ـ ٨٨/ح ٣٩٠٥) والفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٠)، وابن سعد (١/ ٢٠٧).
(٥٢٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٦/ح ٣٨٧٦)، وابن سعد (١/ ٢٠٨).
(٥٢٤) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

المبحث السادس والعشرون: إسلام النجاشي:

ذكر ابن اسحاق[٥٢٥] في رواية له أن النجاشي لما مات كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. ويفهم من هذه الرواية الصحيحة أنه قد أسلم.

وذكر في رواية أخرى أن قومه خرجوا عليه لأنه أسلم، وقبل أن يخوض حربا ضدهم هيأ للمسلمين سفنا ليركبوها إذا انهزم، وكتب كتابا يشهد فيه بإسلامه.. وبلغ ذلك النبي ﷺ. فلما مات النجاشي استغفر له[٥٢٦].

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق موافق في جوهره لما في الصحيحين فيما يتعلق بإسلام النجاشي. فقد روى البخاري[٥٢٧] ومسلم[٥٢٨] أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، في العام التاسع الهجري، وصلى بالمسلمين صلاة الغائب عليه. وروى البخاري[٥٢٩] ومسلم[٥٣٠] أيضا أن الرسول ﷺ قال: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه».

وفي رواية لمسلم[٥٣١]، قال الرسول ﷺ: «إن أخا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه...». وهذا الحديث صريح في أنه مات على الإسلام.

وهذا النجاشي الذي أسلم ليس بالنجاشي الذي كتب إليه الرسول ﷺ عندما كتب إلى عامة الملوك والرؤساء، بدليل رواية عند مسلم[٥٣٢]، ولم يذكر ذلك في روايتين أخريين عنده، مما جعل الشيخ الأرناؤوط[٥٣٣] يميل إلى أن

---

(٥٢٥) ابن هشام (١/ ٤٢٠)، وإسناده صحيح.
(٥٢٦) ابن هشام (١/ ٤٢١)، بإسناد مرسل حسن، ويخالف لحديث أم سلمه. وقد روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم» الفتح (٦/ ٢٤٢/ح ١٣٢٧) وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، ومسلم (٢/ ٦٥٧/ح ٩٥١).
(٥٢٧) الفتح (٦/ ١٤١/ح ١٢٤٥) ـ انظر كلام ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠) عن إسلامه.
(٥٢٨) (٢/ ٦٥٦/ح ٩٥١) وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، وفي روايتين أخريين ذكر اسمه أصحمة (٦/ ٢٢٨/ح ٩٥٢).
(٥٢٩) الفتح (٢/ ٦٥٧/ح ١٣٢٠).
(٥٣٠) مسلم (٢/ ٦٥٧/ح ٩٥٢) واللفظ للبخاري، أما لفظ مسلم: «مات اليوم عبد صالح ـ أصحمة...».
(٥٣١) ٦/ ٦٥٧ ـ ٥٨/ح ٩٥٣).
(٥٣٢) الصحيح (٣/ ١٣٩٧/ح ١٧٧٤).
(٥٣٣) حاشيته على إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، ص ٥٤.

النجاشي الذي صلى عليه الرسول ﷺ هو ذات النجاشي الذي أرسل إليه، لأن كتب التاريخ لا تذكر سوى خبر نجاشي واحد.

المبحث السابع والعشرون: إسلام حمزة وعمر بن الخطاب:

أ ـ إسلام حمزة:

لم يوقف اضطهاد المشركين للمسلمين دخول صناديد قريش في الإسلام. ففي هذا الجو المشحون بالأحقاد على المسلمين عامة والرسول ﷺ خاصة، شاء الله تعالى أن يكون حقد أبي جهل على الرسول ﷺ سببا في إسلام حمزة عم الرسول ﷺ واحد أشداء قريش. فقد روى ابن اسحاق[٥٣٤] وابن سعد[٥٣٥] أن أمة لعبدالله بن جدعان أخبرت حمزة أن أبا جهل قد أساء إلى ابن أخيه محمد ﷺ إساءات بذيئة. فلم يتردد في المجيء إلى أبي جهل وهو في مجلسه من قومه، فضربه بالقوس على رأسه فشجه شجة منكرة، وقال له: «أتشتمه وأنا على دينه؟».... فكانت تلك بداية انشراح صدر حمزة للإسلام.

وعندما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنع عنه الأذى، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٥٣٦].

وكان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من النبوة[٥٣٧].

ب ـ إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

لقد كان عمر من ألد خصوم الإسلام، وكان معروفا بحدة الطبع وقوة

---

(٥٣٤) ابن هشام (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١)، وإسناده منقطع، والسير والمغازي، ص ص ١٧١ ـ ١٧٢، بإسناد منقطع، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/١٩٣) من طريق ابن إسحاق، وسكت عليه هو والذهبي. وإسناده منقطع أيضا. ولذا فالأسانيد ضعيفة

(٥٣٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٩) من طريق الواقدي ـ وهو متروك في الحديث، ولم يذكر من نقل إساءة أبي جهل إلى النبي ﷺ وزاد أن من أساء إلى النبي ﷺ أيضا: عدي بن الحمراء وابن الأصداء، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٧) من رواية الطبراني بإسنادين مرسلين، ورجال أحداهما رجال الصحيح، ورجال الآخر ثقات.

(٥٣٦) ابن إسحاق: السير والمغازي، ص١٧٢. وإسناده منقطع فهو ضعيف.

(٥٣٧) ابن سعد: الطبقات (٣/ ٩) من رواية الواقدي. إذن فهو ضعيف جداً.

الشكيمة وكثيرا ما لقي بعض المسلمين منه صنوفا من الأذى والتنكيل.

قال سعيد بن زيد، قريبه وزوج أخته: «والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي وأخته على الإسلام قبل أن يسلم...»[٥٣٨]. وفي رواية: «لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم...»[٥٣٩].

وروى ابن إسحاق[٥٤٠] أن ليلى - أم عبدالله - زوجة عامر بن ربيعة، قالت: «والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر - وهو على شركه - حتى وقف عليَّ وكنا نلقى منه البلاء، فقال: أتنطلقون يا أم عبدالله؟ قالت: نعم والله لنخرجن في أرض الله، فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجا. قالت: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا... قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت نعم. فقال: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب»، وذلك لما كان يراه عامر من شدة عمر وغلظته على المسلمين.

وفي هذا الخبر دليل على نوازع الفطرة السليمة التي كانت تصطرع في نفسه مع غشاوات الجاهلية، إلى أن حانت ساعة جلاء هذه الغشاوة عن فطرته السليمة، فدخل فى الإسلام، وتحولت شدته من شدة في الباطل الى شدة في الحق.

وعندما شرح الله صدره للإسلام قال: «أي قريش أَنْقَلُ للحديث؟» فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فجاءه عمر فأخبره بإسلامه. فأسرع جميل إلى الكعبة، وصرخ في القوم بأعلى صوته، قائلا: «ألا إن عمر صبأ»، وعمر خلفه يقول: «كذب، ولكن قد أسلمت...» ودخلوا معه في عراك طويل

---

(٥٣٨) روى ذلك أحمد في فضائل الصحابة (١/٢٧٨) وصحح المحقق إسناده.

(٥٣٩) رواه البخاري/ الفتح (١٥/٢٥/ح ٣٨٦٧).

(٥٤٠) السير والمغازي، ص ١٨١، وابن هشام (١/٤٢٣) بإسناد حسن. ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١/٢٧٩) من طريق ابن إسحاق، ولكنه لم يصرح باسم شيخ ابن إسحاق.

حتى أنقذه الله منهم بالعاص بن وائل السهمي[٥٤١].

أما القصة المشهورة في سبب إسلامه والتي تقول إنه كان في طريقه إلى محمد ﷺ لينال منه، فلقيه رجل علم منه ما يريد فتعجب منه لأنه لا يعلم بإسلام أخته وزوجها. فغضب عمر وذهب إلى أخته وزوجها ووجد معهما خبابا.. فضربها حتى سال الدم منها، ثم وجد معهم آيات من سورة طه، فقرأها بعد أن أمرته أخته بالاغتسال إذا أراد مسها... ثم أسلم وذهب إلى الرسول ﷺ ليعلن إسلامه... ورد جوار خاله العاصي ليضرب ويضرب كما هو حال المستضعفين من المسلمين إلى أن أعز الله الإسلام.... هذه القصة لم ترد بإسناد صحيح مقبول عند المحدثين، وإن كان بعض أجزائها قد ورد بأسانيد حسنة. فقد ضعفها وصي الله[٥٤٢] وهمام وأبوصعيليك[٥٤٣] وغيرهم.

لقد كان إسلام عمر استجابة من الله تعالى لدعاء النبي ﷺ الذي كان يدعـو به، وهو: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمربن الخطاب»[٥٤٤].

---

(٥٤١) أحمد: فضائل الصحابة (١/ ٢٨١ - ٢٨٢)، وحسن المحقق إسناده. وفي رواية مختصرة عند أحمد في الفضائل (١/ ٢٨٢ - ٢٨٣)، أن العاصي بن وائل أجار عمر عندما اجتمع الناس عليه يؤذونه. وقد حسن المحقق إسنادها. وروى البخاري من حديث ابن عمر ان الناس اجتمعوا عليه عند داره عندما أسلم وأجاره العاصي بن وائل - انظر: الفتح (١٥/ ٢١/ ح ٣٨٦٥). وفي رواية أنهم كانوا في طريقهم إليه ليؤذوه عندما علموا بإسلامه فأجاره العاصي، فرجعوا عنه - الفتح (١٥/ ٢٠).

ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (١/ ٤٢٨ - ٤٢٩)، والسير والمغازي، ص ١٨٤.

(٥٤٢) انظر حاشيته على فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٥٤٣) انظر حاشيتها على سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٥) - والقصة رواها هنا ابن إسحاق بدون اسناد، وانظر الذهبي: السيرة، ص ١٧٩، حيث ضعف إسنادها. ورواها ابن سعد (٣/ ٢٦٧ - ٢٦٩) من غير طريق ابن اسحاق، بإسناد ضعيف كما ذكر الهيثمي في المجمع (٩/ ٦٣ - ٦٥)، وأبونعيم في الدلائل (١/ ٢٤١) بإسناد ضعيف جدا لأن فيه إسحاق بن عبدالله أبي فروة، وهو متروك. واستفاضة ذكر هذه القصة عند أهل المغازي والسير دليل على أن لها أصلا تاريخيا فلا مانع من قبولها تاريخيا.

(٥٤٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٩٥) بإسناد حسن - انظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٣٠)، وعبد بن حميد في منتخب مسنده، ص ٢٤٥، حديث رقم ٧٥٩، والترمذي بإسناد صحيح - انظر: صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٤) وقال الألباني: «صحيح»، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٦) رواية الترمذي والحاكم في المستدرك (٣/ ٨٣) من حديث عائشة، وسكت عنه هو والذهبي، ومن حديث ابن عباس بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بعمر»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والذهبي في سيرته، ص ١٧٢، ورواه يونس بن بكر من غير طريق ابن إسحاق، انظر السير والمغازي لابن إسحاق، ص ١٨٥، وإسناده ضعيف لضعف النضر أبي عمر، وهو ابن عبدالرحمن الخزاز الكوفي. وخلاصة القول إن الحديث صحيح.

فقد أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب. وفي هذا روى البخاري[545] عن ابن مسعود أنه قال: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب».

ورويت آثار كثيرة في إعزازه الإسلام، دلت على دوره الكبير في نصرة الإسلام، من ذلك:

روى ابن إسحاق[546] عن عمر (رضي الله عنه)، قال: «لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة، قال: قلت: أبوجهل، فأتيت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إليَّ، وقال: أهلا وسهلا، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ، وصدقت بما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به».

وروى ابن مسعود قال: «إن إسلام عمر كان فتحا وإن هجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه»[547].

وروي عن صهيب الرومي أنه قال: «لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به»[548].

وروي عن ابن عباس أنه قال: «لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا»[549].

---

(٥٤٥) الفتح (١٤/١٨٦/ح ٣٦٨٤). لقد كان إسلامه في سنة ست أو سبع من المبعث كما ذكر ابن حجر في شرحه لهذا الحديث. وانظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠) حيث ذكر هذا الحديث وتاريخ إسلام عمر.

(٥٤٦) ابن هشام (١/ ٤٣٠) وفي إسناده جهالة، إذ أنه لم يسم أحد رواته، وبقية رجاله ثقات فهو إذن ضعيف.

(٥٤٧) ابن هشام (١/ ٤٢٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد ضعيف، وابن سعد (٣/ ٢٧٠) بإسناد ضعيف.

(٥٤٨) ابن سعد (٣/ ٢٦٩) من رواية الواقدي. فهو ضعيف جداً.

(٥٤٩) أحمد بن حنبل. فضائل الصحابة (١/ ٢٤٨) بإسناد ضعيف.

وروي أن رسول الله ﷺ سماه الفاروق[٥٥٠]، أي الذي فرق بين الحق والباطل.

على الرغم من أن هذه الآثار لا تقبل بميزان المحدثين إلا أنه لا بأس من الاستئناس بها فيما لا يترتب عليه حكم شرعي أو لا يمس العقيدة.

ومما لا خلاف فيه أن إسلام عمر كان إعزازا للإسلام، لقول الرسول ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب».

جـ - عظات وعبر وحكم من هذا المقطع:

١ - إن الرجال ذوي القوة والشكيمة في المجتمع الجاهلي يمكن أن يكونوا سندا قويا للدعوة الإسلامية إذا أسلموا. . . . ولذا كان الرسول ﷺ حريصا على إسلام رجال أمثال أبي جهل وعمر بن الخطاب، وقال إن خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[٥٥١]. . . فليحرص الدعاة دائما على عدم إهمال دعوة الشخصيات القوية والمؤثرة في مجتمعاتها، لأن إسلام هذه الشخصيات سوف يزيل الكثير من التردد الذي يقع فيه من يأتمرون بأمرهم أو يقتدون بهم، كما هو واقع في كل زمان ومكان، وكما حكى عن ذلك القرآن، في مخاطبة الكفار الذين أضلهم الزعماء والسادة والكبراء: ﴿يوم تُقَلَّبُ وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضَلُّونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا[٥٥٢]﴾. ولا تقتصر الدعوة على زعماء المشركين وآحادهم، بل لابد

---

(٥٥٠) قال الذهبي في سيرته، ص ١٧٩: (ويروي عن ابن عباس بإسناد ضعيف، قال: «سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق؟» فذكر قصته عند إسلامه وضربه اخته وختنه وذهابه إلى الرسول ﷺ في دار الأرقم، وفي نهاية الخبر قوله: فسماني رسول الله ﷺ) «الفاروق». وروى ابن سعد (٣/ ٢٧٠) بأسانيد ضعيفة أن الرسول ﷺ سماه الفاروق. انظر ابن الجوزي: تاريخ عمر ابن الخطاب، ص٢٣، ٣٠ - ٣١.

(٥٥١) البخاري/ الفتح (١٣/ ١٦١/ح ٣٣٧٤).

(٥٥٢) الأحزاب: ٦٦ - ٦٨.

أن تتعدى إلى الزعامات المنحرفة عن الإسلام والتي تقود شعوبها أو أحزابها إلى غير طريق الإسلام في مجالات الحياة المختلفة.

٢ - إن في نهوض الرسول ﷺ للقاء عمر بن الخطاب عندما جاء إلى المسلمين في دار الأرقم، وأخذه بحجزته[٥٥٣] أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة، ثم تهديده. إن في هذا مثالاً عالياً للشجاعة في موطن الشدة. وهو ما ستلمسه يتكرر في مواطن أخرى كثيرة، مثل موقفه يوم أحد ويوم حنين.

المبحث الثامن والعشرون:

أ - المقاطعة العامة:

لما رأت قريش أن عدد الداخلين في الإسلام ازداد، وأن وسائلها وأساليبها السابقة في محاربتهم وقمعهم لم تجد شيئا، خاصة بعد إسلام حمزة وعمر، أعادت النظر في تلك الأساليب والوسائل، ثم اتخذت أسلوبا آخر، أقسى وأشمل من الأساليب السابقة، وهو أسلوب المقاطعة العامة[٥٥٤].

قال ابن إسحاق[٥٥٥] وموسى بن عقبة[٥٥٦] وعروة بن الزبير[٥٥٧] وابن سعد[٥٥٨] وغيرهم من أصحاب المغازي إنه لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضا أصابوا بها أمنا وأن عمر وحمزة أسلما، وأن الإسلام فشا في

---

(٥٥٣) يعني مقعد السراويل والإزار. والإشارة هنا إلى الخبر المشهور في قصة إسلام عمر (رضي الله عنه) من رواية ابن إسحاق وابن سعد كما سبق الإشارة إلى هذا قبل قليل وقلنا إنها ضعيفة الإسناد، وغير مقبولة حديثياً، وإن استفاضة ذكرها عن أهل المغازي والسير يدل على أن لها أصلاً.

(٥٥٤) سبق القول إن المقاطعة العامة كانت أسلوبا من أساليب محاربة الإسلام - الأسلوب الرابع عشر.

(٥٥٥) ابن هشام (١/ ٤٣٠) بدون إسناد، السير والمغازي، ص ١٥٦ - ١٦٧ - بدون إسناد. فهو إذن ضعيف.

(٥٥٦) نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٨)، وهي عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٣١١) موقوفة على الزهري.

(٥٥٧) مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي، ص ص ١١٤ - ١١٦، بإسناد فيه ابن لهيعة وموقوف على عروة، وعن عروة رواه أبونعيم في الدلائل (١/ ٢٧٢ - ٢٧٥).

(٥٥٨) الطبقات (١/ ٢٠٨ - ٢١٠) من طريق الواقدي. وانظر تفاصيل المقاطعة في هذه المصادر المذكورة، فهي مطولة جدا، وما ذكرناه هنا مختصر جدا.

القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم[٥٥٩] ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية.

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة، الذي دعا عليه الرسول ﷺ فشلت بعض أصابعه، ويقال النضر بن الحارث، وقيل طلحة بن أبي طلحة[٥٦٠].

فانحازت بنوهاشم وبنوالمطلب إلى أبي طالب. فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش. وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث.

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا. وجزم موسى بن عقبة[٥٦١] بأنها كانت ثلاث سنين، حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئا من الصلات، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدهم في ذلك ضيقا، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وزمعة بن الأسود وأبوالبختري بن هشام بن الحارث. وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلات الأرحام.

وذكر ابن هشام[٥٦٢] أنهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم

---

(٥٥٩) الشِّعب: الطريق في الجبل، ومسيل الماء في بطن الأرض.

(٥٦٠) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٢٧): «ان النساب من قريش يقولون إنه بغيض بن عامر ابن هاشم بن عبدالدار. والقول الثاني: إنه منصور بن عبدشرحبيل بن هشام من بني عبدالدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيرون أعلم بأنساب قومهم» وقد اختار ابن القيم قول السهيلي بأنه بغيض بن عامر - الزاد (٣/ ٣٠).

(٥٦١) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٨)، الذهبي: السيرة، ص ٢٢١ ومابعدها، ابن سعد (١/ ٢٠٨ - ٢١٠)وأسانيدهم ضيعفة.

(٥٦٢) السيرة (٢/ ٢٠) بإسناد ضعيف.

الله تعالى. وأما ابن إسحاق[٥٦٣] وموسى بن عقبة[٥٦٤] وعروة[٥٦٥] فذكروا عكس ذلك. قالوا إن الأرضة لم تدع اسما لله إلا أكلته، وبقي ما بها من الظلم والقطيعة. والمعنى المقصود عندهم جميعا واحد، وهو أنهم أرادو أن يقولوا أن اسم الله تعالى لا يجتمع مع عبارات الظلم والقطيعة.

قال السهيلي[٥٦٦]: «وفي الصحيح[٥٦٧]: أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط[٥٦٨] وورق السمر، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص. روي أنه قال: لقد جعت حتى أني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وما أدري ما هو إلى الآن».

وفي رواية يونس[٥٦٩] أن سعدا قال: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول، فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فرضضتها بين حجرين، ثم استففتها، فشربت عليها الماء، فقويت عليها ثلاثا».

وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله، فيقوم أبولهب ـ عدو الله ـ فيقول: «يا معشر التجار: غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم»، فيزيدون عليهم في السلعة أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس،

---

(٥٦٣) ابن هشام (٢/ ١٩)، السير والمغازي، ص ١٦١ ـ بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٥٦٤) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٣٨) بإسناد ضعيف.
(٥٦٥) مغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص ١١٦، وسنده موقوف على عروة، ولم يرد خبر أكل الأرضة للصحيفة بإسناد يحتج به ـ انظر تحقيق همام وأبي صعليك (٢/ ١٩) فالأسانيد ضعيفة.
(٥٦٦) الروض الأنف (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨).
(٥٦٧) لم نقف على مكانه، والذي وقفنا عليه في غير هذه المناسبة: فقد روى البخاري من حديث سعد. «كنا نغزو مع النبي ﷺ ومالنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط، ...» ـ البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٣١/ح ٣٧٢٨). وانظر تخريج الحديث في فضائل الصحابة لابن حنبل (٢/ ٧٥٠) حاشية المحقق.
(٥٦٨) الخبط: ورق العضاة من الطلح والسلم ونحوه، يخبط بالعصا فيتساقط. وكانت تعلفه الإبل.
(٥٦٩) المغازي والسير، ص ١٩٤، بسنده إلى سعد وقد أبهم أحد رواته. وقد أثبتنا هنا النص المطبوع، ويبدو أن السهيلي قد أخذ عن غير هذا النص، فليقارن.

حتى جهد المؤمنون، ومن معهم جوعا وعريا. . . وهلك من المحاصرين من هلك كما قال ابن عباس[٥٧٠].

وعلى الرغم من هذه المقاطعة وما جرى للمسلمين وراءها من معاناة إلا أن الرسول ﷺ لم يتوقف عن الدعوة، فقد كان يخرج في المواسم، ويلتقي القادمين على مكة، ويعرض عليهم الإسلام، ويعرض ذلك على كل من يتصل به من قومه[٥٧١].

ولما أفسد الله الصحيفة، خرج رسول الله ﷺ ورهطه وصحابته وخالطوا الناس[٥٧٢].

لم يرد ذكر هذه المقاطعة بتفصيل في الصحاح، إذ وردت الإشارة إليها عند البخاري[٥٧٣] مختصرة جدا. فقد روى من حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري أن الرسول ﷺ قال حين أراد حنينا: «منزلنا غدا إن شاء الله بخيف[٥٧٤] بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

ويروي البخاري[٥٧٥] رواية أخرى من حديث أبي هريرة من طريق شعيب عن الزهري أنه قال حين أردا قدوم مكة: «منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

وروى من طريق ثالثة، من طريق الأوزاعي عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: «من الغد يوم النحر (وهو بمنى) نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر، «ـ يعني بذلك المحصب، وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولايبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ ـ[٥٧٦]. . . »

---

(٥٧٠) ذكر ذلك أبونعيم في دلائله (١/ ٢٧٩) بإسناد منقطع، والمنقطع ضعيف.
(٥٧١) ابن هشام (١/ ٤٣٤) ـ بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٥٧٢) مغازي عروة، ص ١٦٧، سيرة الذهبي، ص ٢٢٤، وعزاه إلى موسى بن عقبة. والأسانيد ضعيفة.
(٥٧٣) الفتح (١٥/ ٣٨/ح ٣٨٨٢).
(٥٧٤) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف في منى.. وفيه أقوال أخرى. وأشهر الأخياف: خيف منى ومسجده مسجد الخيف. قالوا وهو خيف بني كنانة... انظر: محمد محمد حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، مادة خيف، ص ١١٠
(٥٧٥) الفتح (٧/ ٢٤٢/ح ١٥٨٩).
(٥٧٦) الفتح (٧/ ٢٤٢/ح ١٥٩٠). وما بين المعكوفين مدرج من الحديث من قول الزهري كما نبه إلى ذلك الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث.

قال ابن حجر[٥٧٧] إنه لا تعارض بين الروايتين الأوليين، لأنه يحمل على أنه قال ذلك حين أراد دخول مكة في غزوة الفتح، وفي ذلك القدوم غزا حنينا.

أما الرواية الثالثة، فقال عنها: «فظاهر أنه قال ذلك في حجة الوداع، فيحمل قوله في رواية الأوزاعي حين أراد قدوم مكة، أي صادرا من منى إليها لطواف الوداع، ويحتمل التعدد».

وروى مسلم[٥٧٨] من حديث عبدالرزاق عن أسامة بن زيد أنه قال للرسول ﷺ في حجة الوداع عندما دنوا من مكة: «يارسول الله أين تنزل غدا؟»، فقال: «وهل ترك لنا عقيل منزلا؟»، وفي رواية أخرى: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟».

وهذه الرواية تدل على أنه لم ينزل في داره، ولا يتعارض مع روايات البخاري في أنه نزل بشعب أبي طالب.

ب ـ عظات وعبر من هذا المقطع:

إضافة إلى ما ذكرته عند الكلام عن العظات والعبر المستفادة من أساليب المشركين فإنني أضيف إلى ذلك هنا:

١ ـ لا يخلو زمان ولا مكان من أهل المروءة، وعلى الدعاة أن يسعوا دائما إلى الاهتمام بمن يتوسم فيهم هذه الخصلة للاستفادة منهم في أوقات الشدائد والمحن.

٢ ـ إن أعداء الله في كل زمان ومكان يلجؤون إلى استخدام سلاح محاربة الدعاة في أرزاقهم ليستكينوا ويرجعوا عما يدعون إليه. وهو أسلوب يتفق عليه المشركون والمنافقون. ولو كان المسلمون الأوائل موظفين أو مستخدمين في دولة تخالفهم فيما يدعون إليه، للجأت تلك الدولة إلى فصلهم من أعمالهم كوسيلة من وسائل الحرب التي تتخذها ضدهم.

---

(٥٧٧) الفتح (١٥/٣٩).
(٥٧٨) الصحيح (٢/٩٨٤/ح ١٣٥١).

ولكن الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت في هذا الميدان كانت المقاطعة بتلك الكيفية التي وقفنا عليها. وعلى الدعاة أن يعوا هذه الحقيقة بأبعادها المختلفة.

٣ - إن ما أصاب الرسول ﷺ من ابتلاءات عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب.

٤ - لا تكاد تخلو جاهلية من الجاهليات القديمة أو الحديثة من قيم يمكن الاستفادة منها، فقد ضحى بنو هاشم تضحيات كبيرة في سبيل قيمهم الجاهلية الخاصة بحماية القريب، واستفاد الإسلام من هذه التضحيات. وإذا وجدت قيم في مجتمعاتنا المعاصرة، مثل قوانين حقوق الإنسان أو اللجوء السياسي أو الحرية الفكرية، فلا ضير في الاستفادة منها كما استفاد المسلمون الأوائل من مؤازرة بني هاشم لهم في حصار الشعب.

المبحث التاسع والعشرون:

أ - وفاة أبي طالب:

مات أبو طالب سنة عشر من المبعث، بعد الخروج من الشعب بزمن يسير[٥٧٩]. وقيل توفي في رمضان، قبل خديجة (رضي الله عنها) بثلاثة أيام[٥٨٠]، وقبل الهجرة بثلاث سنين[٥٨١]. وقيل كان بين وفاته ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام[٥٨٢].

وقد ثبت في الصحيح أنه مات كافرا على الرغم من حمايته للرسول ﷺ طوال حياته. فقد روى البخاري[٥٨٣] ومسلم[٥٨٤] عن ابن المسيب أن الرسول ﷺ دخل على أبي طالب عندما حضرته الوفاة، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال له النبي ﷺ: «ياعم قل لا إله إلا

(٥٧٩) ابن سعد (١٨/٨) من رواية الواقدي. فهي ضعيفة جداً.
(٥٨٠) انظر سيرة الذهبي، ص ٢٣٧، عن الحاكم وأنساب الأشراف (٤٠٦/١).
(٥٨١) ابن سعد (١٨/٨) من طريق الواقدي، سيرة ابن هشام (٦٦/٢) بدون إسناد، ولم يذكر الشهر، وقال قبل الهجرة بثلاث سنين. والأسانيد ضعيفة.
(٥٨٢) ابن سعد (٢١١/١) من طريق الواقدي. وهو متروك.
(٥٨٣) الفتح (٤١/١٥/ح ٣٨٨٤).
(٥٨٤) (٥٤/١/ح/٢٤).

الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبوجهل وعبدالله بن أبي أمية: «يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟» فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿ما كان للنبي والـذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[٥٨٥] ـ الآيَتَيْنِ، ونزلت: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[٥٨٦].

وروى مسلم[٥٨٧] أيضا بسنده إلى أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال، قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: «لو لا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك». فأنزل الله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

أما الروايات التي تدل على أن أبا طالب قد نطق بكلمة الإسلام عند موته فلم يصح منها شيء[٥٨٨]. وما في الصحيح صريح على وفاته كافرا، فلا يعارض.

ب ـ الحكمة من وفاة أبي طالب قبل قيام الدولة الإسلامية:

١ ـ سبق القول إن موت أبي طالب كافرا كان لحكمة يعلمها الله تعالى[٥٨٩].

٢ ـ لقد شاء الله (عز وجل) أن لا يسلم أبوطالب، ويموت قبل الهجرة

---

(٥٨٥) التوبة: ١١٣.

(٥٨٦) القصص: ٥٦. وانظر تفسير هذه الآية في زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) وتخريج المحقق للأحاديث الواردة في هذا الباب، في الحاشية.

(٥٨٧) الصحيح (١/ ٥٥/ح/ ٢٤) وقد ذكر ابن إسحاق معنى هذا الحديث في السير والمغازي ص٢٣٧، ولم يسنده.

(٥٨٨) من ذلك رواية ابن إسحاق في أن العباس رأى أبا طالب يحرك شفتيه فأصغى إليه وسمعه يقول ما أمره به الرسول ﷺ. ففي سند ابن إسحاق من لم يسم ـ انظر السير والمغازي، ص٢٣٨. وعن غير هذه الرواية انظر رد ابن حجر في الفتح (١٥/ ٤١) وفي الإصابة (٤/ ١١٦ ـ ١١٩) على من قال من الرافضة بإسلامه. ورد الذهبي في السيرة، ص ص٢٣٢ ـ ٢٣٦.

(٥٨٩) انظر: عنوان «موقف المشركين من الدعوة» ـ الأسلوب الأول.

بنحو ثلاث سنوات، حتى لا يتوهم أحد أن له مدخلا في دعوة الرسول ﷺ، أو يظن أن المسألة قبيلة أو اسرة وزعامة ومنصب[٥٩٠]. وربما هناك حكم يعلمها الله ولم نتوصل إليها.

فائــــدة:

يروى أن أبا لهب حمى الرسول ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب ونال من أبي الغيطلة عندما سب رسول الله ﷺ، واحتالت قريش عليه ليرفع حمايته عن الرسول ﷺ فأرسلت عقبة بن أبي معيط وأبا جهل إلى أبي لهب ليسأل الرسول ﷺ عن عبدالمطلب، فقال له الرسول ﷺ: «مع قومه»، فخرج إليهما أبولهب وقال: «قد سألته، فقال: مع قومه، فقالا: يزعم أنه في النار فقال: يامحمد! أيدخل عبدالمطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «ومن مات على ما مات عليه عبدالمطلب دخل النار، فقال أبولهب: والله لا برحت له إلا عدوا أبدا، وأنت تزعم أن عبدالمطلب في النار»، واشتد عند ذلك أبولهب وسائر قريش عليه[٥٩١].

انظر كيف كان عليه السلام صريحا، لايجامل ولا يميِّع قضية الإسلام مهما كانت النتائج.

المبحــث الثلاثــون : وفاة خديجــة:

تباينت الروايات حول تاريخ وفاتها، فقيل: بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو شهر وخمسة أيام أو بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك. وقيل إن ذلك كان في رمضان من السنة العاشرة من المبعث وقبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وهو المشهور[٥٩٢].

---

(٥٩٠) انظر البوطي: فقه السيرة، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.
(٥٩١) ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ١٤٧ - ١٤٨) وعزاه إلى ابن الجوزي، ولم يسقه بكامل الإسناد حتى يتم الحكم على إسناده، وكل ما يمكن قوله الآن هو أنه لو كان صحيحا لقطع طريق الخلاف الدائر بين الفقهاء حول حكم أهل الفترة.
(٥٩٢) انظر المبحث السابق (وفاة أبي طالب) وانظر الدكتور قلعه جي: حاشية دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٥٣) حيث ذكر معظم الأقوال في هذا الأمر.

وعندما مات أبوطالب وخديجة في عام واحد وبينهما مدة يسيرة، تتابعت المصائب. فقد كان أبوطالب درعا حصينا للنبي ﷺ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، يسكن إليها عند الشدائد[٥٩٣]. وقد وردت آثار كثيرة تدل على فضلها ومكانتها عند الله ورسوله[٥٩٤].

ومما يروى في ذلك أنه لما هلك أبوطالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا[٥٩٥]، ودخل على بيته وعلى رأسه التراب، فغسلته عنه إحدى بناته وهي تبكي، والرسول ﷺ يقول لها: «لا تبكي يابنية، فإن الله مانع أباك»، ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبوطالب[٥٩٦]». وقد سبق القول إلى أنهم تجرؤوا على وضع سلا الجزور بين كتفيه وهو ساجد[٥٩٧].

ولتوالي مثل هذه الآلام في هذا العام، فقد سماه بعض المؤرخين عام الحزن[٥٩٨]، ولم يرو أن النبي ﷺ سماه بهذا الاسم[٥٩٩].

ونميل إلى أن سبب حزنه هو لشدة ما كابد في هذا العام من الشدائد في سبيل الدعوة، وتضييق قريش الخناق عليه في محاولة منهم لإغلاق أبواب الدعوة في وجهه.

المبحث الحادي والثلاثون: زواجه من سودة (رضي الله عنها):

وعلى الرغم من ظروف المحن والشدائد التي كان يعيشها الرسول ﷺ في

---

(٥٩٣) السير والمغازي لابن إسحاق، ص ٢٤٣، بدون إسناد، ابن هشام (٢/ ٦٦) بدون إسناد ولذا فهو ضعيف.

(٥٩٤) سبق إيراد بعض هذه الآثار عند الكلام عن زواجه ﷺ من خديجة (رضي الله عنها). وللمزيد انظر: السير والمغازي ص٢٤٣ - ٢٤٤، فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٠ - ٨٥٦) فقد استوعب الموضوع جيدا، وزاد ذلك قيمة تخريجات المحقق.

(٥٩٥) ذكر ذلك ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ٦٦) فهو ضعيف.

(٥٩٦) ابن هشام (٢/ ٦٧)، بإسناد حسن ولكنه مرسل.

(٥٩٧) انظر الأسلوب الثاني عشر - الاعتداء الجسدي.

(٥٩٨) تابعهم في هذا الدكتور البوطي في «فقه السيرة»، والشيخ المباركفوري في الرحيق، ص١٣٣. وقد اعترض الشيخ الألباني في «دفاع»، ص١٨ على هذه التسمية، التي جاءت في حديث رواه القسطلاني في المواهب، ومن رواته صاعد وهو غير ثقة.

(٥٩٩) انظر: الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص٨.

هذه الفترة إلا أنه لم يألو جهدا في مواساة أصحابه في مصائبهم.

ففي شوال من السنة العاشرة لمبعثه تزوج سودة بنت زمعة. لقد كانت سودة من أوائل المسلمين، وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو[٦٠٠]، فتوفي عنها، وتقديرا لها تزوجها الرسول ﷺ[٦٠١]. وسيأتي ذكر حكمة هذا الزواج عند الكلام عن أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني والثلاثون: أ - هجرته إلى الطائف:

لما هلك أبوطالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه الإسلام[٦٠٢].

وروى ابن إسحاق[٦٠٣] أن الرسول ﷺ عندما ذهب إلى الطائف التقى سادة ثقيف يومذاك، أبناء عمروبن عمير الثلاثة: عبد ياليل ومسعود وحبيب، وعرض عليهم الإسلام، فلم يقبلوه منه، وسخروا منه، وعندما يئس من خير في ثقيف طلب منهم أن يكتموا عنه ما دار بينهم حتى لا يثيروا عليه الناس. ولكنهم لم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا في سبه والصياح به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف،

---

(٦٠٠) انظر ترجمته في الإصابة (٢/ ٥٩/ ترجمة رقم ٣٣٣٧).

(٦٠١) انظر ذلك في ترجمتها في الإصابة (٤/ ٣٣٨ - ٣٣٩) حيث ذكر ابن حجر الأحاديث والآثار الواردة في ذلك والطبري في تاريخه (٣/ ١٦١ - ١٦٢)، والإستيعاب (٤/ ٣٢٣)، والسير والمغازي لابن إسحاق، ص٢٥٤، والبداية والنهاية (٥/ ٣٣١).

(٦٠٢) انظر: ابن هشام (٢/ ٦٩)، بدون إسناد، أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٣) بإسناد جيد.

(٦٠٣) ابن هشام (٢/ ٧٠ - ٧٢)، وإسناده حسن مرسل، ولم يسند الدعاء وما بعده، ورواه ابن سعد (١/ ٢١١ - ٢١٢) مختصرا، وفي إسناده الواقدي، وفيه بعض الاختلافات، مثل ذكره أنه كان معه زيد بن حارثه، ولم يذكر الدعاء. ورواه البيهقي في دلائله (٢/ ٤١٤ - ٤١٧) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري، وهو مرسل عن الزهري، ولم يذكر الدعاء، ورواه الإمام أحمد (٤/ ٣٣٥) وفيه الدعاء. وأورد السيوطي الدعاء في الجامع الصغير وعزاه للطبراني ورمز له بالحسن. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص١٣٢، وفي «دفاع»، ص١٩: «وروى هذه القصة الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن جعفر مختصرا وفيه الدعاء المذكور بنحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٥)، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة. وبقية رجاله ثقات، فالحديث ضعيف» لعنعنة ابن إسحاق.

وجلس في ظل شجرة عنب، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء الطائف.

فلما اطمأن في جلوسه، قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعندما رآه ابنا ربيعة على هذه الحال، تحركت فيهما عاطفة الرحم، فأمرا غلاما نصرانيا يدعى عداسا[٦٠٤] أن يقدم له عنبا. وتعجب عداس من قول الرسول ﷺ: «بسم الله» قبل أن يأكل. وزال عجبه عندما أعلمه الرسول ﷺ بأنه نبي، فأخذ يقبل رأس النبي ﷺ ويديه وقدميه. وحاول ابنا ربيعة أن يصداه عن النبي ﷺ قائلين له: «لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه».

وفي رواية موسى بن عقبة[٦٠٥] أن سفهاء الطائف قعدوا للرسول ﷺ صفين على طريقه، فلما مر بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، وكانوا أعدوها، حتى أدموا رجليه. وكان ذلك من أشد ما لقي الرسول ﷺ في جهاده.

وعندما لاقى الرسول ﷺ ما لاقى من الابتلاء والشدة في الطائف عاد إلى مكة مهموما. وعندما بلغ قرن الثعالب ـ قرن المنازل ـ بعث الله إليه جبريل، ومعه ملك الجبال، وجعله رهن إشارته، إذا أراد أن يطبق الأخشبين على أهل الطائف، وكان ذلك دعما معنويا كبيرا له.

---

(٦٠٤) انظر: ترجمته في الإصابة (٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧/ برقم ٥٤٦٨).
(٦٠٥) نقلها عنه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤)، وهو مرسل لأنه موقوف على الزهري، وفي إسناده محمد بن فليح، وهو صدوق يهم كما ذكر ابن حجر: تقريب التهذيب، ص٥٠٢.

وروى البخاري[٦٠٦] ومسلم[٦٠٧] في هذا أن عائشة (رضي الله عنها) سألت رسول الله ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟» قال: «لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبدكلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت ـ وأنا مهموم ـ على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا بجبريل، فناداني، فقال: «إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: «يامحمـد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٦٠٨]»، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا».

وجاءه دعم معنوي آخر قبل أن يصل مكة. ألا وهو إيمان بعض الجن برسالته. ففي وادي نخلة، قرب مكة، أقام الرسول ﷺ أياما. وخلال هذه الإقامة بعث الله إليه نفرا من الجن، استمعوا إلى القرآن، فآمنوا به. وقد ذكر الله ذلك في سورتي الأحقاف والجن: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا: أنصتوا فلما قُضِيَ ولَّوْا إلى قومهم منذرين. قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم[٦٠٩]﴾.

﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا[٦١٠]...﴾.

---

(٦٠٦) الفتح (١٣/٣٧ ـ ٣٨/ح ٣٢٣١).

(٦٠٧) مسلم (٣/١٤٢٠/ح ١٧٩٥). وهذا الخبر شاهد على أن رواية أهل المغازي والسير في شأن هجرته إلى الطائف لها أصل.

(٦٠٨) هما جبلا مكة: أبو قُبيس والذي يقابله، وهو جبل قُعيقعان، وقيل أبو قبيس والأحمر، وجبلا منى ـ انظر حاشية البداية (٣/١٥٠).

(٦٠٩) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١.

(٦١٠) الجن: ١ ـ ١٥.

وقد ثبت خبر قدوم الجن على الرسول ﷺ في الصحيح[٦١١] أيضا. وذكر ابن حجر[٦١٢] أدلة تؤيد ما ذهب إليه ابن إسحاق[٦١٣] وابن سعد[٦١٤] في أن ذلك كان عندما رجع الرسول ﷺ من الطائف.

لقد شد الله أزر نبيه بهاتين الحادثتين، فقام نشطا في الدعوة إلى الله غير آبه بما يواجهه من أساليب الخصوم. فعندما عزم على دخول مكة في عودته من الطائف قال له زيد: «كيف تدخل عليهم يارسول الله وهم أخرجوك؟» فقال: «يازيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه».

وأرسل في طلب جوار الأخنس بن شريق، فجبن، وتعلل بأنه حليف، والحليف لا يجير كما يقول. وطلب جوار سهيل بن عمرو فرفض بحجة أن بني عمرو لا تجير على بني كعب. وأخيرا أرسل في طلب جوار المطعم ابن عدي، فاستجاب لذلك، وتهيأ هو وبنوه لحماية الرسول ﷺ[٦١٥].

وقال حسان بن ثابت في رثائه له يشيد بهذا الموقف النبيل:

---

(٦١١) رواها البخاري/ الفتح (١٨/ ٣١٤/ح ٤٩٢١)، ومسلم (١/ ٣٣١/ح ٤٤٩) وقد جمع ابن كثير الروايات الواردة في أسباب نزول هذه الآيات، فانظر تفسيره (٧/ ٢٧٢ - ٢٨٤)، وانظر دلائل البيهقي (٢/ ٢٢٥ - ٢٢٣) في ذكر إسلام الجن وما ظهر في ذلك من آيات المصطفى ﷺ ودلائل أبي نعيم (٢/ ٣٦٣ - ٣٦٦).

(٦١٢) الفتح (١٨/ ٣١٥ وما بعدها) وله مناقشة طويلة للأخبار الواردة في قصة لقاء الجن بالرسول ﷺ.

(٦١٣) ابن هشام (٢/ ٧٣) وإسناده مرسل حسن من حديث محمد بن كعب القرظي.

(٦١٤) الطبقات (١/ ٢١١ - ٢١٢) من رواية الواقدي وعنده أن ذلك كان في ليال من شوال سنة عشر من حين نبيء رسول الله ﷺ.

(٦١٥) انظر: ابن هشام (٢/ ٢٤) من روايته، بدون إسناد، وقد أخرج القصة بطولها، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٥١)، وابن سعد(١/ ٢١٢) من رواية الواقدي، ولم يتعرض لمحاولات الرسول ﷺ الدخول في جوار الأخنس وسهيل، وعنده أن الرجل الذي أرسله إلى سهيل كان من خزاعة، وعند ابن كثير في البداية (٣/ ١٥١) أن الرجل الذي أرسله الى هؤلاء الثلاثة هو أريقط، وعزا القصة إلى الأموي في مغازيه. قال الألباني في دفاع، ص١٩: «وقد أخرج القصة باختصار - وفيها الدعاء - الطبراني بإسناده عن ابن إسحاق بسنده عن عبدالله بن جعفر، وابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه، ولذلك ضعفت الحديث في (تخريج فقه السيرة للغزالي) ص١٣٢... أما ابن سعد، فلم يذكر من القصة كلها إلا أحرفا يسيرة. ومع ذلك فهو عنده من قول الواقدي بغير إسناد...».

«أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيـدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره * وذِمَّتِهِ يوما إذا ما تذمما[٦١٦]»

وحفظ رسول الله ﷺ للمطعم بن عدي هذا الصنيع، ومن قبله صنيعه في نقض صحيفة المقاطعة، فقال يوم أسرى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له[٦١٧]».

لم يقيد هذا الجوار حركة الرسول ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الإسلام. فعندما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة، خرج أبوبكر (رضي الله عنه) فيمن خرج مهاجرا إليها، حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة ـ سيد القارة ـ فرده إلى مكة، وأدخله في جواره، قائلا له: «مثلك ياأبابكر لا يخرج ولا يخرج...» واشترطت عليه قريش أن يأمر أبابكر فيعبد الله في داخل داره، ففعل أبوبكر ما طلب منه. وبنى مسجدا في فناء داره ليصلي فيه. فكان إذا صلى وقرأ القرآن وقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه، لأنه كان يبكي، وهو يقرأ القرآن. فأفزع ذلك قريشاً خشية إيمان الناس بالقرآن، فطلبوا من ابن الدغنة أن يطلب من أبي بكر عبادة ربه في داخل

---

(٦١٦) انظر: ابن هشام (٢/ ٢٣ ـ ٢٤) من رواية ابن إسحاق معلقا، والخفرة العهد. وتذمم: أي طلب الذمة والعهد والجوار. قاله ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٩٤/ ٠) وذكر الفاكهي بإسناد حسن أن حسان بن ثابت رثى المطعم بن عدي لما مات مجازاة له على ما صنع للنبي ﷺ.

(٦١٧) رواه البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧/ح ٣١٣٩). قال ابن حجر في شرح هذا الحديث (١٥/ ١٩٤/ ...): «والمراد من قوله: ليتركتهم له» ـ أي بغير فداء ـ وبين ابن شاهين من وجه آخر السبب في ذلك، وأن المراد باليد المذكورة ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي وقد ذكر ابن إسحاق القصة في ذلك مبسوطة. وكذلك أوردها الفاكهي بإسناد حسن مرسل وفيه أن المطعم أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح وقام كل منهم عند ركن من أركان الكعبة، فبلغ ذلك قريشا، فقالوا له: أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك. وقيل باليد المذكورة إنه كان من أشد من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم ومن معهم من المسلمين». ولم يفصح ابن حجر عن الرواية التي وردت فيها كلمة «اليد» والغالب أنها عند الواقدي في المغازي (١/ ١١٠) فقد روى الواقدي هنا بإسناده إلى جبير بن مطعم، وقال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: لو كان المطعم بن عدي حيا لوهبت له هؤلاء النتنى، «وكانت لمطعم بن عدي عند النبي ﷺ يد إجارة حين رجع من الطائف» ورجاله ثقات ما عدا الواقدي، فهو متروك. وأخرجه أبو داود (٣/ ٦١/ح ٢٦٨٩) وفي لفظه: «لأطلقتهم له»، بدلا من «لتركتهم له». والحديث بأسانيده الصحيحة يثبت رواية الجوار المشار إليها، فتصح من هذا الوجه. ويدل الحديث على أن لهجرة الطائف أصلا.

داره من حيث لا يسمعه أحد، وليس في فناء الدار حيث يسمعه الناس. وجاءه ابن الدغنة وقال له: «فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد ذمتي...» فرد عليه أبوبكر قائلا: «فإني أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله[٦١٨]».

وهذا الموقف يشبه موقف عمر بن الخطاب عندما رد جوار خاله العاصي، رغبة منه أن يكون في جوار الله ورسوله كسائر المستضعفين ممن يترفع الكفار عن إجارتهم[٦١٩].

ب ـ عظات وعبر:

١ ـ إن اختيار الرسول ﷺ الثلاثة الذين كانوا سادة ثقيف يومذاك لدليل على أهمية دعوة الزعماء الذين ينساق وراءهم الناس، وعندما رفضوا دعوته علم أن غيرهم سيرفضها، فلذا لم يستغرق مقامه بالطائف وقتا طويلا.

٢ ـ إن صبر الرسول ﷺ على معارضيه قد بلغ حدا عظيما. فعلى الرغم مما واجهه به أهل الطائف من سوء في المعاملة إلا أنه لم يطلب من الله تعالى عقابهم، بل دعا الله (عز وجل) أن يهديهم، فاستجاب الله لدعائه، وذلك بدليل قدوم ثقيف عليه مسلمة بعد حصار الطائف ورجوعه إلى المدينة.

٣ ـ إن لقاء الجن بالرسول ﷺ بنخلة، دليل على وجود الجن، وأنهم مكلفون، وأن منهم من آمن بالله ورسوله محمد ﷺ ومنهم من كفر ولم يؤمن. وهذا مما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ لحكاية القرآن ذلك.

٤ ـ لقد كان إيمان الجن برسول الله ﷺ بعد أن ناله ما ناله على أيدي ثقيف تسلية من الله له أنسته آلامه، وأكدت له أن الله تعالى لن

---

(٦١٨) انظر الخبر بتمامه من رواية: البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٤/ح ٣٩٠٥)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٣) وابن إسحاق ـ بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ٢٤ ـ ١٥)، وابن إسحاق السير والمغازي، ص٢٣٥.

(٦١٩) انظر الكلام في المبحث الخاص بإسلام عمر (رضي الله عنه).

يتركه. فإن تخلى عنه أهل الأرض إلى حين ففي العوالم الأخرى من الجن والملائكة من يشد أزره ويؤمن به، وأن الله الذي حول الجن -وهم في أصلهم من شرار خلق الله، ومن نسل إبليس اللعين- إلى مؤمنين ودعاة إلى هذا الدين الجديد، لقادر على تحويل عتاة كفار قريش وثقيف إلى مؤمنين ودعاة بعد حين. وقد كان ذلك كذلك[٦٢٠]

٥ - إن من مآثر الجاهلية ذلك العرف الذي كانوا يحترمونه، ألا وهو الجوار، وهو ما يعد من مآثر كثير من الدول الحديثة، ويعرف بـ«حق اللجوء السياسي»، بمصطلح «الدبلوماسية» الحديثة. وهو ما يمكن أن يستفيد منه الدعاة لتبليغ دعوتهم إلى الناس.

٦ - إن إسلام عداس دليل على أن الرسول ﷺ لم يرجع من الطائف من دون نتائج إيجابية، بل رجع بما هو خير من حمر النعم، فقد هدى الله عداسا على يديه[٦٢١]، والرسول ﷺ يقول: «لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم[٦٢٢]».

٧ - إن في قصة هجرته إلى الطائف وما لاقاه من أذى من سفهاء ثقيف لعظة وعبرة للدعاة الذين يتأسون بسيرة الرسول ﷺ، فإذا كان الرسول ﷺ لقي ما لقي من المشاق في سبيل إقامة الدين، فمن باب أولى أن يلقى الدعاة أشد من ذلك، فعليهم أن يتهيؤوا لذلك، لأنه طريق الأنبياء والصالحين، ولأن حكمة الله اقتضت أن لا ينتصر هذا الدين بدون عمل وجهد البشر.

---

(٦٢٠) انظر الدكتور محمد رواس قلعة جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ص٩٩.

(٦٢١) انظر: الإصابة (٢/ ٤٦٦ - ٤٦٧) وقد ساق ابن حجر هنا أدلة على أنه آمن بالرسول ﷺ وهي: رواية ابن إسحاق المذكورة في أول هذا المبحث، وإسنادها حسن مرسل كما قلنا، ورواية سليمان التيمي في السيرة، وهي بدون إسناد، وروايات أخرى فيها مقال: إما من ناحية السند أو المتن. وروى البيهقي في الدلائل*(٢/ ٤١٥ - ٤١٧) قصة إيمان عداس بالنبي ﷺ من مرسل الزهري، وفيه محمد بن فليح وهو صدوق يهم. وهذه الروايات بمجموعها تقوى وتدل على أن لإسلام عداس أصلا.

(٦٢٢) حديث صحيح، يأتي ذكره في أبحاث أحداث غزوة خيبر.

المبحث الثالث والثلاثون:

أ - الإسراء[٦٢٣] والمعـراج: [٦٢٤]

تأتي هذه المعجزة تكريما وتثبيتا للرسول ﷺ بعد وفاة عمه الذي كان يحميه وزوجته التي كانت تواسيه، وبعدما أصابه في الطائف ومكة ما أصابه من الأذى. فهي بعـد العـام العـاشر من البعثة كما تدل على ذلك مجريات الأحداث، ولكن اختلف في تحديد زمانها بعد العام العاشر[٦٢٥].

فقـد ذكـر موسى بن عقبة عن الزهري[٦٢٦] وعروة بن الزبير[٦٢٧]، أن الإسراء إلى بيت المقدس كان قبل خروج النبي ﷺ إلى المدينة بسنة. ومما لا جدال فيه أن الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن والسنة.

فقد أشار القرآن الكريم إلى الإسراء والمعراج في سورتي الإسراء والنجم. ففي السورة الأولى ذكر قصة الإسراء وحكمته، في قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير[٦٢٨]﴾.

وذكر في السورة الثانية قصة المعراج وثمرته، في قوله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى[٦٢٩]﴾.

---

(٦٢٣) يقصد به الرحلة المعجزة التي بدأت من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس.
(٦٢٤) يقصد به الرحلة المعجزة التي بدأت من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.
(٦٢٥) انظر: الأقوال المختلفة في ذلك عند ابن كثير: البداية (٣/ ١١٩)، وابن حجر: الفتح (١٥/ ٤٩).
(٦٢٦) و (٦٢٧) مغازي عروة، ص ١٢٠، وأسانيده مرسلة. وقد اخترنا رواية الزهري من طريق موسى بن عقبة، ورواية عروة لقول ابن معين: «كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب» ابن حجر: تهذيب (١٠/ ٣٦٢) ط ١، الهند ١٣٢٥ هـ/ ١٣٢٧هـ، وقول الإمام أحمد: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة» الذهبي: تذكرة الحفاظ (١/ ١٤٨) ط ٣، الهند ١٩٥٥م، وقول الإمام مالك: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة» وقوله: «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي». النووي: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١١٨)، ويكفيه أنه من رجال البخاري ومسلم. وانظر حاشية الدكتور الأعظمي على مغازي عروة.
(٦٢٨) الإسراء: ١.
(٦٢٩) النجم: ١٣ - ١٨.

إن من أكثر أحداث السيرة بمكة مرويات هي هذه الحادثة، فمجموع رواياتها عند البخاري عشرون رواية، عن ستة من الصحابة (رضي الله عنهم)[٦٣٠]. وعند مسلم نحوا من ثماني عشرة رواية، عن سبعة من الصحابة (رضي الله عنهم)[٦٣١].

ولا توجد رواية واحدة تجمع ما ورد من أحداث خلال هذه الرحلة، وإنما هناك روايات أشارت كل واحدة منها إلى بعض الأحداث.

ومن خلال مجموع الروايات التى وردت عند البخاري ومسلم وغيرهما يمكن تلخيص مضمون تلك الروايات.

١ - شــق الصــدر:

بعد صلاة العشاء من تلك الليلة المباركة نزل جبريل (عليه السلام) وفرج عن سقف بيت الرسول ﷺ بمكة، وشق صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه في صدره، ثم أطبقه ثم أخذ بيده فعرج به[٦٣٢].

٢ - الإســراء:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقـدس، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم

---

(٦٣٠) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ (٢/ ٣٥٧).

(٦٣١) المرجع نفسه، (٢/ ٣٥٩). قال الشامي في السبل (٣/ ١١٣): «اعلم رحمني الله وإياك أن في حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم في الباب السابع ما ليس في الآخر، فاستخرت الله تعالى وأدخلت حديث بعضهم في بعض ورتبت القصة على نسق واحد لتكون أحلى في الآذان الواعيات، وليعم النفع بها في جميع الحالات..» فانظر سياقه للقصة بهذه الكيفية التي ذكرها في الباب الثامن (٣/ ١١٣ - ١٣٥) والتنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المعراج وشرح مشكلها في الباب التاسع (٣/ ١٣٦ - ٢٤٢) وعددها (١١١) تنبيهاً. وتناول في الباب العاشر صلاة جبريل (عليه السلام) بالنبي ﷺ ليلة الإسراء وكيف فرضت الصلاة.

(٦٣٢) انظر: البخاري/ الفتح (١٧/ ٢٨٤/ح ٤٧٠٩، ٤٧١٠) و(١٥ - ٤٣ - ٧٠/ح ٣٨٨٦، ٣٨٨٨) و(١٨/ ٢٤٢/ح ٤٨٥٦، ٤٨٥٨)، ومسلم (١/ ١٤٨/ح ١٦٣) و(١/ ١٥١/ح ١٦٤)، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٨٦ - ٣٨٧)، وقال الذهبي في السيرة «هذا حديث حسن غريب».

دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فأتاني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي. . .»[٦٣٣] وفي رواية أخرى انه صلى بالأنبياء قبل المعراج، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء (عليهم السلام) فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة[٦٣٤].

٣ ـ المعـراج:

ثم عرج به إلى السماوات، وفي كل سماء يستفتح جبريل، ثم يسأل، ومن معك؟ فيقول: «محمد» فيرحب به. فرأى في السماء الدنيا آدم، وفي الثانية عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، مستندا إلى البيت المعمور، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، وفي طريق عودته من معراجه، انتهى إلى موسى، فسأله موسى: «ما فرض ربك على أمتك؟» فأخبره، فطلب منه موسى أن يرجع إلى ربه فيسأله التخفيف، ففعل وخفف الله عنه خمس صلوات. ثم ما زال صاعدا ونازلا بين ربه وموسى، وفي كل مرة يطلب منه موسى أن يرجع لربه ليخفف عنه، حتى خففها الله، فأصبحت خمس صلوات. وعندما طلب منه موسى الرجوع بعد هذا، قال: «قد سألت ربي حتى استحيت» فنادى مناد: «قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»[٦٣٥].

وفي رواية أنس عن أبي ذر، قال بعد ذكر السماوات: «ثم عرج بي حتى

---

(٦٣٣) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) وإسناده صحيح، والبخاري/ الفتح (٢١/ ١٧٦/ح ٥٥٧٦)، ومسلم (١/ ١٤٥/ح ١٦٢)، وانظر: البخاري/ الفتح (٢١/ ١٧٦/ح ٥٦١٠).

(٦٣٤) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٨)، وقال الدكتور قلعة جي في الحاشية (٢/ ٣٨٧): «تضافرت الروايات على أنه ﷺ صلى بالأنبياء قبل العروج، قال ابن حجر: «وهو الأظهر»، وقال: «أثبت الصلاة في بيت المقدس الجمهور من الصحابة». وانظر أحاديث هذا الباب عند الإمام أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٤ ـ ٢٦٤)، أبواب قصة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ.

(٦٣٥) البخاري/ الفتح (١٣/ ٢٤/ح ٣٢٠٧)، مسلم (١/ ١٤٩/ح ١٦٣)، أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة، وإسناده صحيح، والنسائي (١/ ٢١٧)

ظهرت في مستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ثم ذكر فرض الصلاة، وقال: «ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ماهي؟ ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك[٦٣٦]».

وتناول النووي[٦٣٧] قضية رؤية محمد ﷺ الله (عز وجل) في المعراج واختلاف العلماء في ذلك، ثم رجح أن الرسول ﷺ رأى ربه، استنادا إلى حديث ابن عباس في هذا، الذي قال فيه: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين».

قلت: وهذا الشاهد يؤيد من يقول بعدم الرؤية.

٣ ـ العـودة:

يتبين من الروايات أن طريق العودة كان من السماوات العلا الى بيت المقدس ثم إلى مكة. فقد روى الترمذي عن شداد بن أوس: «.... ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا لهم، قد جمعه فلان، فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة»[٦٣٨].

كانت وسيلة الإسراء البراق، بينما في المعراج استعملت الروايات الفعل المبني للمجهول «عرج»، فلم تبين الوسيلة، وفي بعضها: «نصب لي المعراج»، قال ابن كثير[٦٣٩]: «وهو السلم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما توهمه البعض»..

موقف قريش من الإسراء والمعراج:

خشي الرسول ﷺ أن يكذبه قومه، فأصبح في ذلك اليوم مهموما.

---

(٦٣٦) البخاري/ الفتح (٣/ ٩/ح ٣٤٩)، مسلم (١/ ١٤٩/ح ١٦٣).

(٦٣٧) شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٤ ـ ١٥/ك. الإيمان/ب. معنى قول الله (عز وجل) ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾. وانظر ابن كثير: التفسير (٧/ ٤٢٢ ـ ٤٣٠) قصة الرؤية وممن تناول هذه القضية أيضاً الشامي: السبل (٣/ ٨٢ ـ ٩٣) وناقش الأدلة المختلفة ولعله من الجماعة التي ذهبت إلى الوقف في هذه المسألة ولم يجزموا بنفي أو إثبات لتعارض الأدلة...

(٦٣٨) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧) من رواية الترمذي بإسناده إلى شداد بن أوس، وقال البيهقي: «هذا إسناد صحيح».

(٦٣٩) البداية والنهاية (٣/ ١٢٢).

فجلس إليه أبوجهل وهو في هذه الحال، وسأله مستهزئا، «هل كان من شيء؟» فأخبره النبي ﷺ بالإسراء. فلم يشأ أن يكذبه ساعتئذ خشية أن يكتم ذلك أمام الناس، واكتفى بقوله: «أرايت إن دعوت قومك إليك، أتحدثهم بما حدثتني؟»، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فأسرع إلى قومه، فدعاهم، فجاؤوا إليه، وطلب منه أبوجهل أن يحدثهم فحدثهم. فتعجبوا من حديثه، وطلب منه من رأى المسجد الأقصى أن يصفه لهم. فرفعه الله له، فأخذ يصفه لهم، وهو ينظر إليه، فقالوا: «أما النعت فقد والله أصاب[٦٤٠]».

وفي رواية أنهم استنكروا أن يذهب الرسول ﷺ إلى الشام ثم يعود في ليلة واحدة، وهم يذهبون ويعودون في مدة شهرين، ولذا ارتد ناس ممن كان قد أسلم[٦٤١].

أما أبوبكر فعندما أخبر بالخبر، صدقه دون تردد، قائلا: «والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه»، ثم أقبل على النبي ﷺ يسأله عن وصفه، وكلما ذكر شيئا قال: صدقت. أشهد إنك رسول الله... فقال النبي ﷺ: «وأنت يا أبابكر الصديق»، فيومئذ سماه الصديق[٦٤٢].

الأدلة على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا:

قال القاضي عياض[٦٤٣]: «اختلف العلماء في الإسراء والمعراج برسول

---

(٦٤٠) البخاري/ الفتح (١٧/ ٢٨٤/ح ٤٧١٠)، ومسلم (١/ ١٥٦/ح ١٧٠) وأحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٦٢ - ٢٦٣) من حديث ابن عباس باسناد صحيح، واللفظ لأحمد وانظر تخريج الساعاتي للحديث، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٦٣ - ٣٦٤) وغيرهم.

(٦٤١) انظر ابن هشام (٢/ ٤٥) من رواية ابن إسحاق، معلقا. وخبر ارتداد بعض المسلمين جاء في أحاديث صحيحة، من ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢ - ٦٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦٤٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢ - ٦٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرك.

(٦٤٣) انظر أحمد شهاب الدين الخفاجي: نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت، د. ت (٢/ ٢٦٥) وانظر القصة كاملة في هذا المصدر.

الله ﷺ، فقيل إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسريَ بجسده ﷺ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل..»

وقال ابن حجر[٦٤٤]: «إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد البعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل..».

وقال عرجون[٦٤٥]: «والأمة مطبقة ـ إلا بعض روايات لم تثبت صحة أسانيدها عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وعن معاوية (رضي الله عنه) قوله عن الحسن البصري ـ على أن الإسراء الذي أخبر به رب العزة مفتتحا له بعلم التقديس الذي يرمز إلى عظمة الاقتدار الإلهي، وأن قدرة الله تعالى لايتعاظمها شيء... والافتتاح بالتقديس لا يقال إلا في الأمور المستبعدة عادة لتعاظمها، والتي لا تألفها مدارك العقول في متعارف الحياة...» ثم يقول: «إن كلمة «عبد» التي في الآية لا تطلق في لغة العرب وفهومهم إلا على الروح والجسد معا، وإن جملة ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ تفيد كذلك الجسد والروح... ورواية الحسن البصري لم تعرف في عهد الصحابة، فهي مستحدثة، وعائشة لم تكن حينها زوجا للرسول ﷺ، ولا في سن من يضبط، ولعلها لم تكن ولدت بعد[٦٤٦]... ولم يرجح خبرها على خبر غيرها؟ فليس حديثها بالثابت عنها. قال الخفاجي: لما في متنه من العلة القادحة وفي سنده محمد بن إسحاق وقد ضعفه مالك وغيره[٦٤٧]، والأحاديث

---

(٦٤٤) الفتح (١٥/٤٤/ك. المبعث/ ب. حديث الإسراء.

(٦٤٥) محمد رسول الله ﷺ (٢/٣٤٢ ـ ٣٥٠).

(٦٤٦) وهذا مما قاله عياض معلقا على حديث عائشة (رضي الله عنه). انظر الشفا: (١/٣٧٢) لمحقق الرفاعي وزملائه.

(٦٤٧) حديثه في درجة الحسن لذاته إذا صرح بالتحديث وكان سنده متصلا، وهذا الحديث إسناده منقطع ـ ابن هشام (٢/٤٦).

الأخرى أثبت منه. . .» ثم يقول الزرقاني[٦٤٨]: «بل الذي دل عليه صحيح قولها إن الإسراء كان بجسده الشريف، لإنكارها رؤيته لربه رؤية عين، ولو كانت عندها مناما لم تنكره. ورواية معاوية[٦٤٩] جاءت بعد انعقاد الإجماع على كونه بالروح والجسد، على أن الرواية عنه لم تثبت بسند صحيح، وهي من رواية ابن إسحاق، وعلى فرض ثبوتها فهي اجتهاد متأخر عن الإجماع، غير ملزم ولا ناقض للإجماع. وللحسن قولان، والمشهور عنه أنه كان يقظة. .» .

ولو كان الإسراء والمعراج مناما لما استنكرته قريش ولما ارتد بعض المسلمين، ولم يكن فيه شيء من الإعجاز. ثم كونه مناما يخالف صريح الآيات الكريمة: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾. فابتداء الآية بالتسبيح لفت نظر لأمر هام، ولفظ «بعبده» معناه الروح والجسد معا، كما أشار إلى ذلك عرجون وغيره[٦٥٠].

ب ـ دلالات وعظات وعبر:

١ ـ إن حديث الإسراء والمعراج متفق عليه بين أهل الحديث والسيرة، وثبت بآيات قرآنية وبأحاديث نبوية، فهو قطعي الثبوت. وهو بإجماع جماهير المسلمين من معجزاته ﷺ. وفي إنكاره إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٢ ـ جاءت هذه المعجزة بعد المحن التي ابتلي بها الرسول ﷺ لتجدد عزيمة الرسول ﷺ ولتدلل على أن هذا الذي يلاقيه من قومه ليس سببه تخلي الله عنه، وإنما هي سنة الله مع أحبائه في كل عصر ومصر، وبينت للرسول ﷺ أن المستقبل لدينه، وذلك بإقرار إمامته للأنبياء السابقين،

---

(٦٤٨) شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني (٦/ ٤ ـ ٥/ المقصد الخامس).
(٦٤٩) رواه ابن إسحاق موقوفاً على يعقوب بن عتبة فهو وإن كان ثقة لم يدرك أحدا من الصحابة ـ ابن هشام (٢/ ٤٦).
(٦٥٠) سبق ذكره وانظر أيضا الشامي: من معين السيرة، ص١١٢.

وما تمثل له من رموز لهذا المعنى، وبينت له أن الارض إذا ضاقت في وقت، فإن السماء تفتح أبوابها لتستقبله، ولئن آذاه بعض أهل الأرض في وقت، فإن أهل السماء يقفون له مستقبلين ومرحبين.

٣ ـ إن الاقتران الزماني والمكاني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى مالهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى. و فيه دلالة واضحة أيضا على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبدالله (عليهما السلام)، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذي بعثوا به[٦٥١] وفيه دلالة على واجب المسلمين في الحفاظ على هذه الأرض وحمايتها من مطامع أعداء الإسلام.

٤ ـ ولعل الحكمة في مرور هذه الرحلة ببيت المقدس، ولم تكن من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة، هو أنه عندما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام الله، حلت بهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد، على الرغم من أنها ظلت فيهم زمانا طويلا، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالا بالقيادة في العالم من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل، وهو انتقال فيه احترام للإيمان الذي درج ـ قديما ـ في رحابه[٦٥٢].

٥ ـ إن في اختيار رسول الله ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل، دلالة على أن الاسلام هو دين الفطرة. لأن اللبن مادة لم تتغير طبيعتها، والخمر نتيجة تغيير كيماوي في طبيعة العنب و غيره من مصادر الخمر، إضافة إلى أن الخمر يغيّر فطرة الإنسان؛ لأنه يذهب العقل.

٦ ـ إن في جمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها، ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة دليلاً على أن النبوات يصدق بعضها بعضا، وأن محمدا هو خاتمهم الذي اكتمل به الدين، وبيان

---

(٦٥١) إشارتي هنا إلى الحديث الصحيح: «... والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» رواه البخاري ومسلم وغيرهما، فانظره في: البخاري/ الفتح (٢٤٨/١٣ ـ ٢٤٩/ح ٣٤٢، ٣٤٤٣).

(٦٥٢) الغزالي: فقه السيرة، ص ١٣٧، الدكتور قلعة جي: قراءة جديدة... ص ١٠٧.

لمكانة محمد ﷺ عند ربه.

٧ - إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السماوات والأرض له أثـره الحاسم في توهين كيد الكافرين ومعرفة عقباهم ورفع لمعنويات نبيه ﷺ وأصحابه ليواجهوا قوى الكفار المتألبة عليهم.

٨ - إن وقوع مثل معجزة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ بعد مضي إثنى عشر عاما من مبعثه دليلاً على أن الخوارق والمعجزات تأتي في طريق محمد ﷺ ضربا من التكريم والإيناس لشخصه، غير معكرة ولا معطلة للمنهج العقلي العادي، وذلك على عكس ما وقع لبعض الأنبياء، مثلما وقع لموسى (عليه السلام)، حيث إن الخوارق في سير هذا البعض قصد بها قهر الأمم على الاقتناع بصدق النبوة.

وتأكيدا لهذا فعندما اقترح المشركون على النبي ﷺ أن يرقى في السماء، جاء الجواب من الله (عز وجل) ﴿قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾[٦٥٣].

فلما رقي في السماء بعد ذلك، لم يذكر قط أن ذلك ردا على التحدي أو إجابة على الاقتراح السابق.

٩ - إن فرض الصلوات الخمس في ليلة المعراج دليل على أهمية هذا الركن من أركان الإسلام، الذي يجب أن يكون معراجا يرقى بالناس كلما تدلت بهم شهوات النفوس وأغراض الدنيا[٦٥٤].

المبحث الرابع والثلاثون:

أ - عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل:

كان الرسول ﷺ في حركة دائبة للبحث عن مكان يعبد الله فيه آمنا، ولذا كان أمره للصحابة بالهجرة إلى الحبشة، وهجرته هو إلى الطائف، ثم عرض نفسه على القبائل. وكانت مواسم الحج وأسواق العرب مناسبات هامة

---

(٦٥٣) الإسراء: ٩٣.

(٦٥٤) انظر: الغزالي، فقه السيرة، ص ص ١٣٧ - ١٤٣.

للالتقاء بذوي الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم من الأفراد العاديين. وكان يطلب من ذوي الشأن ان يحموه، دون أن يكرههم على دعوته[٦٥٥].

ومما كان يقوله في هذه المواسم: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي[٦٥٦]»، و: «يابني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به...»[٦٥٧].

وكان عمه أبولهب يسير خلفه، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من حديثه، قال: «هـذا يدعـوكم إلى أن تفـارقـوا دين آبائكم وأن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلال...»[٦٥٨].

ومن القبائل التي عرض رسول الله ﷺ نفسه عليها ودعاها إلى الإسلام فأبوا: كندة، وفيهم سيدهم مليح ـ أو فليح[٦٥٩]، وبنو عبدالله من كلب[٦٦٠]، وبنو حنيفة، وكان ردهم عليه قبيحا[٦٦١]، وبنو عامر بن صعصعة، وقال رجل

---

(٦٥٥) انظر: مغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص ١١٧، من حديث ابن لهيعة وموقوفة على عروة. فهي مرسلة. ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤) من حديث موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا «ولهذين المرسلين أصل صحيح كما في الحاشية التالية مباشرة».

(٦٥٦) أخرجه أبوداود في سننه (٥/ك. السنة/ح ٤٧٣٤)، وابن ماجة في المقدمة (ب ١٢/ ص ٧٣/ ح ٢٠١)، وأحمد: الفتح (٢٠/ ٢٦٧) من حديث جابر (رضي الله عنه)، وذكره الذهبي في سيرته. ص ٢٨٢، وقال: «هو على شرط البخاري».

(٦٥٧) رواه ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف ـ ابن هشام (٢/ ٧٤) والسير والمغازي، ص ٢٣٢، ورواه أحمد: المسند (٣/ ٤٩٢) و (٤/ ٣٤١) من غير طريق ابن إسحاق. وقال الساعاتي في الفتح (٢٠/ ٢١٦ ـ ٢١٧ و ٦٥): «وسنده جيد»، وقال محققا زاد المعاد (٣/ ٤٤): «وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان (١٦٨٣) من حديث طارق بن عبدالله المحاربي. ورواه الطبراني في الكبير (٥/ ٥٦ ـ ٦٣/ح ٤٥٨٣ ـ ٥٦٩٠) منها طرق بمثل رواية أحمد وابن إسحاق» وانظر معناه في المستدرك (٢/ ١٦٤) من حديث جابر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦٥٨) جاء ذلك في رواية أحمد وابن إسحاق المذكورة آنفا، وفي رواية عند ابن إسحاق في السير والمغازي، ص ٢٣٢، بإسناد حسن من حديث طارق المحاربي، أن عمه أبا لهب كان يتبعه ويرميه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه.

(٦٥٩) رواه ابن إسحاق عن الزهري مرسلا: ابن هشام (٢/ ٧٥)، السير والمغازي ص ٢٣٢.

(٦٦٠) ابن إسحاق إسناده منقطع: ابن هشام (٢/ ٧٥)، السير والمغازي ص ٢٣٢. فهو ضعيف

(٦٦١) ابن إسحاق ابن هشام (٢/ ٧٥ ـ ٧٦) ولم يسم من حدثه.

منهم يدعى بيحرة بن فراس: «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، . . . أرأيت إن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟» قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: «أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك[٦٦٢]»، ومحارب بن حصفة وفزارة وغسان ومرة وسليم وعبس وبنو النضر وبنو البكاء، وعذرة والحضارمة[٦٦٣]، وربيعة وبنو شيبان الذين كان فيهم وعلى رأسهم: مفروق ابن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة، وقد تعللوا بحجج منها الرغبة في التريث لحين أخذ مشورة من وراءهم من قومهم، وفي هذا قال المثنى: «وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثا و نؤوي محدثا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤيدك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟» فقال النعمان بن شريك: «اللهم! نعم،» فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا[٦٦٤]﴾. وقد سر رسول الله ﷺ من أخلاقهم[٦٦٥].

لقد كان أهل المدينة أكثر الناس تجاوبا مع دعوة الرسول ﷺ عندما عرض عليهم الإسلام. فعندما عرض الرسول ﷺ الإسلام على سويد بن الصامت، لم يعلن الإسلام ولم يبعد عنه، واستحسن ما سمع من القرآن. وعندما عاد إلى بلاده، وقتل في حرب بعاث، كان رجال من قومه يقولون إنه مات مسلما[٦٦٦].

---

(٦٦٢) ابن إسحاق عن الزهري مرسلا - ابن هشام (٢/٧٦).
(٦٦٣) ذكر هؤلاء ابن سعد في طبقاته (١/٢١٦ - ٢١٧) من حديث الواقدي.
(٦٦٤) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.
(٦٦٥) روى قصة لقاء الرسول ﷺ لربيعة: ابن حبان في السيرة، ص ص ٩٣ - ١٠١.
(٦٦٦) روى قصته كاملة ابن إسحاق بإسناد منقطع، لجهالة الأشياخ المذكورين في الإسناد - ابن هشام (٢/٧٧ - ٧٩).

وروى ابن إسحاق[٦٦٧] أن وفدا من بني عبد الأشهل على رأسه أبوالحيسر، أنس بن رافع، وفيه إياس بن معاذ، قدموا مكة يلتمسون الحلف مع قريش ضد قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم خير مما جئتم له؟» فقالوا له: «وما ذاك؟» قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل عليّ الكتاب». ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: «أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له». فزجره أبوالحيسر، فصمت، وسمعه قومه عند موته يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما.

لقد استشعر إياس الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من الرسول ﷺ ما سمع.

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على نفر[٦٦٨] من الخزرج، عند العقبة، فجلسوا معه. فدعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، ومعلوم أنهم أهل كتاب وعلم، فكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال قال لهم اليهود: «إن نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه، ستتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم!».

فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام نظر بعضهم لبعض وقالوا: «تعلمون والله أنه للنبي الذي تدعوكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه». فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام. وقالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم

---

(٦٦٧) رواها بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٨٠ - ٨١) ورواها غيره من طريقه.

(٦٦٨) عددهم ستة عند ابن إسحاق: سيرة ابن هشام (٢/ ٨٢) وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٦٤): «وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري، وعروة بن الزبير أنهم كانوا ثمانية» وذكر ابن سعد القولين، وعندما ذكر الرواية التي تقول بأنهم ستة، وهي رواية ابن إسحاق، قال: «قال محمد بن عمر - الواقدي - هذا عندنا أثبت ما سمعناه فيهم، وهو المجتمع عليه» - انظر الطبقات (١/ ٢١٩).

فندعوهم إلى أمرك. ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين. فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك».

ثم انصرفوا، ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[٦٦٩].

وهناك سبب آخر أدى إلى تمهيد أفئدة أهل المدينة لقبول الإسلام، وهو يوم بعاث[٦٧٠]. فقد روى البخاري[٦٧١] عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: «كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ، وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام».

ب ـ عظات وعبر:

١ ـ إن أمثال أبي جهل لا ينعدم في مجتمعات الكفر والانحراف العقدي الصريح، وهي نماذج من الناس مثل سلوك وتفكير أبي لهب، تقف في وجه الدعاة في كل زمان ومكان، بمثل موقف أبي لهب من ابن أخيه محمد ﷺ، ويصدون عن سبيل الحق ويبغونها عوجا، بما يتاح لهم

---

(٦٦٩) رواه ابن إسحاق من حديث عاصم بن عمر عن أشياخ من قومه، وقد صرح بالتحديث ـ ابن هشام (٢/ ٨١ ـ ٨٣). وقد ضعف محققا سيرة ابن هشام هذا الإسناد لجهالة هؤلاء الأشياخ، ولكن الدكتور العودة حسن إسناده لترجيحه أن هؤلاء الأشياخ من الصحابة الذين يروي عنهم عاصم أمثال: جابر ومحمود بن لبيد وجدته رميثة ـ انظر العودة: السيرة النبوية.. ص ٣٣١، ونحن نوافق في هذا.
ورواه ابن سعد ١/ ٢١٧ ـ ٢١٩) من طريق الواقدي وفيها زيادات مثل طلب الرسول ﷺ منهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه، فاعتذروا حتى يصلحوا ذات بينهم أولا في المدينة. وعند عرجون أن هذه هي بيعة العقبة الأولى والتي بعدها (١٢) هي الثانية، التي بعدها (٧٣ رجلا وامرأتان هي الكبرى ـ محمد رسول الله ﷺ) ومسلم (٢/ ٣٧٩ وما بعدها).

(٦٧٠) قال ابن حجر في شرح حديث عائشة الآتي ذكره في الفتح (١٤/ ١٢٦٢ح ٣٧٧٧): «وهو مكان، ويقال حصن، وقيل مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدنية، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم... وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، فقيل بأربع وقيل بأكثر، والأول أصح... فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمر أي يتكبر ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان منهم من هذا النحو عبدالله بن أبي بن سلول...».

(٦٧١) الفتح ١٤/ ٢٦٢/ح ٣٧٧٧).

من وسائل، فيصفون دعاة الدين الحق بأنهم دعاة بدعة وضلالة، ودعاة دين جديد أو مذهب خامس، أي ليس من بين المذاهب الأربعة المشهورة. ولم يتأثر الرسول ﷺ لموقف عمه أبي لهب، بل استمر في دعوته. فعلى الدعاة أن لا يتأثروا بمواقف المغرضين.

٢ ـ على الدعاة أن يطرقوا جميع الأبواب التي يمكن أن تقود إلى التمكين للدين في الأرض وعدم اليأس مهما تكررت محاولات الاتصالات الفردية والجماعية، ومهما كانت النتائج القريبة سلبية.

المبحث الخامس والثلاثون:

أ ـ بيعة العقبة الأولى:

في الموسم التالي من العام الثاني عشر للبعثة، جاء إلى أداء مناسك الحج اثنا عشر رجلا من المسلمين من المدينة بعضهم ممن لقي النبي ﷺ في الموسم السابق وآمن به، فلقوا الرسول ﷺ مع جماعة من أصحابه حتى بايعوه. وقد روى البخاري[٦٧٢] ومسلم[٦٧٣] والنسائي[٦٧٤]وأحمد[٦٧٥] وابن إسحاق[٦٧٦] وابن سعد[٦٧٧] وغيرهم، من حديث عبادة بن الصامت الذي كان ضمن حجاج المسلمين من المدينة، رووا صيغة هذه البيعة، وهو:

قال عبادة: إن الرسول ﷺ قال لهم: «تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئا، فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه»، فبايعوه على ذلك.

---

(٦٧٢) الفتح (١٥/ ٧٤/ح ٣٨٩٢)، واللفظ له.
(٦٧٣) صحيحه (٢/ ٣٣٣١/ح ١٧٠٩).
(٦٧٤) (٧/ ١٤١ ـ ١٤٢/ك. البيعة على الجهاد).
(٦٧٥) المسند (٥/ ٣١٣).
(٦٧٦) ابن هشام (٢/ ٨٥ ـ ٨٦)، وإسناده حسن.
(٦٧٧) الطبقات (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، من رواية الواقدي فالإسناد ضعيف جداً.

قال عبادة بن الصامت[٦٧٨] في رواية ابن إسحاق: «فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء[٦٧٩]، وذلك قبل أن تفرض الحرب».

وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى «مقرىء المدينة». وكان منزله على أسعد بن زرارة[٦٨٠].

روى أبو داود[٦٨١] وابن إسحاق[٦٨٢] وغيرهما من طريق عبدالرحمن بن كعب بن مالك أن أول من أقام صلاة الجمعة بالمدينة هو أسعد بن زرارة. وعندما بلغوا الأربعين شخصا أمهم مصعب بن عمير. فقد كتب إليه الرسول ليجمع بهم[٦٨٣].

أسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بمعاونة أسعد بن زرارة، وممن أسلم من أشرافهم: أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبدالأشهل الرجال والنساء[٦٨٤]، إلا أصيرم عمرو بن

---

(٦٧٨) ابن هشام (٢/ ٨٦).

(٦٧٩) أي على غرارها. والإشارة هنا إلى بيعة الرسول ﷺ للنساء في اليوم الثاني من فتح مكة، كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ وليس فيها البيعة على الجهاد.

(٦٨٠) انظر في هذا: ابن إسحاق ـ بدون إسناد: ابن هشام (٢/ ٨٦). وقد روى البيهقي في دلائله (٢/ ٤٣١) والذهبي في سيرته، ص ٢٩٤، كلاهما من حديث موسى بن عقبة عن الزهري أنه بعثه إليهم بعد أن التقى بالنفر الستة عند العقبة. وروى أيضا في دلائله (٢/ ٤٣٨) من رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر ـ مرسلا ـ أن رسول الله ﷺ إنما بعثه بعدهم بعدما كتبوا إليه، وروى أيضا في دلائله (٢/ ٤٣٨) من طريق ابن إسحاق من حديث عبدالله بن أبي بكر وعبدالله ابن المغيرة بن معيقيب أن رسول الله ﷺ بعث مصعب مع النفر الأثنى عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى. وعند ابن سعد (١/ ٢٢٠) أن الرسول ﷺ بعثه إليهم عندما كتبوا إليه بعد ذهابهم إلى المدينة طالبين منه إرسال من يقرئهم القرآن ـ وفي إسناده الواقدي. وهكذا وجدت روايتان لابن إسحاق تقولان بأن الرسول ﷺ قد أرسل مصعبا مع الأنصار حين عودتهم، وتقول الرواية الثالثة إنه أرسله بعد ذهابهم ثم طلبهم ذلك وهي تتفق مع رواية ابن سعد. ويمكن الجمع بين القولين بأن يكون النفر الستة الذين أسلموا أولا بعثوا إليه ليرسل إليهم معلما، فأرسله في الموسم الثاني مع الاثنى عشر المذكورين هنا.

(٦٨١) السنن (١/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦/ح ١٠٦٩).

(٦٨٢) بإسناد حسن لابن هشام (٢/ ٨٧)، ومن طريقه رواه غير أبي داود، مثل: ابن ماجة (١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤/ ك. الصلاة/ ب. فرض الجمعة)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٧).)

(٦٨٣) سنن الدار قطني، كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٧٥) وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٦٦): «وفي إسناده غرابة، والله أعلم».

(٦٨٤) روى خبر إسلام أسيد ومعاذ وبني عبدالأشهل ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر وعبيد الله بن المغيرة بن معيقيب ـ ابن هشام (٢/ ٨٨ ـ ٩٠).

ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، وأسلم حينئذ، وقاتل فقتل قبـل أن يسجد لله سجدة واحدة، فأخبر عنه النبي ﷺ، فقال: «عمل قليلا، وأجر كثيرا(٦٨٥)».

ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف «وتلك أوس الله» وهم الأوس ابن حارثـة؛ وذلـك أنـه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت الشاعر ـ وكانوا يطيعونه ـ فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة(٦٨٦).

وقبـل حلول موسم الحج التالي ـ أي حج السنة الثالثة عشرة ـ عاد مصعب بن عمير إلى مكة ليبشر الرسول ﷺ بنجاح مهمته، بتوفيق الله تعالى(٦٨٧).

المبحث السادس والثلاثون:

أ ـ بيعة العقبة الثانية:

وفي موسم الحج التالي من العام الثالث عشر للبعثة، قدم مكة لأداء مناسك الحج مجموعة كبيرة من مسلمي المدينة، ضمن حجاج كثيرين من مشركي المدينة، وكان زعيمهم جميعا البراء بن معرور(٦٨٨).

وقد تساءل مسلمو الأنصار فيما بينهم حتى متى يتركون رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف(٦٨٩).

---

(٦٨٥) روى تأخر إسلامه وقصته يوم أحد وصرح بإسمه ابن إسحاق في كتاب السير والمغازي، بإسناد صحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) كما ذكر ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٨٦). وروى قصته يوم أحـد ولم يصرح باسمه البخاري/ الفتح (١١/ ٢٨٦/ح ٢٨٠٨)، ومسلم (٣/ ١٥٠٩/ح ١٩٠٠)، وأبوداود (٣/ ٤٣/ح ٢٥٣٧/ الدعاس) ولم يذكر قوله ﷺ «عمل قليلا وأجر كثيرا».

(٦٨٦) رواه ابن إسحاق مرسلا: ابن هشام ٢/ ٩١) وانظر خبره مطولاً عند ابن كثير في البداية (٣/ ١٦٨ ـ ١٧٣).

(٦٨٧) ذكر خبر رجوعه ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٩٢) ـ بدون إسناد.

(٦٨٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ٩٢).

(٦٨٩) من حديث جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) عند أحمد: الفتح الربايني (٢٠/ ٢٧٠)، وإسناده صحيح. وقد رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٤٤٢)، والذهبي في السيرة ص ٢٨٩.

وجرت بينهم وبين الرسول ﷺ اتصالات سرية أدت إلى الاتفاق على تحديد زمان ومكان اللقاء؛ لإبرام اتفاق من أعظم وأهم الاتفاقيات في تاريخ الإسلام.

وقد روى ابن إسحاق[٦٩٠] قصة هذا اللقاء عن كعب بن مالك، قال (رضي الله عنه): «.... ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها... فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا في رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب ـ أم عمارة ـ وأسماء بنت عمرو بن عدي... وهي أم منيع.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس ابن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب، فقال: «يامعشر الخزرج ـ وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها ـ إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن رأيهم مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده». قال: فقلنا له: «قد سمعنا ما قلت، فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت».

---

(٦٩٠) بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ٩٤ ـ ٩٧)، ومن طريقه رواه: أحمد الفتح الرباني (٢٠/ ٢٧١ ـ ٢٧٥)، وفضائل الصحابة (٢/ ٩٢٣) باختصار، وصحح المحقق إسناده، والهيثمي في المجمع (٦/ ٤٥)، والطبراني كما في المجمع (٦/ ٤٢ ـ ٤٥)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٧) والبيهقي في السنن (٩/ ٩): «وابن حبان في موارده، ص٤٠٨ والحاكم في مستدركه (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح»: والذهبي في سيرته، ص ص ٣٠١ ـ ٣٠٣)، وصححه الألباني في حاشيته على فقه السيرة للغزالي ص ١٥٩.

فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: «والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر». فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبوالهيثم بن التيهان، فقال: «يارسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟» فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم[٦٩١]، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

بعد الاتفاق على شروط هذه البيعة، وقبل الشروع في عقدها، أراد اثنان من الأنصار، ممن أسلم في مواسم حج عام إحدى عشرة واثنتي عشرة من المبعث، وهما: العباس بن عبادة بن نضلة وأسعد بن زرارة، أرادا أن يبينا لقومهما حقيقة وخطورة الالتزام بهذه البيعة، حتى يبايعوا على علم ويقين تام، وليعرفا ويتأكدا من مدى استعداد الأنصار للجهاد والاستشهاد.

قال العباس بن نضلة: «هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟» قالوا: «نعم»، قال: «إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس. فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا، أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة»، قالوا: «فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف فمالنا بذلك يارسول الله ونحن وفينا بذلك؟» قال: «الجنة». قالوا: «أبسط يدك»، فبسط يده فبايعوه[٦٩٢]».

---

(٦٩١) قال ابن هشام (٢/ ٩٦): ويقال الهدم الهدم - بالفتح: يعني الحرمة، أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

(٦٩٢) ابن إسحاق، مرسلا موقوفا على عاصم بن عمر - ابن هشام (٢/ ١٠).

وقال أسعد بن زرارة عندما قام الناس للبيعة: «رويدا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإمّا أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإمّا أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله». فقالوا له: «يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها[٦٩٣]».

وعندما تأكد لأسعد موقف قومه، ضرب على يد الرسول ﷺ - أي صافحه - مبايعا، ثم تتابع القوم رجلا رجلا لمبايعة الرسول ﷺ مبشرا بالجنة من وفي بها[٦٩٤].

وأما عن كيفية مبايعة المرأتين فقد قال ابن إسحاق[٦٩٥]: «يزعمون أنهما قد بايعتا - يعني صافحتا - وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتكن».

وعندما تمت البيعة قال لهم رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وهم: عبادة بن الصامت، البراء بن معرور، عبدالله بن رواحة، سعد بن الربيع، أبو أمامة أسعد بن زرارة، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، أسيد بن حضير، سعد بن خيثمة، عبدالله بن حرام، رافع بن مالك، أبو الهيثم بن التيهان[٦٩٦]. وذكر ابن إسحاق[٦٩٧] جميع من حضر البيعة.

---

(٦٩٣) سبق الكلام عن هذه الرواية - رواية أحمد عن جابر - وهي صحيحة - وفيها شروط البيعة.

(٦٩٤) انظر حديث جابر المذكور. وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن أن أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور. وروى بدون إسناد أن بني النجار يزعمون أن أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، وأن بني عبدالأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان - ابن هشام (٢/١٠١). ولعلهم حسبوا ما دار بينهم وبين الرسول ﷺ بيعة، وإلا فأحرى الناس بالتقديم إذ ذاك هو أسعد بن زرارة لأنه كان زعيم الحجاج، وحصن الدعوة في المدينة - أنظر الرحيق المختوم، ص ١٦٨ الحاشية.

(٦٩٥) ابن هشام (٢/١٢٠) بدون إسناد. ويشهد لكلام ابن إسحاق مارواه البخاري في هذا المعنى - انظر: الفتح (٢٠/٩٩/ح ٥٢٨٨)، ومسلم (٣/١٤٨٩/ح ١٨٦٦) وغيرهما.

(٦٩٦) ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (٢/٩٧ - ٩٨) فهو ضعيف.

(٦٩٧) دون إسناد - ابن هشام (٢/١٠٩ - ١٢٠).

وروى ابن إسحاق[٦٩٨] أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي ـ يعني المسلمين ـ قالوا: نعم»

لقد روى البخاري[٦٩٩] ومسلم[٧٠٠] وابن إسحاق[٧٠١] بنود هذه البيعة. ولكن رواها أحمد[٧٠٢] من حديث جابر، والبيهقي[٧٠٣] من حديث جابر وعبيد بن رفاعة بتفصيل أكثر مما جاء عند البخاري ومسلم وابن إسحاق.

قال جابر: «قلنا يا رسول الله علام نبايعك؟» قال:

١ ـ على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢ ـ وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣ ـ وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ـ وعلى أن تقوموا في الله، ولا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥ ـ وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة» وهو لفظ أحمد.

أما لفظ ابن إسحاق المشار إليه فهو، قال ابن الصامت: «بايعنا رسول

---

(٦٩٨) ابن هشام (٢/ ١٠٠) بإسناد حسن ولكنه مرسل لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر فهو ضعيف.

(٦٩٩) الفتح (٢٧/٨/ح ٧٠٥٦)، و (٢٧/ ٢٢٣/ح ٧٢٩٩، ٧١٢٠٠)، وألفاظ الحديث في المكانين إذا ضمت بعضها إلى البعض هي الفاظ حديث ابن إسحاق نفسها. وإسناد الحديث (٧١٩٩) (٧١٢٠٠) من نفس طريق رجال ابن إسحاق، وقد نبه ابن حجر إلى أن ذلك كان في العقبة الثانية ـ انظر: الفتح (٢٧/ ٨).

(٧٠٠) صحيحه (٣/ ١٤٧٠/ح ١٧٠٩) من نفس طرق رجال ابن إسحاق، كما في رواية البخاري في كتاب الأحكام (الفتح ٢٧/ ٢٢٣/ح ٧١٩٩، ٧١٢٠٠) وبألفاظ ابن إسحاق نفسها.

(٧٠١) ابن هشام (٢/ ١٠٨) ورجاله رجال الصحيح ما عدا ابن اسحاق، وقد صرح بالتحديث فإسناده حسن.

(٧٠٢) الفتح الرباني (٢٠/ ٢٧٠). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٥٠٦٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٧٥): «هذا إسناد جيد على شروط مسلم ولم يخرجوه»، وحسن ابن حجر إسناده كما في الفتح (١٥/ ٧٥)، وقال عنه الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص١٥٧ «وفيه علة وهي عنعنة أبي الزبير، وكان مدلسا، وليس من رواية الليث بن سعد عنه، فلعل تصحيحه أو تحسينه لشواهده، والله أعلم» وانظر تخريج الساعاتي للحديث.

(٧٠٣) انظر رواية جابر عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٤٣). أما رواية عبيد بن رفاعة فهي عنده في الدلائل (٢/ ٤٥٢). وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٨) عن رواية عبيد: «وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه». وقال الدكتور سليمان السعود في رسالة الهجرة ص٩٢: «وهو حديث ضعيف بهذا الإسناد، ولكن يتقوى بالشواهد المتقدمة الدالة على شروط البيعة كحديث جابر».

الله ﷺ على السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».

بعد أن تمت البيعة وتعين النقباء، كان القوم على وشك مغادرة مكان اللقـاء، فاذا بالشيطان يكتشف هذا اللقاء. وليتمكن زعماء المشركين من المجيء والقبض على المسلمين قبل أن ينفضوا، صرخ الشيطان على العقبة بأنفذ صوت سمع، قائلا: «يا أهل الجباجب[٧٠٤]، هل لكم من مذمم[٧٠٥] والصباة[٧٠٦] معه قد اجتمعوا على حربكم؟» فقال رسول الله ﷺ: «هذا أزب العقبة[٧٠٧]، هذا ابن أزيب، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك[٧٠٨]».

وعند سماع صراخ وقول هذا الشيطان، قال العباس بن عبادة بن نضلة: «والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا». فقال لهم رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». فرجعوا وناموا حتى أصبحوا[٧٠٩].

قال كعب بن مالك: «فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا يامعشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعون على حربنا، وإنه ـ والله ـ ما من حي من العرب أبغض إلينا إن نشبت الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض... قال: ونفر الناس من منى فتنطس[٧١٠] القوم الخبر، فوجدوه قد كان».

---

(٧٠٤) الجباجب: منازل منى.
(٧٠٥) المذمم: المذموم.
(٧٠٦) الصباة: جمع صابىء أطلق على الذي يدخل في الإسلام على عهد الرسول ﷺ.
(٧٠٧) أزب العقبة: أسم شيطان يسكن العقبة.
(٧٠٨) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن من حديث كعب بن مالك في قصة بيعة العقبة الثانية ـ ابن هشام (١٠١/٢ ـ ١٠٢).
(٧٠٩) المصدر نفسه.
(٧١٠) بالغوا في التحري عنه.

وتقول الرواية إنهم خرجوا في طلب القوم، ولم يدركوا غير سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو. فأفلت منهم المنذر وقبضوا على سعد، وعادوا به، مغلولة يداه إلى عنقه، ويجذبونه من شعره، ويلكزونه، حتى أنقذه الله منهم بجبير ابن مطعم والحارث بن حرب، إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة المنورة في طريقها من وإلى الشام(٧١١).

ب ـ نتائج وعبر من بيعة العقبة الثانية:

لقد كان لهذه البيعة نتائج قريبة وأخرى بعيدة. فمن النتائج القريبة:

١ ـ إن الأنصار قد فهموا أن حماية الرسول ﷺ سوف تعرضهم لعداوة واعتداء أعداء الرسول ﷺ من المشركين واليهود. وهذا يعني الجهاد، على الرغم من أن بنود البيعة لم تنص صراحة على أبعد من ذلك، أي التصدي لمن يقف في طريق الدعوة الإسلامية.

٢ ـ إن سعي مشركي مكة للقبض على مسلمي المدينة عندما اتضح لهم أن هناك ثمة تدبيرا منهم لحماية رسول الله ﷺ، يدل على أن عداء الشرك والكفر للإيمان في كل مكان.

٣ ـ إن السرية التي أحيطت بهذه البيعة وغيرها دليل على مشروعية أخذ الحذر والحيطة عند تدبير الأمور، لاسيما الأمور التي تتعلق بمستقبل الدعوة.

٤ ـ لقد كانت هذه البيعة الأساس الذي هاجر عليه المسلمون ـ بمن فيهم الرسول ﷺ ـ إلى المدينة المنورة.

٥ ـ أضحى الإسلام عزيزا في المدينة، فاستعلن بإسلامه من كان قد استخفى به.

٦ ـ ضيق كفار مكة الخناق على المسلمين عندما عرفوا خطورة اتصال

---

(٧١١) رواية كعب، المصدر نفسه (٢/ ١٠١ ـ ١٠٤)، ويبدو أن الدكتور العودة قد وهم عندما قال إن رواية قصة القبض على سعد والمنذر مرسلة، فلعله حكم عليها في ضوء سند القصة الخاصة بعبدالله بن أبي بن سلول كونه لم يعلم بأمر العقبة، وفي تقديرنا أنها رواية إعتراضية، جاءت أثناء رواية كعب المتصلة ـ انظر: السيرة في الصحيحين وعند ابن إسحاق... ص٣٦٢، وابن هشام (٢/ ١٠٣).

الرسول ﷺ بمسلمي المدينة. وكان هذا التضييق سببا في تعجيل الرسول ﷺ بأمر هجرتهم إلى المدينة.

٧ ـ أما على المدى البعيد، فقد كانت هذه البيعة الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وانطلاقها من هناك إلى أنحاء الدنيا[٧١٢].

٨ ـ ولأهمية هذه البيعة، ولما ترتب عليها من نتائج قريبة وبعيدة، فقد كان للمبايعين فيها وفي التي قبلها فضل لا يكاد يقل عما لأهل بدر والهجرتين ـ هجرة الحبشة وهجرة المدينة ـ وبيعة الرضوان، من شرف وفضل.

٩ ـ إن عداوة الشيطان للحق وتألمه من علو نجمه ظاهرة ماضية، فهو دائما ما يغري أعداء الإسلام بالمؤمنين من أهل المدينة والرسول ﷺ.

١٠ ـ كانت بيعة العقبة الثانية شاملة للمبادىء التي سيتم مشروعيتها بعد الهجـرة إلى المدينة، وفي مقدمتها الجهاد والدفاع عن الدعوة، وهو حكم وإن لم يكن قد أذن الله بشرعيته في مكة إلا إن الله (عز وجل) قد ألهم نبيه محمدا ﷺ أن ذلك سيشرع في المستقبل القريب، والدليل على ذلك رد الرسول ﷺ على العباس بن عبادة الذي أبدى الاستعداد على حرب أهل منى، فقال له الرسول ﷺ: «لم نؤمر بذلك. . . .» .
ومن المتفق عليه أن أول آية نزلت في مشروعية الجهاد قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير[٧١٣]﴾، حيث نزلت عندما قال أبوبكر (رضي الله عنه) مستنكرا إخراج قريش الرسول ﷺ من مكة: «أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن». وعندما نزلت الآية، قال أبوبكر: فعرفت أن سيكون قتال[٧١٤]».

(٧١٢) انظر: من معين السيرة، ص ١٣٦، وفقه السيرة للبوطي، ص ١٣٢.
(٧١٣) الحج: ٣٩.
(٧١٤) رواه النسائي في سننه (٢/٥٢)، والترمذي (٤/١٥١) من حديث ابن عباس وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي (٣/٧٩/ح ٣٣٩٧) وأحمد في المسند (٣/٢٦٢/ شاكر) من حديث ابن عباس وصحح شاكر إسناده، وابن كثير في التفسير (٥/٤٣٠ ـ ٤٣١)، والطبري في التفسير (١٧/١٢٣).

١١ ـ اقتضت رحمة الله بعباده أن لا يحملهم واجب القتال، إلى أن توجد لهم دار إسلام، تكون لهم بمثابة معقل يأوون إليه، ولقد كانت المدينة أول دار في الإسلام[٧١٥]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى يتربوا التربية التي تؤهلهم للجهاد.

١٢ ـ ومن هنا تعلم ان مشروعية القتال في الإسلام لم تكن إلا بعد هجرته على الصحيح، وليس كما يفهم من كلام ابن إسحاق[٧١٦] انه إنما شرع قبل الهجرة عند بيعة العقبة الثانية[٧١٧] من حديث كعب بن مالك (رضي الله عنه).

فائـــدة:

روى ابن إسحـاق[٧١٨] بإسنـاد حسن أن البراء بن معرور (رضي الله عنه) عندما جاء إلى مكة لمبايعة الرسول ﷺ في العقبة الثانية، كان يصلي ـ في تلك السفرة ـ إلى الكعبة، وعندما التقى بالرسول ﷺ قال يانبي الله إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يارسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى (رض) إلى الشام. . .».

وبذلك يكون البراء أول من صلى إلى الكعبة في الإسلام.

---

(٧١٥) انظر: البوطي فقه السيرة، ص ١٣٣.

(٧١٦) ابن هشام (٢/٩٤٠٩٢) ورواه الحاكم في المستدرك (ب/٢٥٠٦٢٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٧١٧) ابن هشام (٢/١٠٨) بإسناد حسن لذاته.

(٧١٨) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص ١٣٢ وأبو شهبة: السيرة النبوية (١/٤٥٤) وقال إن هذا من أوهام ابن إسحاق.

الفصل الثاني

الهجرة إلى المدينة

المبحث الأول: أسبابها:

أولاً: الابتلاء والاضطهاد:

منذ أن أعلن الرسول ﷺ الدعوة ظل يتعرض لشتى أنواع المضايقات، هو ومن أسلم. وقد ذكرنا ذلك في المباحث السابقة، ولذا كان رسول ﷺ يفكر دائما في طلب الحماية خارج مكة، عندما استعصت عليه مكة. فكانت هجرة الحبشة وهجرة الطائف، وأخيرا هجرة المدينة.

ومما يؤكد أن الابتلاء والاضطهاد كانا سببا من أسباب الهجرة إلى المدينة قول بلال (رضي الله عنه) عندما هاجر: «... اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء[1]...»

وقول عائشة (رضي الله عنها) في سبب هجرة أبيها إلى المدينة: «استاذن النبي ﷺ أبوبكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى[2]...»

وكان ذلك هو السبب نفسه في محاولته الهجرة إلى الحبشة من قبل هو وسائر المسلمين كما قالت عائشة (رضي الله عنها): «... فلما ابتلي المسلمون خرج أبوبكر مهاجرا نحو أرض الحبشة[3]...».

وذكر ابن إسحاق[4] أن من أسباب الهجرة تعذيب المسلمين.

---

(١) البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٣٢/ح ١٨٨٩).
(٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٧١/ح ٤٠٩٣).
(٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٤/ح ٣٩٠٥).
(٤) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.

ثانيا: وجود حماية للدعوة تمكنها من السير في طريقها:

يفهم ذلك من نصوص بيعة العقبة الثانية كما رواها الإمام أحمد عن جابر، وكما رواها غيره[٥]، وفي حديث ابن إسحاق[٦].

ثالثا:

تكذيب كبار زعماء قريش ومعظم عامتهم الرسول ﷺ فأجبروه أن يفكر في قوم آخرين يصدقونه، كما رأينا. وقد عبر سعد بن معاذ عن هذا المعنى في قوله: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه». وفي رواية: «... من قوم كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش[٧]».

وذكر ابن إسحاق[٨] من بين ما ذكر من أسباب، أن تكذيب قريش الرسول ﷺ كان من أسباب الهجرة.

رابعا: مخافة الفتنة في الدين:

وذلك واضح من قول عائشة (رضي الله عنها) عندما سئلت عن الهجرة: «كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى والى رسوله مخافة أن يفتن عليه...[٩]».

ومن قول ابن إسحاق[١٠]: «وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارا منهم...».

---

(٥) انظر ذلك في مكانه من «بيعة العقبة الثانية».
(٦) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٢ - ٨٣/ح ٣٩٠١) - الرواية الأولى من حديث ابن نمير والثانية من حديث أبان بن يزيد - وانظر تعليق ابن حجر على الحديث.
(٨) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.
(٩) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨١ - ٨٢/ح ٣٩٠٠).
(١٠) ابن هشام (٢/ ١٢١) - بدون إسناد. فهو ضعيف.

خامسا: الإذن للمسلمين بالقتال:

ذكر ذلك ابن إسحاق[11] وقال إن الآيات ﴿أُذنَ للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا..﴾[12] هي أول آيات أنزلت في إذنه له بالحرب لمن بغى عليهم. وتابعه في هذا ابن عباس[13] وآخرون. وفي كل ذلك كان المسلمون يبتغون وجه الله تعالى، ويتحملون في سبيله كل ما يقع عليهم من الإيذاء الحسي والمعنوي ومفارقة الأهل والعشيرة والموطن.

وفي هذا يقول خباب (رضي الله عنه): «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله...[14]».

وقد أفاضت الأحاديث في فضل الهجرة والمهاجرين[15] لأن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بدولة تحميه، ولا يتصور وجود دولة بدون أرض تقوم عليها ورعية تسمع وتطيع لحاكمها.

روى البخاري[16] عن عائشة أنها قالت: «قال النبي ﷺ للمسلمين بمكة: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ـ وهما الحرتان ـ فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة..».

---

(١١) ابن هشام (٢/ ١٢١) ذكره بلاغا عن عروة وغيره من العلماء.

(١٢) الحج: ٣٩ ـ ٤١.

(١٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٦) أن ابن عباس قال: «كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجر ﷺ فأنزل الله هذه الآية، وهي أول آية أنزلت في القتال» وروى أحمد قول ابن عباس في أنها أول آية نزلت في القتال ـ انظر: المسند (٢٦٢/ح ١٨٦٥). وصحح شاكر إسناده، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(١٤) البخاري/ الفتح (٦/ ١٧٢/ح ١٢٧٦).

(١٥) انظر في ذلك مثلا: مسلم (٣/ ١٤٨٨/ح ١٨٦٥) وهو الحديث الذي سأل فيه الأعرابي الرسول ﷺ عن الهجرة، فقال: «ويحك، إن شأن الهجرة شديد»، والبخاري/ الفتح (١٤/ ١٤١/ك. فضائل أصحاب النبي ﷺ/ مناقب المهاجرين وفضائلهم).

(١٦) الفتح (١٥/ ٨٨/ح ٣٩٠٥) وأخرجه أحمد (٦/ ١٩٨) وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقصان... ويلحظ أن بعض الروايات تسمي ابن مكتوم «عبدالله» وبعضها يسميه «عمرو» ـ انظر الذهبي: السيرة، ص٣١٥، لأن أهل المدينة يقولون اسمه عبدالله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ـ قاله ابن سعد وغيره كما حكاه عنهم ابن حجر في ترجمة عمرو بن أم مكتوم في الإصابة (٢/ ٥٢٣).

أول المهاجرين:

ذكر البخاري[17] أن أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن عمير وعبدالله بن أم مكتوم. وذكر ابن إسحاق[18] وابن سعد[19] أن أول من هاجر هو أبوسلمة بن عبدالأسد، وجزم بذلك موسى بن عقبة[20]. وذكر ابن حجر[21] أنه يمكن الجمع بين حديث أهل المغازي والسير وحديث البخاري بحمل الأولوية على صفة خاصة، هي أن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة، بخلاف مصعب، فكان عليه نية الإقامة بها، ليعلم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكل أولوية من جهة.

ما وقع للمسلمين في سبيل الهجرة:

ذكرت أم سلمة (رضي الله عنها) أن زوجها أبا سلمة عندما أراد الهجرة حملها مع ابنه سلمة، فرآه أهلها، فلحقوا به، وقالوا له: «هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد.»، وانتزعوها منه، وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا الطفل بينهم حتى خلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، فكانت أم سلمة بعد هجرة زوجها وانتزاع ابنها منها ـ تخرج كل غداة بالأبطح، تبكي حتى تمسي، نحو سنة فرق لها أحد ذويها، فقال لرهطه: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: إن شئت الحقي بزوجك، فاسترجعت ابنها من آل سلمة، وهاجرت إلى المدينة بصحبة عثمان بن أبي طلحة[22].

وعندما أراد صهيب الهجرة، قال له المشركون: «أتيتنا صعلوكا حقيرا،

---

(١٧) الفتح (١٥/١١٨/ح ٣٩٢٤، ٣٩٢٥).
(١٨) ابن هشام (٢/١٢٢) بدون إسناد، ولكنه ذكر قصة كيفية هجرته بإسناد حسن.
(١٩) الطبقات (١/٢٢٦) بإسناد متصل من رواية الواقدي.
(٢٠) رواه الزهري كما هو عند الذهبي في سيرته، ص ٣١٣، وهو مرسل.
(٢١) الفتح (١٥/١١٩/ح ٣٩٢٥).
(٢٢) رواها ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/١٢٣ ـ ١٢٤) وقال المحقق: «تخريج خبر هجرة أبي سلمة: لم أجده عند غير ابن إسحاق...» وإسناده حسن.

فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك»، فقال لهم صهيب: «أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟» قالوا: «نعم»، قال: «فإني قد جعلت لكم مالي». فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ربح صهيب[٢٣]..» وفي رواية عنه أنه قال لهم عندما لحقوا به: «هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي؟ ففعلوا، فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الأواقي. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء، قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: يأبا يحيى، ربح البيع، ثم تلا هذه الآية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله...﴾ الآية[٢٤].

ورويت عدة روايات مرسلة في أن آية ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله...﴾ قد نزلت فيه بمناسبة قصة هجرته. وعلق الطبري[٢٥] على هذه الروايات بعد أن أوردها، فقال في تعليقه: «وأما ما روي من نزول الآية في أمر صهيب، فإن ذلك غير مستنكر، إذ كان غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسول الله ﷺ بسبب من الأسباب، والمعني بها كل من شمله ظاهرها. «وقال ابن كثير[٢٦] ـ بعد أن أورد الروايات في هذا الشأن ـ: «وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله...» ولا تعارض بين ما ذكر الطبري وهذا الذي ذكره ابن كثير لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(٢٣) رواه ابن هشام معلقا ـ السيرة (٢/ ١٣٣)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩) وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، ووافق الألباني الحاكم في تصحيحه كما في حاشيته على فقه السيرة للغزالي، ص١٦٦، وقال: «وله شاهد من حديث صهيب نفسه، ورواه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٦٠) والبيهقي كما في البداية (٣/ ١٩١). قلت: وقول الرسول ﷺ له هنا عندما رآه «يا أبا يحيى! ربح البيع».
ـ ورواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٨٢٨/ح ١٥٠٩) مرسلا ورجاله ثقات كما قال المحقق.
ـ ويفهم من مجموع الروايات أن صهيبا هاجر بعدما هاجر الرسول ﷺ، وبذلك جزم ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٩٥/ ترجمة رقم ٤١٠٤) وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠).

(٢٤) البقرة: ٢٠٧. والرواية مطولة في المستدرك وصححها الحاكم. انظر المستدرك (٣/ ٤٠٠)

(٢٥) تفسير الطبري (٤/ ٢٥٠/ شاكر)، وانظر: زاد المسير (١/ ٢٢٣) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠).

(٢٦) التفسير (١/ ٣٦٠).

هجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن معه من المسلمين:

روى ابن إسحاق[٢٧] عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: «اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التَنَاضُبَ[٢٨] من أَضَاةِ[٢٩] بني غِفَار، فوق سَرِف وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه. فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن».

وعندما نزلت الآية ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة لله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾[٣٠]، كتبها عمر وأرسل بها إلى هشام بن العاصي بمكة، فوجد صعوبة في فهمها، فدعا الله أن يفهمه إياها، فألقى الله في قلبه أنها نزلت في أمثاله، فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة[٣١]. وعند ابن عبدالبر انه هاجر بعد الخندق.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يقنت في ركوعه داعيا: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة.. الحديث[٣٢]»، وفي

---

(٢٧) ابن هشام (٢/ ١٢٩ - ١٣١) بإسناد حسن. وصححه ابن حجر في الإصابة (٣/٦٠٤) وهو من رواية ابن السكن بإسناد ابن إسحاق. وهذا الأثر أو الخبر الصحيح في قصة هجرة عمر (رضي الله عنه) يخالف الحديث الضعيف المشهور عند كثير من الناس من أن عمر (رضي الله عنه) أعلن هجرته وقال للمشركين من أراد أن تثكله أمه وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي... الخبر) وأصل الخبر عند ابن الأثير (أسد الغابة ٤/٥٨) وقد خرجه الألباني في دفاع، ص٤٣، وحكم عليه بالضعف.

(٢٨) و (٢٩)قال البلادي: «التَّناضب وأضاة بني غفار، موضع واحد. الأضاة: أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين. والتناضب: شجرات في هذه الأضاة، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي إلى جوار قبر أم المؤمنين ميمونة. وقام بجانبها الغربي حي على بعد ثلاثة عشر كيلاً من مكة، نحو الشمال». وانظر محمد شراب: المعالم الأثيرة مادة: التناضب.

(٣٠) الزمر: ٥٣ - ٥٥.

(٣١) هذه الرواية الصحيحة مخالفة لرواية ضعيفة رواها ابن هشام في السيرة (٢/ ١٣١ - ١٣٢) معلقة، تقول إن الوليد بن الوليد قدم مكة مستخفيا بناء على رغبة الرسول ﷺ وتمكن من معرفة مكان حبس عياش وهشام بن العاصي فأطلقهما وحملهما على بعيره إلى المدينة.

(٣٢) البخاري/ الفتح (١٧/ ٨٧ - ٨٨/ح ٤٥٦٠).

رواية بزيادة: «... اللهم انج المستضعفين من المؤمنين[٣٣]....».

وقد أنجا الله هؤلاء الثلاثة وغيرهم.

أما أبوبكر الصديق، فعندما أراد أن يهاجر، استبقاه الرسول ﷺ ليصحبه في هجرته عندما يؤذن له بذلك. وظل يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحلتين، وأخذ يعلفهما لمدة أربعة أشهر[٣٤].

وقد روى الحاكم[٣٥] أن الرسول ﷺ قال لجبريل: «من يهاجر معي؟ قال: أبوبكر الصديق».

وتتابعت مواكب المؤمنين إلى دار الهجرة، دار الإسلام، ولم يبق أحد في دار الكفر، دار الحرب، إلا مستضعف مغلوب على أمره، أوصاحب عذر.

وكان آخر من بقي ممن هاجر عبدالله بن جحش (رضي الله عنه). وكان قد كف بصره، فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غير المدينة، فهاجر بأهله وماله سرا، حتى قدم المدينة، وسطا أبوسفيان على داره بمكة فباعها. ومر بها بعد ذلك أبوجهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والعباس بن عبدالمطلب وحويطب بن عبدالعزى، وفيها اهب معطوبة، فذرفت عينا عتبة، وتمثل ببيت من شعر، هو:

وكل دار وإن طالت سلامتها ... يوما سيدركها النكباء والحوب

وأقبل أبوجهل على العباس قائلا: «هذا ما أدخلتم علينا[٣٦]».

وروى هذه القصة ابن إسحاق[٣٧] بنحو رواية الهيثمي، ولكن في روايته أن الكفيف هو عبد بن جحش وكنيته «أبوأحمد» وهو أخو عبدالله بن جحش، وأن زوجته هي الفرعة بنة سفيان بن حرب، وأن أخاه عبدالله حمله

---

(٣٣) البخاري/ الفتح (١٢/٦٥/ح ٢٩٣٢).

(٣٤) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/٨٨/ح ٣٩٠٥).

(٣٥) رواه الحاكم عن علي: المستدرك (٣/٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد والمتن ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح غريب».

(٣٦) ذكره الهيثمي في المجمع (٦/٦٣ - ٦٤) وعزاه إلى الطبراني، وقال: «فيه عبدالله بن شبيب وهو ضعيف».

(٣٧) ابن هشام (٢/١٢٤ ١٢٥) - معلقا. فهو ضعيف.

معه عندما هاجر إلى المدينة مع أهله. ويبدو أن رواية ابن اسحاق هي الأقرب إلى الصواب، فقد ذكرها ابن حجر[٣٨] ولم يذكر غيرها.

وفي هذه القصة وغيرها دليل على أن كثيرا من الدور بمكة قد خلت من أصحابها.

المبحث الثاني: هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة:

أولا: تآمر قريش: عندما علم المشركون بما تم بين الرسول ﷺ والأنصار في العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة زرافات ووحدانا، خشوا من تجمع المسلمين بالمدينة وخروج الرسول ﷺ إليهم ليقودهم نحو تحقيق ما يريد. ولذا قرروا التخلص من رأس هذا الكيان الجديد.

ففي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر، سنة أربع عشرة من المبعث، الموافق الثاني عشر من أيلول (سبتمبر) عام ستمائة واثنين وعشرين لميلاد عيسى (عليه السلام)[٣٩] أي بعد شهرين ونصف تقريبا من بيعة العقبة الثانية ـ الكبرى[٤٠] ـ، عقد زعماء قريش اجتماعا خطيرا في دار الندوة، ليتشاوروا في أنجع الوسائل للتخلص من الرسول ﷺ.

وقد ذكر القرآن الكريم مضمون الآراء التي طرحت في ذلك الاجتماع. قال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك[٤١] أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[٤٢].

---

(٣٨) الإصابة (٤/٣) في ترجمة أبي أحمد بن جحش.

(٣٩) ذكره المباركفوري، ص١٧٦ وقال في الحاشية: «أخذنا هذا التاريخ بعد مراجعة التحقيقات التي سجلها المنصورفوري في كتابه: «رحمة للعالمين» (١/٩٥، ٩٧، ١٠٢، (٢/٤٧١).

(٤٠) لأن بيعة العقبة الكبرى كانت في حزيران (يونيو)، سنة ٦٢٢م كما ذكر المباركفوري، ص١٦٤. أما مسألة الشهرين والنصف تقريبا فيفهم ذلك من ابن هيعة، عن أبي الأسود عن عروة ـ انظر: مغازي عروة، ص١٢٨.

(٤١) ليثبتوك: ليسجنوك.

(٤٢) الأنفال: ٣٠.

روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس أن هذه الآية نزلت بهذه المناسبة، وذكر القصة (المسند: ٥/٨٧) وقال شاكر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري،... والحديث نقله ابن كثير في التفسير (٤/٤٩) عن هذا الموضع. وهو في مجمع الزوائد (٧/٢٧) ونسبه أيضا للطبراني، وقال: «وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقة ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» ونسبه في الدر المنثور (٣/١٧٩) أيضا لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن

==

وجاءت الأحاديث والآثار مفصلة ما أجملته هذه الآية. فإضافة إلى ما جاء في رواية ابن عباس عند أحمد في سبب نزول الآية ﴿وإذ يمكر بك﴾ هناك رواية أخرى عن ابن عباس عند ابن إسحاق[43] فيها تفصيل أكثر عن هذه المؤامرة.

ففي هذه الرواية انهم عندما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر رسول الله ﷺ جاءهم إبليس في صورة رجل شيخ، مدعيا أنه من أهل نجد[44]، قال إنه سمع بالذي اجتمعوا له وأراد أن يشاركهم الرأي والنصيحة فأذنوا له. . .

وعندما دارت المناقشة واقترح أحد المؤتمرين أن يحبسوا الرسول ﷺ، قال الشيخ النجدي: «لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم. . .».

ثم اقترح أحدهم أن ينفوه، فدحض النجدي الاقتراح مبينا أن حسن

==

مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب. .» قال ابن كثير في البداية (٣/ ١٩٩): «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار. . .» وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٠). وذكر كذلك عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة. انظر مغازي عروة، ص١٢٨. وروى البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) من حديث ابن لهيعة ومحمد بن فليح عن أبي الأسود عن عروة أن الآية نزلت بهذه المناسبة.

(٤٣) ابن هشام (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٩)، وصرح فيه بالسماع وسنده منقطع، لأنه لم يسم من حدثه، ووصله الطبري في تاريخه (٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧٢) وبذلك يكون إسناده حسناً. وروى قصة مادار في دار الندوة وإبليس ـ الشيخ النجدي:
الزهري في مغازيه، ص ١٠٠، وسعيد بن يحيى الأموي، عن أبيه، كما ذكر الذهبي في سيرته، ص٣١٧، وابن سعد (١/ ٢٢٧) من رواية الواقدي.
قال عرجون في كتابه «محمد رسول الله» (٢/ ٤٩٨): «إن قصة إبليس في صورة شيخ نجدي ضرب من الخيال والجنون لأنه لم يثبت في خبر صحيح عن رسول الله ﷺ وكان ما جاء فيه رواية مرسلة عن ابن عباس ولم يثبت لها سند يمكن التشبث به والاعتهاد عليه». قلت: جاءت القصة بطريق صحيح عن ابن إسحاق والطبري إضافة إلى أن ابن إسحاق والزهري والواقدي وابن سعد والأموي من أئمة المغازي والسير، واتفقوا على ذكر هذه القصة مما يدل أن لها أصلا، خاصة حديثهم، إذا استثنينا قصة النجدي، ورد مضمونه في أحاديث صحيحة، مثل الأحاديث التي وردت في تفسير الآية: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا. . .﴾.

(٤٤) يذكر السهيلي في الروض (٢/ ٢٢٩) أنه ادعى ذلك، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد.

حديث الرسول ﷺ ومنطقه وأسره القلوب سيجذب الناس إليه ويغلب بهم قريشا. وأخيرا اقترح أبوجهل أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا نسيبا وسيطا فيهم، ويعطى كل واحد، منهم سيفا صارما، فيضربون جميعا بأسيافهم محمدا ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ولا يقدر بنوعبد مناف على حرب قومهم جميعا، فيرضوا بالدية.

أيد النجدي هذا الاقتراح، ووافق عليه الجميع، وتفرقوا على ذلك ولم يبق إلا التنفيذ(٤٥).

ثانيا: الإذن بالهجرة، والتخطيط لها ثم الشروع فيها:

بعد اتخاذ هذا القرار، أتى جبريل (عليه السلام) رسول الله ﷺ وأخبره به، وأمره بعدم المبيت على فراشه هذه الليلة، والهجرة.

روى البخاري(٤٦) والطبري(٤٧) من حديث ابن اسحاق انه عندما أذن للرسول ﷺ وأمر بالهجرة جاء متقنعا إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) في وقت لم يعتد أن يزوره فيه، في نحر الظهر - أول النهار- وهو أشد ما يكون في حرارة النهار. وعندما أخبر أبوبكر بقدومه، علم أن قدومه في تلك الساعة وبتلك الكيفية، إنما هو لأمر خطير.

وعندما أذن له أبوبكر بالدخول، طلب أن يخرج من عنده حتى لا يعرف

---

(٤٥) لم تحدد الرواية الساعة التي اجتمعوا فيها، هل كانت ليلا أم نهارا، ولم نقف على المدة الزمنية بين اتخاذ قرار القتل وبين الشروع في تنفيذه، وبالتالي لم نقف على رواية تشير إلى المدى الزمني بين مجيء الرسول ﷺ إلى منزل أبي بكر وبين زمن اجتماع قريش وقرار القتل. والذي نرجحه من قرائن الأحوال أن بين الحادثتين فترة زمنية معينة، هي الفترة التي تم فيها اختيار الفتيه المنوط بهم تنفيذ الخطة، وأن هناك فترة زمنية بين مجيء الرسول ﷺ إلى أبي بكر وبين زمان خروجهما إلى الهجرة، إذ أن الخطة التي وضعها الرسول ﷺ مع أبي بكر لإنجاح الهجرة، خاصة الاتفاق مع الدليل، تقتضي زمنا يسيرا.

(٤٦) الفتح (١٥/ ٨٨/ح ٣٩٠٥)، والقصة عند إبن اسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٤٠) وروى أحمد في المسند (٥/ ٢٥/ شاكر) بإسناد صحيح والحاكم في المستدرك (٣/ ٤) بإسناد صححه ووافقه الذهبي أن أبابكر جاء إلى بيت الرسول ﷺ ووجد عليا ينام على فراشه، وظنه النبي ﷺ فأخبره علي أن النبي ﷺ قد انطلق إلى بئر ميمون، فأدركه وسار معه إلى الغار. ويمكن الجمع بين هذه الرواية ورواية البخاري بأن يكون مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهيرة من ذلك اليوم الذي حاصر فيه المشركون بيت النبي ﷺ ليلا فمر عليه أبوبكر فلم يجده، وبعدما أخبره علي لحق به في بئر ميمون، ومنها انطلقا إلى الغار - قاله د. العودة، ص ٤٠٣.

(٤٧) تاريخه (٢/ ٣٧٧ - ٣٧٩) بإسناد حسن.

ما يقول له، وطمأنه أبوبكر بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ، ثم أخبر أبابكر بأن الله قد أذن له بالهجرة. وطلب أبوبكر أن يصحبه، فأكد له ما سبق أن ألمح له به من قبل. وأراد أبوبكر من الرسول ﷺ أن يأخذ إحدى الراحلتين، فوافق الرسول ﷺ، ولكن على أن يدفع ثمنها.

إن قول أبي بكر للرسول ﷺ بأن من عنده هم أهل الرسول ﷺ يريد بذلك عائشة وأسماء (رضي الله عنهما). وهما مسلمتان، وعائشة (رضي الله عنها) قد عقد عليها الرسول ﷺ، فهي زوجته، فلا خوف منهما. وقد صرح بهذا المعنى موسى بن عقبة في روايته، فقال: «أخرج من عندك، قال: لا عين عليك، إنما هما ابنتاي»، وفي روايته عن ابن شهاب، قال: «قالت عائشة: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأسماء[٤٨]» ـ وفي رواية ابن إسحاق[٤٩]: «إنما هما ابنتاي».

عند لقاء الرسول ﷺ بأبي بكر أخذا في وضع خطة للهجرة وإبطال كيد الكافرين. وكانت الخطة كالاتي، كما ذكرها البخاري وابن إسحاق:ـ

١ ـ أن يخرجا ليلا إلى غار ثور[٥٠] في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، وفي هذا تمويه على الكفار، لأن أنظارهم ستتجه للبحث عن الرسول ﷺ في الجهة الشمالية ـ جهة المدينة.

٢ ـ أن يمكثا في الغار لمدة ثلاثة أيام[٥١] حتى يخف الطلب عنهما.

٣ ـ واستأجرا دليلا ماهرا عارفاً بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبدالله بن أُرْقُد[٥٢] الدِّيْلي، وكان مشركا. واستكتماه الخبر. واتفقا معه على أن يلحق بهما في غَار ثور بعد ثلاثة أيام. ودفعا إليه

(٤٨) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٨٨ ـ ٨٩).

(٤٩) ابن هشام (٢/ ١٤٢) بسند أبهم فيه من حدثه، وبقية الإسناد رجاله ثقات، ووصله الطبري في تاريخه من رواية ابن اسحاق بإسناد حسن ـ تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٨).

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٠/ح ٣٩٠٥).

(٥١) المصدر والمكان نفسيهما، والطبري في تاريخه (٣/ ٣٧٨) من رواية ابن اسحاق بإسناد حسن.

(٥٢) كذا في أصل سيرة ابن هشام المخطوط بالأسكوريال (ق ٤٦/ ب) ـ بالدال، وفي المطبوع «أريقط» فلعله تصحف في المطبوع من سيرة ابن هشام ـ قاله الدكتور سليمان العودة، ص ٤٠٧ ـ حاشية. والمشهور عند أهل السير: «أريقط». قلت وفي المطبوع من تاريخ الطبري «ارقد»، فانظره في (٢/ ٣٨٠) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن. وقال محقق السيرة الشامية (٣/ ٣٤٦/ الحاشية) إنه في المخطوط «ارقد».

بالراحلتين اللتين اشتراهما أبوبكر، وكان يعلفهما لهذا اليوم[٥٣].

٤ ـ وضعت لهما أسماء زادا ووضعته في جراب، وقطعت من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق[٥٤]، وفي رواية: ذات النطاقين[٥٥].

٥ ـ وأمر أبوبكر ابنه عبدالله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السحر ليصبح مع قريش[٥٦].

٦ ـ وأمر مولاه عامر بن فُهَيْرَة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في الغار إذا أمسى ليطعما من ألبانها[٥٧]، ويذبحا منها للأكل[٥٨]، ويزيل بها آثار أقدام عبدالله بن أبي بكر[٥٩].

٧ ـ وأمر أسماء أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء[٦٠].

٨ ـ وانطلق رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب فأمره أن يتخلف بعده بمكه ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته[٦١].

٩ ـ وأمره أن ينام على فراشه ويتسجي ببرده الحضرمي الأخضر، الذي ينام فيه، وطمأنه بأنه لن يصل إليه منهم شيء يكرهه[٦٢]، وذلك للتمويه.

---

(٥٣) البخاري/ الفتح (٥١/ ٩٢ ـ ٩٣/ح ٣٩٠٥).

(٥٤) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٠/ح ٣٩٠٥) من حديث عائشة في قصة الهجرة.

(٥٥) المصدر نفسه (١٦/ ١٠٣/ح ٣٩٠٧) من حديث أسماء. ذكر ابن سعد (١/ ٢٢٩) أنها شقت نطاقها فأوكأت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين. وهي رواية الواقدي. وذكر ابن إسحاق وابن هشام سبب هذه التسمية (ابن هشام ٢/ ١٤٤) وكلاهما بدون إسناد.

(٥٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٢/ح ٣٩٠٥)، وابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٣).

(٥٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩١ ـ ٩٢/ح ٣٩٠٥)، ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٣).

(٥٨) (٥٩) (٦٠) ابن إسحاق ـ المصدر والمكان نفساهما.

(٦١) ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ١٤٢)، ووصله الطبري في تاريخه (٢/ ٣٧٨) وإذا اعتبرنا الجملة «فيما بلغني» خاصة بمن أعلمهم الرسول ﷺ فيكون الخبر حسناً.

(٦٢) روى أحمد بإسناد حسن أنه بات على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ولم يزد على ذلك: المسند (٥/ ٨٧/ شاكر). وذكر الحاكم في المستدرك (٣/ ٤) أنه بات على فراشه وذكر حوار المشركين معه عندما اكتشفوه وهو ينام على غير الصفة التي كان ينام عليها الرسول ﷺ. وما ذكرناه رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع وهو حسن بالشواهد.

١٠ ـ وأمر أبوبكر عامر بن فُهَيْرَة أن يصحبهما في هجرتهما ليخدمهما ويعينهما في الطريق[٦٣].

لقد أمر الله الرسول ﷺ بهذه الهجرة بعد أن مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه[٦٤]. وعندما أمره بالهجرة أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مُخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا[٦٥][٦٦]﴾. وكان ما أراده من الله له في هذا الدعاء الموجز المعبر، والذي اختاره له الله ليجعله مفتاحا للطمأنينة.

أما في الجانب الآخر فقد اختار زعماء قريش في ندوتهم أحد عشر زعيما يمثلون قبائل قريش المعادية للإسلام، فقضوا نهار يومهم ذاك في الإعداد لتنفيذ القرار الذي اتخذوه في دار الندوة.

وعلى الرغم من علم الرسول ﷺ بهذا القرار، لم ينس أن يقوم بعمل إيماني بطولي، يعد بمفهومنا المادي اليوم «مغامرة»، بل قال عنه الذهبي «منكر»، أي غير منطقي. وهو أنه ذهب في تلك الليلة مع علي إلى الكعبة، وأمره أن يصعد على منكبه إلى فوق الكعبة، ليرمي صنم قريش الذي كان من نحاس وموتد بأوتاد من حديد. وعندما كان علي يعالج الصنم ليفكه كان الرسول ﷺ يقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا».

---

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٣/ح ٣٩٠٥).

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ٨٣/ح ٣٩٠٢)، وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: هذا أصح مما أخرجه أحمد عن يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان بهذا الإسناد، قال: «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشرا»، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر، عن ابن عباس أن إقامة النبي ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة. وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٨٨): «وقد كانت مدة إقامته (عليه السلام) بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة: في أصح الأقوال» وذلك بعد أن ساق الأقوال المختلفة في الموضوع، فانظره لتمام الفائدة.

(٦٥) الإسراء: ٨٠.

(٦٦) رواه أحمد: المسند (٣/ ٢٩١) وصحح شاكر إسناده، والترمذي: السنن (٨/ ٢٩١/ ك التفسير/ ح ٣١٤٨/ ط الدعاس) وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٢٣) عن المسند وأقر تصحيح الترمذي له، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن (٩/ ؟) بالسند نفسه.
ومن أشهر روايات المفسرين وأصحها ما ورد في تفسير مدخل الصدق ـ بمدخل رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرا، ومخرج الصدق مخرجه من مكة مهاجرا إلى المدينة. وهو قول الحسن البصري وقتادة، واختاره ابن جرير وتابعه في ذلك ابن كثير. انظر تفسير الطبري (١٥/ ١٤٨) وتفسير ابن كثير (٥/ ١٠٨).

وتمكن علي من فكه ورميه وتكسيره، وانطلقا ولم يرهما أحد، ولم يرفع الصنم بعد ذلك(٦٧).

وهذا التصرف عندنا لمن المعجزات الدالة على عناية الله برسوله ﷺ.

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع القوم المنوط بهم تنفيذ الخطة، على باب الرسول ﷺ يترقبون نومه، ليثبوا عليه، وكان معهم أبوجهل، ليطمئن على سير الخطة، ويشجعهم على التنفيذ، ومما كان يفعله بهذا الصدد السخرية من محمد ﷺ والتشكيك في دعوته، فتراه يقول لهم: «إن محمداً يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها(٦٨)».

وبينما هم على هذه الحالة خرج عليهم رسول الله ﷺ، وقد سمع كلام أبي جهل، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يرونه، لأن الله قد أخذ على أبصارهم، وهو يتلو الآيات من سورة «يس»: ﴿يس والقرآن الحكيم...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾. وتركهم على هذه الحالة، ثم خرج(٦٩).

وعندما خرج أبوبكر كان يحمل معه كل ماله، وقدره خمسة آلاف أو ستة

---

(٦٧) اخرجه الحاكم في المستدرك من عدة طرق (٢/ ٣٦٦ - ٣٦٧) و٢/ ٥)، وصححه، وقال الذهبي: إسناده نظيف والمتن منكر. وأخرجه أحمد في مسنده وعبدالله في زوائده على المسند، كما في الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٤)، ونقل الساعاتي عن المجمع أنه رواه أحمد وابنه وأبويعلى والبزار. ورجال الجميع ثقات وضعف أبو إسحاق الجويني الأثري إسناده لأن فيه أبامريم الثقفي، وهو عنده مجهول انظر النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بتحقيق أبي إسحاق الأثري، ص١١٣ وله مناقشة مفيدة في تخريجه، فانظرها.

(٦٨) ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل، موقوف على محمد بن كعب القرظي (ابن هشام ٢/ ١٣٩).

(٦٩) من رواية ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٤٣) وفي هذا الخبر أنه خرج متوجها إلى منزل أبي بكر، فتسللا من خوخة - باب خلفي - في دار أبي بكر، وذهبا إلى غار ثور، بأسفل مكة. وهذا مخالف للكيفية التي سبق ذكرها في خروجهما إلى غار ثور، وقد وفق الدكتور العودة بين الروايات في هذا الموضوع كما ذكرنا. فانظره في مكانه.

آلاف درهم[٧٠].

وفي طريقهما إلى الغار، وقبل أن تختفي مكة عن الأنظار، نظر إليها الرسول ﷺ بعاطفة مشحونة بالذكريات، تدل على حبه لها لما بها من رموز في حياته. فكيف لا يحبها وقد أحبها الله (عز وجل) وجعل بها بيته المقدس، وفيها أرسله الله إلى العالمين. وقف ينظر إليها وهو يقول: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت[٧١]».

وقال عنها في رواية أخرى: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

أما المتآمرون، فعندما رآهم أحد الناس أمام الباب، سألهم عن سبب وجودهم أمامه، فأخبروه الخبر، فأعلمهم أن النبي ﷺ قد خرج فلم يصدقوه، لأنهم يرون عليا نائما على فراش النبي ﷺ فظنوه محمدا ﷺ. ولم يكتشفوا الحقيقة إلا عندما قام علي من الفراش في الصباح[٧٢].

---

(٧٠) ذكر قصة أخذ ماله وحوار أبيه مع ابنته أسماء في هذا الشأن: الإمام أحمد بإسناد صحيح، وهو إسناد ابن إسحاق نفسه ـ انظر: الفتح الرباني (٢٠/٢٨٢ ـ ٢٨٣)، وابن إسحاق ـ بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٣/٥ ـ ٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٧١) رواه الترمذي، كما في تحفة الأحوذي (١٠/٤٢٦) وقال: «حسن غريب صحيح». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٥٠/ح ٣٠٨٣) ورواه ابن ماجه ـ انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/١٩٦) وصححه، وفيه أن الراوي ـ عبدالله بن عدي ـ قال: «رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته، واقف بالحَزْوَرَة» ـ موقع قرب مكة ـ أو سوق مكة ـ انظر ابن كثير البداية (٣/٢٢٥ ـ ٢٢٦) يقول: . . . الحديث «وفيه إشكال لأن الرسول ﷺ لم يذهب إلى الغار راكبا ولم يره أحد، لأنه خرج مستخفيا، فكيف يسمعه ابن عدي؟ ولعل هذا القول في مناسبة أخرى، ورواه البيهقي في الدلائل (٢/٥١٨) من حديث عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وفيه الوقوف بالحزورة، قال البيهقي: «وهذا وهم من معمر»، ووهم أيضا من رواه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة؛ والحاكم في المستدرك (٣/٧)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٧٢) ابن اسحاق بإسناد مرسل. ابن هشام (٢/١٣٩).

وخلاصة القول إن قصة تآمر المشركين على الرسول ﷺ ومبيت علي في فراشه، تتقوى بما يأتي من الشواهد والمتابعات:

أ ـ إن للقصة أصلا في كتاب الله تعالى، في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا. . .﴾ وذكر المفسرين سبب نزولها هو هذه المناسبة.

ب ـ إنها وردت من عدة طرق يشد بعضها بعضا.

ج ـ شهرتها واستفاضتها عند أئمة السير والمغازي. انظر في ذلك: الدكتور السعود في رسالته: أحاديث الهجرة، غير منشورة، ص ١٣٤ [استدراك: نشرت أثناء طباعة هذا الكتاب].

وعند هذا أخذوا في وضع الخطط للعثور عليه ومن ذلك:

١ ـ إلقاء القبض فورا على علي وضربه وسحبه إلى الكعبة ثم اعتقاله بعضا من الوقت لحين التحقيق معه للوصول إلى معلومات تفيدهم في العثور على الرسول ﷺ. ولكنهم فشلوا معه[٧٣].

٢ ـ جاء نفر منهم إلى منزل أبي بكر (رضي الله عنه) وفيهم أبوجهل، لعلهم يجدونه هناك ويفعلون به مثلما فعلوا بعلي. فخرجت إليهم ابنته أسماء، فسألوها عن والدها، فقالت إنها لا تدري أين هو، فغضب أبوجهل لهذا الجواب، فلطمها لطمة طرح منها قرطها[٧٤].

٣ ـ وضعوا جميع الطرق النافذة من مكة تحت المراقبة الدقيقة.

٤ ـ قرروا منح جائزة مقدارها دية كل من الرسول ﷺ وأبي بكر لمن يعثر عليهما حيين أو ميتين[٧٥].

٥ ـ استأجروا قصاص الآثار، ليتبعوا آثارهما حيثما حلا[٧٦]

الطريق إلى الغار:

روى البيهقي[٧٧] وغيره[٧٨]أنهما عندما انطلقا إلى الغار جعل أبوبكر يمشي

---

(٧٣) قاله المباركفوري في الرحيق المختوم وعزاه إلى المنصورفوري في رحمة العالمين (١/ ٩٦) ولم نقف على مصدر صاحب الرحمة.

(٧٤) ابن إسحاق ـ بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٢٤٥).

(٧٥) البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٣/ح ٣٩٠٦). وروى ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ٢/ ١٥٢) والطبري: التاريخ (٢/ ٣٧٩) ـ أن قريشا جعلت مائة ناقة لمن يرد الرسول ﷺ عليهم. وذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٣ ـ ٩٤) أن من صرح بأن الدية للواحد مائة ناقة: موسى بن عقبة وصالح ابن كيسان في روايتيهما عن الزهري والطبراني من حديث أسماء بنت أبي بكر. وقال عروة في مغازيه، من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، ص ١٢٩: «وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم ويجعلون لهم الجعل العظيم».

(٧٦) قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩١/ شرح الحديث رقم ٣٩٠٥): «وذكر الواقدي أن قريشا بعثوا في أثرهما قائفين: أحدهما كرز بن علقمة، فرأى على فم الغار نسج العنكبوت، فقال: هاهنا انقطع الأثر. ولم يسم الآخر، وسماه أبونعيم في الدلائل (لم أجده في المطبوع): «سراقة ابن جعشم». وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢٩٣): «ذكر أبوسعيد في «شرف المصطفى» أن المشركين كانوا استأجروا كرز بن علقمة لما خرج النبي ﷺ مهاجرا فقفا أثره حتى انتهى إلى غار ثور فرأى نسج العنكبوت على باب الغار فقال: «إلى هنا انتهى أثره ثم لا أدري أخذ يمينا أو شمالا أو صعد الجبل». وذكر سراقة عند أبي نعيم من الغلط الواضح كما سيتضح.

(٧٧) الدلائل: (٢/ ٤٧٦).

(٧٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه». وذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩١)، وذكر أن البغوي ذكره بنحوه من مرسل ابن أبي

==

ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، وعندما فطن له سأله عن السبب، قال يارسول الله: «أذكر الطلب، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فامشي بين يديك»، فقال له الرسول ﷺ: «ياأبابكر لو كان شيء أحببت أن تكون لك دوني؟»، قال: «نعم، والذي بعثك بالحق ما كان لتكون من ملمة إلا أحببت أن تكون لي دونك».

أما الخبر الذي يروى عن عمر وفيه أن رسول الله ﷺ عندما خرج من مكة ليلا ومعه أبوبكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفة يحرسه، وعندما حفيت قدما الرسول ﷺ حمله على كاهله إلى فم الغار، وسده أحجار الغار بقدمه، والحيات تلسعه، ودموعه تسيل على الرسول ﷺ .... هذا الخبر قال عنه الذهبي[٧٩]: «وهو منكر، سكت عنه البيهقي[٨٠] وساقه من حديث يحيى بن أبي طالب، أخبرنا عبدالرحمن بن إبراهيم الراسبي..... وآفَتُهُ من هذا الراسبي، فإنه ليس بثقة، مع كونه مجهولا، ذكره الخطيب في تاريخه فغمزه».

وقال ابن كثير[٨١] عن هذا الحديث بعد أن ساقه من رواية البيهقي المشار إليها: «وفي هذا السياق غرابة ونكارة». وزاد الدكتور السعود[٨٢] بعد قول ابن كثير هذا: «نعم، لأنه في سنده فرات بن السائب ـ ضعفه أبوحاتم وأبو زرعة ـ وقال أبوحاتم: «منكر الحديث» وقال البخاري: «تركوه، منكر الحديث»، فهذا الخبر ضعيف منكر».

في الغار:

وعندما انتهيا إلى الغار قال أبوبكر للرسول ﷺ: «مكانك يا رسول الله

==

مليكة. وذكر ابن هشام نحوه بلاغا، وباختصار ـ ابن هشام (١٤٣/٢)، وذكره ابن كثير في البداية (١٩٧/٣) وعزاه للبغوي، وقال: «وهذا مرسل، وقد ذكرنا له شواهد أخرى من سيرة الصديق (رضي الله عنه)».

قلت: فالحديث يتقوى بالشواهد.

(٧٩) السيرة، ص ٣٢١.

(٨٠) الدلائل: (٤٧٧/٢).

(٨١) البداية والنهاية (١٩٨/٣).

(٨٢) رسالة الهجرة، ص ١٦٩.

حتى استبرىء[٨٣] لك الغار»، فدخل فاستبرأه، ثم تذكر أنه لم يستبرىء الجحر الذي فيه، فقال: «مكانك يارسول الله حتى استبرىء»، فدخل فاستبرأ، ثم قال: «انزل يارسول الله»، فنزل الرسول ﷺ إلى الغار[٨٤].

ركبت قريش في كل وجه يطلبون النبي ﷺ. وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم، ويجعلون لهم الجعل العظيم، وأتوا على جبل ثور الذي فيه الغار، الذي فيه النبي ﷺ، وطلعوا فوقه. وسمع الرسول ﷺ وأبوبكر أصواتهم، فأشفق أبوبكر وأقبل عليه الهم والخوف والحزن، وقال: «يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه». فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما[٨٥]». وفي هذا نزل قول الله تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا[٨٦]﴾.

وحمى الله نبيه في الغار من كل سوء. ومن أدلة حماية الله له ولصاحبه: ما روى أحمد[٨٧] أن قريشا اقتفوا أثرهما، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت. فقالوا لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. وروي مثله عن الحسن البصري، وزاد فيه أن النبي ﷺ كان يصلي في تلك اللحظات وأبوبكر

---

(٨٣) أي يتأكد من سلامته وخلوه من الأفات الضارة.

(٨٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٧٦) بإسناد مرسل، لأنه موقوف على ابن سيرين - سبق الكلام عنها. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرك.

(٨٥) أخرجه البخاري/ الفتح (١٧/ ٢٠٥/ح ٤٦٦٣)، الفتح (١٥/ ١١٧/ ٣٩٢٢) وفي الحديث: «لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا»، ومسلم (٤/ ١٨٤٣/ح ٢٣٨١)، وأحمد (١/ ١٥٩/ شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح». ورواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة - مغازي عروة، ص ١٢٩.

(٨٦) التوبة: ٤٠.

وانظر الأثار الواردة في سبب نزولها عند الطبري في تفسيره (٤/ ٢٥٧ - ٢٦٠)، بتحقيق شاكر، والقصة المذكورة هنا عند الشيخين وغيرهما قرنت بسبب نزولها.

(٨٧) المسند (٥/ ٨٧/ شاكر) وقال شاكر: «في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ونسب في الدر المنثور (٣/ ١٧٩) أيضا لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والخطيب...» وذكر ابن كثير في تاريخه (٣/ ١٩٨ - ١٩٩) هذه الرواية، وقال عنها: «وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ». وكذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٩٠).

==

يرتقب[88].

وروى الطبراني[89] أن رجلا من المشركين جاء إلى فم الغار، وجلس يتبول مستقبلا رسول الله ﷺ بعورته، فقال أبوبكر: «يارسول الله، إنه يرانا»، فقال: «كلا، إن ملائكة تسترنا بأجنحتها، لو كان يرانا ما فعل هذا».

ومرت أيام الغار بسلام، إلا ما ذكر من أن حجرا أصاب يد رسول الله ﷺ فقال:

«هل أنت إلا أصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت[90]»

وقد رويت بعض الأخبار الواهية فيما يتعلق بفترة وجود النبي ﷺ وأبي بكر بغار ثور، من أشهرها:

١ ـ ما رواه ابن سعد[91] والبزار[92] من أن الله أمر شجرة فنبتت في وجه

==

قلت: ورواية عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٩) منقطعا عن مقسم وقتادة ومرة موصولا عن عائشة. وقال الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي (ص١٧٣) عن تحسين ابن كثير وابن حجر لهذا الحديث: «وفي تحسينه نظر، فإن عثمان الجزري وهو ابن عمرو بن ساج، قال العقيلي: «لا يتابع في حديثه» ولهذا قال الحافظ في التقريب: فيه ضعف، ولا يقويه الشاهد الذي ذكره ابن كثير وابن حجر من رواية الحسن البصري فإنه مع كونه مرسلا ـ فيه بشار الخفاف، وهو ابن موسى، وليس بثقة كما قال ابن معين، والنسائي، وضعفه غيرهما».

قلت: قال البخاري: (منكر الحديث).

ويبدو من تعليق الأرنؤوطيين على الزاد (٣/ ٥٢) أنهما يوافقان ابن كثير وابن حجر في تحسين الحديث، ويذكران أن رجال مرسل البصري ثقات، ولم يشيرا إلى ضعف بشار الخفاف وأقوال العلماء فيه.

(٨٨) وذكره ابن كثير في تاريخ (٣/ ١٩٩)، وعزاه إلى الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر، وقال عنه: «وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار.

(٨٩) رواه الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٣ ـ ٥٤) وقال عنه: «وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب ـ وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبوحاتم وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح». وذكره الحافظ في الفتح (١٥/ ٩٤) وعزاه إلى الطبراني، ولم يتكلم فيه.

(٩٠) انظره في صحيح مسلم (٣/ ١٤٢١/ح ١٧٩٦)، وانظر تعليق عبدالباقي عليه وسيرة الذهبي، ص ٣٢٢.

(٩١) الطبقات (١/ ٢٢٩) من طريق عون بن عمرو القيسي وأبي مصعب المكي...

(٩٢) انظر كشف الأستار (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) من طريق القيسي أيضا. والقيسي والمكي ضعيفان. قال ابن معين عن القيسي: «لا شيء»، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وذكره العقيلي في الضعفاء ـ انظر: ميزان الإعتدال (٣/ ٣٠٦) ولسان الميزان (٤/ ٣٨٨). وقال العقيلي عن المكي: «مجهول» وقال عنه الذهبي: «لايعرف» ـ انظر: الميزان (٣/ ٣٠٦) واللسان (٧/ ١٠٥). وقال ابن كثير في البداية (٣/ ١٩٩): «وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضا ـ الغار ـ وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول:

==

النبي ﷺ فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأن فتيان قريش عندما وصلوا إلى قدر أربعين ذراعا من فم الغار، نظر أولهما فرأى الحمامتين، فرجع فقال له أصحابه: «مالك لم تنظر في الغار؟» قال: «رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد»، فسمع النبي ﷺ قوله، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فسمت[٩٣] عليهن وفرض جزاءهن وانحدرتا في حرم الله، فأفرخا، وأن نسل حمام الحرم منهما.

٢ - روى بعض أهل السير أن أبابكر لما قال للرسول ﷺ: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه» - قال النبي ﷺ: «لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من هنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذ البحر اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه[٩٤].

٣ - ما روي من أن أبابكر قال لابنه: يابني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سياتيك فيه رزقك غدوة وعشية[٩٥]».

==

فعمى عليه العنكبوت بنسجه * وظل على الباب الحمام يبيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا عمرو بن علي، ثنا عون بن عمرو وأبوبكر عمرو القيسي - ولقبه عوين - حدثني أبو مصعب المكي، قال: «الحديث...».

يقول ابن كثير عن هذا الحديث: وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه». وقال الألباني عن صاعد هذا في دفاع، ص١٨: «وصاعد مجهول، لا يعرف، ولم يوثقه أحد، بل أشار الحافظ ابن حجر إلى أنه لين الحديث إذا لم يتابع». وانظر الحديث بهذه الأسانيد الضعيفة عند البيهقي في دلائله (٢/ ٤٨١ - ٤٨٢) وأبي نعيم في دلائله (٢/ ٣٢٥).

وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥١ - ٥٣) وقال: «رواه البزار والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم» وتعقبه محقق كشف الأستار - الأعظمي - (٢/ ٢٩٩ حاشية) بقوله: «ليس فيه من يجهل إلا أبا مصعب المكي».

وفي هذا الحديث أن القائف كان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي أي في غير كتابي البيهقي وأبي نعيم (أعني المطبوع).

(٩٣) بارك بالدعاء.

(٩٤) قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٠١): «وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف...». قلت وإلى كلمة «قدميه» ورد بإسناد صحيح كما عند ابن حنبل في الفضائل (١٧٧١/ح ١٧٩).

(٩٥) أخرجه البزار بإسناد فيه موسى بن مطير كما في البداية (٣/ ٢٠١)، وقال عنه ابن كثير: «وموسى ابن مطير هذا ضعيف ومتروك، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه».
وزاد السعود (ص ١٦٩): «... وقال أبوحاتم: متروك الحديث ذاهب الحديث - انظر: تاريخ ابن معين (٢/ ٥٩٦) والجرح والتعديل (٨/ ١٦٢).

٤ ـ ما روي من أن رجلا من المشركين جاء حتى استقبل رسول الله ﷺ بعورته يبول، فقال أبوبكر: «يارسول الله: أليس الرجل يرانا؟» قال: «لو رآنا لم يستقبلنا بعورته[٩٦]».

٥ ـ ماروي أن أبابكر عطش في الغار، فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب إلى صدر الغار فاشرب»، فانطلق أبوبكر إلى صدر الغار فشرب منه ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك، ثم عاد، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهرا من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب[٩٧]»

التوجـه الى المدينـة:

ولما انقطع الطلب عنهما، جاءهما الدليل ـ ابن أرقد ـ بعد ثلاث ليال من بقائهما في الغار ومعه الراحلتان. وكان معهما عامر بن فهيرة. انطلق الأربعة إلى المدينة، عن طريق الساحل[٩٨].

بعد أن اتخذ الرسول ﷺ جميع الأسباب التي في مقدور البشر لينجو من الأعداء، كان مطمئنا، ولسانه رطب بذكر الله، بالدعاء، بينما كان أبوبكر يكثر الالتفات؛ حرصا منه على سلامة الرسول ﷺ[٩٩].

وعندما حانت ساعة المقيل في يومهم ذاك، وخلا الطريق، رفع الله لهم صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلوا عندها، وسوى أبوبكر بيده مكانا تحتها، وبسط عليها فروة، وطلب من الرسول ﷺ أن ينام، وخرج هو ليراقب المكان، فإذا هو براع مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أرادوا. وتكلم معه أبوبكر ليعرف أمره، فعرف أنه رجل من أهل

---

(٩٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٥٤) وقال عنه: «وفيه موسى بن مطير، وهو متروك.

(٩٧) رواه السيوطي في الخصائص (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، وقال عنه «أخرجه ابن عساكر بسند واه عن ابن عباس».

(٩٨) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٣/ح ٣٩٠٥) و(١٤: ١٤٢ ـ ١٤٣/ح ٣٦٥٢) وقد ذكر ابن إسحاق المواضع التي مر بها رسول الله ﷺ في هذا الطريق ـ ابن هشام (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٦). بدون إسناد.

مكة. ورضي أن يحلب لهم من شاة له. وطلب منه أبوبكر أن ينظف الضرع قبل الحليب، وكره أن يوقظ الرسول ﷺ للشرب، فانتظره حتى استيقظ، فشرب حتى رضي أبوبكر، ثم أمر بالرحيل[١٠٠].

وكان الرسول ﷺ يردف أبابكر معه على راحلته، وكان اذا سأل أحد أبابكر في الطريق عن الرسول ﷺ، يقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب السائل أنه يعني الطريق، وإنما كان يعني سبيل الخير[١٠١].

وروى البخاري[١٠٢] من حديث سُرَاقَة بن مالك أنهم مروا في طريقهم بحي بني مُدْلج[١٠٣]، فرآهم رجل منهم، فجاء إلى مجلس من مجالس قومه وفيهم سراقة بن مالك، فقال: «ياسراقة، إني قد رأيت آنفا أَسْوِدَة بالساحل، أراها محمدا وأصحابه». قال سراقة: «فعرفت أنهم هم: فقلت له إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا»، ثم لبث في المجلس ساعة، ثم قام فدخل داره، وأمر جاريته أن تخرج بفرسه إلى ما وراء الأكمة، ثم تجهز هو وتسلل إلى مكان فرسه، فركبها وانطلق بها. وعندما دنا من محمد ﷺ وأصحابه، عثرت به فرسه، فنزل عنها وأخرج الأزلام، فاستقسم بها ليعرف: هل يضرهم أم لا؟ فخرج السهم الذي يكره، وهو ألا يضرهم،

---

(٩٩) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٥/ح ٣٩٠٦).

(١٠٠) انظره بألفاظه في: البخاري/ الفتح (١٥/ ١١٣ - ١١٤/ح ٣٩١٧ - ٣٩١٨)، و (١٤/ ١٤٢ - ١٤٤/ح ٣٦٥٢). وروى بنحوه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/ ٢٤٠)، وعزاه إلى الطيالسي، وإسناده صحيح، كما ذكر السعود، ص ٢٠٠، وقد رواه الذهبي في سيرته، ص ٣٣٠ - ٣٣١، والحاكم في المستدرك (٣/ ٨) وصححه عن حديث البخاري وأحمد في المسند (١/ ١٥٤ - ١٥٥/ شاكر) وقال: إسناده صحيح. وفيه زيادات.

(١٠١) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٠٦ - ١٠٧/ح ٣٩١١)، وابن سعد (١/ ٣٤) بإسناد مرسل وفيه أبومعشر، وهو ضعيف، ومخالف لما في الصحيح، حيث ذكر ركوب النبي ﷺ وراء أبي بكر على ناقته - بإسناد آخر (١/ ٢٣٥) صحيح وهو أيضا فيه مخالفة لما في الصحيح في كيفية ركوب النبي ﷺ، وأحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٩٠) وإسناده صحيح، وقال الساعاتي: ورواه البخاري وابن إسحاق بمعناه.
قلت: وما في الصحيح أصح، فيقدم على غيره.

(١٠٢) الفتح (١٥/ ٩٣ - ٩٦/ح ٣٩٠٦)، ورواه بأتم من هذا: ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٥٢ - ١٥٤)، ورواه مسلم (٤/ ٣٠٩، وما بعدها/ح ٢٠٠٩)، وأحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٤ - ٢٨٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦ - ٧)، وصححه؛ وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٩٢ - ٣٩٣).. إلخ.

(١٠٣) كان مقرهم بالقرب من رابغ، وتبعهم سراقة حينما كانوا مصعدين من قديد.

ولكنه عصى فركب فرسه، وانطلق إلى أن وصل مكانا يسمع منه دعاء الرسول ﷺ ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين[١٠٤]. فنزل عنها ثم زجرها، فنهضت. وعندما انتزع الفرس يديه من الأرض، تبعهما دخان كالإعصار، فعرف حين رأى ذلك أن رسول الله ﷺ قد منع منه، وأن أمره سيظهر، فاستقسم بالأزلام، فخرج الذي يكره، فناداهم بالأمان، فوقفوا، فركب فرسه حتى جاءهم، ووقع في نفسه حين لقي ما لقي من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فأخبر الرسول ﷺ أن قومه قد جعلوا فيه الدية، وأخبرهم أخبار ما يريد الناس، وعرض عليهم الزاد والمتاع، ولكنهم لم يطلبوا منه شيئا سوى أن الرسول ﷺ طلب منه أن يخفي عنهم. وسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب له ما أراد في رقعة من جلد، ثم مضوا.

روى البخاري[١٠٥] بسنده إلى أبي بكر (رضي الله عنه): «ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا منهم أحد غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت هذا الطلب قد لحقنا يارسول الله، فقال: لاتحزن، إن الله معنا».

وعندما رجع سراقة إلى قومه، جعل يقول لهم: «قد استبرأت لكم الخبر. قد كفيتم ما ههنا[١٠٦]». وهكذا كان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما[١٠٧].

وكان كتاب الأمان مع سراقة إلى أن جاء به الرسول ﷺ، عندما فرغ من حنين والطائف، فوفاه له رسول الله ﷺ وقال: «يوم وفاء وبر»، ويومها أسلم سراقة[١٠٨].

---

(١٠٤) في حديث البراء عند البخاري ـ الفتح (١٥/ ١٠٤/ح ٣٩٠٨) وفي حديث أنس عنده ـ المصدر نفسه، ص١٠٧/ح ٣٩١١، وفي حديث البراء عند مسلم (٣/ ١٩٢/ح ٢٠٠٩) أن ذلك كان بسبب دعاء النبي ﷺ عليه.
(١٠٥) الفتح (١٤/ ١٤٤/ح ٣٦٥٢).
(١٠٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ١٢٠/ح ٣٦١٥).
(١٠٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٠٧ ـ ١٠٨/ح ٣٩١١).
(١٠٨) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ورجاله رجال الصحيح ـ ابن هشام (٢/ ١٥٤).

روى ابن حجر[109] وابن عبدالبر[110] وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟» قال: فلما أتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جُعْشُم، أعرابي من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته».

وذكر ابن إسحاق[111] أبياتا من الشعر يحرض فيها أبوجهل قوم سراقة على سراقة، ورد عليه سراقة أيضا بأبيات من الشعر[112].

ثم مر رسول الله ﷺ وصحبه في مسيره ذلك بخيمتي أم مَعْبَد الخُزَاعِيَّة، فسألوها إن كان عندها طعام، فاعتذرت بالجدب. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة قرب الخيمة، فسألها عنها، فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك». فاستأذنها في حلبها، فأذنت له قائلة: «إن رأيت بها حلبا فاحلبها». فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فدرت، فدعا بإناء لها، فحلب فيه، فسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب وحلب فيه ثانيا، حتى ملأ الإناء وتركه لها، ثم ارتحلوا.

وعندما جاء زوجها أبومعبد ورأى اللبن عجب من ذلك، فأخبرته بالذي حدث من محمد ﷺ، فقال: «والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه»، وطلب منها أن تصفه له، فوصفته له، وعندما سمع وصفها، قال: «والله

---

(109) الإصابة (2/ 19) بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طرفيه، فلا يصح.

(110) الاستيعاب (2/ 120) بإسناد رجاله ثقات، لكنه منقطع من طرفيه فلا يصح. وانظر رسالة الهجرة، ص180 ـ وهو إسناد ابن حجر نفسه.

(111) من رواية يونس بن بكير بدون إسناد ـ ذكره البيهقي في دلائله (2/ 489)، وذكر أبيات سراقة ولم يذكر أبيات أبي جهل. وانظر أبيات أبي جهل التي أوردها المحقق لأن البيهقي لم يوردها.

(112) وانظر ابيات سراقة وأبيات أبي جهل في البداية لابن كثير (3/ 204)، وقال: «وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق، وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتا تتضمن كفرا بليغا» ـ وانظر الدلائل لأبي نعيم (2/ 336 ـ 337) وهو كما قال ابن كثير، وهي من رواية ابن إسحاق ـ بدون إسناد.

هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إنْ وجدت إلى ذلك سبيلا»، وأصبح صوت بمكة عاليا - يسمعونه ولا يرون القائل.

سلوا اختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد[113].

ومر الركب في طريقه بعبد يرعى غنما، فطلبوا منه طعاما، فاعتذر لهم بأن لا لبن في شياهه، إلا شاة - أو عناقا - جف لبنها قريبا، فاستأذنه الرسول ﷺ، فمس ضرعها فحلبت، ورووا منها جميعا، وعندما رأى الراعي ذلك أسلم، وطلب أن يتابع الرسول ﷺ، ولكن الرسول ﷺ طلب منه أن يأتي عندما يسمع بظهوره[114].

ولقوا في طريقهم ركبا من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، فيهم

---

(١١٣) أخرج قصة الرسول ﷺ وأم معبد، الحاكم في مستدركه (٣/ ٩ - ١٠) مطولة من حديث هشام ابن حبيش، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وذكر أمورا يستدل بها على الصحة، ووافقه الذهبي، وقال: «صحيح»، ولكنه نازعه في توافر شرط الصحيح، وفيه أنه عن هشام بن حبيش ابن خويلد، وفيه خطأ من عدة نقاط، لفظ «عن جده حبيش»، وخويلد خطأ، والصواب خالد». ذكر هذه الملاحظة الدكتور عبدالمهدي في محاضراته المطبوعة على الآلة الكاتبة، تحت عنوان: السيرة النبوية من الكتاب والسنة... ص ٥٤.
وقال الأرنؤوطيان في حاشية زاد المعاد (٣/ ٥٧): «حديث حسن ورواها البيهقي في دلائله (٢/ ٤٩١ - ٤٩٢) من حديث يحيى بن زكريا، قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢١١): «إسناد حسن». وتبعه الدكتور السعود في رسالة الهجرة - ص ١٩٨، فقال: «لكنه منقطع لأن عبدالرحمن ابن أبي ليلى لم يدرك أبا بكر...» وأحال إلى جامع التحصيل، ص ٢٧٥ والتهذيب (٦/ ٢٦٠).
ومضمون رواية البيهقي قريب من مضمون رواية هشام بن حبيش ورواها بنحو رواية ابن حبيش بسنده إلى أبي معبد كما ذكر ابن كثير (٣/ ٢١١ - ٢١٢) وعزاه إلى البيهقي ١١١ وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٠٩) عن قصة أم معبد: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا» وساق الروايات المختلفة فيها (٢/ ٢٠٩ - ٢١٤). وذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠٧) طرفا من رواة قصتها، وذكرها الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥ - ٥٨) عن حبيش بن خالد، وقال رواه الطبراني وفي اسناده جماعة لم أعرفهم، وذكره في علامات النبوة، باب صفته ﷺ. ورواها ابن سعد في طبقاته مطولة عن أم معبد (١/ ٢٣٠ - ٢٣٢)، ورواها البزار مختصرة بإسناد ضعيف: (كشف الاستار (٢/ ٣٠٠ - ٣٠١). والخلاصة إن القصة تتقوى إلى درجة الحسن لغيره لكثرة طرقها وشهرتها - كما قال الدكتور السعود في رسالة الهجرة، ص ١٩٩. وسيأتي وصف ام معبد للرسول.

(١١٤) أخرج هذه القصة الحاكم في المستدرك (٣/ ٨/) من حديث قيس بن النعمان، وصححها ورواها السيوطي في الخصائص (١/ ٣١٢) وعزاها إلى أبي نعيم وأبي ليلى والطبراني والحاكم والبيهقي ونقل ابن كثير في البداية (٣/ ٢١٣) هذه القصة عن البيهقي، وقال: «رواه أبويعلى الموصلي. وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢١٣) معلقا على هذه القصص الخاصة بمعجزات الشياه: «يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة». قلت: ويحتمل التعدد، وهو ما نميل إليه.

الزبير، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر بثياب بيض[١١٥].

وعندما وصلوا العرج، احتاجوا للاستفسار عن الطريق، فدلهم أحد القاطنين على الطريق وبين لهم أن الطريق القريب عليه لصان من قبيلة أسلم، يقال لهما «المهانان»، ولم يبال الرسول ﷺ بهما، وعندما لقيهما عرض عليهما الإسلام، فأسلما، وسماهما «المكرمان»، وطلب منهما القدوم عليه في المدينة[١١٦].

وروى البزار[١١٧] وابن الأثير[١١٨] بسنديهما إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، أن رسول الله ﷺ لما اقبل في مهاجره لقي ركبا، فقال: «ياأبابكر: سل القوم فممن هم؟» قالوا: من أسلم، قال: «سلمت يا أبابكر، سلهم من أي أسلم؟» قالوا: من بني سهم، قال: «ارم بسهمك ياأبابكر».

وروي أنهم عندما وصلوا الجحفة وجدوا إبلا، فقال رسول الله ﷺ: «لمن هذه الإبل؟» فقالوا: «لرجل من أسلم». فتفاءل ﷺ: وقال لأبي بكر: «سلمت إن شاء الله»، وسأل الراعي عن اسمه، فقال: «مسعود»، فتفاءل ﷺ وقال لأبي بكر: «سعدت إن شاء الله[١١٩]».

وقيل إن إحدي راحلتيهما تخلفت عنهما، فعندما جاء صاحب الإبل، وهو أوس بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حجر الأسلمي، فأعطاهما فحلاً، وطلب

---

(١١٥) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٩٧/ح ٣٩٠٦) ولابن حجر مناقشة للجمع بين ما ذكره أهل السير والبخاري في هذه القصة، وخلاصته أن الخبر أخرجه موسى بن عقبة عن الزهري وزاد فيه قوله: «ويقال لما دنا من المدينة كان طلحة قدم من الشام فخرج عائدا إلى مكة إما متلقيا وإما معتمرا ومعه ثياب أهداها أبابكر من ثياب الشام فلما لقيه أعطاه فلبس منها هو وأبوبكر ـ وهذا إن كان محفوظا احتمل أن يكون كل من طلحة، والزبير أهدى لهما من الثياب...» انظر بقية أقوال أهل السير عند ابن حجر: الفتح (١٥/ ٩٧).

(١١٦) أخرج القصة عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٤/ ٧٤) ـ وانظر: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٨٨) وسكت الساعاتي عن إسناده. وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٨) وقال: «رواه عبدالله بن أحمد، وابن سعد اسمه عبدالله ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات».

(١١٧) كشف الأستار (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥): «رواه البزار وفيه عبدالعزيز ابن عمران الزهري وهو متروك».

(١١٨) أسد الغابة (١/ ٢٠٩)، طبعة دار الفكر، وإسناده منقطع.

(١١٩) الى هنا رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٠٩) من رواية أبي نعيم، ولم يتكلم عنه. قلت: انظر المعرفة لأبي نعيم (٢/ل ١٨٢/ أ) وفي إسناده محمد بن عباد بن موسى العكلي، وفيه ضعف، وموسى بن عباد وإياس بن مالك لم يترجم لهما أحد، فالخبر ضعيف.

من غلامه مسعود أن يصحبهم إلى المكان الذي يريدونه، فوصل معهم إلى قباء(١٢٠).

وروي أن أوسا بن عبدالله بن حجر الأسلمي مر برسول الله ﷺ ومعه أبوبكر «بحدوات»، بين الجحفة وهرشى، وهما على جمل واحد متوجهين إلى المدينة، فحملهما على فحل إبله «ابن الرداء»، وبعث معهما غلامه مسعود، وطلب منه أن يسلك بهما حيث يعلم من الطريق، ولا يفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منه، . . . فأوصلهما المدينة ثم عاد، و قد حمله وصية إلى سيده، وهي أن يسم إبله على أعناقها(١٢١).

ولقي ركب الهجرة عند الغميم بريدة بن الحصيب الأسلمي ـ زعيم قومه حينذاك ـ وكان قد خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر، أملا في الفوز بالجائزة المعلنة من قبل قريش. وعندما التقى برسول الله ﷺ، وحدثه الرسول ﷺ في أمر الإسلام، أسلم وأسلم معه زهاء ثمانين بيتا من قومه، وقيل سبعين(١٢٢). وبات بريدة مع الرسول ﷺ، وفي الصباح قال بريدة: «يارسول

---

(١٢٠) إن مضمون هذا الخبر في الاستيعاب (١/ ٨٢). وقد حسن ابن عبدالبر إسناده.

(١٢١) رواه ابن هشام في زياداته على سيرة ابن إسحاق، وبدون إسناد. انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٥٦). ورواه ابن حجر في الإصابة (١/ ٨٦) ترجمة أوس بن عبدالله، وذكر أن الطبراني قد رواه، وكذلك قال: «رواه أبوالعباس بن السراج في تاريخه، مرسلا . . .» ثم قال: قال ابن عبد البر (الدرر، ص ٩١): «مخرج حديثه عن ولده، وهو حديث حسن». قلت: وتحسين ابن عبدالبر له بناء على اختياره قبول الحديث المرسل، لكن جمهور المحدثين على رده، ولهم شروط في قبوله مثل حالات الاعتضاد والمتابعات والشواهد. والتفريق بين مرسل فلان ومرسل علان . . . إلخ الكلام الطويل في هذا الأمر. انظر في هذا: كتب أحكام المراسيل، وكتب مصطلح الحديث. والخبر في الاستيعاب (١/ ٨٢). وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٥) وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم. وذكر ابن حجر (١٥/ ١٠٧) أنه أخرجه أبوسعيد في «شرف المصطفى» من طرق إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي، ووصله ابن السكن والطبراني عن إياس عن أبيه عن جده أوس بن عبدالله بن حجر فذكر نحوه مطولا . . .» وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٣٨ ـ ترجمة مالك بن أوس): «وفي مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أن الرجل الذي مروا به هو مالك بن أوس. وأن اسم الفحل «ابن اللقاح» واسم الغلام «مغيث») وذكر أن مالك بن أوس وأباه أوسا من الصحابة وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/ ٣٨٢): «له صحبة فيها ذكر بعضهم، وفيه نظر».

قلت: وفي إسناد ابن حجر فيفي بن وثيق، قال عنه ابن معين: «كذاب خبيث انظر: ديوان الضعفاء للذهبي، ص ٢٥٠، وقد حسن بعضهم حال فيفي هذا.

(١٢٢) روى خبر لقاء رسول الله ﷺ ببريدة وإسلامه مع جماعة من قومه:

أ ـ الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٦):

ب ـ وابن سعد (٤/ ٢٤٢) من رواية الواقدي ـ وعنده أن الذين أسلموا معه زهاء ثمانين بيتا

==

الله: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء». فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة(١٢٣).

الوصول إلى المدينة:

روى البخاري(١٢٤) وابن إسحاق(١٢٥) والحاكم(١٢٦) وغيرهم أنه عندما بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فاذا اشتد الحر رجعوا إلى منازلهم. فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة من المبعث ـ وهي السنة الأولى من الهجرة ـ الموافق الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) سنة اثنتين وعشرين وستمائه من الميلاد(١٢٧) خرجوا على عادتهم، فلما حمي الحر رجعوا. وصعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه،

==

من قومه، وصلوا مع رسول الله ﷺ العشاء وأن مكان اللقاء هو الغميم، وعلمه الرسول ﷺ صدرا من سورة مريم في تلك الليلة.

ج ـ والذهبي: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩)، وفي السيرة النبوية، ص ٣٣٠ بإسناد فيه أوس بن عبدالله بن بريدة وهو متروك، ووثقة ابن حبان، وقال إن المناكير من طريق أخيه سهيل. وابن حبان متساهل في التعديل. وفيه أنه أسلم معه سبعون من قومه. وقد حكى ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٢٠٩) القولين، بإسنادين: الأول معلق والثاني منقطع. وفي الأول أنهم كانوا نحو ثمانين بيتا، وفي الثاني أنهم كانوا سبعين راكبا.

د ـ وابن حجر في الإصابة (١/ ١٤٦) بدون إسناد، من حديث ابن السكن، وفيه أنه أقام بموضعه حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك، وقيل أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر...

هـ ـ ابن عبدالبر في الاستيعاب (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤) بدون إسناد، بنحو رواية ابن سعد.

(١٢٣) أورد هذه الجزئية من قصة بريدة في الهجرة الديار بكري: تاريخ الخميس (١/ ٣٣٥)، وهي عنده من رواية ابن الجوزي في كتابه شرف المصطفى، من طريق البيهقي موصولا إلى بريدة. وانظر الزرقاني: شرح المواهب اللدنية (١/ ٤٢١).

(١٢٤) الفتح (١٥/ ٩٧ ـ ٩٩/ح ٢٩٠٦) و (١٥/ ١١٩/ح ٣٩٢٥).

(١٢٥) بإسناد حسن ـ انظر: ابن هشام (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(١٢٦) المستدرك (٣/ ١١) وصححه ووافقه الذهبي وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.

(١٢٧) انظر: الرحيق المختوم، ص ص ١٩٠ ـ ١٩١ نقله عن «رحمة للعالمين» (١/ ١٠٢)، وقال في الحاشية: «وفي هذا اليوم تم عمره ﷺ ثلاثة وخمسين عاما كاملا.. وتم على نبوته ثلاثة عشر عاما كاملا عند من يقول إنه أكرم بالنبوة في التاسع من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، وأما من يقول إنه أكرم بها في رمضان سنة إحدى وأربعين من عام الفيل فعنده يتم على نبوته في ذلك اليوم ـ اثنا عشر عاما وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما أو اثنان وعشرون يوما». وانظر: مناقشة ابن حجر الفتح (١٥/ ٩٨) لجميع الآراء في تاريخ نزوله ﷺ قباء. والمشهور من رواية ابن إسحاق أنه ١٢ ربيع الاول ـ ابن هشام (٢/ ١٥٦).

فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرخ بأعلى صوته: «يامعشر العرب[١٢٨]، هذا جدكم الذي تنتظرون»، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، وسمعت الرجة والتكبيرة في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحا بقدومه وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة. وكان مَنْ لم ير الرسول ﷺ من قبل يحيي أبابكر ظنا منهم أنه الرسول ﷺ. وعندما اشتد الحر، قام أبوبكر فأظل النبي بردائه، فعرفوا الرسول ﷺ[١٢٩] فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه والوحي ينزل عليه: ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[١٣٠]، وصاح النساء والخدام والغلمان: جاء محمد، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد[١٣١]. وأنشد المستقبلون:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع[١٣٢]

---

(١٢٨) عند ابن إسحاق: «يابني قيلة» - يعني الأنصار، وهو اسم جدة لهم - ابن هشام (٢/ ١٥٧).
(١٢٩) الى هنا تنتهي رواية البخاري.
(١٣٠) التحريم: ٤.
(١٣١) انظر في هذه الجزئية: المستدرك (٣/ ١٣) وقال الحاكم: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وأشار الذهبي إلى أنه في الصحيحين.
(١٣٢) لقد وقف بعض العلماء عند هذا النشيد، وناقشوه من حيث السند والمتن، لوجود إشكال في روايته، إذ وردت فيه كلمة «ثنيات الوداع» التي اشتهر أنها من جهة الشام وليس من جهة مكة. قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٢٠) وأخرج أبوسعيد في شرف المصطفى، ورويناه في فوائد الخلعي.. منقطعا: «لما دخل النبي ﷺ المدينة جعل الولائد يقلن:
طلع البدر علينا * * من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا * * ما دعا لله داع.
وهو سند معضل ولعل ذلك كان في قدومه من تبوك». ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧) بإسناد ضعيف جدا لإعضاله، فإن بين ابن عائشة وبين النبي ﷺ مفاوز، إذ توفي سنة ٢٢٨هـ وقد قبل المباركفوري ترجيح المنصورفوري (رحمة للعالمين ١/ ١٠٦) في ورود هذا النشيد عند مقدمه إلى المدينة من مكة، على أساس أن له أدلة لا يمكن ردها. ولا يوافق ابن القيم في الزاد (٣/ ٥١١١) على قول من قال بأن ذلك كان حين مقدمه من مكة إلى المدينة.
أما عرجون في كتابه (محمد رسول الله) ﷺ (٢/ ٦٠٢) فقد ذكر أن النشيد المشهور في المواهب اللدنية وأن القسطلاني قال في المواهب - بعد سياقه حديث أنس: «وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير - أي الأسطحة - عند قدومه ﷺ يقلن: طلع البدر...» وحديث أنس من رواية أبي داود. ويرى عرجون صحة نسبة النشيد إلى حادثة قدومه إلى داخل المدينة - دار أبي ايوب، ويوفق بين الروايات ويناقشها ولا يستبعد تكرار إنشاد النشيد في زمن عودته من تبوك. فليراجع عرجون (٢/ ٦٠٢ - ٦١١). ونحن نميل مع عرجون إلى تعدد إنشاد النشيد وإلى أن ثنيات الوداع ليست إلى جهة الشام فقط، انظر مناقشة أبي تراب الظاهري لهذه المسالة في: «الأثر المقتفى لقصة هجرة المصطفى»، (ص ص ١٥٥ - ١٦٢).

ثم سار حتى نزل قباء في بني عمرو بن عوف ـ من الأوس ـ على كلثوم ابن الهدم، لمدة أربع عشرة ليلة، فيها أسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد الهجرة.

وبعد ذلك ركب رسول الله ﷺ بأمر الله، وأبوبكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار ـ أخواله ـ فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مائة رجل[١٣٣]. وكانت أول جمعة داخل المدينة[١٣٤].

دخل رسول الله ﷺ المدينة بعد الجمعة، في جو مشحون بالفرح والبهجة والسرور[١٣٥]. وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته قائلين: هلم إلى العـدد والعدة والسلام والمنعة، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فلم تزل تسير به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم، فبركت فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت ورجعت وبركت في موضعها الأول، فنزل عنها وذلك في بني النجار، أمام دار أبي أيوب الأنصاري. وبادر أبو أيوب إلى الرحل فأدخله بيته، فجعل

---

(١٣٣) رواه ابن سعد (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) بإسناد متصل ورجاله ثقات، وابن إسحاق معلقا: ابن هشام (٢/ ١٥٩).

(١٣٤) إذا اعتبرنا رواية ابن إسحاق في قدومه ﷺ المدينة ونزوله بقباء والدخول إلى المدينة وبناء المسجد والإقامة في دار أبي ايوب، بسند واحد، كما فهم البيهقي في دلائله (٢/ ٥١٢)، فنقول: «رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ١٥٩)». ورواه عنه البيهقي في دلائله (٢/ ٥١٢)، ولم يصرح فيه ابن اسحاق بالسماع.

(١٣٥) ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٢٠) أن جواريَ من بني النجار خرجن يضربن الدفوف ـ عندما حل بديارهم ـ وهن يقلن:

نحن جوارٍ من بني النجّار *** ياحبذا محمد من جار

وعـزاه إلى الحـاكم من طريق إسحـاق بن أبي طلحة عن أنس. وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢١٩) من رواية البيهقي بسنده إلى أنس (٢/ ٥٠٨) وزاد فيه بعد هذا الرجز: «فخرج إليهم رسـول الله ﷺ فقـال: أتحبوني؟ فقالوا: أي والله يارسول الله، فقال ـ ثلاثا ـ: وأنا والله أحبكم». وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يروه أحد من أصحاب السنن وقد خرجه الحاكم في مستدركه كما يروى». وقال الألباني في «دفاع»، ص ٢٤ عن إسناده: «... وعلته ابن صرمة...» واخرجه البيهقي في دلائله (٢/ ٥٠٨) من طريق آخر إلى أنس وفيه أنهن قلن ذلك عندما مر الرسول ﷺ بحي بني النجار وأنه قال لهن: «الله يعلم أن قلبي يحبكن» ولم يذكر فيه أنه كان عند قدومه إلى المدينة، وصحح الألباني إسناده في (دفاع)، ص ٢٤، ثم قال: « بل في البخاري ومسلم وغيره من طريق ثالثة عن أنس أن ذلك كان في عرس ولكنه لم يذكر الرجز».

رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وأخذ أسعد بن زرارة الراحلة[١٣٦].

نزل رسول الله ﷺ في القسم الأسفل من دار أبي أيوب، وأبو أيوب في القسم العلوي. فانتبه أبو أيوب ذات ليلة، فقال: «نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ!» فتنحوا إلى جانب. وفي الصباح طلب من الرسول ﷺ الانتقال إلى القسم العلوي، فقال النبي ﷺ: «السفل أرفق» ولكن أبا أيوب قال: «لا أعلو سقيفة أنت تحتها». فتحول الرسول ﷺ إلى القسم العلوي، ونزل أبو أيوب إلى القسم السفلي.

وكان أبو أيوب يصنع للنبي ﷺ طعاما. فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه. فصنع له طعاما فيه ثوم. فلما رد إليه سأل موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه، فقال: «أحرام هو؟» فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أكرهه» قال: «فإني أكره ما تكره، . . .»؛ وذلك لأن الرسول ﷺ كانت تأتيه الملائكة[١٣٧].

وعندما انكسرت جرة ماء أبي أيوب ذات يوم، عندما كان بالعلوي، نشف هو وأم أيوب ماءها بقطيفتهما الوحيدة التي يلتحفان بها؛ تخوفا من أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه[١٣٨].

وروي أن أبا أيوب سأل الرسول ﷺ أن ينتقل إلى القسم العلوي من داره، بسبب هذه الحادثة، فاستجاب الرسول ﷺ لطلبه[١٣٩]. وروى

---

(١٣٦) خبر قدوم الرسول ﷺ المدينة وقوله: «دعوها فإنها مأمورة». رواه ابن سعد (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧) بسند متصل رجاله ثقات - ماعدا الواقدي. ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٥٩). وقول الرسول ﷺ، «المرء مع رحله»، جاء في ر واية البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩) بإسناد فيه عطاف بن خالد وفيه ضعف، قال عنه ابن حجر «صدوق يهم» وصديق بن موسى لم يذكروا أنه يروي عن عبدالله بن الزبير، فيخشى أن لا يكون أدركه، ومع ذلك قال عنه الذهبي في الميزان: «ليس بالحجة».

قلت: ولكن يقوي هذا الحديث ورود القصة عموما بإسناد حسن عند ابن إسحاق.

(١٣٧) رواه مسلم (٣/ ١٦٢٣ - ١٦٢٤/ح ٢٠٥٣ وغيره).

(١٣٨) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ١٦٤) والحاكم (٣/ ٤٦٠) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في تلخيصه.

(١٣٩) أخرج ذلك ابن حجر في الإصابة (١/ ٤١٥) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير عن أبي رهم عن أبي أيوب.

مسلم[١٤٠] وأحمد[١٤١] أن سبب الانتقال هو كراهية أبي أيوب وأم أيوب أن يمشيا فوق رأس رسـول الله ﷺ. ومـا في الصحيح أصح. وكانت مدة إقامته ﷺ في دار أبي ايوب شهرا واحدا[١٤٢] على الأرجح.

ومـا كانت تمر ليلة إلا على باب رسـول الله ﷺ الثلاثة والأربعة من الصحابة الأنصار، يتناوبون في حمل طعامهم إلى رسول الله ﷺ، حتى تحول من منزل أبي أيوب إلى داره[١٤٣].

ونـزل أبـوبكر (رضي الله عنه) على حبيب ويقال خبيب بن يساف، بالسنح، ويقال نزل على خارجة بن زيد[١٤٤].

الأحكام والدروس المستفادة من أحداث الهجرة إلى المدينة:

١ ـ أوضح الرسول ﷺ في خطبة له أيام فتح مكة. أن لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية[١٤٥]، فلم تعد الهجرة من مكة إلى المدينة واجبا، وإن بقي حكمهـا من بلاد الكفـر إلى بلاد الإسلام واجبا إلى يوم القيامة[١٤٦]. فقد شرعت الهجرة إلى المدينة ليعبد المسلمون ربهم بأمان

---

(١٤٠) مسلم (٣/ ١٦٢٣/ح ٢٠٥٣).

(١٤١) أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٩٣).

(١٤٢) جاء ذلك في حديث من رواية أبي أيوب عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦١) وسكت عنه الحاكم والذهبي. قلت: والخبر بهذا الإسناد موضوع لأن فيه عبدالله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أباعبدالرحمن. قال ابن حبان في ترجمة عبدالله بن زحر: «يروي الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبدالله وعلي بن يزيد والقاسم وأبو عبدالرحمن لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم» وعلى الرغم من هذا فالخبر أقرب إلى المعقول من غيره، ويؤيد هذا ما رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩) من أن الرسول ﷺ أقام في العريش الذي كان يصلي فيه ابن زرارة مع جماعة من المسلمين قبل مجيء الرسول ﷺ، اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد. وإسناد البيهقي ضعيف لأن فيه صديق ـ ليس بحجة، وعطاف ـ صدوق يهم، وشيخ البيهقي لم أقف على ترجمته. فإذا ضم إلى هذه الفترة فترة بناء حجر زوجات الرسول ﷺ فيكون الجميع نحو شهر. وذكر ابن حجر في التهذيب (٩١١٣) أن الرسول ﷺ أقام في منزل أبي أيوب شهرا قبل بناء مسجده. ذكر ابن سعد (١/ ٢٣٧) بإسناد متصل ورجاله ثقات ـ ماعدا الواقدي، أن إقامته كانت سبعة شهور وذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠١ و١٠٩) عن ابن سعد، ولم يعترض عليه، وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٢١ و ٢٣٥) وقال: «قال غيره أقل من شهر، والله أعلم.

(١٤٣) من رواية ابن سعد المذكورة (١/ ٢٣٣)، وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٢٢).

(١٤٤) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٣): «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ١٥٧)، وهو جزء من حديث ابن إسحاق في انتظار أهل المدينة قدوم الرسول ﷺ إليهم مهاجرا.

(١٤٥) البخاري/ الفتح (١١/ ٣٠٣/ح ٢٨٢٥)، مسلم (٣/ ٤٨٧/ح ١٣٥٣.

(١٤٦) ابن حجر: الفتح (١٥/ ٨٢) و (١١/ ٣٠٤)، وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٧٦).

ويقيموا كيان الدولة الإسلامية ويحموه، ثم يوسعوا رقعة هذه الدولة بالدعوة إلى الله؛ والهجرة بعد فتح مكة؛ لم تعد ضرورة؛ لأن كيان الإسلام قد قوي وصارت للمسلمين دولة، فأصبح وجود المسلمين في ديارهم أجدى لإقامة شعائر الإسلام ونشر تعاليمه في سائر الأرجاء، أما الجهاد فماض إلى يوم القيامة. ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة[١٤٧]. وقد بين ابن عمر (رضي الله عنه) ذلك بقوله: «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»، أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة على من أسلم وخشي أن يفتن في دينه[١٤٨].

ويستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾[١٤٩].

وهكذا اقتضت ظروف قيام الدولة الإسلامية في المدينة، وحاجتها إلى جنود يحمونها أن تكون الهجرة إلى المدينة واجبة على كل مسلم قادر. قال الخطابي: كانت الهجرة إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله تعالى هذا الأمر في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلَايتهم من شيء حتى يهاجروا[١٥٠]﴾[١٥١] فلما

---

(١٤٧) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٧/ح ٤٣٠٥ - ٤٣١٢).
(١٤٨) ابن حجر/ الفتح (١٥/٨٢/ك. المغازي).
(١٤٩) النساء: ٩٧ - ٩٨، انظر: الفتح : (١١/٣٠٣).
(١٥٠) الأنفال: ٧٢.
(١٥١) انظر: تفسير الآية عند الطبري (١٤/٧٨ - ٨٧/ شاكر) وقال الطبري في تفسير «من ولايتهم» يعني من نصرتهم وميراثهم.

فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل، سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب[152].

وفي ضوء هذا يمكن القول بأنه إذا كان أي بلد من بلاد الكفر أعون للمسلم على ممارسة دينه والدعوة إليه، فهو أجدر بالإقامة فيه إذا تيسر سبيل ذلك للمسلم، ولا تجب عليه الهجرة، لأن هذه البلاد أصبحت مثل دار الإسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام[153].

٢ - استخدم الرسول ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل. وليس ذلك بسبب خوف على نفسه، أو شكّ في إمكان وقوعه في قبضة المشركين؛ وإنما هذا تشريع للأمة ليتأسى الناس به، فيأخذوا بالأسباب في كل أعمالهم، وأن سنة الله أن السبب إذا وجد معه المسبب ما لم يبطل الله ذلك كما فعل في جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم (عليه السلام) فعندها تكون هذه معجزة للنبي وإن كانت لغيره فهي كرامة للصالحين واستدراج للطالحين من الناس، والدليل على ذلك انه بعدما استنفد الأسباب المادية كلها كان مطمئنا، وصاحبه أبوبكر كان خائفا، وكان من مقتضى اعتماده على تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع.

لقد كان كل ما فعله من الاحتياطات إذاً، وظيفة تشريعية قام بها، فلما انتهى من أدائها، عاد قلبه مرتبطا بالله (عز وجل)، معتمدا على حمايته وتوفيقه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله (عز وجل)، وأن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب والتدبير للوصول إلى الأهداف[154].

٣ - إن قبول علي بن أبي طالب النوم على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة

---

(١٥٢) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/٨٢).
(١٥٣) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/٨٢).
(١٥٤) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ١٤٥.

منقبة عظيمة لعلي، دلت على إيمانه وشجاعته. وهذا يدل على جواز خداع العدو والتمويه عليه عملا بأسباب النجاة.

٤ - إن الدور الذي قام به الشباب في تنفيذ خطة الرسول ﷺ للهجرة، مثل دور علي وأبناء أبي بكر، يعد دورا نموذجيا رائدا لشباب الإسلام.

٥ - إن المعجزات التي أجراها الله تعالى لحماية نبيه ﷺ في هذه الرحلة، جاءت كما جاء غيرها، كضرب من ضروب التكريم للرسول ﷺ وإشارة إلى أن الله ناصره وممكن لدينه في أرضه، طال الزمن أم قصر.

٦ - إن الدور الذي قام به أبوبكر (رضي الله عنه) في الهجرة يعد منقبة كبرى له، ويكفيه تكريما أن يذكر في القرآن بمناسبة هذا الدور، ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا...﴾.

٧ - إذا تأملنا في قصة تبرك أبي أيوب الأنصاري وزوجه بآثار الرسول ﷺ، وإقـرار الرسول ﷺ لذلك، تبين لنا مشروعية التماس البركة من آثار النبي ﷺ، إن وجدت[١٥٥].

٨ - دل تصرف أبي أيوب وأم أيوب على مدى محبة الصحابة (رضي الله عنهم) للرسول ﷺ، وهي صورة متكررة في كل مقطع من مقاطع هذه السيرة.

٩ - إن في إعراض الرسول ﷺ عن أكل الثوم النيء دل على أن ذلك من خصوصياته (عليه السلام)، وقد أحله للمسلمين بشرط ألا يأكلوه ثم يرتادوا المساجد قبل أن تزول رائحته، وقد وجه الرسول ﷺ إلى أن من يريد أكل الثوم فليمته طبخا[١٥٦].

---

(١٥٥) انـظر في هذا الألباني: التوسل - أنواعه وأحكامه، تنسيق محمد عيد العباسي ط ٢، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ص ١٤٢ - ١٤٧.

(١٥٦) مسلم (١/٣٩٦/ح ٥٦٧)، ورواه غير مسلم.

الفصل الثالث

أسس بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية بالمدينة

المبحث الأول: بناء المسجد:

كان رجال من المسلمين يصلون في ذلك المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول ﷺ، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل، غلامين يتيمين من بني النجار، في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما[1] بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: «بل نهبه لك يارسول الله». فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا[2]. وفي رواية أخرى للبخاري[3] أنه عليه السلام عندما أمر ببناء المسجد، أرسل إلى ملأ بني النجار، وعندما جاؤوه، قال لهم: «يابني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا»، فقالوا: «لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله».

قال ابن حجر[4]: «واحتج من أجاز بيع غير المالك بهذه القصة لأن المساومة وقعت مع غير الغلامين، وأجيب باحتمال أنهما كانا من بني النجار فساومهما وأشرك معهما في المساومة عمهما الذي كانا في حجره كما تقدم في الحديث...».

وفي الصحيح أن مكان المسجد كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب وكان فيه نخل. فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب

---

(١) قال ابن حجر في الفتح (١٥/١٠١): «في رواية ابن عيينة: فكلم عمهما - أي الذي كانا في حجره - أن يبتاعه منهما، فطلبه منهما فقالا: ما تصنع به؟ فلم يجد بدا من أن يصدقهما».
(٢) البخاري: الفتح (١٥/١٠١/ح ٣٩٠٦).
(٣) الفتح (١٥/١٢٥/ح ٣٩٣٢).
(٤) الفتح (١٥/١٢٦).

فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون ذلك الصخر[٥]. وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن لبنيانه، ويقول وهو ينقله:

هـذا الحمـال لاحمـال خيبـر * هـذا أبـر ربنـا وأطهـر[٦]

ويقـول:

اللهم إن الأجـر أجـر الآخـرة * فارحـم الأنصـار والمهاجـرة

وفي رواية أنهم كانوا ينقلون الصخر ويرتجزون ورسول الله ﷺ معهم، يقولون:

اللهم إنه لاخير إلا خير الآخـرة * فانصـر الأنصـار والمهاجـرة[٧]

وقال قائل من المسلمين في ذلك:

لئـن قعدنـا والرسـول يعمـل * لَـذَاك منـا العمـل المضلـل[٨]

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

لا يستوي من يعمـر المساجدا * يـدأب فيهـا قائمـا وقاعـدا
ومـن يـرى مـن التراب حائـدا[٩]

وكان الرسول ﷺ يقدم في العمل من يجيد جانبا منه. ففي حديث طلق ابن علي اليمامي الحنفي أن الرسول ﷺ كان يقول للعاملين في بناء المسجد من الصحابة، «قربوا اليمامي من الطين، فإنه أحسنكم له مسا، وأشدكم له سبكا». وفي رواية «فأخذت المسحاة فخلطت الطين فكأنه أعجبه، فقال:

---

(٥) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٢٥/ح ٣٩٣٢).
(٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٠١ - ١٢٠/ح ٣٩٠٦) - والحمال: المحمول من اللّبن، وأبر: أبقى ذخرا وأكثر ثوابا وأدوم منفعة وأشد طهارة من حمال خيبر التي يحمل منها التمر والزبيب، ونحو ذلك.
(٧) المصدر نفسه، ص ص ١٢٥ - ١٢٦.
(٨) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٠٣) ونسبه إلى الزبير من طريق مجمع بن يزيد.
(٩) المصدر نفسه، من طريق أخرى، طريق أم سلمة (رضي الله عنها).

دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين[10]»، وفي رواية البيهقي[11]: «قربوا اليمامي من الطين فإنه من أحسنكم له بناء».

وكان عمار بن ياسر من أنشط العاملين في البناء، فبينما كان كل واحد يحمل لبنة، كان عمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن الرسول ﷺ فمسح رسول الله ﷺ ظهره، وقال: «ابن سمية: للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية[12]».

وهذا الحديث من دلائل النبوة، لأن عماراً قتل في الفتنة التي نشبت بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وكان في جيش علي، فقتله جنود معاوية (رضي الله عنه)، ومات بالكيفية التي ذكرها الرسول ﷺ. وقد اجاد ابن كثير[13] وابن حجر[14] في شرح هذا الحديث.

واستغرق البناء اثني عشر يوما[15]. وبعد الفراغ منه، بنيت حجر لأزواج النبي ﷺ بنفس كيفية بناء المسجد. وبعد اكتمالها انتقل الرسول ﷺ إليها من بيت أبي أيوب. فكان لسودة بنت زمعة بيت وآخر لعائشة (رضي الله

---

(١٠) ذكر هاتين الروايتين ابن حجر في الفتح (٣/ ١١٢)، وقال: «رواه أحمد».

(١١) عن حديث طلق بالفاظه المختلفة، انظر رواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٥) بإسناد صحيح، وأصلها في السنن، وابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٣٢)، والفتح (٣/ ١١٢) وابن حبان في زوائده، ص ٩٨/ رقم ٣٠٣ ولفظه: «فقلت يارسول الله، أأنقل كما ينقلون؟ فقال: لا، ولكن اخلط لهم الطين فأنت أعلم به».

(١٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٣٦/ح ٢٩١٦) وأحمد: المسند (٣/ ٥)، و(٤/ ٣١٩) والحاكم (٣/ ٣٨٩) وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه»، والبخاري الفتح (٣/ ١١٠/ح ٤٤٧) دون ذكر جملة، «وتقتلك الفئة الباغية» ولابن حجر تعليل لهذا فانظره. وفي حديث البخاري وأحمد والحاكم وعبدالرزاق أن مناسبة هذا القول كان أثناء بناء مسجد الرسول ﷺ. أما روايات مسلم من طريق أبي نَضرَة (٤/ ٢٢٣٦/ح ٢٩١٦) فهي تفيد بأن ذلك كان أثناء حفر الخندق ولذا قال البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٥٠): «فيشبه أن يكون ذكر الخندق وهما في رواية أبي نضرة أو كان قد قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق، والله أعلم». وعلق ابن كثير في البداية (٣/ ٢٣٨) على قول البيهقي قائلاً: «وحمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل، والله أعلم» قلت: وهذا يعني أن ابن كثير لا يوافق على الجزء من كلام البيهقي الذي يقول بتعدد المناسبة، ويرى أن ذلك كان في بناء المسجد. وانظر طرقه المختلفة عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٧ - ٥٥٣)، ورواه ابن كثير في البداية (٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨) عن عبدالرزاق. ثم قال: «وهذا إسناد على شرط الصحيحين».

(١٣) البداية والنهاية (٣/ ٢٣٨ - ٢٣٩).

(١٤) الفتح (٣/ ١١٠ - ١١٢).

(١٥) ورد ذلك في رواية عبدالله بن الزبير عند البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٩).

عنها[١٦]) وهما أول بيتين بنيا، ثم تتابع بناء حجر نسائه الأخريات كلما تزوج بواحدة منهن. وكانت قصيرة البناء قريبة الفناء[١٧]، بعضها مبنية من جريد وطين، وبعضها من حجارة مرصوصة، وسقفها من جريد[١٨]، وقيل كانت من شعر -شجر- مربوطة بخشب من عرعر -شجر السرو[١٩]- ولم يكن لأبوابها حلق[٢٠]. وقد أضيفت هذه البيوت إلى المسجد بعد موت أزواج الرسول ﷺ، وذلك في زمن عبدالملك[٢١].

وفرض الأذان بالكيفية التي عليها الآن، في السنة الأولى على الأرجح، وذلك عندما رأى عبدالله بن زيد في منامه صيغة الأذان، فأمر الرسول ﷺ بلالا فأذن بها، وعندما سمعه عمر (رضي الله عنه) جاء إلى الرسول ﷺ. وقال إنه رأى ما رأى عبدالله بن زيد[٢٢].

ظل المسجد على حاله الذي بناه عليه الرسول ﷺ، فلم يزد فيه أبوبكر شيئا، وزاد فيه عمر بأن أعاد عمده وجعلها خشبا، وحمى سقفه من المطر، ثم غيره عثمان (رضي الله عنه) فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج[٢٣].

---

(١٦) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/ ٧٨) من رواية الطبراني، وابن كثير في البداية (٣/ ٢٢٢) وابن سعد (١/ ٢٤٠) وعن أوصاف بناء حجر زوجاته، انظر أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦ - ٧) وابن كثير في البداية (٣/ ٢٤١ - ٢٤٢).

(١٧) قاله ابن كثير: البداية والنهاية (٣/ ٢٤١) بدون إسناد. قال الشامي في سبل الهدى (٣/ ٥٠٨): «روى ابن سعد والبخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن الحسن البصري قال: كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي» وروى البخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي عن داود وابن قيس قال: «رأيت الحجر من جريد النخل تغشى من خارج بمسوح من الشعر..».

(١٨) قاله السهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٤٨) بدون إسناد.

(١٩) المرجع نفسه، من حديث الحسن البصري.

(٢٠) المرجع نفسه، وعزاه إلى البخاري في التاريخ.

(٢١) المرجع نفسه، والشامي: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٥٠٦ - ٥٠٧) من طريق الواقدي.

(٢٢) رواه الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن كما قال الشيخ الألباني - صحيح سنن الترمذي (١/ ٦١ - ٦٢). وعن قصة الأذان وكيفيته وصيغته، انظر: ابن حجر الفتح (٣/ ٢٧٢)، مسلم شرح النووي (٤/ ٧٥)، وغيرها. وانظر مادة الأذان في مفتاح كنوز السنة لمعرفة كل مصادر هذه القصة والرجوع إليها للوقوف على طرق أحاديثها.

(٢٣) البخاري/ الفتح (٣/ ١٠٦ و١٠٨/ح ٤٤٦). والساج: نوع من الأخشاب الهندية، أبوداود (١/ ٣١١/ح ٤٥١/ الدعاس). وقال ابن حجر في الفتح (٣/ ١٠٨) عن عمل عثمان (رضي الله عنه) هذا: «فحسنه -أي المسجد- بما لايقتضي الزخرفة».

وحذر عمر من تحمير وتصفير المسجد حتى لا يفتن الناس، وكره أنس المباهاة في تعمير المساجد بالتزيين، وعاب على الناس عدم تعميرها بالصلاة[٢٤].

ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بُنِيَ منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه، فلما اتخذ للرسول ﷺ منبر وعدل إليه ليخطب عليه، خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار، لما كان يسمع من خطب الرسول ﷺ عنده، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت[٢٥]. وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد رواية هذا الحديث عن أنس، قال باكيا: «يامعشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه ـ أحق أن يشتاقوا إليه[٢٦]؟».

وأصبح المسجد منذ بنائه مكانا للعبادة في المقام الأول، ثم بعد ذلك مكانا لكل أمر يهم المسلمين، مثل:

١ ـ إيواء ضعفاء وفقراء المهاجرين الرجال العزاب الذين لم يتمكنوا من الحصول على منازل خاصة بهم، وعرفوا بأهل الصفة[٢٧].

٢ ـ إيواء ضعفاء النساء اللائي أسلمن من أحياء العرب ولم يجدن مأوى غير المسجد حين قدومهن المدينة، مثل الوليدة السوداء التي اتخذت خباء أو حفشاً في المسجد[٢٨].

---

(٢٤) البخاري/ الفتح (٣/ ١٠٧ ترجمة الباب).

(٢٥) انظر الحديث بألفاظه المختلفة عند البخاري مع شرحه الفتح (١٤/ ٩٥/ح ٣٥٨٤، ٣٥٨٥)، وعند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) والسياق هنا له، وعند البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٥٦ ـ ٥٦٣) من مصادر وطرق عدة، وقال في ختامها «هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة». وقال المحقق ـ قلعة جي ـ إنها من الأحاديث المتواترة لوروده عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك، ص ٥٦٣. قلت: وفي رواية البخاري ما يكفي ويشفي.

(٢٦) البيهقي: دلائل النبوة (٢/ ٥٥٩).

(٢٧) البخاري/ الفتح (٣/ ١٠٢) من قول أنس (رضي الله عنه) في ترجمة باب نوم الرجال في المسجد. وانظر الفصل الذي عقده عنهم الدكتور أكرم العمري في كتابه القيم: المجتمع المدني ـ التنظيمات، ص ص ٨٩ ـ ١٠٥.

(٢٨) انظر قصتها حين اتهمها قومها بسرقة وشاح لابنة لهم ـ البخاري/ الفتح (٣/ ١٠٠/ح ٤٣٩).

٣ ـ كان مكانا لتعليم المسلمين أمور دينهم.

٤ ـ كان مكانا لإنشاد الشعر ذبا عن الدعوة الإسلامية وقائدها محمد ﷺ وأصحابه[٢٩].

٥ ـ كان مكانا لاعتقال أسير الحرب المشرك، إذا كان في ذلك عظة لمن يراه من الناس وعظة له عندما يرى الصلاة ويسمع القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، كما في قصة ثمامة بن أثال[٣٠].

٦ ـ نصب الخيمة فيه لعلاج جرحى المسلمين في الحرب، كما في قصة خيمة رفيدة، أيام غزوة الأحزاب[٣١].

٧ ـ كان مكانا لاستقبال الرسل ـ السفراء ـ الذين يفدون على الرسول ﷺ.

٨ ـ كان مكانا لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين.

٩ ـ كان مكانا لاجتماع المسلمين بقائدهم، وفي هذا فائدة من وجهين:

أ ـ احتكاك القائد بالرعية عن قرب ودراسة أحوالهم وبث الرعية شجونهم لقائدهم.

ب ـ احتكاك المسلمين بعضهم مع بعض وتألف قلوبهم وقد غاب هذا الفهم عن كثير من قادةٍ وأفراد في زماننا هذا، وفهموا أن المسجد مكان عبادة فقط.

أحكام وحكم في قصة بناء المسجد النبوي الشريف:

١ ـ استدل جمهور الفقهاء بحديث شراء الرسول ﷺ المربد من الغلامين بوساطة عمهما الذي كانا في حجره وكفالته، على عدم صحة تصرف غير البالغ سن الرشد، ولهم دليل آخر من القرآن يؤكد صحة استدلالهم وهو الآية الكريمة: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾[٣٢].

(٢٩) البخاري/ الفتح ٣/١١٨/ح ٤٥٣). وانظر شرح ابن حجر لأحاديث الباب.
(٣٠) البخاري/ الفتح (٣/١٢٧/ح ٤٦١).
(٣١) المصدر نفسه، ص ١٢٩/ح ٤٦٣).
(٣٢) الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٣٣.

أما الحديث الذي يشير إلى أن الشراء تم مباشرة بين الرسول ﷺ والغلامين فيوجه إلى أن للنبي ﷺ ولاية خاصة في مثل هذه الأمور، وأنه عليه الصلاة والسلام إنما اشترى الأرض منهما بوصف كونه وليا عاما لجميع المسلمين، لا بوصفه كونه فردا منهم، ولا وجه في هذا الحديث لاستدلال الحنفية به على صحة تصرف غير البالغ، لأن الآية رجحت حديث ابن عيينة على هذا الحديث[٣٣].

وللعلماء كلام فوق هذا عن تصرف غير البالغ، إذ قالوا:

أ - إن تصرفاته النافعة نفعاً محضا كقبوله الهبة لنفسه جائزة.

ب - إن تصرفاته الضارة ضررا محضا كهبته لغيره غير جائزة.

ج - إن تصرفاته الدائرة بين النفع والضرر كالبيع والشراء موقوفة على إجازة الولي أو الوصي.

٢ - دل حديث أمر النبي ﷺ بنبش القبور القديمة التي كانت في مكان المسجد على جواز نبش القبور الدارسة، واتخاذ موضعها مسجدا إذا نظفت وطابت أرضها.

٣ - كما أن الحديث يدل على أن الأرض التي دفن فيها الموتى ودرست، يجوز بيعها، وأنها باقية على ملك صاحبها وورثته من بعده، إذا لم توقف[٣٤].

٤ - استنادا إلى عدم التكلف المظهري في بناء الرسول ﷺ مسجده، واستنادا إلى ما نبه إليه عمر بن الخطاب في قوله: «أكنّ الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر، فتفتن الناس[٣٥]»، كره عامة العلماء نقش

---

(٣٣) انظر: البوطي: فقه السيرة، ص ١٥٣، وإعلام الساجد للزركشي، ص ٢٢٣.
(٣٤) البوطي، ص ١٥٤، وإعلام الساجد، ص ٢٣٦، وانظر ابن حجر الفتح (١٥/ ١٢٥ - ١٢٦).
(٣٥) إعلام الساجد، ص ٣٣٧، وسبق تخريج الأثر المروي عن عمر في هذا.

وزخرفة المساجد، وقال بعضهم بحرمة ذلك[٣٦].

٥ ـ اختلف العلماء في كتابة آية من القرآن في قبلة المسجد، هل هي داخلة في النقش الممنوع أم لا؟ يقول الزركشي[٣٧]: «ويُكره أن يَكتب في قبلة المسجد آية من القرآن أو شيئا منه، قال مالك: وجوزه بعض العلماء، وقال لا بأس به لما روي من فعل عثمان ذلك بمسجد رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك عليه».

المبحث الثاني: أ ـ المؤاخاة:

لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء، لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، ولهذا، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا أهل زراعة، والأنصار أهل زراعة، فقد أعطتهم الأنصار كل ما يستطيعونه من فضل وأعطتهم النخل والأرض ليعملوا فيها بنصف ثمارها، ومنهم من أعطيت له منيحة محضة، واستغنوا عنها عندما فتح الله عليهم خيبر[٣٨]. وقد رد النبي ﷺ نفسه ما أعطوه من نخل عندما فتحت عليه قريظة والنضير[٣٩].

وكان ذلك الفعل من الأنصار دليلا على مدى حبهم وإيثارهم المهاجرين. وقد شهد الله تعالى لهم بذلك في قوله: ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[٤٠].

---

(٣٦) انظر: البوطي، ص ١٥٤ ـ ١٥٥. قال ابن حجر في الفتح (٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩): «كان أول من زخرف المساجد الوليد بن عبدالملك بن مروان، وذلك في أواخر عصر الصحابة، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفا من الفتنة، ورخص في ذلك بعضهم، وهو قول أبي حنيفة إذا وقع ذلك على سبيل التعظيم للمساجد ولم يقع الصرف على ذلك من بيت المال. وقال ابن المنير: لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن الاستهانة، وتعقب بأن المنع إن كان للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال، وإن كان لخشية شغل بال المصلي بالزخرفة فلا، لبقاء العلة».

(٣٧) إعلام الساجد، ص ٣٣٧.

(٣٨) مسلم/ النووي (١٢/ ٩٩ ـ ١٠٠/ك. الجهاد والسير/ ب. رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم).

(٣٩) انظر: مسلم/ النووي (١٢/ ١٠١/ ك/ ب. رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم).

(٤٠) الحشر: ٩. وانظر: البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٦١/ح ٣٧٧٦).

ووصل بهم الإيثار إلى أن قالوا للرسول ﷺ: «إن شئت فخذ منا منازلنا»، فقال لهم خيرا، وابتنى لأصحابه في أرض وهبتها لهم الأنصار، وفي أراضٍ ليست ملكاً لأحد[٤١].

وقالت الأنصار للرسول ﷺ: «أقسم بيننا وبينهم النخل»، قال: «لا. قال: يكفونكم المؤونة ويشركونكم في الثمر، قالوا: سمعنا وأطعنا[٤٢]».

وقال الرسول ﷺ للأنصار: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يارسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل، فتكلفونهم وتقاسمونهم الثمر» قالوا: نعم[٤٣].

وروى البخاري[٤٤] عن أنس، قال: «دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: أما لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم بعدي أثرة».

ولم يتوانوا في استضافة ضيف رسول الله ﷺ. فقد روى البخاري[٤٥] أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ جائعا، فلم يجد له رسول الله ﷺ شيئا عند زوجاته، فطلب من أصحابه استضافته، فاستضافه أنصاري لم يكن عنده إلا عشاء أهله وصبيانه، فأنام صبيانه، وقدم طعام أهله إلى ضيفه، وجلس معه، فأطفأت المرأة السراج، وجعلا يريانه كأنهما يأكلان، ولكنهما باتا جائعين، وفيهما نزل قوله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

---

(٤١) قاله البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠) وأصله من حديث رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ١٢٣/ح ٣٩٢٩) وفيه أن الأنصار اقترعت على سُكْنَى المهاجرين منازلهم.

(٤٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٦٤/ح ٣٧٨٢)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٠) وذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٥٠) وقال: «هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح وكذا قال الساعاتي على شرح المسند. وتعقبهما الدكتور السعود (رسالة الهجرة، ص٢٤٩) وقال إنهما قد سَهَوَا في قولهما هذا لأن الترمذي أخرجه من هذا الوجه، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» وهو ثلاثي الإسناد. انظر: صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤/ أبواب صفة القيامة/ ب:١٤). وقال الألباني: «صحيح» والحديث رجاله رجال الصحيحين.

(٤٣) ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٥٠) ولم نقف على مصدره، ومعناه صحيح كما في الحديث الذي قبله.

(٤٤) الفتح (١٤/ ٢٧٠/ح ٣٧٩٤).

(٤٥) الفتح (١٤/ ٢٧١ - ٢٧٢/ح ٣٧٩٧).

وعلى الرغم من هذا الإيثار، فقد أراد الرسول ﷺ أن يوجد تشريعا يعالج للمهاجرين أوضاعهم الاقتصادية، ويشعرهم بأنهم ليسوا عالة على اخوانهم الأنصار، فكان أن شرع نظام المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة[٤٦].

وروى البعض أن إعلان المؤاخاة كان في دار أنس بن مالك[٤٧]، وذكر البعض أن المؤاخاة كانت في المسجد[٤٨].

وقيل إن المؤاخاة كانت مرتين مرة بين المهاجرين خاصة، وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار وهي المقصودة هنا[٤٩].

ذكر ابن سعد[٥٠] بأسانيد شيخه الواقدي إلى جماعة من التابعين، أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد المهات، دون ذوي الأرحام. وكانوا تسعين رجلا، خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار، ويقال كانوا مائة، خمسين من كل فريق.

وروى البخاري[٥١] عن ابن عباس «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي الرحم؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم.

---

(٤٦) قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣٠): «واختلفوا في ابتدائها، فقيل: بعد الهجرة بخمسة أشهر (ابن عبدالبر: الدرر، ص ٩٦)، وقيل: بتسعة [ولم أقف على قائله] وقيل: وهو يبني المسجد (الدرر: ص ٩٦، وعيون الأثر ١/ ٢٠٠) وقيل: قبل بنائه بسنة وثلاثة أشهر قبل بدر «وذكر ابن سعد (١/ ٢٣٨) أن ذلك كان بعد الهجرة وقبل بدر».

(٤٧) قاله أنس (رضي الله عنه) كما روى البخاري: الفتح (١٠/ ٤١/ح ٢٢٩٤) ومسلم (٤/ ١٩٦/ح ٢٥٢٩) وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٧ - ٨)، وأبوداود من طرق متعددة عن أنس، ونصه «حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري» انظر: ابن كثير في البداية (٣/ ٢٤٥)، وابن سعد (١/ ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٤٨) قاله أبوسعيد في «شرف المصطفى» كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣٠) ويبدو - والله أعلم - أن لا تعارض بين هذه الأقوال، لأن المؤاخاة لم تتم في مرة واحدة، بل كانت حسب من يدخل في الإسلام أو يقدم إلى المدينة، وما في الصحيح يقدم على غيره، فنص مسلم يشير إلى أن ابتداء المؤاخاة كان في دار أنس (رضي الله عنه).

(٤٩) قاله ابن عبدالبر في الدرر، ص ١٠٠.

(٥٠) الطبقات (١/ ٢٣٨). ولم ينفرد ابن سعد بذكر المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم في المدينة كما يقول الدكتور العمري. في: «المجتمع المدني في عهد النبوة..» ص ٧٥، فقد أخرج الحاكم في المستدرك والضياء في المختارة عن ابن عباس، قال: «آخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود..» ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١) وحسن إسناده. وقال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١) في تعليقه على هذا الإسناد «وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به».

(٥١) الفتح (١٧/ ١١٢ - ١١٣/ح ٤٥٨٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٥).

وذكر ابن حجر[٥٢] أن من أغراض المؤاخاة أن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا، من قبل البعثة، واستمر الى ما بعدها، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة؛ لأن زيدا مولاهم، فقد ثبت أخوتهما، وهما من المهاجرين[٥٣].

لقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب[٥٤]، وبين الزبير وابن مسعود[٥٥]، وبين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع[٥٦]، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء[٥٧]، وبين أبي عبيدة وأبي طلحة[٥٨]، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك[٥٩]، وبين أبي بكر وخارجة بن زيد[٦٠].

وقد ذكر ابن إسحاق[٦١] عددا كبيرا ممن آخى الرسول ﷺ بينهم. ونقل عنه ذلك ابن حجر[٦٢]، وأجاب عن ما يمكن أن يكون فيه إشكال[٦٣].

---

(٥٢) الفتح (١٥/ ١٢٩).
(٥٣) ذكر ابن إسحاق مؤاخاة النبي ﷺ وعليّ ومؤاخاة حمزة وزيد - ابن هشام (٢/ ١٧١ - ١٧٢)- بدون إسناد.
(٥٤) جاء ذلك في حديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤)، بإسناد فيه إسحاق بن بشر الكاهلي وجميع بن عمير التيمي، وسكت عليه، وقال الذهبي: جميع اتهم والكاهلي هالك. وقال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١) - بعد أن ساق أحاديث فيها مؤاخاة النبي ﷺ وعلي (رضي الله عنه): «وإذا انضم هذا الى ما تقدم تقوى به». وانظر ابن اسحاق (ابن هشام ٢/ ١٧٢) بدون إسناد. وقال محققا الزاد (٣/ ٦٤): «الأحاديث الواردة في مؤاخاة النبي ﷺ عليا كلها ضعيفة» انظر المجمع (٩/ ١١١) واللآلي المصنوعة، ١٩١، ١٩٤، ٢٠١، والحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٧٢٢... وفي سنده جميع بن عمير، اتهمه ابن حبان بالوضع، وقال: ابن نمير: «كان من أكذب الناس».
(٥٥) سبق تخريجه من قبل قليل. وعند ابن إسحاق أنه آخى بين الزبير وسلمه بن وقش بن هشام (٢/ ١٧٣) وإسناده ضعيف.
(٥٦) قاله البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٦٣ - ٦٤/ح ٣٧٨٠).
(٥٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٣٢/ح ٣٩٣٦) وابن سعد: الطبقات (٤/ ٨ - ٨٥) من عدة طرق وعند ابن سعد بإسناد ضعيف أنه آخى بين أبي الدرداء وعوف بن مالك الأشجعي انظر الطبقات (٤/ ٢٨٠) وابن حجر: الفتح (١٥/ ١٣١)، وهو الذي أشار إلى ضعف إسناد ابن سعد، والمعتمد ما في الصحيح كما قال.
(٥٨) مسلم (٤/ ١٩٦٠/ح ٢٥٢٨)، وأحمد - كما ذكر ابن كثير في البداية (٣/ ٢٤٩) عن أنس.
(٥٩) قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٣١): «وقد تقدم في أوائل الصلاة قول عمر: كان لي أخ من الأنصار، وفسر بعتبان بن مالك...» وذكره ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ١٧٣).
(٦٠) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٢/ ١٧٢) والمعلق من أقسام الضعيف.
(٦١) ابن هشام (٢/ ١٧٢ - ١٧٥).
(٦٢) الفتح (١٥/ ١٣١).
(٦٣) وانظر الشامي: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٥٢٩ - ٥٣٣) وقد نقل أسماء المتآخين من عدة مصادر.

ومما روي في أمر التطبيقات العملية لهذه المؤاخاة، قصة عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، حين قال سعد لعبدالرحمن «إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبدالرحمن: «لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟» فدل على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم أخذ يتردد على السوق، يبيع ويشتري حتى استغنى بماله عن مال أخيه سعد، وتزوج امرأة من الأنصار، أمهرها بنواة من ذهب، وطلب منه الرسول ﷺ أن يولم ولو بشاة بهذه المناسبة[٦٤].

آخى الرسول ﷺ بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويستأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الاسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، وانخرطوا في الحياة، وعرفوا وسائل اكتساب الرزق، أبطل الله التوارث بالمؤاخاة، وأبقى أخوة المؤمنين، وأنزل في ذلك: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، إن الله بكل شيء عليم﴾. ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا، كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾[٦٥]. وكان ذلك حين وقعة بدر[٦٦]. وروي أنه كان بعد أحد[٦٧].

وذكر ابن عباس[٦٨] أن ما ألغي من نظام المؤاخاة هو الإرث، أما النصر والرفادة والنصيحة فباقية، ويمكن أن يوصى ببعض الميراث بين المتآخين، وإلى هذا المعنى ذهب النووي[٦٩].

---

(٦٤) انظر الحديث بتمامه وسياقه عند البخاري/ الفتح (٩/١٣٣ - ١٣٤/ح ٢٠٤٨).

(٦٥) الأنفال: ٧٥، والأحزاب: ٦ وانظر الروايات الواردة في تفسيرها عند الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٣١ - ٣٣١)، وعند ابن كثير في التفسير (٤/ ٤٣) و (٦/ ٣٨٢ - ٣٨٣) بإسناد صحيح، وانظر (٤/ ٣٩)، والسهيلي: الروض الأنف (٢/ ٢٥٢).

(٦٦) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٣٨) من طريق الواقدي.

(٦٧) قاله ابن سعد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ابن مردويه كما ذكر العمري في المجتمع المدني، ص ٧٨، نقلا عن لباب النقول (ص ٢٦٠) والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٣٠ - ٣٣١).

(٦٨) في حديثه الذي رواه البخاري/ الفتح (١٧/ ١١٢ - ١١٣/ح ٤٥٨٠)، والشاهد في نصه: «.. فلما نزلت: ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ نسخت ثم قال: عقدت أيمانكم - من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له».

(٦٩) انظر: مسلم (٤/ ١٩٦٠/ الحاشية).

وبما يدل على بقاء واستمرارية المؤاخاة دون الإرث، مؤاخاة الرسول ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء؛ لأن سلمان أسلم بين أحد والخندق[٧٠]، ومؤاخاة معاوية بن أبي سفيان والحتات التميمي؛ لأن معاوية من مسلمي الفتح[٧١]، والحتات أسلم عندما جاء في وفد بني تميم في أوائل السنة التاسعة الهجرية ـ عام الوفود[٧٢]، ومؤاخاة جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل؛ لأن جعفرا قدم من الحبشة والرسول ﷺ قد فرغ من خيبر لتوه، في أول سنة سبع من الهجرة[٧٣].

ب ـ حكم وعبر من المؤاخاة:

١ ـ إن أي جماعة تسعى لهدف واحد لابد من قيام العلاقات بين أفرادها على التآخي الذي يجعلهم يقفون بعضهم إلى جانب بعض في السراء والضراء. وإن هذا التآخي المنطلق من العقيدة هو أساس قوة هذه الجماعة، وهو الأساس الذي يمكنهم من تحقيق أهداف الدين في الحياة، ولذا كان حرص الرسول ﷺ على ذلك التآخي، الذي كان مضرب الأمثال في صدقه، والذي كان من ثماره رضا الله عنهم والتمكين لهم في الأرض، وتحقيق النموذج العملي لمبادىء الإسلام في أشخاصهم.

٢ ـ بناء على ما حدث في المؤاخاة، فبوسع المؤمنين في كل عصر أن يتآخوا بينهم على المواساة والارتفاق والنصيحة، ويترتب على مؤاخاتهم حقوق أخص من المؤاخاة بين المؤمنين[٧٤].

٣ ـ إن في موقف عبدالرحمن بن عوف من أخيه سعد بن الربيع نموذجا واضحا على عفة المهاجرين واستعدادهم للعمل الذي يقدرون عليه.

---

(٧٠) انظر ذلك في ترجمته في الإصابة (٢/٦٢) والاستيعاب (٢/٥٨) وقد رجح ابن عبدالبر قول من قال بإسلامه بعد أحد، وثبت أن أول مشاهده الخندق...، الطبقات (٤/٧٥).

(٧١) انظر: ترجمته في الإصابة والاستيعاب، وهو من الأمور المشهورة.

(٧٢) انظر: ترجمته في الإصابة (١/٣١١).

(٧٣) انظر: هجرة المسلمين إلى الحبشة، وغزوة خيبر.

(٧٤) انظر: المجتمع المدني للدكتور العمري، ص ٨٠.

المبحث الثالث: صحيفة المدينة:

عندما استقر الرسول ﷺ بالمدينة وأراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة، كتب كتابا بهذا الشأن. عرف في المصادر القديمة باسم «الكتاب» و«الصحيفة»، وأسماه الكتاب المحدثون «الدستور» أو «الوثيقة».

ولأهمية هذه الوثيقة واعتماد الباحثين المعاصرين عليها، وجعلها أساسا في دراسة تنظيمات الرسول ﷺ في المدينة المنورة، ونظم الدولة الإسلامية، وعلاقاتها مع الدول والملل الأخرى، والنظام السياسي في الإسلام، فقد رأينا أن نتناولها بالعرض والدراسة باختصار شديد.

أولا : مضمون الصحيفة[٧٥]:

أ- بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين:

- المؤمنون من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.
- كل فريق من المؤمنين (المهاجرين، بني ساعدة، من الأوس..) على ربعتهم[٧٦] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[٧٧] بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا[٧٨] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
- المؤمنون المتقون على من بغى منهم، وإنّ أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.
- ذمة الله واحدة، يجير على المسلمين أدناهم، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.
- من تبع المؤمنين من يهود، فإن له النصرة والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

---

(٧٥) عن صياغة هذا المضمون انظر الشامي: من معين السيرة، ص ص ١٦٣ - ١٦٤. وانظر كامل البنود في سيرة ابن هشام (٢/١٦٧ - ١٧٢)، التي هي أصلا لابن إسحاق كما تعلم.

(٧٦) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٧٧) العاني: الأسير.

(٧٨) المفرح: الكثير العيال والمثقل بالدين.

ب - بنود الصحيفة المتعلقة بالمشركين:

- لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على المؤمنين.

جـ - بنود الصحيفة المتعلقة باليهود:

- ينفق اليهود مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، مواليهم وأنفسهم... ولبقية اليهود من بني النجار، يهود بني الحارث... ماليهود بني عوف. وإن بطانة يهود كأنفسهم.
- لا يخرج من يهود أحد إلا بإذن محمد ﷺ.
- على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح... والنصر للمظلوم.

د - بنود الصحيفة المتعلقة بالقواعد العامة:

- يثرب حرام جوفها لأهل الصحيفة، وإن الجار كالنفس، غير مضار، ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها.
- ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله (عز وجل) وإلى محمد رسول الله ﷺ.
- لا تجار قريش ولا من نصرها.
- وإن بينهم - أهل الصحيفة - النصر على من دهم يثرب.
- من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

ثانيا: مصادر الصحيفة[٧٩]:

أ- إن أقدم من روى نصها كاملا هو محمد بن إسحاق، المتوفى

(٧٩) إستعنا - بعد الله عز وجل - في التحقيقات الحديثية المذكورة عن مصادر هذه الصحيفة ببحث الأستاذ/ ضيدان اليامي: «بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة - المدينة»؛ ورسالة الماجستير المخطوطة على الآلة الكاتبة للأستاذ هارون رشيد محمد إسحاق، تحت عنوان: «صحيفة المدينة: دراسة حديثية وتحقيق، وكتاب الدكتور أكرم العمري: «المجتمع المدني....».

سنة ١٥١ هـ[٨٠].

ب ـ رواية الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ)، وهي إشارة مختصرة جدا، ونصها: «إن النبي ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين»، وهي من طريقين. . . .

جـ ـ رواية أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩ هـ)، ذكر ابن سيد الناس[٨١] أنه قد رواها بمثل رواية ابن إسحاق، ولكنه أسندها. وذكر سنده، وفيه كثير بن عبدالله، وقد اختلف فيه[٨٢]. ومال بعض الباحثين[٨٣] إلى تضعيفه، ومال آخرون[٨٤] إلى توثيقه.

د ـ روايات أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، ثنتان منها في كتابه «الأموال[٨٥]»، الرواية الأولى من طريقين. الطريق الأولى مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، وفي إسنادها عبدالله بن صالح، وهو ممن اختلف

(٨٠) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٧ ـ ١٧٢)، بدون إسناد، وبها ٥٢ بنداً حسب تصنيف الدكتور عون الشريف قاسم في كتابه: «ديلوماسية محمد ﷺ ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٤، و٤٧ بنداً حسب تصنيف الأستاذ/ هارون رشيد، ص ص ١٥ ـ ٥٤ ولا اختلاف في المضمون.

(٨١) عيون الأثر (١/ ١٩٧، ١٩٨).

(٨٢) وممن ضعفه أو نسبه إلى الكذب: ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٥٤)، وابن حجر في التقريب (٢/ ١٣٢) والذهبي في الميزان (٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٢٢١).

(٨٣) انظر اليامي: بيان الحقيقة، ص ص ١٦ ـ ١٩.

(٨٤) انظر هارون: صحيفة المدينة المنورة، ص ٩٩، وقد درسه هارون هذا دراسة تفصيلية، جمع كل الأقوال فيه تقريبا ـ انظره، ص ٧١ ـ ١٠٠، وقال باحتمال الخطأ في اتهام كثير بالكذب، وذلك استنادا إلى توثيق البخاري له بتحسين حديث مروي عنه في صحيحه، في خلق أفعال العباد وآخر بالسند نفسه في القراءة خلف الإمام، وأنه أخرج له في غير صحيحه، في التاريخ الكبير (٢/ ٣/ ٣٠٧)، ولما سأل الترمذي البخاري عن حديث روي عن طريق كثير بن عبدالله حسنه ـ انظر: هارون، ص ٩٦٠ ـ ٩٨، واستنادا إلى توثيق الترمذي له بتصحيح حديث مروي عنه، وتحسين خمسة أحاديث مروية عنه ـ هارون، ص ٩٩، ورواية أبي داود له بالسكوت، ويحيى بن سعيد الأنصاري والحاكم وابن خزيمة والفسوي وآخرين. وخلاصة قول هارون ان خبر الصحيفة الذي رواه كثير بن عبدالله لا يقل درجة عن الأخبار الثلاثة التي رواها البخاري عن كثير في خلق أفعال العباد والقراءة خلف الإمام وفي التاريخ الكبير (هارون ص ٢٩٨) وان إسناد ابن أبي خيثمة على الأقل حسن لغيره (ص ١٣٢).

(٨٥) ص ١٢٦.

فيه[٨٦]. ونص الرواية: «إن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب: من محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم فحل معهم وجاهد معهم... إنهم أمة واحدة...». وذكر حديثا طويلا في المعاقل بنحو حديث ابن إسحاق.

والطريق الثانية، في إسنادها يحيى بن عبدالله[٨٧] عن الليث، ولكنها أيضا مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، ويقال فيها ما قيل في الطريق الأولى، إلا أن يحيى بن عبدالله ثقة في روايته عن الليث، وقد تابع بذلك عبدالله بن صالح.

والرواية الثانية من طريق حجاج، مرسلة، لأنها موقوفة على ابن جريج، وقد عرف بالتدليس والإرسال[٨٨]. ونصها: «في كتاب النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم معهم إن المؤمنين لا يتركون مفرحا منهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل».

والرواية الثالثة في كتابه «غريب الحديث[٨٩]» رواها بثلاثة أسانيد: السند الأول: من طريق حفص عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، مختصرة، وقد سبق الكلام عن كثير هذا. والسند الثاني: وفيه حماد بن عبيد[٩٠] وجابر الجعفي[٩١]، وهما ضعيفان، وموقوف على الشعبي أو أبي جعفر محمد بن علي الباقر، فهي مرسلة، وضعيفة لضعف حماد وجابر.

---

(٨٦) انظر: التقريب (١/ ٤٢٣) وقال عنه: «صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة» «وخلاصة رأي القطان فيه أنه حسن الحديث - انظر تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥٦ - ٢٦١)، أخرج له البخاري في التعليق وأبوداود والترمذي وابن ماجه - انظر التقريب (١/ ٤٣٣) وانظر بقية الآراء فيه عند هارون، ص ص ٦٤ - ٦٥.

(٨٧) أخرج له البخاري ومسلم وابن ماجه: كما في التقريب (٢/ ٣٥١) والتهذيب (١١/ ٢٣٧، ٢٣٨) وذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ٢٦٣)، ووثقه الذهبي، وقال: يحتج به في الصحيحين، (الميزان ٤/ ٣٩١). وضعفه النسائي - انظر الضعفاء والمتروكين، ص ١٠٨. وقال هارون (ص ٦٤) إن الكلام في ضعفه في روايته عن مالك، أما عن الليث فهو موثوق، كما في التقريب.

(٨٨) ابن حجر التقريب (١/ ٥٢٠).

(٨٩) (٣٠١١).

(٩٠) ذكر الذهبي في الميزان (١/ ٥٩٧) قول ابن أبي حاتم فيه إنه: «ليس بصحيح الحديث ولا يعبأ به، وقال البخاري لم يصح حديثه..»

(٩١) قال عنه ابن حجر في التقريب (١/ ١٢٣): «ضعيف رافضي..» وذكر الذهبي في الميزان (١/ ٣٨٠) قول أبي حنيفة إنه لم ير أكذب منه، وقول النسائي وغيره بأنه متروك، وقول يحيى بأن حديثه لا يكتب، وقول أبي داود انه ليس عنده بالقوي في حديثه..»

هـ- رواية حميد بن زنجويه: (ت ٢٥١ هـ)، رواها في كتابه: «الأموال[٩٢]»، بنحو رواية ابن إسحاق، وهي من بلاغات الزهري، وفي إسنادها عبدالله بن صالح، وقد سبق الكلام عليه. والخلاصة أن الرواية ضعيفة لضعف عبدالله بن صالح، ولأنها مرسلة.

و- رواية الإمام البيهقي: (ت ٤٥٨ هـ)، له فيها روايتان في كتابه «السنن الكبرى»[٩٣]، الأولى بسنده إلى عثمان بن محمد، قال: «أخذت من آل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذا الكتاب كان مقرونا بكتاب الصدقة الذي كتب عمر للعمال. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من النبي ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم... إلى: وإن على المؤمنين أن لا يتركوا مفرحا منهم حتى يعطوه في فداء أو عقل» وفي إسنادها محمد بن عبدالجبار العطاردي، وقد ضعف[٩٤]، وعثمان بن محمد الذي وثقه البعض[٩٥] ولكنه رواها وجادة[٩٦]، ويونس بن بكير، وقد اختلفوا فيه[٩٧].
والرواية مختصرة عما جاء في سيرة ابن إسحاق وغيره، وقد أغفلت بنوداً كثيرة، أهمها ما يتعلق باليهود.

---

(٩٢) (٢/٤٦٦/ح ٧٥٠).
(٩٣) (٨/١٠٦).
(٩٤) قال عنه ابن حجر في التقريب (١/١٩): «ضعيف وسماعه للسيرة صحيح..» وقال في التهذيب (١/١٥): إن ابن أبي حاتم أمسك عن الرواية عنه لكثرة كلام الناس فيه، وكذبه ابن معين وضعفه الحاكم وابن عدي وذكر قول ابن عدي أنه لا يعرف له حديث منكر، وإنما ضعفوه لأنه لم يلق من يحدث عنهم.
(٩٥) وثقه ابن معين والترمذي وابن حبان - انظر التهذيب (٧/١٥٢ - ١٥٣) وقال النسائي ليس بالقوي، وأنكر ابن المديني حديثه عن ابن المسيب عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، انظر: التقريب (٢/١٤/ رقم ١٠٩).
(٩٦) أي أخذها من كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه، أو لقيه، ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه، ولا له منه إجازة ولا نحوها (انظر مقدمة ابن الصلاح، ص ١٥٧).
(٩٧) قال ابن حجر في التقريب (٢/٣٨٤): «يخطىء»، أخرج له البخاري في التعليق وفي جزء القراءة، ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي، انظر: التقريب (٢/٣٨٤)، ووثقه ابن معين وأبو خيثمة ومحمد بن نمير وعبيد بن يعيش وابن حنبل - انظر: التهذيب (١١/٤٣٥ - ٤٣٦)، وابن حبان انظر: كتاب الثقات (٧/٦٥١)، ولينه ابن أبي شيبة وضعفه النسائي مرة ولينه مرة أخرى انظر التهذيب (١١/٤٣٦).

أما الرواية الثانية فهي بنحو الأولى، ورجال إسنادها ثقات[٩٨]، ما عدا كثير بن عبدالله، وقد سبق الكلام عليه.

ز - رواية ابن أبي حاتم الرازي، ذكرها في مقدمة كتابه «الجرح والتعديل[٩٩]»، بسنده إلى الأوزاعي أنه كتب إلى عبدالله بن محمد أميرالمؤمنين رسالة طويلة، وقال فيها: قد حدثني الزهري أنه كان في كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب به بين المهاجرين والأنصار «أن لا يتركوا مفرحا أن يعينوه في فداء أو عقل».

ورجال إسنادها ثقات، ماعدا العباس بن الوليد بن فريد، فإنه صدوق[١٠٠]، وهي مرسلة، لأنها موقوفة على الزهري، ومختصرة جدا، وربما كان السبب أن الأوزاعي قد كتب إلى أمير المؤمنين الجزء الذي كان يحتاج إليه من هذا الكتاب، مما يوحي إلى وجود الكتاب بأكمله لديه، ولا سيما أنه رواه عن الزهري، وقد تقدم أن الزهري قد روى هذا الكتاب أو الصحيفة بنحو رواية ابن إسحاق[١٠١]...

ح - رواية ابن حزم: (ت ٥٤٦ هـ)، رواها في المحلى[١٠٢] بإسناده إلى ابن عباس، ونصها: «كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين الناس».

وفي إسنادها الحجاج بن أرطأة والحكم بن مقسم، قال عن الأول: ساقط، وعن الثاني: ضعيف.

بعد أن خرج أحد الباحثين[١٠٣] مرويات هذه الصحيفة من المصادر المذكورة، ودرس أسانيدها، قال بأنها ضعيفة لا تصح، وينبغي عدم الاحتجاج بها،

---

(٩٨) انظرهم عند هارون، ص ص ١٠٩ - ١١١.

(٩٩) (١/١٩٥ - ١٩٧).

(١٠٠) قاله ابن حجر في التقريب (١/٣٩٩) والتهذيب (٥/١٣١ - ١٣٣) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/٢١٥) وزاد أنه ثقة.

(١٠١) انظر في هذا «بيان الحقيقة...» لضيدان، ص ٣٣.

(١٠٢) (١٢/٤٠٧، ٤٠٨/ك. العواقل، والقسامة، وقتل أهل البغي/ مسألة رقم ٢١٤٣).

(١٠٣) اليامي: بيان الحقيقة، ص ص ٣٨ - ٣٩.

سوى ما ثبت لفظه أو معناه في أحاديث أخرى وجاء في الصحيفة(١٠٤).
أما الباحث الآخر(١٠٥) فان خلاصة دراسته أسانيد نصوص الصحيفة، فهي:
سند ابن هشام عن ابن إسحاق ضعيف للإرسال وصالح للإعتبار. وأحد سندي أبي عبيد كذلك ضعيف للإرسال وصالح للاعتبار. ورواية ابن أبي خيثمة في إسنادها كثير بن عبدالله، الذي اتهم بالكذب، وهي تهمة غير مسلم بها استنادا إلى توثيق البخاري له بتحسين حديث مروي عنه، وأخرج له في غير صحيحه، وتوثيق الترمذي له بتصحيح حديث مروي عنه وتحسين أحـاديثه الأخرى، ورواية أبي داود له بالسكوت، وتوثيق يحيى بن سعيد الأنصاري والحاكم وابن خزيمة والفسوي وآخرين له بالرواية عنه، وبذلك يكون إسناد ابن أبي خيثمة على الأقل حسناً لغيره.
ولم ينفرد أبن خيثمة بحديث كثير، إذ رواه البيهقي بالسند نفسه، ولو شطرا من الصحيفة.
وليس الحديث شاذا، إذ ليس فيه ما يخالف الصحيح، ولا منفردا، إذ روي من طريق آخر متصلا ومرسلا. أما المتصل فرواه البيهقي بسند آخر كما مر بنا، والمرسل رواه ابن إسحاق والزهري كما مضى....
وبما أن هذه الأسانيد كلها صالحة للاعتبار بانفرادها، وبما أن كلها تعاضد بعضها بعضاً، لذلك جاز القول: إن رواية صحيفة المدينة وصلت إلى درجة الحسن لغيره.
وقد توصل الدكتور العمري(١٠٦) قبله إلى هذه النتيجة، فقال بعد دراستها: «وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيح، فإنها تصلح أساسا للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية، خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة...» وقال في

(١٠٤) انظر: المرجع نفسه، ص ص ٣٥ - ٣٨.
(١٠٥) هارون: صحيفة المدينة، ص ١٣٢.
(١٠٦) المجتمع المدني، ص ١١١.

الحاشية: «ولكن مجموع الآثار تتقوى ببعضها وتصل إلى درجة الحسن لغيره[١٠٧].

ثالثا: تاريخ كتابة الصحيفة:

يرجح أحد الباحثين[١٠٨] أن الصحيفة في الأصل صحيفتان، ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول ﷺ لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم، وأن صحيفة موادعة اليهود كتبت قبل بدر الكبرى والأخرى بعد بدر، وقد أوضح أدلة ترجيحاته. وترجيحه مقبول عندي.

أما ما ورد من نصوص تدل على أن كتابة صحيفة الموادعة مع اليهود كانت بعد قتل ابن الأشرف، فإن هذه الكتابة تعتبر إعادة وتوكيداً للكتابة الأولى[١٠٩]. والآية ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾[١١٠] تشير إلى أكثر من معاهدة بين الرسول ﷺ واليهود، كما فسرها المفسرون[١١١].

رابعا: الشواهد على فقرات الصحيفة من كتب السنة والتاريخ:

لقد عقد أحد الباحثين[١١٢] فصلا لهذا الموضوع، ذكر فيه أولا ما ورد من أخبار في كتابة الصحيفة. وخلاصة ذلك ما سبق ذكره عن رواية الإمام أحمد التي صحح إسنادها الشيخ شاكر، والشيخ البنا، ورواية عن مسلم[١١٣] أن النبي ﷺ كتب على كل بطن عقوله، ثم كتب أنه لا يحل لمسلم أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه...».

وروى أبوداود[١١٤] والبيهقي[١١٥] أنه بعد قتل المسلمين كعب بن الأشرف،

---

(١٠٧) المرجع والمكان نفساهما.
(١٠٨) المرجع نفسه ص ص ١١٢ - ١١٧.
(١٠٩) انظر صحيفة المدينة ص ١٥٤، والمجتمع المدني، ص ١١٤.
(١١٠) الأنفال: ٥٦.
(١١١) قاله ابن الجوزي في زاده (٣/٣٧٢) أي زاد المسير.
(١١٢) هارون: صحيفة المدينة ص ص ١٣٣ - ١٥٥.
(١١٣) (٢/١١٤٦/ح ١٥٠٧).
(١١٤) سننه (٣/٤٠١ - ٤٠٢/ح ٣٠٠٠/ ط الدعاس).
(١١٥) السنن الكبرى (٩/١٨٣/ك. الجزية/ ب. لا يؤخذ منه الجزية..) بإسناد حسن، إذ لا يوجد ضعيف بين رواته كما حققه هارون (ص ١٥٠).

جاءته يهود في أمر قتله، فدعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

وروى الخطابي[116] أن كعب بن الأشرف عاهد النبي ﷺ أن لا يعين عليه ولا يقاتله، ولكنه لحق بمكة، ثم قدم المدينة معلنا معاداة النبي ﷺ، ولذا قتله المسلمون.

روى البخاري[117] قول الرسول ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن ولا ذو عهد في عهده».

وروى النسائي[118] ان النبي ﷺ قال: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم، لا يقتل مؤمن ولا ذو عهد في عهده».

وروى ابن ماجه[119] في رواية أن الرسول ﷺ قال: «لا يقتل مسلم بكافر» وزاد في رواية أخرى: «.... ولا ذو عهد في عهده»[120].

هذه الروايات تثبت تحرير الكتاب من النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وتؤيد الفقرات التي جاءت في الصحيفة عن المعاقل وفداء العناة للمهاجرين وبطون الأنصار.

لقد أورد أحد الباحثين[121] ثمانية أحاديث تثبت أصل الصحيفة والكتابة بين المهاجرين والأنصار ويهود المدينة، وما يثبت ما فيها من تفصيلات: ثلاثة من مسند الإمام أحمد، وواحد من كل من المصنف لعبدالرزاق وسنن أبي

---

(١١٦) معالم السنن (٢/ ٣٣٨) بإسناد صحيح كما قال هارون (ص ١٤٨).
(١١٧) الفتح (١٢/ ١٣٧/ح ٣٠٤٦).
(١١٨) سننه (٨/ ٢٠/ك. القسامة/ ب. القود بين الأحرار..) وفي سنده صدوقان ـ محمد بن عبدالواحد وأبوحسان ـ وللحديث شواهده في الصحيحين، فهو لذلك صحيح لغيره، كما قال هارون (ص ١٦٧).
(١١٩) انظر: صحيح سنن ابن ماجه ـ الألباني (٢/ ١٠١/ح ٢٦٥٩) وقال: «حسن صحيح».
(١٢٠) المصدر نفسه، حديث رقم ٢٦٦٠، وقال الألباني: «صحيح».
(١٢١) هارون: صحيفة المدينة، ص ص ١٣٣ ـ ١٥٥، ٢١٥.

داود ومعالم السنن للخَطابي واثنان من السنن الكبرى للبيهقي. وكلها صحيحة أو حسنة، ما عدا رواية عبدالرزاق فهي مرسلة.

أما المؤرخون فقد أشار بعضهم، إلى فقرات معينة وردت في الصحيفة، فمثلا الطبري[١٢٢]، أشار إلى كتابة المعاقل، وابن سعد[١٢٣] أشار إلى كتابة المعاقل بين المؤمنين، وأن لا يترك مفرح في الإسلام، ولا يقتل مسلم بكافر، وعبدالرزاق الصنعاني[١٢٤] بإسناده إلى الزهري، أشار إلى العقل على العاقلة وأن ذلك بلغهم عن الرسول ﷺ كما في الكتاب الذي بين قريش والأنصار، الذي فيه: «ولا تتركوا مفرحا أن تعينوه في فكاك أو عقل» والمقريزي[١٢٥]، الذي قال إن الرسول ﷺ كتب كتابا وادع فيه يهود المدينة: قينقاع والنضير وقريظة. وابن حزم[١٢٦] قال بأن الرسول ﷺ وادع اليهود، والديار بكري[١٢٧]، قال بأن الرسول ﷺ وادع اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم أن لا يعينوا عليه أحدا وإن دهمه بها عدو نصروه.

وروى ابن مردويه[١٢٨] في قصة بني النضير: «... صبحهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم، فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء...».

وهذا الخبر صريح في معاهدة الرسول ﷺ بني قريظة، وقد ذكرنا أن هذه المعاهدة كانت توكيدا لأخرى قبلها.

ثم ذكر هارون[١٢٩] شواهد كثيرة على فقرات الصحيفة... أما الآيات القرآنية، فقد أورد سبعا وعشرين آية توافق فقرات جاءت في الصحيفة.

---

(١٢٢) تاريخه (٢/٤٨٦) بدون إسناد. فهو ضعيف.
(١٢٣) الطبقات، الجزء الأول، القسم الثاني، ص١٧٢ (من ط. ليدن ١٩١٧ - ١٩٢٨).
(١٢٤) المصنف (٩/٢٧٣، ٢٧٤) بإسناد صحيح لكنه مرسل - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، ١٣٩٢- المكتب الإسلامي - بيروت.
(١٢٥) إمتاع الأسماع (١/٤٩) بدون إسناد. فهو ضعيف.
(١٢٦) جوامع السيرة، ص ٩٥، بدون إسناد.
(١٢٧) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (١/٣٥٣).
(١٢٨) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/٢٠٢/ك. المغازي/ ب. حديث بني النضير)، وقال: «إسناده صحيح». وأخرجه عبدالرازق في مصنفه (٥/ ٣٥٩ - ٣٦٠) وأبو داود في سننه (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٦/ك. الخراج/ ب في خبر بني النضير) والبيهقي في دلائله (٣/١٩٨).
(١٢٩) صحيفة المدينة، ص ص ١٥٦ - ٢١٤.

والخلاصة: إن جميع فقرات الصحيفة لها شواهد من صحيح السنة والقرآن الكريم. ولولا خشية الإطالة لذكرنا ولو طرفا منها. جزى الله خيرا الباحث هارون.

أما ما جاء في الصحيفة عن الصلح مع اليهود والمشركين بغير الجزية فهو منسوخ بآية الجزية: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[١٣٠]. وكان ذلك في سنة تسع[١٣١]، ومن المعروف أن سورة «التوبة» من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري[١٣٢].

خامسا: دلالات وأحكام وعبر من صحيفة المدينة:

١ - إن هذه الوثيقة تعد أقدم دستور مكتوب في العالم.

٢ - لم يذكر العلماء أن حكما من أحكامها قد نسخ، ماعدا قولهم إن المعاهدة مع اليهود، أو مع غير المسلمين بدون الجزية، منسوخة بآية الجزية - الآية (١٢٩) من سورة التوبة - كما ذكرنا قبل عدة أسطر.

٣ - وقال بعض العلماء إن العلاقة مع اليهود، والتي تضمنتها الوثيقة، توافق حكم الآية: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين﴾[١٣٣].

٤ - نظمت الوثيقة جوانب مختلفة لحياة الناس.

٥ - فيها مبادىء دستورية عديدة على سبيل المثال:

١ - تشكيل الأمة من حيث العقيدة والدين تشتمل على كل المسلمين حيثما كانوا.

٢ - تشكيل الأمة - أي الجماعة - من حيث المواطنة تشتمل على غير

---

(١٣٠) التوبة: ٢٩.
(١٣١) انظر ابن كثير: التفسير (٤/ ٧٤).
(١٣٢) الفتح (١٧/ ١٩٥/ح ٤٦٥٤.
(١٣٣) الممتحنة: ٨.

المسلمين في الدولة.

٣ - المساواة في المعاملات العامة.

٤ - منع إيواء المجرمين.

٥ - منع خروج اليهود من دون إذن محمد ﷺ.

٦ - منع الظلم والعدوان في المال والعرض وغيرهما.

٧ - منع الصلح المنفرد مع العدو.

٨ - منع إجارة قريش - أي منع إجارة العدو.

٩ - القود من القاتل - أي حرمة الحياة.

١٠- الإسهام في نفقة الدفاع عن الدولة والوطن.

١١- فداء الأسرى.

١٢- وفاء الدين عن الغارمين.

١٣- الإبقاء على الأعراف الصالحة.

١٤- حق الحرية في العقيدة والدين.

١٥- حقوق الجار.

١٦- حرمة المسلم - أي مبدأ لا يقتل مسلم بكافر.

١٧- تحريم المدينة.

١٨- عدم إعطاء حقوق الحرمة للآخرين في المدينة إلا بإذن أهلها.

١٩- مرجع حسم الخلاف حول بنود هذه الوثيقة الله (عز وجل) ورسوله محمد ﷺ.

وهناك مبادىء دستورية يمكن استنباطها من الوثيقة، والمبادىء المذكورة ينطوي كل واحد منها على أحكام شرعية، وما عدا المبادىء الخاصة بالمسلمين[١٣٤] فإن المبادىء التي انطوت عليها توجد في أي دستور حتى الدساتير الوضعية[١٣٥].

---

(١٣٤) وهي رقم: ١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ولا مثيل لها في أي مجتمع في العالم.

(١٣٥) كل ما ذكرناه إلى هنا من دلالات نقلناه عن الأستاذ هارون: صحيفة المدينة ص ص ٣٢٥ - ٣٢٦، وانظر: ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، ط١، ١٣٩٤، جزءان، دار النفائس، بيروت، ص٣١ وما بعدها.

وعلى الرغم من هذا الموقف المتسامح تجاه اليهود، إلا أنهم ظلوا يكيدون للإسلام بشتى الوسائل والأساليب، كما سنرى في الأحداث القادمة، ومن الميادين التي نشطوا فيها ولم يولها المؤرخون المحدثون كبير اهتمام، نشاطهم في ميدان الجدال العقيم رغبة منهم في الصد عن سبيل الله، وليس بغرض الدخول في الإسلام. وسجل القرآن كثيراً من جدالهم وعنادهم، ومن أظهرهم في ذلك: رافع بن حريملة وسلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمود بن دحية وشاش بن قيس ومالك بن الصيف، وجبل بن أبي قشير، وشمويل ونعمان احنا وبحري بن عمرو وشاش بن عدي ورافع بن حارثة والنحام بن زيد وكردم بن كعب...[136] إلخ.

(١٣٦) انظر أمثلة جدلهم كما ذكرها الشيخ الجزائري: هذا الحبيب. ص ص ١٩٦ - ١٩٨.

الفصـــل الرابـــع

القســـم الأول:

متفرقـــات

المبحـث الأول: تسمية يثرب بطيبة، وطابة والمدينة:

يلحظ ان المدينة المنورة سميت في الصحيفة بيثرب. ولكن فيها بعد كره الله ورسوله هذا الاسم فاستبدلت بها أسماء طيبة وطابة والمدينة.

فقد روى مسلم[1] عن جابر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى سمى المدينة: طابه».

وروى بسنده إلى زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «إنها طيبة - يعني المدينة - وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة»[2].

وروى الطيالسي[3] بطريق مسلم نفسهـا قائلا: «كانوا يسمون المدينة بيثرب، فسماها رسول الله ﷺ طيبة».

وقـال ابن حجر[4] إنه ورد من طريق أبي سهل بن مالك عن كعب الأحبار، قال: «نجد في كتاب الله الذي أنزل على موسى أن الله تعالى قال للمدينة ياطيبة، وياطابة...».

وردت في بعض أحاديث الرسول ﷺ باسم آخر هو: المدينة. فقد روى البخاري[5] بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

---

(١) صحيحه (٢/١٠٠٧/ح ١٣٨٥) ورواه بسنده ومتنه ابن شبه في تاريخ المدينة (١/١٦٤).
(٢) المصدر والمكان نفسـاهما.
(٣) مسنده (٢/٢٠٤).
(٤) الفتح (٨/٢١٨).
(٥) الفتح (٢٧/١٢١/ح ٧١٣٣).

وروى أحمد[٦] أن الرسول ﷺ قال: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله (عز وجل)، هي طابة، هي طابة».

وذكر السيوطي[٧] عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «لا تدعونها يثرب، فإنها طيبة ـ يعني المدينة ـ ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة، هي طيبة، هي طيبة».

وروى البخاري[٨] عن أبي حميد أنه قال: «أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: «هذه طابة».

وروى ابن شبة[٩] بإسناده إلى أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب.

وروى مسلم[١٠] عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقول يثرب، وهي المدينة. تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وسماها القرآن الكريم المدينة في مواضع متعددة[١١]

وقال ابن حجر[١٢] في سبب كراهة تسمية المدينة بيثرب، لأن يثرب إما من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب، وهو الفساد، وكلاهما مستقبح. وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ويكره القبيح.

---

(٦) المسند (٤/ ٢٨٥) بسنده إلى البراء بن عازب، ورجاله ممن يحتج بهم، ما عدا يزيد بن أبي زياد، فهو ضعيف، كما في التقريب (٣/ ٣٦٥) والتهذيب... ولكن يتقوى بالشواهد والمتابعات، وذكره ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢١٦) ورواه الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٠٠) وعزاه لأبي يعلى، وقال: ورجاله ثقات، ورواه ـ من ثلاثة طرق ـ ابن شبه في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥) الأول مرسل وفيه يزيد بن أبي زياد، والثاني مرفوع وفيه يزيد أيضا، والثالث مرفوع ورجاله ثقات ماعدا ابن أبي يحيى ـ إبراهيم بن محمد الأسلمي ـ فهو متروك كما في التقريب، فحديثه ضعيف جدا.

(٧) الدر المنثور (٥/ ١٨٨) وعزاه لابن مردويه.

(٨) الفتح (٨/ ٢١٨/ ١٨٧٢)، ورواه ابن شبه في تاريخ المدينة (١/ ١٦٤).

(٩) تاريخ المدينة (١/ ١٦٥) وإسناده ضعيف لأن فيه ابن أبي يحيى ـ إبراهيم بن محمد الأسلمي ـ وهو متروك كما في التقريب، فحديثه ضعيف جدا، ولكن للحديث شواهد ومتابعات يتقوى بها كما سترى من أحاديث هذه المسألة.

(١٠) صحيحه (٢/ ١٠٠٦/ ح ١٣٨٢).

(١١) مثلا: المنافقون: ٨، الأحزاب: ٦٠، التوبة: ١٠١، ١٢٠، ... إلخ وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

(١٢) الفتح (٨/ ٢١٦/ ك. فضائل المدينة/ ب. فضل المدينة وانها تنفي الناس).

المبحث الثاني: بعض المتاعب الصحية تواجه بعض المهاجرين:

لقد واجه المهاجرون حين مقدمهم من مكة إلى المدينة بعض المتاعب الصحية، إذ أصابتهم حمى يثرب[13]، حتى أنهم كانوا يصلون وهم قعود[14]، وصرف الله ذلك عن نبيه محمد ﷺ[15].

لقد وعك أبوبكر وبلال. فكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة؟ * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وجاءت عائشة (رضي الله عنها) إلى النبي ﷺ فأخبرته بما يقولان، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصححها وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها في الجحفة»[16].

ووعكت عائشة[17] وابن فهيرة[18]، وغير هؤلاء، لأن المدينة كانت مشهورة بالحمى، حتى قال مشركو مكة عن مسلمي المدينة في عمرة القضاء: «إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب»، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ليروا المشركين قوتهم، وأن الحمى لم

---

(١٣) طرف من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/٣١ - ٣٢). قال الساعاتي: «وأورده أيضا الهيثمي بطوله وقال رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة».

(١٤) أحمد: المسند (٣/١٣٦)، وابن إسحاق، بإسناد لم يصرح فيه بالسماع - ابن هشام (٢/٢٧٤)، ابن ماجه (١/٣٨٨/ح ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١) من طريق ابن إسحاق، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح».

(١٥) المصدر السابق نفسه.

(١٦) البخاري/ الفتح (١٥/١٢١ - ١٢٢/ح ٣٩٢٦). قال ابن حجر في شرحه: بواد: وادي مكة. وانظر الفتح الرباني (٢١/١٣ - ١٤)، جليل: نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها. شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة، وقيل: عينان. ورواه ابن إسحق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٧١ - ٢٧٣).

(١٧) البخاري/ الفتح (١٥/١١٤/ح ٣٩١٧، ٣٩١٨).

(١٨) ذكره ابن إسحاق من حديث عائشة بإسناد حسن - ابن هشام (٢/٢٧١)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/١٣) من حديث عائشة، وقال الساعاتي: متفق عليه.

تنهكهم كما يزعم الكفار[١٩].

واستجاب الله دعاء نبيه فجعلها من أطيب البلاد بعد ذلك.

المبحث الثالث: قريش تهدد المهاجرين والأنصار:

كان عبدالله بن أبي بن سلول أكبر زعماء المدينة. وعندما جاءها الرسول ﷺ مهاجرا كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم، ولم يتم ذلك لأن الرسول ﷺ أصبح زعيما بتاج النبوة. ولذا تأخر في إسلامه، لأنه كان يرى أن الرسول ﷺ قد سلبه ملكه، فأخذ يناصبه العداء. وبعد أن أعلن إسلامه ظل على عدائه للرسول ﷺ، ولكن بأسلوب آخر، وهو أسلوب النفاق. وله مواقف تدل على نفاقه كما سيأتي.

ففي أحد هذه المواقف، روى البخاري[٢٠] ومسلم[٢١] وأحمد[٢٢]، ثلاثتهم من حديث الزهري بإسناده إلى أسامة بن زيد أن سعد بن عبادة قال: «يارسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرةِ على أن يتوجوه فَيُعَصِّبُوهُ بالعِصَابَة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شَرِقَ بذلك، فذلك فَعَلَ به ما رأيت...».

وفي رواية ابن إسحاق[٢٣] قال سعد: يارسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فوالله إنه ليرى أنه قد سلبته ملكا».

لقد وجد مشركو مكة ضالتهم في ابن سلول هذا، لأنه على ملتهم، فكاتبوه ليكيد للمسلمين ويقوم بالدور الذي كانوا يقومون به ضد الرسول ﷺ وأصحابه في مكة. قالوا له في كتبهم إليه: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم

---

(١٩) البخاري/ الفتح (١٦/٩٦/ح ٤٢٥٦، ٤٢٥٧) وقد سبق أن قلنا إن بلالا دعا على شيبة وعتبة وأبي جهل لأنهم أخرجوهم إلى أرض الوباء.

(٢٠) الفتح (١٧/٩٢ - ٩٤/ح ٤٥٦٦).

(٢١) مسلم (٣/١٤٢٢ - ١٤٢٣/ح ١٧٩٨).

(٢٢) المسند: الفتح الرباني (٢١/١٩ - ٢٠) بإسناد صحيح.

(٢٣) ابن هشام (٢/ ٢٧٠ - ٢٧١) بإسناد حسن، وهو نفس طريق البخاري ومسلم وأحمد.

بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم»[٢٤].

وامتثل ابن أبي لأمر الكفار، فجمع كفار المدينة لمحاربة الرسول ﷺ. وعندما بلغ الرسول ﷺ أمره، قال لهم: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ماكانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا[٢٥].

وأرسل كفار مكة إلى مسلمي المدينة يقولون لهم: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم»[٢٦].

واحترازا من مكائد قريش حرص المسلمون على حراسة الرسول ﷺ ليلا حتى نزل قوله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾[٢٧]، فقال لأصحابه: «ياأيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله (عز وجل)»[٢٨]. وقد دعا رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص عندما جاء يحرسه ذات ليلة، خوفا عليه[٢٩].

ولم يكن الخطر مقتصرا على الرسول ﷺ فقط، بل تعداه إلى أصحابه. فقد قال أبي بن كعب: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه[٣٠]».

وكجزء من مخططات قريش وأساليبها للصد عن سبيل الله فقد حاولت صد الأنصار عن المسجد الحرام. وقد ظهر هذا جليا في قصة سعد بن معاذ وأبي جهل. وخلاصتها عند البخاري، أن سعدا بن معاذ جاء مكة معتمرا،

---

(٢٤) سنن أبي داود (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٧/ك. الخراج/ب خبر النضير/ح ٣٠٠٤) وإسناده صحيح.
(٢٥) المصدر نفسه.
(٢٦) انظر المنصور فوري: رحمة للعالمين (١/ ١٠٩)، ولم نعثر على مصدر المنصور فوري حتى الآن.
(٢٧) المائدة: ٦٧.
(٢٨) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٤٦/ح ٣٢٥٠)، وقال الشيخ الألباني: «حسن».
(٢٩) مسلم (٤/ ١٨٧٥/ح ٢٤١٠)، البخاري/ الفتح (١٢/ ٣٥/ح ٢٨٨٥).
(٣٠) ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم، ص ٢١٧، ولم يذكر مصدره ولم نعثر عليه حتى الآن.

وطلب من مضيفه أمية بن خلف أن ينظر له ساعة خلوة ليطوف بالبيت آمنا. فأخذه أمية ليطوف في منتصف النهار حين غفلة الناس، ومع ذلك لقيه أبوجهل وسأل عنه أمية، فأخبره به، فقال له: «تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ وتشاجرا، ومما قاله سعد له: «والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام... وهدده بأن الرسول ﷺ سيقتله، وقد كان أن قتله الله ببدر[31].

(٣١) البخاري/ الفتح (١٤/١٢٦/ح ٣٦٣٢).

القسم الثاني من الفصل الرابع

النشاط العسكري والسياسي قبل غزوة بدر الكبرى:

المبحث الأول: الإذن بالقتال:

روى ابن جرير الطبري[٣٢] بسنده إلى ابن عباس أنه قال: «لما أخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبوبكر: أخرجوا نبيهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله (عز وجل): ﴿أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظُلِموا، وإنّ الله على نصرهم لقدير﴾[٣٣]، قال أبوبكر (رضي الله عنه): فعرفت أنه سيكون قتال».

وزاد أحمد[٣٤] في روايته لهذا الخبر، أن ابن عباس قال: «وهي أول آية في القتال».

وقال العوفي عن ابن عباس إن الآية نزلت في محمد ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة[٣٥].

لقد شرع الجهاد في الوقت الأليق به، لأن المسلمين بمكة كانوا أقل من معشر المشركين، ولذا لم يأمرهم الله بالقتال. وعندما بغى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من مكة وهموا بقتله، وشردوا أصحابه ما بين الحبشة والمدينة، وعندما استقر المسلمون بالمدينة وهاجر إليهم الرسول ﷺ وأصبحت المدينة دار إسلام ومعقلا يلجؤون اليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت

---

(٣٢) تفسير الطبري (١٧/١٢٣)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٠ - ٤٣١).
(٣٣) الحج: ٣٩.
(٣٤) المسند (٣/٢٦٢/شاكر) وصحح شاكر إسناده. ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧٩/ح ٢٥٣٥) وحسنه، وصحح الألباني إسناده.
(٣٥) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١٢٢ - ١٢٣)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٠ - ٤٣١).

هذه الآية أول ما نزل في ذلك[٣٦]. ولم يكن القتال هنا فرضا عليهم وإنما أذن بالقتال لمن ظلم، ثم فرض عليهم فيها بعد قتال من يقاتلهم عندما نزل قوله تعالى ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾[٣٧].

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة عندما نزل قوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾[٣٨].

وهكذا مر تشريع الجهاد بأربع مراحل رئيسة، وهي:

١) مرحلة الصبر دون القتال ـ بمكة.
٢) مرحلة الإذن بالقتال ـ بعد الهجرة.
٣) مرحلة الأمر بقتال من يبدؤهم بالقتال.
٤) مرحلة الأمر بقتال جميع المشركين[٣٩].

المبحث الثاني: الغزوات والسرايا[٤٠] والأحلاف والأحداث الهامة قبل غزوة بدر الكبرى:

أولا: أهداف الغزوات والسرايا:

عندما أذن الله لنبيه والمؤمنين بالقتال، أخذوا في إعداد القوة لرد عدوان قريش، ومن على شاكلتها. فلما أرادت قريش أن تري المسلمين أن لها يدا

---

(٣٦) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢). وقال الزهري: «أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ أخرجه النسائي: (٦/ ٤) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٤٢). وأخرجه غيره. انظر السيرة الشامية (٤/ ١٢).

(٣٧) البقرة: ١٩٠.

(٣٨) التوبة (براءة): ٣٦.

(٣٩) انظر: زاد المعاد (٣/ ٧١)، وسيد قطب: في ظلال القرآن (٣/ ١٤٣١ ـ ١٤٣٢)، ولسيد قطب كلام هام في تعليقه على هذه المراحل التي ذكرها ابن القيم، بين فيها السمات الأصلية والعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين. والسمة الأولى هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين، إذ يقول: «... فهو حركة تواجه واقعا بشريا. وتواجه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي... إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية تسندها سلطات ذات قوة مادية... ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه... تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل...».

(٤٠) أطلق المؤرخون اسم «السرية» على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده أحد أفراد المسلمين. وأطلقوا اسم «الغزوة» على المجموعة أو الجيش الذي يقوده الرسول ﷺ بنفسه.

في داخل المدينة، أراد المسلمون أن يروا قريشا ان المسلمين ليسوا بذلك الهوان الذي تتصوره قريش، وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش، وحصارها سياسيا واقتصاديا، ورد حقوقهم المسلوبة.

وكانت أول خطوة في هذا الميدان أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طرق قريش التجارية، شمالا وجنوبا، شرقا وغربا. واختار الرسول ﷺ لبسط هذه السيطرة خطتين متلازمتين:

الأولى: إرسال السرايا والبعوث لمهاجمة قوافل قريش التجارية.

الثانية: السعي إلى عزل قريش بالدخول في معاهدات دفاعية وعدم اعتداء مع القبائل المحيطة بالمدينة، والتي تخترق قوافل قريش أراضيها وهي في طريقها إلى الشام، فكسب إلى جانبه في السنوات الأولى من الهجرة: بني ضمرة وجهينة وخزاعة وغفار وأسلم. وسيأتي ذكر هذا من خلال الكلام عن السرايا. وكسب غيرها بعدها خلال سني حياته بالمدينة كما سنرى إن شاء الله.

ولقد نجحت هذه السرايا في كل أهدافها، لا سيما إرباك قريش وحلفائها وإضعاف معنوياتهم، وضرب نشاطهم التجاري في جميع الاتجاهات، والحصول على مورد للتموين والتسليح. ونجحت في إنذار الأعداء بأن للمسلمين المقدرة على التصدي والردع. واكتسبت القوات الإسلامية مزيد خبرة في مجال التدريب العسكري، والمناورة وجس نبض الأعداء، ومعرفة دروب الصحراء وأحوال الأعداء.

ثانيا: الغزوات والسرايا والأحلاف والأحداث الهامة:

١) سرية سِيْف البحر:

بقيادة حمزة بن عبدالمطلب، في ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليعترضوا عيرا لقريش قادمة من الشام، وفيها أبوجهل في ثلثمائة رجل. وعندما التقى الجمعان. واصطفوا للقتال، حجز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو الجُهَني ـ وكان حليفا للفريقين ـ فلم يقتتلوا. وكان ذلك في رمضان على رأس

سبعة أشهر من هجرة النبي ﷺ[٤١].

ويفهم من هذا أن الرسول ﷺ كان قد عقد حلفا مع أحد رجال فرع من فروع جُهَيْنَة في وقت مبكر من حياته بالمدينة، أي في النصف الأول من السنة الأولى الهجرية.

ومما يقوي هذا الفهم، مارواه أحمد[٤٢] عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جُهَيْنَة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأمنك وتأمَنّا، فأوثق لهم فأسلموا...».

وحفظت لنا المصادر التاريخية عددا من الوثائق الخاصة بعلاقة النبي ﷺ مع فروع جهينة المختلفة. من ذلك ما ذكره ابن سعد[٤٣] من أن الرسول ﷺ كتب لبني زرعة وبني الدبعة من جُهَيْنَة أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم من بر منهم واتقى ما لحاضرتهم.

ويغلب على هذه الوثيقة الطابع السياسي، إذ ليس فيها إشارة إلى أي واجب ديني[٤٤].

أما الوثيقة التي كتبها لبني الحُرَقَة وبني الجُرْمُز من جهينة، وتحمل اسم عمرو بن مَعْبَد الجهني، فقد ورد فيها الإصرار على أداء الواجبات الدينية كشرط للأمان، وفيها أداء الخمس من الغنائم، وسهم النبي ﷺ، وتحريم الربا[٤٥] مما يدل على أنها كتبت بعد بدر، لأن فرض الخمس كان بعد بدر بمدة، عندما قويت شوكة المسلمين، وهزموا

(٤١) الواقدي (١/ ٩)، ابن سعد (٢/ ٦)، ابن اسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨١) - وجميعهم بدون إسناد. وقال ابن سعد (٢/ ٦): «ولم يبعث رسول الله ﷺ أحدا من الأنصار مبعثا حتى غزا بدرا، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم، وهذا الثبت عندنا».

(٤٢) المسند (٣/ ٧٠/ شاكر)، وقال شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه، وروى نحوه موصولا البيهقي في الدلائل (٣/ ١٥) وليس فيه مجيء جهينة... وعلق عليه ابن كثير في البداية (٣/ ٢٧٢) بقوله: «وهذا أنسب».

(٤٣) الطبقات (١/ ٢٧٠) - بدون إسناد.

(٤٤) انظر: دبلوماسية محمد، ص ٤٣.

(٤٥) الطبقات (١/ ٢٧١ - ٧٢) بدون إسناد.

قريشـا، وتفرغوا لبسط سيادة الإسلام على الجزيرة العربية[٤٦]، ولأن تحريم الربا جاء متدرجا. ففي العهد المكي نزل قول الله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعِفُون﴾[٤٧] وفي العهد المدني نزل تحريم الربا صراحة في قول الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة. واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[٤٨]. وآخر ما ختم به التشريع قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظْلَمون﴾[٤٩].

وكتب الرسول ﷺ لعَوْسَجَة بن حَرْمَلَة الجهني ولبني شَنْخ من جهينة كتابي إقطاع وتمكين على مناطق سماها لهم، ولم تتطرق الوثيقتان إلى أمر آخر غير الإقطاع[٥٠].

٢) **سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار[٥١]:**

روى الـواقـدي[٥٢] بسنـده إلى سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «اخرج ياسعد حتى تبلغ الخرار، فإن عيرا لقريش ستمر به. فخرجت في عشرين رجلا أو أحد وعشرين[٥٣] على أقدامنا، نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس. وقد كان النبي ﷺ عهد إلي ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم».

---

(٤٦) دبلوماسية محمد ﷺ، ص ص ٤٣ - ٤٤.
(٤٧) الروم: ٣٩.
(٤٨) آل عمران: ١٣٠.
(٤٩) البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩ - وانظر سيد سابق: فقه السنة (٣/١٣٢ - ٣٣).
(٥٠) الطبقات (١/٢٧٠).
(٥١) من الجحفة وقريب من خم كما قال الواقدي (١/١١).
(٥٢) المغازي (١/١١)، بإسناد متصل ورجاله ثقات، ماعدا الواقدي، فهو متروك في الحديث مع سعة علمه.
(٥٣) عند ابن إسحاق - ابن هشام (٢/٢٨٧) أن عدتهم ثمانية - دون إسناد. فهو ضعيف.

وعند ابن سعد[٥٤] أن الذي كان يحمل اللواء هو المقداد بن عمرو. وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة[٥٥].

٣) غزوة الأَبْـوَاء (وَدَّان):

غزاها رسول الله ﷺ في صفر على رأس أحد عشر شهرا من الهجرة، كما عند الواقدي، وفي صفر على رأس اثني عشر شهرا، كما عند ابن سعد، يريد الاعتراض على عير لقريش ويريد بني ضمرة. فسار حتى بلغ الأبواء من ديار بني ضمرة، فلم يلق حربا، وكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحدا. وكتب في ذلك كتابا لزعيمهم مَخْشِيّ بن عمرو الضمري[٥٦]. وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه[٥٧].

٤) سرية عُبَيْدَة بن الحارث الى رَابغ:

عقد له رسول الله ﷺ لواء في ستين رجلا من المهاجرين فسار حتى لقي جمعـا عظيما من قريش، عليهم أبـوسفيان أو عكرمة، على ماء بالحجاز، فتناوشوا، ورمى سعد يومئذ بسهـم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام، ثم انصرفوا. وفر من المشركين إلى المسلمين، المِقْدَاد بن عمرو وعُتْبَة بن غَزْوَان بن جابر المازني، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار[٥٨]. وكان هذا من أكبر مكاسب المسلمين من هذه السرية.

وقد اختلف في تاريخ هذه السرية. فعند الواقدي[٥٩] وابن سعد[٦٠]،

---

(٥٤) الطبقات (٢/ ٧) - دون اسناد فهو ضعيف.
(٥٥) الطبقات (٢/ ٧) - والواقدي (١/ ١١). فهو ضعيف جداً.
(٥٦) انظر الكتاب عند ابن سعد (١/ ٢٧٥).
(٥٧) ابن اسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٧٥)، الواقدي (١/ ١١ - ١٢) ابن سعد (٢/ ٨)، موسى بن عقبة كما في الفتح (١٥/ ١٤١)، وجميعهم بدون إسناد - وروى ذلك الطبراني كما في المجمع (٦/ ٨٦) والفتح (١٥/ ١٤١) من طريق كثير بن عبدالله - والحديث حسن إذا تابعنا البخاري في تحسين حديث مروي عن كثير في غير الصحيح وتوثيق الترمذي له... انظر ما سبق في صحيفة المدينة.
(٥٨) الطبقات (٢/ ٧)، الواقدي (١/ ١٠) ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٧٦) وجميعهم من دون إسناد. ومعلوم أن الخبر غير المسند من أقسام الضعيف.
(٥٩) المغازي (١/ ١٠).
(٦٠) الطبقات (٢/ ٧).

أنها كانت في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، ولا إشكال هنا في أن يكون المقداد بن عمرو حامل لواء سرية الخرار، لأنها كانت في الشهر التاسع الهجري، ويفهم من رواية ابن إسحاق[٦١] أنها في ربيع الأول. وبعد غزوة الأبواء، ولم يذكر رقم الشهر من تاريخ الهجرة. وعند أبي الأسود وابن عائذ أنها بعد غزوة الأبواء وقبل أن يعود الرسول ﷺ منها إلى المدينة. وفي ذلك قال ابن حجر[٦٢]: «وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما وصل إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا، فلقوا جمعا من قريش فتراموا بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله».

وإذا صح هذا الإسناد[٦٣]، فالراجح ما قاله أبو الأسود وابن عائذ، ويبقى إشكال حمل المقداد لواء المسلمين يوم الخرار، فيحمل على أن ذلك كان في غير هذه السرية، أو أنه وهم من ابن سعد[٦٤].

٥) غزوة بُوَاط من ناحية رَضْوَى:

خرج الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط، وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حربا. وكان ذلك في ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشرشهرا من الهجرة[٦٥].

٦) غزوة سَفَوَان (بدر الأولى - بدر الصغرى):

عندما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة في ربيع الاول

---

(٦١) ابن هشام (٢/ ٢٧٦).
(٦٢) الفتح (١٥/ ١٤٢).
(٦٣) الحكم النهائي على إسناد أبي الأسود وابن عائذ يكون بعد الوقوف على كامل إسناديهما، وهو مالم يتحقق لنا حتى الآن.
(٦٤) انظر سرية سعد إلى الخرار.
(٦٥) ابن سعد (٢/ ٩٠٨)، وابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٢٨٤)، الواقدي (١/ ١٢) وجميعهم من دون إسناد.

على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان، من ناحية بدر، فلم يدركه، فعاد إلى المدينة[٦٦]. وعند ابن إسحاق[٦٧] انها بعد غزوة ذي العُشَيْرَة.

٧) غزوة العُشَيْرَة:

خرج الرسول ﷺ في خمسين ومائة ـ ويقال في مائتين ـ من أصحابه، يعترض قافلة كبيرة لقريش في طريقها إلى الشام، وبلغ العشيرة وهي لبني مدلج، بناحية ينبع. ففاتته العير. وهي التي خرج يريدها حين عادت، ولكنها أيضا أفلتت، وكان لقاء بدر الكبرى بسببها.

ووادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حربا.

وكان ذلك في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة[٦٨].

وقد ثبت في الصحيح وقوع هذه الغزوة، ولكن بدون ذكر لأي تفاصيل عنها[٦٩].

وتفيدنا المصادر أن الرسول ﷺ عقد معاهدات دفاع مشترك وأمان مع غير من ذكرنا، في وقت مبكر من حياته بالمدينة، ولم يرتبط وقوع ذلك بخروج المسلمين في غزوة أو سرية معينة. مثال ذلك:

كتاب الرسول ﷺ إلى بُدَيْل بن ورقاء وبُسْر وسَرَوَات بني عمرو الخزاعيين، يفيدهم فيه أنه لم يخنهم منذ أن سالمهم، وأكد لهم الأمان من جانبه[٧٠].

وكتاب الرسول ﷺ إلى أسلم من خزاعة، وفيه الإقرار بالمناصرة[٧١].

---

(٦٦) ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٢٨٨)، ابن سعد (٢/ ٩)، الواقدي (١/ ١٢) وجميعهم بدون إسناد.
(٦٧) ابن هشام (٢/ ٢٨٨).
(٦٨) انظرها عند: ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥)، ابن سعد (٢/ ٩ ـ ١٠) الواقدي (١/ ١٢ ـ ١٣)، وجميعهم من دون إسناد. وعند الواقدي وابن سعد: «ذوالعشيرة» وما في الصحيح أصح.
(٦٩) انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ١٤١ ـ ١٤٤/ح ٣٩٤٩، باب غزوة العشيرة).
(٧٠) انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١/ ١٧٠)، وابن سعد (١/ ٢٧٢).
(٧١) انظره في: ابن سعد (١/ ٢٧١).

وكتاب الرسول ﷺ إلى بني غفار، وفيه اتفاقية دفاع مشترك ضد من يحاربهم أو يحارب المسلمين في دينهم[٧٢].

وكتـــاب النبي ﷺ إلى نعيم بن مسعـــود بن رخيلة الأشجعي، وفيه المحالفة، على النصر والنصيحة[٧٣].

٨) سريـة نَخْلَـة:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة ومعه ثمانية رهط من المهاجرين. وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وذلك إمعانا في السرية، وحتى لا يعلم أحد إلى أين الاتجاه.

وفعل ما أمر به. وعندما فض الكتاب وجد فيه الأمر بأن يمضي حتى ينزل نخلة، بين مكة والطائف[٧٤]، ليرصد بها قريشا ويعلم له من أخبارهم، وألا يستكره أحدا من أصحابه. وعندما أخبر أصحابه بأمر الرسول ﷺ مضوا معه جميعا إلى وجهته.

وعندما نزلوا نخلة، مرت عير لقريش فيها ابن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نَوْفَل والحَكَم بن كَيْسَان مولى هشام بن المغيرة.

وتشاور الصحابة في أمر الاستيلاء على هذه العير، لأن ذلك كان في آخر يوم من رجب، وهو شهر حرام، فخشوا أن يترتب على هذا القـرار نتائج غير مرضية. وعندما وجدوا أنهم لو تركوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن به منهم، تشجعوا وأجمعوا أمرهم على قتل من يقدرون عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمـــرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا عثـــمان بن عبـدالله بن المغيرة والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل. وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

(٧٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٧٤).
(٧٣) انظره في: الطبقات (١/ ٢٧٤).
(٧٤) وهذا دليل على أن خطة المسلمين في ملاحقة قوافل قريش لم تكن خاصة بالمنطقة الشمالية من الحجاز بل تعدى ذلك إلى المنطقة الجنوبية، طريق قوافل قريش إلى اليمن.

وقال لهم الرسول ﷺ إنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام، وأبى أن يأخذ العير والأسيرين. وظن القوم أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما فعلوا.

وقالت قريش إن محمدا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فلما أكثر الناس في ذلك، أنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟ قل قتال فيه كبير. وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر. والفتنة أكبر من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يرجون رحمة الله، والله غفور رحيم﴾[٧٥].

وبها فرج الله على المسلمين ما كانوا فيه من الهم، وقبض الرسول ﷺ العير والأسيرين.

وعندما أرسلت قريش في فداء الأسيرين، اشترط الرسول ﷺ أن يكون ذلك بعد مجيء سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، خشية منه عليهما من قريش. وكانا قد تخلفا عن القوم قبل وصولهم نخلة، بحثا عن بعيرهم الذي أضلاه[٧٦].

أحكام وعبر في قصة سرية نخلة:

١) لقد بينت هذه الآية التي نزلت في التعليق على ماحدث في هذه السرية أن الذي فعله المشركون بالمسلمين من صد عن سبيل الله وكفر به،

---

(٧٥) البقرة: ٢١٧ - ٢١٨ والأشهر الحرم هي: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب، كما روى البخاري. انظر الفتح (١٧/ ٢٠٤ - ٢٠٥/ح ٤٦٦٢).

(٧٦) أخرج قصة هذه السرية: الطبراني، كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٧٨) بإسناد متصل. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٦ - ٦٧) إن الطبراني رواها بإسناد واحد وهو إسناد حسن. ورواها ابن إسحاق مرسلة، موقوفة على عروة (ابن هشام ٢/ ٢٨٨ - ٢٩٣). وقال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٧٤): «وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مسندة، فمن ذلك مارواه ابن أبي حاتم...». انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٨ - ٣٦٩).

وصد عن المسجد الحرام وإخراج المسلمين من بلدهم وسلب أموالهم وفتنتهم عن دينهم، بينت الآية أن كل هذا أكبر عند الله مما فعله المسلمون، أي القتال في الشهر الحرام.

فإذا كان المشركون يرتكبون هذه الجرائم الكبرى كلها في حق المسلمين فلا تثريب على المسلمين من قتالهم في الشهر الحرام، وإنما التثريب أن يقاتل في الشهر الحرام من يرتكب تلك الجرائم.

وفي هذا التعليق بيان لسياسة الإسلام في تقدير القيم الدينية والخلقية وسموه بالمعاني الروحية والإنسانية، وعدم إغفاله للبواعث النبيلة التي دعت رجال السرية للقتال في الشهر الحرام، دون الوقوف عند الظواهر والرسوم وما التزمه الناس من تقاليد كريمة مشروعة أو موروثة.

٢) وبينت الآية أن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته. فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقصها هدم القوانين والدساتير جميعا.

٣) وبينت الآية أن لا هوادة مع المشركين المعتدين، مما كان له أثره البعيد لدى المسلمين وأعدائهم.

٤) إن استخدام الرسول ﷺ أسلوب الرسائل السرية، دل على مشروعية الأخذ بالأسباب، ودل على سبق الإسلام في استخدام هذا الأسلوب الذي لم يعرفه الغرب إلا في الحرب العالمية الثانية.

٥) لقد كانت سرية نخلة أول عملية توغل قريبا من مكة، مركز العدو. ولذا فهي عملية فدائية، قامت على الطواعية، إذ لم يكره عبدالله أحدا من أفراد السرية على المضي في الخطة المرسومة في رسالة النبي ﷺ السرية[٧٧].

٩) **تحويل القبلة:**

قال الجمهور إنه في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا

(٧٧) لمزيد من الأضواء على أحكام وعبر هذه السرية، انظر: أبو شهبة: السيرة النبوية، (٢/١٢١ - ١٢٢) الغزالي: فقه السيرة، ص ص ٢٣١ - ٢٣٢، الشامي: من معين السيرة، ص ١٨٤.

من الهجرة أمر الله (عز وجل) بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام[٧٨]، بعد أن صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً[٧٩]. وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة، قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرع، فأنزل الله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام... الآية﴾[٨٠] فكان أول صلاة صلاها إلى المسجد الحرام صلاة العصر[٨١]، وبلغ الخبر أهل قباء في اليوم التالي وهم يصلون الصبح، فتحولوا إلى المسجد الحرام[٨٢].

١٠) فريضة صيام رمضان:

قال الطبري[٨٣] في حوادث السنة الثانية الهجرية: «... وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل إنه فرض في شعبان منها...».

وثبت في الصحيحين[٨٤] أن الرسول ﷺ عندما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فصامه، وأمر بصيامه، فلما نزل الأمر بصيام شهر رمضان، كان رمضان الفريضة، وخير الناس في صيام عاشوراء.

---

(٧٨) انظر: البداية والنهاية (٣/٢٧٦).
(٧٩) روى ذلك البخاري/ الفتح (١٧/٢٣/ح ٤٤٨٦)، ومسلم (١/٣٧٤/ح ٥٢٥).
(٨٠) البقرة: ١٤٤.
(٨١) البخاري/ الفتح (١٧/٢٣/ح ٤٤٨٦).
(٨٢) المصدر نفسه (١٧/٢٥/ح ٢٧٨) والتفسير (١/٢٧٨ - ٢٨٠)، ومسلم (١/ ٣٧٤ - ٣٧٥/ح ٥٢٦)، وأحمد. الفتح الرباني (٢١/٢٨) والترمذي (٢٩٦٦)... وغيرهم.
(٨٣) التاريخ (٢/٤١٧).
(٨٤) البخاري/ الفتح (١٧/٣١/ح ٤٥٠٣، ٤٥٠٤)، مسلم (٢/٧٩٢ - ٧٩٥/ح ١١٢٥ - ١١٢٩).

الفصل الخامس

غــزوة بــدر الكبــرى

عندما سمع الرسول ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام في تجارة لقريش، ندب المسلمين إليه، وقال لهم: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»[1].

وفي رواية عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أخبرت[2] عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير، لعل الله يغنمناها؟ قلنا نعم. فخرج وخرجنا معه»[3].

ولم يستنفر الرسول ﷺ كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضرا، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علو المدينة[4]، ولذا لم يعاتب أحدا تخلف عنها[5]. وكان عددهم ما بين الـ ٣١٣ والـ ٣١٧ رجلا[6]، منهم

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ٢٩٥)، ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن حديث بدر عند ابن إسحاق كله بهذا الإسناد، وإن كان لا يكرر الإسناد في كل مرة أو في كل فقرة. والخبر بهذا المعنى عند الطبري في التفسير (١٣/ ٣٩٨ ـ ٩٩) بإسناد مرسل حسن، لان رجاله ثقات وموقوف على عروة ـ تابعي.

(٢) أخبره بذلك بسيسة الذي أرسله عينا له لهذا الغرض، كما روى مسلم (٣/ ١٥١٠/ح ١٩٠١). وقال محمد فؤاد عبدالباقي في الحاشية: (بسيسة) قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ، قال: «والمعروف في كتب السيرة: بسبس، وهو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر من الأنصار، الخزرج، ويقال حليف لهم. قلت ـ أي الإمام النووي ـ يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له، والآخر لقبا. انتهى. ولا يستبعد وجود تصحيف في الاسم فيما أرى. انظر ترجمته في الإصابة (١/ ١٤٧) وابن سعد (٢/ ٢٤) بإسناد صحيح مرسل.

(٣) رواه الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٣ ـ ٧٤)، وقال: «رواه الطبري وإسناده حسن».

(٤) من حديث في صحيح مسلم (٣/ ١٥١٠/ح ١٩٠١) ومسند أحمد (٣/ ١٣٦) من حديث أنس. ورواه الطبراني «وجادة» كما في المجمع (٦/ ٦٧) وقال الهيثمي: «ورجاله ثقات».

(٥) انظر حديث كعب بن مالك في: البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤١/ح ٤٤١٨).

(٦) عند البخاري في الفتح (١٥/ ١٥٥ ـ ١٥٧/ح ٣٩٥٦ ـ ٣٩٥٩) بضعة عشر وثلثمائة: الأنصار نَيِّف وأربعين ومائتين والمهاجرون نيفا على ستين. وعند مسلم (١٢/ ٨٤/النووي) أنهم كانوا ثلثمائة وتسعة عشر رجلا والمشركون ألف. وعند النسائي في السنن (٢/ ٧) أنهم كانوا (٣١٤) وفي إسناده يحيى بن عبدالله، صدوق يهم، فيكتب حديثه للاعتبار، والقطع بها في رواية مسلم في تفسير البضع بتسعة عشر هو الأولى كما قال باوزير (ص ٣٦٤).

ما بين الـ ٨٢ والـ ٨٦ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج[٧]، معهم فرسان وسبعون بعيرا، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد[٨].

وكان أبولبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، فعندما جاء دوره في المشي، قالا له: «نحن نمشي عنك». فقال لهما: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[٩].

وفي الطريق، وعندما بلغوا الروحاء، رد الرسول ﷺ أبا لبابة وَأَمَّرَهُ على المدينة، وسبق ذلك أن جعل عبدالله بن أم مكتوم على الصلاة[١٠]، وأصبح مكانه في زمالة الرسول ﷺ على البعير، مرثد[١١] بن أبي مرثد. ولذلك فلا خلاف بين رواية ابن إسحاق ورواية أحمد.

وعندما علم أبوسفيان بالخطر المحدق بقافلته، أرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنجد بقريش.

وجاء ضمضم مسرعا إلى مكة، وعندما دخلها وقف على بعيره، وقد جدع أنفه، وحول رحله وشق قميصه، وهو يصيح: «يامعشر قريش، اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث»[١٢].

وخرجت قريش مسرعة لإنقاذ عيرها ورجالها، ولتلتقي بالمسلمين في حرب تراها قاضية على قوة المسلمين التي ظلت تهدد تجارتهم. ولم يتخلف من

---

(٧) وهو طرف من الحديث الحسن الذي رواه ابن إسحاق في ندب الرسول ﷺ المسلمين لملاقاة عير قريش ـ ابن هشام (٢/ ٢٩٥)، وعند البخاري/ الفتح (١٥/ ١٥٥/ح ٣٩٥٦): كان المهاجرون نيِّفا على ستين والأنصار نَيِّفَ وأربعين ومائتين. وانظر كلام ابن حجر عن الروايات المختلفة عن عدد المهاجرين والأنصار في بدر ـ الفتح (١٥/ ١٥٥ و١٩٧).

(٨، ٩) انظر الحديث في المسند (٦/ ٣/ شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح» وهو كما قال في المجمع (٦/ ٦٨) ونسبه أيضا بنحوه للبزار، وقال: «وفيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح»، وهو من حديث بدر بإسناد حسن عند ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(١٠) انظر: المستدرك (٣/ ٦٣٢) من حديث سكت عليه الذهبي وفيه ابن لهيعة، وهو صدوق كما في التقريب (١/ ٤٤٤)، وابن هشام (٢/ ٣٠٢) في زياداته على السيرة، بدون إسناد.

(١١) انظر: ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٣٠٣) من حديث بدر بإسناد حسن، وابن كثير في البداية (٣/ ٢٨٥).

(١٢) انظر: ابن إسحاق في قصة بدر ـ بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ٢٩٨).

أشرافهم سوى أبي لهب، فإنه أرسل مكانه العاص بن هشام، مقابل دين كان عليه، مقداره أربعة آلاف درهم[١٣]. ولم يتخلف من بطون قريش سوى بني عدي[١٤].

وبلغ عددهم في بداية مسيرهم نحو ألف وثلثمائة محارب، معهم مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة، بقيادة أبي جهل[١٥].

وعندما خشوا أن تغدر بهم بنوبكر لعداوتها معهم، كادوا أن يرجعوا عما أرادوا[١٦]، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، سيد بني كنانة، وقال لهم: «أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه[١٧]. فخرجوا من ديارهم كما حكى عنهم القرآن ﴿بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله﴾[١٨].

رأت عاتكة بنت عبدالمطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بخبر أبي سفيان بثلاث ليال، فقالت: رأيت رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح، فقال: انفروا ياآل بدر لمصارعكم في ثلاث، فذكرت المنام وفيه: ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى ترضضت فما بقيت دار ولا بنية إلا ودخل فيها بعضها. وفي القصة إنكار العباس على أبي جهل قوله: «حتى حدثت فيكم هذه النبية»، وإرادة العباس أن يشاتمه، واشتغال أبي جهل عنه بمجيء ضمضم يستنفر قريشا لصد المسلمين عن عيرهم، فتجهزوا وخرجوا إلى بدر، فصدق الله رؤيا عاتكة[١٩].

---

(١٣) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر ـ ابن هشام (٢/ ٢٩٨) بإسناد حسن.

(١٤) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر ـ ابن هشام (٢/ ٣١١) بإسناد حسن.

(١٥) رواه ابن كثير في البداية (٣/ ٢٨٤ ـ ٨٥) من حديث الأموي بإسناد مرسل، موقوف على أبي بكر الهذلي، أنه كان مع المشركين ستون فرسا.

(١٦، ١٧) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ولكنه مرسل، لأنه عن عروة ـ ابن هشام (٢/ ٣٠١).

(١٨) الأنفال: ٤٧. وقد وردت الآية في حديث رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٧٨/ شاكر) بإسناد موقوف على هشام بن عروة، وهو من كتاب عروة بن الزبير إلى عبدالله بن مروان، وقال شاكر: «وهو إسناد صحيح».

(١٩) روى حديث رؤيا عاتكة بتمامه ابن إسحاق بإسنادين، الأول منقطع لجهالة من حدث ابن إسحاق، ـ ابن هشام (٢/ ٢٩٦)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩ ـ ٢٠)، فانتفت الجهالة، حيث صرح باسم من حدث ابن إسحاق وهو حسين بن عبدالله، وقد ضعفه الذهبي في التلخيص، والثاني مرسل ـ ابن هشام (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨).

==

لقد كان أبوسفيان متيقظا للخطر المتكرر من جانب المسلمين. ولذا عندما اقترب من بدر لقي مجدي بن عمرو وسأله عن جيش الرسول ﷺ، فأفاده مجدي بأنه رأى راكبين أناخا إلى تل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فبادر أبوسفيان إلى مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففته، فعرف منه أنه من علائف المدينة، فأسرع تاركا الطريق الرئيس الذي يمر على يسار بدر، واتجه إلى طريق الساحل غربا، ونجا من الخطر. ثم أرسل رسالة أخرى إلى جيش قريش، وهم بالجحفة، يخبرهم فيها بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة[٢٠].

وهَمَّ جيش مكة بالرجوع، ولكن أبا جهل رفض ذلك، قائلا: «والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم بها ثلاثا، فننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا. فامضوا»[٢١].

فأطاعه القوم ما عدا الأخنس بن شَرِيق، حيث رجع بقومه بني زهرة، وطالب بن أبي طالب، لأن قريشا في حوارها معه، اتهمت بني هاشم بأن هواهم مع محمد ﷺ. وساروا حتى نزلوا قريبا من بدر، وراء كثيب يقع بالعدوة القصوى، على حدود وادي بدر[٢٢].

==

ورواه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٠٣ - ١٠٥) في سياق قصة بدر عن مغازي موسى بن عقبة بإسناد مرسل. ورواه الطبراني مرسلا وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن، كما في المجمع (٦/ ٦٩ - ٧٠)، ورواه بإسناد آخر فيه عبدالعزيز بن عمران، وهو متروك كما في المجمع (٦/ ٧١ - ٧٢) ورواه ابن مندة كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٤/ ٣٥٧) باسناد ضعفه باوزير: مرويات غزوة بدر، ص١٢٦. والخلاصة إن الضعف الذي في سند الحاكم وابن إسحاق يتقوى بكثرة الروايات المذكورة الأخرى، فيرتفع الحديث إلى درجة الحسن لغيره، كما ذكر باوزير: مرويات غزوة بدر (ص١٢٨ - حاشية).

(٢٠) رواه ابن إسحاق من حديث قصة بدر، ابن هشام (٢/ ٣٠٩ - ٣١٠).

(٢١) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٧٩/ شاكر) بإسناد حسن، والخبر أصلا من رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٢/ ٣١٠) بالإسناد الذي ذكره الطبري ويلحظ هنا أن الطبري جعل كل قصة بدر عند ابن إسحاق بهذا الإسناد، وان لم يذكر ابن إسحاق الإسناد في كل فقرة، بل يعلقه، وأنا أميل مع الطبري إلى هذا، وقد ذكرت ذلك من قبل.

(٢٢) من حديث ابن إسحاق في قصة بدر: ابن هشام (٢/ ٣١١ - ٣١٢). وكان بنو زهرة نحوا من ثلثمائة رجل...

وبلغ خبر ذلك الرسول ﷺ، فاستشار أصحابه(٢٣). وخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حربا كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم وعتادهم، فجادلوا الرسول ﷺ ليقنعوه بوجهة نظرهم. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾(٢٤).

وتكلم قادة المهاجرين، وأيدوا الرأي القائل بالسير لملاقاة العدو، منهم أبوبكر وعمر والمقداد بن عمرو. ومما قاله المقداد: «يارسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه»(٢٥). وفي رواية قال: «لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك»، وسر النبي ﷺ من قوله(٢٦).

وبعد سماعه كلام قادة المهاجرين، قال: «أشيروا علي أيها الناس»، وكان بذلك يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار، لأنهم غالبية جنده، ولأن نصوص بيعة العقبة الكبرى لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة(٢٧)، وأدرك سعد بن معاذ ـ حامل لواء الأنصار ـ مراد الرسول ﷺ،

---

(٢٣) روى قصة مشاورة الرسول ﷺ أصحابه: البخاري ـ مختصرا ـ كما في الفتح (١٥/ ١٥١ ـ ١٥٢/ح ٣٩٥٢) ومسلم (٣/ ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤/ح ١٧٧٩)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٩ ـ ٣٠) مختصرا، وابن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة، كما في الفتح (١٥/ ١٥١) وابن أبي شيبة مرسلا كما في المصنف (١٤/ ٣٥٥ ـ ٥٦)، والفتح (١٥/ ١٥١) وانظر البداية (٣/ ٢٦٢ ـ ٦٣).

(٢٤) الأنفال: ٥ ـ ٦. والطائفتان، إحداهما عير أبي سفيان والأخرى جيش قريش، وقد كره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلقوا العير. وأراد الله ما أراد. انظر هذا وسبب نزول الآية في روايات عند الطبري في التفسير (١٣/ ٤٠٤) بإسناد مرسل عن قتادة. و(١٣/ ٤٠٣) بإسناد منقطع و(١٣/ ٤٠٤) بإسناد مرسل عن ابن جريج، و(١٣/ ٤٠٥) بإسناد حسن كما ذكر الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٢٥) رواه ابن إسحاق من حديث بدر ـ ابن هشام (٢/ ٣٠٥).

(٢٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٥١ ـ ٥٢/ح ٣٩٥٢)، والمسند (٥/ ٢٥٩/ شاكر) وقال: «أسانيده صحاح».

(٢٧) انظر: النووي، مسلم (١٢/ ١٢٤/ك. الجهاد والسير/ ب. غزوة بدر).

فنهض قائلا: «والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟ قال: أجل. قال: فقد آمنا بك فصدقناك، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله»[٢٨].

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا: فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم[٢٩].

وفي الطريق وعند بحرة الوبرة أدركه رجل من المشركين، قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، أراد ان يحارب معه، فقال له الرسول ﷺ: «ارجع فلن أستعين بمشرك»، ثم عرض له مرة ثانية بالشجرة، ومرة ثالثة بالبيداء، والرسول ﷺ يقول له ماقاله أول مرة، وأخيرا أقر بالإسلام، فقبله الرسول ﷺ[٣٠].

وعندما وصل قريبا من الصفراء، بعث بسبس بن الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره[٣١].

---

(٢٨) رواه ابن إسحاق من حديث بدر... وقد ورد في رواية مسلم (٣/ ١٤٠٤/ح ١٧٧٩) أن المتكلم نيابة عن الأنصار: سعد بن عبادة، وهو لم يشهد بدرا ولكن أسهم له، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة كما قال الحافظ في الفتح (١٥/ ١٥١ - ١٥٢)، وقال: «ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين، الأولى وهو بالمدينة، والثانية بعد الخروج...» وذكر أنه وقع عند الطبراني أن سعدا بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب، كما قال. وانظر مناقشة الإشكال عند عرجون في السيرة (٣/ ٣٠٨) وابن كثير في البداية (٣/ ٣٥١).

(٢٩) روى ابن إسحاق خبر هذه المشاورة معلقة - ابن هشام (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦). قال ابن كثير في البداية (٣/ ٢٨٧ - ٢٨٨): «وله شواهد من وجوه كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه... والنسائي... وأحمد...» قلت، انظر في أخبار الإشارة إلى هذه الاستشارة يوم بدر: البخاري/ الفتح (١٥/ ١٥٠ - ١٥١/ح ٣٩٥٢)، ومسلم (٣/ ١٤٣ - ١١٠٤/ح ١٧٧٩)، أحمد الفتح الرباني (٢١/ ٢٩ - ٣٠)، البيهقي: الدلائل (٣/ ٣٤ - ٣٥)، وابن عائذ عن عروة كما نقله ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٥١)، وابن أبي شيبة: المصنف (١٤/ ٣٥٥ - ٣٥٦)، وابن مردويه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٥١).

(٣٠) انظر القصة في مسلم (٣/ ١٤٤٩ - ١٤٥٠/ح ١٨١٧).

(٣١) ذكره ابن إسحاق - بدون إسناد - ولعله جزء من حديث بدر الصحيح - ابن هشام (٢/ ٣٠٤).

ويروى أنه خرج هو وأبوبكر لهذا الغرض، ولقيا شيخا فسألاه عن جيش قريش، فاشترط عليهما أن يخبراه ممن هما، فوافقا، وطلبا منه أن يخبرهما هو أولا، فأخبرهما بأنه قد بلغه أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبره فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به جيش المسلمين ـ وإن صدق الذي أخبره بجيش قريش فهم اليوم بمكان كذا ـ للمكان الذي به جيش قريش.

ولما فرغ من كلامه قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرفا عنه، وتركاه يقول: من ماء؟ أمن ماء العراق؟[٣٢].

وفي مساء ذلك اليوم أرسل عليا والزبير وسعدا بن أبي وقاص في نفر من أصحابه لجمع المعلومات عن العدو، فوجدوا على ماء بدر غلامين يستقيان لجيش مكة، فأتوا بهما إلى الرسول ﷺ وهو يصلي، وأخذوا في استجوابهما. فأفادا أنهما سقاة جيش قريش، فلم يصدقوهما، وكرهوا هذا الجواب، ظنا منهم أنهما لأبي سفيان، إذ لا يزال الأمل يحدوهم في الحصول على العير. وضربوهما حتى قالا إنهما لأبي سفيان.

وعندما فرغ الرسول ﷺ من صلاته عاتب أصحابه لأنهم يضربونهما إذا صدقا، ويتركونهما إذا كذبا. ثم سألهما الرسول ﷺ عن مكان الجيش المكي، فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

وعندما سألهما عن عدد جيش مكة وعدته لم يستطيعا تحديد ذلك، ولكنهما حددا عدد الجزور التي تنحر يوميا بأنها ما بين التسعة والعشرة، فاستنتج الرسول ﷺ بأنهم بين التسعمائة والألف، وذكرا له من بالجيش من أشراف مكة[٣٣]، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ

---

(٣٢) رواها ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) لأنها من رواية محمد بن يحيى ابن حبان. قال عنه في التقريب، ص٥١٢: «ثقة فقيه، من الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين. . .».

(٣٣) انظر القصة عند مسلم (٣/ ١٤٠٤/ح ١٧٧٩) وفيه أن الذي أخذوه غلام أسود لبني الحجاج، وعند أحمد في المسند (٢/ ١٩٣/ شاكر) وصحح شاكر إسناده، وعند الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٦)، وقال: «ورجال أحمد رجال الصحيح، غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة». وفي رواية أحمد أن أحد السقاة أفلت منهم. وعند ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) ـ دون إسناد، وفيه اسما الغلامين: أسلم لبني الحجاج وغريض أبويسار لبني العاص بن سعيد، وقد رواه غير هؤلاء.

كبـدهـا»[٣٤]. وأشار إلى مكان مصارع جماعة من زعماء قريش، فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[٣٥].

وأنزل الله تعالى في هذه الليلة مطرا طهر به المؤمنين وثبت به الأرض تحت أقدامهم، وجعله وبالا شديدا على المشركين[٣٦]. وفي هذا قال تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به، ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾[٣٧][٣٨].

ومن نعمه على المسلمين يوم بدر أيضا أن غشيهم النعاس أمنة منه، كما في صدر آية نعمة إنزال المطر: ﴿إذ يغشيكم النعاس أَمَنَةً منه وينزل عليكم من السماء ماء. . .﴾[٣٩] الآية.

وروى في ذلك الإمام أحمد بسنده[٤٠] إلى أنس بن مالك أن أبا طلحة، قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه.

وزاد الله المؤمنين فضلا بأن أوقع الخلاف في صفوف عدوهم. فقد روى أحمد[٤١] أن عتبة بن ربيعة أخذ يثني قومه عن القتال محذرا من مغبته، لأنه علم أن المسلمين سوف يستميتون[٤٢]. فاتهمه أبوجهل بالخوف. وروى

---

(٣٤) ورد هذا الحديث في رواية ابن إسحاق.

(٣٥) جاء هذا في حديث مسلم في غزوة بدر.

(٣٦) انظر خبر هذا المطر عند أحمد (٢/١٩٣/شاكر) وقد سبق الكلام عليه، وعند ابن إسحاق - ابن هشام (٢/٣١٢) - دون إسناد.

(٣٧) الأنفال: ١١.

(٣٨) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٣/٢٩٢)، والتفسير له (٣/٥٦٤ - ٥٦٤).

(٣٩) من حديث طويل في المسند (٢/١٩٣/شاكر) وقد سبق الكلام عليه.

(٤٠) انظر عن سبب نزول الآية عند ابن كثير في الأماكن المذكورة آنفا.

(٤١) الفتح الرباني (٢١/٤٣).

(٤٢) علم ذلك من عمرو بن وهب الجمحي الذي أرسلته قريش ليعرف خبر المسلمين فعاد إليهم قائلا: «قد رأيت يامعشر الناس البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم».
وكان هذا من أسباب موقف عتبة والحوار الذي دار في معسكر المشركين - روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن، كما في سيرة ابن هشام (٢/٣١٥)، وجهالة الأشياخ لا تضر لأنهم من الصحابة.

البزار[٤٣]، أن عتبة قال لقومه يومذاك: إن الأقارب سوف تقتل بعضهم بعضا، مما يورث في القلوب مرارة لن تزول. فاتهمه أبوجهل بالخوف، وليريه شجاعته، دعا أخاه وابنه وخرج بينهما داعيا إلى المبارزة.

وكان الرسول ﷺ قد رأى عتبة على جمل أحمر، فقال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا»[٤٤]. وشاء الله أن يعصوه، وضاع رأيه وسط إثارة أبي جهل الثارات القديمة.

سبق الرسول ﷺ المشركين إلى ماء بدر، ليحول بينهم وبين الماء. وهنا أبدى الحباب بن المنذر رأيه قائلا: «يارسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟» قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال الحباب: «يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ـ قريش ـ فننزله ونغور ـ نخرب ـ ما وراءه من القُلَب ـ الآبار ـ ثم نبني عليه حوضا فنملأه ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر (رضي الله عنه)[٤٥].

---

(٤٣) كما في المجمع (٦/ ٧٦)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. وممن روى قصة هذا الخلاف: الطبري في تاريخه (٢/ ٤٣٣) وهو من مراسيل ابن المسيب، و(٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) بإسناد حسن. وابن إسحاق كما عند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٥ ـ ٩٦) مطولا بإسناد صححه الدكتور باوزير في كتابه «مرويات غزوة بدر»، ص ١٥٥.

(٤٤) من حديث أحمد في المسند (٢/ ١٩٣/ شاكر)، وقد سبق الكلام عليه.

(٤٥) روى هذه الإشارة ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، وبإسناد مرسل موقوف على عروة كما في الإصابة (١/ ٣٠٢)، والحاكم (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، وأنكرها الذهبي، والأموي كما عند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٣) بإسناد منقطع، وابن شاهين كما في الإصابة (١/ ٣٠٢) بإسناد ضعيف، وابن سعد (٢/ ١٥)، وروايته عند ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٣) وفيها الكلبي وهو متروك... وهكذا فكل أسانيدها ضعيفة، ولكنها قد تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن لغيره، كما قال باوزير: مرويات غزوة بدر، ص ص ١٦٤ ـ ١٦٥، وله حجته في هذا، فلينظر للفائدة وفي تقوية باوزير لهذه الرواية نظر، للأسباب الآتية: فهناك روايات ربما عارضتها، فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان..﴾ الآية ١١ من الأنفال ما يفيد غلبة المشركين على الماء، وأن المسلمين أصابهم ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ.. حتى أنزل عليهم المطر فشربوا وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان.. (انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٣) كما ساق ابن كثير رواية أخرى عن العوفي عن ابن عباس تسير في نفس الاتجاه، بل أضاف ابن كثير قوله: «ونحو ذلك روي عن قتادة والضحاك والسدي»: (المصدر والمكان نفساهما). وكل هذا يزيد في شكنا بصحة الرواية على الرغم من شهرتها.

وعندما استقروا في المكان، قال سعد بن معاذ مقترحا: «يانبي الله، ألا نبني لك عريشا[٤٦] تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعـزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك»، فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح[٤٧].

ويفهم من النصوص الواردة في شأن القتال ببدر أن الرسول ﷺ شارك في القتال، ولم يمض كل وقته داخل هذا العريش أو في الدعاء، كما فهم بعض كتاب السيرة.

فقد روى الإمام أحمد[٤٨] عن علي، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا»، وفي موضع آخر بالسند نفسه: «لما حضر البأس يوم بدر، اتقينا برسول الله ﷺ، وكـان من أشـد الناس، ما كان أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه»[٤٩].

وروى مسلم[٥٠] أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه». وقال ابن كثير[٥١]: «وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديدا ببدنه، وكذلك أبوبكر الصديق، كما كانا في

---

(٤٦) والعريش: شبه خيمة، يكون مقرا للقيادة وظلا للقائد.

(٤٧) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣١٣). وأما وجود عريش للرسول ﷺ يوم بدر فهو ثابت بأحاديث صحيحة: فقد روى الأموي من حديث ابن إسحاق كما في البداية (٣/ ٣١٢) أن النبي ﷺ خفق في العريش خفقة ثم انتبه، فقال: «أبشر ياأبابكر، هذا جبريل معتجر بعمامته، آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعِدَته». وإسناد الأموي حسن كما ذكر الألباني في تعليقه على فقه السيرة، ص٢٤٣، وورد في حديث لابن عباس عند البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٥٤/ح ٤٨٧٧) وفيه أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة... إلخ، وورد في حديث للبزار بإسناد صحيح أن عليا قال: «أنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا...»، ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٢٩٨).

(٤٨) المسند (٢/ ٦٤/ شاكر)، وقال: «إسناده صحيح».

(٤٩) المسند (٢/ ٢٢٨/ شاكر)، وقال: «إسناده صحيح».

(٥٠) (٣/ ١٥١٠/ح ١٩٠١)، ويذكر محقق جامع الأصول (٨/ ١٨٢) أنه في الأصل «حتى أكون أنا أوذنه»، وفي نسخ مسلم المطبوعة: «حتى أكون أنا دونه».

(٥١) البداية والنهاية (٣/ ٣٠٦).

العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعا بين المقامين الشريفين».

وبعد أن اتخذ الرسول ﷺ كل الوسائل المادية الممكنة للنصر في حدود الطاقة البشرية، بات ليلته تلك[٥٢] يتضرع إلى الله تعالى أن ينصره، ومن دعائه كما جاء في رواية عند مسلم[٥٣]: «اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» وتقول الرواية: «فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبوبكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله (عز وجل): ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾[٥٤]، فأمده الله بالملائكة».

ومما رواه البخاري[٥٥] من دعائه في ذلك اليوم: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»، وتقول الرواية: «فأخذ أبوبكر بيده فقال: حسبك يارسول الله، ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»[٥٦].

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عكرمة أنه قال: لما نزلت ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، قال: عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذ[٥٧].

---

(٥٢) روى أحمد: المسند (٢/ ٢٧١/ شاكر) بإسناد صحيح عن علي، قال: «ولقد رأيتنا يوم بدر، ومامنا إلا نائم، إلا رسول الله فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح».
(٥٣) (٣/ ١٣٨٤/ ح ١٧٦٣).
(٥٤) الأنفال: ٩.
(٥٥) الفتح (١٨/ ٢٥٣/ ح ٤٨٧٥)، والفتح (١٨/ ٢٥٤/ ح ٤٨٧٧)، وقد رواه أحمد في المسند (٥/ ١٨/ شاكر) وقال: «إسناده صحيح».
(٥٦) القمر: ٤٥.
(٥٧) أورده ابن كثير: التفسير (٧/ ٤٥٧) من مرسل عكرمة. قال الساعاتي عن تخريجه في الفتح الرباني (٢١/ ٣٩): «الحديث صحيح وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه للبخاري من طريق عفان عن وهيب أيضا»، ثم قال: «وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد، وهو ابن مهران الحذاء به».

وفي صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان ـ السنة الثانية من الهجرة[٥٨] وعندما تراءى الجمعان، دعا رسول الله ﷺ ربه قائلا: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة[٥٩]».

وعندما وقف المسلمون في صفوف القتال، أخذ الرسول ﷺ في تعديل صفوفهم وفي يده قِدْح، فطعن به سَوَاد بن غَزِيَّة في بطنه، لأنه كان متنصلا من الصف، وقال له: «استو ياسواد. فقال سواد: يارسول الله: أوجعتني فأقدني، فكشف عن بطنه، وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا ياسواد؟ قال: يارسول الله، قد حضر ماترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي». فدعا له رسول الله ﷺ بخير[٦٠].

ثم أخذ في توجيههم فى أمر الحرب، قائلا: إذا أكثبوكم[٦١] فارموهم

---

(٥٨) قال ابن حجر في تلخيص الحبير: (٤/ ١٠٠/ ط. ١٣٩٩ هـ/ القاهرة): «أما ان غزوة بدر في السنة الثانية فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبوالأسود وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن عساكر: والمحفوظ أنها كانت يوم الجمعة، وروي أنها كانت يوم الاثنين، وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشر، وقيل ثاني عشر، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة...» وقد روى الطبري في تاريخه (٢/ ٤١٩) بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال عن ليلة القدر: «إلتمسوها في سبع عشرة وتلا الآية ﴿يوم التقى الجمعان﴾ يوم بدر...» وانظر: باوزير: (ص ص ٦٨ ـ ٧٣).

(٥٩) رواه ابن إسحاق معلقا كما في (ابن هشام ٢/ ٣١٤). وقد ثبت أن أباجهل قال حين التقى القوم: «اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه ـ أي أهلكه ـ الغداة» فكان هو المستفتح، أي الحاكم على نفسه بهذا الدعاء، والفتاح الحاكم. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ ـ الأنفال: ١٩. وقد روى الخبر بإسناد صحيح أحمد: الرباني (٢١/ ٤٤) والطبري في التفسير (١٣/ ٤٥٤/ شاكر) بإسناد صحيح، والحاكم (٢/ ٣٢٨) وصححه. والدعاء إلى قول الرواي «فكان هو المستفتح» رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (٢/ ٣٢٣).

(٦٠) روى قصة سواد ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) وعبدالرزاق والبغوي فيما نسبه إليهما ابن حجر في الإصابة (٢/ ٩٥). وإسناد عبدالرزاق حسن ولكنه مرسل، والواقدي (١/ ٥٦ ـ ٥٧) والطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٨٩) وقال الهيثمي: «ورجاله ثقات»، وهي في معنى رواية ابن إسحاق. قال: باوزير، ص١٨٣: «...والمرسل محتج به عند بعض العلماء فإذا جاء ما يسنده كان حجة عند أكثرهم، وقد ورد ما يسنده من رواية الهيثمي في المجمع ورواية ابن إسحاق...» في رواية ابن إسحاق والواقدي أن الذي كان بيد الرسول ﷺ قدح، أما في رواية عبدالرزاق أنه عرجون. والقِدح هو السهم بلا ريش، وسواد بالتخفيف وبالتشديد.

(٦١) أي إذا قربوا منكم ـ كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٧٣).

واستبقوا نبلكم[٦٢]. ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم[٦٣]. وحرضهم على القتال، قائلا: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»[٦٤]، وفي رواية عند مسلم[٦٥] أنه عندما دنا المشركون قال النبي ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». وعندما سمع ذلك عمير بن الحُمام الأنصاري، قال: «يارسول الله! أجنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بَخٍ بَخٍ[٦٦]. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ» قال: لا، والله! يارسول الله! إلا رجاءه أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه[٦٧]، فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل»...

وقال عوف بن الحارث ـ بن عفراء ـ: «يارسول الله، ما يضحك الرب من عبده، قال: «غمسه يده في العدو حاسرا»، فنزع درعا كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل[٦٨].

وطلب الرسول ﷺ من أصحابه، قبل بدء المعركة، ألا يقتلوا نفرا من بني هاشم وغيرهم لأنهم خرجوا مكرهين، وسمى منهم أبا البختري بن هشام ـ الذي كان ممن سعى لنقض صحيفة المقاطعة ولم يؤذ النبي ﷺ ـ والعباس ابن عبدالمطلب. وعندما سمع أبوحذيفة ذلك قال: «أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه ـ أو لألجمنه ـ بالسيف»، فبلغت مقالته رسول الله ﷺ، فقال لعمر: «ياأبا حفص؟

---

(٦٢) البخاري/ الفتح (١٥/١٧٣/ح ٣٩٨٥، ١٢/٤٨/ح ٢٩٠٠) وفيه: «إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل».
(٦٣) سنن أبي داود (٣/١٨٨/ح ٢٦٦٤) وسكت عنه المنذري ـ انظر: مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن ـ تحقيق شاكر والفقي ـ (٤/١١/ح ٢٥٤٨)، ط. دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.
(٦٤) روى ذلك ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/٣٢٢).
(٦٥) رواها مسلم (٣/١٥٠٩ ـ ١٥١١/ح ١٩٠١)، وابن سعد (٢/٢٥) باختصار، والبيهقي في سننه (٩/٤٣) وابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٢/٣٢٢).
(٦٦) كلمة تقال في مواضع الإعجاب والفخر.
(٦٧) جعبة النشاب.
(٦٨) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/٣٢٢ ـ ٣٢٣)، ولم يرو من طريق متصل.

أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ، بالسيف؟» فقال عمر: «يارسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق». فكان أبوحذيفه يقول: «ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة»، فقتل يوم اليمامة شهيدا(٦٩).

وقبل ابتداء القتال خرج الأسود بن عبدالأسد المخزومي، فقال: «أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه»، وتصدى له حمزة، وضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه، ثم حبا إلى الحوض مضرجا بدمائه ليبر قسمه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض(٧٠).

المبـــارزة:

بعد هذا خرج ثلاثة من فرسان قريش يطلبون المبارزة، وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد بن عتبة، فخرج لهم ثلاثة من شباب الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ وعبدالله بن رواحة، فلم يقبل فرسان قريش بغير بني أعمامهم من المهاجرين، فأمر الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي أن يبارزوهم. وكان حمزة لعتبة، وعبيدة للوليد، وعلي لشيبة. وقتل علي وحمزة صاحبيهما وأعانا عبيدة على قتل الوليد، واحتملا عبيدة الذي أثخنه الوليد بالجراح(٧١).

وفي هؤلاء الستـة نزل قول الله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في

---

(٦٩) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣٢٤)، ويرى باوزير ص ٢٦٨ أن ابن إسحاق ربما رواها بسنده الصحيح لغزوة بدر، وهو ما نرجحه. وفي الخبر أن أبا البختري أصر على القتال فقتل.

(٧٠) روى قصته ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ٣١٨)، ولعلها من روايته لحديث بدر بإسناد حسن.

(٧١) هو مضمون رواية أبي داود في سننه (٤/ ٤٩/ ح ٢٦٦٥)، وقال عنها ابن حجر: «وهذا أصح الروايات» ثم قال: لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف عليّ والوليد فكانا شابين. وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا، وهذا موافق لرواية أبي دواد ـ والله أعلم ـ». انظر الفتح (١٥/ ١٦٣). ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ٣١٩)، وابن سعد (٢/ ١٧ ـ ٢٣). وانظر بقيتهم في الفتح (١٥/ ١٦٢). ورواه من أهل الحديث: أحمد: الرباني (٢١/ ٣١ ـ ٣٢) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٧٦): «ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة»، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار (٢/ ٣١١ ـ ٣١٢).

ربهم، فالذين كفروا قُطِّعتْ لهم ثياب من نار يُصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾[72][73].

ثم طلب الرسول ﷺ من علي أن يناوله كفا من حصى، فناوله ذلك، فرمى به وجه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت الآية الكريمة ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[74][75].

الملائكة تشهد بدرا:

ونزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة، وشدوا على المشركين، وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم، وأمدهم الله بالملائكة لينصرهم على عدوهم، كما في قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة...﴾[76] الآيات، و﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾[77] و﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم، فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب...﴾الآية[78].

وكما روي من الأحاديث في هذا الشأن. فقد روى مسلم[79] في هذا: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[80]، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ ، فقال: «صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة».

---

(٧٢) الحج: ١٩.
(٧٣) روى ذلك البخاري/ الفتح (١٥/ ١٦٢ - ١٦٤/ح ٣٩٦٦ - ٣٩٦٩).
(٧٤) الأنفال: ١٧.
(٧٥) روى ذلك الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٤) موصولا، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. ورواها ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ٣٢٣)، وفيها أن الرسول ﷺ عندما أخذ الحصباء قال: شاهت الوجوه، ثم نفخهم بها وأمر أصحابه فقال: شدوا، فكانت الهزيمة...».
(٧٦) آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦.
(٧٧) الأنفال: ٩ - ١١.
(٧٨) الأنفال: ١٢.
(٧٩) صحيحه (٣/ ١٣٨٤ - ١٣٨٥/ح ١٧٦٣).
(٨٠) اسم فرس الملك كما قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ٨٦)، وفي النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٦٧) أنه اسم فرس جبريل.

وروى أحمد[٨١] أن رجلا من الأنصار قصير القامة جاء بالعباس أسيرا، فقال العباس: «يارسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق، ما أراه في القوم»، فقال الأنصاري: «أنا أسرته يارسول الله. فقال: اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم».

وروى الأموي[٨٢] أن الرسول ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه، فقال: «أبشر أبابكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل معتجر بعمامة، آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعدته».

ورويت أحاديث في مشاركة الملائكة المسلمين يوم بدر ولم تصرح بالقتال. فقد روى البخاري[٨٣] أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، وقال في رواية أخرى: «جاء جبريل النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة»[٨٤].

وروى الحاكم[٨٥] أنه كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر.

لقد أكرم الله عباده المؤمنين يوم بدر ببعض الكرامات. فقد روي أن عُكَّاشَة بن مِحْصَن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده، فأعطاه الرسول ﷺ جذلا من حطب ليقاتل به، فإذا هو في يده سيفا طويلا شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به يوم ذاك وفي المعارك الأخرى التي شهدها بعد ذلك، وآخرها يوم اليمامة ـ أحد أيام حروب الردة ـ حين قتل

---

(٨١) المسند (٢/ ١٩٤/ شاكر) من حديث طويل، قال شاكر: «إسناده صحيح..» وهو في مجمع الزوائد (٦/ ٧٥ ـ ٧٦) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة» وحسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٢٤٣. واسم الذي أسر العباس: أبواليسر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو (المسند ٥/ ١٠٥/ شاكر)، وإسناده ضعيف.

(٨٢) نقله عنه ابن كثير في البداية (٣/ ٣١٢) وهو من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن كما قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص٢٤٣ وانظره في: ابن هشام (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) منقطعاً، وهو الذي وصله الأموي، والبيهقي: الدلائل (٧/ ٥٤) بإسنادين من غير طريق ابن إسحاق.

(٨٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٨١/ح ٣٩٩٥).

(٨٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٨٠/ح ٣٩٩٥).

(٨٥) المستدرك (٣/ ٣٦١) وصحح باوزير إسناده ـ مرويات غزوة بدر، ص٢٤٣.

شهيدا[٨٦].

وعندما رأى أبليس ـ وكان في صورة سراقة بن مالك ـ ما تفعل الملائكة والمؤمنون بالمشركين، فر ناكصا على عقبيه، حتى ألقى بنفسه في البحر[٨٧].

مصرع الطغاة: أبي جهل وأمية بن خلف والعاص بن المغيرة:

أ) **أبوجهــل**: روى البخاري[٨٨] ومسلم[٨٩] من حديث عبدالرحمن بن عوف أنه قال: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه: ياعم، أرني أباجهل، فقلت: ياابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهـل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: كلاكما قتله، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح[٩٠]، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء».

---

(٨٦) رواه ابن إسحاق دون إسناد ـ ابن هشام (٢/٣٣٦)، والواقدي في المغازي (١/٩٣)، والبيهقي في الدلائل (٢/٩٨ ـ ٩٩) من حديث الواقدي، وابن سعد (١/١٨٨) من غير طريق ابن إسحاق، وإسناده ضعيف جدا، لعلتين، هما: الإرسال، وضعف أبي معشر ـ نجيح بن عبدالرحمن.

(٨٧) روى ذلك ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٢/٣٧٤)، والطبراني في الكبير (٥/٤١/ح ٤٥٥٠) ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٦/٧٧) وقال عنه: «وفيه عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف»، والطبري في التاريخ (٢/٤٣١) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن مرسل، والواقدي (١/٧١)، وأحمد: (١٤/٧/ح ١٦١٨٣/شاكر)، وسنده ضعيف للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وانظر الآية (٤٨) من سورة الأنفال: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم...﴾ فقد رويت أخبار في أن هذه الآية، نزلت في إبليس يوم بدر وهو في صورة سراقة بن مالك. وأسانيد هذه الأخبار لا تثبت ولا تعتضد أو يقوي بعضها بعضا.

(٨٨) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣١ ـ ٢٣٢/ح ٣١٤١) واللفظ له.

(٨٩) صحيحه (٣/١٣٧٢/ح ١٧٥٢).

(٩٠) لأن الثاني قتل شهيدا في المعركة نفسها.

وروى ابن إسحاق[91]، من حديث معاذ بن الجموح أنه قال: «سمعت القوم وأبوجهل في مثل الحرجة[92]، وهم يقولون: أبوالحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه... وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وأني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل ـ وهو عقير ـ معوذ بن عفراء ـ فضربه حتى ثبته فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل».

وروى البخاري[93] أن النبي ﷺ قال: عندما انجلت المعركة: «من ينظر ما صنع أبوجهل؟ فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبوجهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه؟».

وفي رواية أحمد[94] أن الرسول ﷺ ذهب مع ابن مسعود ليرى جسد أبي جهل، وقال: «كان هذا فرعون هذه الأمة».

وفي رواية ابن إسحاق[95] إن أبا جهل قال لابن مسعود عندما جثا عليه: «لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعي الغنم».

ب) **أمية بن خلف**: تمكن عبدالرحمن بن عوف من أسر أمية، وعندما رآه بلال معه، قال: «رأس الكفر أمية بن خلف، لانجوت إن نجا»، وحاول عبدالرحمن أن يثنيه عن عزمه فلم يستطع، بل استنفر بلال الأنصار فلحقوا به معه وقتلوه على الرغم من أن ابن عوف ألقى عليه

---

(٩١) ابن هشام (٢/ ٣٣٣)، بإسناد حسن.
(٩٢) الشجرة الكثيرة الأغصان، شبه التفاف المشركين حوله بالشجرة الملتفة.
(٩٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٥٨ - ١٦٠/ح ٣٩٦٢، ٣٩٦٣).
(٩٤) المسند (٥/ ٣١٦/ح ٣٨٢٤/ شاكر)، وقد ضعف شاكر إسناده.
(٩٥) ابن هشام (٢/ ١٣٥)، وقد رواه معلقا.

نفسه وأمية بارك[96].

وعندما طرح قتلى المشركين في القليب، لم يطرح معهم، لأنه انتفخ في درعه فملأها، وعندما ذهبوا ليحركوه تفرقت أعضاؤه، فتركوه في مكانه، وألقوا عليه ما غيبه من الحجارة والتراب[97].

ج) **العاص بن هشام بن المغيرة**: كان العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولذا حرص عمر على قتله، فقتله حتى يعلم أن ليس في قلبه ولاء إلا لله وحده[98].

لقد انجلت معركة بدر عن نصر كبير للمسلمين. إذ قتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين[99]، ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا، ستة من قريش وثمانية من الأنصار[100].

لقد كان جزاء الله عادلا في هؤلاء ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنَّم يصلونها وبئس القرار﴾[101].

دفن قتلى المشركين في القليب[102]:

روى البخاري[103] ومسلم[104] وأحمد[105] وابن إسحاق[106] وغيرهم[107] أن الرسول ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش[108]

---

(96) انظر القصة بتمامها عند البخاري/ الفتح (10/ 49 - 50/ح 2301)، وابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (2/ 329)، وهو أتم رواية. وأما من باشر قتله من المسلمين، ففي ذلك خلاف، انظره عند ابن حجر في شرح الحديث.

(97) روى ذلك ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (2/ 338 - 339).

(98) من حديث رواه ابن هشام في زيادات السيرة - ابن هشام (2/ 335 - 336) بإسناد منقطع.

(99) مسلم (3/ 1385/ح 1763)، وأحمد: المسند (2/ 949/شاكر)، بإسناد صحيح.

(100) قاله موسى بن عقبة كما في البداية لابن كثير (3/ 330) ولم يسنده، وقيل غير ذلك، فانظره في هذا المكان.

(101) إبراهيم: 28 و 29 انظر: البخاري/ الفتح (17/ 268/ح 4700) عن ابن عباس أنهم كفار مكة.

(102) هي البئر التي لم تطو، كما في النهاية (4/ 98).

(103) الفتح (15/ 167 - 168/ح 3976).

(104) صحيحه (4/ 2204/ح 2875).

(105) المسند (1/ 232/شاكر) وقال شاكر: «إسناده صحيح».

(106) ابن هشام (2/ 339) بإسناد حسن.

(107) مثل: الطبراني كما في المجمع (6/ 91) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

(108) كان مجموع قتلى المشركين سبعين كما سبق ذكره، وكما سيأتي ذكره، فلعل الآخرين دفنوا في أماكن أخرى كما ذكر ابن حجر في الفتح.

فقذفوا في طَوِيّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرَّكِيّة فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يافلان ابن فلان، ويافلان بن فلان، أيسركم أنكم اطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟» فقال عمر: «يارسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

وعندما ألقوا في القليب، وفيهم عتبة بن ربيعة، نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال له النبي ﷺ: «لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟» فقال: «لا والله يارسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيرا[109].

وبعد نهاية المعركة وانتصار المسلمين وأخذ الأسرى، قيل للرسول ﷺ: «عليك بالعير، ليس دونها شيء». فناداه العباس أن ذلك لا يصلح له، قال: «ولم؟ قال: «لأن الله (عز وجل) إنما وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك[110]».

الغنائــم:

وقع خلاف بين المسلمين حول الغنائم، لأن حكمها لم يكن قد شرع يومذاك. وقد حكى عبادة بن الصامت ماحدث، قائلا: «خرجنا مع رسول

(١٠٩) رواها ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٢/ ٣٤٢) - ولعلها بإسناد حديث بدر عنده، وهو حسن.

(١١٠) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٠/ شاكر) وصحح شاكر إسناده، وقال ابن كثير في التفسير (٤/ ١٣ - ١٤): «إسناده جيد» وحسنه الترمذي (٤/ ١١٢) من طريق عبدالرزاق عن إسرائيل.

الله ﷺ فشهدت معه بدرا. فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم، يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، فنحن نفينا عنها العدو، وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾[(١١١)]، فقسمها رسول الله ﷺ على فُوَاق بين المسلمين» - أي بالتساوي[(١١٢)].

ومما يدل على أن الغنائم قد خمست ووزعت على المشاركين فيها ما رواه البخاري[(١١٣)] عن علي أن الرسول ﷺ أعطاه مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ.

وقد أسهم الرسول ﷺ لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدرا لأعمال كلفوا بها في المدينة أو لأعذار مباحة، منهم عثمان بن عفان، لأنه كان يمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ[(١١٤)].

---

(١١١) الأنفال: ١، وانظر تفسيرها عند الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٦٧ - ٧١/ شاكر)، وجاءت فيها أسانيد صحيحة. وقد ذكر ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ٣٤٤) من قول عبادة بن الصامت أن هذه الآية نزلت فيهم، أصحاب بدر، حين اختلفوا في النفل. وقد صححه الحاكم والذهبي كما في المستدرك والتخليص (٢/ ٣٢٦)، ورواه أحمد: المسند الفتح الرباني (١٤/ ٧٢) من طريق ابن إسحاق كذلك، وقال الساعاتي: «سنده جيد».
وقد كره سعد بن معاذ تسابق بعض المسلمين إلى الغنائم كما ذكر ابن إسحاق.

(١١٢) رواه أحمد في المسند، وصحح الساعاتي إسناده كما في الفتح الرباني (١٤/ ٧٣)، ونقل تصحيح الترمذي والحاكم والذهبي للخبر، فانظره. ومسألة تقسيمه بينهم بالتساوي ذكره ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٢/ ٣٤٤) ورواه ابن حبان في صحيحه كما في الموارد ص ٤١٠ والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٥ - ١٣٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٩٢).

(١١٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٨٥/ ح ٤٠٠٣).

(١١٤) انظر أحمد: المسند (٨/ ١٠١/ شاكر) بإسناد صحيح. وانظر أسماء بعض الصحابة الذين تخلفوا لأعذار، وعدوا من أهل بدر، في مرويات غزوة بدر لباوزير، ص ص ٤٢٠ - ٤٢٤.

وكان تقسيم الغنائم في منطقة الصفراء في طريق العودة إلى المدينة(١١٥). وأخذت الأسرى إلى المدينة. وقد أرسل زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ليزفا البشرى إلى أهل المدينة. وقد تلقوا النبأ بسرور بالغ مشوب بالحذر من أن لا يكون مؤكدا، قال أسامة بن زيد: «فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى»(١١٦) ودهشت سودة (رضي الله عنها) عندما رأت سهيل بن عمرو ويداه معقودتان إلى عنقه بحبل فقالت: «أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراما!!»، فقال رسول الله ﷺ: «أعلى الله وعلى رسوله؟!! - أي تؤلبين - فقالت: «يارسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت»(١١٧).

الأســـرى:

استشار الرسول ﷺ الصحابة في أمر الأسرى. فأشار أبوبكر بأخذ الفدية منهم بحجة أن في ذلك قوة للمسلمين على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام. ورأى عمر قتلهم، لأنهم أئمة الكفر. ومال الرسول ﷺ لرأي أبي بكر. فنزل القرآن موافقا لرأي عمر، وهو قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيا أخذتم عذاب عظيم﴾(١١٨) إلى قوله تعالى: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾(١١٩).

وكان أخذ الفداء حلالا في أول الإسلام، ثم جعل فيها بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء أو المن ماعدا الأطفال والنساء، إذ لا يجوز قتلهم،

---

(١١٥) ابن إسحاق - دون إسناد - ابن هشام (٢/٣٤٦).

(١١٦) رواه البيهقي كما عند ابن كثير في البداية (٣/٣٣٤) وصحح إسناده الدكتور العمري في المجتمع المدني - الجهاد، ص٥٦، والحاكم (٣/٢١٧ - ١٨) وصححه، وابن أبي شيبة مرسلا (١٤/٣٦٨)، وابن إسحاق (٢/٣٤٥) منقطعاً.

(١١٧) رواه ابن اسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٢/٣٤٨ - ٣٤٩)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣/٢٢) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وسهيل بن عمرو هو أخو السكران بن عمرو زوج سودة قبل الرسول ﷺ، وقد توفي بمكة بعد هجرته من الحبشة.

(١١٨) الأنفال: ٦٧ - ٦٩. وانظر تفسيرها وأسباب نزولها بهذه المناسبة عند الطبري في التفسير (١٤/٦٨) من حديث ابن مسعود بإسناد حسن.

(١١٩) مسلم (٣/١٣٨٥/ح ١٧٦٣).

ما داموا غير محاربين[١٢٠]. قال تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوَثَاق فإما مَنّاً بعدُ وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾[١٢١].

وقد تباين فداء الأسرى. فمن كان ذا مال أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم. وممن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة[١٢٢]. وأخذوا من العباس مائة أوقية. ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية فقط[١٢٣].

وأطلق الرسول ﷺ سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبوسفيان وهو يعتمر[١٢٤].

ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة، جعل فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة. فقد روى أحمد[١٢٥] عن ابن عباس، قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فجاء غلام يوما يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال ضربني معلمي، قال: الخبيث! يطلب بِذَحْلِ[١٢٦] بدر! والله لا تأتيه أبدا».

وكانوا يقبلون من بعض الأسارى ما عندهم إذا تعذر المفروض، فقد

---

(١٢٠) ابن قدامة: المغني (٨/ ٣٧٢ - ٣٧٤).

(١٢١) محمد: ٤.

(١٢٢) الهيثمي: المجمع (٦/ ٩٠) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات - في قصة أبي وداعة الذي فداه ابنه بأربعة آلاف درهم. وقال ابن هشام في زياداته على السيرة (٢/ ٣٧١) - دون إسناد: «كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له، فمن رسول الله ﷺ عليه». ورواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٢٠٦) وأبوداود في سننه (٣/ ١٣٩ - ١٤٠/ح ٢٦٩١) باختلاف يسير، وفي سنده أبوالقنبس، وهو مقبول، كما في التقريب (ص ٦٦٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٤٠٦ - ٤٠٧) والأوسط ورجاله رجال الصحيح، والشاهد منه: «... وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف» فيكون الحديث حسنا، كما قال محققا سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧١).

(١٢٣) رواه أبونعيم في الدلائل (٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧) باسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ١٩٢).

(١٢٤) رواه ابن اسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٢/ ٣٥٧ - ٣٥٨).

(١٢٥) المسند (٤/ ٤٧/ح ٢٢١٦/ شاكر) وقال: «إسناده صحيح». وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي - شيخ الإمام أحمد - وهو صدوق يخطىء ويصر. والراجح عند شاكر أنه ثقة - انظر: المسند (١/ ٣٠٣)، وفي سنده كذلك داود بن أبي هند، كان يهم بآخره.

(١٢٦) الذحل: الثأر أو العداوة.

أرسلت زينب بنت رسول الله ﷺ قلادة لها لتفدي زوجها أبا العاص بن الربيع، فردوها لها، وأطلقوا لها أسيرها لمكانتها عند والدها محمد ﷺ[١٢٧]، وبهذا كان ابن الربيع ممن أطلق بدون فداء، وأطلق الرسول ﷺ ممن لم يقدر على الفداء بأي شكل من الأشكال، منهم: المطلب بن حنطب المخزومي وصيفي بن أبي رفاعة وأبو عزة الشاعر[١٢٨].

ومما يدل على أنه كان بالإمكان إطلاق سراحهم جميعا بدون فداء، قول الرسول ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»[١٢٩]. وذلك لما قام به من حماية للرسول ﷺ عندما عاد من هجرته إلى الطائف، ودوره في تمزيق صحيفة المقاطعة.

وعندما استأذن رجال من الأنصار النبي ﷺ في ترك فداء العباس، قال: «والله لا تذرون منه درهما»[١٣٠] وذلك على الرغم من أن العباس ذكر أنه كان مسلما وأنه خرج مستكرها[١٣١].

وفي طريق العودة إلى المدينة، قتل النضر بن الحارث بمنطقة الصفراء ـ قتله علي ـ، وقتل عقبة بن أبي مُعَيْط بمنطقة عرق الظبية ـ قتله عاصم ابن ثابت[١٣٢]، ويقال: قتله علي[١٣٣]. وذلك لعداوتهما الشديدة

---

(١٢٧) المسند: الفتح الرباني (١٤/ ١٠٠) وقال الساعاتي: «إسناده صحيح». ابن إسحاق ـ باسناد حسن ابن هشام (٢/ ٣٥٩).

(١٢٨) ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ٢٦٨ ـ ٣٦٩).

(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٩٤/ح ٢٠٢٤).

(١٣٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٩١/ح ٤٠١٨).

(١٣١) رواه الطبري في التفسير (١٤/ ٧٣/ شاكر) بإسناد حسنه الدكتور العمري: المجتمع المدني الجهاد ـ، ص ٥٥، حاشية ٤. قال ابن حجر: «وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس ان النبي ﷺ قال: «ياعباس افد نفسك... قال العباس: إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني...» ـ الفتح (١٥/ ١٩٢) وذكر إسلامه ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) بإسناد متصل وصرح فيه بالسماع ولكن فيه حسين بن عبدالله ـ فيه مقال.

(١٣٢) ابن إسحاق دون إسناد ـ ابن هشام (٢/ ٣٤٧).

(١٣٣) ابن هشام (٢/ ٣٤٧) بإسناد منقطع. وروي أن الآية: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾. الفرقان: ٢٧ ـ قد نزلت فيه. أخرج ابن جرير عن ابن عباس (١٩/ ٦): «كان أبي بن كعب يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة ابن أبي معيط، فنزل: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه...﴾ الآية، إلى قوله: ﴿لقد أضلني عن الذكر إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾، قال: ﴿الظالم﴾ عقبة، و﴿فلانا خليلا﴾ أبي ابن خلف». انظر: ابن كثير: التفسر (٦/ ١١٦)، حاشية رقم (٥). وقال ابن كثير هنا: «وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره، فإنها عامة في كل ظالم».

للرسول ﷺ، وتلك نهاية الجبروت والشجاعة الزائفة. فقد رأينا عقبة، لصيق قريش، واليهـودي الأصـل[١٣٤]، يعود إلى حقيقته عندما قال للرسول ﷺ مسترحما: «من للصبية يارسول الله؟ فأجابه: النار»[١٣٥].

أمـا بقية الأسرى فقد استوصى بهم الرسول ﷺ خيرا[١٣٦] فقد حكى أبوعزيز ـ شقيق مصعب بن عمير ـ وهو بين رهط من آسريه الأنصار ـ أن آسريه كانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوه بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بالأسرى. حتى ما تقع في يد أحدهم خبزة إلا ناوله إياها، فيستحي فيردها على أحدهم، فيردها عليه ما يمسها[١٣٧].

وأسلم كثير من هؤلاء الأسرى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، منهم: العباس، عقيل بن أبي طالب، نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، خالـدبن هشـام، عبدالله بن السائب، المطلب بن حنطب بن الحارث، أبو وَدَاعَة الحارث بن صبيرة، الحجاج بن الحارث بن قيس، عبدالله بن أبي ابن خلف، وهب بن عمير، سهيل بن عمرو، عبد بن زمعة، قيس بن السائب، نسطاس مولى أمية بن خلف، . . .[١٣٨].

كانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، ولذا سميت في القرآن بيوم الفرقان. وأوضحت الأحاديث فضل البدريين وعلو مقامهم في الجنة. فقد عقد البخاري بابا في فضل من شهدها. وفيه قصة حارثة ابن سراقة الذي أصابه سهم طائش يوم بدر، وهو غلام، وجاءت أمه تسأل عن مصيره يوم القيامة، فبشرها الرسول ﷺ بأن له جنانا كثيرة وأنه في جنة الفردوس[١٣٩].

---

(١٣٤) انظر السهيلي: الروض الأنف (٣/ ٥٣) حيث ذكر أنه من أصل يهودي، من صفورية.
(١٣٥) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٨٩): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح». انظر الطبراني: الكبير (١١/ ٤٠٦ ـ ٧/ح ١٢١٥٤)
(١٣٦) روى ذلك الطبراني في الصغير والكبير كما في المجمع (٦/ ٨٦) وقال الهيثمي: «إسناده حسن».
(١٣٧) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٢/ ٣٤٩ ـ ٥٠).
(١٣٨) الروض الأنف (٣/ ١٢٥)، عيون الأثر (١/ ٣٨٧). وانظر تراجمهم في أماكنها من الإصابة والاستيعاب وأسد الغابة وغيرها من كتب تراجم الرجال.
(١٣٩) الفتح (١٥/ ١٧١/ح ٣٩٨٢).

وفيه قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل إلى قريش يخبرهم بنية الرسول ﷺ فتح مكة، فكشفه الوحي، وعفا عنه الرسول ﷺ، وقال لعمر حين طالب بقتله: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»[١٤٠].

ولما قال عبد من عبيد حاطب: «يارسول الله، ليدخلن حاطب النار». قال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدرا والحديبية»[١٤١].

وكان لبدر الأثر العميق في المدينة وبقية حواضر وبوادي الجزيرة العربية، فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين. فانخذل اليهود، وجاهروا بالعداوة مما كان سببا في إجلاء بني قينقاع عن المدينة ـ كما سيأتي.

وأسلم من زالت الغشاوة عن عينيه، ونافق من أضله الله حفاظا على مصالحه الخاصة، وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول، الذي قال حينذاك: «هذا أمر قد توجه[١٤٢] ـ أي استقر فلا مطمع في إزالته[١٤٣].

ومن بين من عرف بالنفاق من أحبار اليهود بالمدينة: زيد بن اللصيت ـ رافع بن حريملة ـ رفاعة بن زيد بن التابوت ـ سويد بن الحارث ـ سعد ابن حنيف ـ نعمان بن أوفى بن عمرو ـ وأخوه عثمان بن أوفى ـ سلسلة بن برهام ـ كنانة بن صوريا.

ومن بين من عرفوا بالنفاق من مشركي المدينة، إضافة إلى عبدالله بن أبي بن سلول: زوى بن الحارث ـ جلاس بن سويد ـ وأخوه الحارث ابن سويد ـ نبتل بن الحارث ـ مربع بن قيظي ـ وأخوه أوس بن قيظي ـ حاطب ابن أمية بن رافع ـ بشير بن أبيرق أبوطعمة ـ قزمان.

وقد أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامه، ومات على النفاق من مات

---

(١٤٠) وهو عند مسلم ايضا ـ النووي (١٦/ ٥٥).

(١٤١) المصدر نفسه. وفي تناوله لقصة ثعلبة ومماطلته في أداء الزكاة، خلص باوزير (ص ص ٣٥٥ ـ ٣٥٩) إلى أن المعني في القصة هو ثعلبة بن أبي حاطب وليس ثعلبة بن حاطب البدري، إضافة إلى أن سند القصة أصلا ضعيف لا تقوم به حجة.

(١٤٢) من حديث رواه البخاري/ الفتح (١٧/ ٩٤/ح ٤٥٦٦).

(١٤٣) وانظر خبر معاداته الإسلام ونفاقه عند البخاري وابن حجر الفتح (١٧/ ٩٣ ـ ٩٤/ح ٤٥٦٦)، وعند ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

منهم، وستأتي أخبار كثير منهم ومواقفهم من الإسلام من خلال أحداث السيرة[144].

أحكام وحكم من غزوة بـدر:

لقد تضمنت أحداث غزوة بدر أحكاماً وحكما كثيرة، من أهمها:

1) جواز النكاية بالعدو، بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وإخافة طرقهم التي يسلكونها، لما في ذلك من إضعافهم معنويا واقتصاديا.

2) جواز استخدام العيون لكشف أحوال العدو وإفشال خططه.

3) تأكيد الرسول ﷺ على مبدأ الشورى لأهل الحل والعقد وعامة المسلمين، وقد وردت أدلة على حجية الشورى في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنة الخلفاء الراشدين.

فالأدلة من القرآن، قول الله تعالى: ﴿... وشاورهم في الأمر﴾[145] و﴿والـذين استجـابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾[146]، ومن السنة استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في الخروج أو البقاء في المدينة يوم أحد، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق على ثلث ثمار المدينة، وغير ذلك كثير مما ستقف عليه في هذا الكتاب. وقد قال أبو هريرة (رضي الله عنه): «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ[147]».

أما أدلة حجيتها من سنة الخلفاء الراشدين قول ابن الخطاب في الشورى عند اختيار الحاكم: «الإمارة شورى»، «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير مشورة من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه»، «فمن بايع

---

(144) وانظر: هذا الحبيب محمد ﷺ ، ص ص 189 - 194، حيث أشار الشيخ الجزائري إلى بعض المواقف لبعضهم.

(145) آل عمران: 159. وقد نزلت هذه الآية عقب غزوة أحد.

(146) الشورى: 38، وهي آية مكية، وقد جعلت الشورى من خصائص المؤمنين.

(147) الترمذي: السنن (5/375/ح 1767/ تحفة الأحوذي) وفي إسناده مقال ولكن معناه مما يكاد يكون متواترا عن النبي ﷺ.

أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه»[148].

٤) جواز المبارزة بإذن الأمير، وهذا قول عامة أهل العلم[149].

٥) المساواة بين الجندي وقائده في السلم والحرب سواء، وقد اتضح ذلك من قصة سواد مع الرسول ﷺ، إذ كشف الرسول ﷺ عن بطنه ليقتاد منه سواد. وهو فعل الخلفاء من بعده: أبوبكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم).

٦) جواز فداء الأسارى أو المن عليهم.

٧) لا حرج من قتل الأسير قبل أن يصل إلى يد الإمام، كما فعل بلال ومن معه من الأنصار عندما قتلوا أمية بن خلف وهو في أسر عبدالرحمن ابن عوف.

٨) أحلت الغنيمة لهذه الأمة، وقسمتها على المقاتلين بعد تخميسها.

٩) من قتل قتيلا فله سلبه، على شرط: أن يكون المقتول من المقاتلة وليس ممن نهى الرسول ﷺ عن قتلهم، وهم النساء والصبيان والشيوخ الفانون... إلخ، وأن يكون في المقتول منفعة وغير مثخن بالجراح، أن يقتله او يثخنه بجراح تجعله في حكم المقتول، وأن يقرر بنفسه في قتله، فأما إن رماه بسهم من صف المسلمين فقتله فلا سلب له[150].

١٠) دلت واقعة قضية الأسرى على أن الرسول ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا ـ وهم جمهور علماء الأصول ـ استدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر. وإذا صح للرسول ﷺ أن يجتهد، صح منه بناء على ذلك أن يخطىء في الاجتهاد ويصيب. غير أن الخطأ لا يستمر، بل لابد من أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده، فإذا لم تنزل آية فهو دليل على صحة اجتهاده ﷺ.

١١) الأصل أن يبذل المسلمون كافة جهودهم في الإعداد للمعركة وفي

---

(١٤٨) روى هذه الآثار عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٤٤٥ وما بعدها) بأسانيد صحيحة. وأشار المحقق إلى أن البخاري قد أخرجه من طريقين في رجم الحبلى.

(١٤٩) انظر تفصيل ذلك عند ابن قدامة: المغني (٨/ ٣٦٧ وما بعدها) طبعة الرياض.

(١٥٠) انظر تفصيل ذلك في المرجع نفسه، ص ص ٣٨٧ ـ ٣٩١، من الجزء الثامن.

مجابهة العدو، قال تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل... ﴾ ومع ذلك فان الله يؤيد جنده بخوارق لتعينهم على النصر، إذا كانوا أهلا له، كما حصل بإمداد الملائكة في بدر، وبأن غشى الله النعاس عيون المؤمنين، وأنزل عليهم المطر.

١٢) نبه الله المؤمنين إلى حقيقة هامة وهي أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها، مهما كانت الحال والظروف ، ولذا عالج الله تجربة رؤية الغنائم مع الحاجة والفقر واختلافهم فيها، ومسألة الأسرى، بوسائل تربوية دقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم... ﴾[١٥١]، و ﴿ماكان لنبي أن يكون له أسرى... تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة... ﴾[١٥٢][١٥٣].

١٣) إن أهل بدر مغفور لهم يوم القيامة، أما أحكام الدنيا فإنها تؤخذ منهم، ويعاقبون عليها إن أتوها كما وقع لقدامة بن مظعون، عندما حد في الخمر.

١٤) إن من سنة الرسول ﷺ بعد انتهاء المعركة أن يقيم في العرصة ـ مكانها ـ ثلاثة أيام.

١٥) السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم، كما حدث لشهداء بدر وأحد ولا يصلى عليهم كما ثبت بالنسبة لشهداء أحد، ولم يذكر أنه صلى على شهداء بدر[١٥٤].

١٦) لقد تجلت في بدر بطولات إيمانية كثيرة، على سبيل المثال ما روي من أن اباعبيدة عامر بن الجراح قتل والده الجراح يوم بدر. فقد جعل

---

(١٥١) الأنفال: ١.
(١٥٢) الأنفال: ٦٧.
(١٥٣) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ص ١٧٦ ـ ١٧٨.
(١٥٤) أخذنا هذه الخلاصة لأبرز الأحكام الفقهية في غزوة بدر من كتاب: مرويات غزوة بدر للدكتور أحمد باوزير، ص ص ٤٣٩ ـ ٤٤٧، باختصار وتصرف يسير، ليتناسب ذلك مع منهجنا في تناول القضايا الفقهية، وهو الاختصار.

والد أبي عبيدة يتصدى لابنه أبي عبيدة يومذاك فيحيد عنه الابن، فلما أكثر قصده فقتله، فنزلت الآية: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حادّ الله ورسوله...﴾[155][156].

وروى ابن إسحاق[157] من حديث أبي عزيز بن عمير، قال: «مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدّ يديك به فإن أمَّه ذات متاع، لعلها تفديه منك!..» وزاد ابن هشام[158] على هذه الرواية فقال: «فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليَسَر، وهو الذي أسره، ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وَصاتُك بي! فقال له مصعب: إنه أخي دونك..»

---

(١٥٥) المجادلة: ٢٢.

(١٥٦) أخرجه الطبراني باسناد جيد عن عبدالله بن شوذب، كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢/٢٥٢ - ٢٥٣).

(١٥٧) و (١٥٨) ابن هشام (٢/٣٤٩)، واسناد ابن إسحاق منقطع ولم يسند ابن هشام روايته.

الفصل السادس

النشاط العسكري والأحداث ما بين بدر وأحد:

المبحث الأول: سرية قتل عصماء بنت مروان:

كانت عَصْمَاء بنت مروان ممن يؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ. وقالت في ذلك شعرا. فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: ألا آخِذٌ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك عُمَيْر بن عَدِيّ الخَطْمِي - من قوم زوجها - فجاءها في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها، و حولها نفر من ولدها منهم من ترضعه في صدرها، فجسها بيده، لأنه كان أعمى، ونحى الصبي عنها ثم قتلها، ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ، فقال له: أقتلت ابنة مروان؟ قال نعم، فقال له النبي ﷺ: نصرت الله ورسوله ياعمير[1]، فقال عمير: هل علي في ذلك شيء؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان[2]. فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ، وسماه رسول الله ﷺ عميرا البصير. وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة، بعد عودته من بدر مباشرة.

وأسلم يومئذ رجال من بني خطمة لما رأوا من عز الإسلام، وجهر بإسلامه من كان يستخفي به[3].

---

(١) رواه ابن إسحاق باسناد لم يصرح فيه بالسماع، وهو ضمن روايته قصة مقتل عصماء - ابن هشام (٤/ ٣٧٩) فالرواية ضعيفة.

(٢) المصدر نفسه، ورواه أبوداود في سننه (٤/٥٢٨ - ٢٩/ ك. الحدود/ب. الحكم فيمن سب النبي ﷺ)، من غير طريق ابن إسحاق، بإسناد متصل ورجاله ثقات، كما قال ابن حجر في بلوغ المرام (٢/ ٢٤١).

(٣) وانظر القصة في كتب المغازي والسير: ابن إسحاق - بإسناد لم يصرح فيه بالسماع - ابن هشام (٤/ ٣٧٧ - ٣٧٩) - وعنده أن قتلها كان بعد قتل ابن عفك، الواقدي (١/ ١٧٢)، ابن سعد (٢/ ٢٧) - بدون إسناد.

المبحث الثاني: غزوة بني سُلَيم بالكُدْر:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من بدر لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه، يريد بني سليم، وذلك في شوال من العام الثاني للهجرة.

فبلغ ماء من مياههم، يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع الى المدينة، ولم يلق حربا[4].

المبحث الثالث: مؤامرة لاغتيال الرسول ﷺ[5]:

تذاكر عمير بن وهب وصفوان بن أمية مصابهم في بدر. فأسر عمير بن وهب إلى صفوان بأنّ لولا دين عليه وعيال يخشى عليهم الضيعة لركب إلى محمد حتى يقتله، فاغتنم صفوان الفرصة، فالتزم له بقضاء دينه وضم عياله إلى عياله إن هو قتل محمداً وأصابه شر. واستكتمه الخبر.

وعندما جاء المدينة رآه عمر فتوجس منه خيفة، فاقتاده إلى الرسول ﷺ، ودار بينهما حوار، جاء فيه أن الرسول ﷺ طلب منه أن يصدقه القول في سبب مجيئه، فذكر أنه جاء ليفتدي ابنه وَهْباً. وعندما أصر على الكذب، كشف له الرسول ﷺ عما دار بينه وبين صفوان، وهما بمكة، وهو بالمدينة، فتعجب عمير من هذا، وكان ذلك سبباً في إسلامه. فطلب الرسول ﷺ من أصحابه أن يفقهوه في الدين ويطلقوا له أسيره.

وأذن له الرسول ﷺ في أن يعود إلى مكة ليدعو إلى الإسلام بالحماسة نفسها التي كان يدعو بها إلى الكفر. فأسلم على يديه خلق كثير.

المبحث الرابع: سرية سالم بن عُمَيْر لقتل أبي عَفَك:

لقد نجم نفاق أبي عفك، أحد بني عمرو بن عوف، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت، وقال في ذلك شعرا. فقال رسول

---

(٤) رواها ابن إسحاق بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ٦٤).

(٥) روى قصة هذه المؤامرة: ابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٢/ ٣٧١ - ٣٧٤) وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٧): «رواه موسى بن عقبة في مغازيه، والأسود عن عروة مرسلا وابن منده متصلا، وقال: غريب لا نعرفه عن ابن عمران إلا من هذا الوجه، والطبراني وقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك» ورواية الأسود وابن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٤٧ - ١٤٩).

الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عمير، فقتله. وكان ذلك في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة[٦].

المبحث الخامس: غزوة بني قَيْنُقَاع:

أ ـ تاريخ الغـزوة:

ذكر معظم أهل المغازي والسير أنها وقعت بعد بدر، ورجح ذلك ابن حجر[٧]، مستندا إلى رواية ابن عباس في سنن أبي داود[٨]، وحكم عليها بالحسن، وقواه برواية عبادة بن الوليد في مغازي ابن اسحاق[٩]. وقد حدد الـزهـري[١٠] أنها كانت في شوال من السنـة الثـانية الهجـرية، ويضيف الواقدي[١١] وابن سعد[١٢] أنها كانت يوم السبت للنصف من شوال.

ب ـ أسبابهـــا:

تذكر كتب السيرة سببين لهذه الغزوة، الأول: أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون ببدر، ويظهر ذلك في موقفهم من الرسول ﷺ عندما جمعهم في سوقهم بعد بدر، وقال لهم: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا في قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا»، فأنزل الله ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. قد كان لكم آية

---

(٦) رواه ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٤/٣٧٦ ـ ٣٧٧)، وابن حجر في الإصابة (٤/٢٣٨) كذلك معلقا، والواقدي (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥) وفيه انه حسد الرسول ﷺ عندما انتصر ببدر، وابن سعد (٢/٢٨) دون إسناد، وعنده أنه كان يهوديا.

(٧) الفتح (١٥/ ٢٠٤).

(٨) (٣/٤٠٢ ـ ٤٠٣).

(٩) ابن هشام (٣/٧١ ـ ٧٢) بإسناد مرسل.

(١٠) في تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٠٩ ـ ٨٠) مرسلا.

(١١) المغازي (١/١٧٦).

(١٢) الطبقات (٢/٢٨/ ٢٩) دون إسناد.

وخلاصة القول إن الآثار كلها ضعيفة ولكن تتقوى بعضها ببعض لترتفع إلى درجة الحسن لغيره كما قال الدكتور السندي: مرويات تاريخ يهود المدينة، في عهد النبوة، ص٨٣.

في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾[١٣].

والسبب الثاني هو أن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، فلما قامت انكشفت، فصاحت مستنجدة، فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي، وتواثب عليه اليهود فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود. فغضب المسلمون، ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[١٤].

وإذا قبلنا تحسين ابن حجر لرواية ابن إسحاق في السبب الأول، فهذا لا يعني أن سبب إجلائهم يعود إلى رفضهم الدخول في الإسلام، لأن الإسلام في هذه المرحلة كان يقبل التعايش السلمي معهم، وأن نصوص صحيفة المدينة تؤكد إعطاء اليهود حريتهم الدينية في المدينة، وإنما يعود سبب الإجلاء إلى ما أظهروه من روح عدائية ضد المسلمين، انتهت إلى الإخلال بالأمن داخل المدينة ومن ذلك قصة المرأة المسلمة معهم[١٥].

ج ـ الحصار والإجلاء:

إن خبر إجلاء بني قينقاع ثابت في الصحيحين[١٦]، وأما تفاصيل الحصار فقد أورده ابن إسحاق[١٧] والواقدي[١٨] وابن سعد[١٩]، وتابعهم المؤرخون في ذلك.

وقد ورد في تفاصيل خبر حصارهم أنهم كانوا صاغة وحلفاء عبدالله بن

---

(١٣) أبوداود: السنن (٣/ ٢/ ٤٠٢/ح ٣٠٠١) بإسناد فيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ـ حكم عليه ابن حجر في التقريب بأنه مجهول ص٥٠٥، ومع وذلك حسنه ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٤) ومحمد الذهبي في التفسير والمفسرون (١/ ٧٩) وخلاصة دراسة السندي أن روايات هذه الحادثة تتقوى ببعضها وتصلح للاحتجاج بها ـ (السندي: مرويات يهود المدينة، ص٧٧)، وانظر آل عمران: ١٢ ـ ١٣.

(١٤) ابن هشام (٣/ ٧٠) بإسناد ضعيف لأنه موقوف على أبي عون وهو تابعي صغير مجهول، وفيها انقطاع بين ابن هشام وعبدالله بن جعفر ـ انظر السندي، ص٧٩، والعمري: المجتمع المدني ـ التنظيمات، ص١٣٧. والألباني: دفاع، ص ص٢٦ ـ ٢٧. والرواية يستأنس بها.

(١٥) العمري: المجتمع المدني ـ تنظيماته....، ص ١٣٨.

(١٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤/ح ٤٠٢٨)، مسلم (٣/ ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨/ح ١٧٦٦).

(١٧) ابن هشام (٣/ ٧٠ ـ ٧٢) وإسناده مرسل، ولكنه يتقوى مع المتابعة.

(١٨) المغازي (١/ ١٧٦) بإسناد ضعيف.

(١٩) الطبقات (٢/ ٢٩) دون إسناد.

أبي بن سلول، وكانوا أشجع اليهود. فلما أظهروا العداوة والبغضاء، خشي الرسول ﷺ خيانتهم، فنبذ إليهم على سواء كما أمره الله (عز وجل) في مثل هذه الحالات، إذ يقول الله ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين﴾[20]. وحاصرهم خمس عشرة ليلة. وعندما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم الرسول ﷺ على أن لهم أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكتفوا، ثم كلمه فيهم حليفهم ابن سلول، وألح في ذلك قائلا: «أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة؟»، فقال رسول الله ﷺ: «هم لك[21]، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة. وتولى أمر ذلك عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرعات، وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، فقسمت بين الصحابة بعد إخراج الخمس للرسول ﷺ[22].

وكان عبادة بن الصامت قد تبرأ من حلفهم عندما حاربوا الرسول ﷺ، وفيه وفي ابن سلول نزل قول الله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض...﴾[23].

د ـ أحكام وعبر:

١) دلت هذه الحادثة على حقد وعداوة اليهود واتخاذ ما يستطيعون من وسائل للغدر بالمسلمين وإمامهم.

٢) هذه الحادثة وما أعقبها من دفاع عبدالله بن أبي بن سلول عن اليهود

---

(٢٠) الأنفال: ٥٨.

(٢١) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ٧٠ـ ٧١)، الواقدي (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨) وابن سعد (٢/ ٩٢) بدون إسناد وفيه الآية. وجاء خبر تشبث ابن سلول ببني قينقاع في أثرين ضعيفين لابن إسحاق لأنهما موقوفان على عاصم وعبادة، ولكن كل منهما يقوي الآخر ويرتقيان إلى درجة الحسن لغيره، ويقوي ذلك أكثر ذكر ذلك عند أهل المغازي والسير الآخرين ـ قاله السندي ص ٩٦.

(٢٢) ابن سعد (٢/ ٩٢) دون إسناد.

(٢٣) المائدة: ٥١ ـ ٥٢. وروى الخبر ابن إسحاق بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/ ٧١ ـ ٧٢) ـ يتقوى مع المتابعات والشواهد، مثل رواية ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٢٧٥) بسند ضعيف لأن فيه عطية بن سعد، فهو مدلس، ولم يصرح بالسماع، ورواية ابن مردويه في التفسير من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة، حيث روى أنها نزلت فيه ـ ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩١).

بالكيفية التي علمنا، ودوره في كثير من أحداث الفتن، والتخذيل والترويج للإشاعات المغرضة في صفوف المسلمين، دليل قاطع على نفاقه. ومع ذلك عامله الرسول ﷺ على أنه مسلم. وهذا يدل ـ كما أجمع العلماء ـ على أن المنافق إنما يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم، ويتولى الله أمر باطنه يوم القيامة. ومن الأدلة على ذلك قول عمر (رضي الله عنه): «إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة»[٢٤].

والحكمة من معاملة الناس للمنافقين بحسب الظاهر، أن تظل العدالة بين الناس في مأمن من التلاعب، إذ ربما اتخذ بعض الحكام من حجية الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وحدها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون وجه حق[٢٥].

٣) لا يجوز موالاة غير المسلمين، بل يجب البراءة منهم، إلا إذا كان المسلمون في حالة ضعف يضطرهم إلى الموالاة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لا يتخِذِ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، إلا أن تتقوا منهم تُقاةً﴾[٢٦].

المبحث السادس: غزوة السَّوِيق:

في الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة، وصل أبوسفيان إلى أطراف المدينة سرا، في مائتي فارس، ولجأ إلى بني النضير، ثم قام بمهاجمة ناحية العريض ـ واد بالمدينة في طرف حرة واقم ـ

(٢٤) البخاري/ الفتح (١١/ ٦٧ ـ ٦٨/ح ٢٦٤١).
(٢٥) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ص ١٨٢ ـ ٨٣.
(٢٦) آل عمران: ٢٨. وانظر تفاصيل هذه القضية عند مثل: محمد بن سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام.

فقتل رجلين وأحرق نخلا وفر إلى مكة. وعندما علم المسلمون بهذا العمل الاستفزازي الإنتقامي، نفروا في أثره حتى وصلوا قرقرة الكدر، فلم يلحقوا بهم، وقد رأوا أزوادا للقوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم الرسول ﷺ: «يارسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ فقال: نعم[٢٧]». وسميت بغزوة السويق لأن غالب الأزواد التي طرحوها كانت من السويق[٢٨].

المبحث السابع: غزوة قَرْقَرَة الكَدَر:

خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه في منتصف المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة، عندما بلغه أن جمعا من بني سُليم وغطفان وبعض القبائل الأخرى تجمعت بقرقرة الكدر، وهو ماء لبني سليم، للتحرك ضد المسلمين. وعندما وصلهم فروا من وجهه وتركوا أنعامهم غنيمة باردة للمسلمين.

وكان مع الأنعام غلام يسمى يسار، جعله المسلمون في سهم الرسول ﷺ، فأعتقه[٢٩].

المبحث الثامن: سرية قتل كَعب بن الأشرف اليهودي:

ينتسب كعب إلى بني نبهان، وهم عشيرة من طيء، وكان أبوه قد أصاب دما في الجاهلية، فأتى المدينة، فحالف بني النضير، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعب بن الأشرف[٣٠].

كان كعب شاعرا. وقد غاظه انتصار المسلمين ببدر، فسافر إلى مكة ليواسي المشركين في قتلاهم ويحرضهم على أخذ الثأر، ويهجو الرسول ﷺ.

(٢٧ و ٢٨) رواها ابن إسحاق بإسناد صحيح الى عبدالله بن كعب، لكنه مرسل - ابن هشام (٣/ ٦٥ - ٦٦) ورواها الطبري في التاريخ من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد (٢/ ٤٨٤) - ولكن كتب عبدالله بن كعب بدلا عن عبدالله -، والواقدي (١/ ١٨١)، وابن سعد (٢/ ٣٠) بدون إسناد، وابن كثير في البداية (٣/ ٣٧٨) وعنده أنها هي غزوة قرقرة الكدر.

(٢٩) الواقدي (١/ ١٨١) وعنده انها قرارة الكدر، ابن سعد (٢/ ٣١) وعنده انها قرقرة الكدر.

(٣٠) انظر ابن حجر/ الفتح (١٥/ ٢٠٩/ك. المغازي/ب. قتل كعب بن الأشرف)، وابن إسحاق بإسناد مرسل - ابن هشام (٣/ ٧٤ - ٧٥)، والطبري في التاريخ (٢/ ٤٨٨).

وعندما سأله أبوسفيان قائلا: «أناشدك الله! أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى إلى ربك وأقرب إلى الحق؟ قال كعب: أنتم أهدى منهم سبيلا»، فأنزل الله على رسوله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾[٣١].

وعندما عاد إلى المدينة أخذ يقرض الشعر متشببا بنساء المسلمين، فأهدر الرسول ﷺ دمه. وتصدى لمهمة إنزال العقاب الرادع به: محمد بن مسلمة وأبونائلة، أخو كعب من الرضاع! ووضع ابن مسلمة خطة محكمة لذلك. فاستأذن الرسول ﷺ أن يقول فيه ما يطمئن اليهودي، أي يبدي تبرمه بمحمد ﷺ. وعندما جاءه طلب منه أن يقرضه تمرا ليدفعه للرسول ﷺ، مبديا تذمره منه لما يكلفهم به، فطلب كعب رهينة من النساء أو الأبناء، فاعتذر ابن مسلمة، لما يجر عليهم ذلك من عار، واقترح عليه أن يرهن عنده بدل هذا سلاحا، فرضي كعب. فجاءه ابن مسلمة ليلا ومعه أبونائلة ـ سلكان بن سلامة بن وقش ـ وعباد بن بشر والحارث بن بشر وأبوعبس بن جبر، من الأوس، فنادوه، فنزل، إليهم، على الرغم من تحذير امرأته له من مغبة ذلك، ومشى معهم، فاحتالوا لقتله، متظاهرين بشم عطر شعره، فاستمكنوا منه ثم قتلوه، حتى إن أحدهم أصيب بسيوف أصحابه[٣٢].

وعندما احتجت اليهود على هذا الفعل، بين لهم الرسول ﷺ ما صدر من كعب من أفعال. وعندما فزعت يهود وبقايا المشركين مما حدث، وخافوا على أنفسهم، دعاهم الرسول ﷺ إلى كتابة معاهدة بينهم، فكتب صحيفة

---

(٣١) النساء: ٥١.

(٣٢) هذه خلاصة رواية البخاري/ الفتح (١٥/ ٢١٠/ح ٤٠٣٧) ومسلم (٣/ ١٤٢٥ ـ ١٤٢٦/ح ١٨٠١). وروى القصة أبوداود في سننه (٣/ ٢١١ ـ ١٢/ ك. الجهاد/ ب. العدو يؤتى على غرة)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٧ ـ ٢٠٠) بأسانيد مختلفة ومن عدة مصادر، وابن سعد (٢/ ٣٢ ـ ٣٤) والواقدي (١/ ١٨٤ ـ ١٩٣)، وروى ابن إسحاق الجزء الأول من القصة بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/ ٧٩) وروى قصة) خطة التنفيذ بسند حسن ـ ابن هشام (٣/ ٨١ ـ ٨٤) وهناك بعض الاختلاف بين رواية الصحيحين ورواية أهل المغازي والسير، فانظرها، ولكن المضمون واحد. انظر في ذلك شرح ابن حجر لحديث مقتل كعب في الفتح.

عامة كما تذكر رواية أبي داود[٣٣]. والراجح أن كتابة هذه الصحيفة جاء تأكيدا لما في المعاهدة التي كتبت قبل بدر بين المسلمين واليهود، والمشهورة بصحيفة المدينة[٣٤].

وكان مقتله بعد بدر وقبل غزوة بني النضير[٣٥]، وحدده الواقدي[٣٦] بالسنة الثالثة لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة.

عظـات وعبـر:

١) إن في قتل ابن الأشرف دليلاً على مشروعية الاحتيال على قتل من وجب قتله لغدره وخيانته.

٢) جواز الكذب على الأعداء وخداعهم، لأن الحرب خدعة.

٣) إن في قتل الغادر الخائن تخويفا لمن وراءه حتى لا يسلك مسلكه غيره ممن هم على شاكلته.

المبحث التاسع: غـزوة ذي أَمَـر:

بلغ الرسول ﷺ أن غطفان قد تجمعت في ذي أمر من نجد، فسار إليهم. وعندما علموا بذلك فروا أمامه[٣٧]. وذكر الواقدي[٣٨] وابن سعد[٣٩] أن المجتمعين على ماء ذي أمر هم من غطفان من بني ثعلبة بن مُحَارِب،

---

(٣٣) السنن (٣/ ٤٠٢ - ٤٠٣) ومدار الرواية على والد عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب، فإذا أراد الراوي بأبيه جده كعب فيكون الحديث متصلا ورواته ثقات، فهو صحيح، وإن أراد بأبيه والده عبدالله فيكون مرسلا، ويحتاج إلى متابعة ليرتقي إلى درجة الحسن لغيره، ووجدت المتابعة عند الهيثمي في مجمعه (٦/ ١٩٥ - ١٩٦) عن عبدالله بن كعب عن عمه نحوه نقلا عن أحمد، وحكم على الرواة بأنهم من رجال الصحيح، وللحديث شواهد، فقد أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقين (٣/ ١٩٦ - ١٩٧). وهذه المتابعات والشواهد تجعل حديث أبي داود قابلا للاحتجاج به - كما قال السندي ص١٠٨.

(٣٤) د. العمري: المجتمع المدني - تنظيماته ....، ص١٤٢.

(٣٥) انظر ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، حيث ذكروها قبل أحد.

(٣٦) المغازي (١/ ١٨٤ - ١٨٩).

(٣٧) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ٦٨).

(٣٨) المغازي (١/ ١٩٤).

(٣٩) الطبقات (٢/ ٣٤).

وكان عدد جيش المسلمين أربعمائة وخمسين رجلا، وكان خروج المسلمين إليها لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، سنة ثلاث من الهجرة. وحددها الواقدي[٤٠] بيوم الخميس.

وذكر الواقدي وابن سعد وقوع قصة دَعْثُور المحاربي في هذه الغزوة. وخلاصتها أن المسلمين قد أصابهم مطر في طريق عودتهم، فابتل ثوب الرسول ﷺ، فجعل وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها على شجرة لتجف، ثم اضطجع تحت الشجرة، والأعداء ينظرون إلى كل ذلك خلسة، فأغروا سيدهم الفاتك دعثور ليفتك بالرسول ﷺ وهو على هذه الحال. وعندما وقف بالسيف على رأس الرسول ﷺ قال: «من يمنعك مني اليوم؟» قال رسول الله ﷺ: «الله». ودفعه جبريل (عليه السلام) عنه حتى وقع السيف من يده، فأخذه الرسول ﷺ ووقف على رأسه قائلا: من يمنعك مني اليوم؟ قال: لا أحد. «فأسلم وعاد وحكى لقومه ما حدث، وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾[٤١].

المبحث العاشر: غزوة بُحْرَان ـ أو الفُرُع من بُحرَان:

خرج النبي ﷺ في ثلثمائة من الصحابة يريد قريشا كما ذكر ابن إسحاق[٤٢]، ويريد بني سُلَيْم، كما ذكر الواقدي[٤٣]. ووصل إلى بحران من ناحية الفرع، على الطريق التجارية بين مكة والشام، ولم ينشب قتال بين الفريقين.

---

(٤٠) المغازي (١/١٩٣).

(٤١) المائدة: ١١.

وقصة دعثور المحاربي ثابتة في الصحيحين ولكن بغير هذا السياق وفي غير هذه الغزوة، وأنه لم يسلم، والمتفق عليه بين أهل السير والصحيحين هو أن الله عصمه منه. وما في الصحيح أصح. وسيأتي ذكر القصة في غزوة ذات الرقاع من رواية البخاري ومسلم وابن إسحاق ـ إن شاء الله.

(٤٢) ابن هشام (٣/٦٨) ـ بدون إسناد، فهو ضعيف.

(٤٣) المغازي (١/١٩٦).

وكان ذلك في جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة كما ذكر الواقدي وتلميذه ابن سعد[٤٤].

المبحث الحادي عشر: سرية القَرَدَة:

خافت قريش أن تسلك طريقها الذي كانت تسلكه إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، ففكروا في أن يسلكوا طريق العراق. فخرج أبوسفيان في جمع من تجار مكة، ومعهم فضة كثيرة، وكانت عظم تجارتهم، واستأجروا رجلا من بني بكر بن وائل، يدعى: فرات بن حيان، ليدلهم على الطريق. وعندما علم الرسول ﷺ بخبرهم أرسل في أثرهم زيد بن حارثة، فلقيهم على ماء بنجد يسمى القردة، فأصاب تلك العير وما عليها، وأعجزه الرجال. وكان ذلك بعد ستة شهور من غزوة بدر الكبرى[٤٥]، الأول من جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة[٤٦].

وذكر ابن سعد[٤٧] أن هذه السرية كان بها مائة رجل، وأن الفضة كانت وزن ثلاثين ألف درهم، وقيمتها مائة ألف درهم.

وعندما فشلت خطة قريش في الخروج من الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليها المسلمون، رأت أن تعجل بعمل عسكري ضد المسلمين في عقر دارهم، لعلها تفك هذا الحصار الاقتصادي وتعيد الأمن إلى تجارتها، وتعيد سمعتها التي انحطت بهزيمتها في بدر. فكانت غزوة أحد.

---

(٤٤) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٥) ـ دون إسناد، وبذلك فهو ضعيف.
(٤٥) ابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٧٣).
(٤٦) الواقدي (١/ ١٩٧)، وابن سعد (٢/ ٣٦). بأسانيد ضعيفة.
(٤٧) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٦). وإسناده ضعيف.

الفصل السابع

غــزوة أحــد:

تاريخ الغزوة: اتفق كتاب السيرة على أنها كانت في شوال من السنة الثالثة الهجرية[1]، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه. وأشهر الأقوال إنه السبت[2]، للنصف من شوال[3].

أسبابهــا: لقد كان السبب المباشر لها، كما أجمع على ذلك أهل السير، هو أن قريشا أرادت أن تنتقم لقتلاها في بدر، وتستعيد مكانتها التي تزعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر[4].

أما من بين الأسباب الأخرى الهامة التي يمكن استنتاجها من مجريات الأحداث، فهي أن قريشا تريد أن تضع حدا لتهديد المسلمين طرق تجارتهم إلى الشام، والقضاء على المسلمين قبل أن يصبحوا قوة تهدد وجودهم.

عدة المشركين: خصصت قريش قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين[5]، وأرباحها، لتجهيز جيشهم لغزوة أحد[6]، وجمعت ثلاثة آلاف مقاتل من قريش ومن أطـاعهـا من كنانة وأهل تهامة، ومعهم مئتا فرس، وسبعمائة

---

(١) انظر ذلك في مكانه عندهم.

(٢) قال الواقدي (١/ ١٩٩) وابن سعد (٢/ ٣٦) والبلاذري في الأنساب (١/ ٣١٠) إنها كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وأسانيدهم ضعيفة.

(٣) من رواية خليفة بن خياط في تاريخه (ص ٩٧) بإسناد فيه مجهول، ومرسل، والطبري في التفسير (٧/ ٣٩٩) بإسناد فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف، وابن إسحاق في السيرة (ص ٣٢٤)، بإسناد مركب مرسل، فيه الثقات والضعفاء، ورواية الطبري هي أصح ما في الباب. انظر الدكتور العمري: المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ٦٥.

(٤) انظر في هذا: ابن إسحاق في السيرة، ص ٣٢٢، وابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٨٦ ـ ٨٨) بإسناد مرسل، فيه جمع من شيوخه، منهم الثقات ومنهم الضعفاء والواقدي (١/ ١٩٩) وابن سعد (٢/ ٣٧) من رواية الواقدي.

(٥) قاله ابن إسحاق في السيرة، ص ٣٢٢، وفي سيرة ابن هشام (٣/ ٨٧) بإسناد سبق الكلام عليه.

(٦) قاله الواقدي (١/ ٦٠٠).

دارع. وجعلت على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وخرجت معهم مجموعة من النساء لإثارة حماسهم وخوفهم من العار إذا فروا. وذكر ابن إسحاق أنهن كن ثمانياً، وقال الواقدي إنهن كن أربع عشرة، وقد سمياهن[٧]. وقال ابن سعد إنهن كن خمس عشرة امرأة[٨].

وأري الرسول ﷺ في منامه ما سيحدث في أحد، وذكره لأصحابه، قائلا: «رأيت في رؤياي أني هززت سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ماجاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت بقرا ـ والله خيرـ فإذا هم المؤمنون يوم أحد»[٩]. وفي رواية أخرى: «ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة»[١٠].

وفسر الرسول ﷺ هذه الرؤيا بأن هزيمة وقتلا سيقعان في أصحابه[١١].

عندما علم الرسول ﷺ بمجيء جيش مكة لحرب المسلمين، شاور أصحابه، بين أن يبقوا داخل المدينة أو أن يخرجوا لملاقاة العدو خارجها. فقال جماعة من الأنصار: «يانبي الله، إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه، فابرز إلى القوم، فانطلق رسول الله ﷺ فلبس لأمته[١٢]. فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب ياحمزة فقل للنبي ﷺ: «أمرنا لأمرك تبع»، فأتى حمزة فقال: «يانبي الله، إن القوم قد تلاوموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع. فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس لنبي إذا لبس

---

(٧) انظر: ابن هشام (٣/ ٨٧) من رواية ابن إسحاق دون إسناد، تاريخ الطبري (٣/ ٥٠٤) من رواية الواقدي، والواقدي (١/ ٢٠١).

(٨) الطبقات (٢/ ٣٧).

(٩) رواه البخاري/ الفتح (١٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤/ ح ٣٦٢٢)، مسلم (٤/ ١٧٧٩ ـ ١٧٨٠/ ح ٢٢٧٢).

(١٠) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٥٠) وصحح الساعاتي إسناده، وانظر الروايات الأخرى عنده (٢١/ ٥١)، وعند ابن سعد (٢/ ٢٤٥)، عند كليهما بإسناد رجاله ثقات، ولكن فيه عنعنه أبي الزبير، وهو مدلس.

(١١) أحمد: المصدر نفسه.

(١٢) اللأمة: الدرع الحصينة وسائر أداة الحرب. وقد تترك الهمزة للتخفيف.

لأمته أن يضعها حتى يناجز»[١٣].

إن ما ذكره ابن إسحاق[١٤] وغيره من أن عبدالله بن أبي كان موافقا لرأي رسول الله ﷺ في البقاء داخل المدينة، فقد روى الطبري[١٥] عن السدي خلاف ذلك، وهو أثر إسناده صحيح ورجاله ثقات ولكنه مرسل، وفيه من يَهِم ويكثر الخطأ، ولذلك رجح الباكري[١٦] رواية ابن إسحاق لصحتها ولإجماع أهل السير على ذلك، وأن حجة ابن سلول في الرجوع عن أحد أن الرسول ﷺ لم يطعه.

ومما ذكره أهل السير أن من دوافع الراغبين في الخروج، إظهار الشجاعة أمام الأعداء والرغبة في المشاركة في الجهاد لما فاتهم من فضل الاشتراك في بدر.

أما دوافع الرسول ﷺ ومن كان على رأيه في البقاء داخل المدينة فهو الاستفادة من حصون المدينة وطاقات كل المواطنين مما يرجح فرصة دحر المهاجمين[١٧].

وبعد أن حسم الرسول ﷺ أمر الخروج رفعت راية سوداء[١٨] وثلاثة ألوية: لواء للمهاجرين، حمله مصعب بن عمير، وحمله بعد استشهاده علي ابن أبي طالب، ولواء للأوس حمله أسيد بن حضير، ولواء للخزرج، حمله الحباب بن المنذر[١٩]. وبلغ عدد من سار تحتها ألفاً من المسلمين ومن

---

(١٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٧٢ - ٧٣/ شاكر) بإسناد حسن ولكنه مرسل إلى قتادة، ووصله أحمد (المسند: ٣/ ٣٥١، والرباني ٢١/ ٥١ - ٥٢) والمجمع (٦/ ١٠٧) وفيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس، وتقوية رواية البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٤) بإسناد حسن عن ابن عباس، وأخرى من طريق موسى بن عقبة مرسلا عن الزهري (٣/ ٢٠٨)، ورواه عبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٣٦٤ - ٣٦٥) مرسلا عن عروة، والحاكم (٢/ ١٢٨ - ٢٩، ٢٩٦، ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن سعد (٢/ ٣٨) معلقا. ويصح الحديث بمجموع هذه الطرق - انظر: الألباني في تعليقه. على فقه السيرة للغزالي، ص٢٦٩، ورسالة حسين الباكري للماجستير: مرويات أحد، ص٦٢، والعمري، المجتمع - الجهاد، ص٦٧، وهمام سعيد وأبوصعيليك في سيرة ابن هشام (٣/ ٩٢).

(١٤) ابن هشام (٣/ ٩١).

(١٥) تفسيره (٧/ ١٦٢) والتاريخ (٣/ ١١).

(١٦) مرويات غزوة أحد، ص٦٢.

(١٧) انظر: ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ٩١ - ٩٢)، الواقدي (١/ ٢٠٩ - ٢١١)، ابن سعد (٢/ ٣٨).

(١٨) تاريخ ابن خياط، ص ٦٧، بإسناد حسن إلى سعيد بن المسيب، مرسلا، ومراسيله قوية.

(١٩) الواقدي (١/ ٢١٥)، ولم ترد رواية صالحة للاحتجاج بها في أمر الألوية.

ظاهرهم، وكان معهم فرسان ومائة دارع[20]. وكان الرسول ﷺ يرتدي درعين[21].

وعندما تجاوز الرسول ﷺ في مسيره إلى أحد ثنية الوداع رأى كتيبة خشناء، فقال: «من هؤلاء؟ قالوا: هذا عبدالله بن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبدالله بن سلام. قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»[22]. وإذا صح هذا الخبر يكون جلاء قينقاع بعد أحد.

وعندما وصل جيش المسلمين الشوط[23]، انسحب المنافق ابن سلول بثلثمائة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضا على قرار القتال خارج المدينة، قائلا: «أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا»[24].

ورأت فرقة من الصحابة قتال هؤلاء المنافقين، ورأت الفرقة الأخرى عدم ذلك، فنزلت الآية الكريمة ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم[25] بما كسبوا﴾[26][27].

---

(٢٠) الطبقات (٣/ ٣٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ٥٠٤).
(٢١) من حديث رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥) وصححه ووافقه الذهبي، الواقدي (١/ ٢١٩).
(٢٢) رواه ابن سعد في موضعين، الأول (٢/ ٣٩) دون إسناد، والثاني (٢/ ٤٨) وهو الذي أثبتناه، بإسناد فيه مقال، لأن ابن خداش صدوق يخطىء ومحمد بن عمرو صدوق له أوهام، وابن المنذر مقبول، ولكنه يتقوى بالشواهد والمتابعات، مثل: رواية الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢)، والبيهقي في سننه (٩/ ٣٧)، والطبراني كما في مجمع البحرين (٢/ ٢٢٣)، والهيثمي في المجمع (٦/ ٢٠٣)، وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد بن المنذر، ذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله ثقات، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ٩٣)، والواقدي (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).
(٢٣) هو مكان ملعب التعليم بالمدينة الآن. قاله العياشي في: «المدينة بين الماضي والحاضر»، ص ٣٦٩، والبلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٧٠. وعند الواقدي أن مكان الانسحاب كان عند منطقة الشيخين، قريبا من أحد ـ المغازي (١/ ٢١٩).
(٢٤) ابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٩٢)، الواقدي (١/ ٢١٩)، ابن سعد (٢/ ٣٩)، البيهقي: دلائل النبوة (٣/ ٢٠٨) من رواية موسى بن عقبة مرسلا. وروى البخاري وغيره أنه: «لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، رجع ناس ممن خرج معه...» ـ انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٢/ح ٤٠٥٠) والباكري، ص ٧١.
(٢٥) أركسهم: بددهم.
(٢٦) النساء: ٨٨.
(٢٧) قاله البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٢/ح ٤٠٥٠). وانظر الآثار الواردة في هذا عند الطبري في تفسيره (٩/ ٧ ـ ٩/ شاكر) وقد روى آثارا أخرى في سبب نزول الآية ـ انظره في (٩/ ٩ ـ ١٦).

واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام عند انسحابهم، وأخذ يقول لهم: «أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه، وقد أشار القرآن إلى هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلمَ المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم، والله أعلم بما يكتمون﴾[28][29].

وكادت بنو سلمة ـ من الخزرج ـ وبنو حارثة ـ من الأوس ـ أن تنخذل مع المنافقين لولا أن الله ثبتهم مع المؤمنين، وفيهم قال الله (عز وجل) ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما. . .﴾[30][31].

ورد الرسول ﷺ في معسكره بالشيخين جماعة من الفتيان لصغر أسنانهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم: عبدالله بن عمر وزيد ابن ثابت وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس وأبوسعيد الخدري، . . بلغ عددهم أربعة عشر صبيا، وقد ذكرهم ابن سيد الناس[32]. وقد ثبت أن ابن عمر كان منهم[33]، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له إنه رام، وسَمُرَة بن جُنْدُب، لأنه احتج بأنه أقوى من رافع ويصرعه[34].

وفي تلك الليلة قام ذكوان بن عبد القيس بحراسة الجيش، ويقال كان

---

(٢٨) آل عمران: ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٢٩) رواه ابن إسحاق مرسلا ـ ابن هشام (٣/ ٩٣).
(٣٠) آل عمران: ١٢٢.
(٣١) روى ذلك البخاري/ الفتح (٥/ ٢٣٣/ح ٤٠٥١).
ومسلم (٤/ ١٩٤٨/ح ٢٥٠٥)، وابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٥٤)، وتفسير الطبري (٧/ ١٦٦). وانظر البيهقي: الدلائل (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢).
(٣٢) عيون الأثر (٢/ ٧). وانظرهم عند: الواقدي (١/ ٢١٦) وابن هشام (٣/ ٩٦) دون إسناد.
(٣٣) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٧٦/ح ٤٠٩٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٠/ح ١٨٦٨).
(٣٤) ابن هشام (٣/ ٩٦) دون إسناد.

يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه[٣٥].

وعندما تحرك الجيش في صباح السبت لملاقاة العدو، مروا بحائط مِرْبَع ابن قَيْظِي، وكان أعمى البصر منافقا، فأخذ يحثو التراب في وجوه المسلمين، ويقول: «إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر»، وقد شجه سعد بن زيد قبل هذا النهي[٣٦].

وفي الطريق إلى ميدان المعركة طلب عمر من أخيه زيد أن يأخذ درعه، فقال له زيد: «إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد»، فتركاه جميعا[٣٧].

وعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول ﷺ ظهورهم إلى الجبل ووجوههم إلى المدينة. وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبدالله ابن جبير، ووضعهم فوق تل عينين المقابل جبل أحد، خشية أن يطوق المشركون المسلمين. وأصدر أوامره إليهم قائلا: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم»[٣٨]. وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أحد وظهره إلى المدينة.

وعند التحام الجيشين نادى أبوعامر ـ عبد عمرو بن صَيفِي[٣٩] ـ قومه من الأوس لينضموا معه للحرب في صفوف المشركين، ولكنهم اغلظوا له في الرد قائلين له: «فلا أنعم الله بك عينا يافاسق» ولم يملك أن قال:

---

(٣٥) الواقدي (١/ ٢١٧) دون إسناد، وانظر قصته هنا.

(٣٦) ابن إسحاق، دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٩٤)، الواقدي (١/ ٢١٨).

(٣٧) رواه الطبراني كما في المجمع (٥/ ٢٩٨) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح»، وخرجه الباكري، ص٩٣: وقال: «لم أجد إبراهيم بن نصر، وإبراهيم بن حمزة صدوق، وعبدالعزيز بن حمد صدوق، وله متابعة ضعيفة أخرجها ابن سعد (٣/ ٣٧٨) وضعفها من قبل عبدالله بن عمر العمري، والحديث صحيح، وقد ذكره غير واحد من أهل السير».

(٣٨) البخاري/ الفتح (١٢/ ١٣٢/ح ٣٠٣٩) و (١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥/ح ٤٠٤٣)، وعند أحمد والحاكم: «احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ـ المسند (٤/ ٢٠٩/ شاكر) وصحح إسناده، والمستدرك (٢/ ٢٩٦) ـ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظره بمعناه عند أهل المغازي والسير: الواقدي (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، ابن سعد (٢/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٣٩) كان من الأوس، خرج من المدينة إلى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ ومعه جماعة من غلمان الأوس، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان. وكان يعرف بـ«الراهب» فسماه النبي ﷺ «الفاسق».

«لقد أصاب قومي بعدي شر». وأخذ في قتالهم بالحجارة[٤٠].

وبدأ القتال بمبارزة بين علي وطلحه بن عثمان، حامل لواء المشركين، فقتل علي طلحة[٤١]. ثم التحم الجيشان واشتد القتال، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم، وأخذ الرسول ﷺ في زيادة رفع روحهم المعنوية بأن اخذ سيفا وقال: «من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. قال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال أبودجانة: أنا آخذه بحقه. فأخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين[٤٢].

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أمت، أمت[٤٣]، فقد استماتوا تحت هذا الشعار، وسجل التاريخ استماتة حمزة وبسالته في القتال. فقد تصدى في المبارزة لسباع بن عبدالعزى ـ فقتله[٤٤]، ولغيره من عتاة

---

(٤٠) ابن إسحاق ـ مرسلا ـ ابن هشام (٣/ ٩٧ ـ ٩٨)، الواقدي (١/ ٢٢٣)، ابن سعد (٢/ ٤٠)

(٤١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨١) بإسناد صحيح ولكنه من مراسيل السدي.

(٤٢) مسلم (٤/ ١٩١٧/ح ٢٤٧٠)، أحمد: المسند (٣/ ١٢٣) والحاكم (٣/ ٢٣٠) وصححه ووافقه الذهبي ولكن لم يوافقها الباكري ص١٠٨ وعد ذلك من أوهامها، لأن عبيد الله مجهول، وابن سعد (٣/ ٥٥٦)، وابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٩٧)، وفي رواية ابن إسحاق ـ وهي من دون إسناد ـ أن أبا دجانة قال: وما حقه يارسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني... وكان أبودجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد الرسول ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين، وحين رآه الرسول ﷺ قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذه المواطن» ـ إسناده مرسل وضعيف جدا كما خرجه الباكري، ص١٠٦ من سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق ص٣٢٦ وأسد الغابة (٥/ ١٨٤). وفي رواية الحاكم الضعيفة أن أبا دجانة قاتل به حتى انتهى إلى الجبل فوجد نسوة، إحداهن تقول: «نحن بنات طارق.. نمشي على النمارق». أهوى إليها بالسيف ليقتلها ثم تركها إكراما لسيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة. وذكر أهل السير باسانيد ضعيفة أنه عندما خرج متبخترا، كان يقول:

«أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكَيول ... أضرب بسيف الله والرسول

انظر الباكري: مرويات غزوة أحد، ص١٠٩.

(٤٣) المستدرك (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وصححه وسكت عنه الذهبي، أبوداود (٣/ ٧٤/ ك. الجهاد/ ب. الرجل ينادي)، مسند أحمد (٤/ ٤٦)، الدارمي: السنن (٢/ ٢١٩) ـ مختصرا، ابن هشام (٣/ ٩٩) ـ بدون إسناد، الواقدي (١/ ٢٣٤). قال محققا سيرة ابن هشام: «سند أحمد وأبي داود والحاكم صحيح رغم وجود عكرمة، لكن حديثه عن إياس صالح، ويشهد له حديث أبي العميس عن إياس عند الحاكم، وقال على شرط مسلم وعند الدارمي. وبه يكون الحديث صحيحا».

(٤٤) ذكره البخاري في حديث وحشي الطويل عن قتل حمزة ـ الفتح (١٥/ ٢٤٧/ ٤٠٧٢) والواقدي (١/ ٣٠٨).

المشركين[٤٥] أمثال عثمان بن أبي طلحة، أبي شيبة، أحد حملة لواء المشركين يومذاك.

وكـــان وَحْشِيّ مولى جُبَـيْر بن مُطْعِم قد اشـترط عليه مولاه أن يعتقـه إن هو قتل حمزة، ثأرا لعمه طعيمة بن عدي، الذي قتله حمزة يوم بدر. فكمن لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فقتله غدرا[٤٦].

وقـاتـل مُصْعَب بن عُمَيْر حتى استشهد، وأخذ الراية بعده علي[٤٧]. وصـدق المسلمون في اللقاء، فأوقعوا في المشركين القتل، وقتلوا أصحاب اللواء، حتى تركه المشركون وما يدنو منه أحد منهم[٤٨]. وانتصروا عليهم في هذه الجولة الأولى من القتال، وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾[٤٩][٥٠].

وعندما انهزم المشركون بنسائهم ـ وقد بدت سوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن ـ قال أصحاب ابن جبير: «الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة» ثم هرعوا إلى جمع الغنائم.

وكـانت هذه فرصة مواتية لابن الـوليد ليلتف حول المسلمـين، فيراه

---

(٤٥) انظر: الواقدي (١/ ٣٠٧).

(٤٦) من حديث وحشي الطويل في قتل حمزة عند البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٤٥ ـ ٤٩/ح ٤٠٧٢). وروى القصة كذلك: أحمد في مسنده: الفتح الرباني (٢١/ ٥٩ ـ٦٠) وابن إسحاق بسند البخاري وحديثه ـ ابن هشام (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٥).

(٤٧) ابن خياط في التاريخ، ص ٦٧ من مرسل ابن المسيب، وهي قوية.

(٤٨) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١١٢).

(٤٩) آل عمران: ١٥٢. والحس: القتل.

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٢٥/ح ٣٠٤٣)، وانظر الآثار التي أوردها الطبري في تفسير هذه الآية: التفسير (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٨/ الآثار من رقم ٨٠٠٤ ـ ٨٠١١/شاكر) خاصة الأثر ٨٠٠٨، وابن كثير في التفسير (٢/ ١١٤ ـ ١١٥) من رواية الإمام أحمد: المسند (١/ ٢٨٧، ٢٨٨) من حديث ابن عباس، وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب، وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحد ولا أبوه... وقد أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦) عن أبي النضر الفقيه... وهكذا رواه ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل... ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها». وساق ابن كثير الشواهد على صحة الحديث في التفسير وفي التاريخ (٤/ ٢٩ وما بعدها) وقال الساعاتي في الفتح الرباني (٢١/ ٥٥): «أخرجه الحاكم والطبراني في الكبير، وصححه الحاكم وأقره الذهبي:... وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد، وقد وثق على ضعفه». وانظر الخبر عند ابن سعد (٢/ ٤١) ـ معلقا.

المشركون فيعودوا إلى ميدان القتال مرة أخرى[٥١]، محيطين بالمسلمين. وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يقدر أن يميز بعضهم المسلم من الكافر. وفي هذه اللحظات قتل المسلمون اليمان ـ والد حذيفة ـ وابنه حذيفة يصرخ فيهم: «أي عباد الله، أبي، ثم قال لهم عندما قتلوه: يغفر الله لكم»[٥٢]. واستشهد من المسلمين خلق كثير، وغاب الرسول ﷺ عن أعينهم، وشاع أنه قد قتل[٥٣].

وفر جمع من المسلمين من الميدان. وجلس بعضهم دون قتال[٥٤]، وتصدى آخرون للمشركين وحرضوا المؤمنين على القتال حتى نالوا الشهادة. ومن هؤلاء أنس بن النَّضْر الذي كان يتشوق لتعويض مافاته من فضل بدر. فقال عندما رأى بعض المسلمين قعودا: «الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد». وعندما انجلت الغمة وجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة، ولم يعرفه أحد إلا أخته الرُّبَيِّع، عرفته ببنانه، وقد أرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت بعد المعركة ليتفقده، فوجده وبه رمق، فرد سلام الرسول ﷺ ثم قال: «أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي من الأنصار: لا عذر لكم عند الله ان يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف»، ودمعت عيناه[٥٥]. ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من

---

(٥١) من رواية مرسلة للسدي، ذكرها الطبري في التفسير (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢/ح ٨٠٠٤/ شاكر). ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١١٢) ولم يذكر ان الذي التف هو خالد بالذات.

(٥٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠/ح ٤٠٦٥) ورواه الحاكم (٣/ ٢٠٢) ـ وصححه وأقره الذهبي، ومسند أحمد (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١١/شاكر) وصحح شاكر إسناده وخبر اليمان وتخلفه أولا مع الذرية في الحصون ثم لحاقه بالرسول ﷺ ثم مقتله، رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٥٣) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٢٦) وعزاه إلى الطبري من رواية السدي. ورواه ابن اسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١١٢)، ورواه من طريقه آخرون.

(٥٤) انظر: ابن إسحاق بإسناد صحيح مرسل ـ ابن هشام (٣/ ١٢٠)، والواقدي (١/ ٢٨٠) وتاريخ الطبري (٢/ ٥١٧) وتفسير الطبري (٧/ ٢٥٦).

(٥٥) رواه ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات كما جاء في المجمع ـ مجمع البحرين (٢/ ٢٣٩) وشرح المواهب (٢/ ٤٤). ومعرفة أخته ببنانه رواها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٠) بإسناد مقبول من حديث أنس بن مالك.

ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[٥٦][٥٧].

وكان الفارون لا يلوون على شيء على الرغم من دعوة الرسول ﷺ لهم بالثبات معه. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم﴾[٥٨].

وقد عفا الله عن الذين فروا. قال تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾[٥٩]. وذكر ابن الجوزي[٦٠] ان أحد سببي فرارهم هو سماعهم إشاعة مقتل النبي ﷺ.

وكان أول من علم بأن الرسول ﷺ حي بعد الانتكاسة، هو كعب ابن مالك، فنادى مبشرا بذلك، فأسكته الرسول ﷺ حتى لا ينتبه المشركون له[٦١].

وتمكن بعض المشركين من الوصول إلى الرسول ﷺ وقد أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم الواحد تلو الآخر للدفاع عنه حتى استشهد الأنصار السبعة، فقال النبي ﷺ لصاحبيه القرشيين: «ما أنصفنا أصحابنا»[٦٢].

وممن قاتل دون الرسول ﷺ قتالا عظيما سجله التاريخ: طلحة بن

---

(٥٦) الأحزاب: ٢٣.

(٥٧) البخاري/ الفتح (١١/ ٢٨٣/ح ٢٨٠٥) وابن اسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١٢٠) والسيرة ص ٢٣٠، وعن سبب النزول انظر الحاكم (٣/ ٢٠٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥٨) آل عمران: ١٥٣. وانظر الآثار الواردة في تفسيرها عند الطبري (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٥٩) آل عمران: ١٥٥. وذكر محققو زاد المسير (١/ ٤٨٣) أن الإمام أحمد وأبايعلى والطبري والبزار، رووا بإسناد حسن حديثا في أن الآية نزلت في الذين فروا يوم أحد.

(٦٠) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٨٣).

(٦١) من حديث رواه الحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١١٢): «ورواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجال الأوسط ثقات، ورواه ابن سعد مرسلا عن الزهري (٢/ ٤٦)، وأبونعيم في الدلائل (٢/ ٤٨٢) بإسناد متصل حسن من حديث ابن إسحاق، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١٢١).

(٦٢) مسلم (٣/ ١٤١٥/ح ١٧٨٩).

عُبَيْدِالله، حتى شلت يده التي وقى بها النبي ﷺ[٦٣]، وسعد بن أبي وقاص، الذي كان الرسول ﷺ يناوله السهام ويقول له: «ياسعد، ارم فداك أبي وأمي»[٦٤]، ولم يجمع النبي ﷺ أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك بن أبي وقاص، كما قال علي (رضي الله عنه)[٦٥]، وكما قال هو عن نفسه[٦٦]، وأبوطلحة الأنصاري، أمهر الرماة، والذي كان الرسول ﷺ إذا مر به أحد بجعبته نبل، يقول له: «انثرها لأبي طلحة»، وعندما يشرف النبي ﷺ على القوم يقول له أبوطلحة: «بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»[٦٧] وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ معجبا به: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»[٦٨]، وأبودُجَانَة، الذي كان يحمي الرسول ﷺ بظهره، حتى كثر النبل فيه وهو منحن عليه[٦٩].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت طرفها فأخذها قَتَادَة بن النعمان، فكانت عنده. وأصيب يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما[٧٠].

وفي هذه الظروف العصيبة اضطرت أم عُمَارَة - نُسَيْبَة بنت كعب المَازِنية -

---

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٢٩/ح ٣٧٢٤)، وهو الذي جلس تحت الرسول ﷺ ليرفعه على صخرة من الجبل حين حصرهم الكفار في شعب أحد، فقال له الرسول ﷺ: «أوجب طلحة» - أي وجبت له الجنة. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ١٢٦)وقال عنه الرسول ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدالله» قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٢): «رواه الأصبهاني بإسناد صحيح لشواهده...».

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٥ - ٢٣٦/ح ٤٠٥٧).

(٦٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦٦) المصدر نفسه (١٥/ ٢٣٥/ح ٤٠٥٧) و(١٤/ ٢٣٠/ح ٣٧٢٥).

(٦٧) المصدر نفسه (١٥/ ٢٣٥ - ٢٣٦/ح ٤٠٥٧).

(٦٨) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ٥٨٩) بإسناد رجاله ثقات. وانظر: الواقدي (١/ ٢٤٣) ولفظه: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلا».

(٦٩) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ١١٨ - ١١٩).

(٧٠) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ١١٩)، والحاكم (٣/ ٢٩٥)، وسكت عنه الذهبي، والهيثمي في المجمع (٦/ ١١٣) وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرف»، والواقدي (١/ ٢٤٢) وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢١٧): «وأخرجه الدار قطني وابن شاهين من طريق... عن قتادة، والدارقطني والبيهقي في الدلائل من طريق... عن قتادة». وذكر ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٩٥) من طريق فيه عبدالعزيز بن عمران، وهو متروك - انظر دلائل البيهقي (٣/ ٢٥١ - ٢٥٣)، والباكري، ص ص ٢٢٣ - ٢٢٧. والخلاصة أن هذا الخبر لم يرد بإسناد يحتج به.

أن تدافع عن الرسول ﷺ، حتى جرحها ابن قَمِئَة جرحا أجوف له غور على عاتقها[٧١].

وقاوم الرسول ﷺ مقاومة شديدة، فأصيب إصابات كثيرة، فكسرت رباعيته وشج في وجهه، وسال دمه، فجعل يمسحه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام»، فأنزل الله (عز وجل): ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون[٧٢]﴾[٧٣]. فقال رسول الله ﷺ لما طمع في إسلامهم: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٧٤]. وفي روايات عند البخاري[٧٥] ان الرسول ﷺ كسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه.

وقال ﷺ عندما فعل به المشركون ذلك: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا بنبيه، ـ يشير إلى رباعيته ـ اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله» وفي رواية: «اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله ﷺ»[٧٦]. وكانت فاطمة ابنته تغسل دماءه وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم[٧٧].

وقد ظهرت بطولات إيمانية كثيرة في هذه الغزوة، ومن ذلك:

---

(٧١) ابن هشام، بإسناد منقطع (٣/ ١١٨)، والواقدي (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) وابن سعد (٨/ ٤١٢ ـ ٤١٥) من طريق الواقدي.

(٧٢) آل عمران: ١٢٨.

(٧٣) مسلم (٣/ ١٤١٧/ح ١٧٩١)، والبخاري ـ معلقا ـ الفتح (١٥/ ٢٤٣/ك. المغازي/ ب. ليس لك من الأمر شيء) وذكر ابن حجر في شرحه من وصله من العلماء المحدثين، والترمذي (٨/ ١٨٤/ التفسير/ح ٣٠٠٥) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (٣/ ٣٣/ التفسير/ح ٣٢٠١)، صحيح ابن ماجة للألباني، (٢/ ٣٧٢/ح ٤٠٢٧) وقال: صحيح، وأحمد (٣/ ٩٩، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨) وروى ابن إسحاق طرفا منه بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٤٤)، ابن هشام (٣/ ١١٥)، بإسناد منقطع، وفيه ربيح ـ مقبول، ولم يذكر الآية.

(٧٤) مسلم (٣/ ١٤١٧/ح ١٧٩١).

(٧٥) الفتح (١٥/ ٢٥٢/ح ٤٠٧٣ ـ ٤٠٧٥).

(٧٦) ذكر ابن إسحاق بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٢٤) طرفا من هذه الرواية، ولفظه: «اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه».

(٧٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢/ح ٤٠٧٥).

قال رجل للنبي ﷺ: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة». فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى نال الشهادة(٧٨).

وقال عبدالله بن جحش، قبل المعركة: «إني أقسم أن نلقى العدو فإذا لقينا العدو أن يقتلوني ثم يبقروا بطني ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك سألتني: فيم هذا؟ فأقول: فيك»، وعندما لقي العدو وفعل بهم مافعل وجدوه بالحالة التي وصفها(٧٩).

وشهد عمرو بن الجموح القتال مع أبنائه الأربعة على الرغم من محاولتهم إثناءه عن الخروج بحجة أن الله يعذره لشدة عرجه، وطلب منهم الرسول ﷺ أن يدعوه مادام راغبا في الشهادة، ومما قاله للرسول ﷺ: «أرأيت إن قتلت اليوم أأطأ بعرجتي هذه الجنة؟ قال نعم. قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله. ثم قاتل حتى نال ما أراد من الشهادة(٨٠).

وعلى الرغم من أن الله قد عذر الشيوخ الضعفاء إلا أن اليمان وثابت ابن وَقْش أبيا البقاء مع الذرية في الحصون فلحقا بالميدان طلبا للشهادة، وقد استشهد ثابت على يد الكفار وقتل المسلمون اليمان خطأ، ووداه الرسول ﷺ، ولكن ابنه حذيفة تصدق بدية أبيه، مما زاده عند الرسول ﷺ خيرا(٨١).

وكان حَنْظَلَة بن أبي عامر عروسا ليلة أحد، فعندما سمع النداء، عجل بالخروج ولم يغتسل، وقاتل حتى استشهد. وعندما رآه الرسول ﷺ، قال: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، ولذا عرف بعد ذلك بـ«غسيل الملائكة»

---

(٧٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٠/ح ٤٠٤٦).

(٧٩) رواه الحاكم (٣/ ١٩٩) من مرسل سعيد بن المسيب، وقال: وهذا حديث على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: «مرسل صحيح».

(٨٠) ابن المبارك: كتاب الجهاد، ص ٦٩، من مرسل عكرمة وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ١٣٢). وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٩) مختصرا من طريق ابن إسحاق ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة كما في المجمع (٩/ ٣١٥)، ويكون الحديث صحيحا من طريق أحمد.

(٨١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ١٢٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٢) وصححه ووافقه الذهبي، والواقدي (١/ ٢٣٢).

أو «الغسيل»(٨٢).

وقاتل مُخَيْرِيق مع رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان مثالا وقدوة حسنة لليهود الذين أسلموا. وحين خرج إلى المعركة قال: «إن أصبت فمالي لمحمد ﷺ، يصنع فيه ما يشاء»(٨٣). فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق خير يهود»(٨٤).

وكان أُصَيْرِم بني عبدالأشهل - عمرو بن أُقَيْش - كارها للإسلام حتى كان يوم أحد، أسلم ولحق بالمسلمين في أحد، فقاتل حتى نال الشهادة، وما صلى لله صلاة واحدة(٨٥).

وإن كان قد فات حسان بن ثابت (رضي الله عنه) شرف الجهاد بالسيف في هذه الغزوة وغيرها، إلا أنه لم يفته شرف الكلمة القوية في تخليد ذكرى بطولات المسلمين في هذه الغزوة وغيرها.

لقد كان حسان من أصحاب الأعذار. فقد ذكر الكلبي(٨٦) أن الجبن لم يكن من عادة حسان، بل كان شجاعا لسنا، فأصابته علة منعته من شهود القتال. وأوضح الواقدي(٨٧) هذه العلة، وهي أن أكحله(٨٨) كان قد قطع، فلم يكن يستطيع الضرب بيد. وهذا يفسر لنا الروايات التي وردت في تخلفه عن القتال، مثل رواية الطبراني(٨٩). التي فيها انه كان مع الذرية في حصن فارع يوم أحد، فجاء يهودي وأخذ يطل على الحصن، فطلبت

---

(٨٢) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ١٠٧ - ١٠٨)، ووصله الحاكم (٣/ ٢٠٤) وصححه ووافقه الذهبي.
وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٦/ رقم ٣٢٦) وهو من طريق ابن إسحاق.
(٨٣) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ١٢٩).
(٨٤) رواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (٣/ ١٣١)، وابن سعد (١/ ٥٠١) من طريق الواقدي، والواقدي (١/ ٢٦٣).
(٨٥) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ١٣١) - انظر الإصابة (٢/ ٥١٩) - وأبوداود في السنن (٣/ ٤٣/ ك. الجهاد/ح ٢٥٣٧)، والحاكم (٣/ ٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.
(٨٦) نقله عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ١٤٠).
(٨٧) نقله عنه الأصفهاني في أغانيه (٤/ ١٦).
(٨٨) الأكحل: عرق في اليد.
(٨٩) الهيثمي: المجمع (٦/ ١٤) وفي سنده جعفر بن الزبير وهو متروك كذاب وضاع يروي المناكير.
انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٦)، ورواه الطبراني أيضا عن عروة بإسناد مرسل (المجمع ٦/ ١٣٥). ورواه أبويعلى في مسنده (١/ ٨٤) ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٤) وضعف إسناده. وصحح الزرقاني في المواهب (٢/ ١١) إسناده على الرغم من أن فيه جعفر بن الزبير.
ورواه البزار في الكشف (٢/ ٢٢٣ - ٢٣٤) وضعف الهيثمي إسناده.

صفية بنت عبدالمطلب من حسان أن يقوم إليه فيقتله: «ماذاك في ولو كان لكنت مع رسول الله ﷺ»، فقتلته صفية وطلبت من حسان أن يرميَ برأسه إلى اليهود أسفل الحصن، فاعتذر أيضا، فرمته إليهم، فتفرقوا لأنهم ظنوا أن بالحصن رجالا محاربين.

وذكر البلاذري[٩٠] واليعقوبي[٩١] كذلك أن القصة كانت يوم أحد. والذي ذكره ابن إسحاق[٩٢] وغيره أنها كانت يوم الخندق.

لم تأت قصة حسان مع صفية بطريق يحتج بها، ومما يجعلنا نقبل رواية الواقدي والكلبي - على ما بهما من علل - لأننا نعلم أن حسانا كان يهاجي الشعراء في الجاهلية والإسلام، ولم يرمه أحد منهم بجبن، ولو كان مثل حديث الطبراني صحيحا لكان مما يذكر في الشعر ويذم به كما ذم هو غير واحد، وهجاه بالفرار من القتال والجبن، إضافة إلى أن عدم شهود حسان القتال كان لكبر سنه كما ذكر محققا سيرة ابن هشام[٩٣]. وزاد ابن عبدالبر[٩٤] ما قيل في تفسير تخلف حسان عن المواقع، فقال: «... وَلَهُجِيَ بذلك ابنه عبدالرحمن، فإنه كان كثيرا ما يهاجي الشعراء العرب مثل النجاشي وغيره».

وممن قاتل يوم أحد، وليس بنية الجهاد في سبيل الله، ولكن بنية حماية الأحساب، فكان من أهل النار: قُزْمَان، الذي قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان الرسول ﷺ إذا ذكر له يقول: «إنه لمن أهل النار»، ولما كان يوم أحد قتل نفسه عندما أثخنته الجراح[٩٥]. وكان هذا من دلائل

---

(٩٠) أنساب الأشراف (١/ ٣٢٤).

(٩١) تاريخه (٢/ ٤٨).

(٩٢) ابن هشام (٣/ ٣١٧ - ٣١٩) بإسناد منقطع.

(٩٣) انظر في هذا كلامهما وكلام الخشني عند ابن هشام (٣/ ٣١٨) وكلام السهيلي في روضه (٣/ ٢٨١) والباكري في رسالته: مرويات غزوة أحد، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤.

(٩٤) الدرر، ص ١٨٦.

(٩٥) روى قصته ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ١٢٩)، ووصله أبويعلى من طريق أخرى بإسناد صحيح كما ذكر الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٦) ولكن لم يسم الرجل، وفيه أن النية هي الأساس. ورواه البخاري/ الفتح (١٦/ ٤٨ - ٤٩/ح ٤٢٠٢) ولم يسم الرجل في الطريقين، وفي الطريق الأولى لم يسم حتى الغزوة، وفي الثانية ذكر أنها خيبر، ورواها مسلم من طريقين (١/ ١٠٥ - ١٠٦/ح ١١١) في الطريق الأولى أن الغزوة هي حنين، وفي الثانية أبهم الغزوة، وفي الطريقين لم يسم الرجل. ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٣٥) وفيه أنها غزوة خيبر. ورواها الواقدي (١/ ٢٦٣) ووافق ابن إسحاق بإن اسم الرجل: قزمان. ونرى مع الباكري ص ٢٤٩ أنه لا خلاف بين الروايات وأن الجمع ممكن بتعدد القصة - والله أعلم.

نبوة محمد ﷺ ودليل على أن النية في الجهاد هي الأساس.

لقد رافقت بعض النسوة جيش المسلمين ليسقين العطشى، ذكر منهن أم عمارة[٩٦]، وحَمْنَة بنت جَحْش الأسدية[٩٧] وأم سُلَيْط[٩٨]، وام سُلَيْم وعائشة أم المؤمنين[٩٩].

وروى مسلم[١٠٠] أن رسول الله ﷺ كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

وقد أرسل الله تعالى جبريل وميكائيل ليقاتلا دفاعا عن الرسول ﷺ[١٠١].

وكان الله قد وعد المؤمنين إن هم صبروا واتقوا وأتوا الأعداء من فورهم، فسيمدهم بالملائكة، ولما لم يحصل ذلك منهم فلم يتحقق الوعد[١٠٢]، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين. بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[١٠٣]﴾[١٠٤].

---

(٩٦) روى ابن هشام قصتها يوم أحد بإسناد منقطع (١١٨/٣) والواقدي (٢٦٨/١ - ٢٦٩)، وابن سعد (٤١٢/٨ - ٤١٥) من طريق الواقدي.

(٩٧) رواه الطبراني بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع (٢٩٢/٩). وقد ورد بطرق ضعيفة ما يفهم من أنها لم تشهد المعركة، وأنها عندما لقيت الناس وهم رجوع من المعركة نعي إليها أخوها عبدالله وخالها حمزة فاسترجعت واستغفرت لها، وعندما نعي اليها زوجها مصعب، صاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لبمكان!» لما رأى من تثبتها عند خبر إصابة أخيها وخالها وصياحها على زوجها. رواه ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (١٤٤/٣) وابن ماجه (٥٠٧/١/ك. الجنائز/ ب. ما جاء في البكاء على الميت) وفي إسناده عبدالله العمري، وهو ضعيف. وحمنة هي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين.

(٩٨) البخاري/ الفتح (٢٤٥/١٥/ح ٤٠٧١) وفيه أنها كانت تزفر القرب يوم أحد. وهي والدة أبي سعيد الخدري. كانت زوجا لأبي سليط فمات عنها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أباسعيد. قاله ابن حجر في شرح حديث الباب وانظر: البخاري/ الفتح (٣١/١٢ - ٣٢/ح ٢٨٨٠ - ٢٨٨٣).

(٩٩) البخاري/ الفتح (٢٣٨/١٥- ٣٩/ح ٤٠٦٤). ورواه كذلك في كتاب الجهاد ورقمه ٢٨٨٠، ومسلم (١٤٤٣/٣/ح ١٨١١) وفيه أنها كانتا تنقلان القرب على متونها ثم تفرغانه في أفواههم.

(١٠٠) صحيحه (١٤٤٣/٣/ح ١٨١٠).

(١٠١) البخاري/ الفتح (٢٣٤/١٥ - ٢٣٥/ح ٤٠٥٤) ولم يسم الملكين، بل قال: رجلين.. . وسماهما مسلم في روايته (١٨٠٢/٤/ح ٢٣٠٦).

(١٠٢) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ (٣٩٥/٣/ وما بعدها) والعمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٧٩.

(١٠٣) آل عمران: ١٢٤ و١٢٥.

(١٠٤) انظر تفسير الآية عند الطبري (١٣٧/٧ - ١٩٠) والراجح عند الطبري وغيره هو ما ذكرناه، والكلام كثير في هذه القضية، فليراجع عند عرجون والطبري وغيرهما، لتمام الفائدة.

وأنـزل الله تعـالى النعـاس على طائفـة المؤمنين الذين اغتموا بما وقع للرسول ﷺ وإخوانهم يوم بدر فناموا يسيرا ثم أفاقوا وقد قذف الله في قلوبهم الطمأنينة، التي أعادت لهم بعض نشاطهم ليواصلوا الدفاع عن نبيهم. وكان أبوطلحـة الأنصـاري فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفه من يده مرارا فيأخذه[١٠٥]. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ثم أنزل علكيم من بعد الغم أمنةً نعاسا يغشى طائفة منكم...﴾ أما طائفة المنافقين، سواء التي انسحبت مع ابن سلول أو فلولهم التي سارت مع المؤمنين فقد قال الله عنهم في الآية نفسها: ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شيء. قل إن الأمر كله لله، يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا...﴾[١٠٦].

لقد حاول المشركون جهد طاقتهم قتل الرسول ﷺ ولكن الله عصمه منهم. فقد روي أن أبيا بن خلف كان يتوعد الرسول ﷺ بمكة بأنه سيقتله يوما ما، فيقول الرسول ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»[١٠٧]، فلما كان يوم أحد لحق بالنبي ﷺ في الشعب وهو يقول: «أي محمد، لا نجوت إن نجـوت، فقال القوم يارسول الله: أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعـوه. «فلما دنـا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة مال منها على فرسه مرارا[١٠٨]، ورجع إلى قريش وبه خدش غير كبير، فاحتقن الدم، فقال: «قتلني والله محمد!» وطمأنه قومه بأن ليس به بأس، فقال لهم ماقال له محمد ﷺ بمكة،

---

(١٠٥) البخاري/ الفتح (١٥/٢٤٢/ح ٤٠٦٨)

(١٠٦) آل عمران: ١٥٤. وانظر تفسير الآية وما ورد فيها من آثار صحيحة عند الطبري في تفسيره (٧/ ٣١٥ - ٣٢٣)، وابن حجر في شرح حديث الباب، وابن كثير في تفسيره (٢/ ١٢٤ - ١٢٦).

(١٠٧) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ١٢٢)، والواقدي (١/ ٢٥١) وابن سعد (٢/ ٤٦) مرسلا عن سعيد بن المسيب، ووصله الواحدي في أسباب النزول، ص ٥٦، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥٨ - ٥٩) مرسلا عن عروة، وفي سنده ابن لهيعة، وحديثه حسن. ومرسلا عن موسى ابن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب (٣/ ٢١١ - ٢١٢)، ومراسيل ابن المسيب قوية، والطبري في التفسير (٧/ ٢٥٥) من مرسل السدي.

(١٠٨) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣/ ١٢١ - ١٢٢).

ثم قال: «فوالله لو بصق علي لقتلني». فمات عدو الله بسَرِف، وهم قافلون به إلى مكة[109]. وهذا من علامات ودلائل نبوة محمد ﷺ.

وعندما صمد المسلمون واستماتوا دفاعا عن النبي ﷺ فشل المشركون في محاولات الاختراق إليه، وأعيتهم المجالدة، ولم يملك أبوسفيان إلا أن يتوعد المسلمين بحرب أخرى في العام القادم، فوافق الرسول ﷺ على ذلك[110]. وقد ثبت أن أباسفيان أشرف على المسلمين، وقال: «أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت ياعدو الله، أبقى الله عليك ما يحزنك، قال أبوسفيان: اعلُ هبل، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبوسفيان: لنا العزى ولاعزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبوسفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني»[111]، وفي رواية عند أحمد[112] وابن إسحاق[113] قال عمر: «لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار».

وعندما انصرف المشركون مكتفين بما نالوه من المسلمين، بعث رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب، وقال له: «أخرج آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم»، وفعل علي ما أمر به، فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[114].

---

(١٠٩) ابن إسحاق، بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/١٢٢ ـ ١٢٣).
(١١٠) رواه ابن إسحاق معلقا بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/١٣٦)، الواقدي (١/٢٩٧).
(١١١) البخاري/ الفتح (١٥/٢٢٧ ـ ٢٢٨/ح ٤٠٤٣).
(١١٢) المسند (٤/٢٠٩، ٦/١٨١) بإسناد حسن.
(١١٣) ابن هشام (٣/١٣٦) بدون إسناد.
(١١٤) ابن إسحاق، بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/١٣٦ ـ ١٣٧)، الواقدي (١/٢٩٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٨٢) مرسلا عن عروة وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن. وعند الواقدي والبيهقي أن المرسل للاستطلاع هو سعد بن أبي وقاص، وقد قوى العمري قول ابن إسحاق ـ انظر: المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ٨١.

وانجلت المعركة عن سبعين شهيدا من المسلمين[115]، واثنين وعشرين قتيلا من المشركين[116].

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه و أذناه[117]. وقال رسول الله ﷺ حين رأى مابه: «لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه مافعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب[118].

---

(١١٥) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٢٦/ح ٤٠٤٣)، وعند ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (٣/ ١٧٩) - خمسة وستون رجلا وذكرهم، وذكر ابن هشام أسماء خمسة تمام السبعين (٣/ ١٧٩ - ١٨٠)، وعند الواقدي (١/ ٢٠٠) أربعة وسبعون... انظر الباكري، ص ص ٣٦٧ - ٣٦٩.

(١١٦) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ١٨٢)، وقال الواقدي (١/ ٣٠٧): سبعة وعشرون. وعند ابي سعد (٢/ ٤٢): ثلاثة وعشرون... وانظر الباكري ص ٣٦٩.

(١١٧) ذكره ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ١٣٨).

(١١٨) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ١٣٨ - ١٣٩)، وروي عن طريقه وعن طريق آخرين، وكلها أسانيد ضعيفة... انظر: ابن هشام (٣/ ١٣٨ - ١٣٩) حاشية المحققين. ولهذا الحديث شواهد، منها (١) حديث أبي هريرة الذي رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧) وابن سعد في الطبقات (٢/ ١٣ - ١٤) والبزار في مسنده (٢/ ٣٢٦ - ٢٧) والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٦ - ٥٧/ح ٢٩٣٦) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩١) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٨١)، جميعهم من طريق صالح بن بشير المري، وهو ضعيف (٢) حديث ابن عباس، الذي أخرجه ابن إسحاق (ابن هشام ٣/ ١٤٠) بإسناد ضعيف، لإبهام ابن إسحاق اسم من حدثه. وصح من غير هذا الطريق كما رواه الترمذي (٥/ ٢٩٩ - ٣٠٠) وأحمد كما في الفتح الرباني (١٨/ ١٩٢ - ١٩٣) والحاكم (٢/ ٣٥٩) وصححه ووافقه الذهبي. ويستأنس بمرسل محمد ابن كعب القرظي الضعيف جداً، والذي رواه ابن إسحاق (ابن هشام ٣/ ١٤٠) وذلك لعلتي الإرسال وكون شيخه بريدة بن سفيان من المتروكين؛ وكذلك يستأنس بمرسل عطاء بن يسار الضعيف جدا، والذي رواه ابن إسحاق كما نقله عنه ابن كثير في التفسير (٢/ ٥٩٢) وذلك لأنه لم يصح إلى مرسله، وفيه رجل مبهم لم يسم كما ذكر ابن كثير. ومثله لا يصلح للاستشهاد.

وأصل الحديث أخرجه الترمذي (٨/ ٥٥٩ - ٥٦٠/ح ٥١٣٦) وعبدالله بن الإمام احمد في الزوائد (٥/ ١٣٥) والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٧/ح ٢٩٣٧) وابن حبان في صحيحه (ص ٤١١/ح ١٦٩٥) والحاكم (٢/ ٣٥٨ - ٣٥٩)، جميعهم من حديث أبي بن كعب. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الحاكم وأقره الذهبي والألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٨ - ٢٩).

وبالجملة فالحديث صحيح لغيره بمجموع هذه الشواهد.

وانظر تحقيق احاديث التمثيل بحمزة يوم أحد ونزول الآية المذكورة في هذا، عند سعد بن عبدالله الحميد: مختصر تلخيص الذهبي لمستدرك الحاكم لابن الملقن - القسم الثاني من أول كتاب معرفة الصحابة إلى نهاية الكتاب - رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين - السنة وعلومها، ١٤٠٧هـ.

ونزل قول الله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. . .﴾[١١٩]. فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة[١٢٠].

وعن قصة التمثيل بجثة حمزة (رضي الله عنه) فقد روى موسى بن عقبة[١٢١] أن وحشياً بقر عن كبد حمزة وحملها إلى هند بنت عتبة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها.

وروى ابن إسحاق[١٢٢] أن هنداً هي التي بقرت عن كبد حمزة، وزاد أن هنـداً اتخذت من آذان الرجال وأنفهم خدماً (أي خلاخل) وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً.

وروى الواقدي[١٢٣] أن وحشياً عندما قتل حمزة حمل كبده إلى مكة ليراها سيده جبير بن مطعم.

وذكر الشامي[١٢٤] أن الواقدي والمقريزي ـ في الإمتاع ـ رويا أن وحشياً شق بطن حمزة وأخرج كبده وجاء بها إلى هند فمضغتها ثم لفظتها، ثم جاءت معه إلى حيث جثة حمزة، فقطعت من كبده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت مَسَكَتين ومعضدين وخدمتين حتى قدمت بذلك مكة.

ولعل رواية الواقدي والمقريزي التي أشار إليها الشامي تفيد الجمع بين روايتي ابن عقبة وابن إسحاق، وتوافقهما في المضمون.

أما التمثيل بجثة حمزة فقد ثبت بطرق صحيحة كما ذكرنا، مما يدل على أن قصة بقر كبد حمزة ـ التي ذكرها بعض أهل المغازي والسير ـ لها أصل.

وسجلت لبعض النساء المسلمات مواقف إيمانية رائعة في تقبلهن مصابهن

---

(١١٩) النحل: ١٢٦.

(١٢٠) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١٤٠)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: الترمذي (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد في المسند الفتح الرباني (١٨/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والواحدي في أسباب النزول ص ص ١٩١ ـ ١٩٢ والحاكم ٢/ ٣٥٩ بمثل رواية الترمذي وأحمد، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٢١) ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٤٣) دون إسناد، فهو ضعيف.

(١٢٢) ابن هشام (٣/ ١٣٣) بإسناد منقطع موقوف على شيخه ابن كيسان، فهي ضعيفة.

(١٢٣) المغازي (١/ ٣٣٢) ـ والواقدي متروك، فروايته ضعيفة جداً.

(١٢٤) سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٢١).

في أهليهن وفرحهن بحياة الرسول ﷺ. ومن أمثلة ذلك أن الرسول ﷺ مر هو وأصحابه بامرأة من بني دينار[١٢٥]، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: «فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا ياأم فلان. هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ فأشير إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل» ـ أي صغيرة[١٢٦].

وعندما أقبلت صفية ـ أخت حمزة ـ لتنظر إليه، طلب الرسول ﷺ من ابنها الزبير أن يرجعها حتى لا ترى ما بأخيها من مثلة، فقالت: «ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بها كان من ذلك! لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله». وعندما أخبر الزبير النبي ﷺ بقولها، أمره بأن يخلي سبيلها، فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به فدفن[١٢٧].

وقد روى البخاري[١٢٨] وأبوداود[١٢٩] أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير لأحد قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا...، ودفن الاثنان والثلاثة

---

(١٢٥) وقد صرح الواقدي باسمها، وهي السمراء بنت قيس ـ المغازي (١/ ٢٩٢)، ويفهم من حديث الواقدي أن عائشة لم تشهد المعركة مع المسلمين، وهذا مخالف لما في الصحيح كما ذكرنا من قبل. ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون قد جاءت إلى ميدان المعركة في الجولة الثانية، التي امتحن الله فيها المؤمنين.

(١٢٦) رواه ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وحسن الباكري إسناده، ص٢٨٣، إستنادا على سند ابن إسحاق المتصل في تاريخ ابن كثير (٤/ ٥٣)، لأن الإسناد في سيرة ابن هشام منقطع، ولم يفطن محققا سيرة ابن هشام لرواية ابن هشام، ولذلك ضعفا الحديث.

(١٢٧) رواه ابن إسحاق بلاغا ـ ابن هشام (٣/ ١٤١ ـ ١٤٢) وروى قريبا منه أحمد في مسنده (١/ ١٦٥) والبزار في مسنده انظر كشف الأستار (٢/ ٣٢٨) وأبويعلى في مسنده (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) وقد صحح محققا سيرة ابن هشام إسنادهم، وفيه أنها عندما جاءت كان معها ثوبان لتكفين حمزة وعندما وجدوا أنصاريا بالقرب منه وفعل به ما فعل بحمزة، وجد رسول الله ﷺ غضاضة في أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري الشهيد لاكفن له، فقال: «للأنصاري ثوب ولحمزة ثوب»، ولأن أحد الثوبين كان أكبر من الآخر فقد قرعوا بينهما، فكفنوا كل واحد منهما في ثوب.

(١٢٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٥٥/ح ٤٠٧٩).

(١٢٩) سننه (٢/ ١٧٤/ك. الجنائز/ ب. في الشهيد هل يغسل) بإسناد رجاله ثقات والأحاديث التي وردت في الصلاة عليهم لا تقوى على معارضة أحاديث نفي الصلاة عليهم. انظر: (٣/ ٤٩٨/ح ٣١٣٤ و٣١٣٥)، و(٣/ ٥٤٧/ح ٣٢١٥)، و(٣/ ٥٠١/ح ٣١٣٦) وح/ ٣١٣٨).

في قبر واحد[١٣٠]، وأمر الرسول ﷺ أن يدفنوا حيث صرعوا، فأعيد من أخذ ليدفن داخل المدينة[١٣١].

وبعد الدفن، صف الرسول ﷺ أصحابه وأثنى على ربه ثم دعا الله أن يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة وأن يقتل الكفرة المكذبين[١٣٢].

وكان يتمنى أن يمضي شهيدا مع أصحابه الذين استشهدوا يوم أحد[١٣٣] وقد أثنى عليهم عندما سمع عليا يقول لفاطمة: «هاكِ السيف فإنها قد شفتني»، فقال له: «لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاد سهل ابن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت الأقلح والحارث بن الصمة[١٣٤]».

وبشر الرسول ﷺ المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر، فقد قال عندما سمع بكاء فاطمة بنة عبدالله بن عمرو والد جابر: «ولم تبكي؟ فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع[١٣٥]، وفي رواية قال عن بكائها: «تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»[١٣٦].

ونزل في شهداء أحد قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[١٣٧]. فقد روى مسلم[١٣٨] أن

---

(١٣٠) الترمذي (٥/ ٣٧١/ تحفة الأحوذي/ ك. الجنائز/ ب. ترك الصلاة على الشهيد، وقال: «حسن صحيح»، ووافقه الألباني: صحيح الترمذي (٢/ ١٤٢/ ك. الجهاد/ ح ١٧٨٢)، والدعاس (٦/ ٣٤/ الجهاد/ ح ١٧١٣)، وانظر: ابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (٣/ ١٤٢ - ١٤٣).

(١٣١) سنن أبي داود (٣/ ٥١٤/ ك. الجنائز/ ح ٣١٦٥)، والترمذي (٥/ ٢٧٩/ الجهاد/ ح ١٧١٧)، تحفة الأحوذي) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأحمد: الفتح الرباني (٨/ ١٤٩) بإسناد صحيح، والنسائي (٤/ ٧٩/ ك. الجنائز/ ب. أين يدفن الشهيد/ ح ٢٠٠٦) بإسناد حسن، رجاله ثقات إلا نبيح العنزي، فهو مقبول - التقريب، ص ٥٥٩، وابن ماجة في الجنائز/ ح ١٥١٦).

(١٣٢) انظر الدعاء بتمامه في مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٢٤/ ط. المكتب الإسلامي) ومستدرك الحاكم (٣/ ٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٣٣) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ٥٨) بإسناد حسن.

(١٣٤) رواه الحاكم (٣/ ٢٤) وصححه وأقره الذهبي، والطبراني كما في المجمع (٦/ ١٢٣)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

(١٣٥) مسلم (٤/ ١٩١٧ - ١٩١٨/ ح ٢٤٧١).

(١٣٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٥٥/ ح ٤٠٨٠) و(٦/ ١٤١/ ح ١٢٤٤)، مسلم (٤/ ١٩١٨/ ح ٢٤٧١).

(١٣٧) آل عمران: ١٦٩. ورواه الإمام أحمد: المسند (٤/ ١٢٣)، وأبوداود: السنن (٣/ ١٥) والترمذي (٨/ ١٧٨٩ - ١٨٨/ ك التفسير/ ح ٣٠١٣، ٢٠١٤)، وقال عن الأول: «حسن غريب»، وعن الثاني: «حسن صحيح». والحاكم (٣/ ٨٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(١٣٨) صحيحه (٣/ ١٥٠٢ - ١٥٠٣/ ح ١٨٨٧) ورواه غير واحد من أصحاب السنن. وانظر الشوكاني: فتح القدير (١/ ٣٩٩) حيث فيه أقوال العلماء في هذه الحياة المحققة للشهداء.

الصحابة (رضي الله عنهم) سألوا ابن مسعود عن هذه الآية، فقال: «أما انا قد سألنا عن ذلك. فقال: أرواحهم في جوف طير خضر. لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت. ثم تأوي إلى تلك القناديل...» ولذا قال العلماء إن حياة الشهداء حياة محققة حسبما جاء في هذا الحديث[١٣٩].

وعندما عاد الرسول ﷺ من أحد سمع بكاء نساء الأنصار على من قتل من أزواجهن، فقال: «ولكن حمزة لا بواكي له»، وعندما استيقظ من نومه سمع بكاءهن وندبهن بحمزة[١٤٠]، ونهى يومئذ عن النوح[١٤١].

ونزلت آيات قرآنية كثيرة ـ غير التي ذكرناها ـ سجلت الجوانب المختلفة لهذه الغزوة التي كانت درسا تربويا كبيراً للمسلمين[١٤٢]، ومنها قوله تعالى:

١ ـ ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعْلَوْن إن كنتم مؤمنين﴾[١٤٣].

٢ ـ ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾[١٤٤].

٣ ـ ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[١٤٥].

٤ ـ ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين﴾[١٤٦].

٥ ـ ﴿ولقد كنتم تَمَنَّوْنَ الموت من قبل أن تلقَوْه، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾[١٤٧].

---

(١٣٩) انظر الشوكاني: فتح القدير (١/ ٣٩٩)، إستنادا إلى حديث الترمذي (٨/ ١٨٨ ـ ٨٩/ح ٣٠١٣، ٣٠١٤).

(١٤٠) رواه أحمد في المسند (٧/ ٨٢) وصحح شاكر إسناده، والحاكم (١/ ٣٨١) مختصرا من آخره، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد (٣/ ١٦) بإسناد رجاله ثقات ماعدا أسامة بن زيد الليثي، ففيه ضعف يسير، فيتقوى حديثه بالشواهد التي ذكرها ابن سعد عقب هذا الحديث، وحديث أحمد والحاكم، ورواه ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(١٤١) قاله ابن هشام معلقا (٣/ ١٤٥)، وابن سعد (٣/ ١٧).

(١٤٢) انظر جزءا كبيرا من هذه الآيات عند ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ١٥٤ ـ ١٧٤).

(١٤٣) آل عمران: ١٣٩.

(١٤٤) آل عمران: ١٤٠.

(١٤٥) آل عمران: ١٤٢.

(١٤٦) آل عمران: ١٤٠.

(١٤٧) آل عمران: ١٤٣. وانظر تفاسير هذه الآيات في كتب التفسير.

٦ - ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين﴾[١٤٨].

٧ - ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾[١٤٩].

٨ - ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾[١٥٠].

٩ - ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾[١٥١].

لقد نزلت حول موضوع هذه المعركة ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تبتدىء بذكر أول مرحلة من مراحل المعركة: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾[١٥٢]، وتترك في نهايتها تعليقا جامعا على نتائج المعركة وحكمتها: ﴿ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء، فآمنوا بالله ورسله، وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾[١٥٣].

ب - أحكام وحكم وعظات وعبر من غزوة أحد:

عقد ابن القيم[١٥٤] فصلا فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام الفقهية، ننقلها هنا باختصار لتعميم الفائدة:

١ - إن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن استعد له وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن ذلك حتى يقاتل عدوه.

٢ - إنه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه،

(١٤٨) آل عمران: ١٤٤.
(١٤٩) آل عمران: ١٤٥.
(١٥٠) آل عمران: ١٤٩.
(١٥١) النساء: ١٠٤
(١٥٢) آل عمران: ١٢١.
(١٥٣) آل عمران: ١٧٩.
(١٥٤) زاد المعاد (٣/ ٢١١ - ٢١٢) وما يوضع بين معكوفتين فمني.

بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

٣ ـ جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه، وإن لم يرض المالك، كما كان حال مربع بن قيظي مع الرسول ﷺ وجيشه.

٤ ـ إنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه.

٥ ـ جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن ـ فيما دون القتال مثل السقي والتطبيب.

٦ ـ جواز الانغماس في العدو، كما انغمس أنس بن النضر وغيره.

٧ ـ إن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بأصحابه قاعدا، وصلوا وراءه قعودا كما فعل رسول الله ﷺ واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته[١٥٥].

٨ ـ جواز دعاء الرجل وتمنيه أن يقتل في سبيل الله، وليس ذلك من تمني الموت المنهي عنه، كما فعل عبدالله بن جحش.

٩ ـ إن المسلم، إذا قتل نفسه، فهو من أهل النار، كما في حال قزمان.

١٠ ـ السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يكفن في غير ثيابه، بل يدفن فيها بدمه، إلا أن يسلبها العدو، فيكفن في غيرها. والحكمة في ذلك كما روى الترمذي[١٥٦]، «حتى يلقوا ربهم بكلومهم ـ جروحهم ـ، ريح دمهم ريح المسك، واستغنوا بإكرام الله لهم». وكما روى ابن إسحاق[١٥٧] أن الرسول ﷺ قال عن شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح يُجرَح في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة، يَدْمَىٰ جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك...».

---

(١٥٥) انظر تفاصيل ذلك في «المغني» (٢/ ٢٢٠ ـ ٢١)، و«المحلى» (٣/ ٥٩)، و«نيل الأوطار» (٣/ ١٥٩).

(١٥٦) السنن (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣/ أبواب الجنائز/ح ١٠٣٦/ الدعاس).

(١٥٧) ابن هشام (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وهو من مراسيل الصحابة، واسناده حسن ونقله عنه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٣١) من طريق ابن إسحاق ولم يصرح عنده بالسماع.

١١ ـ أما الصلاة على الشهيد فقد اختلف فيها العلماء وقد رجح ابن القيم[١٥٨] أن الإمام مخير بين الصلاة عليه وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين.

وقد خَرَّجَ محققا الزاد[١٥٩] تلك الآثار وبينا درجتها من الصحة، ثم قالا: «ففي هذه الأحاديث مشروعية الصلاة على الشهداء لا على سبيل الإيجاب، لأن كثيرا من الصحابة استشهد في غزوة بدر وغيرها، ولم ينقل أن النبي ﷺ صلى عليهم، ولو فعل لنقل عنه، وقد جنح المؤلف ـ رحمه الله ـ في «تهذيب السنن: **٤/٢٩٥**» إليه، فقال: «...»

١٢ ـ السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم.

١٣ ـ إن من عذره الله في التخلف عن الجهاد، لمرض أو عرج [شديد أو شيخوخة]، يجوز له الخروج إليه، وان لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجَمُوح، وهو أعرج، [واليَمان والد حُذَيْفَة وثابت بن وَقْش وهما شيخان كبيران].

١٤ ـ إن المسلمين إذا قتلوا واحدا منهم في الجهاد يظنونه كافرا، فعلى الإمام دفع ديته من بيت المال، كما في واقعة قتل اليمان.

وذكر ابن القيم[١٦٠] بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وإذ غدوت من أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعد للقتال...﴾[١٦١] إلى تمام ستين آية من هذه السورة. نذكر هنا باختصار ما ذكره ابن القيم:

١) تعريف المؤمنين بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم

---

(١٥٨) تهذيب السنن (٤/ ٢٩٥).

(١٥٩) (٣/ ٢١٣ ـ ٢١٤) ـ الحاشية. فانظرها لأهميتها. جزاهما الله خيرا لما قاما به من عمل علمي قيم مفيد، تتمة للفائدة من هذا السفر العظيم.

(١٦٠) الزاد (٣/ ٢١٨ وما بعدها).

(١٦١) آل عمران: ١٢١.

هو لذلك السبب، كما قال تعالى ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تَحُسُّونَهُمْ بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم﴾(١٦٢) فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرا ويقظة، وتحرزا من أسباب الخذلان.

٢) إن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة، خاصة وان هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: «هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة»(١٦٣).

٣) ميزت محنة أحد بين المؤمن والمنافق الذي دخل الإسلام ظاهرا بعد انتصار المسلمين ببدر، وفي ذلك قال تعالى ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَمِيزَ الخبيث من الطيب...﴾(١٦٤).

٤) استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

٥) لا يصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، فهو (سبحانه) إذا أراد أن يعز عبده، ويجبره، وينصره، كسره أولا، ويكون جبره له، ونصره على مقدار ذله وانكساره، وهذا ما وقع

---

(١٦٢) آل عمران: ١٥٢.

(١٦٣) من حديث أبي سفيان عند البخاري/ الفتح (١٢/ ٧١/ح ٢٩٤١)، ومسلم (٣/ ١٣٩٥/ح ١٧٧٣).

(١٦٤) آل عمران: ١٧٩.

للمسلمين ببدر ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾[١٦٥] وبحنين ﴿ويومَ حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾[١٦٦].

٦) إنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

٧) إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والآخرة، فإذا أراد الله بها الرحمة والكرامة قيض لها من الابتلاء مافيه دواء وشفاء لذلك المرض.

٨) إن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو وغيره.

٩) إن في الابتلاء من الله تمحيص وتكفير لذنوب عباده وفرصة لهم لنيل الشهادة، قال تعالى: ﴿... وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين، وليمحِّصَ الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾[١٦٧].

١٠) إن الأنبياء (عليهم السلام)، إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ـ تعظيما لأجرهم ـ تأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره والعاقبة للمتقين، وهذه سنة الله فيهم[١٦٨].

١١) إن اشتراك الرسول ﷺ في القتال مثله كأي فرد من أفراد جيشه دليل على حرصه ﷺ على عدم تميزه عن جنده ومساواة نفسه بهم. وفيه دليل على شجاعته وصبره وتحمله الأذى في سبيل دعوته.

---

(١٦٥) آل عمران: ١٢٣.
(١٦٦) التوبة: ٢٥.
(١٦٧) آل عمران: ١٤٠ و١٤١.
(١٦٨) انظر حسين الباكري: مرويات غزوة أحد، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧١.

الفصل الثامن

الغزوات والسرايا والأحداث الأخرى بين غزوتي أحد والمُرَيْسِيع

المبحث الأول: أ ـ غزوة حَمْرَاء الأَسَد:

فكر المشركون في الكرة مرة أخرى على المسلمين ليقضوا عليهم قضاء مبرما، وعندما علم الرسول ﷺ بنيتهم ندب الناس إلى المسير إلى لقائهم، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال» فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا سمعا وطاعة، وأذن لجابر بن عبدالله بالمسير معه لأنه لم يشهد أحداً، إذ كان أبوه قد خلفه على بناته، . وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد[1].

وعندما أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، أمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذله، فيلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فخذله وأخبره بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد ونصحهم بالعود إلى مكة[2].

وقال الله تعالى في هذه الغزوة: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾[3].

روى ابن إسحاق[4] أنهم في طريق عودتهم من حمراء الأسد أسروا معاوية ابن المغيرة، جد عبدالملك بن مروان لأمه، وأبا عزة الجمحي الذي مَنَّ

---

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٢) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/١٤٨، ١٤٩، ١٥٠).

(٣) آل عمران: ١٧٢. وروى البخاري أن الزبير وأبابكر كانا من هؤلاء ـ انظر: الفتح (١٥/٢٥٣/ح ٤٠٧٧)، ورواه مسلم (٤/١٨٨١/ح ٢٤١٨). وفي الحديث أن الرسول ﷺ انتدب لأبي سفيان سبعين من أصحابه، قال الشامي: «والظاهر إنه لا تخالف بين هذا القول وقول أصحاب المغازي بأنهم خرجوا جيما لأن السبعين سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون».

(٤) ابن هشام (٣/١٥٢) بإسناد معضل.

الـرسـول ﷺ عليه بغـير فداء من بين أسرى بدر، فقال: «يارسول الله أقلني»، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين». وضرب الزبير عنقه بأمر الرسول ﷺ.

وروي أن الرسول ﷺ قال لأبي عزة: «إنَّ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وأمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه»[٥].

لقد كانت هذه الغزوة في الثامن من شوال على ر أس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وقيل غير ذلك[٦]، إذ قال ابن إسحاق[٧] إنها في يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال.

ب ـ عبر في هذه الغزوة:

١ ـ إن خروج الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، يُعَدُّ مظهرا من مظاهر الكمال المحمدي من: شجاعة وتحمل وصبر وعدم الاستسلام لأي مظهر من مظاهر الهزيمة، وحسن سياسة، وبيانا لفضل أصحاب محمد ﷺ وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله والرسول. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿الذين استجابو لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله، ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يَمْسَسْهُمْ سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم﴾[٨][٩].

---

(٥) رواه ابن هشام بلاغا عن ابن المسيب (٣/ ١٥٢) ـ والحديث في الصحيحين، ولكنه عام ولم تخصص له مناسبة معينة. انظر: الفتح (٢٢/ ٣٣٣/ح ٦١٣٣) وهو من حديث ابن المسيب مما يعني ان حديث ابن هشام له أصل في الصحيح. وذكر ابن حجر في شرحه لحديث البخاري أن ابن إسحاق رواه في المغازي دون إسناد.

(٦) الواقدي (١/ ٣٣٤)، ابن سعد (٢/ ٤٨) وأسانيدهما ضعيفة.

(٧) ابن هشام (٣/ ١٤٧) ـ دون إسناد، ورواه الطبري في التاريخ والتفسير من طريق ابن إسحاق وهو موقوف على عكرمة وفيه حسين بن عبدالله وهو ضعيف الحديث. انظر: تفسير الطبري (٧/ ٩٩/ شاكر).

(٨) آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤.

(٩) وانظر عن أسباب نزول هذه الآيات: تفسير الطبري (٧/ ٣٩٩ ـ ٤١٥) وفيها طرق صحيحة.

المبحث الثاني: سرية أبي سَلَمَة:

عندما سمع الأعراب القاطنون حول المدينة، ما أصاب المسلمين في أحد، تجرّؤوا على المسلمين، واتضح ذلك من المحاولات التي قام بها بنو أسد في نجد وبنو هذيل في عرفات وغيرهم لغزو المدينة.

فقد وصلت الأخبار إلى النبي ﷺ بأن بني أَسَد بن خُزَيْمَة بقيادة طُلَيْحَة الأسدي وأخيه سَلَمَة يعدون العدة لغزو المدينة طمعا في خيراتها ومظاهرة لقريش في عداوتها للمسلمين. فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار في سرية، وأمر عليهم أبا سلمة بن عبدالأسد. فباغتوهم على ماء لهم بجبل يسمى قَطَن، ففروا في وجوههم، فاستاقوا أنعامهم إلى المدينة.

وكان ذلك في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة[10].

المبحث الثالث: سرية عبدالله بن أُنَيْس:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهُذَلي بنخلة أو بِعُرَنَة من عرفات، ليقتله، وذلك لأن خالداً كان يجمع الناس ليغزو بهم المدينة. وقبل أن يتحرك طلب من الرسول ﷺ أن ينعته له، فنعته له فخرج إليه. وعندما لقيه رأى فيه ما نعته به الرسول ﷺ، فاحتال عليه حتى قتله، وجاء إلى رسول الله ﷺ. وعندما رآه الرسول ﷺ قال: «أفلح الوجه...» ثم أدخله البيت وأعطاه عصا ليتخصر بها - يتكىء عليها - آية بينه وبين الرسول ﷺ يوم القيامة، وقال له: «إن أقل الناس المتخصرون يومئذ»، واحتفظ بها حتى دفنت معه[11].

---

(10) الواقدي (1/ 340)، ابن سعد (2/ 50) دون إسناد، ابن إسحاق - معلقا ومختصرا - ابن هشام (4/ 344)، ابن كثير: البداية (4/ 70)، وهكذا لم يرد في خبرها إسناد يحتج به.

(11) ذكرناها مختصرة، فانظرها بتمامها عند ابن إسحاق - ابن هشام (4/ 354 - 355) بإسناد منقطع، وقد وصلها البيهقي في الدلائل (4/ 42 - 43) وفي السنن/ك. صلاة الخوف) وإسنادها حسن. رواها أحمد في المسند (3/ 496) من (3/ 256) الطريق نفسها، وإسناده حسن، وأبوداود في السنن (2/ 41 - 42/ك. الصلاة/ح 2249) وليس فيه قصة دفن العصا معه، وهو من طريق ابن إسحاق ولم يصرح فيه بالسماع، وحسن ابن حجر إسناده كما في الفتح (15/ 260/ك. المغازي/ ب غزوة الرجيع). وانظر كذلك: الواقدي (2/ 531)، وابن سعد (2/ 50).

وكانت هذه السرية في الخامس من محرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة[١٢].

المبحث الرابع: سرية الرَّجِيع:

روى البخاري[١٣] أن الرسول ﷺ بعث بسرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت[١٤] فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لِحْيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فَرْفَد ـ مرتفع من الأرض ـ وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلا، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم اخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل.

---

(١٢) ابن سعد (٢/ ٥٠) وعند الواقدي أن ابن أنيس خرج في يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس أربعة وخمسين شهرا، وقدم المدينة يوم السبت لسبع بقين من المحرم. والراجح ما قاله ابن سعد لأن الواقدي نفسه ذكر أن سبب مأساة الرجيع هو قتل المسلمين خالدا الهذلي، وعند الواقدي ان الرجيع كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة ـ الواقدي(١ ٣٥٤).

(١٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥/ح ٤٠٨٦). ورواه أحمد في المسند: الرباني (٢١/ ٦٠ ـ ٦٢)، بمثل سياق البخاري وروى القصة أهل المغازي: ابن إسحاق بإسناد موقوف على عاصم ابن عمر ـ ابن هشام (٣/ ٢٤١ ـ ٢٦٠)، والواقدي (١/ ٣٥٤ ـ ٣٦٣) وابن سعد (٢/ ٥٥ ـ ٥٦) وإسناده صحيح، وفيه أنه قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة وهم من الهون ابن خزيمة، فقالوا: «يارسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا سن أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام». فبعث رسول الله ﷺ معهم عشرة رهط.... إلخ القصة. قارن بين مضمونها ومضمون رواية البخاري والآخرين.

(١٤) وقد ورد في مغازي عروة مثلما ورد عند البخاري في سبب السرية. انظر: مغازي عروة، ص ١٧٥، ولم يذكر عروة غير ثلاثة، وقال إن بني لحيان من هذيل هم الذين اعترضوهم بالرجيع من نجد والمعروف أن الرجيع ماء لهذيل بمنطقة الحجاز ـ انظر ابن القيم في الزاد (٣/ ٢٤٤). وسببها عند ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٢٤٢) بإسناد مرسل: أن رهطا من عضل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا إن فيهم إسلاما وطلبوا أن يبعث معهم نفرا من أصحابه ليفقهوهم في الدين، وقد وافق ابن سعد في هذا. وعند ابن إسحاق أنهم ستة وأميرهم مرثد بن أبي مرثد، وذكرهم. وجزم الواقدي (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) أنهم كانوا سبعة فذكرهم، وذكر بصيغة التمريض انهم كانوا عشرة، وجزم بان أميرهم مرثد وذكر بصيغة التمريض انه كان عاصم. وذكر أن السبب هو أن بني لحيان مشت إلى عضل والقارة وجعلت لهم جعلا ليخرجوا إلى محمد ﷺ ويطلبوا منه ان يخرج معهم من يدعوهم إلى الإسلام فيكمنوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمنا في مكة. ويمكن التوفيق بين روايتي البخاري وابن إسحاق بأن يكون وافق ارسالهم عينا مجيء النفر من عضل والقارة في طلب من يعلمهم الإسلام ـ انظر: عرجون محمد رسول الله ﷺ (٤/ ٤١).

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر[١٥]. فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم. فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيْب وزيد حتى باعوهما بمكة. فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر[١٦]، فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته، قالت: «فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني، وفي يده الموسى. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى. وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، ومابمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقا رزقه الله»[١٧]. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: «دعوني أُصَلِّ ركعتين»، ثم انصرف إليهم فقال: «لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت». فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: «اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا، ثم قال:

ما إن أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع[١٨]

---

(١٥) هو عبدالله بن طارق كما في رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٣/ ٢٤٤) والواقدي (١/ ٣٥٧).

(١٦) يذكر بعض أصحاب المغازي أن خبيبا لم يشهد بدرا وإنما الذي شهدها وقتل الحارث بن عامر هو خبيب بن إساف، وللتوفيق بين روايات أهل السير ورواية البخاري، قال ابن حجر بأنهم قتلوا خبيبا بالحارث لكون خبيب بن إساف قتل الحارث على عادتهم الجاهلية بقتل بعض القبيلة عن بعض. وانظر مناقشة عرجون لهذه القضية: محمد رسول الله ﷺ، (٤/ ٥٣ - ٦٥).

(١٧) وخبر هذه الكرامة أيضا عند ابن إسحاق - دون إسناد - ابن هشام (٣/ ٢٤٦) حدثته به ماوية، مولاة حجير بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت.

(١٨) وقال ابن حجر في شرحه لحديث الباب (١٥/ ٢٦٥): «وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر، ثم ساق الأبيات الآتية:

١ - لقد جَمَّعَ الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
٢ - وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جزع طويل ممنع
٣ - إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب بي عند مصرعي
٤ - فذا العرش صَبرني على ما يراد بي فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي
٥ - وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
٦ - لعمري ما أحفل إذا مت مسلما على أي حال كان في الله مضجعي
==

ثم قام إليه عقبة بن الحارث[19] فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قد قتل عظيما[20] من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء[21].

وقال حسان بن ثابت شعرا رائعا في ر ثاء خبيب ورفقائه الكرام[22].

وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خلف. وعندما أخرجوه من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه، اجتمع رهط من قريش فيهم أبوسفيان، فقال أبوسفيان حين قدم ليقتل: «أنشدك الله يازيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه، وأنَّك في أهلك؟» قال: «والله

==

وقال ابن حجر إن ابن إسحاق ساقها ثلاثة عشر بيتا، والذي وقفنا عليه لابن إسحاق في سيرة ابن هشام عشرة أبيات، والأبيات الزيادة على ما ذكرناه هنا عن عروة، وهي:

وكلهم مبدي العدواة جاهد عَلَيَّ لأني في وثاق بمضيع
[بعد البيت الأول لعروة].

وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناي من غير مجزع
[بعد البيت الخامس لعروة].

ومابي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري جَحْمُ نار ملفع
[بعد البيت الذي ذكرناه].

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
[هو البيت السادس نفسه لعروة].

فلست بمبد للعدو تخشعا ولا جزعا إني إلى الله مرجعي
[بعد البيت السادس عند عروة].

انظر مغازي عروة، ص ١٧٧. وقال ابن هشام (٣/ ٢٥٠) وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له -أي لخبيب.

(١٩) وفي رواية ثانية عند البخاري أن الذي قتله هو أبوسَرْوَعَة (الفتح ١٥/ ٢٦٦) وفي رواية ثالثة أنه أبوسروعة عقبة بن الحارث الفتح (١٥/ ١٧٧) وقال ابن حجر إن أبا سروعة هو اخو عقبة، وليس أبوسروعة وعقبة اسما واحدا. وفي رواية لابن إسحاق بإسناد حسن صحيح ان عقبة بن الحارث لم يقتل خبيبا لأنه كان صغيرا، وأن الذي قتله هو أبوميسرة العبدري، أخذ الحربة فجعلها في يده، ثم أخذ بيده وبالحربة ثم طعن بها خبيبا حتى قتله.

(٢٠) هو عقبة بن أبي معيط، الذي أسر ببدر وقتله عاصم صبرا بأمر الرسول ﷺ كما مر بنا.

(٢١) عند ابن إسحاق أن هذيل أرادت أخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر... ابن هشام (٣/ ٢٤٤) بدون إسناد.

(٢٢) انظره عند ابن إسحاق - ابن هشام (٣/ ٢٥٠ - ٢٦٠) وعروة: المغازي، ص ١٧٧، قال الأعظمي: «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف».

ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي»، فقال أبوسفيان: «ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا». ثم قتله نسطاس مولى صفوان[٢٣].

لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: «ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لاهم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم آية: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾[٢٤] وما بعدها، وأنزل في أصحاب السرية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد﴾[٢٥][٢٦].

بعث الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمري وحده إلى قريش، قال. «فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون، فرقيت فيها، فحللت خبيبا، فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيد، ثم التفت فلم أر خبيبا، ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة»[٢٧].

كانت هذه السرية في صفر على ر أس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة[٢٨].

المبحث الخامس: سرية بئر مَعُونَة:

وفي الشهر ذاته الذي أرسل فيه الرسول ﷺ سرية الرجيع، أرسل الرسول ﷺ سرية بئر معونة[٢٩].

فقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أرسل إلى نجد سبعين من خيار

---

(٢٣) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ٢٤٥)، ابن سعد (٢/ ٥٦) من طريق ابن إسحاق، مرسلا.

(٢٤) البقرة: ٢٠٤.

(٢٥) البقرة: ٢٠٧.

(٢٦) قاله ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٢٤٨) لأن فيه راو لم يسمه، ووصله ابن كثير في البداية (٤/ ٧٦) من هذا الطريق وسمى الراوي المبهم وهو محمد بن أبي محمد. والحديث ضعيف لعلتين: لعنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، ولأن محمد بن أبي محمد مجهول، كما في التقريب ص ٥٠٥.

(٢٧) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٩) و(٦/ ٢٨٧) وابن أبي شيبة من طريق جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه، وفي سنده إبراهيم بن إسماعيل، وهو متفق على ضعفه - انظر التقريب، ص ٨٨.

(٢٨) الواقدي (١/ ٣٥٤)، ابن سعد (٢/ ٥٥) وأسانيدهما ضعيفة.

(٢٩) قاله الواقدي (١/ ٣٤٦) وابن سعد (٢/ ٥١)، وابن اسحاق - ابن هشام (٣/ ٢٦٠) وأسانيدهم ضعيفة.

الصحابة (رضي الله عنهم) عرفوا بالقراء، كانوات يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل[٣٠]، وينفقون ثمن حطبهم على أهل الصفة[٣١].

وذكر مسلم[٣٢] أن سبب إرسالهم هو أن أناسا جاءوا إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يبعث معهم رجالا يعلمونهم القرآن والسنة.

وذكر البخاري[٣٣] سببا آخر لا يختلف عن هذا في جوهره، وهو أن بطونا من بني سليم، هم: رِعْل وذَكْوان وعُصَيَّة بني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بأولئك السبعين، وقد وافق البخاري ابن سعد[٣٤] في هذا السبب.

وذكر ابن إسحاق[٣٥] أن أبا براء عامر بن مالك، المدعو «ملاعب الأسنة» قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: «يارسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جار لهم».

ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن يكون كلا الأمرين قد وقعا، أي إرسال الرسول ﷺ هؤلاء السبعين بناء على طلب أبي براء وبني سليم.

عندما نزلوا ببئر معونة بين أرض عامر وحرة بني سليم، بعثوا حرام بن مِلْحَان ـ أخا سليم ـ بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلا فطعن حراما بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: «الله أكبر، فزت ورب الكعبة»[٣٦].

ثم استنفر ابن الطفيل بني عامر إلى قتال المسلمين، فلم يجيبوه لأجل

---

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٥/٢٦٨/ح ٤٠٩٠).
(٣١) مسلم (٣/١٥١١/ح ٦٧٧).
(٣٢) المصدر والمكان نفسيهما.
(٣٣) الفتح (١٥/٢٦٧/ح ٤٠٩٠).
(٣٤) الطبقات (٢/٥٣) بإسناد صحيح.
(٣٥) ابن هشام (٣/٢٦٠) بإسناد مرسل، ابن سعد (٢/٥١) بدون إسناد، الواقدي (١/٣٤٦) وأسانيدهم ضعيفة.
(٣٦) هنا تتفق رواية أهل السير مع رواية الصحيحين، ما عدا ذكر إمارة المنذر ولقبه، فهو من رواية أهل السير.

جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان، وخاضوا مع المسلمين معركة ضارية، قتل فيها المسلمون جميعا، إلا كعب بن زيد ابن النجار، الذي ترك وبه رمق، فعاش حتى استشهد في غزوة الخندق، وعمرو بن أمية، الذي كان قد تأخر عنهم هو والمنذر عقبة بن عامر، وعندما وجدا أصحابهما قد صرعوا قاتلا المشركين، فقتلوا المنذر وأسروا عمرا، ثم أعتقه عامر عن رقبة كانت على أمه.

وعاد عمرو بن أمية بالخبر الأليم إلى الرسول ﷺ بالمدينة، وفي الطريق فتك برجلين من بني كلاب، هو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ، لم يعلم به، ولذا التزم الرسول ﷺ بأداء ديتهما، فأخذ في تحصيل الدية من المسلمين وأهل الصحيفة من اليهود.

وعندما ذهب إلى اليهود للإعانة في دية الكلابيين حاولوا قتله، مما كان من أسباب غزوة بني النضير ـ كما سنرى.

وقد تألم الرسول ﷺ لهاتين الفاجعتين ـ معونة والرجيع ـ فأخذ يدعو في صلاة الصبح ثلاثين صباحا على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة والرجيع: رعل وذكوان ولحيان وعصية[37].

وظهرت لعامر بن فهيرة كرامة في هذه الموقعة. فقد روى البخاري[38] انه لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو الضمري، قال له ابن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: «لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنّي لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع».

---

(٣٧) هذه الخلاصة من صحيح البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٦٦ ـ ٢٧٤/ح ٤٠٨٨ ـ ٤٠٩٦) وهي تسعة أحاديث، ومسلم (٣/ ١٥١١/ح ٦٧٧)، وأحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ٦٣ ـ ٦٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٢٦): «رجاله رجال الصحيح»، والطبراني كما في المجمع (٦/ ١٢٦ ـ ١٢٧): «رجاله رجال الصحيح»، وابن سعد (٢/ ٥١ ـ ٥٤)، وابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦٧).

(٣٨) الفتح (١٥/ ٢٧٢/ح ٤٠٩٣).

المبحث السادس: حكم وأحكام وعبر ودروس من سريتي الرجيع ومعونة:[39]

١ ـ تدل هاتان الحادثتان على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة إلى الإسلام وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه. فليس أمر الدعوة موكولا إلى الأنبياء والرسل وحدهم أو خلفائهم والعلماء دون غيرهم.

وعلى الرغم من استشعار الرسول ﷺ الخوف على القراء نتيجة لما وقع لأهل الرجيع، إلا انه لم يتوقف عن إرسال بعث القراء، ومن بعده أرسل بعوثا أخرى حتى تاريخ وفاته، لأنه كان يرى أن القيام بأعباء تبليغ الدعوة أهم من كل شيء، ليكن ما يريد الله في سبيل القيام بأمره وتبليغ دعوته.

٢ ـ إن معجزة التربية الإسلامية تتجلى في موقف خبيب بن عدي عندما لم يمس طفل آل الحارث بسوء، على الرغم من مواتاة فرصة الانتقام لنفسه من المشركين الذين حبسوه ليقتلوه، وتتجلى نذالة الكافرين في الغدر بأصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة، ولم يشفع لخبيب عندهم موقفه النبيل من طفل آل الحارث. والغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك.

٣ ـ إن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن نفسه ولو قتل، ترفعا عن أن يجري عليه حكم الكافر، كما فعل عاصم (رضي الله عنه)، فإن أراد الترخص فله أن يستأمن، مترقبا الفرصة للخلاص، كما فعل زيد وخبيب (رضي الله عنهما).

٤ ـ إن ما ظهر من أمر خارق للعادة لخبيب عندما كان أسيرا، دل على أن كل ما أمكن أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي.

٥ ـ مشروعية الصلاة عند القتل وأن خبيبا هو الذي سنها، وأقر ذلك الرسول ﷺ.

٦ ـ تتجلى قوة إيمان ابن الدثنة في حبه لرسول الله ﷺ ورضائه بالموت ولا

---

(٣٩) ملخصا عن: فقه السيرة للبوطي، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠١، هذا الحبيب «محمد ﷺ يامحب: ص ص ٢٨٢، ٢٨٥، فقه السيرة للغزالي ص ٢٩٨، ٣٠١.

يصاب رسول الله ﷺ بشوكة تؤذيه، وهو آمن في أهله، وكذا كان حب أصحاب رسول الله ﷺ له، وذلك واجبهم وواجب كل مؤمن ومؤمنة، وان ذلك من دلائل إيمان العبد.

٧ ـ إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أحب الخلق إلى الله ورسوله، ممن يضعهم الله تعالى في محك الامتحان.

٨ ـ مشروعية القنوت في الصلاة للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين.

المبحث السابع: غزوة بني النَّضِيْر:

أولا : سبب الغزوة: تشير المصادر إلى ثلاثة أسباب لهذه الغزوة:

الاول: أرادت بني النضير قتل الرسول ﷺ بعد بدر الكبرى عندما حرضتهم قريش على ذلك.

الثاني: محاولتهم قتل الرسول ﷺ عندما جاءهم ليستعين بهم في دية الكلابيين اللذين قتلهما الضمري.

الثالث: حضهم قريش على قتال الرسول ﷺ ودلوهم على العورة.

تقول المصادر عن السبب الأول إن قريشا أرسلت إلى اليهود وهددتهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ، فاستجاب بنوالنضير لذلك ووضعوا خطة يقتلون بها الرسول ﷺ غدرا. فقد طلبوا منه أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلا من أصحابه ليلتقي بثلاثين من أحبارهم في موضع وسط ليحدثهم، فإن صدقوه آمنت يهود. فلما جاءوا قريبا من المكان اقترحوا على النبي ﷺ أن يجتمع ومعه ثلاثة من أصحابه وثلاثة من أحبارهم، وقد حمل هؤلاء اليهود الثلاثة خناجرهم، ولكن امرأة منهم أفشت سرهم لأخ لها مسلم، فأخبر النبي ﷺ، فرجع عنهم، ثم استعد وحاصرهم بجنوده حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح[٤٠].

---

(٤٠) رواها عبدالرازق في مصنفه (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) بإسناد صحيح رجاله ثقات، وجهالة الصحابة فيه لا تضر، وأبوداود في السنن (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦/ك. الخراج/ح ٣٠٠٤)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩) من طريق أبي داود وعبدالرزاق، وابن مردويه بإسناد صحيح من حديث عبدالرزاق، وعبدالرحمن بن حميد في المغازي/ب. حديث بني النضير) والحاكم (٢/ ٤٨٣).

أما السبب الثاني فتقول عنه المصادر إن النبي ﷺ عندما ذهب إليهم في دية الكلابيين، لما كان بينه وبينهم من الحلف، جلس إلى جدار لهم في انتظارهم ليأتوا بما وعدوا به من المساهمة في الدية، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فاتفقوا على أن يعلو عمرو بن جِحَاش ذلك الجدار، فيلقي صخرة على الرسول ﷺ فيقلته. فأخبر الله رسوله بما أرادوا، فخرج راجعا إلى المدينة. وعندما تأخر عن أصحابه الذين كانوا معه، سألوا عنه، فعلموا رجوعه إلى المدينة، فأتوه فأخبرهم الخبر، ثم أمر بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، ومحاصرتهم، فنزلوا على الصلح بعد حصار دام ست ليال، على أن لهم ما حملت الإبل[41].

أما السبب الثالث فقد انفرد به موسى بن عقبة[42]، حيث قال: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العورة». وقال إن ذلك كان عندما نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ[43].

ولعل الدكتور العمري[44] لم يطلع على الرواية التي عند البيهقي وما فيها من الزيادة عن رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر، وهذه الزيادة هي: «حين نزلوا بأحد...» ولذا قال العمري إن رواية موسى بن عقبة لم تحدد وقتا للأعمال التي ارتكبها اليهود ضد المسلمين ولعله يقصد أعمالاً معينة.

ومن المعروف أنهم حرضوا المشركين على قتال المسلمين فكانت أحد، وأعانوا أباسفيان في إغارته على أطراف المدينة مما أدى إلى مطاردة المسلمين له فيما عرف بـ«غزوة السويق»، وأنّ كعبا بن الأشرف كان يقرض الشعر في هجاء المسلمين وتحريض قريش عليهم. كل هذا يدل على حالهم مع

---

(41) ابن إسحاق - بإسناد مرسل - ابن هشام (٣/ ٢٦٧ - ٢٦٨)، ويتقوى هذا الإسناد بالمتابعة، وقد توبع برواية موسى بن عقبة عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٢) وعند البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠ - ١٨١). وفي رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر زيادة عما عند ابن إسحاق، وهي: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة» وعنوان باب حديث بني النضير عند البخاري يدل على قبوله بهذا السبب. ونص العنوان: «حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الكلابيين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ.

(42) عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٣).

(43) من رواية لموسى بن عقبة عند البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠) بإسناد ضعيف.

(44) المجتمع المدني في عهد النبوة - تنظيماته...، ص١٤٧.

المسلمين إلى أن كانت محاولتهم قتله، وتسبب ذلك في قرار لوضع حد لممارساتهم الإجرامية، فكان القرار طردهم من المدينة[45].

ثانيا: الإنـــذار:

عندما صدر منهم ما صدر طلب منهم الرسول ﷺ الخروج من المدينة خلال عشرة أيام، فمن رأوه بعد ذلك ضربت عنقه.

وعندما استعدوا للخروج حرضهم عبدالله بن أُبيّ بن سلول على عدم الخضوع ومناهم بالوقوف إلى جانبهم، فأعلنوا العصيان، فحاصرهم المسلمون[46]، وقد أشارت آيات في سورة الحشر إلى هذا، مثل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون... ﴾[47]

ثالثا: الجلاء وشروطه:

ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أجلى بني النضير عندما حاربوا[48] وفصلت الكتب الأخرى، وخاصة كتب المغازي والسير، كيفية هذا الجلاء ونوعية الحرب التي حاربوها.

وصح أن الرسول ﷺ حاصرهم بالكتائب، وقال لهم: «إنكم لا تأمنون

---

(٤٥) انظر المرجع والمكان نفسيهما.

(٤٦) رواه الواقدي (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩) وفيه ذكر المدة، وابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٢٦٩) ولم يذكر المدة، وابن سعد (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) ـ دون إسناد مثل مضمون رواية الواقدي، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨١ ـ ١٨٣) بإسنادين فيهما أربعة مجاهيل وبهذا تكون كل الأسانيد ضعيفة.

(٤٧) الحشر: ١١ ـ ١٢. وممن روى أن سبب إنزالها كان في بني النضير والمنافقين: الطبري في التفسير (٢٨/ ٤٦) بإسناد إلى ابن عباس ولكنه ضعيف، وبإسناد مرسل موقوف على مجاهد ورجاله ثقات، وابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).
فالآثار كلها ضعيفة، لكن البعض يتقوى بالمتابعة، أما نزول سورة الحشر في بني النضير فقد ثبت بطرق صحيحة، وتناولت في بعض آياتها موقف المنافقين نحو بني النضير، وثبت أن ابن عباس سماها سورة بني النضير كما روى البخاري. انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٤/ ك. المغازي/ ح ٤٠٢٩)

(٤٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٢/ ح ٤٠٢٨).

عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك، هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة - السلاح - فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها»(٤٩).

وقد ثبت بنص القرآن(٥٠) أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار، وثبت في الحديث الشريف(٥١) أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار.

وتذكر بعض الروايات أنهم أجلوا إلى الشام(٥٢) والبعض الآخر يذكر أنهم توجهوا إلى خيبر(٥٣). وفي ر واية ابن إسحاق(٥٤) ما يجمع بين هذه الروايات، حيث قال: «فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سَلَّام بن أبي الحُقَيْق وكِنَانَة بن الربيع بن ابي الحقيق وحُيَيّ بن أَخْطَب. فلما نزلوها دان لهم أهلها». ويؤيده في ذلك الأحداث اللاحقة الثابتة بالمرويات القوية، مثل أخبار قتالهم في غزوة خيبر، وقتل كنانة وأسر صفية وخبر سلام بن أبي الحقيق(٥٥).

وقد أسلم منهم اثنان، هما: يامين بن عمر بن كعب وأبو سعد بن وهب،

---

(٤٩) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٨ - ٣٦١)، وأبوداود في السنن (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٧/ك. الخراج/ب. في خبر النضير/ح ٣٠٠٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨١ - ١٨٢). وانظر الفتح (١٥/ ٢٠٢)، ورواه من أهل السير: ابن إسحاق - دون إسناد - ابن هشام (٣/ ٢٦٨ - ٢٦٩)، ابن سعد (٢/ ٥٧ - ٥٨) - معلقا، الواقدي (١/ ٣٦٤ - ٣٧٥) بإسناد منقطع.

(٥٠) الحشر: ٥. ﴿وما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله...﴾ روى البخاري أنها نزلت عندما حرق وقطع الرسول ﷺ نخل بني النضير، وهي البويرة - انظر: البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٦٦/ح ٤٨٨٤)، و(١٥/ ٢٠٥/ح ٤٠٣١ - ٤٠٣٢).

(٥١) أحاديث البخاري في باب بني النضير - المصدر نفسه، وسنن الترمذي (٥/ ١٥٧ - ١٥٨/ تحفة الأحوذي)، وسنن ابن ماجه (٣/ ٩٤٨ - ٤٩).

(٥٢) روى ذلك عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٨ - ٣٦١) بإسناد صحيح.

(٥٣) ابن سعد (٣/ ٥٨) بإسناد ضعيف.

(٥٤) ابن هشام (٣/ ٢٦٩) - معلقا.

(٥٥) انظر العمري: المجتمع المدني - تنظيماته، ص ١٤٩.

ولذا أحرزا أموالهما[٥٦].

أما الأموال والنخيل فكانت لرسول الله ﷺ[٥٧]، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله[٥٨].

وقسم الرسول ﷺ أرضهم بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار أحدا سوى سهل بن حَنِيف وأبي دُجَانَة، وذلك لفقرهما.[٥٩].

ولم يتوقف زعماء بني النضير عن مكائدهم بعد كل هذا، فقد حرضوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق[٦٠].

رابعا: تاريخ غزوة بني النضير:

روى عبدالرزاق[٦١] من حديث الزهري، والحاكم[٦٢] من حديث عروة، انها كانت بعد غزوة بدر الكبرى[٦٣]. وذكر البخاري[٦٤] في رواية معلقة من الترجمة عن عروة بأنها كانت على رأس ستة أشهر من بدر، قبل وقعة أحد. وذكر ابن حجر[٦٥] ان عبدالرزاق قد وصلها في مصنفه عن معمر عن الزهري بأتم مما عند البخاري، وقد رواها البيهقي[٦٦] من هذا الطريق. وروى

---

(٥٦) ابن إسحاق - بإسناد منقطع، من حديث شيخه عبدالله بن أبي بكر - ابن هشام (٣/ ٢٧٠) والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٥٧) وذلك بنص الآية ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب...﴾ ونزول سورة الحشر في بني النضير كما روى البخاري: الفتح (١٨/ ٢٦٦/ح ٤٨٨٢، ٤٨٨٣)، وانظر: صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨ - ١٣٩٠/ح ١٧٦٨ - ١٧٦٩).

(٥٨) روى ذلك البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٦٦/ح ٤٨٨٥).

(٥٩) عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣٥٨ - ٣٦١) وأبوداود (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٤/ح ٣٠٠٤) ولم يصرح باسميهما، وابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٢٧٠).

(٦٠) سيأتي خبر مقتل سلام بن أبي الحقيق في غزوة خيبر، لأنه حرض على غزوة الأحزاب. وذكر ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٢٩٨) - أسماء اليهود الذين حرضوا الأحزاب من بني النضير: سلام وحيي وكنانة. وممن ذكر تحريضهم: عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨ - ٣٧٣) وابن سعد (٣/ ٦٥ - ٦٦) وابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٧٥) من رواية موسى بن عقبة - معلقا. والخلاصة أن الروايات في هذا الموضوع ضعيفة ولكنها تصلح بمجموعها للاحتجاج ويتقوّى بعضها ببعض لأنها من روايات أئمة المغازي والسير ولها شواهد.

(٦١) المصنف (٥/ ٣٥٧) بإسناد صحيح.

(٦٢) المستدرك (٢/ ٤٨٣) وصححها ووافقه الذهبي.

(٦٣) كانت بدر الكبرى في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ كما مر بنا.

(٦٤) الفتح (١٥/ ٢٠١/ك. المغازي/ ب. حديث بني النضير) - دون رقم.

(٦٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦٦) انظر: المصنف (٥/ ٣٥٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٧٨) بإسناد إلى عائشة (رضي الله عنها).

البيهقي[٦٧]، رواية عن الزهري عن عقيل بمثل رواية البخاري وعبدالرزاق.

هكذا عند أهل الحديث أنها قبل أحد وبعد بدر، ولكن أصحاب المغازي والسير يذكرون أنها بعد أحد. فابن إسحاق[٦٨] يذكر أنها في سنة أربع من الهجرة، ويذكر الواقدي[٦٩] وابن سعد[٧٠] أنها كانت في شهر ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهرا من الهجرة ووافقهم ابن هشام[٧١] في أنها كانت في ربيع الأول.

ومادامت سرية بئر معونة كانت بعد أحد باتفاق، وإذا جمعنا الأسباب يظهر لنا أنها بعد أحد، وقد أشار إلى ذلك البخاري في الخبر المعلق عن ابن إسحاق، وذكر البخاري أن من جملة من كان في سرية بئر معونة عَمْراً الضمري، وذكر معونة بعد أحد، ولعمرو الضمري ذكر في سبب غزوة بني النضير، فبذلك تكون غزوة بني النضير بعد غزوة أحد وسرية بئر معونة. وهذا مما يؤيد ابن إسحاق ومن تابعه من أصحاب السير والمغازي، وهو ما مال إليه ابن حجر[٧٢] والسندي[٧٣] والعمري[٧٤]، وما نميل إليه معهم.

خامسا: حكم وعبر من غزوة بني النضير:

١ - إن في إخبار الله نبيه بما يبيته اليهود للغدر به دليلاً على تكرار الغدر من اليهود، والوفاء من الله تعالى بوعده القاطع لرسوله ﷺ: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، وفي هذه المعجزة وغيرها ما يجب أن يحمل الناس على الإيمان بنبوة محمد ﷺ.

٢ - إن قطع وإحراق الرسول ﷺ لبعض نخيل بني النضير، دل على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد

---

(٦٧) الدلائل (٣/١٧٦).
(٦٨) ابن هشام (٣/٢٦٧) معلقا.
(٦٩) المغازي (١/٣٦٣).
(٧٠) الطبقات (٢/٥٧).
(٧١) السيرة (٣/٢٦٨).
(٧٢) الفتح (١٥/٢٠٣/ح ٤٠٢٨).
(٧٣) مرويات يهود المدينة، ص ١٤٢.
(٧٤) المجتمع المدني - تنظيماته، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

من مصلحة في النكاية بالأعداء. وأن ذلك من قبيل ما يدخل تحت اسم السياسة الشرعية، وهو مذهب نافع ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء.

وروى عن الليث وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جواز قطع شجر الكفار وإحراقه[٧٥].

٣ - اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم من دون قتال، وهو «الفيء» يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسته ﷺ في تقسيم فيء بني النضير، ونزول القرآن الكريم مصوبا ذلك[٧٦].

٤ - في موقف الرسول ﷺ من بني النضير تقرير لمبدأ أن نقض المعاهدة إعلان للحرب.

المبحث الثامن: غزوة بدر الموعد:

خرج رسول الله ﷺ في شعبان[٧٧] سنة أربع من الهجرة لموعده الذي التزم به لأبي سفيان يوم أحد. وكان معه ألف وخمسمائة من الصحابة وعشرة أفراس، ووصل إلى بدر، وانتظر بها المشركين ثمانية أيام.

أما المشركون فقد خرج بهم أبوسفيان حتى وصل إلى مر الظهران، ونزل بمياه مجنة على بعد أربعين كيلا من مكة، ثم عاد بهم بحجة أن العام عام جدب، وكان لهذا الموقف منه أثر كبير في استعادة هيبة المسلمين بعد انتكاسة أحد[٧٨].

---

(٧٥) انظر النووي: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٥٠)، البوطي: فقه السيرة النبوية، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٥، والأم (٧/ ٣٢٤)، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للبوطي، ص ص ١٧٠ - ١٧١.

(٧٦) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٢٠٥، وذكر اختلاف الفقهاء في الأراضي التي غنمت بواسطة الحرب.

(٧٧) هذا ماقاله ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/ ٢٩٢)، أما الواقدي (١/ ٣٨٤) وابن سعد (٢/ ٥٩) وكلاهما رواه معلقا. فقد ذكرا أنها في هلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهرا من الهجرة - وابن إسحاق مقدم على الواقدي وعلى ابن سعد إذا لم يسند وإذا كان في إسناده الواقدي.

(٧٨) انظر المصادر المذكورة.

المبحث التاسع: غزوة ذات الرِّقَاع[٧٩]:

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة، وقد جنح البخاري[٨٠] إلى أنها كانت بعد خيبر، وذهب ابن إسحاق[٨١] إلى أنها بعد غزوة بني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع، وعند الواقدي[٨٢] وابن سعد[٨٣] أنها كانت في المحرم سنة خمس، وجزم أبومعشر[٨٤] أنها كانت بعد بني قريظة والخندق. والراجح عند ابن حجر[٨٥] ماذهب إليه البخاري وأبو معشر لأن أبا موسى الأشعري شهدها وقد قدم من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة، وشهدها أبوهريرة وقد أسلم حين فتح خيبر، وصلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الخوف، ولم تكن شرعت في الخندق، بل شرعت في عسفان أيام الحديبية، والحديبية سنة ست.

أما الدكتور البوطي[٨٦]، فقد جزم أنها قبل الخندق، وحجته في ذلك ما ثبت في الصحيح من أن جابرا (رضي الله عنه) استأذن الرسول ﷺ إلى بيته في غزوة الخندق وأخبر امرأته بما رأى من جوع رسول الله ﷺ وفيه قصة الطعام الذي دعا إليه النبي ﷺ ومجيء كل الجيش ومعجزة الرسول ﷺ في تكثير طعام جابر وفيه قول الرسول ﷺ لزوجة جابر: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة» وما ثبت في الصحيحين أيضا من أن الرسول الله ﷺ

---

(٧٩) أختلف في تسميتها، والراجح ما ذكره أبوموسى الأشعري في الصحيح من أنها سميت بذلك لأنهم لفوا في أرجلهم الخرق بعد أن تنقبت خفافهم، إذ كان لكل ستة بعير يتعاقبون على ركوبه، انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٠٩/ح ٤١٢٨) وفي الحديث أنه كره الحديث في أمر كهذا لأنه من أمور العبادة التي لا يريد أن يفشيها وقد احتسبها عند الله. وفي هذا دليل على مفهوم الجهاد عند سلفنا الصالح. وقال النووي تعليقا على هذا السلوك من الأشعري: «إنه يستحب للمسلم أن يخفي أعماله الصالحة وما قد يكابده من المشاق في طاعة الله تعالى، وألا يتعمد إظهار شيء من ذلك إلا لمصلحة، مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبيه على الاقتداء به ونحو ذلك. وعلى مثل هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار ببعض أعمالهم - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٩٧ - ١٩٨).

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٠٥/ ك. المغازي/ ب. غزوة ذات الرقاع) معلقا.

(٨١) ابن هشام (٣/ ٢٨٥) معلقا.

(٨٢) المغازي (١/ ٣٩٥).

(٨٣) الطبقات (٢/ ٦١).

(٨٤) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠٤).

(٨٥) انظر استدلالات ابن حجر على أنها بعد خيبر في الفتح (١٥/ ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١).

(٨٦) فقه السيرة، ص ٢١٠.

سأل جابرا في غزوة ذات الرقاع إن كان قد تزوج بعد فأجاب بنعم، مما يدل على أن الرسول ﷺ لم يكن علم شيئا عن زواجه، وأخذ الدكتور في رد أدلة ابن حجر في كونها بعد خيبر، فقال أما ما استدل به الحافظ ابن حجر من أنه ﷺ لم يصل صلاة الخوف في الأحزاب وصلاها قضاء فيجاب عنه بأنه ربما كان سبب تأخير الرسول ﷺ لها إذ ذاك استمرار الرمي بين المشركين والمسلمين بحيث لم يدع مجالا للانصراف إلى الصلاة، وربما كان العدو في جهة القبلة... أو ربما أخرها لبيان مشروعية قضاء الفائتة كيفما كانت. كما يجاب عن استدلاله بحديث أبي موسى الأشعري بما ذكره كثير من علماء السير والمغازي من أن أبا موسى إنما قصد بها غزوة أخرى سميت هي أيضا بذات الرقاع ـ بدليل أنه قال عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه... إلخ، وغزوة ذات الرقاع التي نتحدث عنها كان العدد أكثر من ذلك.

ومال الدكتور الحكمي[٨٧] والدكتور العمري[٨٨] إلى ما ذهب إليه البخاري وابن حجر، والذي نميل إليه هو ماذهب إليه الدكتور البوطي لأن حجته الخاصة بزواج جابر قبل الخندق لا تدفع وهي في الصحيحين، إضافة إلى أن البخاري قد ذكر رأيه معلقا، وحجته فقط مجيء أبي موسى بعد خيبر وهي حجة دفعها البوطي بترجيح تعدد الغزوة.

لم يقع في هذه الغزوة قتال بين المسلمين وغطفان، ولكنهم أخافوا بعضهم بعضـا، فصـلى المسلمون صلاة الخوف، وصفتها أن طائفة صفت معه، وطائفة وجاه العدو. فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم[٨٩]. وفي رواية أنه صلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين،

---

(٨٧) مرويات الحديبية، ص ص ٧٣ ـ ٨٦.
(٨٨) المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ١٣٠.
(٨٩) البخاري/ الفتح (١٥/٣٠٨/ح ٤١٢٧).

فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان[٩٠]. قال الدكتور البوطي[٩١]: «ووجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة، فصلاها مرة على النحو الأول وصلاها مرة أخرى على النحو الثاني.

وكانت هذه الصلاة بمنطقة نخل التي تبعد عن المدينة بيومين[٩٢].

لقد وقعت في هذه الغزوة أحداث ذات دلالات ومغزى كبير، منها:

١ - قصة الأعرابي:

روى البخاري[٩٣] ومسلم[٩٤] عن جابر - وغيرهما[٩٥] - عندما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر: «فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله، فهاهو ذا جالس... لم يعاقبه رسول الله ﷺ. واسم الأعرابي: غَوْرَث ابن الحارث».

ويذكر قتادة[٩٦] وابن إسحاق[٩٧] أن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ هَمّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم، فكف أيديهم

---

(٩٠) مسلم (٢/٥٧٦/ح ٣١١).
(٩١) فقه السيرة، ص ٢٠٧/حاشية، وانظر ابن حجر: الفتح (١٥/٣٠١).
(٩٢) البخاري/ الفتح (١٥/٣٠٥) - ترجمة الباب.
(٩٣) الفتح (١٥/٣١٥ - ٣١٦/ح ٤١٣٥، ٤١٣٦) وفيه تصريح باسم الأعرابي.
(٩٤) صحيحه (١/٥٧٦/ ك. صلاة المسافرين وقصرها/ ب. صلاة الخوف/ح ٨٤٣).
(٩٥) انظر أحمد: الفتح الرباني (٧/٢٠ - ٢٢)، ابن اسحاق، بإسناد متصل ولكنه فيه عمرو بن عبيد القدري الذي قال ابن كثير لا ينبغي الرواية عنه لبدعته - ابن كثير البداية والنهاية (٤/٩٥)، وابن هشام (٣/٢٨٧) والإصابة (٣/١٨٥).
(٩٦) من رواية عبدالرزاق بسنده إلى جابر من طريق معمر كما ذكر ابن كثير في التفسير (٣/٥٨ - ٥٩)، والطبري في التفسير (١٠/١٠٦)، وإسنادها صحيح. وفي الباب روايات أخرى في تفسير الآية وأسباب نزولها، ويرى الطبري أن الأقرب إلى الصحة أنها نزلت في يهود بني النضير عندما هموا بقتل الرسول ﷺ - التفسير (١٠/١٠٧ - ١٠٨) وانظر زاد المسير (٢/٣٠٨).
(٩٧) ابن هشام (٣/٢٨٧ - ٢٨٨) بإسناد متصل ولكن فيه عمرو بن عبيد القدري.

عنكم﴾(٩٨) قد نزلت في هذا الأعرابي.

وفي رواية مسدد(٩٩) عن جابر أن الأعرابي غورث عاهد الرسول ﷺ أن لا يقاتله ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: «جئتكم من عند خير الناس».

دروس وعبر من هذه القصة:

وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال. وفيها جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه(١٠٠).

٢ ـ قصة الحراسة:

وفي مرجعهم من غزوة ذات الرقاع، سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دما في أصحاب محمد ﷺ، فجاء ليلا وقد جعل الرسول ﷺ رجلين على الحراسة أثناء نومهم، وهما عَبَّاد بن بِشْر وعمار بن ياسر، فضرب عبادا بسهم وهو قائم يصلي، فنزعه، ولم يقطع صلاته، حتى رشقه بثلاثة سهام، فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: «سبحان الله، هلا نبهتني، فقال كنت في سورة اقرؤها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وايم الله، لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها»(١٠١).

دروس وعبر في هذا المقطع من السيرة:

في قصة هذين الصحابيين الجليلين كشف لطبيعة الجهاد الإسلامي، وكيف

---

(٩٨) المائدة: ١١.

(٩٩) نقله عنه ابن حجر في الفتح (٣١٧/١٥).

(١٠٠) انظر ابن حجر: الفتح (٣١٧/١٥).

(١٠١) رواه البخاري معلقا بصيغة التمريض قائلا: «ويذكر...» من حديث جابر: (صحيح البخاري: (٥٢/١/ ك. الوضوء/ ب. ٣٤ ـ من لم ير الوضوء إلا من المخرجين) ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٢٩/٣ ـ ٢٩٢)، ورواه غيره من طريقه.

كان يمارسه ويفهمه أصحاب رسول الله ﷺ. فعباد (رضي الله عنه) أراد أن يشغل شطراً من زمن حراسته الليلية بركعات خاشعة، يقف فيها أمام الله تعالى ولم يقطع صلاته لألم يشعر به، وإنما قطعها استشعارا بمسؤولية الحراسة التي كلف بها. وهذا درس بليغ في مفهوم العبادة والجهاد عند سلفنا الصالح، ولا وجه للمقارنة بينه وبين ما عليه نحن الآن!![102]

٣ ـ قصة جمل جابـر:

روى البخـاري[103] ومسلم[104] وغـيرهمـا من أهـل الحـديث، وابن إسحاق[105] وغيره من أهل السير عن جابر أنه عندما أبطأ في السير، وهم في طريق العودة من غزوة ذات الرقاع، سأله الرسول ﷺ عن السبب فقال إن جمله قد أعياه، فنزل رسول الله ﷺ يحجنه بمحجنه، ثم دعاه فركب، فأصبح الجمل يسابق جمل رسول الله ﷺ وجابر يكفه عن ذلك. ثم سأله عن حالته الاجتماعية، فذكر أنه تزوج ثيبا، فقال له الرسول ﷺ: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟». فعلل سبب زواجه من الثيب بأن له أخوات فأحب أن يتـزوج امـرأة تجمعهن وتمشـطهن وتقـوم عليهن. وطلب منـه الرسول ﷺ إذا قدم المدينة أن يعمل عملا كيسا، ثم قال له: أتبيع جملك؟ فوافق جابـر، فاشـتراه منـه بأوقية، وعنـدمـا أتى بالجمـل من الغـد إلى الرسول ﷺ أمر الرسول بلالا أن يعطيه الأوقية. فوزن له بلال فأرجح له في الميزان، وعندما ولى دعاه الرسول ﷺ ورد عليه جمله.

وفي رواية ابن اسحاق أن الرسول ﷺ قال لجابر عندما علل سبب زواجه من ثيب: «أصبت إن شاء الله» وفيها أنه قال له «... أما أنا لو قد جئنا

---

(١٠٢) انظر البوطي: فقه السيرة ص ص ٢١٣ ـ ٢١٤.
(١٠٣) الفتح (٩/١٧٢/ح ٢٠٩٧)، وما ذكرناه هو مضمون روايته.
(١٠٤) الصحيح (٢/١٠٨٩/ح ١٤٦٦).
(١٠٥) ابن هشام (٣/٢٨٨ ـ ٢٩٠) ـ بإسناد حسن. قال ابن كثير في البداية (٤/٩٩) هذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع، وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام... وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وبغيرها، أي تبوك... ومستبعد تعدد ذلك ـ يعني تكرار الحادثة.

صِرَارا[١٠٦] أمرنـا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نهارقها[١٠٧]». فقال جابر: «والله يارسول الله مالنا من نهارق، فقال النبي ﷺ: إنها ستكون... وفيها قول جابر عن الأوقية التي أعطيت له: فوالله مازال ينمي عندي، ويرى مكانه من بيتنا...».

درس وعبرة في هذه القصة:

في هذه القصة صورة كاملة ودقيقة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث اللطف في المعاشرة ورقة الحديث، وفكاهة في المحاورة ومحبة شديدة لأصحـابـه والـوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية ماديا ومعنويا. فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جمله الذي لايملك غيره لبؤس حاله، حيث إن والده مات شهيدا في أحد وترك له مجموعة من البنات والأولاد ليرعاهم، وهو مقل في الرزق، فأراد الرسول ﷺ أن ينتهز هذه الفرصة ليواسيه ويقدم له ما يستطيع من مال مبارك[١٠٨].

المبحـث العاشـر: غزوة دُوْمَة الجَنْدَل:

يتفق جمهور أهل المغازي والسير[١٠٩] أنها كانت في ربيع الأول سنة خمس من الهجرة، وبالتحديد لخمس ليال بقين من ربيع الأول[١١٠] على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة[١١١].

لم يذكر ابن إسحاق سببها، بل الذي ذكره الواقدي[١١٢] وابن سعد[١١٣]،

---

(١٠٦) موضع على مسافة ثلاثة أميال من المدينة المنورة على طريق العراق. انظر معجم البلدان (٣/٣٩٨).

(١٠٧) مفردها نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(١٠٨) انظر البوطي: فقه السيره ص ص ٢١٢ - ٢١٣.

(١٠٩) ابن إسحاق وابن هشام - معلقا - سيرة ابن هشام (٣/٢٩٧ - ٢٩٨)، الواقدي (١/٤٠٢)، ابن سعد (٢/٦٢) - معلقا.

(١١٠) لقد حدد الواقدي هذه الليالي (١/٤٠٢).

(١١١) حدد هذا الواقدي وتابعه تلميذه وكاتبه ابن سعد (٢/٦٢).

(١١٢) المغازي (١/٤٠٢ - ٤٠٤).

(١١٣) الطبقات (٢/٦٢ - ٦٣).

وخلاصته: بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعا كثيرا وأنهم يظلمون من مر بهم من الضافطة[114]، وكان بها سوق عظيم وتجار، وضوى إليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة. فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين ومعهم دليل من بني عذرة يسمى مذكور، وقبل وصول دومة الجندل بيوم أو ليلة هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب. وعندما وصل الخبر دومة الجندل، تفرقوا. وعندما وصلهم لم يجد أحدا في المكان، فأقام بها أياما، وبث السرايا التي كانت ترجع بالابل فقط، إلا سرية محمد بن مسلمة، فقد أخذ رجلا منهم وعرض عليه الاسلام، فأسلم. ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة[115].

(١١٤) جمع ضافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، وكانوا يومئذ قوما من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت ـ النهاية (٣/٢٢).

(١١٥) زاد الواقدي سببا آخر لهذه الغزوة وهو أن الرسول ﷺ أراد أن يدنو من الشام ليفزع قيصر ـ المغازي (١/٤٠٣).

الفصل التاسع

غزوة المُرَيْسِيْع (بني المُصْطَلِق):

يتفق النسابون على أن بني المصطلق بطن من بطون قبيلة خزاعة. ويرى أكثرهم أن خزاعة قبيلة قحطانية يمنية[١]، ويلتقون في نسبهم مع الأوس والخزرج في عمرو بن عامر، الجد الثاني للأوس والخزرج والرابع لبني المصطلق[٢]. وكانوا يسكنون قديدا وعسفان[٣] في منطقة متوسطة لديار خزاعة المنتشرة على الطريق من المدينة إلى مكة ما بين مَرّ الظهران[٤] وبين الأبواء[٥]. ولهذا الموقع أهمية كبرى في الصراع بين المسلمين وقريش على طريق القوافل التجارية. وقد عرفت بموقفها المسالم للمسلمين في هذا الصراع، على الرغم مما عليه خزاعة من الشرك ووجود صنم مناة على هضبة المُشَلَّل بقَدِيد من ديارهم، ويحج إليه العرب، وعلى الرغم من قربهم إلى مكة، وما كان بينهم وبين قريش من أحلاف قديمة وربما كان ذلك لسببين رئيسيين.

الأول: لصلاتهم القديمة بعبد المطلب جد الرسول ﷺ ومحالفتهم له، إذ إن العداء القديم بينهم وبين قريش والذي انتهى بإخراجهم من مكة في العهود القديمة[٦]، قد تبلور قبل ظهور الإسلام، واتخذ شكل صراع شبه دائم بينهم وبين بني بكر من كنانة، الذين كانوا في حلف مع قريش. وقد

---

(١) انظر النويري: نهاية الأرب (٢/ ٣٣٢)، القلقشندي: قلائد الجمان، ص٩٣، ابن هشام (١/ ١٣٦).

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات، ص ٧٦، ١٠٧.

(٣) الحربي: المناسك، ص ص ٤٥٨ - ٤٦٣.

(٤) تبعد عن مكة ثلاثين كيلا وشرقي مستورة بثلاثة أكيال - انظر عبدالله آل بسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (١/ ٥٨٤)

(٥) تبعد عن مكة ٢٤٠ كيلا - نظر القريبي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص ص ٥٤ - ٥٨.

(٦) ابن هشام (١/ ١٧٣) بإسناد صحيح، ابن حجر: الفتح (١٤/ ٢٠/ ك. أحاديث الأنبياء/ قصة خزاعة.

دفعهم هذا الوضع الأمني الخطير إلى السعي لمحالفة عبدالمطلب[7]. وقد روي أن الرسول ﷺ قد أقر هذا الحلف عندما جاءته خزاعة بنص الوثيقة يوم الحديبية في العام السادس الهجري[8].

ولعل وجود مناة في ديارهم والاستفادة من ذلك ماديا ومعنويا هو الذي أبطأ بحركة انتشار الإسلام وسط خزاعة عامة وبني المصطلق[9] خاصة، كما كان الحال في مكة.

وأول موقف وقفته خزاعة ضد المسلمين هو انضمامهم لجيش الأحابيش[10] الذي ساند الجيش المكي في غزوة أحد[11].

وعندما أصابت قريش ما أصابت من المسلمين في أحد تجرأ فيمن تجرأ من الأعراب على المسلمين بنو المصطلق. فقد أخذ زعيمهم الحارث بن أبي ضرار في جمع السلاح والرجال وتأليب القبائل المجاورة للقيام بهجوم على المدينة.

وعندما شعر الرسول ﷺ بهذه الحركة المريبة، أرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي للتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم، فتأكد من نيتهم، فأخبر الرسول ﷺ بذلك[12].

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة[13]

(٧) الواقدي (٢/ ٧٨١ - ٧٨٢)، اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٧٨ - ٢٧٩).
(٨) انظر المصدرين والأماكن نفسها.
(٩) انظر العمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٩٤.
(١٠) هم من انضم إلى قريش من غيرها، وتحبشوا: أي اجتمعوا، وهم القارة (عضل والديش) أبناء الهون بن خزيمة.
(١١) الواقدي (١/ ٢٠٠).
(١٢) ابن سعد (٢/ ٦٣) بأسانيد يصعب فيها التمييز بين ما فيها الواقدي والتي ليس فيها.
(١٣) هذا هو الراجح، وهو قول موسى بن عقبة الذي حكاه عن الزهري وعن عروة انظر: البداية (٤/ ١٧٦) و(٣/ ٢٦٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٥٤)، وفي إسناده ابن لهيعة من غير طريق العبادلة، ومحمد بن فليح صدوق يهم، وأخرج قول ابن عقبة: الحاكم وأبوسعيد كما في الفتح (١٥/ ٣١٨/ ك. المغازي/ ب. غزوة بني المصطلق) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٤٤). وأما نقل البخاري عن موسى بن عقبة أنها سنة أربع فكأنه سبق قلم كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٨). وتابع ابن عقبة في هذا: الواقدي (١/ ٤٠٤) وابن سعد (٢/ ٦٣)، وأبومعشر السندي، كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١٨).
أما ابن إسحاق فقد ذكر أنها كانت في شعبان سنة ست - ابن هشام (٣/ ٤٠١) معلقا. ويعارض ذلك ما في الصحيحين من اشتراك سعد بن معاذ في هذه الغزوة واستشهاده في غزوة بني قريظة، عقب الخندق مباشرة والتي كانت في شوال سنة خمس على الصحيح. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه من الكتاب. انظر مناقشة ابن حجر في هذا الأمر - الفتح (١٥/ ٣١٩).

خرج الرسول ﷺ من المدينة في سبعمائة مقاتل[١٤] وثلاثين فرسا[١٥] متوجها إلى بني المصطلق.

ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فقد روى البخاري[١٦] ومسلم[١٧] أن الرسول ﷺ أغار عليهم وهم غارون ـ أي غافلون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضِرَار.

ويروي ابن إسحاق[١٨] ـ بإسناد ضعيف ـ أن ثمة قتالاً قد وقع على ماء المريسيع، ثم انهزم بنوالمصطلق، وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فتمت قسمة ذلك بينهم. وما في الصحيح أصح وأولى بالاحتجاج به.

ويذكر الواقدي[١٩] أن المسلمين قتلوا عشرة من بني المصطلق وأسروا سائرهم ممن وجدوه على الماء، وهم مائتا أهل بيت، وغنموا ألفي بعير وخمسة آلاف شاة. ويذكر ابن إسحاق[٢٠] أن الأسرى كانوا مائة أهل بيت، وهو الصحيح. ويذكر الزرقاني[٢١] أنهم أكثر من سبعمائة، ولا تعارض بين القولين كما قال، لأن أهل البيت الواحد يمكن أن يكونوا أكثر من واحد[٢٢].

أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف يدعى هشام بن صُبَابَة، أخومقيس بن صُبَابَة، وذلك أثناء المعركة. أصابه رجل من الأنصار، من رهط عُبَادَة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ. وقدم قيس من مكة مظهرا الإسلام، وطالب بدية أخيه، فأعطي الدية، ولكنه

---

(١٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ـ المغازي، ص ٢٥٩.
(١٥) الواقدي: (١/٤٠٥).
(١٦) الفتح (١٠/٢٦٤/ح ٢٥٤١).
(١٧) صحيحه (٣/١٣٥٦/ح ١٧٣٠).
(١٨) ابن هشام (٣/٤٠٢) بإسناد مرسل.
(١٩) المغازي (١/٤١٠).
(٢٠) ابن هشام (٣/٤٠٩) بإسناد حسن.
(٢١) شرح المواهب اللدنية (٢/١١٧) ولم يسنده، واكتفى بقوله: «وقال قال بعض شيوخي...» وانظر العمري: المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ٩٧.
(٢٢) أسد الغابة (٥/٤٠٠).

لم يكتف بهذا، بل عدا على قاتل أخيه فقتله، وفر إلى مكة مرتدا. وقد أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقتله نُمَيْلَة بن عبدالله، وكان من قومه[٢٣].

وخرج في هذه الغزوة جماعة من المنافقين، وقد سجل لهم التاريخ موقفين آخرين من مواقف الخزي في هذه الغزوة، أولهما: محاولتهم إثارة الفتنة والعصبية بين المهاجرين والأنصار. وثانيهما: السعي لإيذاء الرسول ﷺ بالطعن في عرضه حين افتروا على عائشة (رضي الله عنها) ما يعرف بحديث الإفك.

الموقف الأول:

حكى زيد بن أرقم (رضي الله عنه) وجابر بن عبدالله هذا الموقف. قال زيد: «كنت في غزاة[٢٤] فسمعت عبدالله بن أبي يقول: لاتنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت لعمي[٢٥] ـ أو لعمر ـ فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ، ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون...﴾[٢٦] فبعث إليّ رسول الله ﷺ، فقال: إن الله قد صدقك يازيد»[٢٧]، ولهذا قال رسول

---

(٢٣) أسد الغابة (٥/ ٣٦٣)، الإصابة (٣/ ٥٧٤، ٦٠٣)، ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٤٠٦)، الواقدي (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٢٤) صرحت روايات أخرى بأنها غزوة بني المصطلق. انظر مسند أحمد: (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٥/ ٩٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٥) يعني سعد بن عبادة، رأس الخزرج. وهو ليس عمه الحقيقي، لأن عمه حقيقة ثابت بن قيس. انظر ابن حجر: الفتح (١٨/ ٨٤).

(٢٦) المنافقون: ١. ربما يفهم من عبارة «فجلست في البيت» الواردة في هذه الرواية أن الآية نزلت في المدينة بعد الغزوة، ولكن الثابت أنها نزلت في طريق العودة من الغزوة كما في حديث الترمذي في السنن (٥/ ٨٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وفي رواية أبي الأسود عن عروة وأبي سعيد كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٨٥). وكلمة المنزل أو البيت كانت تعني مكان رحل الرجل. انظر حديث كعب بن مالك في بيعة العقبة الثانية، ص٢٢٤ من هذا الكتاب.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٨٤/ح ٤٩٠٠)، مسلم (٤/ ٢١١٤/ح ٢٧٧٢).

الله ﷺ عن زيد: «هذا الذي أوفى الله بأُذُنه»[٢٨] وفي رواية: «وفت أذنك ياغلام»[٢٩].

أما رواية جابر (رضي الله عنه) فهي أكثر تفصيلا، وقد أشارت إلى سبب ما قاله ابن أبي. قال جابر: «كنا في غزاة فكسع[٣٠] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار[٣١]. فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري: ياللمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا يارسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة. فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام عمر فقال: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد»[٣٢].

وقد وردت روايات قوية[٣٣] أخرى تفيد أن ابن أبي قال هذا الكلام في غزوة تبوك، وهو وهم، والصحيح أنه لم يشهد تبوك[٣٤].

وأراد الرسول ﷺ أن يعالج هذا الموقف علاجا عمليا، فلذا أمر بالرحيل فورا، وسار بهم بقية يومهم ذلك والليل كله، ثم نهار اليوم التالي حتى آذتهم الشمس، ثم نزلوا، وناموا من فورهم من شدة الإجهاد، وكل ذلك

---

(٢٨) البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٩٢/ح ٤٩٠٦).

(٢٩) من مرسل للحسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٨٦).

(٣٠) المشهور فيه: ضرب الدبر باليد أو بالرجل - انظر: القاموس المحيط (٣/ ٧٨) وابن حجر: الفتح (١٨/ ٢٨٩) وقال إن ذلك كان شديداً عند أهل اليمن. وكذا قاله الطبري في التفسير (٢٨/ ١١٣).

(٣١) اسم المهاجري عند ابن اسحاق بإسناد مرسل: جهجاه بن مسعود الغفاري، أجير ابن الخطاب، والأنصاري: سنان بن وبر الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج - ابن هشام (٣/ ٤٠٢). وعند ابن حجر: جهجاه بن قيس ويقال: ابن سعيد الغفاري- الفتح (١٨/ ٢٨٩).

(٣٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٨/ح ٣٥١٨) و (١٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠/ح ٤٩٠٥)، مسلم (٤/ ١٩٩٨/ح ٢٥٨٤ وفي حديث مسلم أن الرسول ﷺ قال: «ولينصرن الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره» وفي رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل رجاله ثقات أن ابن سلول قال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول «سمن كلبك يأكلك..» ابن هشام (٣/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٣٣) الترمذي (٥/ ٨٩/ ك. التفسير)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٣/ ٢٠١/ تحفة الأحوذي) ورجاله رجال الجماعة.

(٣٤) انظر ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٦٩) وانظر كلام ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٩٠).

ليشغل الناس عن الخوض في حديث يمكن أن يؤدي إلى فتنة[٣٥].

وعندما بلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ما قاله والده، أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، إنه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في النـاس، فأقتـل رجلا مؤمنا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به، ونحسن صحبته، ما بقي معنا[٣٦]، ومنع أباه من دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله ﷺ بدخولها[٣٧].

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى ياعمر، أما والله لو قتلته يوم قلت، لأرعدت له آنُفٌ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»[٣٨].

الموقف الثاني: حديث الإفك:

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية، وخلاصتها:

كان قدر عائشـــة (رضي الله عنهـــا) أن تخرج في هذه الغـــزوة مع

---

(٣٥) ابن إسحاق بإسناد مرسل، رجاله ثقات - ابن هشام (٣/ ٤٠٤)، وله شاهد من حديث ابن أبي حاتم من مرسل عروة وعمر بن ثابت الأنصاري، وهو مرسل جيد كما قال ابن حجر في الفتح (١٨/ ٢٨٩) وأصله في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم وجابر بن عبدالله كما سبق ذكره، وبهذا يكون الحديث حسنا لغيره كما قال الدكتور قريبي في: «مرويات غزوة بني المصطلق» ص ١٩٠.

(٣٦) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٤٠٥ - ٤٠٦)، ورواه ابن منده كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٣٢٧)، والطبراني كما في المجمع (٩/ ٣١٨)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن عروة بن الزبير لم يدرك عبدالله بن عبدالله بن أبي، فهو مرسل، والبزار كما في المجمع (٩/ ٣١٨)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات».

(٣٧) الترمذي: السنن (٥/ ٩٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣٨) ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٤٠٦)، الواقدي (١/ ٤١٨).

الرسول ﷺ[٣٩]. وفي طريق العودة، وقرب المدينة، نزل المسلمون للراحة، فنزلت من هودجها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقدا لها، فرجعت تبحث عنه. وعندما عادت وجدت الرجال قد حملوا هودجها ووضعوه على بعيرها وهم يحسبونها داخله، لأنها كانت حينذاك خفيفة الوزن. فانتظرت في مكانها، فمر بها صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمِي، وعرفها، لأنه كان راها قبل أن يفرض الحجاب، فحملها على بعيره وانطلق بها إلى المدينة ودخلها بعد دخول الرسول ﷺ.

لقد استغل المنافقون هذه الحالة ونسجوا حولها قصة الإفك، وتولى كبر ذلك عبدالله بن أبي بن سلول. وأغرى بالخوض فيه مِسْطَح بن أُثَاثَة وحَمْنَة بنت جَحْش وحسان بن ثابت.

واغتم الرسول ﷺ بهذه الإشاعة، وأعلن على الملأ وفي المسجد ثقته بزوجته وبصاحبه ابن المعطل، وأبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل من يخوض في هذا الافتراء إن كان من الأوس، ولم يرض سعد بن عبادة هذا القول من سعد، لأن أصابع الاتهام كانت تشير إلى واحد من قوم عبادة، فكادت تقع الفتنة بين الحيين، كما يريدها المنافقون. ولكن الرسول ﷺ فوت عليهم الفرصة مرة أخرى وأطفأ نيران الفتنة.

واستأذنت عائشة النبي ﷺ لتمرض في بيت أبيها، وهناك علمت بخبر الإفك، ففارقها النوم، وهي تنتظر إعلام الله نبيه ببراءتها برؤيا صادقة، وترى أنها أقل شأنا من أن ينزل في أمرها وحي.

وبعد شهر من معاناتها ومعاناة الرسول ﷺ من هذا الحديث نزل الوحي بآيات في براءتها وموقف الناس من هذه الفرية: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم...﴾[٤٠].

وكان أبوبكر ينفق على قريبه مِسْطَح بن أُثَاثَة ـ ابن خال أبي بكر ـ فعندما

---

(٣٩) كان الرسول ﷺ يقرع بين نسائه فمن وقعت عليها القرعة خرجت. من رواية البزار بإسناد حسن، كما ذكر الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٣٠) ووافقه السيوطي في الدر (٥/ ٢٧).
(٤٠) النور: ١١ ـ ٢٠.

خاض في تلويث سمعة عائشة أقسم ألا ينفق عليه، فنزلت الآية ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى...﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[41]، فعاد أبوبكر إلى النفقة عليه[42]، رغبة في المغفرة.

وعاتب القرآن أولئك النفر الذين وقعوا في حبائل المنافقين: حمنة ومسطح وحسانا، فقال: ﴿لولا إذ سمعتُموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾[43].

وسجل القرآن ذلك الموقف الرائع لأولئك النفر من المؤمنين الذين وقفوا من هذا الإفك موقف المؤمن اليقظ والواثق ثقة كبيرة بآل بيت النبوة الذين طهروا من الدنس والأرجاس، منهم أبوأيوب الأنصاري وأم أيوب، فقد نزل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾[44].

روى الواحدي[45] بإسناد متصل إلى عائشة (رضي الله عنها) في سبب نزول هذه الآية: «كان أبوأيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته وقالت: ياأباأيوب ألم تسمع بما تحدث الناس؟ قال: ما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قالت: فأنزل الله (عز وجل) ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.

وروى البخاري[46] أن رجلا من الأنصار عندما سمع هذه الفرية قال: «سبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم».

وقال ابن حجر[47] في الشرح: «وقع عند ابن إسحاق أنه أبوأيوب الأنصاري، وأخرجه الحاكم من طريقه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين،

---

(٤١) النور: ٢٢.
(٤٢) البخاري/ الفتح (١٨/٥٧ - ٥٨/ح ٤٧٥٠)، ومسلم (٤/٢١٢٩/ح ٢٧٧٠) وهو أتم سياق في هذه الناحية، وتفسير الطبري (١٨/ ٨٩).
(٤٣) النور: ١٢.
(٤٤) النور: ١٦.
(٤٥) أسباب النزول، ص ٢١٨.
(٤٦) الفتح (٢٨/ ١١٠/ح ٧٣٧٠).
(٤٧) لمصدر نفسه.

وأبوبكر الآجري في طرق حديث الإفك من طريق عطاء الخراساني عن الزهري عن عروة عن عائشة.... ويلحظ أن الآية التي أشار إليها ابن إسحاق[٤٨] هي التي فيها: سبحانك هذا إفك مبين[٤٩]، وليست التي فيها: سبحانك هذا بهتان عظيم[٥٠]. وعموما فالمعنى واحد، وقد نزلتا في وقت واحد وبمناسبة واحدة، فليس ببعيد أن من بين أسباب نزولها موقف أبي أيوب وأم أيوب. وقد وافق الواقدي[٥١] ابن إسحاق، وزاد بصيغة التمريض أنها نزلت في أم الطفيل وزوجها أبي بن كعب.

وفي تفسير سنيد من مرسل سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة، قال سبحانك هذا بهتان عظيم[٥٢].

وخلاصة الأمر أن رواية الواحدي تتقوى برواية الآجري وابن إسحاق والواقدي، ويكون الخبر على أقل تقدير حسنا لغيره[٥٣].

وأقام الرسول ﷺ حد القذف على حسان ومسطح وحمنة[٥٤]. أما عبدالله ابن أبي بن سلول الذي تولى كبر الإفك فلم يقم عليه الحد، لأنه لم يترك دليلا ضده، إذ كان يستوشيه - أي يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه، ولا يدعه يخمد[٥٥].

عندما عاد الرسول ﷺ جاءته جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وذكرت له مكانتها في قومها، وطلبت منه أن يعينها في قضاء كتابها لعتق رقبتها من ثابت بن قيس بن الشماس، الذي وقعت في سهمه. فعرض عليها الرسول ﷺ أن يقضي عنها كتابتها ويتزوجها فقبلت.

فلما علم الناس بذلك أعتقوا من بأيديهم من السبي، وهم مئة أهل

---

(٤٨) ابن هشام (٣/٤١٨ - ٤١٩).
(٤٩) النور: ١٢.
(٥٠) النور: ١٦.
(٥١) المغازي (٢/٤٣٤ - ٤٣٥).
(٥٢) ابن حجر الفتح (٢٨/١١٠).
(٥٣) انظر قريبي: مرويات غزوة بني المصطلق، ص ٢٧٦.
(٥٤) رواه البزار بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في المجمع (٩/٢٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى بإسناد حسن (٨/٢٥٠).
(٥٥) مسلم (٤/٢١٣٤/ح ٢٧٧٠).

بيت، إكراما لإصهار الرسول ﷺ فيهم، «فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها[٥٦]». وكان عتقها صداقها، كما هو واضح من الخبر.

وقدم والدها الحارث إلى المدينة وطلب من الرسول ﷺ أن يخلي سبيلها، فأذن له أن يخيرها، فاختارت البقاء مع رسول الله ﷺ[٥٧].

وأسلم الحارث بن أبي ضرار وقومه، وولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه[٥٨].

أحكام وعبر في غزوة المريسيع:

١ ـ مشروعية تقسيم الغنائم بين المقاتلين بعد استثناء السلب والخمس من الغنيمة.

٢ ـ دلت معالجة الرسول ﷺ للمشكلة التي حاول ابن سلول استغلالها على حسن سياسة الرسول ﷺ في تدبير الأمور وتجنب المشاكل وتفويت الفرص على المغرضين المندسين بين صفوف المؤمنين. وكان نتيجة ذلك أن جافى ابن سلول قومه، فكانوا هم الذين يعنفونه ويفضحون دسائسه.

٣ ـ كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين. وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، لاسيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية. فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس التي تركها لنا لنستفيد منها ونقوم بها المواقف المماثلة.

٤ ـ جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية

---

(٥٦) الخبر بتمامه عند ابن اسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٥٧) ذكره ابن خياط في تاريخه، ص ٨٠، بإسناد رجاله ثقات لكنه مرسل.

(٥٨) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٩) بإسناد فيه دينار الكوفي، وهو مقبول. وحديثه يقوى بالمتابعات والشواهد، وله شاهد من مرسل قتادة بإسناد حسن، كما رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٤٧٦).

النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، فلو كان الوحي أمراً ذاتيا غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهرا كاملا. ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته. فعندما حسم الوحي اللغط الذي دار حول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت رواسب المحنة في نفس الرسول ﷺ بصفة خاصة ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة (رضي الله عنها). وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلا كبيرا على نبوة محمد ﷺ.

٥ - بينت هذه القصة مشروعية حد القذف الذي أقيم على من ثبتت إدانته، وبينت حرمة قذف المحصنات المؤمنات وكذا المحصن المؤمن، وانه من كبائر الذنوب، وعقوبته ثمانون جلده.

٦ - بيان مشروعية الاقتراع والأخذ بنتائجة بدل التخيير لما فيه من تطييب النفوس، كما في خبر اقتراع الرسول ﷺ بين نسائه عند السفر.

٧ - مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك.

الفصل العاشر

غزوة الخندق (الأحزاب):

تاريخ الغزوة:

وقعت هذه الغزوة في شوال سنة خمس كما قال ابن إسحاق[1] ومن تابعه، وهو قول الجمهور[2]، وقال الواقدي[3] إنها وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وقال ابن سعد[4] إن الله استجاب لدعاء الرسول ﷺ فهزم الأحزاب يوم أربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجره. ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى بن عقبة أنها وقعت سنة أربع هجرية[5].

ويرى العلماء أن القائلين بأنها وقعت سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، فتكون غزوة بدر عندهم في السنة الأولى، وأحد في الثانية والخندق في الرابعة، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة[6]. وجزم ابن حزم[7] أنها وقعت سنة أربع لقول ابن عمر أن

---

(١) ابن هشام (٣/٢٩٨) بدون إسناد.

(٢) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٤/١٠٥ - ١٠٦).

(٣) المغازي (٢/٤٤٠) - بدون إسناد.

(٤) الطبقات (٢/٦٥، ٧٣) بإسناد متصل، وفيه كثير بن زيد، وهو صدوق يخطيء. فالإسناد ضعيف، يقبله بعض العلماء الذين لا يرون بأساً من الاستشهاد بالضعيف غير الشديد الضعف في الأمور التي لا تتعلق بالأحكام أو العقائد.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٤/١٠٥)، صحيح البخاري: الفتح (١٥/٢٧٥/ك. المغازي/ ب. غزوة الخندق) حيث نقل قول موسى بن عقبة معلقا في ترجمة الباب، الفسوى: المعرفة والتاريخ (٣/٢٥٨).

(٦) ابن حجر: الفتح المصدر نفسه، ص ٢٧٦، وابن كثير: المصدر نفسه، البيهقي: الدلائل (٣/٣٩٦)، وقد أفاض في تاريخ هذه الغزوة، فانظره (٣/٣٩٢ - ٣٩٧)، وانظر معه كلام المحقق في حاشية ص٣٩٣.

(٧) جوامع السيرة ، ص ١٨٥.

الرسول ﷺ رده يوم أحد ـ وهي في السنة الثالثة باتفاق ـ وهو ابن أربع عشرة سنة[٨]. ولكن البيهقي[٩] وابن حجر[١٠] وغيرهما فسروا ذلك بأن ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة. وهو الموافق لقول جمهور العلماء.

سبب الغزوة:

لم تضع الحرب أوزارها بين مشركي مكة والمسلمين إلا بعد فتح مكة في العام الثامن الهجري، ولذا فمن البدهي أن تحاول قريش في كل مرة القضاء على قوة المسلمين التي ترى فيها تهديدا مستمرا لطرق قوافلها وخطرا على مكانتها بين العرب.

أرادت قريش في هذه المرة أن تحسم هذا الصراع مع المسلمين لصالحها، فحشدت له أكبر قوة ممكنة حيث لجأت إلى التحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين. ووجدوا أكبر ضالة لهم في يهود بني النضير الذين أجلوا عن المدينة، ووجد اليهود ضالتهم في قريش، فقد التقت أهداف الفريقين، وهو القضاء على المسلمين.

كان أول ما فكر فيه زعماء بني النضير الذين خرجوا إلى خيبر أن يتصلوا بقريش والقبائل الأخرى للثأر لأنفسهم والطمع في العودة إلى ديارهم وأملاكهم في المدينة. فخرج وفد منهم إلى مكة، منهم: سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق النضريون وهوذة بن قيس وأبوعمار الوائليان، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم بالقتال معهم، حتى يستأصلوه، وأفتوهم بأن دينهم خير من دين محمد ﷺ، وأنهم أولى بالحق منه، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون

---

(٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦/ح ٤٠٩٧).
(٩) الدلائل (٣/ ٣٩٦).
(١٠) الفتح (١٥/ ٢٧٦).

للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾[١١][١٢]. ثم اتجهوا بعد هذا إلى قبيلة غطفان النجدية الكبرى وأغروها بالتحالف معهم ومع قريش على حرب المسلمين[١٣]، على أن يكون لهم نصف ثمر خيبر[١٤]، إذا اشتركت معهم في الحرب، وكان وافدهم إلى غطفان كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فأجابه عيينة بن حصن الفزاري إلى ذلك[١٥].

وكتب المشركون إلى حلفائهم من بني أسد، فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبوسفيان بقريش ومن اتبعه من قبائل العرب، فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بني سليم مددا لهم بقيادة سفيان ابن عبدشمس والد أبي الأعور [١٦] وبنو مرة بقيادة الحارث بن عوف وأشجع بقيادة مسعر بن رخيلة[١٧]. وسارت مع قريش الأحابيش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة[١٨]، فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب[١٩]، وذكر ابن إسحاق[٢٠] أن عدتهم عشرة آلاف بينما كان المسلمون ثلاثة آلاف[٢١].

---

(١١) النساء: ٥١.

(١٢) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/٢٩٨ ـ ٩٩)، وابن كثير في البداية، (٤/١٠٦)، والطبري في التفسير (٨/ ٤٦٩ ـ ٤٧١/ شاكر) من حديث ابن عباس بإسناد فيه محمد بن أبي محمد ـ وهو مجهول. وذكر الطبري آراء العلماء في سبب نزول هذه الآية وخلاصة رأيه: «وأولى الأقوال بالصحة ذلك قول من قال: إن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود. وجائز أن تكون كانت الجماعة الذين سماهم ابن عباس في الخبر الذي رواه محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد، أو يكون حييا وآخر معه، إما كعبا وإما غيره». ص ٤٧١. ورواه الواقدي (٢/ ٤٤١ ـ ٤٢).

(١٣) ابن كثير: التفسير (١/ ٥١٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى ابن عباس، ورواه ابن إسحاق بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/ ٣٠٠).

(١٤) عند الواقدي (٢/ ٤٤٣) فجعلوا لهم ثمر خيبر سنة.

(١٥) من رواية موسى بن عقبة بإسناده إلى الزهري، كما في الفتح (١٥/ ٢٧٥)، ودلائل البيهقي (٣/ ٣٩٨).

(١٦) من رواية موسى بن عقبة في دلائل النبوة (٣/ ٣٩٩) والفتح لابن حجر (١٥/ ٢٧٥) وعنده أن بني سليم بقيادة أبي الأعور، ولعله خطأ، والصواب ما ذكره الواقدي وابن سعد من أنه سفيان والد أبي الأعور، من قادة معاوية (رضي الله عنه) في صفين ـ انظر: الواقدي (٢/ ٤٤٣) و ابن سعد (٢/ ٦٦).

(١٧) من رواية ابن إسحاق بإسناده إلى الزهري وغيره من مشائخه، وهو مرسل ـ ابن هشام (٣/ ٣٠٠).

(١٨) ابن إسحاق بأسانيده إلى مشائخه ـ ابن هشام (٣/ ٣٠٦).

(١٩) من رواية موى بن عقبة في دلائل البيهقي والفتح لابن حجر ـ المصدرين السابقين.

(٢٠) ابن هشام (٣/ ٣٠٦) ـ معلقا.

(٢١) ذكر الواقدي عدد جماعة من هؤلاء الأحزاب: قريش ومن تبعها من الأحابيش = ٤٠٠٠، وبنو سليم = ٧٠٠، وبنو فزارة = ١٠٠٠، وأشجع = ٤٠٠، وبنو مرة = ٤٠٠ ـ المغازي (٢/ ٤٤٣). وهؤلاء ستة آلاف وخمسمائة مقاتل، وتكون بقية العشرة آلاف مقاتل من بين اسد وبقية غطفان.

تحرك هذا الجيش العرمرم من مر الظهران في طريقه إلى المدينة. فنزلت قريش ومن سار معها بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الجُرُف وزُغابة. ونزلت غطفان بذَنب نَقْمِى إلى جانب أحد[٢٢]، ونزل معهم بنوأسد[٢٣].

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، استشار أصحابه، وقد أشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق[٢٤] في المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، أما الجهات الأخرى فكانت كالحصن تتشابك فيها الأبنية وأشجار النخيل وتحيطها الحرات التي يصعب على الإبل والمشاة التحرك فيها[٢٥].

ووافق الجميع على هذه الفكرة لعلمهم بكثرة الجموع القادمة لحربهم، وشرعوا في حفر الخندق الذي يمتد من أجم الشيخين طرف بن حارثة شرقا حتى المذاذ غربا، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعا[٢٦]. حفر المهاجرون من ناحية حصن راتج في الشرق إلى حصن ذباب، والأنصار من حصن ذباب إلى جبل عبيد في الغرب[٢٧].

وعمل المسلمون في الحفر على عجل، يبادرون قدوم القوم[٢٨]، وقد تراوحت مدة الحفر ما بين ستة أيام وأربعة وعشرين يوما. فعند ابن عقبة[٢٩]

---

(٢٢) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٣٠٦)، وفي ثلاثيات مسند أحمد للسفاريني (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، الغابة بدلا عن زغابة ولا تعارض بينهما لأن الغابة شمالي زغابة ومتجاورتان.

(٢٣) من رواية موسى بن عقبة في دلائل البيهقي والفتح لابن حجر.

(٢٤) من رواية لأبي معشر السندي في مغازيه كما ذكر ابن حجر في الفتح ١٥/ ٢٧٥ ـ معلقا، والواقدي (٢/ ٤٤٥) بأسانيده إلى مشائخه وفيهم أبومعشر ـ نجيح ـ وهو ضعيف، وفيهم الثقات والضعفاء... وابن سعد (٢/ ٦٦) معلقا.

(٢٥) من رواية موسى بن عقبة بإسناده إلى الزهري، كما في الفتح (١٥/ ٢٧٥)، ودلائل البيهقي (٣/ ٣٩٨).

(٢٦) وردت بذلك روايات ضعيفة من الناحية الحديثية، من طريق كثير بن عبدالله المزني، وهو ضعيف، فانظرها في: مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠) وتفسير الطبري (٢١/ ٣٣) وفتح الباري (١٥/ ٢٨٠) وغيرهم. وقد وثق هاروق كثير هذا.

(٢٧) الواقدي (٢/ ٤٤٥ ـ ٤٥٠)، ابن سعد (٢/ ٦٦ ـ ٦٧) ـ معلقا، شرح ثلاثيات مسند أحمد (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٢٨) من رواية ابن عقبة في الدلائل والفتح ـ سبق ذكرها.

استغرق قريبا من عشرين ليلة، وعند الواقدي[٣٠] أربعا وعشرين ليلة، وفي الروضة للنووي[٣١] خمسة عشر يوما، وعند ابن سعد ستة أيام[٣٢].

وكان طعامهم القليل من الشعير يخلط بدهن متغير الرائحة لقدمه، ويطبخ فيأكلونه على الرغم من بشاعة طعمه في الحلق ورائحته المنتنة، وذلك لشدة جوعهم[٣٣]. وحتى هذا لا يجدونه أحيانا فيأكلون التمر[٣٤]، وأحيانا لا يجدون هذا ولا ذاك لمدة ثلاثة أيام متتالية، إلى الحد الذي يعصب فيه النبي ﷺ بطنه بحجر من شدة الجوع[٣٥].

وشارك جميع المسلمين في الحفر، لا فرق بين غني وفقير ومولى وأمير، وأسوتهم في ذلك الرسول ﷺ الذي حمل التراب حتى اغبر بطنه ووارى التراب جلده، وكان الصحابة يستعينون به في تفتيت الصخرة التي تعترضهم ويعجزون عنها، فيفتتها لهم[٣٦]. ويردد معهم الأهازيج والأرجاز لتنشيطهم للعمل، فيقول:

«اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا»

وكان يمد بها صوته بآخرها[٣٧]

ويرتجز المسلمون وهم يعملون:

«نحن الذين بايعوا محمدا * على الإسلام ما بقينا أبدا»

---

(٢٩) من روايته في الفتح...
(٣٠، ٣١) الفتح (١٥/٢٧٦).
(٣٢) الطبقات (٢/٦٧) - معلقا. وقد ذكر الدكتور العمري هذا القول دون غيره، ولعله المعتمد عنده - انظر: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١١٤. ونحن نميل إلى رواية ابن عقبة لأنه من رجال الكتب الستة وثقة وإمام في المغازي، كما ذكرنا في أول هذا الكتاب، وفي أماكن أخرى.
(٣٣) البخاري/ الفتح (١٥/٢٧٨/ح ٤١٠٠).
(٣٤) ابن اسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣٠٣ - ٣٠٤)، وانظر: البداية (٤/١١٢).
(٣٥) البخاري/ الفتح (١٥/٢٧٩/ح ٤١٠١).
(٣٦) البخاري/ الفتح (١٥/٢٧٦ - ٢٧٩/ح ٤٠٩٨ - ٤١٠١)، مسلم (٣/١٤٣٠/ح ١٨٠٣).
(٣٧) البخاري/ الفتح (١٥/٢٨٥/ح ٤١٠٤) واللفظ له، ومسلم (٣/١٤٣٠ - ١٤٣٢/ح ١٨٠٣ - ١٨٠٥).

فيجيبهم بقوله:

«اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة[38]». وربما يبدؤهم بقوله فيردون عليه بقولهم[39].

من دلائل النبوة أثناء حفر الخندق:

أجرى الله سبحانه وتعالى على يدى نبيه محمد ﷺ عدة معجزات أثناء حفر الخندق، ومن ذلك:

١) عندما لحظ جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) ما يعانيه الرسول ﷺ من الجوع، استأذنه وذهب إلى زوجته وأخبرها بما رأى من المخمصة على الرسول ﷺ وطلب منها أن تصنع له طعاما، فذبح عناقا له وطحنت زوجـه صاعا من شعير بقي لهما، وصنعت بُرْمَة، وذهب جابر فدعا النبي ﷺ إلى الطعام وساره بكمية الطعام، وانه طُعَيم يكفي لرجل أو رجلين، فدعا النبي ﷺ كل من كان حاضرا وعددهم ألف، وتحير جابر وزوجته، لكن النبي ﷺ بارك في البرمة، فأكل منها كل الناس حتى شبعوا وتركوا فيها الكثير الذي أكل منه أهل جابر وأهدوا[40].

٢) أخبر عمار بن ياسر، وهو يحفر معهم الخندق، بأن ستقتله الفئة الباغية، فقتل في صفين وكان في جيش علي[41].

٣) وعنـدما اعترضت صخرة للصحابة وهم يحفرون، ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات فتفتت. قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المـدائن أبيض، ثم ضرب الثـالثة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح

---

(٣٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨/ح ٤٠٩٨)، مسلم (٣/ ١٤٣١/ح ١٨٠٥).

(٣٩) المصدرين نفسيهما.

(٤٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨٣/ وهما حديثان من طريقين بإسناديهما إلى جابر/ح ١٤٠١، ٤١٠٢) ومسلم (٣/ ١٦١٠ ـ ١١/ح ٢٠٣٩)، ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ٤٠٣ ـ ٣٠٥).

(٤١) مسلم (٤/ ٢٢٣٥/ح ٢٩١٥).

اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة[٤٢]».

وفي هذا الحديث بشارة بأن هذه المناطق سيفتحها المسلمون مستقبلا، وكان موقف المؤمنين من هذه البشارة ما حكاه القرآن الكريم ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾[٤٣]، وموقف المنافقين الذين سخروا من البشارة: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾[٤٤].

وصورت الآيات من ١٣ إلى ٢٠ من سورة الأحزاب نفسية المنافقين تصويرا دقيقا، وحكت أقوالهم في الإرجاف والتخذيل، وأساليبهم في التهرب من العمل في حفر الخندق وجهاد العدو.

وعلى الرغم من تخذيل المنافقين وقلة الطعام وشدة البرد فقد تم حفر الخندق ليكون خط دفاع متينا ثم جمع النساء والأطفال وأصحاب الأعذار في حصن فارع[٤٥]، وهو لبني حارثة، لأنه كان أمنع حصون المسلمين آنذاك[٤٦].

وكانت خطة المسلمين أن يكون ظهرهم إلى جبل سلع داخل المدينة[٤٧] ووجوههم إلى الخندق الذي يحجز بينهم وبين المشركين الذين نزلوا رومة بين الجرف والغابة ونقمى[٤٨].

وعندما نظر الرسول ﷺ في حال العدو وحال المسلمين ورأى ضعف

---

(٤٢) من رواية أحمد والنسائي بإسناد حسن كما قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣١): «رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد ونعيم العنبري، وعبدالله بن الإمام جعفر ثقة، وأما نعيم فلم نقف على ترجمته.

(٤٣) الأحزاب: ٢٢.

(٤٤) الأحزاب: ١٢.

(٤٥) مسلم (٤/ ١٨٧٩/ح ٢٤١٦) واسم الحصن عنده «أطم - حصن - حسان». وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل أن حصن فارع هو حصن حسان بن ثابت - ابن هشام (٣/ ٣١٧)، وجاء الاسم فارع مصرحا به أيضا في رواية البزار وأبي يعلى بإسناد ضعيف كما في المجمع (٦/ ١٣٣ - ١٣٤) وكشف الأستار للهيثمي (١/ ٣٣٣) وعند الواقدي (٢/ ٤٦٢).

(٤٦) رواه الطبراني كما في المجمع (٦/ ١٣٣) وقال الهيثمي: «رجاله ثقات»، وضعفه الدكتور العمري في: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١١٧، لأنه لم يقف على ترجمة لشيخ الطبراني وشيخ شيخه. وانظر الواقدي (٢/ ٤٦٩)، وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٣١٥).

(٤٧) من رواية ابن إسحاق - معلقة - ابن هشام (٣/ ٣٠٦).

(٤٨) من رواية مرسلة لعروة رواها الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٩ - ١٣٠).

المسلمين وقوة المشركين، أراد أن يكسر شوكة المشركين، فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيمي الأنصار، فاستشارهما في الصلح الذي عرضته عليه قبيلة غطفان، وهو أن يعطوا ثلث ثمار المدينة لعام كي ينصرفوا عن قتال المسلمين، ولم يبق إلا التوقيع على صحيفة الصلح، فقالا له: «لا والله ما أعطينا الدنية من أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالإسلام».
وفي رواية الطبراني أنهما قالا: «يارسول الله: أوحي من السماء فالتسليم لأمر الله، أو عن رأيك أو هواك؟ فرأينا تبع هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا، فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ما ينالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى». فقطع رسول الله ﷺ المفاوضة مع الأعراب الذين كان يمثلهم الحارث الغطفاني، قائد بني مرة[49].

وفي الجانب الآخر أراد يهود بني النضير أن يجروا معهم إخوانهم يهود بني قريظة إلى نقض العهد والغدر بالمسلمين والوقوف مع الأحزاب. فأوفدوا حييا ابن أخطب للقيام بهذه المهمة. فجاء حيي إلى كعب بن أسد القرظي. وبعد حوار طويل بينهما أقنعه بنقض العهد مع المسلمين بحجة قوة الأحزاب ومقدرتهم على استئصال المسلمين، وأغراه بأن يدخل معه حصنه عندما ينصرف الأحزاب، بعد أداء مهمتهم[50].

وكان يوما عصيبا من الدهر، ذلك اليوم الذي علم فيه المسلمون نقض بني قريظة ما بينهم وبين المسلمين من عهد. وتكمن خطورة ذلك في موقعهم الذي يمكنهم من تسديد ضربة غادرة للمسلمين من الخلف. فقد كانت ديارهم في العوالي، إلى الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور[51].

(٤٩) رواه البزار والطبراني بإسنادين كلاهما حسن ـ انظر: كشف الأستار (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) ومجمع الزوائد (٦/ ١٣٢) وتشهد له طرق أخرى ولكنها ضعيفة، مثل: رواية ابن إسحاق المعلقة ـ ابن هشام (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) وابن سعد مرسلاً مختصراً (٢/ ٧٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٢٠) بسنده إلى أبي معشر. وفي رواية ابن إسحاق ان سعد بن معاذ تناول الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال: «ليجهدوا علينا».
(٥٠) رواه ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، وموسى بن عقبة فيما نقله عنه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) وهو موقوف على شيخه الزهري.
(٥١) انظر: معجم البلدان للحموي (٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

لقد أتاه الزبير بما يدل على غدرهم، ويومها قال له الرسول ﷺ: «فداك أبي وأمي، إن لكل نبي حواريًا، وحواري الزبير[٥٢]». ولزيادة الحيطة والحذر والتأكد من مثل هذه الأمور الخطيرة، أرسل الرسول ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير، فجاءوا إلى بني قريظة وتحدثوا معهم، ووجدوهم قد نكثوا العهد ومزقوا الصحيفة التي بينهم وبين الرسول ﷺ إلا بني سعية[٥٣]، فإنهم جاؤوا إلى المسلمين وفاء بالعهد. وعاد رسل المسلمين إلى الرسول ﷺ بالخبر اليقين[٥٤].

وعندما شاع هذا الخبر خاف المسلمون على ذراريهم من بني قريظة[٥٥]، ومروا بوقت عصيب وابتلاء عظيم. ونزل القرآن واصفا هذه الحالة: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾[٥٦].

فالذين جاؤهم من فوقهم هم الأحزاب، وبنو قريظة من أسفل منهم، والذين ظنوا بالله الظنونا هم المنافقون. أما المؤمنون فقد صمدوا لهذا الامتحان. واتخذوا كل الوسائل الممكنة لاجتياز الامتحان، فنظموا فرقا للحراسة، فكان سلمة بن أسلم الأوسي أميرا لمائتي فارس وزيد بن حارثة أمير لثلثمائة فارس، يطوفون المدينة ويكبرون لإشعار بني قريظة باليقظة حتى لا تحدثهم أنفسهم بأن يغدروا بالذرية التي في الحصون[٥٧].

وعندما وصلت الأحزاب المدينة فوجئوا بوجود الخندق، فقاموا بعدة

---

(٥٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٩١/ح ٤١١٣)، مسلم (٤/ ١٨٧٩/ح ٢٤١٥) وغيرهما... وتفصيل الخبر عند الواقدي (١/ ٤٥٧) حيث ذكر أن الزبير رآهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم ـ وهذا يدل على أن الزبير نقل معلومات ظرفية.

(٥٣) جاء خبر بني سعية في رواية لابن إسحاق بإسناد معلق ـ ابن هشام (٣/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

(٥٤) من رواية ابن إسحاق المعلقة ـ ابن هشام (٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) وابن عقبة المنقطعة كما في دلائل البيهقي (٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، والواقدي (٢/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، وابن سعد (٢/ ٦٧).

(٥٥) المصدران نفساهما.

(٥٦) الأحزاب: ١٠ ـ ١١. رواه ابن اسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٣٣٩ ـ ٤٠) والطبري في التفسير (٢١/ ١٢٨ ـ ١٥٥) مرسلا عن بعض التابعين، وهي عدة آثار، وهي بمجموعها تتقوى ببعضها البعض وترتقي إلى درجة الحسن لغيره.

(٥٧) ابن سعد (٢/ ٦٧) معلقا، الواقدي (٢/ ٤٦٠).

محاولات لاقتحامه، ولكنهم فشلوا لأن المسلمين كانوا يمطرونهم بوابل سهامهم كلما هموا بذلك، ولذا استمر الحصار لمدة أربع وعشرين ليلة[٥٨].

وذكر ابن إسحاق[٥٩] وابن سعد[٦٠] أن بعض المشركين اقتحموا الخندق، وعد ابن إسحاق منهم: عَمْرو بن عبد وُدّ وعكرمة بن أبي جهل وهُبَيْرَة بن أبي وهب وضِرَار بن الخَطّاب الشاعر بن مِرْدَاس، وزاد ابن سعد واحدا على هؤلاء وهو: نَوْفَل بن عبدالله. وذكر أن عليا بارز عمرو بن عبد ود ـ فارس قريش ـ وقتله، وأن الزبير قتل نوفلا المخزومي وأن الثلاثة الآخرين فروا إلى معسكرهم.

وظلت مناوشات المشركين للمسلمين وتراشقهم معهم بالنبل دون انقطاع طيلة مدة الحصار، حتى إنهم شغلوا المسلمين يوماً عن أداء صلاة العصر، فصلوها بعد الغروب[٦١]. وذلك قبل أن تشرع صلاة الخوف، حيث شرعت في غزوة ذات الرقاع[٦٢] على رأي من يرى أن ذات الرقاع كانت بعد غزوة الخندق.

وقتل في هذه المناوشات ثلاثة من المشركين واستشهد ستة من المسلمين[٦٣] منهم سعد بن معاذ، الذي أصيب في أكحله ـ عرق في وسط الذراع ـ رماه حِبَّان بن العَرِقَة. وقد نصبت له خيمة في المسجد ليعوده الرسول ﷺ من

---

(٥٨) من رواية ابن سعد (٢/ ٧٣) بإسناد رجاله ثقات ولكنه من مراسيل ابن المسيب ومراسيله قوية، وهو أقوى إسناد في مدة الحصار. وقال ابن إسحاق: «بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر» ـ ابن هشام (٣/ ٣١٠) ـ معلقا. وروى الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٨) من مرسل قتادة بإسناد حسن أن الحصار دام شهرا، وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب كما في دلائل البيهقي (٣/ ٤٠١) أنه قريب من عشرين ليلة، وقال ابن سعد (٢/ ٧٠): «خمس عشرة ليلة».

(٥٩) ابن هشام ـ معلقا (٣/ ١١ ـ ٣١٣).

(٦٠) الطبقات الكبرى (٢/ ٦٨) معلقا. وقد أورد الطبري في تاريخه (٣/ ٤٨) مبارزة علي لابن عبد ود من مرسل الزهري، ومراسيله ضعيفة، ومن مرسل عكرمة بإسناد رجاله ثقات. وانظر محاولات اقتحام المشركين الخندق ومناوشاتهم ومبارزة علي وابن عبدود عند الواقدي (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٧٣)، وهي ملحمة بطولية وإيمانية قوية لعلي، أنصح أن يقف عندها شباب الإسلام وقفات متأنية فاحصة. ولله دره من فارس مغوار.

(٦١) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٩١/ح ٤١١١ ـ ٤١١٢) وانظر شرح ابن حجر للحديث.

(٦٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٠٦/ح ٤١٢٥).

(٦٣) من رواية ابن إسحاق والواقدي معلقا، وذكرا العدد والأسماء والقبائل ـ ابن هشام (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) ومغازي الواقدي (٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦). وذكر ابن سعد ـ معلقا (٢/ ٧٠) أسماء أربعة من الذين ذكرهم ابن إسحاق والواقدي.

قريب، ثم مات بعد غزوة بني قريظة، حين انتقض جرحه[٦٤] وكانت تقوم على تمريضه رُفَيدة الأسلمية[٦٥].

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: «حم، لا ينصرون»[٦٦].

لقد كفى الله المؤمنين القتال فهزم الأحزاب بوسيلتين: الأولى: تسخير الله نُعَيْم بن مسعود ليخذل الأحزاب، والثانية: الرياح الهوجاء الباردة.

١ - دور نُعَيْم بن مسعود:

روى ابن إسحاق[٦٧] والواقدي[٦٨] وعبدالرزاق[٦٩] وموسى بن عقبة[٧٠] أن نعيم بن مسعود الغطفاني، أتى النبي ﷺ مسلما وعرض عليه أن يقوم بتنفيذ أي أمر يريده النبي ﷺ فقال له: «إنما أنت رجل واحد فينا، ولكن خذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خُدْعَة[٧١]».

وقبل أن يُعرف إسلام نعيم، أتى بني قريظة، فأقنعهم بعدم التورط مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن، لكيلا يولوا الأدبار، ويتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين بالمدينة. ثم أتى قريشا فأخبرهم أن

---

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٩٩/ح ٤١٢٢) وقد روى البخاري أن سعدا دعا الله أن يبقيه لحرب قريش إن كان قد بقي منها شيء ليجاهد فيهم، وأن يفجر جرحه فيموت إن كان الله قد وضع الحرب بين قريش والمسلمين - إشارة إلى هذه الحرب - فانفجر جرحه، فكان سبب موته، انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٠١/ح ٤١٢٢) وزاد ابن إسحاق أنه دعا قائلا: «ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة» - ابن هشام (٣/ ٣١٦) معلقا. وانظر مناقبه عند البخاري ومسلم وغيرهما. وانظر الحديث من رواية أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ٨٢) وحسن الهيثمي إسناده كما في المجمع (٦/ ١٣٩).

(٦٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد معلق - ابن هشام (٣/ ٣٣١).

(٦٦) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ٣١٤)، وأبو دواد في سننه (٣/ ٧٤/ك. الجهاد/ ب. في الرجل ينادي بالشعار)، والترمذي في السنن (٣/ ١١٥/ك. الجهاد/ ب. الشعار) وكلاهما بالسند نفسه، وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٩) والحاكم من طرق (٢/ ١٠٧) وصححه وسكت عنه الذهبي. ويصح الحديث بالشواهد والمتابعات كما ذكر محققا سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٥).

(٦٧) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/ ٣١٩ - ٣٢٠).

(٦٨) الواقدي (٢/ ٤٨٠ - ٤٨٣).

(٦٩) المصنف (٥/ ٣٦٨ - ٣٦٩) مرسلا عن ابن المسيب. ومراسيله قوية.

(٧٠) من روايته المرسلة عن الزهري عند البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٥) وابن كثير في تاريخه (٤/ ١٢٧).

(٧١) «الحرب خدعة»، حديث للرسول ﷺ رواه البخاري/ الفتح (١٢/ ١٢٦/ح ٣٠٢٩ - ٣٠٣٠) ومسلم (٣/ ١٣٦١/ح ١٧٣٩)، وغيرهما.

بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا، وأنهم قد اتفقوا سرا مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا عددا من أشراف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم دليلا على ندمهم، وقال لهم: فإن أرسلت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلا منكم. ثم أتى غطفان وقال لهم مثل الذي قاله لقريش. وبذلك زرع بذور الشك بينهم. وأخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر بالخيانة.

٢ - معجــزة الريــاح:

هبت ريح هوجاء في ليلة مظلمة باردة، فقلبت قدور المشركين واقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رحالهم، فما كان من أبي سفيان إلا أن ضاق بها ذرعا فنادى في الأحزاب بالرحيل[٧٢]. وكانت هذه الريح من جنود الله الذين أرسلهم على المشركين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيرا﴾[٧٣].

وروى مسلم[٧٤] بسنده عن حذيفة بن اليمان طرفا مما حدث في تلك الليلة الحاسمة، قال حذيفة: «لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ : «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، . . . (ردد ذلك ثلاثا) ثم قال: قم ياحذيفة فَأْتِنا بخبر القوم، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ : «ولا تذعرهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت، وأنا أمشي

---

(٧٢) ابن سعد (٢/ ٧١) من مرسل سعيد بن جبير، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٠٦)، من رواية موسى بن عقبة المرسلة عن الزهري. ومراسيله ضعيفة.

(٧٣) الأحزاب: ٩.

(٧٤) صحيحه (٣/ ١٤١٤ - ١٤١٥/ح ١٧٨٨).

في مثل الحمام. فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها. فلم أزل نائما حتى أصبحت، فقال: قم يانومان».

وزاد ابن إسحاق[٧٥] في روايته لهذا الخبر: «... فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا و لا إناء ولا بناء، فقام أبوسفيان، فقال: يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه؟ فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي فقلت له من أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبوسفيان: يامعشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنوقريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون... فارتحلوا فإني مرتحل».

وفي رواية الحاكم[٧٦] والبزار[٧٧]: «... فانطلقت إلى عسكرهم فوجدت أباسفيان يوقد النار في عصبة حوله، قد تفرق الأحزاب عنه، حتى إذا جلست فيهم فحسب أبوسفيان أنه دخل فيهم من غيرهم، قال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فضربت بيدي على الذي على يميني وأخذت بيده، ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده، فلبثت هنيهة، ثم قمت فأتيت رسول الله ﷺ... قلت يارسول الله: تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبق إلا عصبة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجو من الله ما لا يرجون».

وختم الله هذا الامتحان الرهيب بهذه النهاية السعيدة، وجنب المسلمين شر القتال، قال تعالى معلقا على هذه الخاتمة: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾[٧٨]

---

(٧٥) ابن هشام (٣/٣٢٢) بإسناد مرسل موقوف على محمد بن كعب القرظي.

(٧٦) المستدرك (٣/٣١) وصححه ووافقه الذهبي. ورواية الحاكم والبزار ومسلم وأبي نعيم والبيهقي شاهد على رواية ابن اسحاق، وتقويها. انظرها عند أبي نعيم في دلائلة (٢/٥٠٠ - ٥٠١) والبيهقي في الدلائل (٣/٤٤٩ - ٤٥٤) من عدة طرق.

(٧٧) في كشف الأستار للهيثمي (٢/٣٣٥ - ٣٣٦) وقال في المجمع (٦/١٣٦): رواه البزار ورجاله ثقات.

(٧٨) الأحزاب: ٢٥.

وكانت هذه الخاتمة استجابة لضراعة النبي ﷺ إلى الله أثناء محنة الحصار: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[٧٩].

لقد بذلت الأحزاب أقصى ما يمكنهم لاستئصال المسلمين، ولكن الله ردهم خائبين، وهذا يعني أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئا في المستقبل، ولذا قال الرسول ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»[٨٠] وهذا علم من أعلام النبوة، لأن الذي حدث بعد هذا هو ما ذكره الرسول ﷺ.

حكم وعبر في غزوة الخندق:

١ - إن حفر الخندق يدخل في مفهوم المسلمين لقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ فينبغي على المسلمين اتخاذ وسائل القوة المتاحة مهما كان مصدرها، لأن الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها.

٢ - لقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى للحكام والمحكومين في العدالة والمساواة وعدم الاستئثار بالراحة يوم وقف جنبا إلى جنب مع أفراد جيشه ليعمل بيده في حفر الخندق. وهذه هي صفة العبودية الحقة التي تجلت في شخصية الرسول ﷺ.

٣ - أعطى الرسول ﷺ مثلا آخر على رأفته بالمؤمنين، يوم شاركهم في حفر الخندق ويوم أشركهم معه في طعيم جابر، ولم يستأثر به مع قلة من الصحابة. وفي ضوء هذه المعاني يفهم قول الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[٨١].

---

(٧٩) مسلم (٣/١٣٦٣/ح ١٧٤٢).

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٩٠/ح ٤١٠٩، ٤١١٠)، وانظر شرح ابن حجر لهذا الحديث. ورواه ابن إسحاق بلاغا - ابن هشام (٣/ ٣٥٢)، ورواه غيره. وإشارتنا إلى رواية ابن إسحاق وغيره من أهل السير إلى جانب رواية الصحيح للدلالة على أنهم أئمة في هذا الشأن وأن ما يروونه بلاغا أو منقطعا أو معلقا أو بأي صورة من صور الضعيف يمكن أن يكون له أصل في الصحيح.

(٨١) التوبة: ١٢٨.

٤ ـ إن مجموعة المعجزات التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ أيام الخندق، سواء التي كانت في حفر الخندق أو تكثير طعيم جابر أو الرياح التي كانت نقمة على المشركين، لهي مجموعة أخرى في سلسلة المعجزات الكثيرة التي أيد الله بها نبيه، ليقطع الحجة لدى المعاندين من المنافقين والمشركين وكل صنف من أصناف أعداء الدين.

٥ ـ إن الحكمة في استشارته ﷺ لبعض أصحابه في الصلح الذي اقترحته غطفان على الرسول ﷺ، هو أن الرسول ﷺ كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من ذلك الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب خذلان بني قريظة للمسلمين ونقض مواثيقهم معهم.

٦ ـ وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل مالا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله، وأفعاله التي قام بها، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابه العزيز.

وليس في هذه الاستشارة دليل على جواز دفع المسلمين الجزية إلى أعدائهم. أما إذا ألجئوا إلى اقتطاع جزء من أموالهم فعليهم التربص بأعدائهم لاسترداد حقهم المسلوب[٨٢].

٧ ـ عندما شغل المشركون الرسول ﷺ وأصحابه عن صلاة العصر، صلوها قضاء بعد المغرب، وفي هذا دليل على مشروعية قضاء الفائتة.

(٨٢) انظر هذه القضايا الفقهية عند البوطي: فقه السيرة، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

الفصل الحادي عشر

غـزوة بنـي قُرَيْظَـة:

وقعت هذه الغزوة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، في آخر ذي القعدة وأول ذي الحجة من السنة الخامسة الهجرية[1].

وواضح من سير الأحداث أن سبب الغزوة كان نقض بني قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، بتحريض من حيي بن أخطب النضري[2]. وقد سبق أن ذكرنا من رواية الصحيحين أن الرسول ﷺ أرسل الزبير لمعرفة نيتهم، ثم أتبعه بالسعدين وابن رواحة وخوات لذات الهدف ليتأكد من غدرهم.

ولأن هذا النقض وهذه الخيانة قد جاءت في وقت عصيب، فقد أمر الله تعالى نبيه بقتالهم بعد عودته من الخندق ووضعه السلاح[3]. وامتثالا لأمر الله أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يتوجهوا إلى بني قريظة، وتوكيدا لطلب السرعة أوصاهم قائلا: «لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، كما في رواية البخاري[4]، أو ـ الظهر ـ كما في رواية مسلم[5].

وعنـدمـا أدركهم الوقت في الطريق، قال بعضهم لا نصلي حتى نأتي قريظة، وقـال البعض الآخـر: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم[6]. وهذا اجتهاد منهم في مراد

---

(١) ابن سعد (٢/ ٧٤) ـ معلقا. وعنده أنه سار إليهم يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة. وهي أصلا رواية شيخه الواقدي في المغازي (٢/ ٤٩٦) أما ابن إسحاق فقال إنها سنة خمس وسكت ـ ابن هشام (٣/ ٣٢٤) معلقة.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٧٣) من مرسل سعيد بن المسيب، والرواية صالحة للاحتجاج بها مع المتابعة، ورواه أبونعيم في دلائله من هذا الطريق (٢/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥).

(٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٩٣/ح ٤١١٧).

(٤) الفتح (١٥/ ٢٩٤/ح ٤١١٩).

(٥) صحيحه (٣/ ١٣٩١/ح ١٧٧٠).

(٦) البخاري ومسلم ـ المصدرين والمكانين نفسيهما.

الرسول ﷺ[٧].

قال ابن حجر[٨]: «. . . وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين ـ البخاري ومسلم ـ باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر. وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة، الأولى الظهر وقيل للطائفة التي بعدها العصر، وكلاهما جمع لا بأس به. . .».

خرج الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل معهم ستة وثلاثون فرسا[٩] وضرب الحصار على بني قريظة لمدة خمس وعشرين ليلة على الأرجح[١٠]، وضيق عليهم الخناق حتى عظم عليهم البلاء، فرغبوا أخيرا في الاستسلام، وقبول حكم الرسول ﷺ فيهم. واستشاروا في ذلك حليفهم أبا لبابة بن عبدالمنذر (رضي الله عنه)، فأشار إلى أن ذلك يعني الذبح. وندم على هذه الإشارة، فربط نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي، حتى قبل الله توبته[١١].

وعندما نزلوا على حكم الرسول ﷺ أحب أن يكل الحكم عليهم إلى واحد من رؤساء الأوس، لأنهم كانوا حلفاء بني قريظة، فجعل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ، فلما دنا من المسلمين قال الرسول ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم، ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم. فقال له النبي ﷺ: قضيت بحكم الله تعالى»[١٢].

---

(٧) ابن إسحاق بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/ ٣٢٦).
(٨) الفتح (١٥/ ٢٩٤/ ك. المغازي).
(٩) ابن سعد (٣/ ٧٤) ـ معلقا والمعلق كما هو معلوم من أقسام الضعيف.
(١٠) من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٨١ ـ ٨٣) ورواته ممن يحتج بهم. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٤٠): «وهذا الحديث إسناده جيد». وروى الطبري في تاريخه (٢/ ٥٨٣) وفي الصحيح بعضه، بإسناد حسن، أن المدة بين الشهر والخمس وعشرين ليلة ـ بلفظ الشك، وعند ابن اسحاق خمس وعشرين ليلة ـ ابن هشام (٣/ ٣٢٦) معلقا، وهو الذي تابعه أهل السير والمغازي في ذلك. وعند ابن سعد (٢/ ٧٤) ـ معلقا ـ أنها خمسة عشر يوما. وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة كما ذكره عنه ابن حجر في الفتح (١٦/ ٣٠/ ك. المغازي/ ب. مرجعه من الأحزاب».
(١١) من رواية أحمد في المسند بإسناد حسن: الفتح الرباني (٢١/ ٨١ ـ ٨٣).
(١٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٩٨/ح ٤١٠١)، مسلم (٣/ ١٣٨٨ ـ ١٣٨٩/ح ١٧٦٨).

ونفذ الرسول ﷺ حكم الله فيهم. وكانوا أربعمائة على الأرجح[١٣]. ولم ينج إلا بعضهم[١٤]، وهم ثلاثة، لأنهم أسلموا، فأحرزوا أموالهم[١٥]، وربما نجا اثنان آخران منهم بحصولهم على الأمان من بعض الصحابة، أو لما أبدوه من التزام بالعهد أثناء الحصار[١٦]. وربما نجا آخرون لا يتجاوزون عدد أفراد أسرة واحدة، إذ يفهم من رواية عند ابن إسحاق[١٧] وغيره[١٨] أن الرسول ﷺ وهب لثابت بن قيس بن الشَّمَّاس ولد الزُّبَيْر بن بَاطَا القُرَظِي، فاستحياهم، منهم عبدالرحمن بن الزبير، الذي أسلم، وله صحبة.

---

(١٣) من رواية أحمد في مسنده، بإسناد حسن (٣/ ٣٥٠)، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان، بإسناد صحيح، وذكر ذلك ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠١). وقد اختلف في عددهم: قال ابن إسحاق: «وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول: «كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة» - ابن هشام (٣/ ٣٣٣) - معلقا. وعند ابن عائذ من مرسل قتادة: كانوا سبعمائة - ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠١). وعند ابن سعد (٢/ ٧٥)، أنهم كانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة وعند الواقدي ثلاث روايات: الأولى أنهم ستمائة، والثانية أنهم ما بين ستمائة إلى سبعمائة، والثالثة تقول إنهم كانوا سبعمائه وخمسين - المغازي (٢/ ٥١٧ - ٥١٨) قال ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠١): «فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقين كانوا أتباعا».

(١٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٢/ح ٤٠٢٨)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨/ح ١٧٦٦)، وأبوداود في سننه (٢/ ١٤٠ - ١٤١) وأبوعوانة في مسنده (٤/ ١٦٣).

(١٥) ابن إسحاق بإسناد ضعيف، في المرة الأولى فيه جهالة الشيخ من بني قريظة، وإسنادها قوي ولكنه مرسل، وفي المرة الثانية مُعَلّقاً - ابن هشام (١/ ٢٧٢) و٣/ ٣٢٩)، والذي يبدو أن إسناده الأول يتقوى مع المتابعة، وقد توبع برواية البخاري ومسلم وأبي داود وأبي عوانة التي فيها أنه لم ينج أحد إلا بعضهم، وهذا البعض هو الذي فسرته رواية ابن إسحاق هذه، وهم: ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، كما ذكر ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ٣٢٩)، وذكرهم ابن حجر في الإصابة (١/ ٣٣) وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٧٩) ضمن الصحابة.

(١٦) ذكر ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/ ٣٣٠) منهم: عمرو بن سعدي، حيث مر في تلك الليلة بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة فتركه وشأنه لأنه ممن لم يغدر بالرسول ﷺ وكذلك ذكره أبوعبيد في الأموال ص١٤٦ بإسناد ضعيف لأنه من مراسيل الزهري، وذكر ابن إسحاق بإسناد يبدو من القرائن أنه حسن - ابن هشام (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨)، كما خرجه السندي، ص ٣٧٩، وذكر ابن سلمى بنت قيس - خالة الرسول ﷺ طلبت منه أن يهب لها رفاعة بن سموأل القرظي فوهبه لها. وذكره الواقدي (٢/ ٥١٤ - ٥١٥)، ولرفاعة صحبة ورواية كما في الإصابة (١/ ٥١٨) والاستيعاب (١/ ٥٠٤) - ترجمته - والدرر، ص١٩٣.

(١٧) بإسناد ضعيف - ابن هشام (٣/ ٣٣٥ - ٣٣٦) - لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٢) - من حديث ابن إسحاق عن الزهري مرسلا، وصرح فيه بالسماع، و(٤/ ٢٠ - ٢١) من حديث موسى بن عقبة عن الزهري مرسلا والطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف لأن فيه موسى بن عبيدة - المجمع (٦/ ١٤٢)، والواقدي (٢/ ٥١٨ - ٥٢٠)، وجزم ابن عبدالبر بذلك وذكر أن لعبدالرحمن بن الزبير صحبة - انظر: الاستيعاب (٢/ ٤١٩)، والدرر، ص١٩٣. وهذه الطرق الضعيفة تدل على أن لقصة ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا أصلا، وعلى أقل تقدير أن ثابتا أحسن إلى الزبير ليد كانت للزبير على ثابت في الجاهلية.

(١٨) مثل أبي عبيد: الأموال، ص ١٤٦ بإسناد ضعيف لأنه من مرسل الزهري.

وجمعت الأسرى في دار بنت الحارث النجارية[١٩]، ودار أسامة بن زيد[٢٠] وحفرت لهم الأخاديد في سوق المدينة، فسيقوا إليها المجموعة تلو الأخرى لتضرب أعناقهم فيها[٢١]. وقتلت امرأة واحدة منهم[٢٢]، لقتلها خلاد بن سويد (رضي الله عنه) حيث ألقت عليه برحى[٢٣]. ولم يقتل الغلمان ممن لم يبلغوا سن البلوغ[٢٤].

ثم قسم الرسول ﷺ أموالهم وذراريهم بين المسلمين[٢٥].

مصير بعض سبي بني قريظة:

ذكر ابن إسحاق وغيره[٢٦] أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا.

---

(١٩) من رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٣/٣٣٣) معلقا، والواقدي (٢/٥١٢).

(٢٠) من رواية عروة في مغازيه، ص١٨٧، والواقدي (٥١٢ - ٥١٨) ويوضح الواقدي أن السبي سيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية سيقوا إلى دار رملة بنة الحارث، أما عروة فيذكر أن الرسول ﷺ أمر بأسلحتهم فجعلت في بيت، ولعل هذا البيت هو دار ابنة الحارث. ووقع في حديث جابر عند ابن عائذ التصريح بأنهم جعلوا في بيتين - ابن حجر: الفتح (١٦/ ٣٠). وهكذا يتضح من رواية الواقدي وابن عائذ أنهم حبسوا في بيتين ولذا لا معنى لكلام ابن حجر الفتح (١٦/ ٣٠) عن الكلام على الجمع بين الروايات لأن بعضها جاءت مفسرة وموضحة للأخريات.

(٢١) من رواية أحمد في المسند (٤/ ٣١٠)، والألباني: صحيح الترمذي (٣/ ١١٨/ح ٣٥٤٤) وقال: «صحيح»، وغيرهما. والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢٢) من رواية أحمد في المسند (٦/ ٢٧٧)، وأبي داود في السنن ٣/ ١٢٣/ ك. الجهاد/ ح ٢٦٧١) بإسناد حسن لذاته وعنده أن السبب لحدث أحدثته، وقال الشارح إنها شتمت النبي ﷺ، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٣٣٤)، والواقدي (٢/ ٥١٦) واسمها عنده «نباتة» وفي أصل سيرة ابن اسحاق «بثانة».

(٢٣) من رواية أحمد في المسند (٦/ ٢٧٧)، وأبي داود في السنن (٢/ ٥٠/ ك. الجهاد/ ب. قتل النساء، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥ - ٣٦) وصححه وسكت عنه الذهبي، وابن هشام - معلقا (٣/ ٣٣٥)، والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص٢٨٩. وخلاد هو الشهيد الوحيد في غزوة بني قريظة كما هو واضح من هذه الأحاديث.

(٢٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٥٦١/ ك. الحدود/ ب. في الغلام يصيب الحد/ ح ٤٤٠٤، ٤٤٠٥)، والترمذي كما في صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ١١٤/ ك. السير/ ح ١٦٤٩) ورمز له بالصحة، وابن ماجه (رقم ٥٤١)، كما ذكر الألباني في صحيح الترمذي، وأحمد في مسنده (٤/ ٣١٠١) و(٥/ ٣١١ - ٣١٢) وابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام (٣/ ٣٣٧)، وابن سعد (٢/ ٧٦ - ٧٧) بإسناد صحيح، وهو نفس طريق ابن إسحاق ورواه غير هؤلاء. والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته - انظر السندي، ص٢٨٧ و ٢٨٩.

(٢٥) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٢/ح ٤٠٢٨)، مسلم (٣/ ١٣٨٨/ح ١٧٦٦)، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا﴾. الأحزاب: ٢٧.

(٢٦) ذكره عنه الشامي في سيرته (٥/ ٢٩) وابن عبدالبر في: الاستيعاب (٢/ ٤٧/ ترجمة سعد بن زيد)، ذكره معلقا. وذكره الواقدي (٢/ ٥٢٣).

وذكر الواقدي في المغازي[٢٧] في شأن بيع سبايا بني قريظة قولين آخرين إضافة إلى ما ذكره ابن إسحاق، والقولان هما:

١ ـ بعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة إلى الشام بسبايا ليبيعهم ويشتري بهم سلاحا وخيلا.

٢ ـ اشترى عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنهما) جملة من السبايا... إلخ. ويمكن الجمع بين هذه الاقوال الثلاثة بأن ذلك كله قد حدث.

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه من نسائهم رَيْحَانَة بنت عمرو بن خُنَافَة، وأسلمت. وقد توفي عنها رسول الله ﷺ وهي في ملك يمينه، وكان ذلك باختيارها[٢٨].

أحكام وحكم ودروس وعبر من غزوة بني قريظة:

١ ـ جواز قتل من نقض العهد. ولا زالت الدول تحكم بقتل الخونة الذين يتواطؤون مع الأعداء حتى زماننا هذا.

٢ ـ جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم. كما في تحكيم ابن معاذ.

٣ ـ مشروعية الاجتهاد في الفروع، ورفع الحرج إذا وقع الخلاف فيها. فقد اجتهد الصحابة في تفسير قول الرسول ﷺ: «ألا لايصلين أحد العصر ـ أوالظهر ـ إلا في بني قريظة»، ولم يخطىء الرسول ﷺ أحدا منهم.

٤ ـ ذكر النووي[٢٩] أن جماهير العلماء احتجوا بقول الرسول ﷺ: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم...» وغيره على استحباب القيام لأهل الفضل، وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو

---

(٢٧) (٢/ ٥٢٣) وانظر: السيرة الشامية (٥/ ٢٩) والسيرة الحلبية (٢/ ٦٧٤ ـ ٧٥).

(٢٨) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/ ٣٣٩) ولكنه يتقوى بالمتابعة، فقد رواه ابن سعد (٨/ ١٣١) بإسناد رجاله ثقات يحتج بهم ما عدا الواقدي، وقد عدها من زوجات الرسول ﷺ، والواقدي (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) والطبري في التاريخ (٢/ ٥٩٢)، وعدها ابن عبدالبر ـ الاستيعاب (٤/ ٣٠٩) ـ بهامش الإصابة، وابن حجر: الإصابة (٤/ ٣٠٩) في زوجات الرسول ﷺ ـ وسيأتي ذكرها في الفصل الخاص بامهات المؤمنين. (٢٩) شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ٩٣).

جالس ويمثلون قياما طوال جلوسه، وقد وافق النووي جماهير العلماء في هذا، ثم قال: «القيام للقادم من أهل الفضل مستحب وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح. وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء[٣٠] وأجبت فيه عما توهم النهي عنه...».

٥ - قال الدكتور البوطي[٣١]: واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ماصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، لأن مشروعية إكرام الفضلاء لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته، بل إن من أبرز صفات الصالحين أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهادا في طلب هذا الشيء... «غير أن من أهم ما ينبغي أن تعلمه في هذا الصدد أن لهذا الإكرام المشروع حدودا إذا تجاوزها، إنقلب الأمر محرما، واشترك في الإثم كل من مقترفه والساكت عليه. فمن ذلك ما قد تجده في مجالس بعض المتصوفة من وقوف المريدين عليهم وهم جلوس، يقف الواحد منهم أمام شيخه في انكسار وذل... ومنه ما يفعله بعضهم من السجود على ركبة الشيخ أو يده عند قدومه عليه، أو ما يفعله من الحبو إليه عندما يغشى المجلس... فالإسلام قد شرح مناهج للتربية وحظر على المسلمين الخروج عليها، وليس بعد الأسلوب النبوي في التربية من أسلوب يقر».

---

(٣٠) وهذا الجزء المشار إليه مطبوع.
(٣١) انظر: فقه السيرة، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١.

الفصل الثاني عشر

الغزوات والسرايا والبعوث والأحداث التي وقعت بين غزوة بني قريظة وغزوة الحديبية:

المبحث الأول: سرية عبدالله بن عَتِيْك لقتل سَلَّام بن أبي الحُقَيْق (أبي رافع):

لقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ[1] وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه[2]. فقد أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ[3].

رغبت الخزرج في قتل أبي رافع مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وذلك بعد الفراغ من بني قريظة. وكان الله (سبحانه وتعالى) قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فأذن لهم، ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة[4].

فخرج من المدينة خمسة من الخزرج إلى حصن أبي رافع بخيبر من أرض الحجاز للقضاء عليه. وقد أمر الرسول ﷺ عليهم عبدالله بن عتيك.

فلما دنوا، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم، قال عبدالله لأصحابه: «اجلسوا مكانكم فإني منطلق فمتلطف للبواب لعلي أدخل». «فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته. وقد دخل الناس، فهتف به البواب: ياعبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل لأغلق، فدخل، فكمن، فأغلق البواب الباب، وعلق الأقاليد على وتد، فقام ابن

---

(١) انظر في مكانه من هذا الكتاب.
(٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢١٤/ح ٤٠٣٩).
(٣) رواه ابن عائذ من طريق أبي الاسود عن عروة، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢١٦).
(٤) هذا الجزء من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل موقوف على عبدالله بن كعب - ابن هشام (٣/ ٣٨٠).

عتيك ففتح الباب، ثم توجه إلى بيت أبي رافع، وأخذ في فتح الأبواب التي توصل إليه، وكلما فتح بابا أغلقه من داخل حتى انتهى إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله. فلم يمكنه تمييزه، فنادى: ياأبارافع، فقال: من؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت، فلم يغن شيئا، فعاد عبدالله يناديه، وفي كل مرة يغير صوته، حتى استمكن منه وقتله دون أن يؤذي أحدا من ولده أو زوجته.

ثم خرج من البيت، وكان بصره ضعيفا، فوقع من فوق السلم، فانخلعت رجله، فعصبها بعمامته، وتحامل على نفسه حتى جاء إخوانه فأخبرهم، فعادوا إلى الرسول ﷺ، فلما رآهم قال: «أفلحت الوجوه» وحدثوه بما حدث، ثم قال لعبدالله: «ابسط رجلك»، فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتكها قط[٥].

وقد اختلف أهل السير في تاريخ هذه السرية: فعند الواقدي[٦] أنهم خرجوا ليلة الاثنين في السحر لأربع خلون من ذي الحجة، على رأس ستة وأربعين شهراً من الهجرة وغابوا عشرة أيام، وعند ابن سعد[٧] أنها في رمضان سنة ست من الهجرة وعند الطبري أنها في النصف من جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية، وقيل في ذي الحجة سنة خمس، وقيل في سنة أربع، وقيل في رجب سنة ثلاث[٨].

والراجح أنه بعد الخندق وقريظة، لأنه ممن ألب الأحزاب على المسلمين. فإذا كان الرسول ﷺ قد فرغ من بني قريظة في منتصف ذي القعدة فتكون هذه السرية بعد هذا التاريخ بقليل. وعموما فإن كل ذلك لم ترد فيه روايات صحيحة من الناحية الحديثية.

(٥) من رواية البخاري/ الفتح (١٥/ ٢١٥ - ٢١٩/ح ٤٠٣٩).
(٦) المغازي (١/ ٣٩١).
(٧) الطبقات (٢/ ٩١) معلقا.
(٨) ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢١٤). وخبر هذه السرية رواه ابن إسحاق من حديث الزهري عن عبدالله بن كعب - ابن هشام (٣/ ٣٨٠)، وابن سعد (٢/ ٩١ - ٩٢)، والبيهقي في السنن (٩/ ٨٠ - ٨١)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٤٠٧ - ٤١٠)، والواقدي (١/ ٣٩١ - ٣٩٥) - فانظر زياداتهم على رواية البخاري.

المبحث الثاني: سرية محمد بن مَسْلَمَة الى القُرْطَاء:

أرسل النبي ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، وذلك في العاشر من المحرم من السنة السادسة، على رأس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة[9]. فسار إليهم يكمن النهار ويسير الليل حتى دهمهم على غرة، فقتلوا منهم عشرة، وفر الباقون. واستاقوا الإبل والشاء.

ولقيهم ثُمَامَة بن أُثَال الحنفي، سيد بني حنيفة، وهم في طريق عودتهم إلى المدينة، فأسروه، وهم لا يعرفونه. فقدموا به المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: ما عندك؟ قال: عندي يامحمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد قال له ما قال بالأمس، فأجابه ثمامة بمثل ما أجاب. فأمر رسول الله ﷺ بإطلاقه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد وتلفظ بالشهادتين، وذكر للرسول ﷺ أن وجهه أصبح أحب الوجوه إليه، وأن دينه أصبح أحب الدين كله إليه، وأن بلده أصبحت أحب البلاد كلها، إليه، بعد أن كان ذلك كله أبغض الأشياء إليه. وقال إنه كان في طريقه إلى العمرة عندما أسر، فبشره رسول الله ﷺ وأذن له بالعمرة. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت يا ثمامة. قال: لا، ولكن أسلمت، وأقسم ألا يأتيهم من اليمامة حبة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[10]. فكتبوا إلى رسول

---

(٩) الواقدي (٢/ ٥٣٤) وعنده انها على رأس خمسة وخمسين شهرا من مهاجره- ابن سعد (٢/ ٧٨) - معلقا، وعنده أنها على رأس تسعة وخمسين شهرا... ولأن قصة ثمامة في هذا الخبر من رواية أبي هريرة فقد رأى ابن كثير في البداية (٤/ ١٦٨) تأخيرها إلى ما بعد خيبر. انظر المغازي للذهبي، ص ٣٥١ في الزيادة التي بها شهود أبي هريرة خيبر.

(١٠) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ٢١٠ - ٢١١/ح ٤٣٧٢)، ورواه أيضا: مسلم (٣/ ١٣٨٦/ح ١٧٦٤)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٨٨ - ٩٠)، وأبوداود (٣/ ١٢٩/ ك. الجهاد/ ب. في الأسير يوثق/ ح ١٧٦٤)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٤٣٣ - ٤٣٩) بإسناد البخاري ولفظه، وابن إسحاق - بلاغا - ابن هشام (٣/ ٣٨٠ - ٨١). وزاد ابن شبة من طريق شيخه فليح بن محمد وابن إسحاق انه لما كان في الأسر جمعوا ما كان في بيوت النبي ﷺ فلم يصب منه إلا قليلا، فتعجبوا، فقال النبي ﷺ: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل في مَعَى واحد».

==

الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلي لهم حمل الطعام، فأذن النبي ﷺ في ذلك[١١].

فوائد من قصة ثمامة:

١) قال ابن حجر[١٢]: «وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل. وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وان الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير. وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه. وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه».

المبحث الثالث: غزوة بني لَحْيَان:

بنو لحيان هم الذين غدروا بخبيب وأصحابه يوم الرجيع. ولما كانت ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز الى حدود مكة، ولوجود ثارات بين المسلمين من جهة وقريش والأعراب من جهة أخرى، رأى رسول الله ﷺ ألا يتوغل في البلاد القريبة من العدو الرئيس. فلما وهنت عزائم الأحزاب رأى أن الوقت قد حان ليأخذ من بني لحيان ثأر أصحاب الرجيع، فخرج إليهم في مائتي صحابي، في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة ست من الهجرة[١٣]،

==

وورد حديث الرسول ﷺ هذا في صحيح البخاري/ الفتح (٢٠/ ٣٢١ - ٣٣/ح ٥٣٩٣ - ٥٣٩٨) ولم يذكر اسم الرجل مع اختلاف يسير في سبب قول الرسول ﷺ - انظر شرح ابن حجر لهذه الأحاديث في الفتح (٢٠/ ٢٣٢ - ٢٣٦)، والترمذي كتاب: الأطعمة، والدارمي والموطأ وأحمد وغيرهم...

(١١) من زيادات ابن هشام على سيرة ابن إسحاق (٢/ ٣٨١) معلقا.

(١٢) الفتح (١٦/ ٢١٢/ك. المغازي/ شرح الحديث رقم ٤٣٧٢).

(١٣) عند ابن إسحاق عن شيخيه عاصم بن عمر وعبدالله بن أبي بكر عن عبدالله بن كعب، فهو ضعيف للإرسال والعنعنة، وصرح بالتحديث في روايته عند ابن سعد (٢/ ٧٩) أنه خرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من غزوة بني قريظة - ابن هشام (٣/ ٣٨٧). وعند الواقدي (٢/ ٥٣٥) أنه خرج لهلال ربيع الأول سنة ست. ووافقه ابن سعد (٢/ ٧٨) - وإسناده معلق.

واتبع أسلوب التعمية، إذ أظهر أنه يريد الشام، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَان ـ واد بين أمج وعُسْفَان ـ حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم. وسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فسار إلى عُسْفَان، فبعث فارسين[14] إلى كُرَاع الغَمِيم[15] لتسمع به قريش فيداخلهم الرعب، ويريهم من نفسه قوة[16].

وفي عسفان استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي ﷺ بأصحابه الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة[17] هي أحب إليهم من ابنائهم وأنفسهم: فنزل جبريل (عليه السلام) على رسول الله ﷺ بهذه الآيات: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معكم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم. ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم، إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾[18][19].

وقيل إن هذه أول صلاة خوف صلاها رسول الله ﷺ[20] وللعلماء مقال

---

(14) من رواية ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/٣٨٨) وابن سعد (٢/٧٩)، وعند الواقدي (٢/٥٣٦) أنهم عشرة.

(15) موضع جنوبي عسفان بثمانية أميال، وعسفان قرب مكة.

(16) من رواية الواقدي. وإلى هنا من خبر هذه الغزوة رواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف ـ ابن هشام (٣/٣٨٧ ـ ٨٩) و ابن سعد (٢/٧٨ ـ ٨٠) من طريق ابن إسحاق، ومختصرا من طريق غيره، الواقدي (٢/٥٣٥ ـ ٥٣٧).

(17) هي صلاة العصر.

(18) النساء: ١٠٢.

(19) من رواية الإمام أحمد في المسند (٤/٥٩ ـ ٦٠) بإسنادين على شرط الشيخين كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٩٣)، وصححه الشيخ شاكر في تفسير الطبري (٩/١٣١ ـ ١٣٢)، وخرج الحديث من طرق أخرى عند الآخرين، فانظره في حاشيته، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(20) البداية والنهاية (٤/٩٤).

في كيفية صلاة الخوف والوقت الذي فرضت فيه[21].

فوائد من هذه الغـــزوة:

١) مشروعية صلاة الخوف.

٢) مشروعية المعاقبة بالمثل بقتال، وقتل من خان وغدر.

٣) مشروعية التورية والتعمية على العدو ليصاب منه غرة.

٤) مشروعية إرهاب العدو بالنزول بساحته وإظهار القوة له[22].

المبحـث الرابـع: سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن الى الغَمْر:

بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلا إلى الغمر[23] في ربيع الأول أو الآخر من العام السادس الهجري. فأسرعوا، ونذر بهم القوم وهربوا. فنزل عكاشة على مياههم وبعث الطلائع فأصابوا من دلهم على بعض ماشيتهم فوجدوا مائتي بعير، فساقوها إلى المدينة[24].

المبحـث الخامـس: سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى ذي القَصَّة[25]:

وفي ربيع الثاني من السنة السادسة الهجرية بعث رسول الله ﷺ محمد ابن مسلمة في عشرة من الصحابة إلى بني ثَعْلَبة وعُوَال ـ من ثعلبة ـ فكمن القوم لهم حتى نام مع أصحابه، فما شعروا إلا بالقوم، فقتل أصحاب محمد ابن مسلمة كلهم، أما هو فقد وقع جريحا فظنوه ميتا. فمر رجل بالقتلى، فاسترجع، فسمعه ابن مسلمة فتحرك له، فاذا هو رجل مسلم. فأطعمه

---

(٢١) انظر ذلك في تفسير الآيتين (١٠١، ١٠٢) من النساء عند الطبري في التفسير (٩/ ١٢٧ ـ ١٦٢/ شاكر) وعند ابن كثير في البداية (٤/ ٩٣ ـ ٩٤) وفي التفسير (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٦). وقد رجح الحكمي ـ مرويات غزوة الحديبية، ص ص ١١٥ ـ ١٣٢ أن أول صلاة خوف صلاها الرسول ﷺ بعسفان في الحديبية والإشكال كله في تشابه القصة التي في غزوة بني لحيان والتي في الحديبية، وأن رواية الصلاة بعسفان لم تقرن بالحديبية. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه عند الكلام على غزوة الحديبية ـ إن شاء الله.

(٢٢) انظر: هذا الحبيب محمد ﷺ ياحب، ص ٣٢٦.

(٢٣) ماء من مياه بني أسد.

(٢٤) ابن سعد (٢/ ٨٥) ـ دون إسناد، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٨٥.

(٢٥) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الربذة. كان يقطنة بنو ثعلبة وبنو عوال من ثعلبة.

وسقاه، ثم حمله إلى المدينة. فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا، ووجدوا نعما وشاء، فساقه ورجع[٢٦].

المبحث السادس: سرية زيد بن حارثة الى بني سُلَيْم بالجَمُوم:

بعثه رسول الله ﷺ في ربيع الآخر سنة ست من الهجرة، فسار حتى ورد الجموم، ناحية بطن نخل، عن يسارها، فأصابوا امرأة من مزينة، يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا في تلك المحلة نعما وشاء وأسرى. فكان فيهم زوج حليمة المزنية. وعندما عاد زيد بما أصاب وهب الرسول ﷺ للمزنية نفسها وزوجها[٢٧].

المبحث السابع: سرية زيد بن حارثة الى العِيص[٢٨]

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة ست من الهجرة، في سبعين ومائة راكب ليتعرض لعير لقريش بلغه أنها أقبلت من الشام، فتمكنوا من أخذها ومافيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا أناسا ممن كان في العير، منهم أبوالعاص بن الربيع، وقدموا بهم إلى المدينة، فاستجار أبوالعاص بزوجته زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته، وقبل الرسول ﷺ إجارتها ورد عليه ما أخذ منه[٢٩]. وجاء أبوالعاص إلى مكة وأدى

---

(٢٦) الواقدي (٢/ ٥٥١)، ابن سعد (٢/ ٨٥) ـ معلقا ـ والطبري في تاريخه من رواية الواقدي (٢/ ٦٤١) وعنده أنها في ربيع الأول، ولعل الطبري قد أخطأ في النقل عن الواقدي.

(٢٧) ابن سعد (٢/ ٨٦) ـ بدون إسناد.

(٢٨) بينها وبين المدينة أربع ليال.

(٢٩) ابن سعد (٢/ ٨٧) ـ معلقا، وزاد ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨)، والواقدي (٢/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) خبر إسلام أبي العاص ورد الرسول ﷺ عليه زوجته. وقصته إلى أمر الإجارة رواها ابن إسحاق بدون إسناد، وروى خبر رد ماله منقطعا، وروى خبر رد زينب بالنكاح الأول بإسناد متصل وفيه التصريح بالسماع، ولكن في سنده داود بن الحصين، وفيه كلام كما في التهذيب (٣/ ٦٨١). وممن روى حديث النكاح باسناد ابن إسحاق: الترمذي (٢/ ٣٠٥) وقال: «هذا حديث ليس باسناده بأس...». ورواه من غير طريق ابن إسحاق: سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٧٣) مرسلا عن الشعبي، ولعل حديث ابن إسحاق يتقوى بهذا، لأن مراسيل الشعبي صحيحة عند بعض كبار المحدثين ـ انظر كتاب المراسيل لأبي دواد، تحقيق عبدالعزيز السيروان، ص ٤٤. ويرى ابن كثير في البداية (٤/ ٢٠١) أن إسلام أبي العاص كان في سنة ثمان، سنة الفتح، لا كما ذكر الواقدي من أنه سنة ست. وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين.

إلى كل ذي حق حقه، ثم نطق بالشهادتين، وقال لهم: وما منعني أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم. ثم رجع إلى المدينة، فرد عليه الرسول ﷺ زينب بذلك النكاح الاول(٣٠).

حكم من أحداث هذه السرية:

١) استُدِلَّ بقصة زينب (رضي الله عنها) وابن الربيع على أن المرأة المسلمة إذا هاجرت إلى رسول الله ﷺ، وزوجها كافر، مقيم بدار الكفر، فإن الهجرة تفرق بينه وبين زوجته، إلا أن يقدم زوجها مسلما مهاجرا قبل أن تقضي عدتها، فإن الهجرة في هذه الحالة لا تفرق بينهما. وكذلك الحكم إذا أسلم الزوج بعد انقضاء العدة ولو طالت المدة، فهما على نكاحهما الأول، إذا اختار ذلك مالم تتزوج(٣١).

المبحث الثامن: سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف(٣٢):

بعثه الرسول ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة في خمسة عشر رجلا إلى بني ثعلبة بالطرف، فأصاب نعما وشاء، وهربت الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم. وعاد زيد وصحبه سالمين غانمين(٣٣).

المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثه إلى جُذَام من أرض حِسْمَى(٣٤):

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست إلى الضليع، بطن من جذام، لتأديبهم. إذ إن رجلين منهم لقيا دحية بن خليفة الكلبي وهو قادم من عند قيصر الروم حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له. فأغارا

---

(٣٠) ابن إسحاق، بإسناد متصل، فيه ابن الحصين. . . ابن هشام (٢/ ٣٦٨).
(٣١) انظر الشيخ سيد سابق: فقه السنة (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠) ففيه تفصيل هام.
(٣٢) ماء قريب من المرقى، وقيل المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلا من المدينة - معجم البلدان (٤/ ٣١)، وابن سعد (٢/ ٨٧).
(٣٣) ابن سعد (٢/ ٨٧) معلقا، الواقدي (٢/ ٥٥٥).
(٣٤) أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم، وقيل هي لجذام جبال وأرض. . . معجم البلدان (٢/ ٢٥٨ - ٥٩).

عليه وسلبا مامعه، فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره قبل أن يدخل بيته[٣٥].

والذي ثبت في الصحيح أن دحية الكلبي قد أرسله الرسول ﷺ إلى هرقل في مدة صلح الحديبية كما سيأتي ذكره في مكانه في مباحث «الرسل»، ولذا لم نر وجها في قول أصحاب المغازي والسير في أن بعثه إلى هرقل كان في جمادى الآخرة سنة ست.

المبحث العاشر: سرية زيد إلى وادي القُرَى[٣٦]:

كانت في رجب سنة ست من الهجرة[٣٧].

المبحث الحادي عشر: سرية عبدالرحمن بن عوف الى دُوْمَة الجَنْدَل:

في شعبان سنة ست من الهجرة دعا رسول الله ﷺ عبدالرحمن بن عوف فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال له: «بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال له: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فجاءهم ومكث فيهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم رئيسهم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا، وأسلم معه خلق كثير من قومه. وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبدالرحمن تُمَاضِر بنت الأَصْبَغ، وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سَلَمَة ابن عبدالرحمن[٣٨].

المبحث الثاني عشر: سرية علي بن أبي طالب إلى بني عبدالله بن سعد ابن بكر بِفَدَك:

بعثه الرسول ﷺ إليهم في شعبان سنة ست، عندما بلغه أن لهم جمعا

---

(٣٥) ابن إسحاق ـ معلقا ـ وفيها تفصيل ـ ابن هشام (٤/ ٣٤٥)، وابن سعد (٢/ ٨٨) معلقا والواقدي (٢/ ٥٥٥).

(٣٦) واد بين الشام والمدينة ، بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى ـ معجم البلدان (٥/ ٣٤٥).

(٣٧) ابن سعد (٢/ ٨٩) باختصار شديد.

(٣٨) ابن سعد (٢/ ٨٩) معلقا، ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ولم يسم وجهة السرية وزاد ابن هشام ـ معلقا ـ أنها سرية دومة الجندل ـ ابن هشام (٤/ ٣٦٩ ـ ٧١)، الواقدي (٢/ ٥٦٠) بإسناد متصل.

يريدون أن يمدوا يهود خيبر. وكان معه مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار. وأصاب في طريقه عينا، فأقر له أنه بعث إلى خيبر، ليعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم تمر خيبر. وعندما أمنوه دلهم على مكانهم فأغاروا عليهم، فاستاقوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنوسعد بالظعن[٣٩].

المبحث الثالث عشر: سرية زيد بن حارثة إلى بني فَزَارَة:

روى ابن هشام[٤٠] من حديث ابن إسحاق في أمر هذه السرية أن زيدا لقي بني فزارة بوادي القرى، فأصيب بها ناس من أصحابه، وحمل زيد جريحا من بين القتلى، وبه رمق. وأقسم زيد ألا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة. ـ ولعل هذه السرية هي سرية زيد إلى وادي القرى في رجب سنة ست كما ذكر ابن سعد[٤١] ـ فلما شفاه الله من جراحته، بعثه رسول الله إلى بني فزارة في سرية، فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وقتل قَيْس بن المُسَحَّر اليعمري مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن حذيفة بن بدر، وأسرت أم قِرْفَة ـ فاطمة بنت ربيعة بن بدر ـ وكانت عجوزا عند مالك ابن حذيفة بن بدر، وبنت لها وعبدالله بن مسعدة. فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة، فقتلها قتلا عنيفا، ثم قدموا إلى رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة.

وروى الذهبي[٤٢] من حديث ابن إسحاق رواية ثانية مختصرة ذكر فيها سببا آخر لإرسال الرسول ﷺ زيدا في هذه السرية، وهو أن أم قرفة الفزارية جهزت أربعين راكباً من ولدها وولد ولدها إلى رسول الله ﷺ ليقتلوه، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ سرية بقيادة زيد بن حارثة. وتقول الرواية إن زيدا قتلهم، وقتل أم قرفة، وأرسل بدرعها إلى النبي ﷺ فنصبه بالمدينة بين رمحين.

---

(٣٩) الواقدي (٢/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤)، ابن سعد (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) معلقا، ابن إسحاق مختصرا ومعلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٤٤).

(٤٠) السيرة (٤/ ٣٥١) معلقا.

(٤١) الطبقات (٢/ ٨٩) معلقا.

(٤٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وأسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن يحيى وأبيه ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وهو مدلس.

وعندما قدم زيد قام إليه الرسول ﷺ يجر ثوبه، فقبل وجهه فرحا بهذا الانتصار.

وروى الواقدي[٤٣] سببا ثالثا لهذه السرية، وذكر بعض معلومات مغايرة لما ذكره ابن إسحاق. فقد روى أن زيدا خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وأصحابه وأخذوا ما معهم. فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسله في سرية فأوقع بهم، وأخذوا أم قرفة وابنتها جارية بنت مالك، وكان الذي أخذ جارية، سلمة بن الأكوع. فسأله إياها الرسول ﷺ فأعطاها له، فوهبها الرسول ﷺ لحزن بن أبي وهب. وكان ذلك في رمضان سنة ست. ويذكر ابن اسحاق[٤٤] في رواية ثالثة والواقدي[٤٥] أن قيسا بن المسَحَّر قتل أم قرفة قتلا عنيفا، ربط بين رجليها حبلا ثم ربط بها بين بعيرين، وهي عجوز كبيرة، وقتل عبدالله بن مسعدة، وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة ابن حكمة بن مالك بن بدر. وروى الواقدي[٤٦] أن زيدا عندما جاء إلى الرسول ﷺ في بيت عائشة (رضي الله عنها) قام إليه رسول الله ﷺ يجر ثوبه عريانا، حتى اعتنقه وقبله، ثم سأله فأخبره بما أظفر الله به.

ويلحظ أن روايات الواقدي تتفق مع روايات ابن إسحاق في بعض نتائج هذه السرية، وتختلف معها في الأسباب. والذي أود أن أشير إليه هنا هو أن رواية ابن إسحاق عند الطبري والخاصة بكيفية قتل أم قرفة تتفق مع رواية الواقدي. ومن الواضح أن الروايتين مردودتان سنداً ومتنا. فسند ابن إسحاق ضعيف لعلة الإرسال وضعف ابن حميد، ولم يسقها الواقدي بأي إسناد، وحتى ولو فعل ذلك فهو متروك لا يحتج بحديثه. أما المتن فهو مخالف لهدي الرسول ﷺ في معاملة الأسرى من النساء والنهي عن قتلهن،

---

(٤٣) المغازي (٢/٥٦٤ - ٦٥) بإسناد منقطع.

(٤٤) رواها الطبري في التاريخ (٢/٦٤٣) من رواية ابن حميد عن سلمة، وموقوفة على عبدالله ابن أبي بكر، فهي مرسلة ضعيفة. وهذه الرواية تتفق مع الرواية الأولى التي أوردها ابن هشام ولكنها أكثر تفصيلا في كيفية قتل أم قرفة، وهي الكيفية التي ذكرها الواقدي.

(٤٥) المغازي (٢/٥٦٥)، معلقا.

(٤٦) المغازي (٢/٥٦٥) بإسناده إلى عائشة (رضي الله عنها).

وعن التمثيل بالقتلى، خاصة أن الروايتين لم تشيرا إلى أن أم قرفة كانت من المحاربين أو المحرضين على الحرب.

أما إذا ثبت أن أم قرفة كانت من المحاربين في صفوف الرجال فلا غضاضة من قتلها، ولكن دون التمثيل بها.

لقد روى مسلم[٤٧] وأحمد[٤٨] والبيهقي[٤٩] والطبري[٥٠] رواية صحيحة في خبر الجارية وأمها المشار إليهما عند أهل المغازي. فعندهم أن أمير السرية إلى بني فزارة كان أبا بكر (رضي الله عنه) وأن الجارية التي وهبها سلمة للنبي ﷺ، فادى بها النبي ﷺ أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين. ولم يسموا أم هذه الجارية، ولم يذكروا قتل والدتها. فاذا لم تكن السريتان مختلفتين فرواية هؤلاء هي المقبولة لأنها تتمشى في متنها مع وصايا رسول الله ﷺ في عدم قتل النساء. هذا إلى جانب صحتها من ناحية السند.

أما رواية أهل المغازي، فهي مضطربة من ناحية المتن ومخالفة لأمر النبي ﷺ في النهي عن قتل الأسرى من النساء، وعدم التمثيل بالقتلى، وضعيفة من ناحية السند، فلا يحتج بها[٥١].

المبحث الرابع عشر: سرية عبدالله بن رواحة إلى اليُسَيْر بن رِزَام اليهودي:

بلغ رسول الله ﷺ أن اليسير بن رزام أمير اليهود بخيبر بعد سلام بن أبي الحُقَيْق، أخذ يجمع غطفان ليغزوه بهم مع اليهود، فبعث إليه سرية في ثلاثين راكبا عليهم عبدالله بن رواحة، وفيهم عبدالله بن أُنَيْس، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى

---

(٤٧) صحيحه (٣/ ١٣٧٥ - ١٣٧٦/ح ١٧٥٥).
(٤٨) ابن كثير في البداية (٤/ ٢٦٤).
(٤٩) دلائل النبوة (٤/ ٢٩٠).
(٥٠) التاريخ (٢/ ٦٤٣ - ٦٤٤) وهي الرواية الثانية في ذات الموضوع، والرواية الأولى التي ذكرها هي رواية ابن إسحاق التي فيها كيفية قتل أم قرفة.
(٥١) انظر: الدكتور عبدالعزيز الهلابي: «سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة دراسة نقدية للروايات التاريخية - مجلة كلية الأداب، جامعة الملك سعود م١٣، ص ص ٦١ - ٨٢ (١٩٨٦م) وهي دراسة قيمة وجديرة بالاطلاع عليها. وفاته أن يذكر رواية ابن إسحاق عند الطبري في كيفية قتل أم قرفة، وهي الرواية التي تتفق مع رواية الواقدي في هذا الجانب كما ذكرنا.

تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، وكان هو رديف عبدالله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كانوا بِقَرْقَرَة ثِبار، على ستة أميال من خيبر، ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ، فأهوى بيده على سيف رديفه ابن أنيس، ففطن له، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بِمِخْرَش[٥٢] في يده من شَوَاحِط[٥٣]، فضرب به وجه عبدالله فأمه[٥٤]، ومال كل رجل من المسلمين على رديفه من اليهود فقتله، إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه. فلما قدم ابن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذه[٥٥].

وكانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة[٥٦].

المبحث الخامس عشر: سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العُرَنِيِّنَ:

قدم على رسول الله ﷺ جماعة من عُكَل[٥٧] وعُرَيْنَة[٥٨]، في شوال من العام السادس الهجري[٥٩]، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يانبي الله، إنا كنا

---

(٥٢) المخرش: شبه المقرعة يضرب به، وهي معوجة الرأس.

(٥٣) الشواحط: شجر النبع، من أشجار الجبال التي يتخذ منها القسي (لسان العرب ٨/ ٣٤٥).

(٥٤) فامه: أي جرحه في رأسه، والشجة المأمومة هي التي تبلغ أم الرأس والدماغ.

(٥٥) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٥٢ - ٣٥٣)، وابن سعد - معلقا (٢/ ٩٢) ولم يذكر تفل الرسول ﷺ على شجة ابن أنيس، وعروة، رواه عنه أبو الأسود وفي سنده ابن لهيعة، وفيه مقال وحديثه حسن لولا الإرسال (مغازي عروة، ص ١٩٦، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٩٣ - ٩٤)، وأبونعيم في الدلائل (٢/ ٥١٦ - ٥١٧)، وابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٤)، وموسى ابن عقبة عن الزهري مرسلا - ذكره البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٩٤) وابن كثير في البداية (٤/ ٢٤٧)، ورواه سعيد بن منصور من مرسل بريدة بن سفيان كما ذكر ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٨٣). ويلحظ أن المصادر المطبوعة تختلف في اسم أمير هذه السرية وفي اسم هذا اليهودي. فابن إسحاق وابن عقبة والواقدي وابن سعد يتفقون على أن أميرها ابن رواحة وعند عروة أنه ابن عتيك، وابن إسحاق وابن عقبة يتفقان على أن اسم اليهودي: اليسير بن رزام وعند عروة بشر بن رزام. وعند الواقدي وابن سعد يسير بن رزام. ولعل هناك بعض التصحيف عند عروة في الاسمين وعند الواقدي وابن سعد في الاسم الثاني، والواقدي من رواية عروة (٢/ ٥٦٦ - ٥٦٨) وفيه تفصيل وزيادة، من ذلك أن الرسول ﷺ بعث ابن رواحة أولا إلى خيبر في رمضان في ثلاثة نفر لمعرفة ما يدور فيها، فجاءه بخبر عزم اليسير على جمع غطفان وغزو المدينة، وقدم عليه خارجة ابن حسيل الأشجعي فاستخبره الرسول ﷺ فأفاد بان اليسير يعد للسير إلى المدينة في كتائب اليهود. وهذا يدل على مدى أهمية إخضاع خيبر لسلطة المسلمين، وهو ما تم فيما بعد.

(٥٦) الواقدي (٢/ ٥٦٦).

(٥٧) عكل: قبيلة من تيم الرباب.

(٥٨) عرينة: حي من بجيلة.

(٥٩) من رواية الواقدي (٢/ ٥٦٨) معلقة، وابن سعد (٢/ ٩٣)، معلقة.

أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بِذَوْدٍ[٦٠] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها ويتمسحوا بأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحَرَّة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذَّوْد. فبلغ النبي ﷺ خبرهم فبعث الطَّلَبَ في آثارهم[٦١]، فقبضوا عليهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة راوي الحديث ـ: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة[٦٢]، وقال في رواية أخرى: إن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود[٦٣]. وقال أبوقلابة في حديثه: «هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله[٦٤]».

قال الجمهور إن الآية: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوا من الأرض﴾[٦٥]، قد نزلت في هؤلاء العرنيين[٦٦]. وقيلت أسباب أخرى في نزولها[٦٧].

المبحث السادس عشر: سرية عمرو بن أمية الضَّمْرِي لقتل أبي سفيان:

أبدى أبوسفيان لقومه رغبته في إرسال من يقتل محمدا، فجاءه أعرابي

---

(٦٠) الذود: الإبل إذا كانت ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل ما بين الثنتين إلى التسعة. وهي من الإناث دون الذكور.

(٦١) في رواية أهل المغازي والسير أنه بعث في أثرهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارسا، وأن اسم الراعي يسار ـ ابن إسحاق ـ بإسناد ضعيف ـ ابن هشام (٤/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وابن سعد (٢/ ٩٣)، والواقدي (٢/ ٥٦٩).

(٦٢) روى حديث هذه السرية: البخاري/ الفتح (١٦/ ٣٤/ح ٤١٩٢).

(٦٣) المصدر نفسه: (٢١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩/ح ٥٦٨٥، ٥٦٨٦).

(٦٤) المصدر نفسه: (٢٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤/ح ٦٨٠٥)

وروى القصة مسلم (٣/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٨/ح ١٦٧١)، وبقية الجماعة (أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة)، وأهل المغازي والسير وانظر الطبري: التفسير (١٠/ ٢٤٤ ـ ٢٥٣).

(٦٥) المائدة: ٣٣.

(٦٦) انظر سيد سابق: فقه السنة (٢/ ٤٧١). ولمزيد من التفاصيل ومناقشة مختلف روايات هذه السرية. انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٦/ ١٨١ ـ ١٩٠).

(٦٧) انظر الطبري: التفسير (١٠/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤) حيث ذكر أسبابا أخرى في نزولها. أما الشامي فقد استوعب الروايات من مصادرها المختلفة.

فاتك باطش وقبل أداء المهمة، فزوده أبوسفيان ببعير ونفقة وأوصاه بكتمان الأمر، فجاء المدينة بعد ستة أيام، فدلوه على الرسول ﷺ في مسجد بني عبدالأشهل، فلما رآه قال: إن هذا ليريد غدراً، والله حائل بينه وبين مايريد، وعندما ذهب الأعرابي لينحني على الرسول ﷺ جبذه أسيد بن الحضير ليتنحى عن الرسول ﷺ فاذا الخنجر بداخل إزاره، فأسقط في يد الأعرابي، وعرض عليه الرسول ﷺ الأمان إن هو صَدَقَه، فأخبره بالقصة وماجعل له أبوسفيان، فخلى عنه الرسول، فأسلم.

ولهذا بعث الرسول عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم بن جريش إلى أبي سفيان ليقتلاه، فجاءا مكة، وبعد أن طافا وصليا فطن أهل مكة لعمرو وشكوا فيه، فهموا بقتله مع صاحبه، ففرا إلى المدينة[68].

المبحث السابع عشر: سرية الخَبَط[69] (سِيْف البحر)

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلثمائة راكب قبل الساحل ليرصدوا عيرا لقريش. وعندما كانوا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبوعبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمر، يقوتهم منه كل يوم قليلا قليلا، حتى كان أخيرا نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، ثم فنيت فلجؤوا إلى أكل الخبط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط. ثم نحروا من إبلهم حتى كادت تفنى، فنهاهم أبوعبيدة عن ذلك. وعندما انتهوا إلى الساحل بعد مسير نصف شهر، ألقى الله إليهم حوتا ميتا من البحر، مثل الظَّرِب[70] يقال له العَنْبَر، فأكلوا منه وادهنوا نصف شهر، فصحت أجسامهم، وأخذ أبوعبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبها فمر الراكب من تحته. ولم يلق المسلمون

---

(٦٨) ابن سعد (٢/ ٩٣ ـ ٩٤) معلقا، وابن هشام (٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥) معلقا، وليس فيه قصة أبي سفيان والأعرابي، وإسحاق بن راهويه في مسنده بإسناد فيه مجهول كما في المطالب العالية (٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٤)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢١٣) ـ مختصرا وبإسناد فيه الواقدي، والطبري في تاريخه (٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٥) من طريق ابن إسحاق، وفي سنده جعفر بن الفضل، لم يترجم له أحد، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، بإسناد فيه الواقدي.

(٦٩) الخبط: ورق العضاة من الطلح والسلم ونحوه يخبط بالعصا فيتساقط، وكانت تعلفه الإبل وقد سبق ذكر ذلك في خبر المقاطعة العامة.

(٧٠) الظرب: الجبل الصغير.

كيدا، فعادوا وأخبروا الرسول ﷺ بقصة الحوت، فقال: «كلوا رزقا أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم». فأتاه بعضهم بعضو فأكله[٧١].

وكانت هذه السرية على الأرجح قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان كما ذكر ابن سعد[٧٢] وذلك لسببين. السبب الأول: أن الرسول ﷺ لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام، والثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة سريان صلح الحديبية.[٧٣].

وذكر ابن سعد والواقدي[٧٤] ان النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر[٧٥]: إن هذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح، لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرا لقريش ويقصدون حيا من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة. ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم[٧٦] أن البعث كان إلى أرض جهينة.

إن من أبرز المسائل الفقهية التي وردت في قصة هذه السرية أن في أكل الرسول ﷺ من لحم الحوت الذي تغذى منه المسلمون مدة دليل على مشروعية أكل ميتة البحر[٧٧].

---

(٧١) رواه البخاري من عدة طرق، الفتح (١٦/ ١٩٨ - ٢٠٣/ح ٤٣٦٠ - ٤٣٦٢)، ومسلم من عدة طرق (٣/ ١٥٣٥ - ١٥٣٧/ح ١٩٣٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ٤/ ٣٧١ - ٣٧٢)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٤١ - ١٤٢) وغيرهم.

(٧٢) الطبقات (٢/ ١٣٢) معلقا، وعد الذهبي ذلك زعما - انظر: مغازي الذهبي ص ٥١٩، ووَهَّمَ ابنُ القيم ابن سيد الناس في متابعته لابن سعد في هذا التاريخ - الزاد (٣/ ٣٨٩).

(٧٣) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠) والعمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص ١٢٥.

(٧٤) المغازي (٢/ ٧٧٤).

(٧٥) الفتح (١٦/ ١٩٩).

(٧٦) صحيحه (٣/ ١٥٣٧/ح ١٩٣٥).

(٧٧) انظر ذلك في أبواب وكتب الأطعمة من أسفار الحديث والفقه.

الفصل الثالث عشر

صلح الحُدَيْبِيَة[1]:

المبحث الأول: أحداث الحُدَيْبِيَة:

خرج الرسول ﷺ وأصحابه لأداء العمرة[2] في يوم الاثنين هلال ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية[3].

وكان الرسول ﷺ يخشى أن تعرض له قريش بحرب أو يصدوه عن البيت الحرام، لذلك استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، فأبطؤوا عليه، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار وبمن لحق به من العرب[4]. وقد كشف القرآن عن حقيقة نوايا الأعراب، فقال: ﴿سيقول لك المُخَلَّفُون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضَرًا أو أراد بكم نفعا، بل كان الله بما تعملون خبيرا. بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزُين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السَّوء وكنتم قوما بورا﴾[5].

---

(١) الحديبية اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلا شمالي غربي مكة. وتعرف اليوم بالشميسي، وبها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان ـ انظر: نسب حرب، ص ٣٥٠.

(٢) أي عمرة الحديبية حيث صده المشركون ـ البخاري/ الفتح (٨/ ٨٦/ح ١٧٧٨).

(٣) الواقدي (٢/ ٥٧٣)، ابن سعد (٢/ ٩٥) ـ معلقا، والتصريح بيوم الاثنين وهلال ذي القعدة من رواية، ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٤٢٦). ورواه موسى بن عقبة والزهري وقتادة كما في دلائل البيهقي (٣/ ٩١). وشذ هشام بن عروة في روايته عن أبيه حين قال إن خروج الرسول ﷺ إلى الحديبية كان في رمضان والحديبية في شوال ـ البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٢)، وابن كثير في البداية (٤/ ١٨٥). ورواه البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٠ ـ ٩١) بإسناد حسن ولكنه مرسل عن نافع مولى ابن عمر، وفيها أنها في ذي القعدة سنة ست، وكونها في ذي القعدة صرح به حديث البخاري في الفتح (٨/ ٨٦). وهكذا فالجمهور على أنها في ذي القعدة سنة ست.

(٤) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٤٢٧)، الواقدي (٢/ ٥٧٤ ـ ٧٥).

(٥) الفتح : (١١ ـ ١٢).

وقد ذكر مجاهد[٦] أن الأعراب الذين عنتهم الآية هم أعراب جهينة ومزينة، وذكر الواقدي[٧] أن الأعراب الذين تشاغلوا بأموالهم وأولادهم وذراريهم هم بنوبكر ومزينة وجهينة.

ويفهم من رواية البخاري[٨] أن المسلمين كانوا يحملون أسلحتهم استعدادا للدفاع عن أنفسهم في حالة الاعتداء عليهم.

لقد اتفق خمسة من الذين كانوا في هذه الغزوة على أن عدد من خرج فيها كانوا ألفا واربعمائة رجل[٩].

ولقد صلى المسلمون وأحرموا بالعمرة عندما وصلوا إلى ذي الحليفة[١٠]، وقلد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره، وعددها سبعون بدنة[١١]. وبعث بين يديه بُسْرَ بن سفيان الخزاعي الكعبي عينا له إلى قريش ليأتيه بخبرهم[١٢].

وعندما وصل المسلمون الروحاء[١٣] جاءه نبأ عدو بضيقة، فأرسل إليهم طائفة من أصحابه، فيهم أبوقتادة الأنصاري، ولم يكن محرما، فرأى حمارا وحشيا، فحمل عليه فطعنه، ورفض أصحابه أن يعينوه عليه، ولكنهم أكلوا منه وهم حرم، ثم شكوا في حل ذلك، فعندما التقوا بالرسول ﷺ في السقيا[١٤]، استفتوه في الأمر، فأذن لأصحابه بأكل ماجاؤوه به من بقية

---

(٦) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٧) بإسناد حسن إلى مجاهد، وهو مرسل، ويشهد له مرسل قتادة في أن الآية نزلت في الأعراب الذين تخلفوا عن الرسول ﷺ في غزوة الحديبية ـ الطبري (٢٦ ـ ٧٨).

(٧) المغازي (٢/ ٥٧٤) بأسانيده ولم يذكر الآيتين.

(٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٩/ح ٤١٧٨، ٤١٧٩)، وقد ذكر الواقدي أنهم لم يحملوا معهم السلاح، وهو مخالف لما في الصحيح ـ انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٣).

(٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥/ح ٤١٥١) و (١٦/ ١٧/ح ٤١٥٤) من حديثي البراء وجابر، مسلم (٣/ ١٤٣٣/ح ١٨٠٧) و(٣/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٥/ح ١٨٥٦، ١٨٥٨) من روايتي جابر ومعقل بن يسار، وإن كان ابن يسار قد قدم للعدد بكلمة «زهاء» مما يدل على عدم الجزم، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٩٨) من حديث المسيب بن حزن والد سعيد بن المسيب.
وهناك روايات أخرى تقول بغير هذا العدد فانظر مناقشتها عند ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٤) وخلاصتها أن الجمع بينها وبين هذه ليس بمتعذر، والاختلاف ليس بكبير، وعند الذهبي في المغازي ص ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥، والنووي في شرحه على مسلم (١٣/ ٢) وهو بنحو كلام ابن حجر.

(١٠) البخاري/ الفتح (٨/ ١٤/ح ١٦٩٤، ١٦٩٥).

(١١) مسند أحمد (٤/ ٣٢٣ و ٣٢٨) بإسناد حسن، ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ٤٢٧).

(١٢) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٩/ح ٤١٧٨، ٤١٧٩)، أحمد في المسند (٤/ ٣٢٣) بإسناد رجاله ثقات وفيه عنعنة ابن إسحاق ولكنه صرح بالتحديث في روايته في سيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٨) فأصبح الإسناد حسنا، وفيه التصريح باسم العين الذي أرسل.

(١٣) الروحاء: على بعد ٧٣ كيلا عن المدينة المنورة.

(١٤) السقيا: على بعد ١٨٠ كيلا عن المدينة المنورة.

اللحم ماداموا لم يعينوا على صيده[١٥].

وعندما وصلوا عسفان[١٦] جاءهم بسر بن سفيان الكعبي بخبر قريش فقال: «يارسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العُوذُ المطافيل[١٧] قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طُوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموا كُرَاع الغَمِيم»[١٨]. فاستشار[١٩] النبي ﷺ أصحابه في أن يغيروا على ديار الذين ناصروا قريشا واجتمعوا معها ليدعوا قريشا ويعودوا للدفاع عن ديارهم، فقال أبوبكر (رضي الله عنه): «يارسول الله، خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه». فقال رسول الله ﷺ «امضوا على اسم الله»[٢٠].

وعندما علم الرسول ﷺ بقرب خيل المشركين منهم صلى بأصحابه صلاة الخوف بعُسْفَان[٢١].

ولتفادي الاشتباك مع المشركين، سلك الرسول ﷺ طريقا وعرة عبر ثَنِيَّة المِرَار، وهي مهبط الحديبية، وقال عندما وصلها: «من يصعد الثنية ثنية المرار

---

(١٥) البخاري/ الفتح (٨/ ١٣٩ - ١٤٦/ح ١٨٢١).

(١٦) على بعد ٨٠ كيلا من مكة.

(١٧) العوذ: جمع عائذ، وهو من الإبل الحديثة النتاج. والمطافيل: جمع مطفل: التي معها أولادها، والمراد أنهم خرجوا ومعهم النساء والأولاد لئلا يفروا عنهم، وهو على الاستعارة.

(١٨) سبق ذكره، وهو واد أمام عسفان على بعد ٦٤ كيلا عن مكة - البلادي ص ٢٦٤ قال الزهري: «وكان أبوهريرة يقول: ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابة من رسول الله ﷺ - من رواية أحمد عن عبدالرزاق، وساقه ابن حبان عن طريقه - كما في الفتح (١١/ ١٦٠).

(١٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٩/ح ٤١٧٨، ٤١٧٩) وفيه: «غدير الأشطاط» بدلا عن «عسفان». وغدير الأشطاط قريبة من عسفان كما في رواية أحمد - انظر ابن حجر: الفتح (١١/ ١٦٠) ومسند أحمد (٤/ ٣٢٣) من حديث ابن إسحاق، ولم يصرح فيه بالسماع، والإسناد متصل ورجاله ثقات.

(٢٠) أبوداود: السنن مع معالم السنن (٢/ ٢٨/ك. الصلاة/ ب. صلاة الخوف/ح ١٢٣٦) وقال المحقق: «وأخرجه النسائي في صلاة الخوف، وحديث ١٥٥٠ و ١٥٥١، وقال المنذري في مختصره: «وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح...» يعني هذا الإسناد الذي عند أبي داود عن مجاهد عن أبي عياش الزرقي»، الحاكم (٣/ ٣٣٨) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥٧) وابن كثير في تفسيره (١/ ٥٤٨). والحديث لم يحدد الغزوة، ولكن ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣١١) رجح أنها الحديبية. ويؤيده أن خالد بن الوليد ذكر وجوده قرب عسفان وكان ذلك في غزوة الحديبية - انظر الحكمي: مرويات غزوة الحديبية، ص ص ٧٧ - ٨٦، والعمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ١٣٠.

(٢١) مسلم (٤/ ٢١٤٤/ح ٢٧٨٠).

فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل»، فكان أول من صعدها خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس[٢٢].

وعندما أحس بتغيير المسلمين خط سيرهم رجع إلى مكة، وخرجت قريش للقاء المسلمين، فعسكرت ببلدح[٢٣]، وسبقوا المسلمين إلى الماء هنا.

وعندما اقترب الرسول ﷺ من الحديبية بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة (رضي الله عنهم): «خلأت[٢٤] القصواء»، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها فوثبت، ثم عدل عن دخول مكة وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد ـ بئر ـ قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فجاش لهم بالري فارتووا جميعا[٢٥]، وفي رواية أنه جلس على شفة البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر[٢٦]: ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معا وقعا، كما ذكر ابن حجر[٢٧]. ويؤيده ما ذكره الواقدي[٢٨] وعروة[٢٩] من أن الرسول ﷺ تمضمض في دلو وصبه في البئر ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت.

ولخصائص قريش ومكانتها بين العرب، حرص الرسول ﷺ على إسلامهم، وتحسر على عنادهم وخسارة أرواحها في الحروب مع المسلمين، فها هو يعبر عن هذه الحسرة بقوله: «ياويح قريش، أكلتهم الحرب، ماذا

---

(٢٢) واد بمكة من جهة المغرب، أعلاه في وادي العشر وأوسطه منطقة الزاهر اليوم، ومصبه في مر الظهران شمالي الحديبية ـ (البلادي: ص٤٩، معجم البلدان (١/ ٤٨٠).

(٢٣) دلائل النبوة للبيهقي (١١٢/٤) من مرسل عروة بإسناد ضعيف، الواقدي (٥٨٢/٢) وابن سعد (٥٩/٢) معلقا.

(٢٤) بركت وحرنت من غير علة ظاهرة، فلم تبرح مكانها.

(٢٥) البخاري/ الفتح (١٦٢/١١ ـ ٦٣/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢٦) البخاري/ الفتح (٧٥/١٤/ح ٣٥٧٧).

(٢٧) الفتح (١٦٤/١١/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢٨) المغازي (٥٨٨/٢).

(٢٩) من رواية أبي الأسود عنه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦٤/١١).

عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش، والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[٣٠]. . .»[٣١].

بذل الرسول ﷺ ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حربا معهم، وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه، وهو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا ألجئوا إليه، وطمعا في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة.

فأتاه بُدَيْل بن وَرْقَاء في رجال من خزاعة، وكانت خزاعة عَيْبَة[٣٢] نصح رسول الله ﷺ من أهل تِهامة، وبينوا أن قريشا تعتزم صد المسلمين عن دخول مكة، فأوضح لهم الرسول ﷺ سبب مجيئه وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، واقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبوا فلا مناص من الحرب ولو كان في ذلك هلاكه، فنقلوا ذلك إلى قريش[٣٣]، وقالوا لهم: يامعشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمدا لم يأت لقتال وإنما جاء زائرا هذا البيت، فاتهموهم وخاطبوهم بما يكرهون، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تتحدث بذلك العرب»[٣٤].

وأراد الرسول ﷺ أن يؤكد هدفه من هذه الزيارة ويشهد على ذلك كل العرب، ولذا أرسل إلى قريش خِرَاش بن أُمَيَّة الخُزَاعي على جمله «الثعلب»، ولكنهم عقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش[٣٥]،

---

(٣٠) السالفة: صفحة العنق.

(٣١) أحمد: المسند (٤/ ٣٢٣) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٢٨).

(٣٢) أي خاصته وأصحاب سره، كأنه شبه الصدر الذي هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع الثياب.

(٣٣) البخاري/ الفتح/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣٤) مسند أحمد: (٤/ ٣٢٤) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٣٢).

(٣٥) من رواية ابن اسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٣٥ - ٤٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٤). والفتح الرباني (٢١/ ١٠١ - ١٠٤) بإسناد حسن، وابن سعد (٢/ ٩٦ - ٩٧) معلقا ومختصرا.

لأنهم من قومه[٣٦].

ثم دعا الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال عمر: «يارسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان». فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إليهم. فنزل عثمان في حماية وجوار أَبان ابن سعيد بن العاص الأموي حتى أدى رسالته، وأذنوا له بالطواف بالبيت، فقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ». واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل[٣٧]. ولذلك دعا رسول الله ﷺ أصحابه للبيعة تحت شجر سَمُرة، فبايعوه جميعا على الموت[٣٨]، سوى الجد بن قيس، وذلك لنفاقه[٣٩]. وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر[٤٠]، وفي رواية على عدم الفرار[٤١]، ولا تعارض في ذلك لأن المبايعة على الموت تعني الصبر عند اللقاء وعدم الفرار[٤٢].

وكان أول من بايعه على ذلك أبوسنان عبدالله بن وهب الأسدي[٤٣]، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته، فأثنى عليهم الرسول ﷺ، فقال: «أنتم خير أهل الأرض»[٤٤]، وقال: «لا يدخل النار إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»[٤٥].

وأشار رسول الله ﷺ إلى يده اليمنى، وقال: «هذه يد عثمان»، فضرب

---

(٣٦) ابن سعد (٢/ ٩٧) معلقا، ولفظه: «فمنعه من هناك من قومه».
(٣٧) ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٢٦ - ٣٧) وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٤).
(٣٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤/ ح ٤١٦٩).
(٣٩) مسلم (٣/ ١٤٨٣/ ح ١٨٥٦). ونفاق الجد بن قيس فيه نظر كما حقق ذلك عداب محمود الحمش في كتابه «ثعلبة بن حاطب...» ص ص ٩٥ - ١٠٢، وهي دراسة قيمة.
(٤٠) البخاري/ الفتح (١٢/ ٧٩/ ح ٤١٦٩).
(٤١) مسلم (٣/ ١٤٨٣/ ح ١٨٥٦).
(٤٢) انظر ابن حجر: الفتح (١٢/ ٧٩).
(٤٣) رواه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٩٥ - ٩٦) من حديث الشعبي، وقال: «وأخرجه ابن منده من طريق عاصم عن زر بن حبيش». وذكر ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٦٤) ان طريق زر بن حبيش والشعبي كلاهما صحيح. ورواه ابن هشام باسناد إلى الشعبي - السيرة (٣/ ٤٣٨ - ٤٣٩).
(٤٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧/ ح ٤١٥٤).
(٤٥) مسلم (٤/ ١٩٤٢/ ح ٢٤٩٦).

بها على يده اليسرى، وقال: «هذه لعثمان»[٤٦]. فنال عثمان بذلك فضل البيعة.
وقبل أن تتطور الأمور عاد عثمان (رضي الله عنه) بعد البيعة مباشرة.

وعرفت هذه البيعة بـ«بيعة الرضوان»، لأن الله تعالى أخبر بأنه رضي عن أصحابها، في قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾[٤٧][٤٨].

أرسلت قريش عدداً من السفراء للتفاوض مع المسلمين، بعد سفارة بُدَيْل ابن وَرْقَاء. فقد أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي، وقبل أن يتحرك خشي أن يناله من التعنيف وسوء المقالة ما نالَ مَن سبقه، فبين لهم موقفه منهم، وأقروا له بأنه غير متهم عندهم، وذكر لهم أن الذي عرضه عليهم محمد هو خطة رشد. ودعاهم إلى قبولها، فوافقوا على رأيه.

وعندما جاء إلى الرسول ﷺ قال له ما قال لبديل، فقال عروة عند ذلك: «أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك». فقال له أبوبكر: «امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟...» وكان كلما تكلم كلمة أخذ بلحية الرسول ﷺ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف، فيضربه بنعل السيف ويقول: «أخر عن لحية رسول الله ﷺ...» ولحظ عروة تعظيم الصحابة للرسول ﷺ وحبهم له وتفانيهم في طاعته، فلما رجع إلى قريش، قال لهم: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمدا»[٤٩].

---

(٤٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٠٢/ح ٣٦٩٩).
(٤٧) الفتح: ١٨.
(٤٨) من رواية الطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٦) بإسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، ولكن يشهد له حديث جابر عند الترمذي: السنن الكبرى/ ك. السير/ح ١٥٩١) وفيه الآية، ولا يضر تدليس يحيى بن أبي كثير لأن الحديث أصله عند مسلم عن جابر وغيره (٣/ ١٤٨٣/ح ١٨٥٦).
(٤٩) البخاري/ الفتح (١١/ ١٦٧ - ١٧١/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، ومسند أحمد (٤/ ٣٢٤) بإسناد حسن من رواية ابن إسحاق.

ثم بعثوا الحُلَيْس بن عَلْقَمَة الكِنَاني سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، وذلك إعظاما لما رأى، وقال لقريش: «رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت»(٥٠)، فقالوا: «اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك». فغضب وقال: «يامعشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له!! والذي نفس الحليس بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ماجاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد»، قالوا: «مه، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به».

ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هذا مكرز وهو رجل فاجر»... فجعل يكلم الرسول ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سُهَيْل بن عمرو رسولا من قبل قريش، فقال النبي ﷺ متفائلا: «لقد سهل لكم أمركم»(٥١). وقال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»(٥٢)، وكانت قريش قد قالت لسهيل بن عمرو: «ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عَنْوَة أبدا». فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح(٥٣).

وعندما بدأ الرسول ﷺ في إملاء شروط الصلح على علي بن أبي طالب، كاتب الصحيفة(٥٤)، اعترض سهيل على كتابة كلمة «الرحمن» في البسملة، وأراد بدلا عنها أن يكتب «باسمك اللهم»، لأنها عبارة الجاهليين، ورفض

---

(٥٠) البخاري/ الفتح (١١/ ١٧١/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(٥١) مسند أحمد (٤/ ٣٢٤) بإسناد حسن.
(٥٢) من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن - بان هشام (٣/ ٤٣٩).
(٥٣) المصدر نفسه.
(٥٤) جاء اسم كاتب الصحيفة مصرحا به في رواية عند البخاري: الفتح (١١/ ١٢٩/ح ٢٦٩٨، ٢٦٩٩)، ومسلم (٣/ ١٤١٠/ح ١٧٨٣) وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٤٣) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس، وآخر من مرسل الزهري، وفي رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٤٠).

المسلمون ذلك، ولكن الرسول ﷺ وافق على اعتراض سهيل. ثم أعترض سهيل على عبارة «محمد رسول الله»، وأراد بدلا عنها عبارة: «محمد بن عبدالله»، فوافقه أيضا على هذا الاعتراض.

وعندما قال الرسول ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» اعترض سُهَيْل قائلا: «لاتتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ـ قهرا ـ ولكن ذلك في العام المقبل، فنخرج عنك فتدخلها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب»[٥٥]، فوافق الرسول ﷺ على هذا الشرط. ثم قال سُهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا. «قال المسلمون»: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟!» فبينما هم كذلك إذ دخل أبوجَنْدَل بن سُهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: هذا يامحمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، فقال سهيل: «والله إذاً لم أصالحك على شيء أبدا».

وألح الرسول ﷺ على سهيل أن يستثني أبا جندل، فرفض على الرغم من موافقة مكرز على طلب الرسول ﷺ، ولم يجد الرسول ﷺ بدا من إمضاء ذلك لسهيل[٥٦].

ثم بعد هذا تم الاتفاق على بقية الشروط وهي:

«على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وأن بينهم عَيْبَة[٥٧]، مَكْفُوفة، فلا إِسْلَال ـ سرقة ـ ولا إِغْلَال ـ خِيَانَة ـ وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده. وتواثبت

---

(٥٥) العبارة من: «فنخرج... إلى القرب» من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/٤٤١). وفي رواية أخرى عند البخاري/ الفتح (١١/ ١٣٠/ح ٢٦٩٩) مختصرة: «لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب».

(٥٦) البخاري/ الفتح (١١/١٧٣ ـ ١٧٦/ح ٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

(٥٧) أي صدر صاف خال من الغل والخداع، مطوي على نية الوفاء بالصلح ـ ابن الأثير: النهاية (٣/٣٢٧).

بنوبكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم[٥٨].

لقد تبرم كثير من الصحابة من معظم هذه الشروط. ومن الأدلة على ذلك أن عليا اعتذر عن محو كلمة «رسول الله» التي اعترض عليها سهيل ابن عمرو، فقال له رسول الله ﷺ: «أرني مكانها»، فأراه مكانها فمحاها رسول الله ﷺ. وكتب (على مكانها) «ابن عبدالله»[٥٩]. وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى المسلمين، فقالوا: «يارسول الله، نكتب هذا؟» قال: «نعم. إنـه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا»[٦٠].

ويحكي عمر بن الخطاب مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضبا عند كتابة ذلك الصلح، قال: «فأتيت نبي الله، فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به». وأتى عمر أبابكر وقال له مثل ما قال للرسول ﷺ، فقال له أبوبكر: «إنه لرسول الله ﷺ

---

(٥٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٢٥) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٥٩) مسلم (٣/ ١٤١٠ ـ ١٤١١/ح ١٧٨٣)، في رواية عند البخاري/ الفتح (١١/ ١٣٠/ح ٢٦٩٩): «... فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبدالله: لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب...» وفي رواية ثانية له (١١/ ١٢٩/ح ٢٦٩٨): «... فمحاه رسول الله ﷺ وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام...» وفي رواية ثالثة (١٦/ ٨٨/ح ٤٢٥١): «فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبدالله. لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب...». هذه الروايات التي عند البخاري ومسلم أدت إلى لبس عند أحد العلماء، وهو أبو الوليد الباجي، إذ ادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب، فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه. ومن سياق النصوص التي ذكرتها تدل على أن الجملة التي فيها «فكتب» فيها حذف تقديره «فمحاها فأعادها لعلي فكتب» وبهذا جزم ابن التين، واطلق كلمة «كتب» على معنى أمر بالكتابة، وهو كثير، كقوله: كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى... وخلاصة رأي ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨٩/ح ٤٢٥١) أن معنى قوله فكتب، أي أمر عليا أن يكتب.

(٦٠) مسلم (٣/ ١٤١١/ح ١٧٨٤).

وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق[٦١]».

وقال عمر: «مازلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا»[٦٢]. ولم تطب نفس عمر إلا عندما نزل القرآن مبشرا بالفتح.[٦٣].

وعندما كان أبوجَنْدَل يستنجد بالمسلمين قائلا: «يامعشر المسلمين، أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟» والرسول ﷺ يقول: «يا أباجندل، اصبر واحتسب فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا»[٦٤] كان عمر يمشي بجنب أبي جندل يغريه بأبيه ويقرب إليه سيفه، لكن أباجندل لم يفعل، فأعيد إلى المشركين[٦٥]. وذلك لحكمة تجلت للناس فيما بعد، يوم كان أبوجندل وأصحابه سببا في إلغاء شرط رد المسلمين إلى الكفار، وفي إسلام سهيل وموقفه يوم كاد أهل مكة أن يرتدوا عندما مات الرسول ﷺ فثبتهم على الإسلام بكلام بليغ[٦٦].

وقال سَهْل بن حَنِيف يوم صفين: «اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته»[٦٧].

وعندما أمرهم الرسول ﷺ بأن ينحروا الهدي ويحلقوا رؤوسهم، لم يقم منهم أحد إلى ذلك، فكرر الأمر ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة (رضي الله عنها) وحكى لها ماحدث من المسلمين، فأشارت إليه بأن يبدأ هو بما يريد، ففعل، فقاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[٦٨].

---

(٦١) البخاري/ الفتح (١١/ ١٧٦ - ١٧٨/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢) و(١٢/ ٢٧١/ح ٣١٨٢)، وعند مسلم (٣/ ١٤١٢/ح ١٧٨٥) وأحمد (٤/ ٣٢٥) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠) وبقريب من رواية البخاري.

(٦٢) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٤٠).

(٦٣) مسلم (٣/ ١٤١٢/ح ١٧٨٥).

(٦٤) مسند أحمد (٤/ ٣٢٥) بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٤٢).

(٦٥) المصدران والمكانان نفساهما.

(٦٦) انظر ذلك في ترجمته في الإصابة وغيرها، وبحثنا عن: «الثابتون على الإسلام في فتنة الردة...».

(٦٧) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٧١/ح ٣١٨١) و (١٦/ ٣٣/ح ٤١٨٩).

(٦٨) البخاري/ الفتح (١١/ ١٧٨ - ١٨٠/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

فدعا الرسول ﷺ لمن حلق منهم ثلاثا ولمن قصر مرة واحدة[٦٩].

وكان عدد ما نحروه سبعين بدنة[٧٠]، كل بدنة عن سبعة أشخاص[٧١].

وكان هدي رسول الله ﷺ يومئذ جملا لأبي جهل من غنائم بدر، نحره ليغيظ بذلك المشركين[٧٢]. ونحروا بعض الهدي في الحديبية في الحل[٧٣]، والبعض الآخر نحره نَاجِية بن جُنْدُب داخل منطقة الحرم[٧٤].

ولا شك أن هذا التصرف من عمر وغيره من المسلمين ما هو إلا اجتهاد منهم ورغبة في إذلال المشركين[٧٥].

ولم تتوقف قريش عن التحرش بالمسلمين واستفزازهم خلال مفاوضات كتابة الصلح وبعد كتابته. وقد تصرف الرسول ﷺ والصحابة بانضباط شديد إزاء هذه الأفعال. فعندما حاول ثمانون من رجال مكة مهاجمة معسكر المسلمين على غرة، أسرهم المسلمون وعفا عنهم الرسول ﷺ[٧٦] وكرر المحاولة ثلاثون آخرون من قريش أثناء إبرام الصلح، فأسروا، وأطلق الرسول ﷺ أيضا سراحهم[٧٧].

وبعد إبرام الصلح حاول سبعون من المشركين استفزاز المسلمين، فأسروهم.

وقبض سلمة بن الأكوع على أربعة من المشركين أساءوا إلى الرسول ﷺ، بعد إبرام الصلح، فعفا عنهم الرسول ﷺ. وقد نزلت في ذلك الآية ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾[٧٨][٧٩].

---

(٦٩) مسند أحمد (٢/ ٣٤، ١٥١) بإسناد حسن.
(٧٠) مسند أحمد (٤/ ٣٢٤) بإسناد حسن.
(٧١) مسلم (٢/ ٩٥٥/ح ١٣١٨).
(٧٢) سنن أبي داود مع معالم السنن/ ك. المناسك، ص ١٧٤٩، وصحيح ابن خزيمة (٤/ ٢٨٦ - ٢٨٧)، والمستدرك (١/ ٤٦٧)، وصححه الحاكم، وأحمد (١/ ٢٣٤) بإسناد حسن.
(٧٣) البخاري/ الفتح (١١/ ١٣١/ح ٢٧٠١).
(٧٤) الطحاوي: شرح معاني الآثار (٢/ ٢٤٢) بإسناد صحيح.
(٧٥) مسند أحمد (٤/ ٣٢٥) بإسناد حسن.
(٧٦) مسلم (٣/ ١٤٤٢/ح ١٨٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٩٠).
(٧٧) مسند أحمد (٤/ ٨٦) بإسناد رجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤٥) وقال الحاكم (٢/ ٤٦٠): «صحيح على شرط الشيخين».
(٧٨) الفتح: الآية ٢٤.
(٧٩) مسلم (٣/ ١٤٣٤/ح ١٨٠٧).

ثم رجع المسلمون إلى المدينة بعد أن غابوا عنها شهرا ونصف الشهر[٨٠]، منها بضعة عشر يوما، ويقال عشرين يوما، مكثوها بالحديبية[٨١].

وفي طريق العودة تكررت معجزة النبي ﷺ في تكثير الطعام والماء، مثلما حدث في طعام جابر يوم الخندق، وتكثير ماء بئر الحديبية، فقد ذكر سلمة ابن الأكوع أنهم عندما أصابهم الجوع وكادوا أن يذبحوا رواحلهم دعا الرسول ﷺ بأزواد الجيش، فلم يتجاوز ربضة العنز، وهم أربع عشرة مائة، فأكلوا حتى شبعوا جميعا وحشوا جربهم، ثم جيء له بأداوة وضوء فيها نطفة ماء فأفرغها في قدح، فتوضأ منها كل الجيش[٨٢].

ونزلت سورة الفتح، وهم في طريق العودة: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[٨٣] وقال عنها الرسول ﷺ: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[٨٤]. وقال عمر متعجبا: «أو فتح هو؟» فقال له الرسول ﷺ: «نعم»، فطابت نفسه ورجع[٨٥]، وفي رواية: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح»[٨٦]. وفرح المسلمون بذلك فرحا غامرا، وانجلت تلك السحابة من الغم، وأدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب والنتائج، وأن الخير في التسليم لأمر الله ورسوله.

وعندما جاءته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة لم يردها إلى أهلها عندما طلبوها لما أنزل الله في النساء ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن... ولا هم يحلون لهن﴾[٨٧][٨٨]. فكان

---

(٨٠) ابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/ ١٢٣) من رواية ابن عائذ.

(٨١) الواقدي (٢/ ٦١٦) وابن سعد (٢/ ٩٨) معلقا.

(٨٢) مسلم (٣/ ١٣٥٤/ح ١٧٢٩)، والبخاري/ الفتح (١٦/ ١٦/ح ٤١٥٢).

(٨٣) الفتح: ١.

(٨٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨/ح ٤١٧٧) والآية ضمن الحديث.

(٨٥) مسلم (٣/ ١٤١٢/ح ١٧٨٥).

(٨٦) الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٩) وقال: حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وسنن أبي داود مع معالم السنن (٣/ ١٧٤ - ١٧٥/ك. الجهاد/ ب. فيمن أسهم له سهما/ح ٢٧٣٦) ومسند أحمد (٣/ ٤٢٠) وفسر أنس الفتح بالحديبية. انظر: البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦/ح ٤١٧٢) و(١٨/ ٢١١/ح ٤٨٣٤).

(٨٧) الممتحنة: ١٠.

(٨٨) البخاري/ الفتح (١١/ ١٤٠/ح ٢٧١١، ٢٧١٢).

الرسول ﷺ لهذا يختبرهن، فإن كن خرجن بسبب الإسلام استبقاهن مع دفع مهورهن لأزواجهن، وكان قبل الصلح لا يعيد إليهم مهور الزوجات(٨٩).

وهذه الآية الواردة في عدم رد المهاجرات المسلمات إلى الكفار هي التي استثنت من شرط الرد وحرمت المسلمات على المشركين ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾(٩٠)(٩١).

المبحث الثاني: فقه وحكم ودروس في صلح الحديبية:

١ ـ عندما وجد سبب مانع من أداء المسلمين لعمرتهم التي أحرموا لها تحللوا، وبذلك شرع التحلل للمعتمر وأنه لا يلزمه القضاء(٩٢).

٢ ـ أذن الرسول ﷺ لكعب بن عُجْرَة أن يحلق رأسه وهو محرم، لأذى أصابه، على أن يذبح شاة فدية أو يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين. ونزلت الآية ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾(٩٣)(٩٤)

٣ ـ أذن النبي ﷺ للصحابة بالصلاة في منازلهم عندما نزل المطر(٩٥).

٤ ـ وقعت تطبيقات عملية لمبدأ الشورى في الإسلام، حيث استشارهم في الإغارة على ذراري المشركين الذين يساندون قريشا، كما ذكرنا. واستشار أم سلمة في أمر الناس عندما أبطؤوا في التحلل، وأخذ برأيها، كما ذكرنا.

٥ ـ ويستنتج من مدة الصلح أن الحد الأعلى لمهادنة الكفار عشر سنين،

---

(٨٩) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٢٩) من مرسل الزهري وعبدالله بن أبي بكر وابن إسحاق من مرسل عروة ـ ابن هشام (٣/ ٤٥٣). وفي إسناد ابن إسحاق والواقدي مسلم بن عبدالله وهو مجهول، ولم يصرح ابن اسحاق بالسماع، والواقدي متروك كما تعلم، وبذلك يكون الإسناد ضعيفاً لا يحتج به، حيث لم تتحقق فيه شروط المرسل المقبول، وهي:

١ ـ أن يكون كلا المرسلين من كبار التابعين.

٢ ـ أن يكون كل منهما أخذ عن غير شيوخ الآخر.

٣ ـ أن يصح سند كل من الحديثين إلى من أرسله.

(٩٠) الممتحنة: ١٠.

(٩١) البخاري/ الفتح (١١/ ١٤٠/ح ٢٧١١، ٢٧١٢) والسنن الكبرى (٩/ ٢٢٨) وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٥١).

(٩٢) انظر مباحث الإحصار في كتب فقه الحج.

(٩٣) البقرة: ١٩٦.

(٩٤) البخاري/ الفتح (٨/ ١٣٢/ح ١٨١٦ ـ ١٨١٨)، مسلم ٢/ ٨٥٩ ـ ٨٦٢/ح ١٢٠١).

(٩٥) ابن ماجه: السنن/ك. إقامة الصلاة/ ص ٩٣٦) بإسناد صحيح.

لأن أصل العلاقة معهم الحرب وليس الهدنة.

٦ ـ جواز مصالحة الكفار على رد من جاء من قبلهم مسلما.

٧ ـ إستحباب التفاؤل لقوله ﷺ: «سهل أمركم» وذلك عندما قدم عليهم سهيل بن عمرو مفاوضا.

٨ ـ كفر من يقول: «مطرنا بنوء[٩٦] كذا وكذا» والصواب أن يقول: «مطرنا بفضل الله ورحمته. قال ذلك الرسول ﷺ للصحابة عندما صلى بهم الصبح إثر مطر هطل ليلا[٩٧].

٩ ـ جواز التبرك بآثار النبي ﷺ مثل التوضؤ بماء وضوئه ﷺ[٩٨]، وهو خاص به خلافا لآثار الصالحين من أمته[٩٩].

١٠ ـ السنة لمن نام عن صلاته أو نسيها أن يصليها وإن خرج وقتها، وذلك لأن المسلمين ناموا عن صلاة الصبح وهم في طريق عودتهم من الحديبية ولم يوقظهم إلا حر الشمس، ونام حارسهم بلال، فصلوها حين استيقظوا[١٠٠].

١١ ـ في الصلح اعتراف من قريش بكيان المسلمين لأول مرة، فعاملتهم معاملة الند للند.

١٢ ـ ذهاب هيبة قريش، بدليل مبادرة خزاعة الانضمام إلى حلف المسلمين دون خشية من قريش كما كان في السابق.

١٣ ـ أتاح الصلح للمسلمين التفرغ ليهود خيبر خاصة ويهود تيماء وفدك بصفة عامة.

١٤ ـ أتيح للمسلمين مضاعفة جهودهم لنشر الإسلام، وفي ذلك قال الزهري: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان

---

(٩٦) الأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، وإنما سميت نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ـ النهاية (٥/١٢٢).

(٩٧) البخاري/ الفتح (٤/٢٦٣/ح ٨٤٦).

(٩٨) البخاري/ الفتح (١١/ ١٧٠/ ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٩٩) الشاطبي: الاعتصام (٢/٨).

(١٠٠) سنن أبي داود مع معالم السنن: (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠/ كتاب الصلاة ب. في من نام عن الصلاة أو نسيها/ح ٤٤٧). والنسائي: السنن الكبرى/ ١١٩، وصححه الهيثمي كما في المجمع (١/ ٣١٩).

القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك»(١٠١). وعلق ابن هشام على هذا قائلا: «والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف واربعمائة في قول جابر، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»(١٠٢).

١٥ - جاءت نتائج بعض الشروط في صالح المسلمين من ذلك أن أبا بَصِير عندما فر من المشركين ولجأ إلى المسلمين رده الرسول ﷺ إليهم عندما طلبوه، فعدا على حَارِسَيْهِ فقتل أحدهما، وفر الآخر، وعاد أبوبصير إلى المدينة، وقال للرسول ﷺ: «قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم» فقال النبي ﷺ «وَيل أمّه مِسْعَرُ حَرْبٍ لو كان له أحد»، ففهم أبوبصير نية الرسول ﷺ في رده إلى المشركين، فلجأ إلى سيف البحر. . .»(١٠٣) وفهم المستضعفون المسلمون في مكة إشارة الرسول ﷺ: مِسْعِرُ حَرْبٍ لو كان له أحد»، ففروا من مكة ولحقوا بأبي بصير، وعلى رأسهم أبوجندل. وتكونت منهم عصابة، أخذت تتعرض لقوافل قريش، فأرسلت قريش إلى الرسول ﷺ تناشده أن يعطيهم الأمان بالمدينة، فأرسل إليهم(١٠٤)، وهم بناحية العِيص، فجاؤوا، وكانوا قريبا من الستين أو السبعين رجلا(١٠٥).

١٦ - في قصة أبي بصير وأبي جندل ورفقائهم في العِيص، نموذج يقتدى به في الثبات على العقيدة وبذل الجهد في نصرتها وعدم الاستكانة للطغاة.

---

(١٠١) ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/٤٤٧).
(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٨.
(١٠٣) البخاري/ الفتح (١١/ ١٨٠ - ١٨٣/ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(١٠٤) المصدر والأماكن نفسها.
(١٠٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن - إذا اعتبرناه جزءا من حديثه في أمر الحديبية. . . - ابن هشام (٣/ ٤٤٩) وعنده أنهم قريب من سبعين، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٢٧) بإسناد فيه ابن بكير، وهو صدوق يخطيء، والحديث حسن لمتابعاته الكثيرة. وهو من طريق ابن إسحاق كما ذكرنا، وساقه البيهقي في الدلائل (٤/ ١٧٢ - ١٧٥) من رواية الزهري مرسلا، وعنده أنهم صاروا بالعيص ثلثمائة، وأن كتاب الرسول ﷺ قد جاء إلى أبي بصير وهو يحتضر، فمات والكتاب في يده فدفنه أبوجندل وعاد ببقية الرجال، وروى نحوه من مرسل عروة (٤/ ١٧٥ - ١٧٦).

الفصل الرابع عشر

غزوة وسرية بين الحديبية وخيبر

المبحث الأول: غزوة ذي قَرَد:[1]

أغار عبدالرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري في جماعة من قومه غطفان على لقاح[2] النبي ﷺ التي كانت ترعى بذي قرد. وعندما سمع سلمة بن الأكوع ماحدث، صاح منذرا الناس، ثم لحق بهم، وأخذ يرميهم بنبله، وعندما لحق به الرسول ﷺ والمسلمون وجدوه قد استنقذ اللقاح من أيديهم، فرجعوا. وقد أردف الرسول ﷺ سلمة على راحلته حتى دخلوا المدينة[3].

وكانت هذه الغزوة قبل غزوة خيبر بثلاث ليال[4].

المبحث الثاني: سرية أَبَان بن سعيد بن العاص:

بعثه الرسول ﷺ في سرية قبل نجد، فقدم هو وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها[5].

ولم تحدد المصادر الجهة التي سار إليها في نجد، ولا نتائج هذه البعثة أو عدد الرجال الذين كانوا فيها مع أبان بن سعيد (رضي الله عنه).

---

(١) هو ماء على نحو يومين من المدينة مما يلي بلاد غطفان. انظر: ابن سعد: الطبقات (٢/٨٣ ـ ٨٤).

(٢) جمع لقحة، وهي الإبل ذوات اللبن.

(٣) البخاري/ الفتح (١٦/٣٦ ـ ٤٠/ح ٤١٩٤) ومسلم (٣/١٤٣٢ ـ ١٤٤١/ح ١٨٠٦).

(٤) هذا ما جزم به البخاري في ترجمته لباب غزوة ذي قرد كما في الفتح وذلك لما ثبت عنده من أحاديث صحيحة، وقد رجح ابن كثير في البداية (٤/١٧٣) وابن حجر في الفتح (١٦/٣٧) ما ذهب إليه البخاري، ولهما مناقشة للروايات المختلفة المتعلقة بهذه الغزوة وتاريخها.

(٥) البخاري/ الفتح (١٦/٧٤ ـ ٧٥/ح ٤٢٣٨).

الفصل الخامس عشر

غـزوة خيبـر

لم يبد يهود خيبر عداء سافرا للمسلمين حتى لحق بهم زعماء بني النضير عندما أُجْلُوا عن المدينة. وكما سبق وأن ذكرنا فقد كان أبرز زعماء بني النضير الذين غادروا المدينة ونزلوا خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها[1].

لقد نزلوها بأحقادهم ضد المسلمين، ولذا كانوا كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها، ووجدوا في قريش وبعض قبائل العرب حصان طروادة الذي سيدخلون به المدينة مرة أخرى، فألبوهم ضد المسلمين، ثم جروهم إلى غزوة الخندق[2]، وسعوا في إقناع بني قريظة للانضمام إليهم والغدر بالمسلمين[3]. ولذا كانت تلك العقوبة الرادعة التي أنزلها المسلمون بهم عندما صرف الله الأحزاب، وأرسل الرسول ﷺ سرية عبدالله بن عتيك للقضاء على رأس من رؤوسهم أفلت من العقاب يوم قريظة، وهو سلام ابن أبي الحقيق، فقتلوه.

وكانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها إذا هزموا يهود خيبر، وإلى ذلك أشارت سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم مافي قلوبهم، فأنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا، ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان الله عزيزاً حكيما، وعدكم الله مغانم كثيرة

(١) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/ ٢٦٩).
(٢) ابن إسحاق، بإسناد مرسل - ابن هشام (٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩).
(٣) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣/ ٣٠٧ - ٣٠٩).

تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما، وأخرى لم تقدروا عليها، قد أحاط الله بها، وكان الله على كل شيء قديرا﴾[4][5].

تاريـخ الغــزوة:

ذكر ابن إسحاق[6] أنها كانت في المحرم من السنة السابعة الهجرية، وذكر الواقدي[7] أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[8] إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك إنها في المحرم من السنة السادسة[9]. وظاهر أن الخلاف بين ابن اسحاق والواقدي يسير، وهو نحو الشهرين، وكذلك فإن الخلاف بينهما وبين الإمامين الزهري ومالك مرجعه إلى الاختلاف في ابتـداء السنة الهجرية الأولى كما سبق الإشارة إلى ذلك. وقد رجح ابن حجر[10] قول ابن إسحاق على قول الواقدي.

سار الجيش إلى خيبر بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر وشدة بأس رجالها وعتادهم الحربي. وكانوا يكبرون ويهللون بأصوات مرتفعة، فطلب منهم النبي ﷺ أن يرفقوا بأنفسهم قائلا: «إنكم تدعـون سميعـا قريبـا وهو معكم»[11]. وسلكوا طريقا بين خيبر وغطفان ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر لأنهم كانوا أعداء للمسلمين[12].

---

(٤) الفتح: ١٨ - ٢١.

(٥) قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وعجل لكم هذه﴾ يعني فتح خيبر - انظر تفسير ابن كثير (٧/٣٢٢). قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٤٠ - ٤١): وروى يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق في حديث المسور ومروان قالا: «انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه﴾ يعني خيبر». وقد اختلف المفسرون في تفسير المعنى بهذه الغنيمة، فقال العوفي عن ابن عباس إنها خيبر، وقاله غيره.

(٦) ابن هشام (٣/ ٤٥٥) - معلقا.

(٧) المغازي (٢/ ٦٣٤).

(٨) الطبقات (٢/ ١٠٦).

(٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/ ٣٣).

(١٠) الفتح (١٦/ ٤١).

(١١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٥٠/ح ٤٢٠٥).

(١٢) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٢/ ٤٥٨).

ونزل المسلمون بساحة اليهود قبل بزوغ الفجر، وقد صلى المسلمون الفجر قرب خيبر، ثم هجموا عليها بعد بزوغ الشمس، وفوجىء أهلها بهم وهم في طريقهم إلى أعمالهم، فقالوا: «محمد والخميس!!» فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[١٣]».

وهرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون. وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[١٤]، فأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم واحدا تلو الآخر. وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم والصعب بمنطقة النطاة وأبي النزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القموص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم اسقطوا حصني منطقة الوطيح والسلالم[١٥].

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري، حيث ألقى عليه مرحب رحى من أعلى الحصن[١٦]، والذي استغرق فتحه عشرة أيام[١٧]؛ فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبوبكر الصديق، ولم يفتح الله عليه، وعندما جهد الناس، قال رسول الله إنه سيدفع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلى الفجر في اليوم التالي دفع اللواء إلى

---

(١٣) البخاري/ الفتح (٣/٢٨٨/ح ٦١٠).
مسلم (٣/١٤٢٦ - ١٤٢٧/ح ١٣٦٥).

(١٤) ابن إسحاق - بلاغا - ابن هشام (٣/٤٥٨)، والواقدي (٢/ ٦٥٠).

(١٥) الواقدي (٢/ ٦٣٩) وابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٤٦١ - ٦٢)، مع الاختلاف بينهما في تقديم وتأخير فتح حصن ما على الآخر.

(١٦) ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٦٤) وفيه استشهاده دون ذكر الكيفية، وابن إسحاق بإسناد معلق - ابن هشام (٣/ ٤٥٩) وفيه قتله بالرحى، ولم يذكر من ألقاها عليه، والواقدي (٢/ ٦٤٥) وفيه أن الذي ألقى الرحى عليه هو مرحب اليهودي.

(١٧) الواقدي (٢/ ٦٥٧).

علي، ففتح الله على يديه[١٨].

وكان علي يشتكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول ﷺ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرئ[١٩].

ولقد أوصى الرسول ﷺ عليا بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٢٠]. وعندما سأله عليّ: «يارسول الله على ماذا أقاتل الناس؟» قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢١].

وعند حصار المسلمين لهذا الحصن برز لهم سيده وبطلهم مرحب، وكان سببا في استشهاد عامر بن الأكوع، ثم بارزه علي فقتله[٢٢]، مما أثر سلبيا في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم.

وقد أبلى عليّ بلاء حسنا في هذه الحرب. ومن دلائل ذلك: روى ابن اسحاق[٢٣] من حديث أبي رافع ـ مولى رسول الله ﷺ ـ أن عليا عندما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن[٢٤] فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ.

---

(١٨) مسند أحمد (٥/ ٣٥٣)، ومستدرك الحاكم (٣/ ٣٧). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ومجمع الزوائد (٦/ ١٥٠) وصححه الهيثمي، وأصل الرواية عند مسلم (٤/ ١٨٧٢/ح ٢٤٠٥ ـ ٢٤٠٧) وليس فيها خبر حمل أبي بكر الراية. ووردت روايتان ضعيفتان تشير إحداهما إلى أن حامل الراية قبل علي هو عمر وليس أبابكر، وتشير الأخرى إلى أن أبابكر وعمر تعاقبا في اليومين الأولين على حمل الراية. والرواية في مسند أحمد (٥/ ٣٥٨) وكشف الأستار (٢/ ٣٣٨) ومدارها على ميمون البصري وهو ضعيف، والثانية عند ابن إسحاق ابن هشام (٣/ ٤٦٥ ـ ٦٦) وفي إسنادها بريدة ابن سفيان، وهو ضعيف والروايتان تعتضدان فتقويان بعضهما البعض.

(١٩) مسلم (٤/ ١٨٧٢/ح ٢٤٠٦). ورواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف ولكنه يتقوى بالشواهد والمتابعات ـ ابن هشام (٣/ ٤٦٦) ـ انظر: كشف الأستار (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٩) والحاكم (٣/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٢٠) مسلم (٤/ ١٨٧١/ح ٢٤٠٤، ٢٤٠٥).

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٨٧٢/ح ١٤٠٥).

(٢٢) المصدر نفسه (٣/ ١٤٤٠/ح ١٨٠٧).

(٢٣) ابن هشام (٣/ ٤٦٧) بإسناد ضعيف لأن فيه راو لم يسمه ابن إسحاق.

(٢٤) نقل البيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٢) رواية ابن إسحاق هذه. ويبدو بعض التحريف في نقله، إذ ذكر أن عليا تناول باب الحصن فترس به عن نفسه.

قال الراوي ـ أبورافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

وروى البيهقي[٢٥] من طريقين مرفوعين إلى جابر (رضي الله عنه) قصة علي والباب ويوم خيبر. ففي الطريق الأولى أن عليا (رضي الله عنه) حمل الباب حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها، ولم يستطع أربعون رجلا أن يحملوا هذا الباب[٢٦]. وفي الطريق الثانية أنه اجتمع عليه سبعون رجلا، فأعادوه إلى مكانه بعد أن أجهدهم[٢٧].

توجه المسلمون إلى حصن الصَّعْب بن مُعاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاءً حسنا حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود ـ فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطروهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النَّطَاة التي كان فيها أشد اليهود.

ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشِّق، وبدأوا بحصن أُبَيّ، فاقتحموه، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نزَار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القَمُوص المنيع وحصن الوَطِيح وحصن السُّلاَلِم، فحاصرهم المسلمون لمدة أربعة عشر يوما حتى طلبو الصلح[٢٨].

---

(٢٥) دلائل النبوة (٢١٢/٤).

(٢٦) وهذا الطريق رجاله ثقات إلا الليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك. وقال البيهقي: الدلائل (٢١٢/٤): تابعه فضيل بن عبدالوهاب عن المطلب بن زياد.

(٢٧) وهذا الطريق ضعيف أيضا كما قال الشامي في السيرة (٢٠١/٥). وقال الشامي هنا: «رواه الحاكم».
قلت: إن هذه الطرق تعتضد فتتقوى وتدل على أن للقصة أصلا. والراجح عندي مضمون رواية ابن إسحاق لأنها أقرب إلى المعقول، أما الروايات الأخرى فلا مانع من قبولها في ضوء أن ماحدث يمكن تفسيره بأنه كرامة من كرامات علي (رضي الله عنه).

(٢٨) الواقدي (٦٥٨/٢ - ٦٧١).

وهكذا فتحت خيبر عنوة[٢٩]، إستنادا إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقناها، وما روى البخاري[٣٠] ومسلم[٣١] وأبوداود[٣٢] من أن رسول الله ﷺ غزا خيبر وافتتحها عنوة.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك - شمالي خيبر- فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقبل ذلك منهم. فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[٣٣].

وقتل من اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعون رجلا[٣٤]. وسبيت النساء والذراري، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، التي اشتراها الرسول ﷺ من دحية حيث وقعت في سهمه فأعتقها وتزوجها[٣٥]. وقد دخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري[٣٦].

واستشهد من المسلمين عشرون رجلا فيما ذكر ابن إسحاق[٣٧] وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي[٣٨].

وممن استشهد من المسلمين راعي غنم أسود كان أجيرا لرجل من يهود. وخلاصة قصته أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم يرعاها لبعض يهود خيبر، فطلب من الرسول ﷺ أن يعرض عليه الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم، ثم استفتاه في أمر الغنم، فطلب منه

---

(٢٩) انظر مناقشة قول من قال إن بعضها فتح عنوة والبعض الآخر صلحا، وجزم ابن القيم في الزاد (٣/ ٣٥٢ - ٥٤) وابن عبدالبر في الدرر، ص ٢١٤ بأنها فتحت عنوة، وكذلك عوض الشهري في رسالته: مرويات خيبر، ص ص ١٩٧ - ١٩٩.

(٣٠) الفتح (٣/ ٣٢/ح ٣٧١).

(٣١) صحيحه (٣/ ١٤٢٧/ح ١٣٦٥).

(٣٢) السنن (٣/ ٤٠٨ - ٤١٠/ك. الخراج/ح ٣٠٠٩) بإسناد صحيح.

(٣٣) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ٤٩٠ - ٤٩١)، وأبوداود (٣/ ٤١٤/ك. الخراج/ ب. ماجاء في حكم أرض خيبر/ح ٣٠١٦) وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٤/ ٢٣٩): «هذا مرسل»، وأبويوسف في الخراج، ص ٥٠، وفي سنده الكلبي، وهو متروك.

(٣٤) الواقدي (٢/ ٧٠٠) وأسانيد الواقدي ضعيفة كما هو معلوم لأنه متروك في الحديث.

(٣٥) مسلم (٢/ ١٠٤٥ - ١٠٤٦/ح ١٣٦٥)، البخاري/ الفتح (١٥/ ٥٩ - ٦٠/ح ٤٢١١) وعنده أنه اصطفاها لنفسه.

(٣٦) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣٧) ابن هشام (٣/ ٤٧٨) - معلقا.

(٣٨) المغازي (٢/ ٧٠٠).

الرسول ﷺ أن يضرب وجوهها، فسترجع إلى أصحابها، فأخذ الراعي حفنة من الحصى فرمى بها في وجـوهها، فرجعت إلى أصحابها، وتقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسجي بشملة، فالتفت إليه الرسول ﷺ ثم أعرض عنه، وعندما سئل عن إعراضه قال: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين»(٣٩).

واستشهد أعرابي له قصة دلت على وجود نماذج فريدة من المجاهدين. وخـلاصـة قصتـه أنـه جاء إلى النبي ﷺ فأسلم، وطلب أن يهاجـر مع الرسول ﷺ. فلما كانت غزوة خيبر ـ وقيل حنين ـ غنم رسول الله وأخرج له سهمه، وكان غائبا حين القسمة، ويرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه سهمه، فأخذه وجاء به إلى النبي ﷺ وقال: «ماهذا يامحمد»، قال النبي ﷺ «قسم قسمته لك». قال: «ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنـا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأدخل الجنة»، قال: «إن تصدق الله يصدقك»، ولم يلبث قليلا حتى جيء به وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال الرسول ﷺ: «صدق الله فصدقه»، فكفنه الرسول ﷺ في جبة للنبي ﷺ ودفنه(٤٠).

وبعد الفراغ من هذه الغزوة حاول اليهود قتل الرسول ﷺ بالسم. فقد أهدته امرأة منهم شاة مشوية مسمومة، وأكثرت السم في ذراع الشاة عندما عرفت أنه يحبه، فلما أكل من الذراع أخبرته الذراع أنه مسموم فلفظ اللقمة، واستجوب المرأة، فاعترفت بجريمتها، فلم يعاقبها(٤١) في حينها، ولكنه قتلها عندما مات بِشْر بن البَراء بن مَعْرور من أثر السم الذي ابتلعه مع الطعام

---

(٣٩) رواه ابن إسحاق بلاغا ـ ابن هشام (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٦) من غير طريق ابن إسحاق وصححه ولم يقره الذهبي لأن في إسناده شرحبيل بن سعد، وهو متهم، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) من طريق موسى بن عقبة، مرسلا، ومن حديث عروة، مرسلا، وهذا يدل على أن للقصة أصلا.

(٤٠) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٢٧٦) بإسناد صحيح.

(٤١) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٦١/ح ٣١٦٩).
ومسلم (٤/ ١٧٢١/ح ٢١٩٠).

عندما أكل مع الرسول ﷺ[٤٢].

وتم الصلح في النهاية بين الطرفين وفق الأمور الآتية:

ـ بالنسبة للأراضي والنخيل ـ أي الأموال الثابتة: دفعها لهم الرسول ﷺ على أن يعملوا عليها ولهم شطر ما يخرج منها[٤٣].

ـ أن ينفقوا من أموالهم على خدمة الأرض[٤٤].

ـ أما بالنسبة لوضعهم القانوني فقد تم الاتفاق على أن بقاءهم بخيبر مرهون بمشيئة المسلمين، فمتى شاؤوا أخرجوهم منها.

وقد أخرجهم عمر بن الخطاب إلى تيماء وأريحاء[٤٥]، إستنادا إلى قول الرسول ﷺ في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٤٦] وتكرر منهم الاعتداء على المسلمين. ففي المرة الأولى اتهمهم الرسول ﷺ في قتل عبدالله بن سهل، فأنكروا فلم يعاقبهم، فوداه رسول الله ﷺ من عنده[٤٧]. وفي هذه المرة الثانية التي أكدت الأولى ـ كما أشار عمر ـ انهم اعتدوا على عبدالله بن عمر، وفدعوا يديه[٤٨].

ـ واتفقوا على إيفاد مبعوث من قبل النبي ﷺ إلى أهل خيبر ليخرص

---

(٤٢) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٠)...
وعبدالرزاق في المصنف بإسناده إلى أبي بن كعب كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨١)، والواقدي (٢/ ٦٧٩) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٦٤) وقد ذكر جميع الروايات في الموضوع. وانظر تعليق المحقق على القضية، خاصة ما كشفه الدكتور منير العجلاني ـ رئيس تحرير المجلة العربية، من أن تسميم الرسول ﷺ كان بقرار من اليهود وذلك استنادا إلى ما جاء في وثيقة أرمنية قديمة تعرض لها العجلاني بالدراسة في المجلة العربية ـ السنة الثالثة ـ العدد الثالث. والذي يبدو أن اثبات هذه الوثيقة فيه نظر، إذ لو ثبت ذلك لترتب عليه حكم فقهي تبعا لكونهم جميعا اشتركوا في قتله.

(٤٣) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ٨٠ ـ ٨١/ح ٤٢٤٨) ومسلم (٣/ ١١٨٦ ـ ١١٨٧/ح ١٥٥١).

(٤٤) مسلم (٣/ ١١٨٧/ح ١٥٥١) وغيره.

(٤٥) مسلم (٣/ ١١٨٨/ح ١٥٥١)، البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٩/ح ٣١٥٢).

(٤٦) ابن سعد (٢/ ٢٤٢) بإسناد صحيح، ورواه ابن إسحاق موقوفا عن الزهري ـ ابن هشام (٣/ ٤٩٥) ولفظة: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ورواه مرسلا عن عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة من حديث الزهري ـ ابن هشام (٣/ ٤٩٠)، ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٥) بإسناد صحيح، وعبدالرزاق في مصنفه (٦/ ٢٥٧) بإسنادين الأول متصل عن عائشة والثاني موقوف عن ابن جريج.

(٤٧) رواه البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٤٠/ح ٦١٤٢، ٦١٤٣)، ومسلم (٣/ ١٢٩١ ـ ١٢٩٥/ح ١٦٦٩)، ورواه غيرهما، واكتفينا بهما على سبيل الاختصار.

(٤٨) أحمد: المسند (١/ ٩٠/ح ٩٠/شاكر) بإسناد صحيح، وابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ٤٩٥).

ويقبض حصة المسلمين(٤٩).

أما بالنسبة للأموال المنقولة، فقد صالحوه على أن له الذهب والفضة والسلاح والدروع، ولهم ما حملت ركائبهم على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا، فإن فعلوه فلا ذمة لهم ولا عهد. فغيبوا مسكا لحيي بن أخطب، وقد كان قتل قبل غزوة خيبر، وكان قد احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت. وعندما سأل الرسول ﷺ سعية -عم حيي- عن المسك، قال: «أذهبته الحروب والنفقات»، فقال النبي ﷺ: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك»، فدفعه النبي ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، فاعترف بأنه رأى حييا يطوف في خربة هاهنا، فوجدوا المسك فيها، فقتل لذلك ابني أبي الحقيق، وسبى نساءهم وذراريهم، وقتل محمد بن مسلمة ابن عم كنانة هذا الذي دل على المال، قتله بأخيه محمود بن مسلمة(٥٠).

وبالنسبة للطعام فقد كان الرجل يأخذ حاجته منه دون أن يقسم بين المسلمين أو يخرج منه الخمس مادام قليلاً(٥١) وكانت غنائم خيبر خاصة بمن شهد الحديبية من المسلمين، كما في قوله تعالى ﴿سيقول المخلَّفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نَتَّبِعْكم، يريدون أن يبدلوا كلام الله. قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل، فسيقولون بل تحسدوننا، بل كانوا لايفقهون إلا قليلا﴾(٥٢)(٥٣).

ولم يغب عن فتح خيبر من أصحاب بيعة الرضوان أحد سوى جابر بن

---

(٤٩) من حديث ابن عمر عند أحمد في المسند (٧/٧/شاكر) بإسناد صحيح، ومن حديث جابر في المسند: الفتح الرباني (٢١/١٢٥) بإسناد صحيح، والسنن لأبي داود (٣/٦٩٧/ ك. البيوع/ ب. المساقاة) بإسناد حسن، والبيهقي في السنن (٩/١٣٧ - ١٣٨) وابن حبان في صحيحة كما في موارد الظمآن (٤١٢ - ٤١٣) كلاهما بإسناد واحد صحيح، وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/٤٩١ - ٤٩٢).

(٥٠) رواه أبوداود في سننه (٣/٤٠٨/ ك. الخراج/ ب. ماجاء في حكم أرض خيبر/ح ٣٠٠٦) بإسناد صحيح.

(٥١) البخاري/ الفتح (١٢/٢٤١/ح ٣١٥٣)، مسلم (٣/١٣٩٣/ح ١٧٧٢)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/١٢٥)، أبوداود (٣/١٥١/ك. الجهاد/ ب. النهي عن النهبى إذا كان في الطعام قلة في أرض العدو، الحاكم (٢/١٣٤)، الواقدي (٢/٦٦٤) وغيرهم.

(٥٢) الفتح: ١٥.

(٥٣) انظر تفسيرها عند الطبري (٢٦/٥٠).

عبدالله، ومع ذلك أعطي سهما مثل من حضر الغزوة ـ غزوة الحديبية[٥٤].

وأعطى أهل السفينة من مهاجرة الحبشة الذين عادوا منها إلى المدينة، ووصلوا خيبر بعد الفتح، أعطاهم من الغنائم. وكانوا ثلاثة وخمسين رجلا وامرأة بقيادة جعفر بن أبي طالب. وتقول الرواية إنه لم يقسم لأحد لم يشهد الفتح سواهم[٥٥]. وهم الذين فرح الرسول ﷺ بقدومهم، وقبل جعفر بين عينيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر»[٥٦].

وربما يرجع سبب استثنائهم إلى أنهم حبسهم العذر عن شهود بيعة الحديبية، ولعله استرضى أصحاب الحق من الغانمين في الإسهام لهم، ولعله رأى ما كانوا عليه من الصدق وما عانوه في الغربة، وهم أصحاب الهجرتين[٥٧].

وأعطى الرسول ﷺ أبا هريرة وبعض الدوسيين من الغنائم برضاء الغانمين، حيث قدموا عليه بعد فتح خيبر[٥٨].

وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء مسلمات فأعطاهن من الفيء ولم يضرب لهن بسهم[٥٩].

---

(٥٤) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/٤٨٦)، وذكر البخاري معلقا أن الرسول ﷺ أعطى جابر ابن عبدالله من تمر خيبر (الفتح ١٢/٢١٧ ـ ٢١٨/ ك. فرض الخمس/ ب. ومن الدليل على ان الخمس لنوائب المسلمين...) وقال ابن حجر ص٢١٩ عن هذا الخبر المعلق: «... فهو من حديث أخرجه أبوداود، وظهر من سياقة أن حديث جابر الذي ترجم به المصنف للباب طرف منه»، وانظر: سنن أبي داود (٣/٤١١ ـ ٤١٢/ ك. الخراج/ح ٣٠١١، ٣٠١٢).

(٥٥) البخاري/ الفتح (١٢/٢٢٢ ـ ٢٢٣/ح ٣١٣٦)، مسلم (٤/١٩٤٦/ح ٢٥٠٢). ويحمل هذا القول على أنه أعطاهم دون استرضاء الغانمين، إذ روى أنه أعطى سواهم ولكن برضاء الغانمين. فقد أعطى أبا هريرة وبعض الدوسيين الذين قدموا بعد خيبر، ولم يشتركوا في القتال ـ انظر ابن شبة: تاريخ المدينة (١/١٨٧)، وابن حجر: الفتح (١٦/٧١).

(٥٦) سنن أبي داود (٥/٣٩٢/ ك السنة/ ب. في قبلة ما بين عينيه/ح ٥٢٢٠) وهو من مرسل الشعبي، وقد جاء مسندا من طرق عن جابر كما عند الحاكم في المستدرك (٣/٢١١) وقد صححه الحاكم وقال الذهبي إنه مرسل، وعن طريق غير جابر كما في المعجم الكبير للطبراني (٢/١٠٧)، وكلها طرق لا تسلم من ضعف. وذكر الشيخ الألباني طرق هذا الحديث وشواهده ومال إلى تحسينه ـ انظر: تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي، ص٣٦٧.

(٥٧) د. العمري: المجتمع المدني ـ تنظيماته...، ص ١٧٤، وعوض الشهري: مرويات غزوة خيبر ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ الجامعة الإسلامية المدينة، ص١٨١. وعن فضل أصحاب الهجرتين، انظر: مسلم (٤/١٩٦٤/ح ١٦٩٠).

(٥٨) عبدالرزاق: المصنف (٥/٢٧٦).

(٥٩) رواه ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/٤٨٧٦)، ورواه الأوزاعي كما في صحيح سنن الترمذي (٢/١٠٦) وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع. أما مسلم (٣/١٤٤٤ ـ ١٤٤٥/ح ٨١٢) وغيره فقد رووا أنه كان يعطي النساء اللائي يغزون معه، ولم يقيدوه بغزوة خيبر.

وكـذلك أعطى من شهدها من العبيد، فقد أعطى عميرا، مولى أبي اللحم، شيئا من الأثاث[٦٠].

وأوصى ﷺ من مال خيبر لنفر من الداريين، سماهم ابن إسحاق[٦١].

وكان كفار قريش يتحسسون أخبار الرسول ﷺ مع يهود خيبر، ويسألون الركبان عن نتيجة المعركة، وقد فرحوا عندما خدعهم الحجاج بن عِلَاط السُّلَمي وقال لهم إن المسلمين قد هزموا شر هزيمة وإن اليهود أسرت محمداً، وستأتي به ليقتل بين ظهراني أهل مكة ثأرا لمن كان أصيب من رجالهم، وما لبثوا قليلا حتى علموا بأن الأمر خدعة من الحجاج بن علاط ليحرز ماله الذي بمكة ويهاجر مسلما. فحزنوا لتلك النتيجة التي كانوا يراهنون على عكسها[٦٢].

وبعد الفراغ من أمر خيبر توجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وحاصرهم، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا، ثم قاتلهم حتى أمسوا، وفي الصباح استسلموا، ففتحت عنوة. وأقام فيها ثلاثة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيماء ما حدث لأهل فدك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم. فلما كان عهد عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام،

---

(٦٠) من رواية أبي داود في سننه (٣/ ٧٥/ ك. الجهاد/ ب. في العبد والمرأة يحذيان من الغنيمة/ ح ٢٧٣٠). ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ١٠٦ ك. السير/ ح ١٦١٦) ورمز إلى أنه في صحيح أبي داود - له - برقم ٢٤٤، ونقله ابن كثير في تاريخه (٤/ ٢٢٨). وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٣) وابن ماجه في الجهاد/ ح ٢٨٥٥، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣١) وصححه.

(٦١) ابن هشام (٣/ ٤٩١) - معلقا - أي دون إسناد.

(٦٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٤٦٦ - ٤٦٩) بإسناد صحيح، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٨) من طريق عبدالرزاق بإسناد صحيح، وابن حبان في موارد الظمآن ص ٤١٣، والبزار في كشف الأستار (٢/ ٣٤١)، وغيرهم.

ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وأن ما وراء ذلك من الشام(٦٣).

وثبت في الصحيح أن مدعما - مولى رسول الله ﷺ - أصابه سهم فقتله، وذلك حين كان يحط رحل رسول الله ﷺ عندما وصلوا وادي القرى. فقال الناس: «هنيئا له بالجنة»، فقال رسول الله ﷺ «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا». فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين، فقال: «هذا شيء كنت أصبته»، فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار»(٦٤).

بعض فقه وحكم وعبر ودروس غزوة خيبر:

١ - نهى رسول الله ﷺ عن الغلول، وأن من يموت وهو غالّ يدخل النار. وقد جاء ذلك في خبر الرجل الذي قال عنه الصحابة إنه شهيد، فقال لهم الرسول ﷺ: «كلا! إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة...»(٦٥) وخبر مدعم مع الشملة...

٢ - نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية(٦٦).

٣ - نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم البغال(٦٧).

٤ - النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل كل ذي مخلب من الطير(٦٨).

---

(٦٣) الواقدي (٢/ ٧٠٩ - ٧١١) بإسناده إلى أبي هريرة.

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٧١ - ٧٢/ح ٤٢٣٤)، مسلم (١/ ١٠٨/ح ١١٥).

(٦٥) مسلم (١/ ١٠٧ - ١٠٨/ح ١١٤، ١١٥).

(٦٦) البخاري/ الفتح (٢١/ ٦٨/ح ٥٥٢٣ - ٥٥٢٩)، مسلم (٢/ ١٠٢٧ - ١٠٢٨/ح ١٤٠٧).

(٦٧) مسند أحمد (٣/ ٣٦٥/ طبعة المكتب الإسلامي) بإسناد رجاله ثقات غير أن فيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس، ولكن يشهد له ما أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٣/ أبواب الصيد/ ب. في كراهية كل ذي ناب وذي مخلب). ولفظه: عن جابر قال: «حرم رسول الله ﷺ يعني يوم خيبر الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير».

(٦٨) سنن أبي داود (٤/ ١٦٠/ ك. الأطعمة/ ب. النهي عن أكل السباع/ح ٣٨٠٢، ٣٨٠٣، ٣٨٠٥، ٣٨٠٦) من حديث ابن عباس. سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٧٧/ ك. الصيد/ ب تحريم كل ذي ناب من السباع)، مسلم (٣/ ١٥٣٤/ح ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤)، من حديث ابن عباس ولكن دون التقييد بمكان معين. وهو يعضد حديث ابن ماجه وأبي داود، فيكون الحديث حسنا.

٥ ـ النهي عن وطء الحبالى من السبايا حتى يضعن[٦٩].

٦ ـ النهي عن ركوب الجلالة[٧٠] والنهي عن أكل لحمها[٧١] وشرب لبنها(*).

٧ ـ النهي عن النهبة من الغنيمة قبل قسمتها[٧٢].

٨ ـ وأجرى الله على نبيه بعض المعجزات دليلا على نبوته وعبرة لمن يعتبر، فإضافة إلى ما ذكرنا من قصة بصقه على عيني علي فصحتا، وإخبار ذراع الشاة المسمومة إياه بأنها مسمومة، فقد ثبت أنه نفث ثلاث نفثات في موضع ضربة أصابت ركبة سلمة بن الأكوع يوم خيبر، فما اشتكى بعدها[٧٣].

٩ ـ وفي خبر الإسهام لأهل السفينة أنه إذا لحق مدد بالجيش بعد انقضاء الحرب، فلا سهم لهم إلا بإذن الجيش ورضاه[٧٤].

١٠ ـ جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من تمر أو زرع، كما عامل رسـول الله ﷺ أهـل خيبر على ذلك، وهو من باب المشاركة، وهو نظير المضاربة، فمن أباح المضاربة، وحرم ذلك، فقد فرق بين متماثلين[٧٥].

١١ ـ عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض، لأن الرسول ﷺ دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من مالهم.

١٢ ـ خرص الثمار على رؤوس النخيل وقسمتها كذلك، وأن القسمة ليست بيعا، والاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد.

١٣ ـ جواز عقد المهادنة عقدا جائزا للإمام فسخه متى شاء.

١٤ ـ جواز تعليق عقد الصلح والأمان بالشرط، كما عقد لهم رسول الله ﷺ بشرط ألا يغيبوا ولا يكتموا، كما في قصة مسك حيي.

١٥ ـ الأخذ في الأحكام بالقرائن والإمارات كما قال النبي ﷺ لكنانة: «المال

---

(٦٩) رواه ابن الجارود في المنتقى/ ك. النكاح/ ص ٢٤٤، بإسناد صحيح.

(٧٠) الجلالة: حيوان يأكل العَذِرَة، [وهي الغائط]، من الإبل والغنم والدجاج وغيرها حتى يتغير ريحها.

(٧١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٦١/ ك. الأطعمة/ ب. في أكل لحوم الحمر الأهلية/ح ٣٨٠٦) بإسناد حسن. ورواه غيره [مثل أحمد والنسائي]. * رواه الخمسة: إلا ابن ماجه، وصححه الترمذي. قال سيد سابق في فقه السنة (٣/ ٢٨٥): «فإن حبست بعيدة عن العذرة زمنا وعلفت طاهراً فطاب لحمها وذهب اسم الجلالة عنها حلت لأن علة النهي التغير، وقد زالت».

(٧٢) أحمد: المسند (٤/ ٣٤٨) بإسناد صحيح، وأخرجه غيره.

(٧٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٥٠/ح ٤٢٠٦).

(٧٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤٢).

(٧٥) المرجع نفسه ص ٣٤٥.

كثير والعهد قريب»، فاستدل بذلك على كذبه في قوله: «أذهبته الحروب والنفقة».

١٦ - جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغنى عنهم، وقد أجلاهم عمر (رضي الله عنه) بعد موت النبي ﷺ.

١٧ - لم يكن عدم أخذ الجزية من يهود خيبر لأنهم ليسوا أهل ذمة، بل لأنها لم تكن نزل فرضها بعد[٧٦].

١٨ - سريان نقض العهد في حق النساء والذرية، وجعل حكم الساكت والمقر حكم الناقض والمحارب كما في حالة كنانة وابني ابن الحقيق، على أن يكون الناقضون طائفة لهم شوكة ومنعة، أما إذا كان الناقض واحداً من طائفة لم يوافقه بقيتهم، فهذا لا يسرى النقض إلى زوجته وأولاده[٧٧].

١٩ - جواز عتق الرجل أمته، وجعل عتقها صداقها، ويجعلها زوجته بغير إذنها ولا شهود ولا ولي غيره، ولا لفظ نكاح ولا تزويج، كما فعل ﷺ بصفية.

٢٠ - جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير، إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين والمشركين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب.

٢١ - إن من قتل غيره بسم يقتل مثله قصاصا، كما قُتِلت اليهودية ببشر بن البراء.

٢٢ - جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب وحل طعامهم وقبول هديتهم، كما في حادثة الشاة المسمومة.

٢٣ - الإمام مخير في الأرض التي تفتح عنوة إن شاء قسمها وإن شاء وقفها وإن شاء قسم البعض ووقف البعض الآخر، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة، فقسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطرا من خيبر وترك شطرها الآخر[٧٨].

---

(٧٦) المرجع نفسه (٣٤٨/٣).
(٧٧) زاد المعاد (٣٤٨/٣ - ٣٤٩).
(٧٨) انظر الشهري: مرويات غزوة خيبر، ص ١٩٨، ابن القيم: زاد المعاد (٣٢٩/٣).

الفصل السادس عشر

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والزعماء

تمهيد:

أتيحت الفرصة للرسول ﷺ بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، لأن الإسلام رسالة عالمية غير محدودة المكان، كما جاء التصريح بذلك في بعض الآيات القرآنية الكريمة، مثل:

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[1]، و﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾[2]، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3].

ولذا كان من البدهي أن يقوم الرسول ﷺ بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم المعاصرين له.

هناك اضطراب في الرويات التي تناولت تواريخ إرسال الرسائل. فقد روى ابن سعد[4] أن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتابا، فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع.

ويذكر الطبري[5] أن بعث هؤلاء النفر الست كان في ذي الحجة. وهي من رواية الواقدي. وواضح من نص خبر الواقدي عند ابن سعد أن رجوع النبي ﷺ من الحديبية كان في ذي الحجة، وأن إرسال النفر الستة كان في

---

(١) سبأ: ٢٨.
(٢) الأعراف: ١٥٨.
(٣) الأنبياء: ١٠٧.
(٤) الطبقات (١/٢٥٨) من طريق شيخه الواقدي وبأسانيده.
(٥) التاريخ (٢/٦٤٤) من رواية الواقدي.

المحرم من العام السابع، فيكون الوهم في النقل من قبل الطبري. أما ابن اسحاق[٦] فلا يحدد تاريخا دقيقا لإرسال الرسل، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته، قال في رواية: «كان رسول الله ﷺ قد فرق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله (عز وجل) فيما بين الحديبية ووفاته». واستدرك عليه ابن هشام[٧] في زيادات السيرة قائلا بأن إرساله الرسل كان بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية.

ويؤرخ ابن سعد[٨] لرسالة كسرى قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولى سنة سبع، التي قتل فيها كسرى. وذكر البخاري[٩] رسالة كسرى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري، لكن من الواضح أن البخاري لم يراع عنصر الزمن في سرد محتويات «صحيحه»، لأنه يجمع ما يقع على شرطه من البعوث والسرايا والوفود ولو تباينت تواريخهم، وقد نبه ابن حجر إلى احتمال تصرف بعض رواة صحيح البخاري في تقديم وتأخير بعض التراجم، مثل تقديم حجة الوداع على غزوة تبوك[١٠].

إن الدراسة التفصيلية لتلك الرسائل تجعل النفس تميل إلى قبول ما ذكره ابن إسحاق[١١].

المبحث الأول: كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي:

صح أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي[١٢]: «تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك أن لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون». فآمن ومن كان عنده، وأرسل

(٦) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٦٤٥) بإسناد ضعيف.
(٧) السيرة (٣/ ٣٣٨) وذلك ضمن خبر رواه بلاغا، ورواه ابن عساكر والديلمي في مسنده كما في كنز العمال (١٠/ ٦٣٤ - ٦٣٥)، والطبراني كما في المجمع (٥/ ٣٠٥ - ٣٠٦) وفيه محمد بن إسماعيل ابن عياش، وهو ضعيف.
(٨) الطبقات (١/ ٢٦٠).
(٩) الفتح (١٦/ ٢٥٧/ح ٤٤٢٤).
(١٠) انظر: الفتح (١٦/ ٢٣٧). و (١٦/ ٢٠٤ - ٢٠٥/ح ٤٣٦٣).
(١١) انظر عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص ٥٩ - ٦٠.
(١٢) مسلم (٣/ ١٣٩٧/ح ١٧٧٤).

إلى رسول الله ﷺ بهدية حلة، فقال رسول الله ﷺ «اتركوه ما ترككم»[١٣].

وكان الذي حمل الرسالة إلى النجاشي، عمرو بن أمية الضمري[١٤].

وذكر الزيلعي[١٥] وغيره عن الواقدي أن الذي كتبه النبي ﷺ إلى النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة عن طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله (عز وجل)، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

وذكر أبو موسى المديني في التتمة لكتاب ابن منده في الصحابة، بإسناد معلق، أن النجاشي كتب مع ولده كتابا جوابا لكتاب النبي ﷺ وأورد نصه، وفيه إقراره بالإسلام، وإن شاء الرسول ﷺ أن يأتيه بالمدينة المنورة لأتاه، وأنه بعث إليه بابنه أرها بن الأصْحَم، وأن ابنه خرج في ستين نفسا من الحبشة فغرقت بهم سفينتهم في البحر[١٦].

وقد ثبت أن الرسول ﷺ صلى صلاة الغائب عندما أخبره جبريل بوفاة

---

(١٣) رواه أبوداود: السنن (٤/ ٤٩٠/ ك. الملاحم/ ب. النهي عن تهيج الحبشة/ح ٤٣٠٩) بلفظ: «أتركوا الحبشة ماتركوكم» الحاكم (٤/ ٤٥٣) من حديث عبدالله بن عمر، وأحمد في المسند بهذا اللفظ من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن رجل من الصحابة، ورواه أبوداود أيضا (٤/ ٤٨٥/ الكتاب والباب نفساهما/ح ٤٣٠٢)، والنسائي (٦/ ٤٤/ ك. الجهاد/ ب. غزوة الترك والحبشة) حديث أبي سكينة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بلفظ: «دعوا الحبشة مادعوكم واتركوا الترك ما تركوكم»، وهو حديث حسن. وانظر: «جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٢٢٣)، و(١١/ ٢٩٦).

(١٤) انظر: أسد الغابة (٤/ ١٩٣ - ١٩٤)، وابن هشام (٤/ ٣٣٨) بلاغا، وابن سعد (٢/ ٢٥٨) من رواية الواقدي.

(١٥) نصب الراية لأحاديث الهداية (٤/ ٤٢١)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص ص ٥٠ - ٥١.

(١٦) قاله ابن طولون، ص ٥٠، وانظر نص الرسالة عنده، وذكر نصها الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٤٢١) والطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٣) معلقا، وابن سيد الناس في العيون (٢/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

النجاشي، وذلك في العام التاسع الهجري[17].

المبحث الثاني: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى:

روى البخاري[18] بسنده إلى ابن عباس: «بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حُذَافَة السَّهْمِي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين[19]، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى. فلما قرأه مزقه، قال الراوي - الزهري: فحسبت أن ابن المسيب قال: «فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق».

وكتب كسرى إلى بَاذَان عامله باليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه[20] ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد». فجاءاه من الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى في هذه الليلة»، لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء[21] الذين باليمن[22].

ويذكر أن كسرى المعني هو إبْرِويز بن هُرْمز[23]، ويؤكد بتلر[24] أن موت

---

(١٧) انظر المبحث الخاص بإسلام النجاشي.

(١٨) الفتح (١٦/ ٢٥٦ - ٢٥٧/ح ٤٤٢٤).

(١٩) هو المنذر بن ساوى كما ذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية (٣/ ٣٤١) وابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٥٧).

(٢٠) اسمه «بابويه»، وهو الكاتب الحاسب، واسم الرجل الآخر: خر خسرة كما في رواية الطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٥).

(٢١) اصطلاح يطلق على الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن في تلك الفترة.

(٢٢) ابن سعد (١/ ٢٦٠) من رواية شيخه الواقدي، ورواها مطولا الطبري في تاريخ (٢/ ٦٥٥ - ٦٥٧) عن طريق ابن إسحاق من رواية شيخه يزيد بن أبي حبيب المصري مرسلا، وفيه زيادات، مثل اسمي رسولي باذان وأوصافهما وحوار الرسول ﷺ معهما. أما تاريخ قتل شيرويه لأبيه كسرى فقد عزاه الطبري إلى الواقدي.

(٢٣) الزرقاني: (٣/ ٣٤١).

(٢٤) فتح مصر، ص ص ١٣٨ - ١٥٣.

كسرى إبَرويز حدث في مارس عام ٦٢٨م، مما يجعل وصول الرسالة قبل موته بشهور توكيدا لرواية الواقدي.

وروى الطبري[٢٥] نص رسالة النبي ﷺ إلى كسرى، وكذلك رواها ابن طولون[٢٦]، وغيرهما، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك».

المبحث الثالث: كتاب النبي ﷺ إلى قيصر:

ثبت في الصحيحين[٢٧] أن الرسول ﷺ قد كتب إلى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي يدعوه إلى الإسلام. وذلك في مدة هدنة الحديبية، وهو النص الثاني الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الزعماء، ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[٢٨]. ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[٢٩].

---

(٢٥) التاريخ (٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل، وأبوعبيد في الأموال ص٢٥٣ مرسلاً، وبذلك يكون الحديث حسنا كما ذكرالألباني في حاشيته على فقه السيرة للغزالي، ص٣٨٨.

(٢٦) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ص ٦١ - ٦٢.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٢/ ٦٩ - ٧٢/ح ٢٩٤٠، ٢٩٤١)، مسلم (٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٧/ح ١٧٧٣) وكلاهما من حديث أبي سفيان الطويل في صفة النبي ﷺ.

(٢٨) اختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحها وأشهرها أنهم الأكارون، أي الفلاحون.... انظر: الفتح (١٧/ ٨٠ - ٨١/ح ٤٥٥٣).

(٢٩) آل عمران: ٦٤.

ولعل في إيراد البخاري ومسلم لنص خطاب الرسول ﷺ إلى قيصر ما يشير إلى ترجيحهما للروايات القائلة بتقدم نزول الآية المذكورة، أي قبل تاريخ إرسال هذه الرسالة، وليس في العام التاسع كما ورد في روايات ضعيفة[٣٠].

وعندما قرأ قيصر رسالة النبي ﷺ أرسل يبحث عن بعض المتصلين بالنبي ﷺ، وفضل أن يكونوا من قومه وعشيرته، فعلم بوجود جماعة من التجار فيهم أبوسفيان، فدعاهم لمجلسه مع الترجمان، فقال: «أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟» فقال أبوسفيان: «أنا أقربهم نسبا»، فأدناه منه وقرب أصحابه منه لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، فأخذ يسأله عن جميع أحوال النبي ﷺ كما في الحديث الطويل المشهور، حديث هرقل مع أبي سفيان، المروي في الصحيحين، واستنتج من أجوبة أبي سفيان أن محمدا ﷺ نبي، وقال في ختام كلامه مع أبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه».

ثم قال للرسول (دحية الكلبي): «إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته»، ثم صرفه إلى ضغاطر، الأسقف صاحب الفتوى عندهم بحجة أنه أعلم الروم بهذا الشأن.

وروى ابن حبان[٣١] أن دحية عندما جاء وافى قيصر ببيت المقدس، فرمى بالكتاب على بساطه وتنحى، فلما انتهى قيصر من الكتاب، أخذه، وأمن من جاء به فظهر له دحية، فطلب من دحية أن يأتيه في عاصمته، فلما

(٣٠) انظر د. العمري: المجتمع المدني - تنظيماته، ص ص ١٥٢ - ١٥٣، د. عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص ص ٦١ - ٦٢.

(٣١) صحيحه - موارد الظمآن/ح ١٦٢٨)، بإسناد صحيح كما قال محقق الزاد (١/ ١٢١/ طبعة مؤسسة الرسالة. ورواه أيضا أبوعبيد في الأموال ص ٢٥٥ بإسناد صحيح، لكنه مرسل، ونقل الزرقاني في شرح المواهب (٣/ ٢٤٠) عن «الفتح» أنه في مسند أحمد ايضا، ولم يذكر صحابيه. انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي، ص ٣٨٦.

جاءه، أمر بأبواب قصره فغلقت، ثم أمر مناديا ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمدا وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله ﷺ: «قد ترى أني خائف على مملكتي»، ثم أمر مناديه فنادى: «ألا إن قيصر قد رضي عنكم وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم، فارجعوا»، فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: «كذب عدو الله، وهو على دين النصرانية»، وقسم الدنانير.

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد شح بالملك وطلب الرئاسة وآثرهما على الإسلام، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي، فإنه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة[٣٢].

المبحث الرابع: كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شُمَّر الغساني:

روى الواقدي[٣٣] أن رسول الله ﷺ كتب كتابا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني[٣٤]، مع شُجَاع بن وَهْب، وأورد نصه. وقد امتعض الحارث ولم يوافق على الإسلام وحشد قواته للزحف على المدينة، ولكن هرقل تدخل ودعاه إلى إيلياء ـ بيت المقدس.

وقد بعث رسول الله ﷺ شجاعا إليه حين مرجعه من الحديبية، ومن خلال رواية شجاع في قصته معه يظهر أنه كتب إليه في نفس الوقت الذي كتب فيه إلى هرقل مع دحية، لأن شجاعا عندما جاء إلى الحارث وجد دحية مع القيصر في إيلياء[٣٥].

---

(٣٢) النووي بشرح مسلم (١٢/١٠٧/ ك. الجهاد/ ب. كتب النبي ﷺ.
(٣٣) نقله عنه الطبري في تاريخه (٢/٦٥٢) والقصة عند أهل السير. وأسانيدهم ضعيفة.
(٣٤) من أمراء غسان في أطراف الشام، وكانت إقامته بغوطة دمشق.
(٣٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٦١)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، وإعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٤، المواهب اللدنية للزرقاني (٣/ ٣٥٦).
قلت: ونص الرسالة عند الطبري في تاريخه (٢/٦٥٢) من رواية الواقدي، ولم نقف عليها في مغازي الواقدي، وبقية القصة دون ذكر الرسالة عند ابن سعد (١/ ٢٦١). وابن سيد الناس (٢/ ٢٧٠ ـ ٧١) ـ وهي من رواية الواقدي وفيها نص الرسالة. وذكر ابن هشام أنه بعث شجاع ابن وهب إلى الحارث بن أبي شمر ـ ابن هشام (٤/ ٣٣٩). وإسناده ضعيف. ولم يرد عند غيره بإسناد يحتج به.

وتقول رواية شجاع: إن حاجب الحارث ـ وهو رومي اسمه مرى ـ أسلم عندما أخبره شجاع بالرسول ﷺ والإسلام.

المبحث الخامس: كتاب النبي ﷺ إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفي صاحب اليمامة:

كتب إليه مع سليط بن عمرو العامري، أحد النفر الستة الذين تحركوا في وقت واحد حين مقدم الرسول ﷺ من الحديبية، وعندما قرأ هوذة الرسالة اشترط على النبي ﷺ أن يجعل له بعض الأمر معه، فلم يقبل الرسول ﷺ بذلك، ومات حين منصرف الرسول ﷺ من فتح مكة(٣٦).

المبحث السادس: كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس:

بعث الرسول ﷺ كتابه إلى المقوقس ـ جُرَيج بن مِينَا ـ ملك الإسكندرية وعظيم القبط، مع حاطب بن أبي بلتعة، فقال خيرا وقارب الأمر ولم يسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ مارية وأختها سِيرين وقَيسرَى، فتسرى مارية القبطية، وهي أم ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، فهي أم ولده عبدالرحمن، وأهداه ألف مثقال ذهب، وبغلة، اسمها دلدل، وجارية أخرى سوداء اسمها بَرِيَرة، وغلاما خصيا اسمه مَأبُور، وحمارا أشهب يقال له يَعْفُور وفرسا هو اللزاز، وعسلا وأشياء أخرى.

وعندما جاءت رسالة المقوقس إلى الرسول ﷺ قال: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه»(٣٧).

---

(٣٦) انظر الخبر عند: ابن سعد (١/ ٢٦٢) وعنده نص خطاب هوذة، وليس عنده نص خطاب الرسول ﷺ إليه، عيون الأثر (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، نصب الراية للزيلعي (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤٢٥)، إعلام السائلين، ص ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٣٧) انظر: ابن سعد (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) من رواية الواقدي، وفيه قول الرسول ﷺ: «ضن الخبيث بملكه...»، وابن هشام (١/ ٢٤٧) بإسناده إلى ابن لهيعة، مختصر جدا بخصوص إهداء المقوقس مارية القبطية للنبي ﷺ، ويقويه حديث البزار الآتي ذكره، وابن حجر في الإصابة (١/ ٣٠٠) ـ ترجمة حاطب... وقال ابن حجر في خبر إرسال حاطب إلى المقوقس: «أخرجه ابن شاهين من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده (قلت: وفي إسناد ابن شاهين سليمان ابن أرقم وهو متروك)، وابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٣٥) ترجمة مابور، وقد أورد ابن حجر أحاديث تتقوى بالشواهد والمتابعات تفيد بأن النبي ﷺ قد ارتاب في مارية وعلاقتها بمابور فبرأ الله حرم النبي ﷺ من الريبة، وبشره بولد منها.

==

المبحث السابع: كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى العَبْدِي:

روى ابن سيد الناس[٣٨] أن النبي ﷺ كتب إلى المنذر بن ساوى العبدي، أمير البحرين، مع أبي العلاء الحضرمي، بعد انصرافه من غزوة الحديبية، ثم قال: ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة، قال: «وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس، بعد موته، فنسخته، فإذا فيه. . .».

وخلاصة ما ذكره ابن سيد الناس عن كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر ردا على كتابه الأول إليه أن المنذر قبل الإسلام ومعه آخرون من أهل البحرين، ولم يورد نص رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر.

==

ومن الشواهد التي ساقها ابن حجر ما رواه مسلم (٤/ ٢١٣٩/ح ٢٧٧١) من حديث أنس أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلي: «اذهب فاضرب عنقه». فأتاه علي فإذا هو في ركى (بئر) يتبرد فيها. فقال له علي: «اخرج». فناوله يده فأخرجه فاذا هو مجبوب ليس له ذكر. فكف علي عنه. ثم أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، إنه لمجبوب. ماله ذكر».

وليس في حديث مسلم تسمية للرجل، وسماه ابن أبي خيثمة كما في الإصابة (٣/ ٣٣٥). وروى ابن عبدالحكم القصة بمثل مضمون رواية مسلم كما في الإصابة (٣/ ٣٥٥) وفيها أن الذي أراد قتل قريب مارية هو عمر بن الخطاب، وقد وفق ابن حجر بين الروايتين.

وقال ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٠٥) ـ ترجمة مارية: «وأخرج البزار بسند حسن عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، قال: أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين وبغلة، فكان يركب البغلة بالمدينة واتخذ إحدى الجاريتين لنفسه، وقال الهيثمي في المجمع عن هذا الخبر: «رجال البزار رجال الصحيح». وأخرج ابن كثير في البداية (٥/ ٣٤٠) من رواية أبي بكر بن خزيمة بإسناد فيه محمد ابن زياد، وهو صدوق يخطىء، وبشير بن المهاجر وهو صدوق لين الحديث، وبقية رجاله ثقات، ويقويه حديث البزار، ولفظه: «أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين أختين، وبغلة، فكان يركب البغلة بالمدينة واتخذ إحدى الجاريتين فولدت له إبراهيم ابنه، ووهب الأخرى».

وقد خطأ البزار شيخه محمد بن زياد في هذا الحديث، فقال بعد أن رواه: «وهم ابن زياد في هذا، فرواه عن ابن عيينة، وابن عيينة ليس عنده بشير بن المهاجر، ولكن رواه عن بشير بن حاتم بن إسماعيل ودلهم بن دهشم». قلت: فإن صحت رواية ابن عيينة عن بشير ودلهم، فالخبر صحيح، والله أعلم.

وانظر: نصب الراية (٤/ ٤٢٤)، وإعلام السائلين لابن طولون، ص ص ٧٧ ـ ٨١. وفيه الرسائل المتبادلة بين المقوقس والرسول ﷺ.

وانظر: دراسة الدكتور عون الشريف قاسم لهذه الرسائل في مؤلفه، دبلوماسية محمد ﷺ، ص ص ٨٠ ـ ٨٦ (تحليل الرسائل) وص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨ (نصوص الرسائل ومصادرها). وأشار في ص ص ٨١ ـ ٨٥ إلى الجدل الذي أثير حول اكتشاف المستشرق الفرنسي بارتيلمي مخطوطة الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ إلى المقوقس سنة ١٨٥٠م، واقتنع بارتيلمي بأن المخطوط صحيح. . . .

وانظر: فتوح مصر لابن عبدالحكم، ص ٤٦، وفيه أقدم نص لرسالة النبي ﷺ إلى المقوقس، والمواهب اللدنية للقسطلاني (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وفيه نص الرسالة.

(٣٨) عيون الأثر (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) وانظر نص الرسائل عنده وعند ابن طولون، ص ص ٥٦ ـ ٥٧، والزيلعي: نصب الراية (١٤/ ٤٢٠) وصبح الأعشى (٦/ ٣٦٨)، والكامل لابن الأثير (٢/ ٢١٥)، وعند ابن سعد في الطبقات طرف منها (١/ ٢٦٣)، وتخالف روايته رواية ابن سيد الناس من حيث التاريخ لأن ابن سعد يذكر أنها في العام الثامن، مسيره من الجعرانة.

وهناك روايات أخرى تشير إلى رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر، ولكنها في رجب سنة تسع هجرية، منصرفه من تبوك[٣٩].

المبحث الثامن: كتاب النبي ﷺ إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدَى:

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان بكتابة إلى جيفر وعبد ابني الجلندى الأزديين بعُمان، فأسلما، وصدقا، وخليا بين عمرو بن العاص والصدقة، وترك أمر الحكم لهما[٣٩].

المبحث التاسع: رسائل أخرى متفرقة:

٩ - وكتب النبي ﷺ كتابا إلى أهل دَمَا، وهي قرية من قرى عُمان، وكان عليها رجل من أساورة كسرى، يقال له بستجان. وروى الكتاب ابن طولون[٤١] بسنده إلى أبي شداد، رجل من أهل دما، ونصه:

«من محمد رسول الله الى أهل عمان، سلام، أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد، كذا وكذا، وإلا غزوتكم».

١٠ - وكتب رسول الله ﷺ إلى رَعِيَّة السُّحَيمي، فأخذ الكتاب ورقع به دلوه، فبعث إليه الرسول ﷺ سرية فأخذت ماله وأهله. فجاء المدينة نادما، فبايع على الإسلام، وأحرز أهله[٤٢].

١١ - وكتب إلى مسيلمة الكذاب - زعيم اليمامة - يدعوه إلى الإسلام مع

---

(٣٩) أورد نصها ابن طولون، ص ٥٨ من رواية الواقدي التي ذكرها الزيلعي في آخر كتاب: تخريج أحاديث الهداية (٤/ ٤١٩ - ٤٢٠)، وفيها ما أسنده الواقدي عن عكرمة بنحو ما تقدم عن ابن سيد الناس، وذكرالقلقشندي (٦/ ٣٧٦) نص رسالة النبي ﷺ إلى المنذر والتي أوردها أبوعبيد في الأموال، كتاب الفيء ووجوهه، باب الجزية، ص٢٨.

(٤٠) عيون الأثر (٢/ ٢٦٧)، المواهب اللدنية (٣/ ٣٥٢)، نصب الراية (٤/ ٤٢٣ - ٤٢٤)، إعلام السائلين، ص ص ٩٢ - ٩٦.

(٤١) إعلام السائلين، ص ص ٩٧ - ٩٨، وابن الأثير (٥/ ٢٢٥). وقيل إن دما مدينة تذكر مع دبا كانت من أسواق العرب المشهورة - معجم البلدان: (٢/ ٤٦١) وقد أشار إلى هذه الرسالة.

(٤٢) روى قصته ابن حجر في الإصابة (١/ ٥١٦)، وابن طولون في إعلام السائلين، ص ص ٩٩ - ١٠١، وكلاهما من حديث الشعبي. وجاء خبره في مسند أحمد (٥/ ٥٨٥). وقال ابن حجر في الإصابة (١/ ٥١٦): «وروى حديثه ابن أبي شيبة، وقال: قال ابن السكن: إسناد حديثه صالح».

عمرو بن أمية الضمري[٤٣]. فكتب إليه مسيلمة جوابا على كتابه، ونصه «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك. أمابعد: فإني أشركت معك في الأمر، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون[٤٤].

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب، فعندما قرىء عليه قال لهما: «فما تقولان أنتما؟» قالا: «نقول كما قال»، فقال عليه السلام: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[٤٥].

ثم كتب إليه الرسول ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[٤٦].

ثم كان ماكان من أمر مسيلمة وفتنته في عهد أبي بكر الصديق وقضاء أبي بكر عليهما بعد خسارة فادحة في الأرواح بين الطرفين.

١٢ ـ وكتب الرسول ﷺ كتابا إلى عظيم بُصْرَى وأرسله مع الحارث بن عُمَير الأزدي. فعرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني بمؤتة، فأوثقه رباطا، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره[٤٧].

١٣ ـ وكتب النبي ﷺ إلى بكر بن وائل[٤٨].

١٤ ـ وكتب إلى بني عمرو من حمير، يدعوهم إلى الإسلام[٤٩].

١٥ ـ وكتب إلى جَبَلة بن الأَيْهم ملك غسان، يدعوه إلى الإسلام[٥٠].

---

(٤٣) ابن سعد (١/ ٢٧٣)، من رواية شيخه الواقدي فالرواية ضعيفة لأن الواقدي متروك.

(٤٤) ابن هشام (٤/ ٣٢٩/ معلقا) والمعلق من أقسام الضعيف.

(٤٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٧)، وأبوداود في سننه. برقم (٢٧٦١) وإسناده صحيح كما في حاشية زاد المعاد (٣/ ٦١١)، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ٣٢٩). والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٤٦) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع لأنه أبهم اسم الشيخ الأشجعي الذي حدثه ـ ابن هشام (٤/ ٣٢٩) ـ والآية: ١٢٨ من سورة الأعراف (والمنقطع ضعيف كما قلنا).

(٤٧) الواقدي (٢/ ٧٥٥ ـ ٧٥٦).

(٤٨) رواه ابن حبان في صحيحه ـ الموارد ـ برقم (١٦٢٦) بسنده إلى أنس (رضي الله عنه)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص١٣٢، ونصب الراية للزيلعي (٤/ ٤١٩).

(٤٩) ابن سعد (١/ ٢٦٥) من رواية الواقدي.

(٥٠) المصدر والمكان نفساهما.

١٦ ـ وبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي بكتابه إلى ذي الكلاع ابن ناكور وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وأسلمت امرأة ذي الكلاع[٥١].

١٧ ـ وكتب الى معدي كرب بن أبرهة، وأن له ما أسلم عليه من أرض خولان[٥٢].

١٨ ـ وكتب إلى أسقف بني الحارث بن كعب وأساقفه نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم[٥٣].

١٩ ـ وكتب إلى يحنة بن روبة صاحب أيلة[٥٤].

٢٠ ـ وإلى أبي ظبيان الأزدي من غامد، فأجابه في نفر من قومه بمكة[٥٥].

٢١ ـ وإلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كُلال من حمير. وبعث الكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي[٥٦].

٢٢ ـ والى نُفَاثَة بن فَروة الدئلي ملك السماوة[٥٧].

وكتب إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرخين.

المبحث العاشر: فوائد وحكم وعبر في هذا المقطع من السيرة:

١ ـ تؤكد هذه الرسائل على حقيقة معلومة ذكرناها في أول هذا الفصل، وهي أن الإسلام دين عالمي، لذا كان واجب الرسول ﷺ إبلاغ الدعوة إلى كل من يعرف من الناس وبكل الوسائل المتاحة في ذلك الزمان.

٢ ـ إن رفض بعض الحكام لدعوة الإسلام نابع من حبهم لسلطتهم وتكبرهم وتجبرهم وليس لعدم قناعتهم بالإسلام.

---

(٥١) المصدر نفسه، ص ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٢، من حديث الزهري.
(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

٣ ـ دل اتخاذ الرسول ﷺ خاتما من فضة يختم به رسائله على مشروعية اتخاذ الخاتم، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه. وقد استدل كثير من العلماء بذلك على استحباب وضع خاتم من فضة في الأصبع التي كان الرسول ﷺ يضع خاتمه فيها، وهي أصبع الخنصر.

٤ ـ إن جعله ﷺ اسم الله أعلى في الخاتم واسمه الأدنى، فيه من تعظيم الله وإعظام اسمه ما لا يقادر قدره.

٥ ـ إن إقراره ﷺ لمن كتب إليهم بأن يبقوا على ملكهم نابع من سياسته الرشيدة وتدبيره الحسن للأمور.

الفصل السابع عشر

السرايا بين غزوة خيبر وعمرة القضاء:

المبحث الأوَّل: سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تُرَبة:

بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين راكبا إلى بني نضر بن معاوية بن بكر ابن هوازن وبني جشم بن بكر بن هوازن الذين كانوا بتربة، وهو موضع قريب من مكة، وعندما علموا بمسير المسلمين اليهم هربوا، فعاد عمر وأصحابه وبنو نضر وبنو جشم هم عَجُز هوازن.

وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة[1].

المبحث الثاني: سرية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى نجد:

بعثه الرسول ﷺ إلى بني فزارة في أرض نجد، فشن عليهم الغارة، فقتل منهم من قتل، وكان معه في السرية سلمة بن الأكوع، حيث تمكن من أسر مجموعة من الذراري، فنفله أبوبكر منهم جارية جميلة، طلبها منه الرسول ﷺ، وفدى بها أسرى من المسلمين بمكة[2].

وكانت هذه السرية في شعبان سنة سبع من الهجرة[3].

المبحث الثالث: سرية بشير بن سعد إلى ناحية فَدَك:

أرسله الرسول ﷺ في ثلاثين رجلا إلى بني مُرَّة بفدك، فتمكن من استياق

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٢٢)، ابن سعد (٢/ ١١٧) معلقا.

(٢) أخرج الخبر بتمامه مسلم (٣/ ١٣٧٥ - ١٣٧٦/ح ١٧٥٥). ورواه الواقدي مختصراً، وابن سعد (٢/ ١١٧ - ١١٨) بمثل رواية مسلم.

وفي خبر الجارية وفداء الرسول ﷺ بها أسرى من المسلمين بمكة دليل على مشروعية فداء أسرى المسلمين بأسرى مشركين وقعوا في أيدي المسلمين.

(٣) ابن سعد (٢/ ١١٧).

نعمهم بينما كانوا في بواديهم. وعندما علموا بالخبر أدركوه، وأصابوا أصحابه، وولى منهم من ولى، وقاتل بشير ببسالة حتى سقط، وظنوه قد مات. ورجعوا بأنعامهم. وفي المساء تمكن بشير من اللجوء إلى فدك، وأقام عند يهودي أياما حتى ضمدت جراحه، فرجع إلى المدينة. ونقل خبر مصابهم إلى المدينة عُلْبة بن زيد الحارثي.

وكان ذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة[٤].

المبحث الرابع: سرية غالب بن عبدالله إلى الميفَعة[٥]:

الراجح أن هذه السرية هي التي عناها البخاري[٦] ومسلم[٧] وابن إسحاق[٨] في روايتهم من حديث أسامة بن زيد. قال أسامة: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَة من جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت يارسول الله، إنما كان متعوذا، قال: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم».

وعند ابن إسحاق أن اسم الرجل المقتول «مِرداس بن نَهيك، من الحرقة، من جهينة، وحليف لبني مرة. وعند الواقدي[٩] ان اسمه نهيك بن مرداس، ولكن السرية عنده هي سرية غالب بن عبدالله إلى مصاب بشير وأصحابه، وعند ابن أبي عاصم أن اسمه مرداس الفدكي، وأنه مات في المعركة[١٠].

---

(٤) الواقدي (٢/٧٢٣)، ابن سعد (٢/١١٨ - ١١٩) معلقا.

(٥) الميفعة: وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برد. وهي ماء لبني عبد ابن ثعلبة وبني عوال.
انظر: الطبقات (٢/٨٦).

(٦) الفتح (١٢/٢٦/١٣/ح ٦٨٧٢) واللفظ للبخاري.

(٧) الصحيح (١/ ٩٦ - ٩٧/ح ١٥٨، ١٥٩)، وانظره عنده من غير حديث أسامة (١/٩٧/ح ١٦٠).

(٨) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٢٤٨) وإسناده حسن.

(٩) المغازي (٢/ ٧٢٤).

(١٠) ذكره ابن حجر في الفتح (١٢/٢٦ - ١٣).

والراجح أن اسمه مرداس بن نهيك كما هو عند ابن إسحاق، وأن الذي قتله هو أسامة بن زيد.

أما الواقدي[11] وابن سعد[12] فقد ذكرا أن سرية غالب بن عبدالله التي وقعت فيها قصة أسامة مع الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله على الرغم من ذلك، كانت إلى الميفعة، وأن عدتها مائة وثلاثون راكبا بعثهم الرسول ﷺ إلى بني عبد بن ثعلبة وبني عُوال، وفيهم يَسَار مولى رسول الله ﷺ، الذي قادهم إلى مكان العدو، حيث أوقعوا به واستاقوا نعمه وشاءه، وقتلوا من أشرف إليهم، وذلك في رمضان سنة سبع من الهجرة.

وذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ قال لأسامة عندما بلغه خبر قتله الرجل الذي نطق بالشهادتين: «ألا شققت قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب؟ فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله».

إن في هذا اللوم تعليما وبلاغا في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وإنما كلف الإنسان بالعمل الظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس للإنسان طريق إلى ما فيه.

وفيه دليل على ترتيب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة[13].

المبحث الخامس: سرية بشير بن سعد إلى الجِنَاب:

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من غَطَفَان بالجناب قد واعدهم عُيَيْنَة بن حِصْن ليكون معهم ليزحفوا على المدينة، فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل، حتى أتوا إلى يُمْن وجَبَار وهم نحو الجناب، والجناب يعارض سِلاح وخيبر ووادي القرى، فنزلوا بسلاح، ثم دنوا من القوم، فأصابوا لهم نعما كثيرا، وتفرق الرعاء وحذروا القوم، فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم. ولذا لم يجد بشير عندما حل بديارهم ومحالهم إلا

---

(11) المغازي (٢/٧٢٦ - ٧٢٧) بإسناده.
(12) الطبقات (٢/١٩٩) معلقا.
(13) انظر ابن حجر: الفتح (١٣/٢٦).

رجلين، فأسرهما وقدم بهما على رسول الله ﷺ فأسلما، فأرسلهما. وكان ذلك في شوال سنة سبع من الهجرة[14]. وفي رواية أنهم عندما أتوا أسفل خيبر أغاروا على المشركين وقتلوا عينا لعيينة، ثم لقوا جمع عيينة فناوشوهم، ثم انكشف جمع عيينة، وأسر منهم رجلان[15].

وكانت هذه السرية سببا في أن يفكر عيينة في أمر الإسلام لحوار دار بينه وبين حليفه الحارث بن عَوف المري وفروة بن هُبيرة القشيري. وكانت خلاصة الحوار أن أخذوا يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى[16]، ثم أصبح من المؤلفة قلوبهم كما استفاضت الأخبار في ذلك. فقد ثبت أنه حضر حنينا مع الرسول ﷺ كما في رواية ابن إسحاق[17].

---

(١٤) ابن سعد (٢/ ١٢٠) معلقا، الواقدي (٢/ ٧٢٧ ـ ٧٢٨). والإسنادان ضعيفان.
(١٥) الواقدي (٢/ ٧٢٨) وإسناده ضعيف جدا لأن الواقدي متروك في الحديث كما قلنا.
(١٦) انظر قصتهم عند الواقدي (٢/ ٧٢٩ ـ ٣١).
(١٧) ابن هشام (٤/ ٣٦٤ ـ ٦٦) وإسناده حسن.

الفصل الثامن عشر

عمـرة القضـاء:

خرج رسول الله ﷺ والمسلمون إلى مكة في ذي القعدة من العام السابع الهجري لأداء العمرة حسب الشروط التي تمت في صلح الحديبية[1].

فقد روى البيهقي[2] وابن سعد[3] أن المسلمين صحبوا معهم أسلحتهم، ووضعوها بِيَأْجِج[4]، خارج الحرم، ودخلوا بسلاح الراكب، السيوف، كما هو الشرط.

لقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، منهم الذين شهدوا الحديبية[5].

وعندما دخل الرسول ﷺ مكة كان عبدالله بن رَوَاحَة ينشد بين يديه:

خلـوا بني الكفـار عـن سبيلـه * اليـوم نضربكـم علـى تنزيلـه
ضربـا يزيـل الهـام عـن مقيـله * ويذهـل الخليـل عـن خليلـه[6]

وعنـدمـا أشـاعت قريش أن المسلمين ضعفاء بسبب حمى يثرب، أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يرملوا ويسارعوا بالعدو في الأشواط الثلاثة الأولى

---

(١) من رواية ابن إسحاق ـ معلقة ـ ابن هشام (١٨/٤ ـ ١٩) وموسى بن عقبة عن الزهري، ومحمد ابن عبدالأعلى الصنعاني عن المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه، وابن لهيعة عن الأسود عن عروة كما في دلائل البيهقي (٣١٣/٤ ـ ٣١٤)، ويعقوب بن سفيان بسند حسن عن ابن عمر كما في الفتح (٨٤/١٦/ ك. المغازي/ ب. عمرة القضاء). وانظر الشروط في فصل غزوة الحديبية.

(٢) الدلائل (٣١٤/٤) وإسناده مرسل، من حديث موسى بن عقبة عن الزهري.

(٣) الطبقات (١٢١/٢) معلقا.

(٤) واد قريب من مكة، أو مكان من مكة على ثمانية أميال ـ معجم البلدان (٤٢٤/٥).

(٥) قال الحاكم في الإكليل إن الأخبار تواترت بذلك ـ ابن حجر: الفتح (٨٤/١٦).

(٦) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب». كما ذكر ابن حجر في الفتح (٨٦/١٦). وانظر الروايات الأخرى التي فيها أبيات أخرى تنسب إلى ابن رواحة وغيره في هذا المقام وغيره عند ابن حجر في الفتح (٨٥/١٦ ـ ٨٦).

من طوافهم، وأن يسعوا بين الصفا والمروة مهرولين ليرى المشركون قوتهم[٧]. ففعلوا ما أمروا به، فرأتهم قريش وهي مصطفة على جبل قيقعان في مواجهة ما بين الركنين، فتعجبوا من قوتهم[٨]، وقالوا هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا[٩].

وعندما فرغ رسول الله ﷺ من أداء مناسك العمرة أمر جماعة من الصحابة أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يَأْجِج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون الذين كانوا في حراسة السلاح ليقضوا نسكهم، ففعلوا، ثم دخل ﷺ الكعبة ومكث بها إلى الظهر، ثم أمر بلالا فأذن على ظهر الكعبة[١٠].

وعندما انقضت الأيام الثلاثة، جاءت قريش في صباح اليوم الرابع إلى علي (رضي الله عنه)، فقالوا: «قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل». فخرج النبي ﷺ [١١] ونزل بِسَرِف، فأقام بها إلى أن تتام الناس، ثم انصرف إلى المدينة المنورة في ذي الحجة[١٢].

وفي هذه العمرة تزوج ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية ـ أخت أم الفضل زوج عمه العباس ـ فبنى بها ﷺ بسرف[١٣]. والراجح أن هذا الزواج كان بعد أن تحلل الرسول ﷺ من إحرامه[١٤].

---

(٧) البخاري/ الفتح (١٦/٩٦/ح ٤٢٥٦، ٤٢٥٧)، مسلم (٢/٩٢٣/ح ١٢٦٦).
(٨) البخاري/ الفتح (١٦/٩٦/ح ٤٢٥٦، و٤٢٥٧)، وأحمد: المسند (٤/٢٣٩/شاكر) بإسناد صحيح.
(٩) مسلم (٢/٩٢٣/ح ١٢٦٦).
(١٠) ابن سعد (٢/١٢٢) معلقا.
(١١) البخاري/ الفتح (١٦/٨٩ ـ ٩٠/ح ٤٢٥١).
(١٢) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/٢٢ ـ ٢٣)، ابن سعد (٢/١٢٢) معلقا.
(١٣) من رواية: البخاري/ الفتح (١٦/٩٧/ح ٤٢٥٩).
(١٤) قاله ابن القيم في الزاد (٣/٣٧٢ ـ ٣٧٤) واستناده في ذلك قول ابن المسيب عند أبي داود: السنن (٢/٤٢٥/ ك. المناسك/ ب. المحرم يتزوج) والبيهقي في الدلائل (٤/٣٣٢، ٣٣٦)، ومسلم من حديث ميمونة (٢/١٠٣٢/ح ١٤١١) وأبوداود: السنن /٢/٤٢٢/ ك. المناسك/ ب. المحرم يتزوج) وابن ماجه السنن: (١/٦٣٢/ ك. النكاح/ ب. المحرم يتزوج/ح ١٩٦٤) وأحمد (٣٣٦ ـ ٣٣٥) وحديث أبي رافع عند أحمد (٦/٣٩٣) والفتح الرباني (٢٢/١٧٣)، والترمذي السنن (٣/١٩١ ـ ١٩٢/ ك. الحج/ ب. كراهية تزويج المحرم/ح ٨٤١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن...» وأبورافع من الذين سعوا في أمر هذا الزواج، وهو الذي جاء بميمونة إلى الرسول ﷺ وهو بسرف. وأما قول ابن عباس في الصحيحين وغيرهما «إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال»، فقد عده ابن القيم وهما. انظر الحديث في البخاري: الفتح (١٦/٩٧/ح ٤٢٥٨) ومسلم (٢/١٠٣١ ـ ١٠٣٣/ح ١٤١٠). وقد ساق الدكتور قلعة جي في حاشيته على دلائل النبوة للبيهقي (٤/٣٣٢ ـ ٣٣٥) أقوال العلماء في هذه المسألة.

وكانت ميمونة تحت أبي رِهْم بن عبدالعزى، وقيل تحت أخيه حُوَيطِب. وقيل سَخْبُرة بن رهم[١٥].

ولما أراد الرسول ﷺ الخروج من مكة، تبعتهم الطفلة عمارة ابنة حمزة تنادي: ياعم ياعم، فأخذها علي ودفعها لفاطمة، وهي ابنة عمه، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خَلقي وخُلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»[١٦]، وكان هذا القضاء لأن جعفر محرم لها، إذ لا يجمع الرجل بين المرأة وخالتها في الزواج[١٧].

وفي هذه القصة من الفقه: أن الخالة مقدمة في الحضانة على سائر الأقارب بعد الأبوين.... وفيها حجة لمن قدم الخالة على العمة، وقرابة الأم على قرابة الأب، لأن الرسول ﷺ عندما قضى بعمارة لخالتها فقد كانت صفية عمتها موجودة إذ ذاك، وهذا قول الشافعي، ومالك وأبي حنيفة، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وفي الرواية الثانية: إن العمة مقدمة على الخالة، وهو اختيار الشيخ ابن القيم[١٨].

---

(١٥) ذكره ابن حجر في الفتح (١٦/ ٩٧).
(١٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ٩٠ - ٩٣/ح ٤٢٥١)، أبوداود: السنن (٢/ ٧٠٩ - ٧١٠/ ك. الطلاق/ ب. من أحق بالولد/ح ٢٢٧٨).
(١٧) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ٩٢ وما بعدها).
(١٨) زاد المعاد (٣/ ٣٧٥ - ٣٧٦).

الفصل التاسع عشر

السرايا والاحداث بين عمرة القضاء وسرية مُؤْتة:

المبحث الأول: سرية ابن أبي العَوْجَاء السُّلَمِي:

عندما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضاء بعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارسا، وكان معهم عين لبني سليم، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فأخبرهم، فجمعوا جمعا غفيرا واستعدوا للقاء المسلمين. وعندما جاءهم المسلمون دعوهم إلى الإسلام فرفضوا، وأحدقوا بالمسلمين، فقتلوا عامتهم، وأصابوا ابن أبي العوجاء وتركوه جريحا بين القتلى، ثم تحامل حتى بلغوا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة[1].

المبحث الثاني: إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما):

روى أحمد[2] وابن إسحاق[3] أن عمرو بن العاص عندما رأى علو شأن الرسول ﷺ تحدث مع من يسمعون له من رجال قريش في أمر محمد ﷺ وأقنعهم بالخروج معه إلى النجاشي، فهو أحب إليهم أن يكونوا عنده من أن يكونوا تحت يدي محمد إذا ظهر، وإن ظهر قومهم فلن يأتيهم منهم إلا الخير لمعرفتهم بهم. وجمعوا جلودا ليهدوها إلى النجاشي لأن ذلك أحب ما يهدى إليه من أرض الحجاز. واتفق أن جاؤوا النجاشي وعنده عمرو بن أمية الضمري رسولا من النبي ﷺ، فعندما خرج من عند النجاشي دخل عليه عمرو وطلب منه أن يعطيه إياه ليقتله لأنه من عدوه، فغضب منه

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٤١) بإسناده إلى الزهري، ابن سعد (٢/ ١٢٣) معلقا، البيهقي في الدلائل (٤/ ٣٤١) مختصرا ومرسلا من حديث موسى بن عقبة عن الزهري. فالأسانيد ضعيفة.

(٢) الفتح الرباني (٢١/ ١٣٣ - ١٣٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٣) ابن هشام (٣/ ٣٨٤ - ٣٨٦) بإسناد حسن، وعن ابن إسحاق رواه احمد كما قلنا. وروى الواقدي بتفاصيل أكثر (٢/ ٧٤١ - ٧٥٠) وفيه قصة إسلام خالد بتفصيل أوفى مما عند ابن إسحاق وأحمد.

النجاشي وضربه على أنفه، فخاف واعتذر، ثم قذف الله في قلبه الإسلام لما رأى حماسة الناس حتى العجم في الإيمان بمحمد والدفاع عنه. ولم يتردد عمرو في مبايعة النجاشي على الإسلام عندما اقترح عليه النجاشي ذلك، ثم خرج وكتم إسلامه عن أصحابه وعاد إلى بلاده.

وقبيل الفتح[4] خرج عمرو بن العاص عامدا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليسلم، فلقيه خالد بن الوليد يريد ما يريد عمرو فقدما سويا على الرسول ﷺ، فبايعا على الإسلام.

ومما يؤكد أن إسلام عمرو وخالد كان في التاريخ الذي ذكره ابن إسحاق والواقدي أن اسم خالد ظهر في سرية مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة وأن اسم عمرو بن العاص ظهر في سرية ذات السلاسل في جمادى الثانية سنة ثمان من الهجرة، كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الخاص بهما.

أما قصة إسلام خالد فقد رواها الواقدي[5]، وخلاصتها أن خالدا عندما أراد الله به ما أراد من الخير وقذف في قلبه الإيمان، كان ينصرف بعد كل موطن شهده ضد رسول الله ﷺ ويفكر، فيرى في نفسه أنه في موضع غير موضعه وأن محمدا سيظهر، وفي غزوة الحديبية بالذات تأكد له أن الرسول ﷺ ممنوع، لأنه عندما هم أن يغير بخيله على رسول الله ﷺ بعسفان، أطلع الله رسوله ﷺ على مافي أنفسهم فصلى بأصحابه صلاة الخوف، ولم يترك لهم فرصة. وعندما تم الصلح بالحديبية رأى أنه لم يبق شيء، ففكر في الذهاب إلى النجاشي وهرقل، وبينما هو يقلب هذا الأمر في ذهنه، دخل رسول الله في عمرة القضاء، فتغيب، ودخل أخوه الوليد في الإسلام في هذه العمرة، وطلبه فلم يجده، فكتب إليه كتابا فيه تعجبه من مثله في ذهاب عقله عن الإسلام، وذكر له سؤال الرسول ﷺ عنه وقوله

---

(٤) وقد حدد الواقدي تاريخ هذا الخروج باليوم الأول من صفر سنة ثمان من الهجرة (المغازي ٢/ ٧٤٥)، وهي من رواية عبدالحميد بن جعفر، شيخ الواقدي.

(٥) المغازي (٢/ ٧٤٥ - ٧٤٨)، وابن سعد (٤/ ٢٥٢) معلقا، وبدأ القصة هنا من لقاء خالد بعثمان ابن طلحة. وخبر لقائه بعمرو بن العاص في طريقه إلى المدينة ليسلم رواه ابن إسحاق، ومن طريقه رواه أحمد ضمن خبر إسلام عمرو بن العاص كما ذكرنا، فانظر الحكم على الرواية هناك.

عنه: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره...». فلما جاءه كتاب أخيه نشط للهجرة، وزاده رغبة في الإسلام أنه رأى في المنام كأنه في بلاد ضيقة جدبة، فخرج منها إلى بلاد خضراء واسعة، فقال: إن هذه لرؤيا، فذكرها لأبي بكر عندما قدم المدينة، فقال: هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام والضيق هو الشرك.

وعندما أجمع الهجرة أراد أن يرافقه رجال في مكانته، فاتصل بصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فرفضا، فتركهما فخرج، وعند خروجه التقى بصديقه عثمان بن طلحة فذكر له ما يريد، فعلم منه أنه يريد ما يريد، فاتعدا بيأجج، وخرجا سحرا والتقيا عند الفجر بيأجج وسارا حتى انتهيا إلى الهدة، فوجدا عمرو بن العاص بها، فتعارفوا ثم ساروا سويا إلى المدينة فأسلموا، وكان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة.

المبحث الثالث: سرية غالب بن عبدالله الى الكَدِيد:

أمره رسول الله ﷺ أن يشن الغارة على بني المُلَوِّح، وهم بالكديد[٦]، وفي طريقه إليهم، وفي منطقة قُدَيْد[٧] لقوا الحارث بن مالك، وهو ابن البَرْصَاء الليثي، فأخذوه، فأخبرهم أنه في طريقه إلى الرسول ﷺ ليسلم، فلم يطمئنوا إليه، فأوثقوه واعتذروا إليه بأن رباط ليلة لن يضيره، وتركوه مع رجل أسود من أصحابه، وأوصوه أن يقتله إذا غالبه. وأتوا الكديد عند الغروب، فكمنوا وأرسلوا جُنْدُبَ بن مَكِيْث الجهني طليعة لهم، فأتى تلا مشرفا على الحاضر، فرأى رجل من الأعداء أن هناك شيئا مريبا فأصابه بسهم فلم يتحرك حتى لا يكشف أمر أصحابه، ونزع السهم من جسده ووضعه، وفي السحر شنوا الغارة على الأعداء واستاقوا النعم، ومضوا بها، ومروا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملوهما معهم، وفي هذا الأثناء استغاث

(٦) منطقة بين عسفان وقديد.
(٧) قديد: قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه. انظر: وفاء الوفا للسمهودي (١٢٨٧/٤).

القوم فجاءهم جمع غفير لا قبل للمسلمين به، فساروا في إثْرهم حتى قربوا منهم، ولم يكن بينهم وبين المسلمين إلا وادي قديد، فأرسل الله الوادي بالسيل من غير سحاب ولا مطر، فلم يستطيعوا تجاوزه، ونجا المسلمون منهم[٨].

وكانت هذه السرية في صفر سنة ثمان من الهجرة، وكانوا بضعة عشر رجلا[٩].

المبحث الرابع: دروس وعبر من أحداث هذه السرية:

١) إن إرسال الله تعالى الوادي بالسيل ليمنع الأعداء من الإيقاع بالمسلمين كرامة لهم.

٢) وفي خبر إصابة جندب بسهم في جسده ومع ذلك لم يتحرك، لدليل على تفاني المسلمين الأوائل وتحملهم أشد أنواع الأذى في سبيل هذه الدعوة.

٣) إن في خبر ربط المسلمين ابن البرصاء دليلا على أهمية أخذ الحذر من الأعداء.

٤) وفي إرسال الطلائع للتجسس على أخبار الأعداء دليل على أهمية اتخاذ العيون أخذا بالأسباب في المحافظة على أرواحهم والإيقاع بالعدو، وأخذه على حين غرة مادامت قد بلغته الدعوة، وأخذ في تهديد أمن المسلمين.

المبحث الخامس: سرية غالب بن عبدالله الليثي أيضا إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك:

هيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام في مائتي رجل ليسير إلى مصاب

---

(٨) رواه ابن إسحاق بإسناد ضعفه محققا سيرة ابن هشام (٤/ ٣٤١ ـ ٤٣) لأنه فيه مسلم بن عبدالله، وهو مجهول. ورواه بإسناد ابن إسحاق هذا أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٢٨) وقال الساعاتي: وسنده جيد، وابن سعد (٢/ ١٢٤)، وأبوداود (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩/ ك. الجهاد/ ب. في الأسير يوثق/ح ٢٦٧٨)، ولم يصرح عنده ابن إسحاق بالسماع، والواقدي (٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥٢).

(٩) من رواية الواقدي وابن سعد ـ انظر الحاشية نفسها وهي ضعيفة.

أصحاب بشيربن سعد بفدك. وعندما عاد غالب من سرية الكديد أرسله مكان الزبير، وقيل خرج معه في هذه السرية أسامة بن زيد وعُلبة بن زيد، فأصابوا منهم نعما، وقتلوا منهم قتلى[١٠]. وقيل كان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة[١١].

وذكر الواقدي[١٢] أن أسامة بن زيد قتل في هذه السرية نَهيك بن مِرداس وهو يقول لا إله إلا الله، وعنفه الرسول ﷺ لهذا المسلك. وروى بإسناده إلى المقداد بن عمرو أنه قتل رجلا شهد أن لا إله إلا الله، فعنفه الرسول ﷺ لذلك، ولم يذكر أن ذلك كان في هذه السرية.

ويبدو الاختلاف ظاهرا في قصة الرجل الذي قال لا إله إلا الله فقتله أحد الصحابة، فمرة أنه أسامة، ومرة أنه المقداد، ومرة في سرية الحرقة ويسمى القاتل ولا يسمى المقتول، ومرة في سرية الكديد، ومرة ثالثة في سرية الميفعة. والراجح كما قلنا، وكما هو ثابت في الصحيحين أن قصة قتل أسامة لرجل شهد أن لا إله إلا الله قد وقعت في سرية الحرقة من جهينة، وسمى ابن إسحاق الرجل المقتول، وهو مِرداس بن نهيك، وإسناده صحيح[١٣].

المبحث السادس: سرية كعب بن عُمَير الى قُضَاعَة بذات أَطْلَاح:

أرسله رسول الله ﷺ في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، من وراء وادي القرى، وذلك في ربيع الأول من العام الثامن الهجري[١٤]، فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى دنا منهم، فرآه عين لهم فأخبرهم بقلة عددهم فجاءوهم على الخيول فقتلوهم إلا رجلا واحداً أفلت منهم فأخبر الرسول ﷺ بما حدث، فهم بالبعث إليهم، ولكنه بلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر، فتركهم[١٥].

---

(١٠) الواقدي (٢/ ٧٢٣ - ٧٢٦)، ابن سعد (٢/ ١٢٦) من رواية الواقدي باسناده.
(١١) قاله ابن سعد (٢/ ١٢٦) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.
(١٢) المغازي (٢/ ٧٢٤ - ٧٢٥) والواقدي متروك، فالرواية ضعيفة جدا.
(١٣) انظر المبحث الرابع من الفصل السابع عشر - «سرية غالب بن عبدالله إلى الميفعة».
(١٤) الواقدي (٢/ ٧٥٢ - ٧٥٣)، ابن سعد (٢/ ١٢٧ - ١٢٨) من رواية الواقدي.
(١٥) المصدران والمكانان نفساهما، وابن إسحاق مختصرا ومعلقا - ابن هشام (٤/ ٣٥٦ - ٣٥٧) والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

المبحث السابع: دروس وعبر:

١) في هذه السرية درس بليغ للناس عما كان يقع للصحابة المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية. وقد تكرر مثل هذه الحادثة كثيرا كما هو واضح من سردنا لأحداث هذه السرايا الصغيرة.

المبحث الثامن: سرية شُجَاع بن وَهْب إلى السِّيِّ من أرض بني عامر:

في ربيع الأول من العام الثامن الهجري بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن بالسي، من أرض بني عامر، ناحية رُكْبَة، فأغاروا عليهم، فأصابوا نعما كثيرا وشاء، فعادوا بها بعد غياب دام خمس عشرة ليلة، وجاء في إثْرهم وفدهم إلى المدينة وأعلنوا إسلامهم، فرد المسلمون إليهم السبي. وكان في السبي جارية وضيئة اختارت المقام مع شجاع بن وهب[١٦].

وفي قصة هذه الجارية دليل على مدى أثر أخلاق المسلمين في غيرهم، حتى ولو كان هذا الغير هم ممن حاربوهم وأرادوا القضاء عليهم.

وقد تكون هذه السرية هي التي أشار اليها البخاري[١٧] ومسلم[١٨] عن ابن عمر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها عبدالله بن عمر قبل نجد، فغنموا إبلا كثيرة فكانت سهامهم اثني عشر بعيرا أو أحد عشر بعيرا، ونفلوا بعيراً بعيرا[١٩].

وقد تكون سرية نجد التي أشار إليها البخاري ومسلم وغيرهما هي ذاتها سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خَضِرَة، وهي أرض محارب ـ من غطفان ـ بنجد، في شعبان سنة ثمان من الهجرة. وكان معه خمسة عشر رجلا، فهجم على حاضر منهم عظيم، فقتلوا مَنْ أشرف لهم واستاقوا النعم

---

(١٦) الواقدي (٢/ ٧٥٣ ـ ٧٥٤)، ابن سعد (٢/ ١٢٧) من رواية الواقدي. فهي ضيعفة.
(١٧) الفتح (١٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١/ح ٣١٣٤) و (١٦/ ١٧٣/ح ٤٣٣٨).
(١٨) الصحيح (٣/ ١٣٦٨/ح ١٧٤٩). وقد ذكرها البخاري بعد غزوة الطائف، وعند أهل المغازي والسير أنها قبل التوجه لفتح مكة.
(١٩) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٢٦٧).

والسبي، وكان نصيب كل رجل منهم اثنى عشر بعيرا، فصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيئة، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ، فوهبها له، فوهبها النبي ﷺ لِمَحْمِيَة بن جَزْء.

وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة[٢٠].

المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثة إلى مَدْيَن:

بعثه اليها رسول الله ﷺ ومعه ضُمَيْرة مولى علي بن أبي طالب، وأخ له، فأصاب سبيا من أهل مِينَاء، وهي السواحل، وفيها جماعات من الناس مختلطين، فبيعوا، ففرق بينهم الأمهات والأولاد، فخرج رسول الله ﷺ إليهم وهم يبكون، فقال: «ماهم؟» فقيل: «يارسول الله، فرق بينهم»، فقال رسول الله ﷺ: «لاتبيعوهم إلا جميعا»[٢١].

ولم تذكر المصادر التي بين يدي تاريخا معينا لهذه السرية. ويستنتج أنها وقعت قبل سرية مؤتة، لأن زيدا استشهد في سرية مؤتة.

---

(٢٠) الواقدي (٢/ ٧٧٧)، ابن سعد (٢/ ١٣٢) معلقا، الطبري: التاريخ (٣/ ٣٤)، وانظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٧٣/شرح الحديث رقم (٤٣٣٨) والأسانيد ضعيفة.

(٢١) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٤/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦)، وانظر ابن حجر: الإصابة (٢/ ٢٠٦). ورواه من طريق ابن إسحاق: عبدالرزاق: المصنف (٨/ ٣٠٧) وسعيد بن منصور: السنن (٢/ ٢٤٨)، وسندهما منقطع، فيكون الحديث ضعيفا. أما كراهية التفريق بين السبي في البيع فقد ثبت من طرق أخرى صحيحة، منها قول الرسول ﷺ: «من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة». انظره في: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ٢٤ ـ ٢٥/ ك. البيوع/ ب. ما جاء في كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع) وحسن الألباني إسناده، أبوداود: السنن (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥/ ك. الجهاد/ ب. في التفريق بين السبي/ح ٢٦٩٦)، الدارمي: السنن (٢٢٧/ ك. السير/ ب. النهي عن التفريق بين الوالدة وولدها)، البيهقي: السنن الكبرى (٩/ ١٢٦/ ك. السير/ ب. التفريق بين المرأة وولدها) وهي عدة أحاديث بأسانيد مختلفة.

الفصل العشرون

سرية مُؤْتَة:

إن من أسباب هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث بكتاب إلى ملك بُصْرَى، فلما نزل مؤتة عرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني فقتله صبرا، وكانت الرسل لا تقتل. فغضب رسول الله ﷺ وأرسل هذه السرية إلى مؤتة[1]، في جمادى الأولى من سنة ثمان الهجرية[2].

وكان عدة هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل[3]، وأمر عليها زيد بن حارثة، ثم قال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة[4]، وزاد الواقدي[5] وابن سعد[6]: «فإن أصيب عبدالله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم».

وعندما تهيأ الجيش وتجهزوا للخروج ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وحينها بكى ابن رواحة، فسألوه عن السبب، فقال: «أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله (عز وجل) يذكر فيها النار: ﴿وإن منكم إلا واردها، كان على ربك

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٥٥ - ٧٥٦)، وابن سعد (٢/ ١٢٨) - معلقا. إذن فالأسانيد ضعيفة.

(٢) اتفق على ذلك أهل المغازي والسير: ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة الذي أرسله. ابن هشام (٤/ ٢٣)، ابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقا، موسى بن عقبة وأبوالأسود عن عروة كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٩٧/ ك. المغازي/ ب. غزوة مؤتة).. وذكر ابن حجر أن ابن خياط شذ في ذلك، وقال إنها سنة سبع وعندما رجعنا إلى التاريخ المطبوع لابن خياط لم نجد ذلك كما قال، بل نقل ابن خياط رواية ابن إسحاق المرسلة المشار اليها هنا، ولذا ربما أخذ ابن حجر ذلك من مكان آخر، فليحرر...

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة - ابن هشام (٤/ ٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥١٢) بإسناد منقطع لأن الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها، والواقدي (٢/ ٧٥٦) وابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقا.

(٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٩٨/ ح ٤٢٦١).

(٥) المغازي (٢/ ٧٥٦)، بإسناده، وهو ضعيف.

حتماً مقضيا﴾[7]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود»، فقال المسلمون: «صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم صالحين، فقال ابن رواحة:

«لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً * وضربةً ذاتَ فَرْغ[8] تقذفُ الزَّبدا[9]
أو طعنةً بيدي حَرَّان مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جَدَثي * أرشده اللهُ من غازٍ وقد رَشِدا»[10]

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة الف من الروم، وانضم إليهم من لَخْم وجُذَام وبَلْقَين وبَهْرَاء وبَلِيّ مائة ألف، عليهم رجل من بليّ، يقال له مالك بن رَافِلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له. فشجع ابن رواحة الناس، وقال: «ياقوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة». فقال الناس: «قد والله صدق ابن رواحة». فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية مَشَارِف من قرى البلقاء، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، وعبؤوا أنفسهم فيها، جعلوا على الميمنة قُطْبَة ابن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري. ثم التقى الناس واقتتلوا، فاستشهد زيد، وأخذ الراية جعفر، فاقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى أكرمه الله بالشهادة، وهو ينشد:

---

(٦) الطبقات (٢/١٢٨) معلقا، فهو ضعيف.
(٧) مريم: ٧١.
(٨) أي ذات سعة.
(٩) الزبد هنا: رغوة الدم.
(١٠) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف ـ ابن هشام (٤/٢٤).

«يا حَبَّـذَا الجنَّـةُ واقترابهــا * طيبــةً وبــارداً شرابُـهـا
والـرومُ روم قـد دنـا عَذابُهـا * كافـرةً بعيـدةً أنسابُهَـا
علـيَّ إذ لاقيتهـا ضِرابُهـا[11]»

وروى ابن هشام[12] أن جعفرا أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء[13].

ثم قال ابن هشام[14]: «ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين. «وقد ذكر الواقدي[15] وابن سعد[16] عدة روايات في الحالة التي وجد عليها جعفر بعد استشهاده. ففي رواية أنه وجد في أحد نصفيه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جرحا، وفي رواية ثالثة أنه وجد في بدنه أكثر من ستين جرحا وطعنة، قد أنفذته. وثبت في الصحيح[17] أنه قد وجد في جسده بضع وتسعون من طعنة ورمية.

روى ابن إسحاق[18] وغيره أنه لما قتل جعفر أخذ ابن رواحة الراية، ثم

---

(١١) المصدر نفسه، ص ص ٢٦ - ٣٠. أما خبر عقر جعفر فرسه الشقراء وإنشاده الشعر: يا حبذا.... إلخ، فقد رواه بإسناد متصل حسن ص٣٠، وروى ابن سعد (٢/١٢٨ - ١٢٩) طرفا منه مختصرا معلقا، ورواه مطولا الواقدي (٢/٧٥٦ - ٧٦١) بأسانيده. وقبائل بلقين وبهراء الواردة في الخبر هي فروع من قضاعة. وانظر في هذا: الفتح الرباني (٢١/١٣٩).

(١٢) السيرة (٤/٣١) بإسناد منقطع. والمنقطع من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(١٣) أصل هذا الحديث أورده الهيثمي في المجمع (٩/٢٧٢ - ٢٧٣) من حديث ابن عباس وقال رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن، ولفظه أن الرسول ﷺ قال في جعفر: «إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء» واورد ابن حجر في الفتح (١٤/٢٢٢/ شرح الحديث ٣٧٠٩) ما رواه الطبراني من حديث عبدالله بن جعفر بإسناد حسن، أن رسول الله ﷺ قال له: «هنيئا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السماء» ومما يقويه أكثر، ما رواه البخاري، ولفظه: «كان ابن عمر إذا حيا إبن جعفر قال: السلام عليك ياابن ذي الجناحين» - الفتح (١٦/١٠٣/ح ٤٢٦٤).

وساق ابن حجر أحاديث أخرى بهذا المعنى فيها الصحيح وفيها الضعيف الذي يتقوى بالشواهد ومع المتابعة، فانظرها في الفتح (١٤/٢٢٢).

(١٤) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٤/٣١). والمنقطع من أقسام الضعيف.

(١٥) المغازي (٢/٧٦١) بأسانيده وهي ضعيفة.

(١٦) الطبقات (٢/١٢٩) معلقا فهي ضعيفة.

(١٧) البخاري/ الفتح (١٦/٩٩/ح ٤٢٦١).

(١٨) ابن هشام (٤/٣١ - ٣٢) بإسناد حسن. وممن رواه غيره: سعيد بن منصور في سننه، باب جامع الشهادتين، بإسناد منقطع، انظر ابن حجر: الفتح (١٦/٩٨/ ك. المغازي/ ب. غزوة مؤتة/ شرح الحديث رقم (٤٢٦١).

تقدم بها وهو على فرسه، ثم تردد بعض التردد، ثم قال مرتجزا:

«أقسمـــتُ يـا نفـــسُ لتنزلنـــه * لتنزلـــــن أو لتكرهنـــــــه
إن أجلب[١٩] الناس وشدوا الرَّنَّة[٢٠] * مالـــي أراك تكرهــين الجنـــه
قـد طـال مـا قـد كنـت مطمئنة * هل أنت إلا نطفةٌ[٢١] في شَنَّه[٢٢].

وقال أيضا:

يانفـــسُ إلاّ تُقْتَلِـي تموتـــي * هـذا حِمـام المـوت قـد صُلِيْـتِ
ومـا تمنيـــت فقـــد أعطيـــت * إن تفعلـــي فعلهمـــا هُديـت[٢٣]

ثم نزل ساحة الوغى. فلما نَزل أتاه ابن عم له بعظم عليه بعض اللحم وطلب منه أن يشد به صلبه لما لاقاه من أيامه تلك من الشدة، فلما أخذ من هذا العظم شيئا يسيرا، سمع الكسرة من ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، فنال الشهادة التي كان يتمناها. وقد ظهر ذلك في موقفه عندما حث الناس على لقاء العدو، على الرغم من كثرته، وعندما ترجم مشاعره في أشعاره التي ذكرنا، وفي قوله لربيبه الذي كان في حجره ورديفه إلى مؤتة، زيد بن أرقم، الذي سمعه يترنم بأبيات من الشعر، يشتهي فيها الشهادة، فبكى زيد، فخفقه ابن رواحة بالدرة، وقال له: «ما عليك يالُكَع أن يرزقني الله شهادة وترجع بين شُعْبَتَي الرحل»[٢٤].

ثم أخذ الراية بعده ثابت بن أقرم، وطلب من المسلمين ان يصطلحوا على رجل منهم، فرشحوه، فرفض، فاصطلحوا على ابن الوليد. فأخذ الراية، وتمكن من الانسحاب[٢٥].

روى أنه لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد، فلما أصبح غدا، وقد

---

(١٩) أي صاحوا واجتمعوا.
(٢٠) صوت فيه ترجيع شبه البكاء.
(٢١) الماء القليل الصافي.
(٢٢) القربه القديمة.
(٢٣) يعني صاحبيه زيدا وجعفرا.
(٢٤) رواه بن إسحاق بإسناد منقطع، لأن عبدالله بن أبي بكر لم يسم من حدثه عن زيد بن أرقم - ابن هشام (٢٨/٤ - ٢٩). والمنقطع من أقسام الضعيف.
(٢٥) إلى هنا من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته، فأنكر الأعداء ما كانوا يعرفون من رايات وهيئة المسلمين، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا، فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم[٢٦]. وانكسرت يومئذ في يد خالد بن الوليد تسعة أسياف[٢٧]، مما يدل على شدة القتال قبل أن ينسحب من ميدان القتال.

ومما يؤكد مباشرة المسلمين القتال قبل الانسحاب ما رواه مسلم[٢٨] وغيره من حديث عوف بن مالك أن رجلا من أهل اليمن رافقه في هذه السرية، فقتل روميا وأخذ سَلَبَه، فاستكثره خالد، فشكاه اليمني إلى رسول الله ﷺ.

ومما ظهر من معجزات الرسول ﷺ في أمر هذه السرية أنه ﷺ نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة قبل أن يأتيه خبرهم، وعيناه تذرفان الدموع، وأخبرهم بأخذ خالد للراية وبشرهم بالفتح على يديه، وسماه يومئذ سيف الله[٢٩]. وحزن رسول الله ﷺ لما وقع لهم[٣٠]. ثم بعد ذلك قدم بخبرهم يعلى بن أمية ولم يزد ما جاء به عما قاله الرسول ﷺ لأصحابه[٣١]. وفي رواية أن عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصابهم[٣٢].

وعلى الرغم من ضراوة هذه المعركة وكثرة أعداد جيش العدو إلا أنه لم يستشهد من المسلمين سوى اثني عشر رجلا[٣٣] كحد أقصى، أما الأعداء، فلم يعرف عدد قتلاهم، غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم.

وكان لشهداء مؤتة مكانة عظيمة عند الله تعالى، ولذا قال الرسول ﷺ: «ما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا»[٣٤].

---

(٢٦) الواقدي (٣/ ٧٦٤). فإسناده ضعيف جدا لأنه متروك في الحديث كما ذكرنا مراراً وتكراراً.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٠٤/ح ٤٢٦٥ - ٤٢٦٦).

(٢٨) الصحيح (٣/ ١٣٧٣ - ١٣٧٤/ح ١٧٥٣).

(٢٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٠٠/ح ٤٢٦٢) و (١١/ ٢٧٧/ح ٢٧٩٨)، والطبري في التاريخ (٣/ ٤٠ - ٤١) من حديث أبي قتادة.

(٣٠) من حديث رواه البخاري كما في الفتح (١٦/ ١٠١/ح ٦٢٦٣).

(٣١) من رواية موسى بن عقبة عند ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٥) وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٠١/ عند شرح الحديث رقم (٤٢٦٢).

(٣٢) ابن حجر الفتح (١٦/ ١٠١) من رواية الطبراني.

(٣٣) ذكر ابن اسحاق - معلقا - أسماء عشرة منهم واستدرك عليه ابن هشام اثنين - ابن هشام (٤/ ٤٤ - ٤٥) معلقا، وذكر الواقدي ثمانية (المغازي ٢/ ٧٦٩).

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٢/ ١٥٢/ح ٣٠٦٣).

أما ما روى ابن إسحاق[٣٥] من أن الناس قالوا لجيش مؤتة: «يافرار، فررتم في سبيل الله...»، فقد قال ابن كثير[٣٦] عن هذه الرواية: «وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق، فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين، وهو على المنبر في قوله: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه» فما كان المسلمون ليسموهم فرارا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراما وإعظاما، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هناك، وكان فيهم عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما).

وساق ابن كثير أدلة على أن جمهور المسلمين لم يفروا، بل فرت مجموعة من المسلمين، من ذلك حديث عبدالله بن عمر عند أحمد[٣٧]، الذي فيه أنه كان ممن فر وخشوا القتل إن هم دخلوا المدينة، فهموا أن يركبوا البحر، ثم أخيرا قرروا عرض أنفسهم على الرسول ﷺ، واعترفوا بفرارهم، فقال لهم: «لا بل أنتم العكارون، أنا فيئتكم، وأنا فيئة المسلمين»، وفي رواية قال لهم: «لا بل أنتم الكرارون».

وجيء بأبناء جعفر (رضي الله عنه)، فداعبهم رسول الله ﷺ، وأمر بحلق رؤوسهم، ودعا لهم، وقال لأمهم عندما جاءته تذكر يتمهم: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟»[٣٨].

ولما جاء نعي جعفر، قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم»[٣٩].

---

(٣٥) بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف - ابن هشام (٤/ ٣٧)، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٦): وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

(٣٦) البداية (٤/ ٢٧٦).

(٣٧) المسند (٧/ح ٥٣٨٤/ شاكر) وصحح شاكر إسناده، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٧): رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد، وقال الترمذي: «حسن لا نعرفه إلا من حديثه».

(٣٨) من رواية أحمد في المسند (٣/ ١٩٢ - ١٩٤/ح ١٧٥٠/شاكر) وصحح شاكر إسناده.

(٣٩) المسند (٣/ ١٩٤/ح ١٧٥١/شاكر) وصحح شاكر إسناده، صحيح سنن ابن ماجة للألباني (١/ ٢٦٨) وحسن الألباني إسناده.

أحكام وحكم ودروس وعبر من أحداث هذه السرية:

١ - إن في تعيين الرسول ﷺ لثلاثة أمراء على جيش سرية مؤتة، لدليل على جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب[٤٠].

٢ - في نعي الرسول ﷺ الأمراء الثلاثة قبل مجيء خبرهم، فيه جواز الإعلام بموت الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة[٤١].

٣ - في تأمير المسلمين لخالد بعد استشهاد الأمراء الثلاثة دليل على جواز الاجتهاد في حياة الرسول ﷺ[٤٢].

٤ - إن ظهور الحزن على رسول الله ﷺ عندما جاءه خبر استشهاد الأمراء الثلاثة لدليل على ما جعله الله فيه من الرحمة ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء. ويؤخذ منه ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابرا راضيا إذا كان قلبه مطمئنا، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلا[٤٣].

٥ - أفاد المسلمون دروسا وخبرات عظيمة من هذا اللقاء الأول مع الروم في مستقبل جهادهم معهم، حيث تعرفوا على عددهم وعدتهم وخططهم العسكرية وطبيعة أرضهم التي وقع فيها القتال[٤٤].

٦ - إن في مواقف الأمراء الثلاثة دليل على مدى قوة الإيمان الذي يحرك الصحابة (رضي الله عنهم) نحو ميادين الجهاد.

---

(٤٠) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/١٠٠/ شرح الحديث ٤٢٦٢).
(٤١) المرجع والمكان نفساهما.
(٤٢) المرجع والمكان نفساهما.
(٤٣) المرجع والمكان نفساهما.
(٤٤) انظر د. العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص ١٦٨.

الفصل الحادي والعشرون

السرايا بين سرية مؤتة وغزوة فتح مكـة:

المبحـث الأول: سرية ذات السلاسـل:

بعد عودة سرية مؤتة إلى المدينة بأيام قليلة، وبالتحديد في جمادى الثانية من سنة ثمان هجرية كما ذكر ابن سعد[1]، بلغ الرسول ﷺ أن قضاعة بدأت تتجمع مرة أخرى تريد الدنو من المدينة، فأرسل إلى عمرو بن العاص، فلما جاءه قال له: «... إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، فقال له عمرو: «يارسول الله: ما أسلمت من أجل المال، ولكن أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ»، فقال ياعمرو: «نعم المال الصالح للمرء الصالح»[2]. ثم بعثه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ليقضي عليهم في ديارهم، وأمره أن يستعين ببعض فروع قضاعة من بَلِيّ وعذرة وبَلْقَيْن على ذلك العدو، لان أم عمرو كانت من بلي، وفي ذلكَ استئلاف لهم. وعندما وصل في مسيره إلى ماء بارض جذام، يقال له السَّلْسَل ـ وبه سميت السرية ـ بلغه كبر جمعهم، فأرسل رافع بن مَكِيث الجُهَني الى الرسول ﷺ فأمده بمائتين من المهـاجرين والأنصار عليهم أبو عبيدة عامر بن الجراح وفيهم أبوبكر

---

(١) الطبقات (٢/ ١٣١) بدون إسناد فهي ضعيفة جدا.

(٢) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٤٠ ـ ١٤١) بإسناد صحيح من مرسل غامر الشعبي. وانـظر من خرجـه ممن ذكرهم الساعاتي. وقال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٩٦/ شرح الحديث ٤٣٥٨)، عن هذا الحديث: «وروى أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم من طريق على بن رباح عن عمرو بن العاص، قال: «...» وساق الحديث بمثل ما أثبتناه هنا.
وخبر إرسال عمرو بن العاص على سرية ذات السلاسل ثابت في الصحيحين ولكن بدون تفاصيل كما عند أهل المغازي والسير. انظر البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٨/ ك. الفضائل/ ب. فضائل أبي بكر/ح ٢٣٨٤).

وعمر، وطلب من عمرو وأبي عبيدة أن يتطاوعا. وعندما أصر عمرو على تولي الإمامة في الصلاة، لم يرد أبوعبيده أن يخالفه في هذا امتثالا لوصية الرسول ﷺ[3].

وفي حديث أحمد[4] أن النبي ﷺ استعمل أبا عبيدة على المهاجرين وعمرو ابن العاص على الأعراب، وأمرهم بالإغارة على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاعة لأن بكرا أخواله، فأطاعه أبوعبيدة، ولم يخالفه أبوعبيدة في ذلك لأنه لم يرد الخلاف. ويستبعد هذا التعليل الذي ساقه الشعبي.

وسـار عمرو بالناس حتى وطىء بلاد بلى ودوخها، حتى أتى أقصى بلادهم وبـلاد عُذْرَة وبلقـين، ولقي في أخـر ذلك جمعا، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا، فعاد بعد هذا إلى المدينة[5].

وفي طريق العودة احتلم عمرو في ليلة باردة فتيمم ولم يغتسل غسله للجنابة، خشية البرد، مستندا إلى قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾[6]. ثم صلى بالناس، وقد أقر الرسول ﷺ هذا الاجتهاد منه[7].

وعنـدمـا أصـابهم برد أمرهم عمرو بالا يوقدوا نارا ولا يتبعوا العدو، واعترض بعض المسلمين على ذلك، وعندما شكوه إلى رسول الله ﷺ[8] قال عمرو: «كان في أصحابي قلة فخشيت أن يرى العدو قلتهم عندما يوقدون النار، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين»، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ.

---

(٣) انظر: الواقدي (٢/ ٧٦٩ - ٧٧١) بأسانيده، وابن سعد (٢/ ١٣١ - معلقا، وابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٥٩ - ٣٦٠)، ومغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص٢٠٧ وكلها أسانيد ضعيفة.
(٤) الفتح الرباني (٢١/ ١٣٩ - ١٤٠) من مرسل الشعبي، وهو إسناد ضعيف لا يحتج به.
(٥) ابن سعد (٢/ ١٣١) معلقا، والواقدي (٢/ ٧٦٩ - ٧٧١).
(٦) النساء: ٢٩.
(٧) رواه: أبوداود (رقم ٣٣٤، ٣٣٥/ ك. الطهارة/ب إذا خاف الجنب البرد تيمم) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود رقم (٣٦٠ - ٣٦١)، والبيهقي في دلائله (٤/ ٤٠٢ - ٤٠٣) وسننه (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦)، وقال عنه محققا زاد المعاد (٣/ ٣٨٨): «وسنده قوي، وعلقه البخاري في صحيحه (١/ ٣٥٨) وقواه الحافظ وابن حبان في صحيحه - الموارد ص٢٠٢ وصححه، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٧) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري: وأحمد في المسند (٤/ ٢٠٣) بإسناد فيه ابن لهيعة، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٥).
(٨) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٤ ب)، وابن حبان في صحيحه كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٩٥/ شرح الحديث رقم ٣٦٦٣).

فوائد فقهية في أحداث هذه السرية:

١) إن في خبر تأمير عمرو بن العاص على جيش فيه أبوبكرالصديق (رضي الله عنه) دليلا على جواز تأمير المفضول على الفاضل، إذا امتاز المفضول على الفاضل بصفة تتعلق بتلك الإمارة أو الولاية[٩]. فعمرو خبير حرب.

٢) وفي حديث تيمم عمرو جواز التيمم لمن يتوقع الهلاك من استعمال الماء البارد.

٣) وفيه جواز صلاة المتيمم بالمتوضئين.

٤) جواز الاجتهاد في زمن الرسول ﷺ كما في خبر تيمم عمرو وصلاته وهو جنب[١٠].

المبحث الثاني: سرية أبي حَدْرَد إلى الغابة:

بلغ رسول الله ﷺ ان رجلا يقال له قيس بن رفاعة أو رفاعة بن قيس أقبل في عدد كثير حتى نزلوا الغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جُشَم، فدعا رسول الله ﷺ عبدالله بن حدرد الأسلمي ورجلين من المسلمين ليخرجوا اليه، فخرجوا وتمكن ابن حدرد من قتل رفاعة بن قيس، وهرب قومه، فأخذوا ما قدروا عليه من النساء والأولاد وما خف معهم من أموالهم واستاقوا إبلا عظيمة وغنما كثيرة. وجاءوا بها إلى رسول الله ﷺ ومع ابن أبي حدرد رأس رفاعة، فأعطاه الرسول ﷺ ثلاثة عشر بعيرا من تلك الإبل[١١].

وذكر الطبري[١٢] أن هذه السرية كانت في شعبان سنة ثمان من الهجرة، وأميرها أبوقتادة.

---

(٩) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩٦/ شرح الحديث (٤٣٥٨).

(١٠) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٨٨ - ٣٨٩).

(١١) رواه ابن إسحاق كما عند ابن كثير في البداية (٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠) وإسناده ضعيف لأن فيه جعفر ابن عبدالله بن أسلم، حيث لم يذكر أنه سمع من أبي حدرد، ومع ذلك فهو مقبول كما قال ابن حجر، يعني حيث يتابع وإلا فهو لين، ولم يتابع هنا، ولذا ضُعّف الإسناد. ورواه ابن هشام في السيرة (٤/ ٣٦٧ - ٣٦٩) من حديث ابن إسحاق، وأبهم فيه ابن إسحاق اسم من حدثه. ورواه أحمد (٦/ ١١ - ١٢) من غير طريق ابن إسحاق. قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٠٧): «وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات»، والواقدي (٢/ ٧٧٧) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٠٣ - ٤) من طريق ابن اسحاق كما جاء في البداية لابن كثير.

(١٢) التاريخ (٣/ ٣٤) معلقا. فهو إذن ضعيف.

المبحث الثالث: سرية أبي قتادة إلى بَطْن إضَم[١٣]:

بعث رسول الله ﷺ سرية إلى إضَم فيها أبو قتادة ومُحَلِّم بن جَثَّامَة بن قيس حتى إذا كانوا ببطن إضم مر بهم عامر بن الأَضْبَط الأشجعي، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فأمسكوا عنه، ومع ذلك حمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينهما، وأخذ بعيره ومتاعه، وفي ذلك نزل قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا. . .[١٤]﴾[١٥]. وقيل إن رسول الله ﷺ قد رفض أن يستغفر لمحلم عندما طلب منه ذلك وهم بحنين[١٦].

وقالوا إنه عندما مات بعد سبعة أيام من هذا دفنوه فلفظته الأرض مرتين فما كان من قومه إلا أن وضعوه بين جبلين، ثم رصوا فوقه الحجارة حتى واروه، فقال الرسول ﷺ عندما بلغه ذلك: «والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرُم ما بينكم بما أراكم منه»[١٧].

وقد ذكر المحدثون أكثر من سبب في نزول هذه الآية. فقد روى البخاري[١٨] أنها نزلت في مسلمين مر بهم رجل في غنيمته وألقى إليهم

---

(١٣) الوادي الذي تجتمع فيه أودية المدينة، وقالوا: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة (معجم البلدان (١/ ٢٨١). وقالوا: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر عند المدينة، وهو لأشجع وجهينة. وعند ابن سعد: الطبقات (٣/ ١٧٩) أن بطن إضم هي فيما بين ذي خشب وذي المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة برد.

(١٤) النساء: ٩٤.

(١٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) وعند الواقدي بإسناد متصل (٢/ ٧٩٧) وابن سعد (٢/ ١٣٣) معلقا، أن أمير السرية كان أبوقتادة بن ربعي الانصاري، ويفهم ذلك من سياق ابن إسحاق. وروى الطبري في تفسيره (٩/ ٧٢/ شاكر) طرفا منه بإسناد متصل ولكن فيه عنعنة ابن اسحاق.

(١٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، والطبري في تفسيره (٩/ ٧٢/ شاكر) بإسناد متصل، و لكن فيه عنعنة ابن إسحاق.

(١٧) رواه الطبري في التفسير (٩/ ٧٢/ شاكر) بإسناد متصل فيه عنعنة ابن إسحاق ورواه ابن اسحاق بإسناد مرسل وضعيف لأنه أبهم من حدثه وأوقفه على البصري ـ ابن هشام (٤/ ٣٦٦)، ورواه البيهقي في الدلائل (٤/ ٣١٠) مرسلا موقوفا على البصري من غير طريق ابن إسحاق وفيه اختلاف يسير عن حديث ابن إسحاق.
ورواه موسى بن عقبة عن الزهري وشعيب عن الزهري متصلا إلى قبيصة بن ذويب ـ من أبناء الصحابة، وله رؤية ـ إلا أنه لم يسم محلما ولا عامرا ـ ابن كثير (٤/ ٢٥٢).

(١٨) الفتح (١٧/ ١٢٥/ ح ٤٥٩١).

السلام، فقتلوه، وأخذوا غنيمته. ورواه بنحو مثل رواية البخاري: أحمد[١٩] والترمذي[٢٠] والحاكم[٢١].

وروى البزار[٢٢] بسنده إلى ابن عباس أنها نزلت في المقداد بن الأسود عندما بعث في سرية وتفرق العدو وبقي رجل معه مال كثير، وشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل».

ويبدو من هذه التفاسير أن الحادثة قد تكررت، وأن الآية نزلت في غير واحد[٢٣].

وكانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة[٢٤].

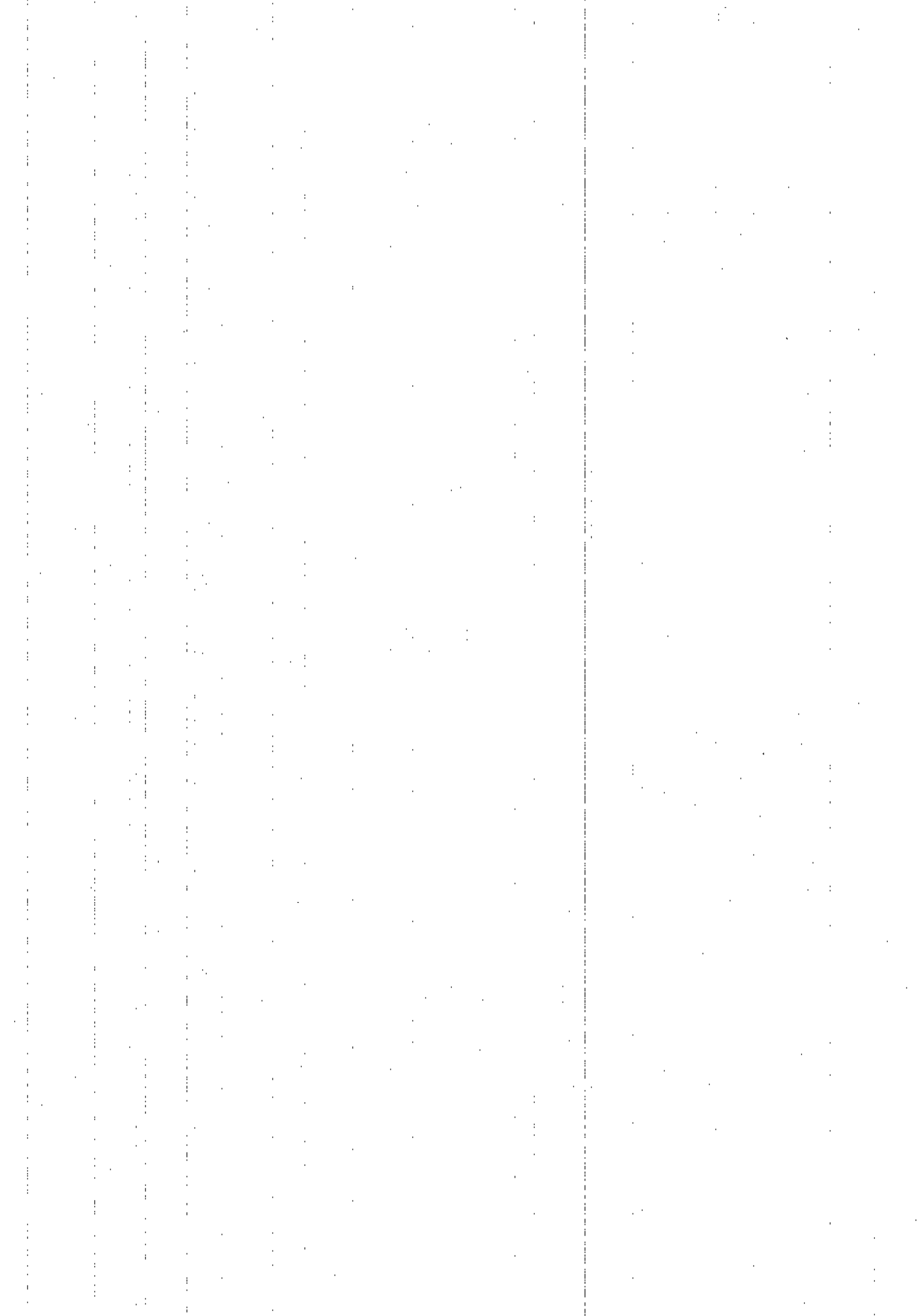
وذكر الواقدي[٢٥] عن سبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ عندما أراد غزو مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر إلى بطن إضم ليظن الظان أن رسول الله ﷺ متوجه إلى تلك الناحية، ولتذهب بذلك الأخبار.

فائدة و دروس في هذه السرية

١ - إن في قول الرسول ﷺ للمقداد: «كذلك كنت تخفي إيمانك قبل» لفتة كريمة إلى أنه لا ينبغي للإنسان إذا اجتمعت له أسباب القوة أن ينسى أيام ضعفه، فإنه إن فعل استبد به الغرور، وملكه الأشر والبطر[٢٦].

---

(١٩) المسند (٤/ ١٥٣/ شاكر) بإسناد صحيح.
(٢٠) السنن (٨/ ٣٨٦/ تحفة الأحوذي) بإسناد حسن، وانظره في صحيح الترمذي للألباني (٣/ ٤٠/ح ٢٤٢٦) وصححه الألباني.
(٢١) المستدرك (٢/ ٢٣٥) وصححه.
(٢٢) نقله عنه ابن كثير في التفسير (٢/ ٣٣٨).
(٢٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٨) حاشية المحققين.
(٢٤) من رواية ابن سعد (٢/ ١٣٣) بدون إسناد، والواقدي (٢/ ٧٩٧) بإسناد متصل، ومما يؤكد هذا التاريخ ان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن اختصما في عامر بن الأضبط عند رسول الله ﷺ وهو بحنين: عيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، وابن حابس يدفع عن محلم لمكانه من خندف، وأخيرا قبل عيينة الدية، يدفع نصفها في سفرهم ذاك والنصف الآخر إذا رجعوا. (رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٦٤ - ٣٦٥) وانظر الإصابة (٢/ ٢٩٢).
(٢٥) المغازي (٢/ ٧٩٦ - ٩٧).
(٢٦) انظر حاشية، محققي تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٨).



الفصل الثاني والعشرون

غـــزوة فتـــح مكـــة

كان من ضمن شروط صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل، فدخلت خزاعة في عقد محمد ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم. فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهرا، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له «الوَتِير»، وهو قريب من مكة، وقالت قريش «ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد»، فأعانوهم على خزاعة بالكُراع والسلاح، وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ. فاستنجدت خزاعة بالمسلمين، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة، فأنشد أبياتا من الشعر أمام رسول الله ﷺ يستنصره، فقال رسول الله ﷺ «نصرت ياعمرو بن سالم». فما برح حتى مرت بهم سحابة، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»[1].

ويذكر ابن إسحاق[2] أن بني بكر لم يتركوا مطاردة خزاعة وقتلهم حتى داخل الحرم، وبلغ عدد قتلى خزاعة عشرين رجلا[3].

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته، ورجاله رجال الصحيح ما عدا ابن إسحاق، فهو مدلس وقد صرح بالتحديث - انظر ابن كثير: البداية (٤/ ٣٠٩ - ٣١٠) وله شاهدان ضعيفان، إحداهما في المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٧٣)، والثاني في مسند أبي يعلى (٤/ ٤٠٠). وروى البزار بإسناد حسن موصول بعض الأبيات التي قالها قائد خزاعة أمام الرسول ﷺ كشف الأستار، ص٣٤٢، والفتح لابن حجر (١٦/ ١٠٨). ورواه ابن أبي شيبة مرسلا - ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٠٨)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٧٤) مختصرا، ومع اختلاف يسير في الألفاظ، وبإسناد صحيح، وليس فيه الشعر المذكور.

(٢) ابن هشام (٤/ ٤٦ - ٤٧) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما هو معروف.

(٣) الواقدي (٢/ ٧٨٤) بإسناد ضعيف جدا، لأنه مرسل وفي إسناده عبدالله بن عامر الأسلمي وهو ضعيف والواقدي متروك.

وذكر موسى بن عقبة[٤] أن الذين أعانوا بني بكر على خزاعة من أشراف قريش: صفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو، وأن الإغاثة كانت بالسلاح والرقيق.

وفي رواية لابن حجر[٥] في المطالب العالية وأخرى في الفتح[٦] إشارة إلى أن رسول الله ﷺ أرسل إلى قريش يخيرهم بين دفع دية قتلى خزاعة أو البراءة من حلف بني بكر أو الحرب، فاختارت قريش الحرب.

ولأن هذا التصرف من قريش يعد نقضا لمعاهدة وصلح الحديبية، فقد ندمت قريش على فعلتها، ولذا عندما انصرف ضمرة، أرسلت أباسفيان إلى المدينة لتجديد المعاهدة[٧]. والمشهور أن قريشا عندما خافت من نتائج فعلتها، كانت هي التي بادرت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة قبل أن يبلغ المسلمين الخبر، وعندما جاء إلى المدينة لم يتصل بالرسول ﷺ مباشرة، بل ذهب إلى أبي بكر ثم عمر ثم فاطمة ثم علي فردوه جميعا، وأغلظ عليه عمر فعاد إلى مكة خائبا[٨].

وكان أبوسفيان عندما قدم إلى المدينة، دخل على ابنته أم حبيبة، زوج

---

(٤) من روايته من دون إسناد كما عند ابن كثير في البداية (٤/ ٣١٣) وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٠٨). والخبر غير المسند من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(٥) (٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤)، قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي «هذا مرسل صحيح الإسناد».

(٦) (١٦/ ١١٤/ شرح الحديث (٤٢٨٠) من رواية محمد بن عائذ الدمشقي من حديث عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) ورواه الواقدي بإسناد ضعيف جدا إلى ابن عمر وذلك لضعف الواقدي وانقطاع سنده (المغازي ٢/ ٧٨٦) وقد أنكره هو نفسه (٢/ ٧٨٧) وعند الواقدي وابن عائذ أن اسم الرجل المرسل: ضمرة.

(٧) من رواية ابن عائذ عند ابن حجر في الفتح (١٦/ ١١٤) والواقدي (٢/ ٧٨٦ - ٧٨٧) والتي أنكرها.

(٨) من مرسل عكرمة عند ابن أبي شيبة كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٤٤) ورواه ابن إسحاق مرة معلقا - ابن هشام (٤/ ٥٥ - ٥٦) ومرة منقطعا - ابن كثير في البداية (٤/ ٣١٢)، ويبدو لنا أنه جزء من حديثه الحسن في كيفية فتح مكة من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. ورواه موسى بن عقبة بإسناد موقوف عليه - ابن كثير في البداية (٤/ ٣١٣ - ٣١٤) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٩ - ١١) وفي السنن الكبرى (٩/ ١٢٠) والواقدي (٢/ ٧٩٤) بإسناد ضعيف جدا لأنه مرسل، وفيه ابن أبي حبيبة، وهو ضعيف، والواقدي متروك، ورواه ابن عائذ معلقا كما عند ابن حجر في الفتح (١٦/ ١١٤) ورواه عروة بإسناد مرسل موقوف عليه وفيه ابن لهيعة - البيهقي: السنن الكبرى (٩/ ١٢٠) وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٧٥) بإسناد صحيح، ضمن حديثه الطويل في قصة الفتح. وخلاصة الأمر أن الحديث صحيح من طريق عبدالرزاق وابن إسحاق، وبمجموع الروايات المذكورة هنا.

النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: «يابنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: «بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ». قال: «والله لقد أصابك يابنية بعدي شر». ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئا[٩]...

وأمر رسول الله ﷺ أهله بالجهاز، ولم يسم لهم الجهة التي يقصدها، ثم أعلمهم بعد ذلك أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس، وقال حسان في ذلك شعرا يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة[١٠].

واستنفر الرسول ﷺ القبائل التي حول المدينة: سليما وأشجع ومزينة وأسلم وغفارا. فمنهم من جاءه وهو بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق إلى مكة، حتى بلغ جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل[١١]، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار[١٢].

وبلغ ما حشدته مزينة من رجالها ألف مقاتل، وسليم كذلك ألفاً أو سبعمائة[١٣].

ولما تهيأ الرسول ﷺ إلى الخروج، أرسل حاطب بن أبي بلتعة البدري كتابا مع امرأة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فبعث النبي ﷺ عليا والزبير والمقداد في أثرها، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». و عندما أدركوها في المكان المشار إليه، طلبوا منها إخراج الكتاب فأنكرت وجوده

---

(٩) من رواية ابن إسحاق الطويلة في قصة الفتح بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٥٥)، والواقدي (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٣).

(١٠) ابن إسحاق بإسناد حسن من حديث محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) - ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٣١٥) وبإسناد حسن أيضا - من حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان كما يبدو لنا - ابن هشام (٤/ ٥٦ - ٥٧).

(١١) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ١١١/ح ٤٢٧٦) وابن إسحاق بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ٦٠)، والواقدي (٢/ ٨٠١) وابن سعد (٢/ ١٣٥) معلقا.

(١٢) ابن إسحاق، باسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ٦٠).

(١٣) المصدر نفسه.

معها، فقالوا لها: «لتخرجن الكتاب أو لنلقين بالثياب»، فأخرجته. فأرسل الرسول ﷺ إلى حاطب، فقال له: ياحاطب، ما هذا؟» قال: «يارسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءاً ملصقا في قريش حليفا، ولم أكن من أنفسها. وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم، وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام». فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: «يارسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق»، فقال النبي ﷺ «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا: وقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله الآيات: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾. إلى قوله ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾[(١٤)][(١٥)]، وفي رواية: فدمعت عينا عمر، وقال: «الله ورسوله أعلم[(١٦)]».

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى مكة، في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وكانوا صياما، حتى بلغوا كديدا[(١٧)]، فأفطر، وأفطر الناس[(١٨)].

والذي اتفق عليه أهل السير والمغازي أنه خرج في عاشر رمضان، ودخل

---

(١٤) الممتحنة: ١.

(١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٠٩ - ١١٠/ح ٤٢٧٤)، مسلم (٤/ ١٩٤١ - ١٩٤٢/ح ٢٤٩٤). ذكر ابن إسحاق أن شيخه ابن جعفر زعم أن المرأة من مزينة، وزعم له غيره أن اسمها سارة - ابن هشام (٤/ ٨٥) بإسناد حسن لذاته. وفي رواية للواقدي أن اسمها سارة من مزينة، وفي رواية ثانية أن اسمها كنود - المغازي (٢/ ٧٩٨ - ٧٩٩)، وقيل اسمها أم سارة - رواه ابن كثير في البداية (٤/ ٣٣٣) من حديث البيهقي، وفيه الحكم بن عبدالملك، وهو ضعيف، ولم يصرح باسم حاطب.

(١٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ١٧٢/ح ٣٩٨٣).

(١٧) هي عين جارية تبعد عن مكة ٨٦ كيلا، وعن المدينة ٣٠١ كيلا، بين عسفان وقديد، كما في صحيح البخاري: الفتح (١٦/ ١١١/ح ٤٢٧٥)، وعند ابن اسحاق بإسناد حسن أنها بين عسفان وأمج - ابن هشام (٤/ ٦٠). وقال ابن القيم في الزاد (٣/ ٤٠٠): «وهو الذي تسميه الناس اليوم قديدا».

(١٨) البخاري/ الفتح (٦/ ١٠٠ - ١١١/ح ٤٢٧٥)، مسلم (٢/ ٧٨٤/ح ١١١٣)، وفي ر واية عند مسلم (٢/ح ١١١٤) أن الإفطار كان بكراع الغميم، وفي رواية (٢/ ١١٣) أنه كان بعسفان، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٦٠).

مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه[١٩]. واختلفوا في تاريخ الفتح ما بين ثنتي عشرة وثلاث عشرة وست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة وتسع عشرة، من رمضان، واتفقوا على أنه في رمضان سنة ثمان، كما جاءت بذلك الروايات عند مسلم[٢٠].

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رِهْم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري[٢١].

وقبل دخول الرسول ﷺ مكة جاءه بعض زعماء قريش فأعلنوا إسلامهم، منهم ابن عمه أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، أخو الرسول ﷺ من الرضاعة، وقد جاءه بالأبواء، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، وقد جاءه بين السقيا والعَرْج. وكانا من ألد خصوم الإسلام خاصة أبوسفيان الذي ظل على مدى عشرين سنة يهجو المسلمين ويقاتلهم في كافة الحروب ولكنه عندما أسلم كانت له مواقف بطولية في الدفاع عن الرسول ﷺ، لا سيما موقفه يوم حنين، حين فر الناس، فصمد مع الرسول ﷺ صمودا مشهودا[٢٢]. وسيأتي خبر ذلك في مكانه. أما عبدالله بن أمية، أخو أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) لأبيها، فقد دافع عن الإسلام بقوة واستشهد في حصار الطائف[٢٣].

ولقيه ببعض الطريق عمه العباس[٢٤]، وذكر ابن هشام[٢٥] ذلك كان بالجحفة، وهو مهاجر بعياله إلى المدينة.

---

(١٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٦٠)، الواقدي (٢/ ٨٠١)، ابن سعد (٢/ ١٣٥) وزاد الواقدي وابن سعد أن يوم الخروج كان «أربعاء» ـ وانظر ابن حجر: الفتح (٩/ ٦/ شرح الحديث ١٩٤٤).

(٢٠) انظرها في صحيح مسلم (٢/ح ١١٣، ١١٦)، وفي رواية عند ابن سعد أن ذلك كان في العاشر من رمضان.

(٢١) ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته ابن هشام (٤/ ٦١)، وعند ابن سعد (٢/ ١٣٥) معلقا أنه استخلف عبدالله بن أم مكتوم.

(٢٢) ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٦١)، ورواه من طريقه هذا الطبري في التاريخ (٣/ ١١٤ ـ ١١٥) والحاكم (٣/ ٤٣ ـ ٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٧ ـ ٢٨)، والطبراني كما في المجمع (٦/ ١٦٤ ـ ١٦٧).

(٢٣) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٢/ ٢٦٣).

(٢٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٦٠).

(٢٥) ابن هشام (٤/ ٦١) نقلا عن الزهري، معلقا.

وقيل إن العباس أسلم قبل بدر[٢٦]، بل قيل قبل الهجرة إلى المدينة[٢٧].

قال ابن حجر[٢٨]: «وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة -يعني حين سار الرسول ﷺ إلى مكة فاتحا-، وقيل قبل ذلك، وليس ببعيد، فإن حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط ما يؤيد ذلك». ففي القصة أن العباس عندما سمع برواية الحجاج عن انهزام المسلمين يوم خيبر واستباحتهم وأسر الرسول ﷺ، قعد ولم يستطع القيام من هول الخبر على نفسه، وأخذ ابنا له يشبه الرسول ﷺ يقال له قَثم، فاستلقى ووضعه على صدره، وهو يقول: «حبي قثم شبيه ذي الأنف الأشم، نبي رب ذي النعم، برغم أنف من رغم». وأرسل غلاما له إلى الحجاج بن علاط يستعلمه الخبر، فطمأن الحجاج الغلام. وعندما جاء الغلام وبشر العباس، وثب فرحا، حتى قبل بين عينيه. وعندما أخبره بما قال الحجاج أعتقه، وعندما جاء المسلمون أخبرهم الخبر، وسروا بذلك سرورا عظيما وزالت عنهم الكآبة[٢٩].

وقد جزم ابن عبدالبر[٣٠] بإسلامه قبل خيبر، استنادا إلى حديث الحجاج ابن علاط هذا.

ويقول ابن حجر[٣١] في ترجيحه إسلام العباس قبل فتح مكة: «.... وأما قول أبي رافع في قصة بدر: كان الإسلام دخل علينا أهل البيت فلا يدل على إسلام العباس حينئذ، فإنه كان ممن أسر يوم بدر ففدى نفسه وعقيلا ابن أخيه أبي طالب، ولأجل أنه لم يهاجر قبل الفتح لم يدخله عمر في أهل الشورى مع معرفته بفضله واستسقائه به...».

---

(٢٦) ابن سعد (٢/ ١٠) وفي إسناده حسين بن عبدالله الهاشمي، وهو ضعيف، و(٤/ ١١)، وفي إسناده الواقدي وابن أبي سبرة وهما ممن لا يحتج بهما.

(٢٧) ابن سعد (٢/ ٣١) بإسناد منقطع وفيه الواقدي وابن أبي حبيبة، وهو ضعيف.

(٢٨) الفتح (١٤/ ٢٢٣/ح ٣٧١٠).

(٢٩) انظر القصة عند عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٤٦٦ - ٤٦٩) وأحمد في المسند (٣/ ١٣٨ - المكتب الإسلامي) أو الفتح الزباني (٢١/ ١٢٢) من طريق عبدالرزاق وابن حبان في المورد ص٤١٣، والبزار في الكشف (٢/ ٣٤١) وغيرهم. وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٤٢): «وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم عن عبدالرزاق به نحوه».

(٣٠) الاستيعاب (٣/ ٩٥) وهو بهامش الإصابة لابن حجر.

(٣١) الفتح (١٤/ ٢٢٣).

والذي أرجحه هو ما ذهب إليه ابن عبدالرحمن أن العباس أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه بأمر الرسول ﷺ لمصلحة الدعوة وخاصة تزويد الرسول ﷺ بأخبار قريش.

تجمعت جيوش المسلمين بمَر الظَهران ـ مكان بين مكة والمدينة ـ ولم تكن الأنباء قد وصلت قريشا بعد، ولكنهم كانوا يتوقعون أمرا بسبب فشل سفارة أبي سفيان إلى المدينة حين أعانوا بني بكر على خزاعة، فأرسلوا أباسفيان وحَكيم بن حِزام وبُدَيل بن وَرْقَاء ليتحسسوا الأخبار عن الرسول ﷺ فالتقى بهم العباس راكبا بغلة الرسول ﷺ وكان يريد أن يرسل إلى قريش رسولا يطلب منهم أن يخرجوا لمصالحة الرسول ﷺ قبل أن يدخل عليهم مكة، وكانوا ثلاثتهم يتحدثون في أمر الجيش المعكسر بمر الظهران وكثرة نيرانه، وقد ظن بديل أنها خزاعة، وعارضه أبوسفيان في هذا، فأخبرهم العباس بأنه جيش المسلمين، فوافقه، وأردفه على البغلة، ولما رآه عمر أراد قتله، ولكن الرسول ﷺ صرفه عن هذا، وعندما أدخل العباس أبا سفيان على الرسول ﷺ أخذ يدعوه إلى الإسلام شطرا كبيرا من تلك الليلة، فألان القول وتردد، فطلب الرسول ﷺ من العباس أن يأخذه معه إلى خيمته ويأتي به في صباح اليوم التالي.

وفي الصباح قبل أبوسفيان الإسلام بعد تردد، وطلب العباس من الرسول ﷺ أن يجعل لأبي سفيان شيئا لأنه يحب الفخر، فوافق وقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن....».

وأمر الرسول ﷺ العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل حيث أوقفه على عدة وعدد المسلمين عندما كانت تمر بها كتائب المسلمين بمر الظهران، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار وفيهم رسول الله ﷺ، قال أبوسفيان: «والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما»، فقال العباس ويحك ياأبا سفيان، إنها النبوة»، قال: «فنعم إذا».

وعندما رأى أبوسفيان ما رأى جاء إلى قومه وصرخ فيهم محذرا لهم بأن

لا قبل لهم بما جاء به محمد، وقال لهم ما قاله الرسول ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد(٣٢).

أما بديل وحكيم، رفيقا أبي سفيان، فقد أسلما بمجرد دخولهما على رسول الله ﷺ(٣٣).

وعندما مرت كتيبة الأنصار بأبي سفيان، قال سعد بن عبادة، حامل رايتهم: «اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة(٣٤)»، فاحتج أبوسفيان على هذا القول، فقال له الرسول ﷺ: «كذب سعد ـ أي أخطأ ـ ولكن هذا يوم يعظم فيه الله الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة. وأخذ الراية من سعد ودفعها إلى ابنه قيس، ولكن سعداً طلب منه أن يصرف ابنه عن الموضع الذي هو فيه، مخافة أن يقدم على شيء، فصرفه عن ذلك(٣٥)، وقيل إنه دفع الراية إلى الزبير بن العوام، فدخل الزبير مكة بلوائين(٣٦)، وجزم موسى ابن عقبة في المغازي عن الزهري بأنه دفعها إلى الزبير(٣٧).

لقد ذكر الواقدي(٣٨) تفصيلا دقيقا لتوزيع الرايات والألوية على قادة الجيش الإسلامي، وأسماء الرسل الذين أوفدهم النبي ﷺ لاستنفار القبائل، وعدد أفراد الجيش الإسلامي وعدة كل قبيلة. وقد ثبت أن الرسول ﷺ

---

(٣٢) من رواية إسحاق بن راهويه عند ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨/ح ٤٣٦٢). قال ابن حجر: «هذا حديث صحيح»، ورواه ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٦٢ ـ ٦٧)، وسياقها أتم من سياق البخاري: الفتح (١٦/ ١١٣ ـ ١١٧/ح ٤٢٨٠)، فلتقارن.

(٣٣) ابن سعد (٢/ ١٣٥) معلقا، الواقدي (٢/ ٨١٥) بإسناده، وانظر ترجمة بديل في الإصابة (١/ ١٤١ ـ ١٤٢) وترجمة حكيم في الإصابة (٣٤٩١)، وقال ابن حجر: «تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح، وثبت في السيرة وفي الصحيح انه ﷺ قال: «من دخل دار حكيم بن حِزام فهو آمن وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٣٢٣) بعد سياقه حديث ابن إسحاق الذي فيه: ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..» زاد عروة: «ومن دخل دار حكيم بن حِزام فهو آمن».

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١١٦ ـ ١١٨/ح ٤٢٨٠).

(٣٥) ابن حجر: مختصر زوائد البزار، ص ٢٤٨، وقال: «صحيح»، والفتح (١٦/ ١٧٧/ شرح الحديث ٤٢٨٠)، وقال هنا إن إسنادها على شرط البخاري.

(٣٦) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٢٤١)، والهيثمي في المجمع (٦/ ١٦٩) وقالا إن إسناده ضعيف جدا، لأن فيه محمد بن الحسن بن زبالة، علما بأن الثابت في الصحيح إن راية رسول الله ﷺ كانت مع الزبير: البخاري/ الفتح (١٦/ ١١٨/ح ٤٢٨).

(٣٧) ابن حجر: الفتح (١٦/ ١١٧/ شرح الحديث ٤٢٨٠). وابن كثير في البداية (٤/ ٣٢٣، ٣٢٨).

(٣٨) المغازي (٢/ ٧٩٩ ـ ٨٠١)

عندما وصل مر الظهران عين القادة وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، فكان ابن الوليد على المجنبة اليمنى والزبير على المجنبة اليسرى وأبوعبيدة على الرجالة[٣٩]. وكانت راية الرسول ﷺ سوداء ولواؤه أبيض[٤٠].

وقد جمعت قريش جموعا من قبائل شتى ومن أتباعها لحرب المسلمين، وقالوا نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فأمر رسول الله ﷺ بقتالهم، وسارت جيوشه حتى انتهت إلى الصفا، ما يعرض لهم أحد إلا قتلوه[٤١]. وقاد هذا الجمع صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبي جهل وسهيل بن عمرو، واختاروا الخندمة ليقاتلوا فيها[٤٢].

ودخل الرسول ﷺ مكة من أعلاها من جهة كداء[٤٣] خاشعا شاكرا يقرأ سورة الفتح ويرجع في قراءتها وهو على راحلته[٤٤]، ودخل ابن الوليد من أسفلها[٤٥]. والتحم خالد عند الخَنْدَمَة مع بعض المشركين فاستشهد اثنان من فرسان المسلمين[٤٦]، وقيل ثلاثة[٤٧]، وقيل قتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا - بالشك[٤٨]، وقيل قريب من عشرين رجلا، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة[٤٩]، وقيل أربعة وعشرون من قريش وأربعة من

---

(٣٩) مسلم (٣/١٤٠٦/ح ١٧٨٠)، ومن رواية ابن إسحاق من حديث عبدالله بن أبي نجيح، بإسناد منقطع - ابن هشام (٤/ ٦٩، ٧٠).

(٤٠) صحيح سنن ابن ماجة للألباني (٢/ ١٣٣/ أرقام (٢٢٧٤، ٢٨١٨)، وقال: «حسن»، وكون لوائه أبيض رواه أبوداود: السنن (٣/ ٧٢/ ك. الجهاد/ ب. في الرايات والألوية/ح ٢٥٩١، ٣٥٩٢) بإسناد حسن، والنسائي: السنن (٥/ ٣٠٠/ ك الحج/ ب. دخول مكة باللواء).

(٤١) مسلم (٣/ ١٤٠٥/ح ١٧٨٠).

(٤٢) من رواية ابن اسحاق عن اثنين من شيوخه الثقات - عبدالله بن أبي بكر وعبدالله بن أبي نجيح مرسلا - ابن هشام. والخندمة أسم جبل بمكة.

(٤٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٩/ح ٤٢٩٠، ٤٢٩١).

(٤٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٣/ح ٤٢٨١).

(٤٥) الفتح (١٦/ ١٢٨/ شرح الحديث (٤٢٨٠).

(٤٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ١١٩/ح ٤٢٨٠) وهما جيش ابن الأشعر (والأشعر لقب واسمه خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة الخزاعي، أخو أم معبد - انظر: شرح ابن حجر، وعند ابن اسحاق خنيس بن خالد بن ربيعة) وكرز بن جابر الفهري.

(٤٧) من رواية ابن إسحاق عن اثنين من شيوخه الثقات، مرسلا - ابن هشام (٤/ ٧١)، وهم: كرز بن جابر وسلمة بن الميلاء وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني منقذ، وذكر أن كرزا وخنيسا قتلا عندما ضلا الطريق وما في الصحيح أصح.

(٤٨) المصدر والمكان نفساهما.

(٤٩) من مرسل موسى بن عقبة كما نقله عنه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢٠) وفيه مجاهيل.

هذيل[٥٠]، وقيل سبعون قتيلا[٥١]. ومن القرائن التي ترجح رواية موسى بن عقبة ـ باعتبار أنه من رجال الجماعة وأوثق من ابن إسحاق وابن سعد والواقدي ـ قول أبي سفيان: «يارسول الله، أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم[٥٢]».

والظاهر من الأحاديث أن هذا القتل الذي حدث لم يكن ليحدث لو احترم كل المشركين الأمان الذي أعلنه الرسول ﷺ لأهل مكة[٥٣]، ذلك الأمان الذي فسره بعض الأنصار، بأنه رغبة النبي ﷺ في قريته ورأفة بعشيرته، فأخبره الوحي بما قالوا، فخاطبهم قائلا: «كلا. إني عبدالله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله! ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال لهم: إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم»، فأقبل بعض الناس إلى دار أبي سفيان والبعض الآخر أغلقوا عليهم أبوابهم[٥٤].

لقد استثنى الرسول ﷺ من ذلك الإعلان أربعة رجال وامرأتين إذ أعلن إهدار دمائهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، والرجال هم: عكرمة بن

---

(٥٠) الواقدي (٢/ ٨٢٧ ـ ٨٢٩)، ابن سعد (٢/ ١٣٦) وكلاهما رواه معلقا.

(٥١) من رواية الطبراني كما ذكر ابن كثير في البداية (٤/ ٣٣١) بإسناد فيه شعيب بن صفوان الثقفي، وهو مقبول، وعطاء بن السائب وهو صدوق قد اختلط، فالحديث ضعيف، يتقوى بغيره، كما قال الدكتور محسن أحمد الدوم في رسالته للماجستير. مرويات غزوة فتح مكة ـ غير مطبوعة ـ ص ١٢٥.

(٥٢) مسلم (٣/ ١٤٠٦/ح ١٧٨٠).

(٥٣) انظر ذلك الحديث الذي فيه أخذ الرسول ﷺ الراية من سعد عندما علم بقوله: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة»، وقول الرسول ﷺ: «كذب سعد»، وحديث ابن إسحاق في أن الرسول ﷺ عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم ـ ابن هشام (٤/ ٧٢) معلقا وكان الأمان: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن «من رواية مسلم (٣/ ١٤٠٨/ح ١٧٨٠) وفي رواية ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٦٢ ـ ٦٧) واسحاق ابن راهويه في المطالب العالية (٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨/ح ٤٣٦٢) بإسناد صحيح: «ومن دخل المسجد فهو آمن».

(٥٤) مسلم (٣/ ١٤٠٦/ح ١٧٨٠).

أبي جهل(٥٥)، وعبدالله بن خَطَل(٥٦)، ومِقْيَس بن صُبَابَة(٥٧)، وعبدالله بن أبي سَرْح(٥٨)، وقد قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة(٥٩)، وقتل مقيس في سوق مكـة، واختفى عكـرمـة وابن سعـد حتى ضمنـا الأمـان من الرسول ﷺ، فجاءا مسلمين وحقنا دمهما(٦٠). والمرأتان هما: فَرْتَنى وسارة وقيل فَرْتَنى وأخرى كانتا جارتين لابن خطل(٦١)، وأن سارة كانت لعكرمة بن أبي جهل(٦٢). وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها، فأمنها رسول الله ﷺ. وأما سارة فكذلك هربت حتى استؤمن لها، وعاشت إلى زمان عمر فوطئها رجل بفرس فقتلها(٦٣).

---

(٥٥) انظر الواقدي: المغازي (٢/ ٨٢٥). ويدل ما جاء في قصة إسلامه على ثبوت إهدار الرسول ﷺ دمه.

(٥٦) كان مسلما، فأرسله الرسول ﷺ مع أحد الأنصار مصدقا، وكان معهما مولى له مسلم يخدمه، فعدا على مولاه فقتله لأنه لم يصنع له طعاما، ثم ارتد مشركا ـ ابن اسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٧٤). وكان يهجو رسول الله ﷺ بالشعر ـ ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٢٦/ شرح الحديث ٤٢٨٦).

(٥٧) قَتَلَ أنصاريٌ أخاه خطأ يوم المريسيع، فأُعْطِيَ الدية، ثم عدا على الأنصاري فقتله وهرب إلى مكة مرتدا ـ ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٧٥) والبزار في الكشف (٢/ ٣٤٣) بإسناد فيه السدي، وهو ضعيف، والطبراني في الأوسط، وفيه الحكم بن عبدالملك، وهو ضعيف، كما في المجمع (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨) وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) بإسناد فيه عثمان الجزري، وفيه كلام، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٩١) وفيه السدي، والنسائي (٧/ ١٠٥/ ك. الحدود/ ب. الحكم في المرتد)، فيكون الحديث بهذه الشواهد والمتابعات حسنا لغيره.

(٥٨) كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد: ابن سعد (٢/ ١٤١) مرسلا عن سعيد ابن المسيب، والطبراني في الأوسط، وعبدالرزاق في المصنف والنسائي: انظر: الحاشية السابقة ـ رقم (٥٧)، وفيها بقية المعلومات، وابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٧٣)، وأبوداود في سننه (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤/ ك. الجهاد/ ب الأسير يقتل) وفيه السدي وأسباط وهما ضعيفان. وبهذه الطرق والشواهد والمتابعات يكون الحديث حسنا لغيره.

(٥٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٦/ح ٤٢٨٦).

(٦٠) النسائي: سنن السيوطي: زهرة الربا (٧/ ١٠٥) بإسناد ضعيف، وله شاهدان، ضعيفان، أحدهما رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٦٠ ـ ٦١) بإسناد فيه الحكم بن عبدالملك، وهو ضعيف، والآخر السنن الكبرى (٩/ ١٢٠) وفيه عمرو بن عثمان المخزومي، مقبول، وشاهد ثالث ضعيف جدا في الدلائل (٥/ ٩٥) بإسناد فيه أسباط والسدي، وهما ضعيفان، فيكون الحديث حسنا بطرقه.

(٦١) ابن اسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٧٤)، وقال كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه. وروى حديث قتلهما الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في المطالب العالية (٤/ ٢٤٣)، وأبو داود في سننه (٣/ ١٣٤/ ك. الجهاد/ ب. قتل الأسير/ح ٢٦٨٥) مختصرا، وفيه السدي وأسباط، والنسائي (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦/ ك. الحدود/ ب. الحكم في المرتد) بإسناد ضعيف. فيكون الحديث حسنا بهذه الطرق.

(٦٢) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٧٦).

(٦٣) الفتح (١٦/ ١٢٠/ شرح الحديث ٤٢٨٠) وذكر أسماءهم ومصادره في ذلك والاختلاف بينها، وسبب إهدار دم كل فرد منهم، ومن قتل ومن عُفِيَ عنه، وانظر في هذا أيضا: ابن إسحاق واستدراكات ابن هشام، كلاهما معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٧٣ ـ ٧٤). وقد اضطربت الروايات في هذا الأمر ـ انظر رسالة الدوم، ص ص ١٢٧ ـ ١٣٧.

ويذكر الحافظ أن عدد الذين أهدر الرسول ﷺ دماءهم تسعة من الرجال وست أو ثمانٍ من النساء وذلك للاختلاف في القينتين، إذ يحتمل أن تكون أرنب وأم سعد هما القينتان. وممن ذكرهم من غير ما ذكرنا: الحُويْرث ابن نُقَيْذ، نخس بعير ابنتي رسول الله ﷺ فاطمة وأم كلثوم، يوم هجرتهما، فرمى بهما إلى الأرض فقتله علي، وهَبَّار بن الأسود الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنخس بعيرها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، ففر يوم مكة، ثم أسلم وحسن إسلامه، والحارث بن طَلاطِل الخزاعي، فقتله علي، وكعب بن زهير، وقد جاء بعد ذلك وأسلم، ووحشي بن حرب، قاتل حمزة، هرب إلى الطائف، ثم جاء في وفد ثقيف وأسلم وحسن إسلامه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، وقد أسلمت.

وذكر الواقدي(٦٤) أن الرسول ﷺ أمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة: عكرمة وهبار وابن سعد ومقيس والحويرث وابن خطل وهند بنت عتبة وسارة مولاة عمرو بن هشام وقينتين لابن خطل.

وسبب إهدار النبي ﷺ دم هؤلاء كما هو واضح من سيرتهم، ما ألحقوه من أذى شديد وتنكيل بالمسلمين، وكان في إهدار دمهم عبرة للطغاة والمستهترين بأرواح الأبرياء في كل زمان ومكان.

أحل الرسول ﷺ لخزاعة أن تثأر من بني بكر في اليوم الأول من الفتح حتى العصر، وذلك لما كان منهم بالوتير. وعندما دخل العصر أمر بكف السلاح عن بني بكر وبيّن حرمة مكة، وعندما قتلت خزاعة رجلا من بني بكر في اليوم التالي بمزدلفة غضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا، ودفع دية البكري، وقال إن من يقتل بعد ذلك قتيلا فأهل القتيل بالخيار بين القصاص والدية(٦٥).

---

(٦٤) المغازي (٢/ ٨٢٥).

(٦٥) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٥٩) بإسناد حسن لذاته، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته، من حديث أبي شريح الخزاعي في حرمة مكة ـ ابن هشام (٤/ ٨٢ ـ ٨٣). ورواية ابن إسحاق في المسند: الرباني (٢١/ ١٦٢)، ومعها رواية أخرى في المسند: الرباني (٢١/ ١٦٠) فيها مسلم ابن زيد السعدي ـ مقبول ـ وقد توبع، فقويت روايته وارتفعت إلى درجة الحسن لغيره، وحديث أبي شريح في حرمة مكة، رواه البخاري: الفتح (١٦/ ١٣١/ح ٤٢٩٥) وفي أماكن أخرى، ومسلم (٢/ ٩٨٧ ـ ٩٨٨/ح ١٣٥٤) ورواه غيرهما.

وذكر ابن إسحاق[٦٦] تفاصيل مقتل هذا البكري، واسمه ابن الأشوع الهذلي، وقتله خِراش بن أمية، لقتله أحد فرسان خزاعة، واسمه أحمر.

وأعلن الرسول ﷺ العفو عن عامة أهل مكة، عندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة ينتظرون حكمه فيهم، فقال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: «خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم». فقال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم»[٦٧] وفي رواية، أنه قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٦٨] ولذا عرفوا في التاريخ بـ «الطلقاء».

وكان هذا الموقف من الرسول ﷺ لما نزل من القرآن ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[٦٩]، وقال: «نصبر ولا نعاقب» مختارا العفو والصبر، تَفَضُّلاً واحتسابا[٧٠].

وبين الرسول ﷺ للناس حرمة مكة وأنها لا تغزى بعد الفتح[٧١]، وأعلى من مكانة قريش، وأمر ألا يقتل قرشي صبرا بعد يوم الفتح إلى يوم القيامة[٧٢].

واستثنى الرسول ﷺ مكة من معاملة البلاد التي تفتح عنوة، وذلك لقدسيتها، فحرم القتل أو السبي فيها، وأبقى الأموال الثابتة والمنقولة في أيدي أصحابها، ولم يفرض عليها خراجا، ولهذا ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها، يسكن أهلها فيما يحتاجون إليه من دورها، وما زاد عن حاجتهم فهو لسكنى الحجاج

---

(٦٦) ابن هشام (٤/ ٨١ - ٨٢) بإسناد حسن، إذا ثبت أن الرجل المبهم صحابي.

(٦٧) أبو عبيدة: الأموال، ص ١٤٣، بأسناد حسن لكنه مرسل، ابن إسحاق، بإسناد فيه جهالة - ابن هشام (٤/ ٧٧ - ٧٨)، ابن سعد (٢/ ١٤١ - ١٤٢) بإسناد فيه جهالة، من حديث الزهري، ولو ثبت أنه صحابي صح الحديث، وفي سياقه اختلاف يسير عن مرسل أبي عبيد وابن إسحاق، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب كما في كنز العمال (١٠/ ٣٨٩) باختصار، وابن السني في: «عمل اليوم والليلة»، عن عمر، ص٩٩، وفي سنده عبدالله بن المؤمل، وهو ضعيف كما في الكامل لابن عدي (٤/ ٤٥٤ - ٤٥٦) والحديث يتقوى بهذه الطرق.

(٦٨) من رواية ابن إسحاق بإسناد فيه جهالة، من حديث الزهري - ابن هشام (٤/ ٧٨).

(٦٩) النحل: ١٢٦.

(٧٠) أحمد: المسند (٥/ ١٣٥)والألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٦٧/ التفسير/ح ٣٣٤٩) وقال: «حسن صحيح الإسناد». وقال الحاكم (٢/ ٣٥٩): «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٧١) أحمد: المسند (٤/ ٤١٢) بإسناد حسن لذاته، سنن الترمذي (٣/ ٨٣) وقال: «حسن صحيح».

(٧٢) مسلم (٣/ ١٤٩/ح ١٧٨٢)، وأحمد: المسند (٣/ ٤١٢) بإسناد صحيح.

والمعتمرين والقاصدين المسجد الحرام، وذهب آخرون إلى جواز بيع أراضيها وإجارة منازلها، واستدلوا في ذلك بآثار قوية، بينها أدلة المانعين لذلك آثار مرسلة وموقوفة[٧٣].

ونزل رسول الله ﷺ بقبة ضربت له بِالْحَجُون، في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين، وهو خَيْف بني كِنَانَة، ويعرف بالْمُحَصَّب، لأن داره قد أخذها عقيل بن أبي طالب، وهو لا يرثه لأنه كافر[٧٤]، ولم يرث علي وجعفر شيئا من الدور، لأنهما مسلمان وقد مات أبوهما كافرا. إضافة إلى أن عقيلا وطالبا باعا كل الدور[٧٥].

وأمر الرسول ﷺ بتطهير البيت الحرام بإزالة الأصنام عنه وشارك بيده في تكسيرها، وهو يقرأ: ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾[٧٦] و ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[٧٧][٧٨] وكان عددها ستين وثلاثمائة[٧٩]. وكان بداخل الكعبة صُوَرٌ لإبراهيم وإسماعيل وإسحق وهم يستقسمون بالأزلام، فلطخت بالزعفران ولم يدخل الكعبة إلا بعد إخراجها منها، وقال: «قاتلهم الله ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام»[٨٠]، وفي رواية قال: «هذا إبراهيم مصور فماله يستقسم»[٨١]؟ وفي رواية أن صورة مريم أيضا كانت داخل الكعبة[٨٢]. ووجد حمامة من عيدان فكسرها، ورمى بها خارج الكعبة[٨٣].

---

(٧٣) باختصار عن ابن القيم في الزاد (٣/ ٤٣٥ ـ ٤٤١) وذكر أن الأئمة المانعين هم: مجاهد وعطاء بمكة، ومالك بالمدينة وأبو حنيفة بالعراق والثوري وأحمد وابن راهويه، ومال ابن القيم إلى الفريق المجوز.

(٧٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٤/ح ٤٢٨٢) و(٧/ ٢٤٢/ح ١٥٨٩، ١٥٩٠)، مسلم (٢/ ٩٨٤/ح ١٣٥١).

(٧٥) البخاري/ الفتح (٧/ ٢٤١/ح ١٥٨٨).

(٧٦) سبأ: ٤٩.

(٧٧) الإسراء: ٨١.

(٧٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٧/ح ٤٢٨٧) وفيه آية سبأ فقط، ومسلم (٣/ ١٤٠٨/ح ١٧٨١). وفيه الآيتان، وفي روايتين أخريين له، ذكر فقط آية الإسراء، ابن هشام، بإسناد فيه جهالة من حدثه، ورجاله ثقات (٤/ ٨٤ ـ ٨٥) وذكر آية الإسراء.

(٧٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٦/ح ٤٢٨٧)، مسلم (٣/ ١٤٠٨/ح ١٧٨١).

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٢٧/ح ٤٢٨٨) وأحمد في المسند (١/ ٣٦٥) بإسناد صحيح، وابن قانع في معجمه كما في شفاء الغرام (١/ ٢٣٠) بتحقيق الدكتور تدمري، وفيه أنه طينها ثم لطخها بالزعفران.

(٨١) البخاري/ الفتح (١٣/ ١٢٩/ح ٣٣٥١).

(٨٢) المصدر والمكان نفساهما.

(٨٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن كما عند الذهبي في مغازيه (ص ٥٥٢).

وعنـدما طهرت الكعبة دخلها وصلى بها ركعتين[٨٤]، ثم خرج فأعطى مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة، وأبقى الحجابة في أيدي بني شيبة كما كانت في الجاهلية[٨٥]. ثم استلم الحجر الأسود، وطاف بالبيت من غير إحرام، وكان على رأسه المغفر يوم دخل مكة، ثم لبس عمامة سوداء[٨٦]. وكان يستلم الركن بمحجنه[٨٧]، كراهة أن يزاحم الناس في طوافهم وتعليما للأمة الإسلامية.

وأمر بلالا أن يؤذن، فعلا بلال على ظهر الكعبة فأذن عليها، فقال بعض بني سعيد بن العاص: «لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة»[٨٨]. وقال بعض زعماء قريش بنحو هذا[٨٩].

وعندما تم تطهير البيت الحرام من الأصنام أرسل الرسول ﷺ بعوثا إلى مناطق مختلفة لإزالة أكبر الأصنام التي بها. فقد أرسل خالد بن الوليد في ثلاثين رجلا إلى بطن نخلة من ديار ثقيف لهدم العزى، صنم مضر وقريش وكنانة، فهدمها[٩٠]. وكان ذلك لخمس ليال بقين من رمضان[٩١]. وأرسل سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارسا إلى صنم مناة بالْمُشَلَّل من ناحية

---

(٨٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٣٢/ح ٤٤٠٠) وفيه تفاصيل عن مكان وكيفية صلاته داخل الكعبة.

(٨٥) روى عبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٨٣ ـ ٨٥/ح ٩٠٧٣، ٩٧٠٤، ٩٠٧٦) (وفيها أن الرسول ﷺ طلب من عثمان أن يغيبوا المفتاح)، وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩/ شرح الحديث ٤٢٨٩)، رويا عدة أحاديث ضعيفة، ولكن تتقوى بمجموعها وطرقها.

(٨٦) البخاري (١٦/ ١٢٥/ح ٤٢٨٦) وليس فيه لبس العمامة السوداء، ومسلم (٢/ ٩٩٠/ح ١٣٥٨).

(٨٧) البخاري/ الفتح (٧/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧/ح ١٦٠٢)، ومسلم (٢/ ٩٢٦/ح ١٢٧٢)، وأبوداود السنن (٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٢/ ك. المناسك الحج/ ب. الطواف الواجب/ح ١٨٧٧، ١٨٧٨) بإسناد حسن لذاته، والطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح كما ذكر الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٤٤).

(٨٨) الذهبي: المغازي، ص ٥٥٥ بإسناد حسن إذا ثبت أن الذي حدث يسارا من الصحابة، وروى خبر أذان بلال على الكعبة عروة مرسلا كما عند الذهبي في مغازيه، ص ٥٥٥ والبيهقي في الدلائل (٥/ ٧٨) بإسناد صحيح، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) مرسلا ورجاله ثقات، وفيه الحارث بن هشام وصفوان بن أمية هما اللذان علقا على الأذان فقال أحدهما: «انظر إلى هذا الحبشي»، وقال الأخر: «إن يكرهه الله يغيره» ورواه البيهقي في الدلائل من طريق عبدالرزاق مرسلا (٥/ ٧٩)، وبهذا يتقوى الحديث. ورواه الواقدي (٢/ ٨٤٦) بأسانيده.

(٨٩) انظر أقوالهم عند الواقدي في مغازيه (٢/ ٨٦٤) بأسانيده، وعند ابن هشام بإسناد منقطع ـ السيرة (٤/ ٨٠).

(٩٠) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١١٢) وفيه أن سدنتها وحجابها من بني شيبان ومن بني سليم، حلفاء بني هاشم، وابن سعد (٢/ ١٤٥) معلقا، والواقدي (٢/ ٨٧٣)، والمزي: تحفة الأشراف (٤/ ٢٣٥/ح ٥٠٥٤) نقلا عن السنن الكبرى للنسائي، وفيه الوليد بن جميع ـ صدوق يهم.

(٩١) ابن سعد (٢/ ١٤٥) معلقا، والواقدي (٢/ ٨٧٤).

ـ قديد وهو القديدية الآن ـ وهو صنم يعظمه العرب وخاصة الأوس والخزرج قبل إسلامهم، فهدمها[٩٢]، وذلك لست بقين من رمضان[٩٣]. وأرسل عمرو ابن العاص الى سُوَاع، صنم هُذَيل، فهدمها[٩٤]. وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾[٩٥].

واجتمع الناس لمبايعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة لله ورسوله، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء. واجتمع إليه نساء قريش فيهن هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان، متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة (رضي الله عنه) يوم أحد، فلما دنون منه ليبايعنه، قال رسول الله ﷺ: «تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما أخذته على الرجال سنؤتيكه، قال: ولا تسرقن، قالت والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة، وما أدري أكان ذلك حلا لي أم لا؟ فقال أبوسفيان وكان شاهدا لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل. فقال عليه السلام: «وإنك لهند بنت عتبة؟» فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين، قالت وهل تزنى الحرة؟ قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا، فأنت وهم أعلم، فضحك عمر من قولها حتى استغرب[٩٦]، قال: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، فقالت: والله إن اتيان البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل. قال: ولا تعصينني في معروف. فقال رسول الله ﷺ لعمر: بايعهن، واستغفر لهن رسول الله ﷺ، فبايعهن عمر. وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ولا يمس امرأة ولا تمسه، إلا امرأة أحلها الله له[٩٧].

---

(٩٢) ابن سعد (٢/١٤٦) ـ معلقا ـ وقيل إن الذي هدمها هو علي ـ انظر: الكلبي: الأصنام، ص ١٥.
(٩٣) ابن سعد (٢/١٤٧) معلقا.
(٩٤) المصدر نفسه ـ ابن سعد (٢/١٤٦) معلقا.
(٩٥) النجم: ١٩ و٢٠.
(٩٦) استغرب: استلقى على قفاه كما في رواية أخرى. انظر: السيرة الشامية (٥/٣٧٢).
(٩٧) رواه الطبري في التاريخ (٣/٦١ ـ ٦٢) بلاغا.

وقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ كان يبايع النساء بالكلام، بالآية: ﴿لايشركن بالله شيئا﴾[٩٨] وما مست يده يد امرأة أجنبية[٩٩].

وكان من أبرز نتائج هذا الفتح أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش. فقد روى البخاري[١٠٠] من حديث عمرو بن سَلَمَة الجرمي، قوله: «وكانت العرب تلوم بإسلامها الفتح، يقولون: انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم». وكانت هذه النظرة لقريش لأنها كانت زعيمة العرب وحامية البيت وصريح ولد إسماعيل وناصبة الحرب لرسول الله ﷺ، فلما افتتحت مكة، ودانت قريش لرسول الله ﷺ ودوخها الإسلام عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته، فدخلوا في دين الله أفواجا، كما قال (عز وجل) ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾[١٠١].

وخطب الرسول ﷺ أثناء إقامته بمكة عدة خطب بين فيها أمورا وأحكاما مختلفة، ففي الخطبة الأولى، التي كانت على باب الكعبة، بين دية الخطأ شبه العمد، وألغى مآثر الجاهلية وثأراتها، واستثنى من أمور الجاهلية سقاية الحاج وسدانة البيت[١٠٢].

وأعلن في الخطبة الثانية: «ألا إنه لا حلف في الإسلام، وما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لا يزيده إلا شدة. والمؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، يرد سراياهم على قعيدتهم. لا يقتل مؤمن بكافر. دية الكافر نصف دية المسلم. لا جلب

---

(٩٨) الممتحنة: ١٢.
(٩٩) البخاري/ الفتح (٢٠/٩٨ - ٩٩/ح ٢٥٨٨) مسلم (٣/١٤٨٩/ح ١٨٦٦).
(١٠٠) البخاري/ الفتح (١٦/١٣٣ - ١٣٤/ح ٤٣٠٢).
(١٠١) سورة النصر، وانظر: ابن إسحاق - معلقا ابن هشام (٤/٧٣)، وتفسير ابن عباس لمضمون سورة النصر من رواية البخاري/ الفتح (١٦/١٣٠/ح ٤٢٩٤).
(١٠٢) مسند أحمد (٣/٤١٠) بإسناد حسن لذاته، وأبوداود: السنن (٢/٤٩٢) بإسناد صحيح.

ولا خبب ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دورهم»[١٠٣].

وأعلن في الخطبة الثالثة تحريم مكة، وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها وتحريم القتال فيها، وقال إن الله تعالى أحلها له ساعة من نهار، وهو وقت الفتح[١٠٤]. وقال لا هجرة بعد الفتح، ويبقى الجهاد والنية، ولذلك بايع النبي ﷺ المسلمين بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد، ولم يبايعهم على الهجرة[١٠٥].

وبين في الخطبة الرابعة أن من قتل له قتيل فهو بخير النظيرين، إما أن يودى وإما أن يقاد[١٠٦].

الأحكام والدروس والعظات والعبر المستفادة من أحداث غزوة الفتح:

١ - جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، فقد أفطر الرسول ﷺ عندما بلغ كديداً، كما ذكرنا.

٢ - صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثمان ركعات خفيفات[١٠٧]، فاستدل قوم بهذا على أنها سنة مؤكدة[١٠٨].

٣ - إن أحق المصلين بالإمامة أكثرهم حفظا للقرآن، كما في حديث عمرو ابن سلمة[١٠٩].

٤ - قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة[١١٠].

---

(١٠٣) أخرج أوله مسلم (٤/ ١٩٦١/ح ٢٥٣٠) إلى قوله: «شدة»، وأخرجه أحمد مقطعا في مواضع مختلفة من المسند وكاملا في مسنده: (انظر الرباني (٢١/ ١٦٠ - ١٦١)، وقال الساعاتي: «وهو حديث صحيح، صححه الترمذي وغيره، وله شواهد كثيرة تعضده». والجلب: أن يأتي الرجل بمن يصيح على فرسه ويزجره حثا له على الجري حتى يسبق، والخبب: أن يسابق الرجل على فرسين يركب الأول فإذا فتر تحول إلى الثاني.

(١٠٤) البخاري /الفتح (١٦/ ١٣١/ح ٤٢٩٥) مسلم (٢/ ٩٨٧/ح ٣٥٤).

(١٠٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٧ - ١٣٨/ح ٤٠٣٥ - ٤٣١٢) مسلم (٣/ ١٤٨٧ - ١٤٨٨/ح ١٨٦٤).

(١٠٦) البخاري/ الفتح (٢٦/ ٢٧ - ٢٨/ح ٦٨٨٠)، مسلم (٢/ ٩٨٨/ح ١٣٥٥).

(١٠٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٠/ح ٤٢٩٢) مسلم (١/ ٤٩٧/ ح ٣٣٦).

(١٠٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٤/ح ٤٣٠٢)، انظره ففيه طرقه.

(١٠٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٢/ح ٤٢٩٨، ٤٢٩٩).

(١١٠) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٦٢/ح ٣١٧١)، مسلم (١/ ٤٩٨/ح ٣٣٦).

٥ ـ إقـرار أمان وجوار النساء، حيث أمضى الرسول ﷺ جوار أم هانئ لرجلين من أحمائها[١١١].

٦ ـ تحريم نكـاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاثة أيام[١١٢]. ويرى النووي[١١٣] أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين، إذ كان حلالا قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيح يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبـد. ويرى ابن القيم[١١٤] أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح. والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح.

٧ ـ قرر الرسول ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة زمعة بن زمعة. فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة، فقضى فيه رسول الله ﷺ لعبد بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه[١١٥].

٨ ـ اعتبار عقد النكاح قائما بين الزوج المشرك والزوجة المسلمة، إذا أسلم الزوج قبل انقضاء عدة الزوجة، وذلك من خلال قصة صفوان بن أمية وعكـرمة بن أبي جهل، إذ أسلمت زوجتاهما قبلهما، ثم أسلما قبل انقضاء عدتيهما[١١٦].

٩ ـ عدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشاره الرسول ﷺ في أن يوصي بأكثر من

---

(١١١) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٦٢/ح ٣١٧١)، مسلم (١/ ٤٩٨/ح ٣٦٦).
(١١٢) مسلم (٢/ ١٢٣/ح ١٤٠٥) و (ح ١٤٠٦).
(١١٣) النووي/ شرح مسلم: (٩/ ١٨١).
(١١٤) زاد المعاد (٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٥ و ٤٥٩ ـ ٤٦٤).
(١١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٥/ح ٤٣٠٣).
(١١٦) مالك: الموطأ/ شرح الزرقاني: (٣٦١٣ ـ ٣٦٣٨/ ك. النكاح/ بـ. نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله)، مرسلا، من رواية الزهري، وقال الزرقاني: «قال ابن عبدالبر: لا أعلمه يتصل من وجه صحيح وهو حديث مشهور معلوم عند أهل السير وابن شهاب إمام أهلها وشهرة هذا الحـديث أقـوى من إسنـاده»، وابن عساكر في تاريخ دمشق (تراجم النساء) بتحقيق سكينة الشهابي، ص٥٠٢، ابن إسحاق، بإسناد مرسل من حديث الزهري ـ ابن هشام (٤/ ٨٧).

الثلث[١١٧].

١٠ - يجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها لنفقتها ونفقة عياله بالمعروف دون علمه إذا امتنع عن النفقة، كما في خبر هند بنت عتبة[١١٨].

١١ - تحريم بيع الخمر والميتة والأصنام[١١٩].

١٢ - جواز خضاب الشيب بالحناء أو الصفرة وتحريم خضابه بالسواد كما في قصة أبي قحافة - والد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) - حين أمر الرسول ﷺ بتغيير شيبه[١٢٠]. ومن حكمة ذلك أنه مخالفة لليهود والنصارى.

١٣ - النهي عن الشفاعة في حدود الله بعد رفعها للإمام كما في قصة المرأة المخزومية التي سرقت فتشفع فيها أسامة بن زيد، فغضب الرسول ﷺ منه، ثم قال: «إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٢١].

١٤ - نهى رسول الله ﷺ عن قتل المرأة مادامت لا تقاتل كما جاء مبينا في قصة مروره بامرأة مقتولة يوم الفتح، فقال: «ما كانت هذه تقاتل...»[١٢٢]، وجاء النهي عن قتل النساء والصبيان مطلقا غير مقيد بغزوة أو سرية معينة[١٢٣].

---

(١١٧) البخاري/ الفتح (١١/ ٢٠٧ - ٢٠٨/ح ٢٧٤٤، ٢٧٤٣) وانظر مناقشة ابن حجر لأقوال العلماء في هذا استنادا إلى أحاديث هذا الباب، وخلاصته ورأيه ص٢٠٦، والترمذي: السنن (٣/ ٢٩١) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(١١٨) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧/ح ٣٨٢٥)، مسلم (٣/ ١٣٣٨/ح ١٧١٤).

(١١٩) البخاري/ الفتح (٩/ ٢٩٧/ح ٢٢٣٦).

(١٢٠) مسلم (٣/ ١٦٦٣/ح ٢١٠٢)، ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٦٧ - ٦٨) ورواه غير واحد من طريق ابن إسحاق، مثل: أحمد: الرباني (٢١/ ١٥١ - ١٥٢) وقال الساعاتي: «وسنده صحيح ورجاله ثقات». وقد جوز الدكتور أبوبكر ميقا تغييره بالسواد.

(١٢١) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٦/ح ٤٣٠٠ - ٤٣٠٤)، ومسلم (٣/ ١٣١٥ - ١٣١٦/ح ١٦٨٨ - ١٦٨٩).

(١٢٢) من رواية أحمد في المسند (٢/ ١١٥) بإسناد ضعيف لأن فيه شريك بن عبدالله النخعي الكوفي، وهو صدوق سيء الحفظ. ولكنه يتقوى بغيره مثل حديث الطبراني في الأوسط بنحوه - من حديث ابن عمر - كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٢/ ١١٤/ شرح الحديث ٣٠١٢). وانظر كلام ابن حجر في جواز قتل المرأة التي تباشر القتل: الفتح (١٢/ ١١٥/ شرح الحديث ٣٠١٣).

(١٢٣) البخاري/ الفتح (١٢/ ١١٥/ح ٣٠١٤، ٣٠١٥)، مسلم (٣/ ١٣٦٤/ح ١٧٤٤)، وغيرهما. وروايات البخاري ومسلم عن خبر المرأة التي وجدت مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ توضحها روايتا أحمد والطبراني في الحاشية السابقة، وتدلان على أن ذلك كان في فتح مكة.

١٥ ـ إبداء الرسول ﷺ تقديره لأبي بكر (رضي الله عنه) وذلك عندما أتى أبوبكر بأبيه يقوده، وهو كفيف، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟» فقال أبوبكر (رضي الله عنه): «يارسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت»، ثم أجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم، فأسلم[١٢٤]. ويروى أن رسول الله ﷺ هنأ أبابكر بإسلام أبيه[١٢٥].

١٦ ـ جواز دخول مكة بغير إحرام لمن يريد العمرة أو الحج لأن الرسول ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[١٢٦].

١٧ ـ إن أهل العهد إذا حاربوا ـ بعضهم أو جميعهم ـ من هم في ذمة الإمام وجواره وعهده صاروا حربا له بذلك، ولم يبق بينهم وبينه عهد، فله أن يبيتهم في ديارهم، ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء، وإنما يكون الإعلام إذا خاف منهم الخيانة، فإذا تحققها، صاروا نابذين لعهده[١٢٧].

١٨ ـ إن قتل الجاسوس راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين، قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح، أو وجدت علة مانعة، استبقاه كما في قصة حاطب[١٢٨].

١٩ ـ جواز تجريد المرأة كلها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة كما في قصة المرأة التي كانت تحمل رسالة حاطب، وموقف علي والمقداد منها[١٢٩].

٢٠ ـ إن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولا وغضبا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده[١٣٠].

---

(١٢٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/٦٧ ـ ٦٩) ورواه من طريقه آخرون.
(١٢٥) رواه الذهبي في مغازيه، مرسلا، ص ٥٥٩.
(١٢٦) البخاري/ الفتح (١٦/١٢٥/ح ٤٢٨٦)، ومسلم (٢/٩٩٠/ح ١٣٥٨).
(١٢٧) ابن القيم: زاد المعاد (٣/٤٢٠).
(١٢٨) المرجع نفسه (٣/٤٢٢ ـ ٤٢٣).
(١٢٩) المرجع نفسه (٣/٤٢٣).
(١٣٠) المرجع والمكان نفسهما.

٢١ ـ جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردته، ومن غير استتابة، كما في قصة عبدالله بن أبي السرح.

٢٢ ـ أما ما يتعلق بأحكام الهجرة، فقد سبق ذكرها في فصل هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي فصل هجرة المسلمين إلى الحبشة.

سرايا وبعوث الرسول ﷺ أيام الفتح وهو بمكة:

١ ـ بعثة خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمَة[١٣١] من كِنَانة:

بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة في شوال سنة ثمان من الهجرة، بعد مرجعه من هدم العزى، وذلك خلال إقامة الرسول ﷺ بمكة أيام الفتح[١٣٢]. وقد خرج في ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سُلَيم، ليدعوهم إلى الإسلام[١٣٣].

وعندما ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون «صبأنا»، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع كل رجل من السرية أسيره، ثم أمرهم ذات يوم أن يقتل كل رجل منهم أسيره، فأبى جماعة منهم ذلك، فيهم عبدالله بن عمر، حيث قال: «والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، وعندما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بما حدث، رفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد، مرتين»[١٣٤].

وذكر ابن سعد[١٣٥] أن بني سُلَيم هم الذين قتلوا من بأيديهم من

---

(١٣١) كانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يلملم (ابن سعد ٢/١٤٧). وقالوا إن يلملم جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث، وقيل هو واد. معجم البلدان (٨/ ٥١٤)، وهو جنوبي مكة بثمانين كيلا.

(١٣٢) ابن سعد (٢/ ١٤٧) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما ذكرنا من قبل.

(١٣٣) ابن سعد (٢/ ١٤٧) معلقا، ابن إسحاق باسناد مرسل ضعيف لان فيه حكم بن حكيم وفيه كلام ـ ابن هشام (٤/ ١٠٠)، ولكن أصل سبب البعث وما حدث فيه فقد رواه البخاري كما في الفتح (١٦/ح ٤٣٣٩).

(١٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧٤/ح ٤٣٣٩)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٦٦ ـ ١٦٧) بإسناد ولفظ البخاري.

(١٣٥) الطبقات (٢/ ١٤٨) ـ معلقا فهو ضعيف.

الأسرى، أما الأنصار والمهاجرون فلم يفعلوا ذلك، وأطلقوا أسراهم.

ودار كلام بين خالد وعبدالرحمن بن عوف حول هذا الموضوع، حتى كان بينهما شر، فقد خشي ابن عوف أن يكون ما صدر عن خالد ثأراً لعمه الفَاكِه بن المغيرة الذي قتله جذيمة في الجاهلية(١٣٦)، ولعل هذا الذي وقع بينهما هو ما أشار إليه الحديث المروي عند مسلم(١٣٧) وغيره: «كان بين ابن الوليد وعبدالرحمن بن عوف شيء. فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه».

وبعث رسول الله ﷺ عليا فودى لهم قتلاهم وزادهم فيها تطييباً لنفوسهم وبراءة من دمائهم(١٣٨).

وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولا منه واجتهادا خاطئا، وذلك بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله(١٣٩).

وقد روى ابن إسحاق(١٤٠) قصة فتى أسير من بني جذيمة، إذ طلب من ابن أبي حَدْرَد أن يقوده من حبله وهو مقيد ليتكلم مع نساء لهم ثم يعيده ليصنع به ما يراه، فأجابه إلى طلبه، فجاء به فوقف عليهن ثم قال:

---

(١٣٦) ابن إسحاق - معلقا. ابن هشام (٤/ ١٠٤، ١٠٥) وانظر القصة فيه.

(١٣٧) صحيحه (٤/ ١٩٦٧ - ١٩٦٨/ح ٢٥٤١).

(١٣٨) ابن إسحاق بإسناد مرسل ضعيف لأنه موقوف على أبي جعفر محمد بن علي، وفي سنده حكيم ابن حكيم، وفيه كلام - ابن هشام (٤/ ١٠٢ - ١٠٣) وابن سعد (٢/ ١٤٧ - ١٤٨) معلقا مختصرا.

(١٣٩) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٧٤/ شرح الحديث ٣٤٣٩).

(١٤٠) بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٠٧ - ١٠٩) إلى حيث ضرب عنق الفتى، أما موت الفتاة فقد رواها بإسناد منقطع من آخره لجهالة الأشياخ، ولو ثبتت صحبتهم لصح الخبر - ابن هشام (٤/ ١٠٩) ويشهد لهذا الجزء المنقطع بالصحة أن القصة رواها البيهقي في الدلائل (٥/ ١١٦ - ١١٨) من حديث ابن عيينة بروايتين بسنده إلى والد ابن عصام المزني ومن حديث النسائي بإسناده إلى ابن عباس، كلاهما بإسناد صحيح كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٧٥/ شرح الحديث ٤٣٣٩)، وابن حبان في صحيحه: موارد الظمآن، ص ١٦٠، حديث رقم (٦٦٩٧) من حديث عصام المزني. وعزاه ابن حبان للطبراني في الكبير والبزار، وحسن المحقق إسناده كما في المجمع والزوائد (١٦/ ٢١٠)، وفي روايات البيهقي وابن حبان اختلاف في السياق عن رواية ابن إسحاق. فروايات البيهقي لم تذكر أن القصة وقعت في بعث خالد لبني جذيمة، وتختلف رواية ابن عيينة عن رواية النسائي... ولكن الروايات كلها تتحد في موقف الفتى من الفتاة والفتاة من الفتى.

«اسلمي حُبَيْش على نَفَدٍ من العَيْش» ثم قال شعرا عاطفيا قويا يخاطب به فتاة يعشقها بين تلك النسوة، فردت عليه قائلة: «وأنت فحييت سبعا وعشرا، وترا وثمانيا تترى»، ثم انصرف به ابن أبي حدرد، فضربت عنقه. فقامت إليه معشوقته، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده. وعندما أخبر الرسول ﷺ بقصتها قال: «أما كان فيكم رجل رحيم»[141].

ومن البعوث التي أرسلها الرسول ﷺ خلال إقامته بمكة، للإغارة على المشركين، بعث هشام بن العاص في مائتين من الصحابة إلى جهة يلملم. وبعث خالد بن سعيد بن العاص في ثلثمائة من الصحابة قبل عُرَنَة[142].

---

(١٤١) ورد هذا الحديث في رواية النسائي المشار اليها، بإسناد صحيح كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٧٥) وقد رواها البيهقي في الدلائل (٥/ ١١٨) وابن حبان في صحيحه: موارد الظمآن، ص ١٥٩، حديث رقم (٦٦٩٦) وعزاه الطبراني في الكبير والأوسط، وقال المحقق ـ محمد عبدالرزاق حمزة: «وإسناده حسن، كذا في مجمع الزوائد (٦/ ٢١٠)».

(١٤٢) الواقدي (٢/ ٨٧٣) والواقدي متروك، فمروياته ضعيفة جداً.

الفصل الثالث والعشرون

غزوتا حُنَين والطائف:

المبحث الأول: غزوة حنين.

أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح (تسعة عشر يوما)[1] حتى جاءت هوازن وثقيف، فنزلوا بحنين يريدون قتال النبي ﷺ، وكانوا قد جمعوا له قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة، وهم يظنون أنه إنما يريدهم، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة، أخذوا في الاستعداد وحشد القوات لمواجهته[2]، وقبل أن يهاجمها، وقد أرادوها موقعة حاسمة، ولذا حشدوا الأموال والنساء والأبناء حتى لا يفر أحدهم ويترك أهله وماله. وكان يقودهم مالك بن عَوف النصري، واستنفروا معهم غطفان وغيرها[3]. وممن جمعهم ابن عوف: بنو نصر - قومه - وبنو جُشَم وبنو سعد بن بكر وجماعات متفرقة من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر وعوف بن عامر، وثقيف كلها في أحلافها، وبنو مالك[4]، وتخلف عنهم من هوازن كعب وكلاب[5].

---

(١) هذه الجزئية من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٢/ح ٤٢٩٨ و ٤٢٩٩)، أما رواية الطبري المذكورة في الخبر فهي أن مدة إقامته «نصف شهر، لم يزد على ذلك» وما في الصحيح أصح.

(٢) إلى هنا من رواية الطبري في تاريخه (٣/ ٧٠) بإسناد مرسل موقوف على عروة، وله شاهد من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، كما ذكره الذهبي في مغازيه، ص٥٧١، وفيه أن حنينا واد إلى جنب ذي المجاز. وزاد الحافظ في تعريف حنين أنه قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات. (الفتح (١٦/ ١٣٩/ شرح ترجمة باب غزوة حنين) وزاد النووي أنه واد بين مكة والطائف وراء عرفات (شرحه على مسلم ١٢/ ١١٣/ ك. الجهاد/ ب. غزوة حنين) وقال حمد الجاسر إنها تبعد عن مكة عشرين كيلا شرقيها وتعرف الآن بالشرائع - (انظر تعليقه على كتاب المناسك للحربي، وفؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٤٧١).

(٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٢/ح ٤٣٣٧)، مسلم (٢/ ٧٣٥/ح ١٠٥٩).

(٤) من رواية ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، ومن حديث جابر، وإسناده حسن - ذكره الذهبي في مغازيه، ص٥٧١، والحاكم (٣/ ٤٨) وصححه ووافقه الذهبي، ومن روايته معلقا، كما في سيرة ابن هشام (٤/ ١١٤). وقد استوعبت هاتان الروايتان رواية الطبري والبخاري ومسلم وفيها زيادات كثيرة.

(٥) من رواية ابن إسحاق - معلقا كما في سيرة ابن هشام (٤/ ١١٤) ومن روايته بإسناد حسن من حديث جابر كما نقله عنه الذهبي في مغازيه، ص٥٧٣.

وخرج على رأس بني جُشَم يومذاك دُرَيْد بن الصِّمَّة، وكان شيخا كبيرا، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه،، لأنه كان شيخا مجربا عارفا بالحرب، فأنكر على مالك النصري الخروج بالنساء والأطفال والأموال، إذ يرى أن المنهزم لا يرده شيء، فلم يعمل مالك برأى دريد. وقال دريد في شأن غياب كعب وكلاب: «غاب الحد والجد ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب. . .» وذكرت له أقوال أخرى تدل على تجربته في الحروب وتوقعه الهزيمة لقومه، لأن الرأي كان لمالك، وهو صغير السن - ٣٠ سنة - غير مجرب، بل اتهم مالك دريداً بأنه كبر وقل علمه، وأقسم على هوزان بأن تطيعه هو وإلا انتحر، فأطاعوه، فأمرهم أن يكسروا جفون سيوفهم إذا رأوا المسلمين، ثم يشدوا شدة رجل واحد[٦].

وكانت خطة مالك في الحرب أن رتب جيشه في صفوف حسنة، وقدم الخيل ثم الرجالة ثم النساء ثم الأغنام ثم الإبل[٧]، وقد بلغ جيشه عشرين ألفا[٨]، فسار بهم إلى الرسول ﷺ.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن أبي حَدْرَد الأسلمي ليأتيهم ويدخل فيهم ويعلمه خبرهم، فجاءهم ومكث فيهم يوما أو اثنين، ونقل خبرهم إلى الرسول ﷺ[٩].

ولعل هذا الخبر الذي نقله ابن أبي حدرد إلى الرسول ﷺ هو الذي تبسم له الرسول ﷺ وعلق عليه بقوله «تلك غنيمة المسلمين غدا - إن شاء الله». وذلك عندما اقتربوا من العدو[١٠].

---

(٦) انظر: المصدرين والمكانين نفسيهما.
(٧) مسلم (٢/٧٣٦/ح ١٠٥٩).
(٨) الواقدي (٢/٨٩٣).
(٩) من رواية ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير، من حديث جابر، بإسناد حسن، انظر: مغازي الذهبي ص ٥٧١ - ٥٧٢ والحاكم (٣/٤٨) وصححه ووافقه الذهبي وعنده أن المرسل هو عبدالرحمن ابن أبي حدرد.
(١٠) من رواية أبي داود بإسناد حسن كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٣٩/ شرح ترجمة الباب) وعنده أن الرجل المرسل هو عبدالله بن أبي حدرد كما في حديث ابن إسحاق. وانظر حديث أبي داود في سننه (٣/ ٢٠ - ٢١/ ك. الجهاد/ ب. في فضل الحرس في سبيل الله/ح ٢٥٠١)، وهو حديث صحيح الإسناد.

وبعد جمع المعلومات العسكرية المطلوبة استعد الرسول ﷺ لمواجهتهم، فاستعار من يَعْلَى بن أمية ثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً [أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك][11] واستعار مائة درع من صَفْوَان بن أمية [وكان من المؤلفة قلوبهم] وأعادها إليه بعد غزوة حنين، وشكره على ذلك[12]. ويروى أنه استقرض من حُوَيْطِب بن عبدالعُزَّى أربعين ألف درهم[13]، وتقبل معونة قدرها ثلاثة آلاف رمح من نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب[14].

وبعد أن أقام الرسول ﷺ بمكة تسعة عشر يوما[15]، خرج إلى حنين لست خلت من شوال، وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال وكان وصوله إليها في عاشره[16] واستعمل عَتَّاب بن أَسِيْد بن أبي العيص أميرا على مكة[17].

(11) انظر ترجمته في الاستيعاب (٣/ ٦٦١ ـ ٦٦٥) والإصابة (٣/ ٦٦٨). وروى خبر الإعارة: أبوداود: السنن (٢/ ١٤٦/ ك. البيوع/ ب. تضمين العارية. وذكر الزيلعي في نصب الراية أن ممن رواه أيضا النسائي وابن حبان في صحيحه في النوع الحادي عشر، من القسم الرابع، ثم قال: «قال عبدالحق في «أحكامه» حديث يعلى بن أمية أصح من حديث صفوان بن أمية...» إشارة إلى حديث الاستعارة من صفوان. انظر نصب الراية (.../١١٧) وقال صاحب الجوهر النقي في شرح السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٩٠) عن هذا الخبر: «قال ابن حزم: حديث حسن ليس في شيء مما روى في العارية خبر يصح غيره، وأما ما سواه فليس يساوي الاشتغال به...» إشارة إلى حديث الاستعارة من صفوان بن أمية، انظر، ابن حزم: المحلى (٩/ ١٧٣). وانظر تخريجه في الإرواء (٥/ ٣٤٨ ـ ٣٩) وقد صحح الألباني إسناده من سياق ورواية أبي داود عن طريق همام عن قتادة به عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى عن أبيه.

(12) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن: رواها الذهبي في المغازي ص٥٧٢، والحاكم (٣/ ٤٩) وصححها ووافقها الذهبي، وقد ورد الحديث بطرق أخرى ضعيفة، ولكن بعضها يقوى بشاهده مع ما تقدم من الموصول الصحيح. وانظرها في سنن البيهقي (٦/ ٨٩ ـ ٩٠) حيث رواها من طرقها الضعيفة، ورواها بإسناد ابن إسحاق الحسن المذكور، وفي إرواء الغليل (٥/ ٣٤٤ ـ ٤٤٦/ ك. العارية).

(13) الاستيعاب (١/ ٣٨٥) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(14) الاستيعاب (٣/ ٥٣٧) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

(15) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٢/ح ٤٢٩٨، ٤٢٩٩).

(16) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٣٩/ شرح حديث ترجمة الباب). والبيهقي: السنن الكبرى (٣/ ١٥١)، والنسائي: السنن (٣/ ١٠٠).

(17) أخرجه ابن حجر: الإصابة (٢/ ٤٥١) من رواية الطيالسي، والبخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٥٤) وفيه أيوب بن عبدالله بن يسار ـ سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٩) وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل (٢/ ٢٥١)، وقال ابن حجر: «وإسناده حسن»، وابن خياط في تاريخه ص٨٨ بإسنادين أحدهما من مرسل الزهري والثاني بإسناد متصل ولكنه ضعيف لضعف عبدالله بن يعلى. وعموما فإن الأحاديث الواردة في تولية عتاب أميرا على مكة ضعيفة لكن مجموعها يتقوى بعضه ببعض ولذلك حسن ابن حجر الحديث لما له من الشواهد، وكذلك حسنه الألباني لذات السبب كما في تعليقه على أحاديث فقه السيرة للغزالي، ص٤٣٣.

==

وقد ثبت في الصحيحين[18] أن الطلقاء قد خرجوا معه إلى حنين، دون تحديد لعددهم، وقال أهل المغازي إنه خرج معه ألفان من أهل مكة - الطلقاء - مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه لفتح مكة، فأصبحوا اثنى عشر ألفا[19]، وهو أكبر جيش إسلامي يخرج في حياة الرسول ﷺ إلى ذلك الحين، ولهذا ساد شعور عند بعض الناس أنهم لن يغلبوا من قلة، وعبر أحدهم[20] عن هذا الشعور جهرة، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فعاتبهم القرآن وذكرهم بعدم الاتكال إلا على الله وحده، وإلا وكلهم على أنفسهم، ولقنهم درسا بليغا في هذا الشأن، فقال تعالى ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾[21][22] وحكى لهم الرسول ﷺ قصة

==

انظر دراسة الدكتور قريبي في رسالته للدكتوراه: «مرويات غزوة حنين،» ص ص ١٦٠ - ١٦٥، وانظر: ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٤/ ١١٧ - ١١٨)، والحاكم (٣/ ٥٩٥) والطبري في التاريخ (٣/ ٧٧)، وهي روايات تصلح للاستدلال التاريخي، لأنها لا تخالف قواعد الإسلام العامة. . . . انظر: قريبي، والعمري: المجتمع - الجهاد، ص١٩٧.

(١٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧٠/ح ٤٣٣٣)، مسلم (٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦/ح ١٠٥٩) وانظر: أحمد: المسند (٣/ ١٥٧، ١٩٠).

(١٩) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١١٨)، وابن إسحاق مرسلا عن الزهري، وقد صرح بالتحديث كما في مغازي الذهبي، ص٥٧٢، وابن خياط في تاريخه، والحاكم (٢/ ١٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وأعله الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٦) لوجود عبدالله بن عياض، الذي لم يوثقه أحد، البخاري: التاريخ الكبير (٤/ ١٩) وفيه عبدالله بن عياض، والطبري في تاريخه (٣/ ٧٣) من حديث ابن إسحاق، مرسلا وقد عنعنه وفيه ابن حميد وهو ضعيف، والواقدي (٣/ ٨٨٩) بأسانيده عن شيوخه ومنهم الثقة والضعيف، ولكنه لم يميز حديث كل واحد منهم، وابن سعد (٢/ ١٥٤ - ١٥٥). وعموما فإن الروايات بهذا الشأن ضعيفة حديثيا، حسب تخريج الدكتور قريبي (١٦٦ - ١٧٦) وتكفي لاعتمادها تاريخيا، كما توصل إلى ذلك الدكتور قريبي، ص١٧٦ وشيخه الدكتور العمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص١٩٧.

(٢٠) قيل إن القائل سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل العباس، وقيل أبوبكر، وقيل رسول الله ﷺ وقيل رجل من بكر وقيل غلام من الأنصار. انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٨٩٠)، والهيثمي في كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧) وابن إسحاق - ابن هشام (٤/ ١٢٤) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٢٣). . . إلخ. وكلها روايات ضعيفة كما ذكر المحققون، وتتفق في شيء واحد وهو حصول هذا القول من أحد أفراد الجيش المسلم، وهي بمجموعها يؤيد بعضها بعضا ويزيدها قوة قوله تعالى: ﴿ويوم حنين. . . الآية﴾ وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤١٤) وتفسير الطبري (١٠/ ١٠٠) ومحمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد صادق عرجون (٤/ ٣٦٧ - ٣٧٠) والدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص ص ٢١٠ - ٢١٩).

(٢١) التوبة: ٢٥.

(٢٢) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٢٣) بإسناد ضعيف، ورواه غيره بإسناد ضعيف ولكن يشهد له ويقويه الآية ووضوح معناها وإشارتها إلى أصل القصة زمانا ومكانا.

نبي أعجبته كثرة أمته فسلط الله عليهم الموت[٢٣].

وعندما اقترب الرسول ﷺ من حنين وحضرتهم صلاة العشاء أمر أحد الصحابة بمراقبة العدو من فوق أحد الجبال المطلة على وادي حنين، فأدى الصحابي المهمة، ونقل إلى الرسول ﷺ خبرهم، وأنهم قد خرجوا بظعنهم ونعمهم وشائهم واجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً ـ إن شاء الله تعالى» وعندما حانت ساعة النوم تطوع أنس بن أبي مَرْثَد الغَنَوي بحراستهم إلى الفجر، فأثنى عليه النبي ﷺ ووعده بالجنة[٢٤].

وفي الطريق إلى حنين رأى بعض الطلقاء شجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم تعرف بذات أنواط، فقالوا: «يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾[٢٥]، والذي نفسي بيده لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم[٢٦]» وفي هذا دليل على أن قلوب هؤلاء لم تتشرب الإسلام بعد لحداثة عهدهم به، بل روى أن ثمانين من الطلقاء قد خرجوا وهم على الكفر[٢٧]، وإذا كان الحال كذلك فلا غرابة من أن يعبر كَلَدة بن الحنبل أخو صفوان بن أمية لأمه، وهو أحد الطلقاء، عن فرحته بإدبار المسلمين في الجولة الأولى قائلاً: ألا بطل السحر اليوم!! فقال له أخوه صفوان ـ وهو على شركه آنذاك ـ اسكت، فض الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني[٢٨] رجل من قريش أحب

(٢٣) سنن الدارمي (٥/ ١٣٥)، مسند أحمد (٤/ ٣٣٣) و (٦/ ١٦).

(٢٤) أبوداود: السنن (١/ ٢١٠) و (٢/ ٩) من حديث سهل بن الحنظلية بإسناد صحيح، سبق ذكر حكم ابن حجر عليه.

(٢٥) الأعراف: ١٣٨.

(٢٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ١٢٠ ـ ١٢١)، ورواه من طريقه الترمذي: السنن (٦/ ٣٤٣ ـ ك. الفتن/ ب. لتركبن سنن من كان قبلكم/ح ٢٢٨١) ـ واللفظ له ـ وقال: «حسن صحيح» ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٣٥). ورواه من غير طريق ابن إسحاق: أحمد في المسند (٥/ ٢١٨) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٢٥) بمثل رواية أحمد، وابن حبان في صحيحه ـ موارد الظمآن ص ٤٥٤.

(٢٧) القسطلاني: المواهب اللدنية (١/ ١٦٢) والزرقاني في شرحه عليه (٣/ ٥) من طريق ضعيفة.

(٢٨) أي يكون لي رباً ـ أي ملكاً علي.

إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هوزان[٢٩]!!، وكان يقف زعماء مكة خلف الجيش ينظرون لمن تكون الدائرة، منهم: أبوسفيان وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام[٣٠]. وكان صفوان في المؤخرة ويرسل غلاما له ليأتيه بالأخبار من المقدمة[٣١].

وعندما انهزم المسلمون في الجولة الأولى كان أبوسفيان ينظر إليهم، وهو يحمل الأزلام، ويقول: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر»[٣٢].

بادرت هوزان إلى حنين، فأدخلوا جيشهم بالليل في الوادي، وفرقوا كمناءهم في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم قائدهم أمره بأن يرشقوا المسلمين بالسهام عند دخولهم وادي حنين المنحدر، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد[٣٣]، وشجعهم بأن المسلمين لم يلقوا من قبل مثلهم في الشجاعة والعدة والعدد والدراية بالحرب[٣٤].

وعبأ رسول الله ﷺ جيشه بالسحر، وعقد الألوية والرايات، ورتب الجند في هيئة صفوف منتظمة[٣٥]، واستقبل بجيشه وادي حنين في عماية الصبح، وانحدروا فيه[٣٦]، تتقدمهم على المجنبة الخيالة بقيادة خالد بن الوليد[٣٧] وفي طليعتها بنو سليم منذ خروجه من مكة[٣٨].

وعند دخول المسلمين الوادي حملوا على هَوَزان فانكشفوا، فأكب المسلمون على ما تركوه من غنائم، وبينما هم على هذه الحال، استقبلتهم هوزان

---

(٢٩) الهيثمي: المجمع (٦/ ١٧٩ - ١٨٠) وقال: «رواه أحمد وأبويعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية أبي يعلى»، وابن حبان في صحيحه، كما في الموارد ص٤١٧ والطبري في التاريخ (٣/ ١٢٨) وكلاهما من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.
(٣٠) من رواية موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري - مرسلا - ورواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، كما في البداية والنهاية (٤/ ٣٦٨).
(٣١) من رواية عروة المذكورة.
(٣٢) من رواية ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٢٢) والواقدي (٣/ ٩١٠).
(٣٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢١).
(٣٤) الواقدي (٣/ ٨٩٣).
(٣٥) الواقدي (٣/ ٨٩٥ - ٨٩٧) وقد انفرد بتفاصيل عن عدد الألوية وحملتها من قبائل العرب.
(٣٦) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام (٤/ ١٢١).
(٣٧) انظر مسلم (٢/ ٧٧٣/ ح ١٠٥٩). والمجنبة هي الكتيبة التي تأخذ جانب الطريق. وهما مجنبتان/ ميمنة وميسرة، بجانب الطريق، والقلب بينهما وعند ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١) أن المجنبة هي الميمنة، وانظر: الواقدي المغازي (٣/ ٨٩٦ - ٨٩٧).
(٣٨) الواقدي المغازي (٣/ ٨٩٦ - ٨٩٧).

وأمطرتهم بوابل من السهام التي لا تكاد تخطئ أحدا[٣٩].

ولم يكن المسلمون يتوقعون هذا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فولوا مدبرين، لايلوي أحد على أحد[٤٠]. وانحاز الرسول ﷺ ذات اليمين وهو يقول: «أين الناس؟ هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد ابن عبدالله[٤١]». ومما يدل على عدم توقع المسلمين لمثل هذه الخدعة أن بعضهم قد خرجوا خفافا عجلين دون استعداد حربي كامل، لا سيما بعض الشباب الذين خرجوا حاسري الرؤوس، وليس معهم السلاح الكافي[٤٢].

وكان أول من أدبر خيالة المسلمين، ثم المشاة، وفر معهم الطلقاء والأعراب، ثم بقية الجيش حتى لم يثبت مع الرسول ﷺ أحد سوى أبي سفيان بن الحارث[٤٣] وجماعة قليلة[٤٤].

---

(٣٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٤٤/ح ٤٣١٧)، مسلم (٣/ ١٤٠٠ - ١٤٠١/ح ١٧٧٦).

(٤٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٤٠/ح ٤٣١٥)، مسلم (٣/ ١٣٩٨/ح ١٧٧٥. ١٧٧٦)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢١ - ١٢٢).

(٤١) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢١ - ١٢٢).

(٤٢) البخاري/ الفتح (١٢/ ٦٤/ح ٢٩٣٠)، مسلم (٣/ ١٤٠٠ - ١٤٠١/ح ١٧٧٦).

(٤٣) البخاري/ الفتح (١٢/ ٦٤/ح ٢٩٣٠) و(١٦/ ١٤٠/ح ٤٣١٥)، مسلم (٢/ ٧٣٧/ح ١٠٥٩)، صحيح سنن الترمذي باختصار الألباني (٢/ ١٣٧): «وقال صحيح». ويفهم من روايات البخاري ومسلم والترمذي أنه لم يبق إلا الرسول ﷺ وحده ومعه أبوسفيان بن الحارث، آخذ برأس بغلته البيضاء، أما أهل المغازي والسير فقد ذكروا أقوالا مختلفة حول عدد من ثبت مع رسول الله ﷺ عندما انهزم الناس، قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٤١): «ولذا يمكن الجمع بين أخبار الصحيحين وغيرهما من أخبار أهل السير بأن المراد أن الرسول ﷺ بقي وحده متقدما مقبلا على العدو عندما انهزم الناس والذين ثبتوا معه كانوا وراءه. أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال وأبوسفيان ابن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة وغير ذلك» قلت: ويضاف إلى هذا أن الإرتباك جعل من الصعب على أهل البأس أن يصلوا إلى مكان الرسول ﷺ وأخذ ذلك منهم زمنا حتى وصلوه فردا فردا، حتى وصل العدد إلى قريب من مائة، ثم انتبه بقية الناس إلى نداء النبي ﷺ والعباس فجاءوا مسرعين من كل جانب، فنظموا صفوفهم وحملوا على العدو.

(٤٤) هذا قول بعض أهل الحديث وأهل السير، ومثال ذلك ما روى ابن إسحاق: «... إلاّ انه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبوبكر وعمر، ومن أهل بيته علي، والعباس، وأبوسفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث، وأسامة، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد؛ قتل يومئذ»، انظر: ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٢٢). وقال ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٤١ - ١٤٢): «وعند ابن أبي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة انه لم يبق معه إلا أربعة نفر: ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم، علي والعباس بين يديه وأبوسفيان آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر. وروى أحمد والحاكم أنه ثبت معه ثمانون من المهاجرين والأنصار... وممن ذكر الزبير بن بكار وغيره أنه ثبت يوم حنين أيضا: جعفر بن أبي سفيان بن الحارث وقثم بن العباس، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وعبدالله بن الزبير ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب وشيبة ==

ومما يدل على الدور الكبير للطلقاء في هذه الهزيمة أن أم سُلَيم بنت مِلْحَان طلبت من الرسول ﷺ أن يقتلهم بحجة أنهم انهزموا عنه، فقال لها رسول الله ﷺ: يا أم سليم. إن الله قد كفى وأحسن»[45].

كان الرسول ﷺ يمتطي بغلة له بيضاء ـ أو شهباء ـ تسمى دلدل، وهو يركضها وسفيان بن الحارث آخذ بركاب رسول الله ﷺ وعمه العباس آخذ بلجام البغلة يكفانها عن الإسراع نحو العدو[46]. وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغي وقد انكشف عنه جيشه، وهو على بغلة، وليست سريعة الجري، ولا تصلح للكر ولا للفر ولا للهرب، وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من يعرفه، وما هذا إلا ثقة بالله وتوكلٌ عليه وعلم منه بأنه سينتصر ويظهر دينه على سائر الأديان[47].

وأمر الرسول ﷺ عمه العباس ـ وكان قوي الصوت ـ أن ينادي الناس بالثبات، وخص منهم أصحاب بيعة الرضوان، فأسرعوا إليه كما تسرع الأمهات إلى أولادها، ثم خص الأنصار بالنداء، ثم بني الحارث بن الخزرج، فطاروا إليه قائلين: لبيك لبيك، ودارت المعركة قوية ضد هوازن[48]، ونزل الرسول ﷺ عن بغلته وهو يدعو[49] الله أن ينصرهم،

==

ابن عثمان بن الحجبي». وروى الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد حسن: «لقد رأيتنا يوم حنين وأن الناس لمولّون وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل». انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١)، وصحيح سنن الترمذي باختصار الألباني (٢/ ١٣٧) وقال: «صحيح». ووقع في رواية أبي نعيم في الدلائل [لم أقف عليه] تفصيل المائه: بضعة وثلاثون من المهاجرين والبقية من الأنصار ومن النساء أم سليم وأم حارثة. (ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٤١). وانظر أحمد في مسنده (١/ ٤٥٤) من حديث ابن مسعود أنهم ثمانون، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨٠)، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة».

(٤٥) مسلم (٣/ ١٤٤٢/ح ١٠٨٩). وفي الحديث أم سليم كانت تحمل خنجرا في هذه الغزوة فرآه زوجها أبوطلحة فأخبر الرسول ﷺ، فسألها الرسول ﷺ عن سبب حملها له، فقالت: «أتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فضحك رسول الله ﷺ».

(٤٦) مسلم (٣/ ١٣٩٨/ح ١٧٧٥).

(٤٧) انظر ابن كثير: التفسير (٤/ ٧٠).

(٤٨) مسلم (٣/ ١٣٩٨/ح ١٧٧٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن وبقريب منه ـ ابن هشام (٤/ ١٢٥)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، بإسناد صحيح.

(٤٩) ومن دعائه أيضا في تلك اللحظات: «إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم» رواه أحمد في المسند (٣/ ١٢١) وقال عنه ابن كثير في البداية (٤/ ٣٦٦): «إسناده ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه».

وقال: أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبدالمطلب[٥٠]»، وأخذ يقاتل والصحابة يقاتلون معه ويتقون به لشجاعته وثباته كعادتهم في مثل هذه المواقف العصيبة[٥١]. وعندما رأى الفارون موقفه وثباته وسمعوا صوت العباس يناديهم جاؤوا مسرعين ملبين الدعوة قائلين لبيك لبيك، حتى إن من لم يستطع أن يثني بعيره يتركه ويأخذ درعه وسيفه ورمحه حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ويجالد الأعداء. قال الرسول ﷺ عندما رأى المعركة تشتد: «هذا حين حمي الوطيس[٥٢]»، ثم أخذ حصيات، أو ترابا، فرمى به وجوه الكفار، وهو يقول: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، والرسول ﷺ يقول: «انهزموا ورب محمد»، وفي رواية أخرى، «انهزموا ورب الكعبة ـ مرتين»[٥٣].

وفي ضوء هذه الكيفية التي انهزم بها المشركون والمعجزة التي أجراها الله على يد نبيه محمد ﷺ يفهم قول الله تعالى: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا﴾[٥٤][٥٥]. فقد حكى أحد أفراد جيش هوزان أنهم عندما أرادوا الوصول إلى الرسول ﷺ حال بينهم وبينه رجال حسان الوجوه، فقالوا: شاهت الوجوه، فارجعوا، فهزموا من ذلك الكلام[٥٦].

وحكى شيبة بن عثمان أنه عندما أراد قتل الرسول ﷺ ثأرا لأبيه وعمه اللذين قتلهما علي يوم بدر، رفع له شواظ من نار حال بينه وبين الرسول ﷺ، كأنه البرق، فخاف أن يحرقه، فوضع يده على بصره وتقهقر، والتفت إليه الرسول ﷺ وطلب منه أن يدنو منه، فدنا منه، فقال اللهم

---

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٦/١٤٢/ح ٤٣١٥)، مسلم (٣/١٤٠٠/ح ١٧٧٦).
(٥١) مسلم (٣/١٣٩٨ ـ ١٣٩٩/ح ١٧٧٥)، ابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام (٤/١٢٥).
(٥٢) مسلم (٣/١٣٩٩/ح ١٧٧٥)، ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ١٢٥) وعنده «الآن حمي الوطيس».
(٥٣) مسلم (٣/ ١٣٩٩/ح ١٧٧٥، ١٧٧٧).
(٥٤) التوبة: ٢٦.
(٥٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٨٦ ـ ١٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٠ ـ ٧٢).
(٥٦) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٣، من رواية جعفر بن سليمان، وقال «إسناده جيد»، والواقدي (٣/٩٠٦ ـ ٩٠٧) من طريق آخر.

أذهب عنه الشيطان، فقذف الله الإيمان في قلبه، وطلب منه الرسول ﷺ أن يقاتل الكفار[٥٧]. وفي رواية أخرى أن شيبة قال للرسول ﷺ: يارسول الله، إني أرى خيلا بُلْغا، فقال له الرسول: «يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر» فضرب على صدره ثم قال: «اللهم اهد شيبة - ثلاثا، فانقلب بغض الرسول حبا عظيما»[٥٨].

وروى ابن إسحاق[٥٩] من حديث جُبير بن مُطْعِم أنه رأى قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الكساء الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بينهم وبين القوم، فنظر فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم يشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

لم يثبت المشركون طويلا في هذه الجولة الثانية من القتال، ففروا في نهاية اليوم مخلفين وراءهم كثيرا من القتلى والأموال[٦٠]، وكان الرسول ﷺ قد أمر بتعقب الفارين وجزهم[٦١] لكسر شوكتهم حتى لا يجتمعوا للحرب مرة أخرى، ولذا عندما فرغ من حنين بعث أبا عامر - عُبَيْد بن سليم بن حضار الأسلمي - على جيش الى أَوْطَاس[٦٢] لقتال الكفار الذين عليهم دريد بن الصمة، فجالدهم عامر حتى استشهد، وطلب من أبي موسى الأشعري، الذي خلفه في القيادة، أن يبلغ الرسول ﷺ سلامه وأن يطلب منه أن يستغفر له، فأكمل الأشعري المهمة وهزم الله على يديه الأعداء، وبلغ رسالة عامر، فدعا الرسول ﷺ لأبي عامر[٦٣].

---

(٥٧) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٣، من رواية الوليد بن مسلم، وقال غريب جدا، وفيه أبوبكر الهذلي، وهو ضعيف، وابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٣٥٠) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٥)، وابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٢٤)، والواقدي (٣/ ٩٠٩ - ٩١٠)، وهذا يدل على أن للقصة أصلا، وتشهد لها الأحاديث الصحيحة في أمر قذف الحصى في وجوه الأعداء وانهزامهم، ورواية جعفر بن سليمان الجيدة.

(٥٨) أخرجه الذهبي في مغازيه، ص ٥٨٤، والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٥ - ١٤٦). وفي إسناد هذه الرواية أبوبكر الهذلي، وهو متروك، فالإسناد ضعيف جدا.

(٥٩) رواه بإسناد منقطع - ابن هشام (٤/ ١٣١). والمنقطع ضعيف كما قلنا

(٦٠) انظر مثلا: ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ١٨٣ - ١٨٤).

(٦١) من رواية البزار في كشف الأستار (٢/ ٣٤٩) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨١): «رواه البزار ورجاله ثقات».

(٦٢) أوطاس: واد في ديار هوزان - كما في معجم البلدان (١/ ٢٨١).

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٦/ح ٤٣٢٣)، مسلم (٤/ ١٩٤٣/ح ٢٤٩٨).

وفي رواية أنه عندما انهزم المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستمائة نفس إلى جبيل أو أكمة، فلحق بهم الزبير بن العوام وجماعة من المسلمين فقضوا على ثلاثمائة منهم، منهم دريد بن الصمة نفسه[٦٤].

والذي نرجحه أن الزبير بن العوام كان في جماعة أبي عامر فباشر قتل ابن الصمة، لأن رواية البخاري لم تبين القاتل، وقيل إن الذي قتله ربيعة ابن رقيع[٦٥]، وقيل عبدالله بن قنيع[٦٦].

لقد انجلت المعركة عن نصر مبين للمسلمين، ومقتل وجرح عدد كبير من هوزان وثقيف. فقد روي أن قتلى بني مالك من ثقيف لوحدها قد بلغ سبعين قتيلا[٦٧]، ولم يقتل من الأحلاف سوى رجلين، أحدهما من بني غِيَرَة والآخر من بني كُبَّة[٦٨]. وقتل بأوطاس من بني مالك ثلثمائة ومعهم دريد ابن الصمة، كما ذكرنا، وقتل خلق كثير من بني نصر بن معاوية ثم من بني رِئاب، حيث استحر فيهم القتل، حتى قال عبدالله بن قيس ـ وكان مسلما: «يا رسول الله، هلكت بنو رئاب، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجبر مصيبتهم»[٦٩].

وعندما لجأ المشركون إلى أوطاس ولحق بهم المسلمون، قتل أبوعامر وحده تسعة إخوة منهم قبل أن يستشهد، وقتل أبو موسى الأشعري أخوين من بنى جُشَم بن معاوية[٧٠]. وقتل أبوطلحة وحده يوم حنين عشرين رجلا من

---

(٦٤) كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٧٨): «رواه البزار، وفيه عليّ ابن عاصم وهو ضعيف لكثرة غلطه وتماديه فيه، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات». وحسن ابن حجر هذا الحديث كما في الفتح (١٦/ ١٥٦).

(٦٥) ابن إسحاق، بإسناد معلق ـ ابن هشام (٤/ ١٣٦) وقد جزم بذلك.

(٦٦) المصدر نفسه (٤/ ١٣٨)، ورواه بصيغة التمريض «ويقال».

(٦٧) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٢) ونسبه إلى البخاري في التاريخ الكبير عن أبي عاصم، وفيه أن من قتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر. قلت: وأهل الطائف هم ثقيف. وقتلى بدر من المشركين كانوا سبعين كما ذكرنا ذلك في مكانه ـ ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٢) ورواه من طريق الطبري في التاريخ (٣/ ٧٨) بإسناد معضل، لان يعقوب بن عتبة من صغار التابعين.

(٦٨) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٣).

(٦٩) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٩)، وابن سعد (٢/ ١٥٢) معلقا، والواقدي (٣/ ٩١٦) وعند الواقدي وابن سعد «بني رباب» بدلا من «بني رئاب» كما هو عند ابن إسحاق.

(٧٠) ابن هشام، بإسناد منقطع (٤/ ١٤٢).

المشركين وأخذ سلبهم، لأن رسول الله ﷺ قد أباح سلب المشرك لقاتله[٧١].

ونهى رسول الله ﷺ يومذاك عن قتل النساء والأطفال والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، وذلك عندما مر بامرأة قتلها خالد بن الوليد[٧٢] والناس متزاحمون عليها، وقال: «ما كانت هذه تقاتل»[٧٣].

أما بالنسبة للسبي والغنائم فقد روي أن سبي حنين قد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء[٧٤]، وأن الأموال كانت أربعة آلاف أوقية فضة، وأن الإبل كانت أربعة وعشرين ألفا، وأن الشياة أكثر من أربعين ألف شاة[٧٥].

وحبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجِعْرَانَة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف، كما سنرى.

وروي أن الشَّيماء بنت الحارث كان ممن وقع في الأسر، فادعت أنها أخت الرسول ﷺ من الرضاعة، فقال لها الرسول ﷺ: «وما علامة ذلك؟»، قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف الرسول ﷺ العلامة، فمتعها وردها إلى أهلها كما طلبت[٧٦].

وروي أن أمه من الرضاعة ـ حليمة السعدية ـ جاءته، فأكرمها وبسط

---

(٧١) أبوداود: السنن (٣/ ١٦٢/ ل. الجهاد/ ب. في السلب يعطى القاتل/ح ٢٧١٨)، وقال: «هذا حديث حسن»، والحاكم (٢/ ١٣٠) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وسكت عنه الذهبي. وإباحة سلب المشرك لقاتله في البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٠/ح ٤٣١٢).

(٧٢) ابن إسحاق، بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٧٣) من رواية الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢) وصححه وأقره الذهبي ولكن لم يعين الغزوة. وأحمد في المسند: الرباني (١٤/ ٦٤) وأبي داود في السنن (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢/ ك. الجهاد/ ب. في قتل النساء/ح ٢٢٦٩) والبوصيري في المصباح (٢/ ٤١٨): وقال «هذا إسناد صحيح، المرقع بن صيفي ذكره ابن حبان في الثقات ولم أر من جرحه». فيكون الحديث حسنا لحال المرقع هذا علما بأن الغزوة لم تعين في هذه الطرق. وفي الحديث النهي عن قتل الأصناف المذكورة. قال الدعاس ـ محقق سنن أبي داود: «وأخرجه ابن ماجه حديث (٢٨٨٢) ونسبة المنذري للنسائي أيضا».

(٧٤) عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣٨١)، وابن سعد (٢/ ١٥٥) من رواية الزهري عن ابن المسيب، مرسلا، والذهبي: المغازي، ص٦٠٦، من رواية الزهري عن ابن المسيب مرسلا، الطبري: التاريخ (٨٢/٤٣) من رواية ابن هشام وعروة عن أبيه، مرسلا، وبصيغة التمريض «يزعمون» وابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٨٣).

(٧٥) ابن سعد (٢/ ١٥٢) معلقا. وقال ابن إسحاق عن الإبل والشاء إنه لا يدري كم عددها ـ ابن هشام (٤/ ١٨٣).

(٧٦) ابن إسحاق، بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ١٤٤)، والذهبي: المغازي، ص ٦١٠، من مرسل قتادة، وفيه الحكم بن عبدالملك، ضعفه ابن معين: التاريخ (٢/ ١٥٢/ رقم ١٣٢٢)، إذ قال فيه: «ليس بشيء».

لها ثوبه لتجلس عليه[٧٧].

وكانت خسارة المسلمين طفيفة جدا. فقد استشهد أربعة منهم، هم: أبوعامر الأسلمي، وأيمن بن عُبَيد، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود، وسُرَاقَة ابن الحارث[٧٨]. وجرح عدد منهم، منهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي[٧٩] وعبدالله بن أبي أوفى[٨٠] وخالد بن الوليد[٨١].

عندما انهزمت هوزان وثقيف وأحلافهم تفرقوا في الأودية والجبال، فلجأت ثقيف بقيادة مالك بن عوف إلى حصونها بالطائف، ولجأ آخرون إلى وادي أوطاس، وانحاز بنو غيرة إلى نخلة. وقد تبعت خيل المسلمين من سلك إلى نخلة، ولم تتبع من سلك إلى الثنايا[٨٢].

المبحث الثاني: غزوة الطائف:

بعد أن تعقب المسلمون فلول الهاربين من هوزان في أوطاس ونخلة، توجهوا للقضاء على ثقيف التي فرت من حنين وأوطاس وتحصنت بحصونها المنيعة في الطائف وأغلقت أبوابها بعد أن جمعت ما يكفيها من المؤن الغذائية للصمود لمدة عام، واتخذت وسائل دفاعية تمكنها من الصمود مدة طويلة، ورممت حصونها وأوفدت عُرْوَة بن مسعود وغَيْلان بن سَلَمَة إلى جُرَش ليتعلما

---

(٧٧) الطبري: التفسير (١٠/ ١٠١)، من مرسل قتادة بإسناد حسن، وابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٢٧٠) من مرسل عطاء بن يسار، البخاري: الأدب المفرد (٤٤٠)، وأبوداود: السنن (٥/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤/ك. الأدب. في بر الوالدين/ح ٥١٤٤ ـ ٥١٤٥). والذهبي: المغازي، ص ٦١٠، من حديث أبي الطفيل، وفي إسناده مجاهيل، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٨)، (١٦٤) وصححه، أبوداود: المراسيل بإسناد معضل كما في البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٤٠٨). وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٤٠٨): «وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه، والله أعلم بصحته».

(٧٨) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٤٥).

(٧٩) البزار: كشف الأستار للهيثمي (٢/ ٣٤٦) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٥٦/ شرح الحديث ٤٣٢٣)، ووصف متنه بأنه منكر. وانظره في مختصر زوائد البزار، ص ٤٩ ـ ٥٠، رقم ٨١٦.

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠/ح ٤٣١٤).

(٨١) الحميدي: المسند (٢/ ٣٩٨) بإسناد صحيح.

(٨٢) ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ١٣٦).

صنعة الدَّبابات[٨٣] والمجَانيق[٨٤]، والضُّبُور[٨٥]، ولذا لم يحضرا حنينا مع قومهما[٨٦].

ووصل المسلمون إلى حصون الطائف في نحو نهاية الأسبوع من شوال كما يستنتج من وقائع الأحداث[٨٧]، ونزلوا قريبا من حصونهم ثم تحولوا إلى منطقة أكثر بعدا من مدى سهام ثقيف التي تسببت في استشهاد اثنى عشر مسلما وجرح عدد منهم[٨٨]، وبنوا فيها مسجدا، يعرف اليوم بمسجد عبدالله ابن عباس، وكانت الطائف آنذاك جنوبي غربي المسجد[٨٩].

ولما كان القتال تراشقا بالسهام على بعد، استخدم المسلمون «الدبابة[٩٠]» ليحتموا بها من السهام، حتى يصلوا إلى الحصن فيثقبوه، وعندما رأتهم ثقيف، ألقت عليهم قطعا من حديد محماة فأحرقت «الدبابة»، فخرج أصحابها من تحتها فأصابوهم بالسهام، فقتلوا منهم رجالا[٩١].

واستخدم المسلمون المجانيق في رمي أهل الطائف، وهم أول من رمى في الإسلام المجانيق[٩٢]. وقد بذلوا الوسع في الرمي به، لا سيما وقد وعدهم الرسول ﷺ درجة في الجنة عندما قال لهم: «من بلغ سهم فله درجة في

---

(٨٣) الدبابات: آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود، ويدخل فيها الرجال، ويتصلون بحائط فينقبون عن أهله.

(٨٤) أنظر وصفها في كتاب «الرسول القائد» للواء ركن محمود شيت خطاب، ص ٢٥٤.

(٨٥) الضبور: شيء يُتقي به عند الانصراف.

(٨٦) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٠ - ١٧١)، ابن سعد (٢/ ١٥٨) معلقا. والمعلق ضعيف.

(٨٧) سبق القول إنهم وصلوا حنينا في العاشر من شوال وكانت المعركة في اليوم الحادي عشر منه، وتعقبوا فلول المنهزمين لمدة اسبوع تقريبا ثم ساروا إلى الطائف عبر طريق طويلة، فيكون وصولهم إليها في نحو نهاية الأسبوع الثالث.

(٨٨) ابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب - ابن هشام (٤/ ١٧٥ - ١٧٦)، ابن سعد (٢/ ١٥٨) معلقا، وقد حدد عدد القتلى بينما أطلقه ابن إسحاق.

(٨٩) البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة، ص ص ٢١٣ - ٢١٤، ٣١٦.

(٩٠) آلة من الخشب السميك المغلف بالجلود مركبة على عجلات مستديرة، يدخل فيها الرجال، فيدبون بها الأسوار لينقبوها.

(٩١) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٦ - ١٧٧).

(٩٢) ابن هشام، باسناد منقطع (٤/ ١٧٦)، أبوداود: «المراسيل»، طبعة محمد علي صبيح، مصر، ص٣٧، بإسناد صحيح إلى مكحول، وبإسناد آخر إلى عكرمة مولى ابن عباس، وقد احتج الشافعي بهذه الواقعة - انظر الشافعي: الأم (٤/ ١٦١)

الجنة»[٩٣].

وقد تباينت الروايات الضعيفة فيمن جلب المجانيق أو صنعها، فهناك من يذكر أنه خالد بن سعيد، ومن يذكر أنه سلمان الفارسي، ومن يذكر أنه الطفيل بن عمرو[٩٤].

وفي محاولة لإضعاف معنويات ثقيف، شرع المسلمون في حرق بساتين نخيلهم وعنبهم، فناشدوه أن يدعها لله وللرحم، فاستجاب لهم، بعد أن حققت المحاولة أهدافها[٩٥].

ونادى منادي رسول الله ﷺ: «أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فنزل إليهم ثلاثة وعشرون، منهم أبوبكْرَة - نُفَيع بن مَسْرُوح - الثقفي، فأسلموا، فأعتقهم النبي ﷺ ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم[٩٦].

وعندما استعصى الحصن على المسلمين واستشهد اثنا عشر رجلا[٩٧]، بينما لم يقتل من المشركين سوى ثلاثه[٩٨]، دعا رسول الله ﷺ إلى فك الحصار، فثقل ذلك على المسلمين واستنكروه، وعندما كثرت فيهم الجراحات، ودعاهم الرسول ﷺ إلى فك الحصار مرة أخرى، أعجبهم ذلك، فتبسم

---

(٩٣) أحمد: المسند (٤/ ١١٣، ٣٨٤) بإسناد صحيح، إذ صرح قتادة فيه بالتحديث عند البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦١)، والترمذي: السنن (٥/ ٣٥٤/ ك. الجهاد/ ب. ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله/ ح ١٦٣٧ - ١٦٣٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي: السنن (٦/ ٢٧/ ك. الجهاد/ ب. ثواب من رمى بسهم في سبيل الله).

(٩٤) جزم الواقدي (٣/ ٩٢٧، ٩٢٣) مرة بأن سلمان الفارسي عمل المنجنيق بيده ومرة أخرى بأن الطفيل بن عمرو قدم بدبابة ومجانيق عندما عاد من مهمته الخاصة بهدم صنم عمرو بن حممة - ذي الكفين. ثم ساق أقوالا أخرى بصيغة التمريض فقال: «ويقال قدم المجانيق يزيد بن زمعة ودبابتين، ويقال الطفيل بن عمرو!! ويقال خالد بن سعيد قدم من جرش بمجانيق ودبابتين». والمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها لدك الحصون ومن فيها. وهي لفظة معربة.

(٩٥) البيهقي: السنن (٩/ ٨٤) باسناده مرسلا إلى موسى بن عقبة وعروة وفيه مجاهيل، وابن إسحاق، من مرسل عمرو بن شعيب - ابن هشام (٤/ ١٧٧).

(٩٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٦١/ ح ٤٣٢٦، ٤٣٢٧) ولم يذكر إسلامهم، عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣٠١/ ح ٩٦٨٢) والطبراني كما في المجمع (٤/ ٢٤٥)، وقال: «رجاله رجال الصحيح»، ابن سعد (٢/ ١٥٨ - ١٥٩) معلقا، الواقدي (٣/ ٩٣١) وعندهما أنهم بضعة عشر رجلا، ذكر الواقدي أسماء تسعة منهم وأسيادهم. وسُمِّيَ نفيع بن مسروح بأبي بكرة لأنه نزل من الحصن ببكرة.

(٩٧) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٩)، ابن سعد (٢/ ١٥٩) معلقا، الواقدي (٣/ ٩٣٢)، أحمد: المسند (١/ ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أرطاة، صدوق مدلس، وقد عنعن.

(٩٨) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٨٠ - ١٨٢) وقد سماهم ونسبهم.

الرسول ﷺ، فارتحلوا[٩٩]، والرسول ﷺ يطمع في هدايتهم ويرفض طلب بعض المسلمين في الدعاء عليهم ويدعو لهم قائلا: اللهم اهد ثقيفا[١٠٠]»، ويروى أن الله لم يأذن له في أهل الطائف[١٠١].

لقد تباينت الروايات حول المدة التي قضاها الرسول ﷺ في حصار الطائف. فيرى عروة وابن عقبة[١٠٢] أنها كانت بضع عشرة ليلة، وفي رواية عن عروة أنها كانت نصف شهر.[١٠٣] ويذكر ابن إسحاق[١٠٤] مرة أنها بضع وعشرون ليلة، ومرة أنها ثلاثون ليلة أو قريب من ذلك[١٠٥]. ويذكر ابن هشام[١٠٦] أنها سبع عشرة ليلة، ويروي مسلم[١٠٧] وأحمد[١٠٨] أنها أربعون يوما.

والذي يكاد يتفق مع مجريات الأحداث هو ما ذكره موسى بن عقبة وعروة ابن هشام، ومافي الصحيح أصح.

عاد الرسول ﷺ مرة أخرى إلى الجعرانة حيث ترك غنائم حنين قبل أن يتحرك لحصار الطائف. وعندما عاد لم يقسم هذه الغنائم سوى بعض الفضة[١٠٩]، واستأنى بها بضع عشرة ليلة، آملا في قدوم هوازن عليه ودخولها

---

(٩٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٩ - ١٦٠/ح ٤٣٢٥)، مسلم (٣/ ١٤٠٢ - ١٤٠٣/ح ١٧٧٨).

(١٠٠) الترمذي: السنن (٩/ ٤٢٣/ ل. المناقب/ ب. في ثقيف وبني حنيفه/ ٣٩٣٧) وقال: «حسن صحيح غريب»، وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٤٣٢: «صحيح على شرط مسلم لولا عنعنة أبي الزبير - راويه - وهو مدلس»، ابن سعد (٢/ ١٥٩) معلقا، ابن إسحاق - معلقاً - ابن هشام (٤/ ١٨٣) وزاد فيه: «... وأت بهم» وفي حديث عروة من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود - مرسلا كما في مغازي الذهبي، ص٥٩٦، وقال: «اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم».

(١٠١) من حديث عروة من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود ومن حديث موسى بن عقبة من رواية ابن أخيه - مرسلا - كما في مغازي الذهبي ص٥٩٢، ورواية ابن سعد (٢/ ١٩٥) من حديث الحسن البصري - مرسلا - وابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ١٧٨).

(١٠٢) البيهقي: (دلائل النبوة (٥/ ١٥٧) والسنن الكبرى (٩/ ٨٤) بإسناد مرسل، وفي سند عروة أبوعلاثة - محمد بن عمرو بن خالد - وفي سند موسى بن عقبة أبوعتاب - محمد بن عبدالله، ولا توجد لهما ترجمة.

(١٠٣) الطبري: التاريخ (٣/ ٨٢) بإسناد مرسل حسن.

(١٠٤) ابن هشام (٤/ ١٧٦) مرسلا من حديث عمرو بن شعيب.

(١٠٥) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ١٦٩) باسناد مرسل حسن إلى شيخيه، ولم يسم شيخاه من حدثهما.

(١٠٦) السيرة (٤/ ١٧٦) معلقا وبصيغة التمريض: «يقال».

(١٠٧) الصحيح (٢/ ٧٣٦/ح ١٠٥٩) من رواية السميط.

(١٠٨) المسند (٣/ ١٥٧) من رواية السميط، ولم يوافق ابن كثير على هذه المدة، فقال: «وإنما حاصروها قريبا من شهر ودون العشرين ليلة»: البداية والنهاية (٤/ ٣٩٩).

(١٠٩) الحاكم: المستدرك (٢/ ١٢١) وصححه وسكت عنه الذهبي.

في الإسلام[١١٠]، ثم وزعها بعد ذلك على المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئا. فقد أعطى مائة من الإبل لكل من عُيَينة بن حِصْن - من زعماء غطفان - والأقرع بن حَابس - من زعماء تميم - وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة والعباس بن أمية - من زعماء قريش[١١١]. وقد أحصى ابن إسحاق[١١٢] اثنى عشر رجلا ممن نال مائة من الإبل، ستة منهم ذكرهم البخاري ومسلم. وممن زادهم على ما في البخاري ومسلم: معاوية بن أبي سفيان، والحارث ابن الحارث، ومالك بن عوف، والعلاء بن جَارِيَة، والحارث بن هشام، وحُويطِب بن عبد العزى، ولم يذكر من قائمة البخاري ومسلم: عَلْقَمة بن عُلاَثَة والعباس بن مِرْدَاس وذكر خمسة ممن أعطوا أقل من مائة[١١٣].

وأورد ابن هشام[١١٤] قائمة بأسماء تسعة وعشرين رجلا من المؤلفة قلوبهم ممن أعطوا من غنائم حنين، ولم يحدد عدد الإبل التي نالها كل واحد منهم. وهناك من أوصل عددهم إلى سبعة وخمسين رجلا[١١٥].

وكان هذا الموقف تجاه المؤلفة قلوبهم لحكمة وضحها الرسول ﷺ للأنصار عندما غضبوا من هذا التوزيع وحرمانهم من الغنيمة، وبلغ الرسول ﷺ قول بعض أحداثهم: «إذا كانت الشدة ندعى، وتعطى الغنائم غيرنا»، أو «يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!»[١١٦]، فجمعهم وقال لهم: «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبوا برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، يارسول الله رضينا. فقال: «لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار شِعْبا، لأخذت شِعْب الأنصار»[١١٧]،

---

(١١٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٤٦/ح ٤٣١٨، ٤٣١٩)، وقد أورد الذهبي في مغازيه، ص٦٠٥، هذا الحديث وفيه أنه انتظرهم تسع عشرة ليلة، ولم نجد هذا التحديد في المطبوع من الصحيح. وعند الواقدي (٣/ ٩٥٨) أنها ثلاث عشرة ليلة.

(١١١) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧١/ح ٤٣٣٥)، مسلم (٢/ ٧٣٧/ح ١٠٦٠) وانظر: ابن حجر الفتح: (١٦/ ١٧٢).

(١١٢) ابن هشام (٤/ ١٩٠) معلقا.

(١١٣) ابن هشام (٤/ ١٩٠ - ١٩١) - معلقا.

(١١٤) السيرة (٤/ ١٩٢ - ١٩٤) بإسناد منقطع، إذ لم يسم من حدثه، وبقية رجاله ثقات.

(١١٥) انظر الدكتور قريبي: مرويات غزوة حنين، ص٦٤٩.

(١١٦) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٧/ح ٣١٤٧)، مسلم (٢/ ٧٣٣ - ٧٣٥/ح ١٠٥٩).

(١١٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧٠/ح ٤٣٣١ - ٤٣٣٤، ٤٣٣٧)، مسلم (٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦/ح ١٠٥٩). ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ٢٠٠).

وقال في رواية: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ الأنصار شِعَار والناس دِثَار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار. . .»[١١٨] وقال: «إني أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم، وأَكِلُ أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم»[١١٩]، وقال: «إني لأعطي رجالا حَدِيثٌ عهدهم بكفر»[١٢٠]، وفي رواية «إن قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم»[١٢١]، وقال: «أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، . . . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»[١٢٢] وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه، خشية أن يكب في النار على وجهه»[١٢٣].

وعندما سمع الأنصار ما قاله لهم الرسول ﷺ عرفوا الحكمة من ذلك التقسيم، وبكوا حتى ابتلت لحاهم بدموعهم، وقالوا: «رضينا برسول الله قَسْمًا وحَظًّا»[١٢٤].

واتضحت لهم الحكمة عمليا عندما رغب هؤلاء المؤلفة قلوبهم في الإسلام وحسن إسلامهم وانخرطوا في الجهاد، إلا القليل جدا منهم، مثل عيينه بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس. وقد عبر عن هذه الظاهرة الإمام مالك ابن أنس[١٢٥]، قائلا: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم

---

(١١٨) مسلم (٢/ ٧٣٩/ح ١٠٦١) والشعار الثوب الذي يلي الجسد والدثار ثوب فوقه، يعني أن الأنصار هم الخاصة والبطانة والأصفياء وألصق الناس به من سائرهم.

(١١٩) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧/ح ٣١٤٥).

(١٢٠) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٨/ح ٣١٤٧)، مسلم (٢/ ٧٣٣ - ٧٣٤/ح ١٠٥٩).

(١٢١) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧١/ح ٤٣٣٤)، مسلم (٢/ ٧٣٥/ح ١٠٥٩)

(١٢٢) من رواية ابن اسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ١٩٩)، وروى الدعاء البخاري/ الفتح/ ٢٦١ وما بعدها/ ك. مناقب الأنصار ومسلم (٤/ ١٩٤٨/ح ٢٥٠٦) وأحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٧٣ - ١٧٤). ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة هنا مع اختلاف في اللفظ عند البخاري.

(١٢٣) مسلم (٢/ ٧٣٣/ح ١٠٥٠).

(١٢٤) مسلم (٢/ ٧٣٤/ح ١٠٥٩)، ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ٢٠٠)، وأصله في البخاري/ الفتح (١٦/ ١٦٩/ح ٤٣٣١) ومسلم (٢/ ٧٣٤/ح ١٠٥٩).

(١٢٥) مسلم (٤/ ١٨٠٧/ح ٢٣١٢).

حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها». وعبر صفوان بن أمية عن التحول الذي حدث نتيجة لهذا الموقف الكريم من الرسول ﷺ، فقال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، ما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ»[١٢٦]. وكان حَكِيم بن حِزَام كلما أعطاه سأله المزيد، فوعظه الرسول ﷺ قائلا: «يا حكيم، إن هذا المال خَضِر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولايشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، فقال حكيم: «والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا»، فلم يأخذ عطاءه من بيت المال حتى توفي[١٢٧].

وعندما لم تتضح حكمة هذا التقسيم لدى بعض جفاة الأعراب ـ أيضا ـ قال أحدهم للرسول ﷺ: «يامحمد! اعدل»، فقال له الرسول: ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فاستأذن عمر النبي ﷺ في ضرب عنقه، فقال له النبي ﷺ: معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي»[١٢٨]. وازدحموا على الرسول ﷺ وهو يقسم الغنائم، حتى علق رداؤه بغصن شجرة، فقال: «اعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاة ـ شجر الشوك ـ نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا»[١٢٩]. وجبذه أحدهم جبذة شديدة أثرت في عاتقه لخشونة البرد الذي كان عليه، وقال: «مر لي من مال الله الذي عندك»، فالتفت إليه الرسول ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء[١٣٠]. ودل هذا الموقف من الأعراب على أن معظمهم إنما خرج للمغنم، ودل موقف الرسول ﷺ من تصرفاتهم على صبره وحكمته في تربية أمثال هؤلاء الأعراب.

---

(١٢٦) مسلم (٤/١٨٠٦/ح ٢٣١٣).
(١٢٧) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٥/ح ٣١٤٣)، مسلم (٢/٧١٧/ح ١٠٣٥). ويبدو أن الدكتور العمري قد سها عندما ذكر صفوان بن أمية بدلا من حكيم بن حزام ـ انظر: المجتمع ـ الجهاد، ص ٦١٦.
(١٢٨) مسلم (٢/٧٤٠/ح ١٠٦٣) وابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام(٤/١٩٥) واسم الرجل عنده: ذو الخويصرة التميمي.
(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٢/٢٣٨/ح ٣١٤٨)
(١٣٠) المصدر نفسه (ح ٣١٤٩).

بعدما فرغ الرسول ﷺ من توزيع الغنائم، قدم عليه وفد هوازن يعلن إسلامهم، ويطلب رد الأموال والسبي إليهم، فخيرهم بين المال والسبي، فاختاروا السبي. فاستشار الرسول ﷺ أصحابه في الأمر، ومما قال لهم: «فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: طيبنا يارسول الله لهم. فقال: «إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم»، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا[١٣١]، سوى الأقرع بن حابس الذي تكلم باسم قبيلته تميم وعيينة بن حصن الذي تكلم باسم قبيلته فزارة، فوعدهم الرسول ﷺ بتعويضهم عنها[١٣٢].

وسأل الرسول ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوف وطلب منهم أن يخبروه إن أتاه مسلما رد عليه أهله وماله ومنحه مائة من الإبل، وعندما أخبروه بذلك احتال في الخروج من الطائف، خشية أن يقتله قومه ثقيف، ولحق بالرسول ﷺ بالجِعْرَانة أو بمكة، فأعطاه الرسول ﷺ ما وعد به، وأسلم، وحسن إسلامه، فاستعمله الرسول ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفا[١٣٣].

ومال بعض زعماء ثقيف للإسلام، منهم عُروة بن مسعود الثقفي، فلحق بالرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة بعد أداء العمرة، فأعلن إسلامه، وعاد داعيا إلى الإسلام في قومه، فقتلوه، ودفن مع شهداء المسلمين في حصار الطائف حسب وصيته[١٣٤].

---

(١٣١) المصدر نفسه (١٢/ ٢١٩/ح ٣١٣١، ٣١٣٢).
(١٣٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن لذاته - ابن هشام (٤/ ١٨٥) ورواه غيره.
(١٣٣) ابن إسحاق، مرسلا - ابن هشام (٤/ ١٨٧)، الطبراني، من طريق ابن إسحاق كما في المجمع (٦/ ١٨٩) ورجاله ثقات، الطبري: التاريخ (٣/ ٨٨ - ٨٩) من طريق ابن إسحاق موصولا وفيه ابن حميد، فيه ضعف، ولم يصرح ابن اسحاق بالسماع، وبقية رجاله ثقات، وموسى بن عقبة في مغازيه كما في الإصابة (٣/ ٣٥٢)، وأبوالاسود عن عروة في مغازي ابن عائذ باختصار ومرسلا كما في الإصابة (٣/ ٣٥٢) طبعة دار الكتاب العربي/ بيروت.
(١٣٤) ابن إسحاق، معلقا، ابن هشام (٤/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

وبعد عودة الرسول ﷺ من تبوك في رمضان من العام التاسع، جاء وفد ثقيف معلنا إسلامهم، كما سنرى في خبر الوفود.

المبحث الثالث: أهم الأحكام المستنبطة من غزوتي حنين والطائف:

١ - جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، جاء ذلك عندما سأل الصحابة الرسول ﷺ في سبي أوطاس فنزلت الآية ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾(١٣٥)(١٣٦).

٢ - النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين(١٣٧).

٣ - إقامة الحد في دار الحرب، فقد فعل ذلك النبي ﷺ بشارب الخمر في حنين(١٣٨).

٤ - منع المخنثين من الدخول على النساء الأجنبيات، وذلك عندما سمع الرسول ﷺ أحد المخنثين - في بيت أم سلمة - يصف بادية بنت غيلان الثقفي لأخيها عبدالله، ويطلب منه أن يحصل عليها، وذلك قبيل حصار الطائف، فقال ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن»(١٣٩).

٥ - جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الغنائم إذا رأى الإمام أن في ذلك سببا لدخولهم في الإسلام أو كف أذاهم أو فيه مصلحة للمسلمين.

٦ - تشريع العمرة من الجعرانة للداخل إلى مكة، كما فعل الرسول ﷺ بعد الفراغ من توزيع غنائم حنين(١٤٠). أما الخروج من مكة إلى الجعرانة

---

(١٣٥) النساء: ٢٤.

(١٣٦) انظر في تفسيرها ابن كثير: التفسير (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤).
وانظر في هذا الأحاديث: مسلم (٢/ ١٠٧٩ - ١٠٨٠/ح ٣٣ - ٣٥/ ١٤٥٦) وغيرها.

(١٣٧) أحمد: المسند (٣/ ٤٨٨) وقد حسن الألباني إسناده في الإرواء (٥/ ٣٥)، الحاكم (٢/ ١٢٣) وصححه ووافقه الذهبي، أبوداود: السنن (٣/ ١٢١ - ١٢٢، ١٢٣ - ١٢٤/ ك. الجهاد/ ب. في قتل النساء/ح ٢٦٦٩، ٢٦٧٢).

(١٣٨) أحمد المسند (٤/ ٣٥٠)، أبو داود: السنن (٤/ ٦٢٧ - ٦٢٨/ ك. الحدود/ ب. إذا تتابع في شرب الخمر/ح ٤٤٨٧، ٤٤٨٨) وقال المحققان «في هذين الطريقين انقطاع» قلت: لم يصرح في الطريق الأول باسم الغزوة وصرح باسمها في الطريق الثاني/ح ٤٤٨٨) ورواه الدارقطني في السنن (٣/ ١٥٧ - ١٥٨) وفي إسناده عبدالله بن عبدالرحمن بن زاهر، وهو مقبول.

(١٣٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٥٨ - ١٥٩/ح ٤٣٢٤) اللفظ له، مسلم (٤/ ١٧١٥/ح ٢١٨٠)، وغيرهما.

(١٤٠) البخاري/ الفتح (٨/ ٨٦/ح ١٧٧٨)، مسلم (٣/ ٩١٦/ح ١٢٥٣)، وغيرهما.

للإحرام منها فهو ما يفعله العوام وليس بسنة[١٤١].

٧ - التأكيد على إباحة سَلَب المشرك لقاتله.

٨ - جواز الاستفادة من أدوات الحرب التي يمتلكها المشركون، كما فعل الرسول ﷺ عندما استعار دروعا من صفوان بن أمية مع ضمانه لها، على أن لا يكون في ذلك أي تأثير على صبغة الحرب.

٩ - جواز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية[١٤٢].

١٠ - جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم، وهو أنكى لهم.

١١ - من كمال رأفته ورحمته ﷺ أن يدعو بالهداية لمن حاربوه وقتلوا جماعة من أصحابه، كما فعل الرسول ﷺ مع أهل الطائف - ثقيف[١٤٣].

١٢ - لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما بعد يوم، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات[١٤٤]، كما فعل الرسول ﷺ مع ذي الكَفَّين وإرسال أبي موسى الأشعري لهدمه - سيأتي ذكره في أول الفصل التالي.

١٣ - إن وادي وَجّ - هو واد بالطائف - ليس بحرم، وإن الأحاديث الواردة في أنه حرم ضعيفة[١٤٥].

---

(١٤١) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٠٤).
(١٤٢) و (٥) و (٦) و (٧)، انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٣ - ٥٠٦).
(١٤٣) و (١٤٤) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٠٣ - ٥٠٦).
(١٤٥) انظر الدكتور العمري: المجتمع المدني، الجهاد، حاشية ص ص ٢٢١ - ٢٢٢.

الفصل الرابع والعشرون

السرايا والأحداث التي وقعت بين غزوتي الطائف وتبوك:

المبحث الأول: سرية الطُّفَيل بن عمرو إلى ذِي الكَفَّين:

عندما أراد الرسول ﷺ المسير إلى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين: صنم عمرو بن حُمَمَة الدوسي ليهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف. فخرج سريعا إلى قومه، فهدم ذا الكفين، وحرقه وانحدر معه من قومه اربعمائة، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام، ومعه دبابة ومنجنيق[1].

المبحث الثاني: إسلام كَعب بن زُهير عند منصرف الرسول ﷺ من الطائف:

كان كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى المُزَنيّ من الشعراء المخضرمين المرموقين، وأبوه زهير بن أبي سلمى صاحب إحدى المعلقات السبع المعروفة. وكان ممن يهجو النبي ﷺ ويؤذيه. وروى قصته وقصّة أخيه بُجَير ابن إسحاق[2] والبيهقي[3]، بإسناد متصل إليه، وفيها أنه خرج مع أخيه بُجَير حتى أتيا أبرق العراف[4]، طلب بجير من أخيه كعب أن يبقى في هذا المكان حتى يأتي محمد ﷺ ويسمع ما يقول، فعندما جاء عرض عليه النبي ﷺ الإسلام

---

(١) ابن سعد (١٥٧/٢) معلقا، من رواية شيخه الواقدي: الواقدي (٩٢٢/٣ - ٩٢٣).
(٢) ابن هشام (٢٠١/٤ وما بعدها) وإسناده منقطع، إذ لم يسم عاصم بن عمر من حدثه. وانظر قصيدة «بانت سعاد» عنده، وعند الذهبي في مغازيه، ص ص ٦١٨ - ٦٢١).
(٣) دلائل النبوة (٢٠٧/٥ وما بعدها) وفي إسناده ثلاثة رجال لم يترجم لهم، وهم: ذو الرقيبة والحجاج ابن ذي الرقيبة وعبدالرحمن بن كعب بن زهير.
(٤) مكان قريب من المدينة.

فأسلم، فبلغ ذلك كعبا فانشد قائلا:

ألا إبلِغَا عني بجيرا رسالة * على أي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم ألف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
سقاك أبوبكر بكأس روية * وأنهلك المأمون منها وعلكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه، فكتب إليه أخوه بجير يخبره بذلك وينصحه بالنجاء، ثم كتب إليه بعد ذلك وأعلمه أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد مسلما إلا قبل ذلك منه، وطلب منه أن يسلم ويقبل على النبي ﷺ، فأسلم، ونظم قصيدته التي يمتدح فيها رسول الله ﷺ، وقدم على الرسول ﷺ فأمنه، فأنشده قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم عندها لم يفد مكبول[5]

وذكر موسى بن عقبة في مغازيه[6] أن كعب بن زهير أنشد النبي ﷺ قصيدته «بانت سعاد» في المسجد، فلما بلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليأتوا فيسمعوا منه.

قال الساعاتي[7]: «وفي المواهب اللدنية، قال أبوبكر بن الأنباري، إنه لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

---

(٥) قال العراقي، كما في نيل الأوطار للشوكاني (٢/ ١٥٩ - ١٦٠): «وهذه القصيدة قد رويناها من طرق لا يصح فيها شيء، وقد رواها ابن إسحاق بسند منقطع».
(٦) ذكره البيهقي في الدلائل (٥/ ٤١١) وإسناده مرسل وفيه محمد بن فليح: صدوق يهم.
(٧) الفتح الرباني (٢١/ ١٨٧).
وروى قصة إسلام كعب الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٩ - ٥٨٣) وقال: «هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي»، وسكت عنه الذهبي. وعن رواية إعطاء الرسول ﷺ بردته لكعب، قال ابن كثير في البداية (٤/ ٤١٩): «وهذا من الأمور المشهورة جدا، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم».

رمى عليه النبي بردة كانت عليه، وإن معاوية (رضي الله عنه) بذل فيها عشرة آلاف، فقال كعب: «ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا». فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته عشرين ألفا، فأخذها منهم، قال: «وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم».

المبحث الثالث: المصدقون:

شرع الرسول ﷺ في بعث المصدقين الى المناطق المختلفة في مطلع المحرم من العام التاسع الهجري. فبعث: بُرَيْدَة بن الحُصَيْب إلى أسلم وَغِفَار، ويقال كعب بن مالك، وعَبَّاد بن بِشر الأشهلي إلى سُلَيم ومُزَيْنَة، ورافع ابن مَكِيْث الى جُهَيْنَة، وعمرو بن العاص إلى فَزارة، والضَّحَّاك بن سُفيان الكِلابي إلى بني كِلاب، وبُسْر بن سفيان الكَعْبي إلى بني كعب، ويقال: نُعَيم بن عبدالله النَّحام العَدَوي، وابن اللُّتْبِيَّة الأزْدي إلى بني ذُبيان، ورجلا من بني سعد بن هُذَيْم إليهم[8]، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وزياد ابن لَبيد إلى حَضرَمَوت، وعَدِيّ بن حاتم الطائي إلى طيء وأسد، ومالك ابن نُويرة إلى بني حَنْظَلة، والزِّبرقَان بن بدر و قيس بن عاصم إلى بني سعد، كل منهما على ناحية، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وعلي ابن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم[9].

المبحث الرابع: سرية عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر إلى بني العَنْبَر:

بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من تميم في المحرم سنة تسع من الهجرة في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري. فلما وصلوا إلى مكانهم ورأوهم هربوا، وتمكن عيينة وأصحابه من أخذ أحد عشر رجلا، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا، فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا في دار

---

(٨) الواقدي: المغازي (٣/٩٧٣) باسناده مرسلا، ابن سعد: الطبقات (٢/١٠٦) من رواية شيخه الواقدي. والواقدي متروك ولذا فأسانيده ضعيفة.

(٩) ابن إسحاق، دون إسناد - ابن هشام (٤/٣٢٨). وغير المسند من أقسام الضعيف كما تعلم.

رَمْلة بنت الحارث، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم ومنهم: عُطَارِد بن حَاجِب والـزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس، . . . فلما رأتهم النساء والذراري بكوا، فعجلوا فجاءوا إلى باب النبي ﷺ فنادوا: يامحمد، اخرج إلينا، فخرج، وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه، فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد، فقدموا عُطارد بن حاجب فتكلم وخطب، فأجابه ثابت بن قيس، وفيهم نزل قوله تعالى ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[١٠]، فرد عليهم رسول الله ﷺ السبي والأسرى[١١]. وذكر ابن إسحاق[١٢] أنهم ردوا بالعتق والفداء، وإن لم تشر رواية الواقدي وابن سعد إلى تفريق النبي بين رجال السرية.

وذكر الواقدي[١٣] أن سبب بعث عيينة أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة بن كعب، أرادوا ان يؤدوا الصدقة إلى المصدق الذي بعثه إليهم رسول الله ﷺ، بشر بن سفيان الكعبي، فأخرجوهم من محالهم، وتحرشوا بهم، وحـذرهم الخـزاعيون من مغبة هذا التصرف، وعاد المصدق وأخبر الرسول ﷺ خبرهم.

ويلحظ أن ابن إسحاق[١٤] ذكر أن عيينة بن حصن كان مع وفد بني تميم، وفي هذا إشكال، إذ كيف يكون سببا في مجيء الوفد، لأنه هو الذي كان على رأس سرية سبي نساء وأطفال بني تميم، ثم يكون مع الوفد. . .، فلعل ذلك وهم من ابن إسحاق.

---

(١٠) الحجرات: ٤. وذكر غير واحد أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي، فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فقال: «يامحمد، يامحمد»، وفي رواية: يارسول الله، فلم يجبه، فقال: يارسول الله: إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال: «ذاك الله عز وجل» ـ انظر أحمد: المسند (٣/ ٤٨٨) و(٦/ ٣٩٤) وانظر الأحاديث الأخرى في هذا الشأن عند: الطبري: التفسير (٢٦/ ٧٧) وابن كثير: التفسير (٧/ ٣٤٩).

(١١) ابن سعد (٢/ ١٦٠ ـ ١٦١) معلقا، الواقدي (٣/ ٩٧٥ ـ ٩٨٠)، ابن إسحاق ـ معلقا ومختصرا جدا ـ ابن هشام (٤/ ٣٥٧)، وعنه ذكره البخاري معلقا ـ انظر: البخاري/ الفتح (١٦/ ك. المغازي/ ب. قال ابن اسحاق. . .».

(١٢) بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ٣٥٧). والمنقطع من أقسام الضعيف كما علمت.

(١٣) المغازي (٣/ ٩٧٤). والواقدي متروك كما علمت، ولذا فأسانيده ضعيفة.

(١٤) ابن هشام (٤/ ٢٧٥) معلقا. والمعلق من أقسام الضعيف كما علمت.

روى ابن إسحاق[١٥] أنه قبل وصول سبي بني العنبر المدينة قالت عائشة لرسول الله ﷺ: «يارسول الله، إن عليَّ رقبة من ولد إسماعيل»، فقال لها النبي ﷺ: «هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه».

ولعل هذا ما أشار إليه أبو هريرة في الحديث الذي رواه البخاري[١٦]: «لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم، قال: «... وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل...».

ولعل ذلك مما يفيد بأن سبي بني العنبر كان وزع على الغانمين وأن عائشة (رضي الله عنها) ملكت هذه الجارية بالشراء أو الهبة، ثم أعتقتها عندما جاء قومها يطلبونها. والله أعلم.

المبحث الخامس: سرية قُطْبَة بن عامر إلى ناحية تَبَالَة[١٧]:

بعثه رسول الله ﷺ في عشرين رجلا إلى حي من خَثْعَم بناحية تَبَالَة أو بِيشَة، قريبا من تُرَبَة، فخرجوا على عشرة أبعرة يتعقبونها، قد غيبوا السلاح، يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى وصلوا مكان العدو، فأغاروا عليهم ليلا، ودار قتال عنيف، فهزموا المشركين، واستاقوا النعم والشاء والنساء، وفي الصباح تقاطر جمع الخثعميين، وساروا في أثرهم. وعندما أدركوهم أتى الله بسيل حال بينهم وبين المسلمين، فما قدر رجل واحد منهم أن يمضي حتى نجا المسلمون إلى المدينة.

لقد اضطربت روايات الواقدي في تعيين تاريخ هذه السرية، فمرة ذكر أنها في ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة[١٨]، ومرة ثانية قال إنها في صفر

---

(١٥) ابن هشام (٤/ ٣٥٧) وفي إسناده انقطاع، إذ لم يثبت سماع عاصم بن عمر من عائشة (رضي الله عنها)، انظر ابن حجر: الفتح (١٨/ ٢٢٢).

(١٦) الفتح (٢٠٦/ ك. المغازي/ ب. قال ابن إسحاق، غزوة عيينة بن حصن/ح ٤٣٦٦) و(١٠/ ٢٦٦ ك. العتق/ ب. من ملك من العرب رقيقا/ح ٢٥٤٣) - والجارية هي بريرة كما في البخاري/ الفتح (١٠/ ٢٦٠/ح ٣٥٣٦)، وانظر أسماء من أسر معها في شرح ابن حجر هنا (١٠/ح ٢٥٤٣).

(١٧) تبالة: موضع بقرب الطائف، وهي لبني مازن - معجم ما استعجم، ص ١٩١.

(١٨) المغازي (٢/ ٧٥٣ - ٧٥٤).

سنة تسع[١٩]، وقال: «وخبر هذه السرية داخل في سرية شجاع بن وهب»[٢٠].

أما ابن سعد[٢١] فقد ذكر أنها في صفر سنة تسع من الهجرة، وهذا يعني موافقته الواقدي في روايته الثانية، ولهذا السبب رجحنا أن تكون هذه السرية في صفر سنة تسع من الهجرة.

المبحث السادس: سرية الضَّحَّاك بن سُفيان الكِلابي الى القُرَطَاء ـ بطن من بني كلاب:

قيل إنه في ربيع الأول من العام التاسع الهجري بعث رسول الله ﷺ جيشا إلى القرطاء، عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي، ومعه الأَصْيَد بن سَلَمَة بن قُرْط. فلقوهم بالزُّج، زُجّ لاوَة[٢٢]. فدعوهم إلى الإسلام. فأبوا. فقاتلوهم، فهزموهم، فلحق الأَصْيَد أباه سَلَمَة، فدعاه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فعرقب الأصيد عرقوبي فرسه، ثم جاء رجل من المسلمين فقتل سلمة[٢٣].

المبحث السابع: سرية عبدالله بن حُذَافَة السَهْمِيّ:

روى البخاري[٢٤] ومسلم[٢٥] أن الرسول ﷺ استعمل رجلا من الأنصار على سرية وأمرهم أن يطيعوه. فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لى حطبا، فجمعوه. وأمرهم فأوقدوه. ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها. فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا:

---

(١٩) المصدر نفسه (٣/ ٩٨١).
(٢٠) المصدر والمكان نفساهما. وسرية شجاع ـ كما ذكر هو ـ كانت في ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة. والذي لاحظته أن مضمون خبر هذه السرية هو نفسه مضمون خبر سرية غالب بن عبدالله إلى الكديد، بل ويشتركان في تاريخ واحد كما حدده الواقدي، والله أعلم إن كانت كل واحدة منهما سرية مختلفة أم هما سرية واحدة.
(٢١) الطبقات (٢/ ١٦٢) معلقا والمعلق ضعيف كما تعلم.
(٢٢) موضع بناحية ضرية من نجد على طريق البصرة ـ معجم البلدان (٣/ ١٣٣).
(٢٣) الواقدي (٣/ ٩٨٢)، ابن سعد (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣) من رواية شيخه الواقدي.
(٢٤) البخاري/ الفتح (٢٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤/ ك. الأحكام/ح/ ٧١٤٥) واللفظ له.
(٢٥) مسلم (٣/ ١٤٦٩/ ك. الإمارة/ح ١٨٤٠).

إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار. فسكن غضبه، وطفئت النار. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك. فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها. إنما الطاعة في المعروف».

والراجح عندي أن أمير هذه السرية هو عبدالله بن حذافة السهمي. فقد روى الشيخان[26] وبقية الجماعة[27]، أن الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[28]، نزلت فيه عندما أرسله الرسول ﷺ في سرية. وصرح به في رواية أحمد[29] وابن ماجه[30]. وذكر القصة بمثل مضمون رواية البخاري في كتاب الأحكام ومسلم في كتاب الإمارة.

أما الرواية المرجوحة فهي التي رواها ابن كثير[31] والطبري[32]، وفيها أنها نزلت في خالد بن الوليد عندما بعثه الرسول ﷺ في سرية فيها عمار بن ياسر، فعندما سمع بهم العدو هرب إلا رجلاً واحدا، جاء إلى معسكر المسلمين في جنح الليل، وسأل عن عمار بن ياسر، فدلوه عليه، فأخبره أنه مسلم، واستفتاه إن كان ذلك ينفع وإلا هرب مع قومه، فطلب منه عمار البقاء، وفي الصباح أغار خالد على مكان العدو فلم يجد إلا هذا الرجل، فأخذه وماله، فاعترض عمار على هذا الإجراء، فتلاحا واستبا، ولام الرسول ﷺ خالدا، فاعتذر إلى عمار، فأنزل الله تعالى الآية ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ... الآية﴾.

وخلاصة رأيها أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء. وقد استشكل العلماء وصف أمير هذه السرية بأنه أنصاري، لأن ابن حذافة

---

(٢٦) البخاري/ الفتح (١٧/ ١١٩/ح ٤٥٨٤)، مسلم (٣/ ١٤٦٥/ ١٨٣٤).
(٢٧) انظر ابن كثير: التفسير (٢/ ٣٠١)، الطبري: التفسير (٨/ ٤٩٧/شاكر) الحاشية.
(٢٨) النساء: ٥٩.
(٢٩) المسند (٣/ ٦٧).
(٣٠) صحيح سنن ابن ماجة للألباني (٢/ ١٤٢/ح ٢٨٦٣)، وقال الألباني: «حسن»، وقال محققا زاد المعاد (٣/ ٣٦٩) عن سند الحديث عند أحمد وابن ماجه: «وسنده قوي» وصححه ابن خزيمة وابن حبان (٥٥٢)، والحاكم (٣/ ٦٣٠، ٦٣١).
(٣١) التفسير ٢/ ٣٠٣).
(٣٢) التفسير (٨/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩/شاكر) بإسناد مرسل وموصول.

مهاجري، ولذا قال ابن حجر[٣٣]: «ويحتمل الحمل على المعنى الأعم: أي أنه نصر رسول الله ﷺ في الجملة». وجنح إلى تعدد القصة لاختلاف سياقي القصة واسم أميرها. وأما ابن الجوزي[٣٤] فقال: «قومه من الأنصار، وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي». ولعلي أرجح تعليل ابن الجوزي.

وذكر الواقدي[٣٥] وابن سعد[٣٦] في سببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من الحبشة تراءاهم أهل جُدَّة، فبعث إليهم عَلْقَمَة بن مُجَزِّز، في ربيع الآخر من سنة تسع، في ثلثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض البحر إليهم هربوا، فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم، فأمر عبدالله بن حذافة على من تعجل.

وذكر ابن إسحاق[٣٧] في سببها أن وقاص بن مجزز كان قد قتل يوم ذي قرد، فأراد علقمة بن مجزز ان يأخذ بثأره فأرسله رسول الله ﷺ في هذه السرية.

ويمكن الجمع بين الأمرين[٣٨].

المبحث الثامن: من فوائد هذا المقطع:

١) إن الحكم في حالة الغضب يُنَفَّذ منه مالا يخالف الشرع، وان الأمر المطلق لا يعم بالأحوال، لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب، وفي حال الأمر بمعصية، فبين لهم ﷺ أن الأمر بطاعته مقصور على ماكان منه في غير معصية[٣٩].

المبحث التاسع: سرية علي بن أبي طالب الى الفُلْس وإسلام عَدِيّ بن حاتم الطائي:

في ربيع الآخر من العام التاسع الهجري أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي

---

(٣٣) الفتح (١٦/ ١٧٦/ ك. المغازي/ ب. سرية عبدالله بن حذافة السهمي).
(٣٤) هكذا ذكر ابن حجر: انظر المرجع والمكان نفسيهما. ولم أقف على مكانه عند ابن الجوزي.
(٣٥) المغازي (٣/ ٩٨٣).
(٣٦) الطبقات (٢/ ١٦٣) معلقا، من رواية شيخه الواقدي.
(٣٧) ابن هشام (٤/ ٣٨١ - ٨٢). وهو دون إسناد.
(٣٨) الفتح (١٦/ ١٧٦).
(٣٩) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٦٩)، حاشية المحققين ومتن ابن القيم.

طالب في خمسين ومائة رجل إلى الفلس ـ صنم طيء ليهدمه ـ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه وأخذوا ما به، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وهرب عدي إلى الشام[٤٠].

روى أحمد[٤١] والترمذي[٤٢] من حديث سماك بن حرب بإسناد إلى عدي ابن حاتم أنه عندما جاءت خيل رسول الله ﷺ كان هو بعقرب[٤٣]، فأخذوا عمته[٤٤] وناسا، فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قالت: يارسول الله نأى الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن عليَّ مَنَّ الله عليك، فسألها عن وافدها، فقالت: عدي بن حاتم، فقال: «الذي فر من الله ورسوله»، فمن عليها رسول الله ﷺ وجهزها فأتت ابن أخيها عديا وهو هارب بالشام، وأخبرته خبر الرسول ﷺ وطلبت منه أن يأتي الرسول ﷺ راغبا أو راهبا، فأتاه فأسلم، فسر بذلك النبي ﷺ[٤٥].

المبحث العاشر: سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن الى الجِباب:

بعث الرسول ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي في سرية إلى الجباب، أرض عُذْرَة وَبَلِيّ، في شهر ربيع الآخر، سنة تسع من الهجرة[٤٦].

---

(٤٠) الواقدي (٣/ ٩٨٤ ـ ٨٩)، ابن سعد (٢/ ٦٤) من رواية الواقدي. والواقدي متروك مع سعة علمه.

(٤١) المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٨٩ ـ ١٩١) ورواته ثقات ما عدا ابن حبيش، فهو مقبول، وبذلك يكون الحديث حسنا.

(٤٢) السنن: (٨/ ١٥١ ـ ١٥٣/ ك. التفسير/ ب. سورة الفاتحة/ح ٢٩٥٦) بمثل رواية أحمد، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٢٠) ـ وقد روى حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها هنا، فانظرها في البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٤٥)، وابن كثير: التاريخ (٥/ ٧٥ ـ ٧٨).

(٤٣) ويقال العقرباء، منزل من أرض اليمامة.

(٤٤) عند الواقدي (٣/ ٩٨٧) وابن سعد (٢/ ١٦٤) وابن إسحاق ـ ابن هشام (٤/ ٢٩٨) معلقا: «أخته» واعتمدت ما صح سنده عند أحمد والترمذي.

(٤٥) وروى ابن إسحاق القصة بتفاصيل أكثر، وهي في مضمون رواية أحمد، ولكنها معلقة ـ ابن هشام (٤/ ٢٩٨ ـ ٣٠١). قال ابن كثير: البداية (٥/ ٧٥) بعد أن ساق رواية ابن إسحاق: «هكذا أورد ابن إسحاق هذا السياق بلا إسناد، وله شواهد من وجوه أخر»، وانظر شواهده عنده (٥/ ٥/ ٧٥ ـ ٧٨). وعند ابن إسحاق: «هلك الوالد» بدلاً عن «انقطع الولد».

(٤٦) ابن سعد (٢/ ١٦٤) معلقا، والمعلق ضعيف كما علمت.

الفصل الخامس والعشرون

غـزوة تَبُـوك أو العُسْـرَة

أصل التسمية «تبوك»:

روى مسلم[1] بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي». فهذا رسول الله ﷺ سماها تبوكا قبل أن يأتيها أحد، فلا وجه لقول غير هذا[2].

التسمية بغزوة العسرة:

جاءت تسميتها بغزوة جيش العسرة من الحديث الذي رواه البخاري[3] بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك...» وعنون البخاري[4] لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة). وحديث الأشعري واضح الدلالة على ما كان عليه الصحابة (رضي الله عنهم) من العسر الشديد في المال والزاد والركائب.

وروى مسلم[5] بسنده إلى أبي هريرة ما وقع للمسلمين في طريق هذه الغزوة من نقص في الزاد حتى مصوا النوى وشربوا عليه الماء. وفي رواية

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٨٤/ح ٧٠٦)، وغيره.
(٢) انظر تفصيل ذلك عند السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، ص٣٨ وما بعدها - وهي رسالة ماجستير مطبوعة.
(٣) الفتح (١٦/٢٣٨/ح ٤٤١٥).
(٤) الفتح (١٦/٢٣٧).
(٥) (١/٥٥ - ٥٦/ح ٢٧).

أخرى أنهم استأذنوا الرسول ﷺ في نحر مطاياهم ليأكلوا[٦].

ودل على هذه الضائقة الاقتصادية الآية الكريمة ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾[٧][٨].

تاريـخ الغــزوة:

خرج الرسول ﷺ لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري[٩]، بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر[١٠].

سبــب الغــزوة:

ذكر الواقدي[١١] وابن سعد[١٢] أن هرقل جمع جموعا من الروم وقبائل العرب الموالية لها، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم. وذكر اليعقوبي[١٣] أن سببها أخذ الثأر لجعفر بن أبي طالب.

وروى ابن عساكر[١٤] في سبب الخروج إلى تبوك أن اليهود أتوا الرسول ﷺ وقالوا له إن كنت صادقا بأنك نبي فالحق بالشام فإنها أرض المحشر والأنبياء، تغريرا بالمسلمين ليخرجوهم من المدينة ويعرضوهم لخطر المواجهة مع الروم، وعندما وصل تبوكا نزلت عليه آيات من سورة بني إسرائيل منها ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾[١٥]، تفضح موقف اليهود، وأمره الله بالرجوع إلى المدينة حيث الممات والمحشر.

---

(٦) مسلم (١/٥٦/ح ٢٠٧).
(٧) التوبة: ١١٧.
(٨) وانظر تفسيرها عند الطبري: التفسير (١٤/ ٥٤٠ - ٥٤٢) والآثار الواردة في ذلك.
(٩) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ٢١٥)، ابن سعد (٢/ ١٦٥) معلقا.
(١٠) قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٣٧): «فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر وليس مخالفا لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور، لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة».
(١١) المغازي (٣/ ٩٨٩ - ٩٩٠) عن مجموعة من شيوخه.
(١٢) الطبقات (٢/ ١٦٥)، من رواية الواقدي.
(١٣) التاريخ (٢/ ٦٧).
(١٤) تاريخ دمشق (١/ ١٦٧ - ١٦٨) بإسناد مرسل ضعيف لأن فيه أحمد بن عبدالجبار العطاردي، وهو ضعيف، وقال ابن كثير: التفسير (٥/ ٩٨): «وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس بصحيح». ويرده أن الآية مكية وسكن المدينة بعد ذلك كما قال ابن كثير في التفسير (٥/ ٩٧).
(١٥) الإسراء: ٧٦.

وقال ابن كثير[١٦] فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾»[١٧].

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب إلى الصواب. إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بما فيهم أهل الكتاب الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير.

الإنفاق في هذه الغزوة:

حث الرسول ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها وكثرة المشتركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله. فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين. ووردت في ذلك عدة أحاديث وآثار، منها:

روى البخاري[١٨]: وقال النبي ﷺ: «... من جهز جيش العسرة فله الجنة»، فجهزه عثمان. وروى من حديث أبي عبدالرحمن السلمي أن عثمان (رضي الله عنه) قال لمحاصريه أيام الدار: «ألستم تعلمون أنه قال: من جهز العسرة فله الجنة؟ فجهزته»، فصدقوه بما قال[١٩]، وروى من هذا الطريق وبنحوه الترمذي[٢٠]، ولفظه: «أذكركم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة؟ والناس مجهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...». ومن طريق آخر من حديث ثُمامة بن حزن: «... أنشدكم الله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم»[٢١].

---

(١٦) البداية والنهاية (٥/ ٣) والتفسير (٥/ ٩٨)، وانظر بقية أقواله في هذا المعنى في هذين المكانين.
(١٧) التوبة: ١٢٣.
(١٨) الفتح (١٤/ ١٩٤ - ١٩٥/ ك. الفضائل/ ب. مناقب عثمان/ ترجمة الباب) - معلقا.
(١٩) البخاري/ الفتح (١١/ ٢٥٠ - ٢٥١/تح ٢٧٧٨).
(٢٠) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٨/ ك. المناقب/ح ٢٩١٩، ٣٩٦٥).
(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

وبلغت هذه المشاركة من عثمان ألف دينار. وعندما نثرها في حجر النبي ﷺ، أخذ يقلبها ويقول مرارا: ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»[٢٢].

وقيل إن عثمان (رضي الله عنه) قدم أشياء عينية كالإبل وعدتها[٢٣]، وليس هناك ما يمنع ذلك، مادام قد ثبت أن الصحابة قد أقروا له بتجهيز جيش العسرة، كما هو ظاهر الأحاديث والآثار التي ذكرناها.

وروي أن عبدالرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم، وهي نصف أمواله، لتجهيز جيش العسرة[٢٤]، وأن عمر تصدق بمائة أوقية[٢٥].

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء، ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين. فقد جاء أبوعُقَيل بنصف صاع من تمر وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوهما قائلين: «ان الله لغني عن صدقة هذا!! وما فعل هذا الآخر إلا رياء»، فنزلت الآية ﴿الذين يلمزون المطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾[٢٦].

---

(٢٢) أحمد: المسند (٥/ ٥٣)، صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٩/ح ٢٩٢٠، ٣٩٦٧) وحسنه الألباني، الحاكم: المستدرك (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي، وفي إسناده كثير بن ابي كثير مولى أبي سمرة، وهو مقبول - انظر: التقريب، ص ٤٦٠، ووثقه العجلي وابن حبان، وهما متساهلان - انظر الميزان (٣/ ٤١٠)، ويبدو أن الألباني حكم على الحديث بالحسن لهذا السبب، ولما له من الشواهد.

(٢٣) الترمذي: السنن (٩/ ٢٨٩ - ٢٩٠/ ك. المناقب/ ب. مناقب عثمان/ح ٣٧٠٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة»، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي، ولكن فيه فرقد أبوطلحة، وهو مجهول (تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٤) فلا يسلم لهما بهذا التصحيح، ولعل هذا هو السبب في عدم تخريج الألباني له في صحيح سنن الترمذي. وانظر ما روي من أقوال في نفقة عثمان (رضي الله عنه) النقدية والعينية عند ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٥٢) وحكمه ومناقشته لها.

(٢٤) انظر الروايات في هذا عند الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٨٢ - ٣٩١)/ شاكر) عند تناوله تفسير قوله تعالى ﴿الذين يلمزون المطوعين...﴾ - التوبة: ٧٩. والروايات التي ساقها ضعيفة ولكنها تعتضد لتقوية الخبر تاريخيا.

(٢٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/ ٤٠٨ - ٤٠٩) بإسناد ضعيف، لأن فيه أحمد بن إبراهيم... ابن أرطاة، وهو صدوق، ومحمد بن عائذ - صدوق، وعثمان بن عطاء - ضعيف، ويستبعد أن يحث الرسول ﷺ على النفقة في هذه الغزوة ولا ينفق الصحابة أمثال عمر. فقد ثبت أنه أراد أن يسابق أبابكر في التصدق عندما أمرهم الرسول ﷺ بها، فجاء بنصف ماله، ثم جاء أبوبكر بكل ماله، فأقسم ألا يسابقه إلى شيء أبدا - رواه الترمذي في السنن (٩/ ٢٧٧/ ك. المناقب/ ب. مناقب أبي بكر/ح ٣٦٧٦). وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ورواه غيره. ولم يذكر الحديث أن ذلك كان في غزوة تبوك، وإن كان لا يستبعد أن يكون ذلك كان فيها.

(٢٦) البخاري/ الفتح (١٧/ ٢١١ - ٢١٣/ح ٤٦٦٨).

وجاء أبو خَيثَمة الأنصاري بصاع تمر فلمزوه أيضا[٢٧]، ولعله هو المعني ايضا في حديث الطبري[٢٨] في إنفاق ابن عوف، وفيه أن رجلا من الأنصار قال: «. . . وإن عندي صاعين من تمر: صاعا لربي وصاعا لعيالي»، فلمزه المنافقون، وقالوا: «ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء»، وقالوا: «أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا؟» فأنزل الله الآية: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين. . .﴾.

وواضح من هذا أنهم يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء.

وروي أن عُلْبة بن زيد بن حارثة عندما لم يجد ما يتصدق به، جاء إلى الرسول ﷺ فقال: «اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك»، فأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى اين المتصدق بعرضه البارحة، فقام علبة، فقال الرسول ﷺ: «قد قبلت صدقتك»[٢٩].

لقد كان علبة بن زيد واحدا من سبعة رجال من المؤمنين عرفوا بـ «البكائين»، أتوا رسول الله ﷺ يطلبون منه ما يخرجون عليه معه في هذه الغزوة، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

وأرسل جماعة من الأشعريين أبا موسى الأشعري إلى الرسول ﷺ يطلبون منه ما يركبونه، فكان في لحظة غضب، فلم يحصل لهم منه على شيء، فعاد إليهم حزينا. وبعد قليل أرسل الرسول ﷺ بلالا إلى أبي موسى، فجاءه، فأعطاه ستة أبعرة ابتاعهن من سعد ليركبها مع أصحابه الأشعريين[٣٠]، وفي رواية أنه أعطاهم خمس ذَوْد عندما أُتِيَ بِنَهْب إبل[٣١].

---

(٢٧) مسلم (٤/ ٢١٢١ - ٢١٢٢/ح ٢٧٦٩).
(٢٨) التفسير (١٤/ ٣٨٦/ح ١٧٠١٠/شاكر) بإسناد حسن لغيره، لما له من شواهد ومتابعات ذكرها الطبري عند تفسير الآية المذكورة.
(٢٩) انظر ابن حجر: الإصابة (٢/ ٥٠٠) من حديث مجمع بن حارثة وعمرو بن عوف، وابي عبس، موصولا، وقد صححه الالباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي، ص٤٣٩، وانظر الدراسة الوافية، عن هذا الخبر عند الدكتور السندي: الذهب المسبوك. . . الفصل (٢٣).
(٣٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٣٨ - ٢٣٩/ح ٤٤١٥).
(٣١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٢٣/ح ٤٣٨٥).

وذكـرت بعض الروايات أنه نزل في البكائين والأشعريين قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾[٣٢][٣٣].

إنها صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد الرسول ﷺ، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ماحالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباته، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيره يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ عندما قال: «إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم. قالوا: يارسول الله، وهم بالمدينة؟! قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر»[٣٤].

موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول ﷺ النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس، قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون...﴾[٣٥][٣٦].

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم ـ وهو في جهازه لتبوك ـ للجد بن قيس: «ياجد! هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: «يارسول الله او تأذن

---

(٣٢) التوبة: ٩١ ـ ٩٢.

(٣٣) انظر الطبري: التفسير (١٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٣/ شاكر)، وقد أورد عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وأصح الأقوال أنها نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه إذ أخرج ذلك أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٨) بسند صحيح. وذكر ابن جرير أثرا بإسناد حسن: التفسير (١٤/ ٤٢٢/ح ١٧٠٨٦) بأنها نزلت في العرباض بن سارية، وقال السندي: الذهب المسبوك، ص ٢٤٠، إنه لا مانع من أن تكون نزلت في جملة من البكائين ومنهم العرباض بن سارية.

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٥٦/ح ٤٤٣٣).

(٣٥) التوبة: ٨١ ـ ٨٢.

(٣٦) ابن إسحاق، بإسناد مرسل من حديث أربعة من شيوخه الثقات وغيرهم ـ ابن هشام (٤/ ٢١٧). وقد روى هذا المتن من طرق أخرى صحيحة، كما قال الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص ١٥٥. وانظر في ذلك: السيوطي: الدر المنثور (٣/ ٣٦٥)، والقرطبي: التفسير (٨/ ٢١٦)، والشوكاني: فتح القدير (٢/ ٣٧١)، والطبري: التفسير (١٤/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل بأشد عجبا بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر»، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «قد أذنت لك»، ففيه نزلت الآية: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[٣٧][٣٨].

وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدين أعذارا كاذبة ليأذن لهم بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[٣٩][٤٠].

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناسا منهم يجتمعون في بيت سُوَيْلِم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم[٤١].

ووصلت بهم الجرأة على الله ورسوله أن يبنوا مسجدا قُبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات تآمرهم على المسلمين، ويأملوا في مجيء أبي عامر الفاسق من عند الروم بجيش يغزو المدينة. وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المسير إلى مسجد

---

(٣٧) التوبة: ٤٩.

(٣٨) رواه ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧) والطبري: التفسير (١٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، مرة من طريق ابن إسحاق وقد عنعنه بإسناد منقطع وموقوف على أئمة شيوخه: الزهري وابن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، ومرة من طريق غيره بأسانيد. إمّا من مرسل قتادة، وسنده ضعيف، أو من مرسل مجاهد، وسنده ضعيف، أو من حديث ابن عباس وسنده ضعيف ورواه أبونعيم وابن مردويه فيما عزاه إليهما ابن حجر في الإصابة (١/ ٢٢٨) وضعف إسناديهما، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٨) والأوسط، وفيه يحيى بن الحماني وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٣٠) وحديث الطبراني إذا عضده حديث الطبري عن ابن عباس، وورود هذه الآثار عن التابعين، يشعر بأن للحديث أصلا، ولعل هذا الذي جعل الطبري يقول بأن الأخبار تظاهرت عن أهل التأويل بنزولها في الجد بن قيس، ويقول: فكفى بالجد بن قيس وأشكاله من المنافقين يصلى النار خزيا. ولا يسلم له الأستاذ عداب الحمش في كتابه: ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، ص ص ١٠١ ـ ١٠٢ بهذه النتيجة، وقال إن الجزم بنفاق الجد ابن قيس تسرع يربأ بنفسه عنه لأن الكبائر لا تجعل صاحبها منافقا، إلا إذا عنى به النفاق العملي، علما بأن ابن عبدالبر ذكر بصيغة التمريض أن الجد بن قيس تاب فحسنت توبته ـ الاستيعاب (١/ ٢٥١). قلت: وتهمة كهذه لابد لها من إسناد يحتج به.

(٣٩) التوبة: ٤٣.

(٤٠) الطبري: التفسير (١٤/ ٢٧٣/ شاكر) من مرسل مجاهد بإسناد صحيح إليه.

(٤١) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٤/ ٢١٧ ـ ٢١٨). فهو ضعيف.

الرسول ﷺ للصلاة فيه، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه خداعا للناس، ولكن الله فضح حقيقة نواياهم عندما أنزل في هذا الآيات: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطَّهِرين﴾(٤٢)(٤٣). فامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة فيه، ثم أحرقه عندما عاد من تبوك، ومنعه الله من الصلاة على أمواتهم بعد أن صلى على عبدالله بن أبي بن سلول عقب عودته من تبوك، وذلك في قوله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾(٤٤)(٤٥).

وقد تخلف منهم جماعة كما ثبت في حديث كعب بن مالك في قوله: «فكنت إذا خرجت في الناس... أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا بنفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء...»(٤٦).

وخرج بعضهم مع الرسول ﷺ لعلهم يتحينون الفرص للتخذيل، كما سترى.

لقد استنفر الرسول ﷺ المسلمين للخروج في هذه الغزوة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا إلا قليل﴾(٤٧)، وكان تثاقلهم بسبب مجيء وقت جني التمر وطيب ثمره

---

(٤٢) التوبة: ١٠٧ - ١٠٨.

(٤٣) من رواية الطبري: التفسير (١٤/ ٤٧٠/ح ١٧٨٧/ شاكر) بإسناد صححه الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص ٣١٦، وقال: «وقد احتج به أهل التفسير، ورجاله ثقات ماعدا المثنى وعبدالله ابن صالح»، وانظر الروايات في هذا عند السندي: الذهب المسبوك، ص ص ٣١٤ - ٣١٩، والطبري: التفسير (١٤/ ٤٦٨ - ٤٧٥).

(٤٤) التوبة: ٨٤.

(٤٥) البخاري/ الفتح (٦/ ١٦٨/ح ١٢٦٩)، مسلم (٤/ ٢١٤١/ح ٢٧٧٤).

(٤٦) من حديث كعب بن مالك المتفق عليه، كما سيأتي ذكره، وقد سبق الإشارة إليه.

(٤٧) التوبة: ٣٨.

واشتهاء الظلال لشدة الحر(٤٨)، وبعد المسافة ومشقة السفر، كما ذكرت الآية ﴿لـو كان عرضاً قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾(٤٩)(٥٠).

وتخلف عن الغزوة كثير من الأعراب والمنافقين، وعدد قليل من الصحابة من أهل الأعذار، وثلاثة ممن لم يكن لهم عذر عن الجهاد، وسيأتي ذكرهم.

موقف المؤمنين من الخروج إلى تبوك:

عندما كشف الرسول ﷺ للمسلمين عن وجهته خلافا لما كان يفعل في مثل هذه الغزوات الكبيرة، ليتهيأ المسلمون إلى الجهاد(٥١)، سارع المؤمنون إلى مرافقة الرسول ﷺ ولم ينظروا إلى ما سيلاقونه من مشقة، ولم تفتنهم طيبات الحياة الدنيا بالمدينة، فها هو علي بن أبي طالب لا يرضى أن يخلفه الرسول ﷺ في أهله، فيلحق بالرسول وهو نازل بالجرف ويقول: «يارسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟» فقال له الرسول ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»(٥٢).

وها هو أبو خيثمة الأنصاري وقد سارع إلى حسم الصراع الدائر في نفسه بين البقاء والخروج، ثم يؤثر الخروج رغبة في ما عند الله، وفي ذلك يقول: «تخلفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطا لي ـ بستانا ـ فرأيت عريشا قد رش بالمـاء، ورأيت زوجتي فقلت: ماهـذا بإنصـاف، رسول الله ﷺ في

---

(٤٨) من مرسل مجاهد كما رواه الطبري في التفسير (١٠/ ١٣٣)، ورجاله ثقات، ولكن فيه عنعنة عبدالله ابن أبي نجيح المكي وهو مدلس. وذكر الواقدي في المغازي (٣/ ٩٩٠) أن الرسول ﷺ أرسل رسلا إلى القبائل يستنفرها للخروج إلى تبوك، ولا يستبعد ذلك لأن ظاهر الآية يدل على عموم الاستنفار لمن كان داخل المدينة أو خارجها، إضافة إلى أن الرسول ﷺ كان قد استنفر القبائل لفتح مكة كما ثبت في الصحيح، وذكرناه في مكانه.

(٤٩) التوبة: ٤٢.

(٥٠) انظر الطبري: التفسير (١٤/ ٢٧٢/ ١٦٧٦٠ ـ ١٦٧٦١) بإسناد حسن إلى قتادة، لكنه مرسل.

(٥١) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٢/ح ٤٤١٨).

(٥٢) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٠/ح ٤٤١٦) ومسلم (٤/ ١٨٧٠ ـ ١٨٧١/ح ٢٤٠٤) وغيرهما. وذكر الجرف عند ابن إسحاق، بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٤/ ٢٢١). وهو موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ـ معجم البلدان (٢/ ١٨٧).

السموم والحرور، وأنا في الظل والنعيم، فقمت إلى ناضح لي وتمرات فخرجت، فلما طلعت على العسكر فرآني الناس، قال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة، فجئت فدعا لي»(٥٣).

ويروى أن أباذر عندما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا، وعندما نزل رسول الله ﷺ في بعض منازله رأى أحد المسلمين رجلا يمشي وحده فأخبر الرسول ﷺ، فقال: «كن أباذر»، فعندما وصل كان هو أباذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»(٥٤).

وعندما أقام أبوذر بالرَّبَذَة في عهد عثمان (رضي الله عنه) لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما بأن يغسلاه ويكفناه إذا مات، ثم يضعاه على قارعة الطريق ويطلبا الإعانة على دفنه من أول ركب يمر بهما، ففعلا، ويومها أقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق عُمارا، وكادت إبلهم أن تطأ الجنازة، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبوذر، صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فبكى ابن مسعود وقال: «صدق رسول الله ﷺ: تمشي وحدك وتموت وحدك، وتبعث وحدك»، ثم نزل هو وأصحابه فدفنوه، ثم

---

(٥٣) أخرجه الطبراني كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٤)، ابن إسحاق، مرسلا - ابن هشام (٤/ ٢٢٢)، وابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٤)، الواقدي (٣/ ٩٩٨ - ٩٩٩)، والحديث من هذه الطرق ضعيف ولكن يشهد له ورود بعض القصة في صحيح مسلم في أثناء قصة كعب (٤/ ٢١٢٢/ ٢٧٦٩). وأبوخيثمة هو عبدالله بن خيثمة السالمي كما عند الواقدي (٣/ ٩٩٨)، وعند الزهري: مالك بن قيس كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٤).

(٥٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٠ - ٥١) وصححه ووافقه الذهبي، ثم قال: «وفيه إرسال»، والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، وفي سنده بريدة بن سفيان، وفيه كلام، انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٠٦)، ورواه ابن كثير في البداية (٥/ ١٠ - ١١) من هذا الطريق وحسنه. وقد ساق خبر إبطاء بعيره به وخبر موته مساقا واحدا. وفي سيرة ابن هشام ذكر ابن إسحاق خبر الإبطاء معلقا وساق خبر الوفاة بمثل إسناد البيهقي وابن كثير.
وروى خبر الوفاة أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢٢/ ٣٧٤ - ٣٧٥) - من غير طريق ابن إسحاق، مع اختلاف يسير عن رواية الحاكم. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٣٢): رواه أحمد من طريقين إحداهما هذه والأخرى مختصرة عن إبراهيم بن الأشتر عن أم ذر، ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح. قال محققا سيرة ابن هشام: «ولولا ابن الأشتر لكان سند الثانية حسنا»، وهو ممن لم يوثقه غير ابن حبان - انظر: تعجيل المنفعة، ص ٢٠.
ورواه ابن سعد (٤/ ٤/ ٢٣٢ - ٢٣٤) بمثل رواية أحمد، وحسنه الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص ٣٠٧، ٣٠٩.
والخلاصة: إن السندي ومحققا سيرة ابن هشام قد حسنوا سند خبر الوفاة لطرقه، فانظرهم.

حدثهم حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك[٥٥].

وهذه معجزة من معجزات الرسول ﷺ الكثيرة في هذه الغزوة وغيرها كما هو معلوم.

عدد الصحابة في جيش تبوك:

تباينت الروايات في ذلك. ففي رواية معقل عن كعب بن مالك، قال: «وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ[٥٦]». وفي رواية أخرى عنه: «المسلمون مع رسول الله كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك الديوان»[٥٧]. وقال ابن حجر[٥٨]: «وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفا، وبهذا العدد جزم ابن إسحاق». وروى الواقدي[٥٩] عن زيد بن ثابت أنهم كانوا ثلاثين ألفا، وفي رواية أخرى له: «وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفا ومن الخيل عشرة آلاف فرس»[٦٠]، وقد نقل عن أبي زُرعة الرازي أنهم كانوا أربعين ألفا[٦١]، وقال ابن حجر[٦٢] في تعليقه على بعض هذه الروايات: «فتحمل رواية معقل عن كعب على إرادة عدد الفرسان». وقال أبوزرعة الرازي: «وكانوا سبعين ألفا». وجمع بعض الأئمة بين قوله وقول ابن إسحاق بأن أبازرعة عد التابع والمتبوع، وابن إسحاق عد المتبوع فقط[٦٣].

والمشهور والراجح أن جيش تبوك كان ثلاثين ألفا، وهو ما اتفق عليه

---

(٥٥) انظر الحاشية نفسها.
(٥٦) مسلم (٤/ ٢١٢٩/ح ٢٧٦٩).
(٥٧) مسلم (٤/ ٢١٢١/ح ٢٧٦٩).
(٥٨) الفتح (١٦/ ٢٤٢) ولا توجد رواية ابن إسحاق في المطبوع المتداول والمحفوظ - انظر في هذا السندي: الذهب المسبوك، ص ١٧٨.
(٥٩) المغازي (٣/ ٩٩٦) بإسناد موصول.
(٦٠) المغازي (٣/ ١٠٠٢) بإسناد له عن شيوخه، ابن سعد (٢/ ١٦٦) من رواية شيخه الواقدي.
(٦١) قاله ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٤٢).
(٦٢) الفتح (١٦/ ٢٤٢).
(٦٣) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة - الجزء الخمسون - ص ١٢٣.

أئمة المغازي والسير: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وليس هناك تعارض مع ماجاء في الصحيح، والله أعلم.

المتخلفون عن غزوة تبوك:

لقد تخلف عن غزوة تبوك، من غير ذوي الأعذار والمنافقين، ثلاثة من خيار الصحابة، وهم: كعب بن مالك ومُرَارَة بن الربيع العَمْري، وهِلاَل ابن أُمَيَّة الواقفي، فقد غلبهم التسويف والميل إلى الراحة. وروى كعب (رضي الله عنه) قصته في هذا التخلف، في حديث طويل، رواه البخاري[٦٤] ومسلم[٦٥] وغيرهما، وجاء فيه:

«كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة... وطفقت أغدو لكي أتجهز مع المسلمين، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ولم أقض من جهازي شيئا. ولم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ـ أي فاتوا ـ وهممت أن أرتحل فأدركهم. فياليتني فعلت. فلم يقدر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموسا بنفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء... ولما بلغني أنه توجه قافلا حتى حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا سأخرج من سخطه غدا؟!... واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، ولما قيل إن رسول الله ﷺ قد أقبل، زاح عني الباطل وأجمعت أن أصدقه، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب

---

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٤١ - ٢٥٢/ح ٤٤١٨).
(٦٥) مسلم (٤/٢١٢٠ - ٢١٢٨/ح ٢٧٦٩).

ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله. والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك! فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني (أي يعتبون عليه أنه لم يعتذر كالآخرين) فقلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ فقالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟ فقالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية. فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرا[٦٦] لي فيهما أسوة... ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ـ أي الثلاثة ـ فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي الأرض، فما هي بالتي أعرفها. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه أسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني. وبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نَبَطِيّ من أَنْبَاط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غَسَّان، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بَلَغَني أن صاحبك قد جفاك، ولم يَجْعَلْكَ الله في دار هوان ولا مَضْيَعَة، فالحق بنا نواسك»، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التَّنُّور فسجرته بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل

---

(٦٦) قال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٧٧): «هذا الموضع مما عد من أوهام الزهري راوي هذا الخبر، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر...» قلت: ذكر ابن حجر في الإصابة (٤/ ٦٠٧) أن هلال بن أمية شهد بدرا، وأن مرارة بن الربيع كذلك شهدها على الصحيح: الإصابة (٤/ ٣٩٦) وابن حجر ليس من أهل المغازي والسير.

اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. . فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لي خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنـا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله «قد ضاقت علي نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سَلَع بأعلى صوته: ياكعب بن مالك أبشر. فخررت ساجدا، وعرفت أنه قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحبَيّ مبشرون. . . ولما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئـذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة. فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قلت: أمن عندك يارسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله. فقلت يارسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. قال رسـول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: يارسول الله، إنما نجاني الصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مابقيت. وأنزل الله تعالى على رسوله ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله ﴿وكونوا مع الصادقين﴾. . . وكنا تخلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله تعالى ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه».

وجاء في حديث كعب هذا أن الذين تخلفوا عن هذه الغزوة كانوا بضعة وثمانين رجلا، اعتذروا للرسول ﷺ عن تخلفهم فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفـر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، ويتطابق هذا العدد مع ما ذكره

الواقدي[٦٧]، وقد زاد الواقدي، بأن المعذرين من الأعراب كانوا أيضا اثنين وثمانين رجلا من بني غِفار وغيرهم، وأن عبدالله بن أبي بن سلول ومن تابعه من قومه كانوا من غير هؤلاء، وكانوا عدداً كثيرا، وروى هو وابن سعد[٦٨] وابن إسحاق[٦٩] أن ابن أبي خرج حتى وصل جبل ذباب بالمدينة ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين، فلما سار الرسول ﷺ تخلف عنه فيمن تخلف من المنافقين، وكل هذا لم يثبت بطرق صحيحة.

وكان من يتخلف يظن أن لا أحد يتفقده لكثرة أفراد الجيش، ولكن الرسول ﷺ تفقد وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تخلف، فقد سأل أبارِهْم كلثوم بن حصين الغفاري عمن تخلف من بني غفار وأسلم[٧٠]، وعندما وصل تبوك سأل عن كعب بن مالك[٧١].

المسلمون في تبوك:

قيل إن الرسول ﷺ خطب الناس خطبة طويلة في تبوك، قال فيها: «أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع،

---

(٦٧) المغازي (٣/ ٩٩٥). والواقدي متروك في الحديث مع سعه علمه، فأسانيده ضعيفة.

(٦٨) الطبقات (٢/ ١٦٥). من رواية شيخه الواقدي. والواقدي متروك، فأسانيده ضعيفة.

(٦٩) ابن هشام (٤/ ٢١٩) بإسناد مرسل، وساق هو والواقدي وابن سعد هذه الجزئية بصيغة التمريض، مما يدل على عدم قبولهم لها. ولهم أن يشكوا في هذا خاصة ذكر اليهود وبهذا العدد الذي لا يتمشى مع منطق الأحداث التي وقعت بين المسلمين واليهود. ويستبعد أن يكون لهم وجود يذكر دعك من أن تكون لهم مثل هذه الشوكة والعداء والتخذيل السافر، إضافة إلى أن الخبر لم يأت بطرق صحيحة.

(٧٠) من رواية ابن إسحاق، موصولا من حديث الزهري، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وفيه ابن أخي أبي رهم الذي لم يعرفه الهيثمي كما في المجمع (٦/ ١٩٢) ـ انظر: ابن هشام (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦)، ووردت من طريق معمر عن الزهري كما في موارد الظمآن، ص ٤١٨، فبذلك تقوى الرواية إلى الحسن لغيره كما قال السندي: الذهب المسبوك، ص ٢٤٥.

(٧١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٤/ح ٤٤١٨).

وشر العمى عمى القلب...»[٧٢].

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى أُكَيْدِر دُوْمَة الجندل فأخذوه، فأتوا به إلنبي ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية[٧٣].

وعندما أخذوه كان يصيد البقر خارج حصنه، وهي الهيئة التي ذكرها الرسول ﷺ لخالد ـ أنهم سيجدونه عليها[٧٤]. وقد تعجب المسلمون من قباء كان يلبسه أكيدر، واستلبه منه خالد وأرسله إلى النبي ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»[٧٥].

وفي الصحيح أن أكيدر أهدى رسول الله ﷺ حلة من حرير[٧٦]، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده...» الحديث بمثل ما عند ابن إسحاق. والراجح أن حصول الرسول ﷺ على الحلة كان عن طريق الاهداء كما في الصحيح وليس عن طريق الاستلاب كما ذكر ابن إسحاق. ويؤيد ذلك ما رواه أبويعلى بإسناد قوي أنه لما قدم أكيدر أخرج قباء من ديباج منسوجا بالذهب فرده النبي ﷺ عليه، ثم إنه وجد في نفسه من رد

---

(٧٢) انظرها في أحمد: المسند (٣/ ٣٧)، أبوعبيد: الأموال، ص ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ١٥ ـ ١٦)، وفي إسناد أحمد وأبي عبيد: أبوالخطاب المصري ـ مجهول، وفي إسناد ابن كثير: عبدالعزيز بن عمران ـ متروك.

(٧٣) من رواية أبي إسحاق عن عاصم عن أنس كما ذكر ابن حجر في الإصابة (١/ ٤١٣) في ترجمة خالد بن الوليد. والحديث يتقوى بالشواهد. وقد ثبت له شاهد من حديث ابن إسحاق الذي ذكرناه بعد هذا مباشرة. ورواه ابن إسحاق بنفس سند أبي إسحاق، وقد صرح بالسماع، فيكون حسنا ـ انظر: ابن هشام (٤/ ٢٣٢). وهو شاهد على حديث أبي إسحاق.

(٧٤) من رواية ابن إسحاق، مرة معلقا ومطولا ـ ابن هشام (٤/ ٢٣١) ومرة موصولا ومختصرا بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٢٣٢).

(٧٥) روى ابن إسحاق قصة أسره بإسناد معلق، وروى قصة القدوم بقباء أكيدر وتعجب المسلمين منه، وحديث الرسول ﷺ في ذلك، رواه بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، ورواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة مرسلا وليس فيه حديث مناديل سعد وفيه اختلاف يسير، والترمذي: السنن (٦/ ٤٥/ ك. اللباس/ ب. ماجاء في الرخصة في لبس الحرير/ ١٧٢٣) من غير طريق ابن إسحاق، وقال: «هذا حديث صحيح»، ورواه بمثله النسائي في سننه (٨/ ١٩٩/ ك. الزينة/ ب. لبس الديباج المنسوج)، وفي لفظه: «وأنه بعث الى النبي ﷺ جبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها... الحديث» هكذا مبنيا على المجهول، ولم يذكر أنها جبة أكيدر، والرواية تخالف الصحيح من الأحاديث في حرمة لبس الذهب والحرير. أما حديث الرسول ﷺ عن مناديل سعد فقد رواه الشيخان كما في الحواشي الآتية.

(٧٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٧٥/ح ٣٨٠٢)، ومسلم (٤/ ١٩١٦ ـ ١٩١٧/ح ٢٤٦٨، ٢٤٦٩).

هديته فرجع به، فقال له النبي ﷺ: «ادفعه إلى عمر» الحديث[٧٧]. وفي رواية عند البخاري أن الرسول ﷺ لم يعطها عمر ليلبسها، ولذا كساها عمر لأخ له كان بمكة مشركا[٧٨]. وفي رواية عن علي أنه أهدي إلى النبي ﷺ حلة سيراء فلبسها فرأى الغضب في وجه النبي ﷺ فشقها بين نسائه[٧٩].

ويفهم من مجموع هذه الأحاديث أن الحلة التي أهديتِ إلى الرسول ﷺ ليست واحدة[٨٠] وأن الرسول ﷺ والصحابة لم يكونوا يلبسون الحرير، لأن ذلك محرم بالأحاديث الصحيحة كما هو معروف.

وقيل إن الرسول ﷺ أرسل خالدا إلى أكيدر في أربعمائة وعشرين فارسا، وأن غنائمه كانت ثمانمائة من السبي وألف بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح[٨١].

روى البخاري[٨٢] أن الرسول ﷺ عندما كان بتبوك جاءته هدية ملك أُيْلَة، وهي بغلة بيضاء، وكساه بردا[٨٣]، وصالحه على الجزية.

وأتاه أهل جَرْبَاء وأَذْرُح، فأعطوه الجزية، فكتب لهم كتابا، فهو عندهم[٨٤].

وفي ذات يوم من أيام تبوك تخلف رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر لحاجة، وعندما انتهى إلى مكان المسلمين كانوا، قد قدموا عبدالرحمن بن عوف إماما لهم وشرعوا في الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ خلف ابن عوف ثم أكمل صلاته[٨٥].

---

(٧٧) قاله ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٣/ شرح الحديث ٢٦١٥)، ورواه الذهبي في مغازيه، ص ٦٤٦.

(٧٨) البخاري/ الفتح (١١/ ٤٠/ح ٢٦١٢) و (١١/ ٤٥/ح ٢٦١٩) واسم هذا الأخ عثمان بن حكيم، انظر ابن حجر: الفتح (١١/ ٤٥).

(٧٩) البخاري/ الفتح (١١/ ٤١/ح ٢٦١٤).

(٨٠) انظر في ذلك بالذات: البخاري/ الفتح (١١/ ٤٠/ح ٢٦١٢).

(٨١) من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وهو مرسل وفي إسناده ابن لهيعة - صدوق. انظر ابن كثير: البداية (٥/ ٢٠).

(٨٢) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٥٤/ح ٣١٦١)، واسم ملك أيلة يحنة بن رؤبة كما ذكر أهل السير - انظر: ابن إسحاق - ابن هشام (٤/ ٢٣٠ - ٢٣١)، الواقدي (٣/ ١٠٣١).

(٨٣) قال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٥٤/ شرح الحديث (٣١٦١) إن فاعل كسا هو النبي ﷺ.

(٨٤) ابن اسحاق - معلقا - ابن هشام (٣/ ٢٣٠).

(٨٥) مسلم (١/ ٢٣٠ - ٢٣١/ح ٢٧٤) ولم يذكر أن ذلك كان في تبوك، وذكر غيره أنه في تبوك، انظر - مثلا: مالك الموطأ (١/ ١٥٧ - ١٥٨) وأحمد: المسند (٣/ ٢٩٣) و(٤/ ٢٤٤ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥١)، أبادواد: السنن (١/ ١٠٣ - ١٠٤ ك. الطهارة ب. المسح على الخفين/ح ١٤٩)، ابن سعد (٣/ ١٢٨ - ١٢٩) بإسناد رجاله ثقات ولكن في تحديد زمان ومكان الواقعة سأل ابن سعد شيخه الواقدي فأفاده أنها في تبوك.

ويروى أن الرسول ﷺ أرسل دِحْيَة بن خَليفة الكَلبي إلى هرقل، وهو بتبوك، وأن هرقل أرسل التَّنوخِي ليتعرف له على بعض علامات نبوة محمد ﷺ[٨٦]. ولو ثبت هذا فيكون إرسال دحية للمرة الثانية.

الرجوع إلى المدينة:

لم يلق الرسول ﷺ حربا من الأعداء، فرجع إلى المدينة منتصرا، بعد أن أقام بتبوك عشرين ليلة[٨٧]. وفي الطريق أتوا على الحِجْر من ديار ثَمود، الذين غضب الله عليهم لعصيانهم أمره بعدم ذبح ناقة نبي الله صالح[٨٨]، وعندما سارع الناس إلى دخول مساكن أهل الحجر، نهاهم الرسول ﷺ[٨٩]، وقال لهم: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي[٩٠]، وعندما نزلوا الحجر استقوا من آبارها وعجنوا من مائها العجين، فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بطرح ذلك العجين للإبل ويهرقوا ذلك الماء، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[٩١].

وعندما اشتكى المسلمون إلى النبي ﷺ ما أصاب إبلهم من الإجهاد، دعا الله أن ينشطها، فنشطت بهم حتى بلغوا المدينة[٩٢].

وحاول جماعة من المنافقين الملثمين أن يطرحوا الرسول ﷺ عن راحلته من رأس عَقَبة بالطريق، في عتمة من الليل، فشعر بمؤامرتهم، فأمر بإبعادهم عنه[٩٣]. فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة، خرج الصبيان إلى

---

(٨٦) أحمد: المسند (١/ ٢٠٣)، (٣/ ٤٤٢)، (٤/ ٧٤)، (٥/ ٢٩٢)، قال ابن كثير في البداية (٥/ ١٩) عن هذا الحديث: «هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد» وقال السندي: الذهب المسبوك، ص ٣٢٨: «إسناده جيد، وفيه سعد بن أبي راشد ـ مقبول، وعبدالله بن خثيم ـ صدوق، ويحيى بن سليم ـ صدوق، وإسحاق بن عيسى ـ صدوق».

(٨٧) موارد الظمآن، ص ١٤٥، بإسناد صحيح.

(٨٨) البخاري/ الفتح (١٣/ ١١٧ ـ ١١٨/ح ٣٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٥ ـ ٢٢٨٦/ح ٢٩٨٠).

(٨٩) أحمد: المسند (٤/ ٢٣١) وأورده ابن كثير البداية (٥/ ١٣)، وقال: «إسناده حسن ولم يخرجوه».

(٩٠) البخاري/ الفتح (١٣/ ١١٩/ح ٣٣٧٨)، مسلم (٤/ ٢٢٨٦/ح ٢٩٨١).

(٩١) البخاري/ الفتح (١٣/ ١١٩/ح ٣٣٧٨ ـ ٣٣٧٩)، مسلم (٤/ ٤٠/ح ٢٩٨١).

(٩٢) أحمد: المسند (٦/ ٢٠) بإسناد حسن، وموارد الظمآن، ص ٤١٨.

(٩٣) أحمد: المسند (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) بإسناد حسن، ويشهد للقصة بالصحة ما رواه مسلم (٤/ ٢١٤٤/ح ٢٧٧٧٩) من حديث حذيفة عنهم، وروى من طريقين آخرين ضعيفين ـ انظر البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٢٥٦ ـ ٢٥٩).

ثنية الوداع لتلقيه[٩٤]، ومعهم النساء والولائد يقلن:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع[٩٥]

وكان أول ما فعله الرسول ﷺ عند دخوله المدينة أن صلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس فجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم لله[٩٦]، وجاءه الثلاثة المخلفون، وكان من خبرهم ما سبق ذكره.

وقفة مع بعض الآيات التي نزلت بمناسبة غزوة تبوك:

نزول القرآن حول أحداث موقعة تبوك:

نزلت آيات كثيرة من سورة براءة - التوبة - حول موضوع هذه الغزوة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج وهو مسافر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة. وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة، وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين المخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين، الخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين.

١ - قال تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم﴾[٩٧]

قال الطبري[٩٨]: «وقد اختلف أهل التأويل في المعني بهذه الآية، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه. فقال بعضهم: نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، منهم أبولبابة،

---

(٩٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٥٩/ح ٤٤٢٦ - ٤٤٢٧).
(٩٥) قاله ابن حجر في شرح الحديثين المذكورين (٤٤٢٦ - ٤٤٢٧): «وقد روينا بسند منقطع في الحلبيات قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: طلع البدر علينا... فقيل كان ذلك عند قدومه من الهجرة وقيل عند قدومه من غزوة تبوك». وانظر الكلام على هذه المسألة في مكانها من حديث الهجرة.
(٩٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٤ - ٢٤٥/ح ٤٤١٨)، مسلم (٤/ ٢١٢٣/ح ٢٧٦٩).
(٩٧) التوبة: ١٠٢.
(٩٨) التفسير (١٤/ ٤٤٦ - ٤٥٣/ شاكر).

فربط سبعة منهم أنفسهم إلى سواري المسجد عند مقدم النبي ﷺ من تبوك، توبة منهم من ذنبهم... وقال آخرون: الذين ربطوا أنفسهم كانوا ثمانية... وقال آخرون: كانوا سبعة... وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك. وقال بعضهم: عني بهذه الآية الأعراب...» وذكر الطبري المرويات فيمن قال بكل قول من الأقوال المذكورة... وكلها روايات لا تقوم بها الحجة حسب دراسة الدكتور السندي[99] لها، ولذا قال الطبري[100]: «وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ، وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم، حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل فيهم ذلك جماعة، أحدهم أبولبابة... فقد تبين أن هذه الصفة لم تكن إلا لجماعة فعلت ذلك، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك... منهم أبولبابة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾[101].

لقد روى الطبري[102] عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، منها أثر صحيح عن ابن عمر مضمونه أن رجلا قال في مجلس في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لاخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول:

---

(٩٩) الذهب المسبوك، ص ص ١١٢ ـ ١٢٣.
(١٠٠) التفسير (١٤/٤٥٣/ شاكر).
(١٠١) التوبة: ٦٥.
(١٠٢) التفسير (١٤/٣٣٣ أثر رقم ١٦٩١٢) بإسناد صحيح.

يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم».

واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك(١٠٣).

ويقول الله تعالى تعقيبا على ما صدر من هذا الرجل ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾(١٠٤).

إن أصح ما روي في تفسير هذه الآية أن الذي عُفِيَ عنه هو مخشي ابن حمير الأشجعي، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع(١٠٥).

معجزات وقعت للرسول ﷺ في أحداث تبوك:

١) شكا الصحابة (رضي الله عنهم) إلى النبي ﷺ ما برواحلهم من جهد، فأمر أن يمروا بها عليه عند مكان ضيق، فأخذ ينفخها ويقول: «اللهم احمل عليها في سبيلك إنك تحمل على القوي والضعيف وعلى الرطب واليابس في البر والبحر»، فما بلغوا المدينة حتى جعلت تنازعهم أزمتها، فقال الراوي ـ فُضَالة بن عُبيد الأنصاري: «هذه دعوة النبي ﷺ على القوي والضعيف، فما بال الرطب واليابس، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرص في البحر، فلما رأينا السفن في البحر وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي ﷺ»(١٠٦)

٢) روى الواقدي عدة آثار عن معجزات وقعت للرسول ﷺ ضمن أحداث غزوة تبوك، ولكن كلها ضعيفة، مثل الحية التي اعترضت سبيل

---

(١٠٣) انظر ـ مثلا ابن الجوزي: زاد المسير (٣/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).

(١٠٤) التوبة: ٦٦.

(١٠٥) من رواية ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك بإسناد حسن كما جاء عند السيوطي: الدرالمنثور (٣/ ٢٥٤)، وعن بقية التفاسير انظر السيوطي: الدرالمنثور، والطبري: التفسير (١٤/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧)، وابن كثير: التفسير (٤/ ١١٢).

(١٠٦) أحمد المسند (٦/ ٢٠) بإسناد حسن.

المسلمين في غزوة تبوك[١٠٧]، ومعجزة نبع الماء من أصابعه[١٠٨]، ومعجزة تكثير الطعام[١٠٩].

٣) وكذلك روى السيوطي آثارا عن معجزات وقعت للرسول ﷺ وكلها ضعيفة، مثل نزول المطر بدعاء الرسول ﷺ في غزوة تبوك[١١٠]، ولقاء إلياس (عليه السلام) بالرسول ﷺ في هذه الغزوة[١١١].

وكل هذه المعجزات التي وردت عند الواقدي والسيوطي بأسانيد ضعيفة وقع مثلها بأسانيد صحيحة جاء ذكرها في ثنايا هذا الكتاب، اللهم إلا قصة إلياس (عليه السلام)، فهي لم ترد من قبل بإسناد صحيح أو سقيم.

الأحكام والفوائد والدروس المستنبطة من أحداث غزوة تبوك:

١ ـ إن في صلاة النبي ﷺ خلف عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه) تكريماً لأحد أصحابه، ودليلا على جواز إمامه المفضول وصلاة الأفضل خلفه.

٢ ـ سأل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) الرسول ﷺ عن عمل يدخله الجنة، وهم في طريق العودة من تبوك، فأجابه الرسول ﷺ بأن رأس هذا الأمر الشهادة وقوامه الصلاة والزكاة وذروة سَنَامِه الجهاد[١١٢].

٣ ـ كان الرسول ﷺ يجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين صلاتي المغرب والعشاء[١١٣].

٤ ـ سئل النبي ﷺ عن سترة المصلي، فأجاب بأنها مثل مؤخرة الرحل[١١٤].

٥ ـ أقام ﷺ بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة[١١٥]. وبهذا استدل العلماء

---

(١٠٧) المغازي (٣/١٠٠٨ ـ ١٠١٥) بإسناد موضوع.
(١٠٨) المصدر نفسه (٣/١٠٤٠ ـ ١٠٤٢).
(١٠٩) المصدر نفسه (٣/١٠١٧ ـ ١٠١٨).
(١١٠) الخصائص الكبرى (٢/١٠٦).
(١١١) المصدر نفسه (٢/١٠٩) بإسناد موضوع ومتن منكر.
(١١٢) أحمد: المسند (٥/٢٤٥ ـ ٢٤٦) بإسناد حسن.
(١١٣) الزرقاني: شرح موطأ مالك (٢/٥٥ ـ ٥٨).
(١١٤) النسائي: السنن (٢/٦٢/ ك. القبلة/ ب. سترة المصلي) بإسناد صحيح.
(١١٥) الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ص١٤٥، بإسناد صحيح.

على جواز القصر مادام المرء في حالة سفر ولم ينو الإقامة، وانظر الفقرة ١٧ بعد قليل.

٦ - قال ﷺ عن جلد الميتة: «دباغها طهورها» وذلك عندما طلب ماء من بيت بتبوك فأتي له به في قربة من جلد فشرب(١١٦).

٧ - أهدر الرسول ﷺ ثنية رجل عض يد رجل آخر فانتزعها بقوة ومعها الثنية(١١٧).

٨ - جواز الهجر أكثر من ثلاث ليالٍ لسبب شرعي كما في أمر الرسول ﷺ بمقاطعة الذين خلفوا لمدة خمسين ليلة.

٩ - إن من يمر بديار المغضوب عليهم والمعذبين، لا ينبغي له أن يدخلها، ولا أن يقيم بها، بل عليه أن يسرع، ويتقنع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكيا معتبرا، كما فعل الرسول ﷺ وأمر به عندما مر بديار ثمود بالحجر، وكما فعل في وادي محسر بين منى وعرفة، فإنه المكان الذي أهلك الله فيه الفيل وأصحابه(١١٨).

١٠ - تصريح الإمام للرعية، وإعلامهم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه ليتأهبوا له، وجواز ستر غيره عنهم والكناية عنه للمصلحة، كما فعل الرسول ﷺ في أمر الإعلام بوجهته حين عزم على غزوة تبوك(١١٩).

١١ - إذا استنفر الإمام الناس للجهاد لزمهم النفير جميعا، ولا يشترط في وجوب ذلك تعيين كل واحد منهم بعينه، وهو أحد المواضع الثلاثة التي يصبح فيها الجهاد فرض عين، والثاني: إذا حضر العدو البلد، والثالث إذا حضر بين الصفين(١٢٠).

١٢ - وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، وهذه إحدى روايتي أحمد، قال ابن القيم(١٢١): «وهو الصواب الذي لا ريب فيه».

---

(١١٦) أبوداود: السنن (٤/ ٣٦٨ - ٣٦٩/ ك. اللباس / ب. في اهب الميتة/ح ٤١٢٥) بإسناد حسن.
(١١٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٠/ح ٤٤١٧)، مسلم (٣/ ١٣٠٠ - ١٣٠١/ح ١٦٧٣ - ١٦٧٤).
(١١٨) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٦٠).
(١١٩) انظر: المرجع نفسه (٣/ ٥٥٨).
(١٢٠) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.
(١٢١) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.

١٣ ـ إن في قول الرسول ﷺ لعثمان (رضي الله عنه) عندما رأى سخاء بذله: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» منقبة كبرى لعثمان تضاف إلى مناقبه الأخرى الكثيرة والتي أعظمها البشرى له بالجنة.

١٤ ـ إن العاجز عن الجهاد والذي لا حرج عليه إذا تخلف عنه هو الذي يبذل جهده ويتحقق عجزه، كما في حالة الذين جاءوا يسألون الحملان فلم يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه، فرجعوا يبكون لما فاتهم من شرف وأجر الجهاد.

١٥ ـ مشروعية استخلاف الإمام، إذا سافر، رجلا من الرعية على الضعفاء والنساء والذرية، كما في حالة علي (رضي الله عنه)، ويكون نائبه من المجاهدين وهي خلافة خاصة، أما الاستخلاف العام والخاص بالشؤون الأخرى فكان لمحمد بن مسلمة[١٢٢].

١٦ ـ لا يجوز شرب ماء آبار ثمود ولا الطبخ منه ولا العجن به، ولا الطهارة به، ويجوز أن يسقى منه البهائم، إلا ما كان من بئر الناقة، فيجوز الاستفادة من مائها في كل شيء[١٢٣].

١٧ ـ أقام النبي ﷺ عشرين يوما يقصر الصلاة، ولم يقل للأمة: لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر، سواء طالت أم قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم على الإقامة بذلك الموضع، وكان ذلك عمل بعض أئمة السلف مثل سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأنس بن مالك وعبدالرحمن بن سَمُرة، وهو الصواب كما قال ابن القيم[١٢٤].

١٨ ـ إن من مراتب الجهاد الأربعة: الجهاد بالقلب، كما في حال الذين حبسهم العذر وقال عنهم الرسول ﷺ: «إن بالمدينة أقواما... الحديث» والمراتب الأخرى: اللسان، والمال، والبدن، كما في الحديث:

---

(١٢٢) و (١٢٣) المرجع نفسه، ص ٥٦٠.
(١٢٤) المرجع نفسه، ص ص ٥٦١ ـ ٥٦٣. وانظر فيه اختلاف السلف والخلف في ذلك، ص ص ٥٦١ ـ ٥٦٢، ٥٦٣ ـ ٥٦٥.

«جاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم»[١٢٥].

١٩ ـ جواز إحراق وهدم أمكنة المعصية، كما فعل الرسول ﷺ بمسجد الضِرَار.

٢٠ ـ جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله، كما في رواية كعب لقصة تخلفه عن غزوة تبوك.

٢١ ـ جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن ذلك على سبيل الفخر والترفع، كما فعل كعب (رضي الله عنه).

٢٢ ـ إن بيعة العقبة الكبرى كانت من أفضل مشاهد الصحابة، حتى إن كعبا كان لا يراها دون مشهد بدر.

٢٣ ـ لا ينبغي للإمام أو المطاع أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب، كما فعل الرسول ﷺ عندما سأل عن كعب بتبوك.

٢٤ ـ إن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريرته إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره، كما فعل الرسول ﷺ مع الذين جاءوه يعتذرون له عن تخلفهم.

٢٥ ـ إن في سجود كعب حين سمع صوت المبشر دليلا ظاهرا على أن تلك كانت عادة الصحابة، وهو سجود الشكر عند حدوث النعم المتجددة، والنقم المندفعة، وقد سجد أبوبكر (رضي الله عنه) لما جاءه خبر مقتل مسيلمة الكذاب[١٢٦]، وسجد علي عندما وجد ذا الثدية مقتولا في الخوارج[١٢٧] وهم في هذا يقتدون بالرسول ﷺ. فقد سجد رسول الله ﷺ عدة مرات لأحداث سارة، وقال أبوبَكْرَة: «كان رسول

---

(١٢٥) أخرجه أبوداود: السنن (٣/ ك. الجهاد/ح ٢٥٠٤، وأحمد: المسند (٣/ ١٢٤ و ١٥٣)، والنسائي: السنن (٦/ ٧/ ك. الجهاد/ح ٣٠٩٨)، والدارمي: السنن (٢/ ٢١٣/ ك. الجهاد)، والحاكم: المستدرك (٢/ ٨١) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان: موارد الظمآن (ح ١٦١٨)، ولفظ ابن حبان: «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم».

(١٢٦) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى (٢/ ٣٧١/ ك. الصلاة/ ب. سجود (الشكر).

(١٢٧) أحمد المسند (٢/ ٨٤٨/ شاكر) وصحح شاكر إسناده.

الله ﷺ إذا أتاه أمر يسره خر لله ساجدا»[١٢٨]، ومن أمثلة ذلك سجوده عندما أتاه خبر إسلام همدان على يد علي بن أبي طالب[١٢٩].

٢٦ - استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر عليه من المال، كما جاء في موقف كعب وحواره مع الرسول ﷺ عندما أراد التصدق بكل ماله، ولكن الرسول ﷺ استحب له الثلث، فأمسك فقط سهمه الذي بخيبر[١٣٠].

٢٧ - مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب، وأنهم يحرزون بذلك دماءهم وأموالهم، فقد رأيت أن الروم اختفوا وتفرقوا عن مواجهة رسول الله ﷺ حينما وصل تبوك، وجاءه نصارى العرب فصالحوه على الجزية.

٢٨ - إن موقف كعب من رسالة ملك غسان وتعليقه على طلبه، فيه صورة رائعة لما ينبغي أن يكون عليه إيمان المسلم بربه تعالى، وإن الابتلاء لابد أن يكشف عن المزيد من الإيمان وشدة الإخلاص.

٢٩ - لقد وطدت هذه الغزوة سلطان الإسلام في شمالي شبه الجزيرة العربية، ومهدت لفتوح الشام التي استعد لها الرسول ﷺ بإعداد جيش أسامة قبيل وفاته، فأنفذه أبوبكر (رضي الله عنه)، ثم أتبعه أبوبكر بجيوش الفتح الأخرى التي انساحت في بلاد الشام والعراق، وكانت بداية تحرير شعوب تلك المناطق من عبودية القيصرية والكسروية.

---

(١٢٨) أبوداود: السنن (٣/ ٢١٦/ ك. الجهاد/ح ٢٧٧٤) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود، رقم ٢٤٧٩، الترمذي: السنن (٥/ ٣٠٤/ح ١٥٧٨/ الدعاس)، وقال: حسن غريب، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٣٣/ ك. الصلاة/ح ١٣٩٤) وقال: «حسن»، وقال ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٨٤) عن هذه الآثار المذكورة في سجود الشكر: «وهي آثار صحيحة لا مطعن فيها».

(١٢٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٨٤/ح ٤٣٤٩) وستأتي قصة علي مع همدان في الفصل السابع والعشرين - المبحث الثاني: «بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن».

(١٣٠) أخرجه أبوداود: السنن (٣/ ٦١٤/ ك. الإيمان والنذور/ح ٣٣٢١)، بإسناد صحيح. ولمزيد من الفوائد والتفاصيل، انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٥٥٨ - ٥٩٢)، ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٥١ - ٢٥٤).

الفصل السادس والعشرون

الوفــــود:

عندما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، قدمت إليه وفود العرب من كل وجه[1]، حتى إن سنة تسع كانت تسمى سنة الوفود[2]، وقد سبق القول إن أبرز نتائج فتح مكة أن أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش[3].

ولقد ذكر البخاري وابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبيهقي وفودا تقدم تاريخ قدومهم على سنة تسع، بل وعلى فتح مكة[4]. وهو أمر ستراه ظاهرا عند الوقوف على أخبار الوفود في المصادر المختلفة، ومن خلال تناولي لها في هذا الكتاب، على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود لم يستقصوها جميعها، ولذا استدرك عليهم ابن كثير، و ذكر ما أهملوه[5]، مستفيدا في هذا من المصـادر الأخـرى التي ضاع معـظمهـا ولكن وجـدت منها روايات مبثوثة في كتب الذين جاؤوا من بعدهم. وقد تكلمنا عن هذا في المباحث الخاصة بمصادر السيرة.

وبلغ مجموع ماذكره هؤلاء الأئمة ما يزيد على الستين وفدا، وقد سردهم الشامي في سيرته، فزادوا على مائة، فلعل هؤلاء الأئمة اقتصروا على ذكر المشهور منهم أو الذين أتوا لترتيب مصالحهم[6]. وكان ابن سعد صاحب

---

(١) انظر: ابن اسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/٢٧٣).
(٢) ابن هشام (٤/٢٧٣) بإسناد منقطع.
(٣) انظر ذلك في مكانه من هذا الكتاب عند الكلام عن أبرز نتائج فتح مكة.
(٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٥/٤٦ ـ ٤٧).
(٥) المرجع نفسه (٥/٤٧).
(٦) انظر: أبوتراب الظاهري: وفود الإسلام، ص٨.

أكبر إسهام في إيراد أخبار تلك الوفود، ويعاب عليه وعلى شيخه الواقدي وابن إسحاق إهمال الإسناد إلا نادرا، وحتى معظم هذه الأسانيد النادرة لا يخلو معظمها من مطعن من حيث ضعف الرجال أو الإرسال.

وسأشير في كتابي هذا إلى أسماء معظم الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ، دون الدخول في تفاصيل أخبارها، لأن ذلك مما يطول الكلام فيه. وقد أفرد له أبوتراب الظاهري كتابا مفيدا[7]. وهاكها:

١) وفد مُزَينة: قدموا على رسول الله ﷺ في رجب سنة خمس[8] وكان عددهم أربعمائة وعندما أرادوا الانصراف أمر الرسول ﷺ عمر أن يزودهم، فقال عمر: «ما عندي إلا شيء من تمر، ما أظنه يقع من القوم موقعا»، فقال له الرسول ﷺ: «انطلق فزودهم»، فانطلق بهم عمر، فأدخلهم منزله فاذا فيه من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم، وخرجوا. قال النعمان بن مقرن ـ راوي الخبر ـ: «وكنت في آخر من خرج فالتفت فإذا فيها من التمر مثل الذي كان»[9]. وفي هذا معجزة من معجزات النبي ﷺ.

٢) وفد بني تميم: ذكر البخاري قدوم هذا الوفد، كما حكت سورة الحجرات عنهم من تصرفات مجافية لآداب الاستئذان والمخاطبة، حيث آذوا الرسول ﷺ بصياحهم له من وراء حجراته، طالبين منه أن يخرج إليهم ليفاخروه، ولم يستأذنوا عليه[10].

وذكر ابن إسحاق[11] تفاصيل خبر قدومهم وأسماء أفراد وفدهم وما دار بينهم وبين الرسول ﷺ وشاعره حسان وخطيبه ثابت بن قيس، وشاعرهم الزبرقان بن بدر وخطيبهم عطارد بن حاجب.

---

(٧) المرجع نفسه، وهو في خمس ومائتي صفحة، وذكر فيه أكثر من ستين وفدا.
(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١/ ٢٩١) من رواية الواقدي، وفيه كثير بن عبدالله المزني...
(٩) أحمد: المسند (٥/ ٤٤٥) ورجاله ثقات وسنده حسن، وأخرجه غيره، انظر في هذا البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٦٥ - ٣٦٧) وقارن بين الروايات.
(١٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٠٦/ح ٤٣٦٥).
(١١) ابن هشام (٤/ ٢٧٤ - ٢٨٣) معلقا، وانظر ابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٥٢٣).

وكان قدومهم على الرسول ﷺ في أول السنة التاسعة الهجرية[١٢].

٣) **وفد عبدالقيس:** ذكر البخاري[١٣] أنهم عندما وفدوا على الرسول ﷺ رحب بهم قائلا: «مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى»، فقالوا: يارسول الله، إن بيننا وبينك المشركين من مضر وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم، حدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو به من وراءنا. قال: « آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا اله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس، وأنهاكم عن أربع: ما انتبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت».

والذي يتبين من هذا الحديث ـ كما نبه إلى ذلك ابن حجر[١٤] ـ أنه كان لعبد القيس وفادتان... إحداهما قبل الفتح، ولهذا قالوا للنبي ﷺ: «بيننا وبينك كفار مضر»، وكان ذلك قديما، أما في سنة خمس أو قبلها. وكانت قريتهم بالبحرين، أول قرية أقيمت فيها جمعة بعد المدينة كما ثبت في حديث آخر رواه البخاري[١٥] في باب (وفد عبدالقيس)... وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلا... وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة. وكان فيهم الأشج، وقال له النبي ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». كما أخرج ذلك مسلم[١٦] من حديث أبي سعيد. وروى أبوداود[١٧] من طريق أم أبان بنت الوازع عن جدها زارع ـ وكان في وفد عبدالقيس ـ قال: «فجعلنا نتبادر من رواحلنا ـ يعني لما قدموا المدينة ـ فنقبل يد النبي ﷺ، وانتظر الأشج، واسمه

---

(١٢) انظر الدياربكري: تاريخ الخميس (٢/ ١١٨ ـ ١١٩)، وانظر خبرهم عند الكلام عن سرية عيينة ابن حصن الفزاري إلى بني العنبر

(١٣) الفتح (١٦/ ٢٠٨/ح ٤٣٦٨، ٤٣٦٩)، مسلم (١/ ٤٦ ـ ٥٠/ح ١٧ ـ ١٨) وغيرهما.
والدباء: وعاء القرع اليابس، والحنتم: الجرار الخضر التي يجلب فيها الخمر، والنقير، جذع ينقرون وسطه وينبذون فيه، والمزفت: المطلي بالقار. وانظر تخريج الحديث في غير البخاري ومسلم، البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٢٥/ الحاشية).

(١٤) الفتح (١٦/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨/ ب. وفد عبد القيس).

(١٥) الفتح (١٦/ ٢٠٨/ح ٤٣٧١).

(١٦) مسلم (١/ ٤٦ ـ ٤٩/ح ١٧ ـ ١٨).

(١٧) نقله عنه البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، ورواه أحمد: المسند (٤/ ٢٠٦).

المنذر، حتى لبس ثوبيه فأتى النبي ﷺ فقال له: «إن فيك لخصلتين.... الحديث»، وفي حديث هود بن عبدالله بن سعيد العَصْرِي أنه سمع جده فريدة العصري[18] قال: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق»، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقول النبي ﷺ، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها، وتأخر الأشج في الركاب حتى أناخها وجمع متاعهم ثم جاء يمشي، فقال النبي ﷺ: «إن فيك خصلتين... الحديث»[19]. والوفادة الثانية كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا كما في حديث أبي حَيْوة الصناحي الذي أخرجه ابن منده، وكان فيهم الجارود العبدي[20]. وقد ذكر ابن إسحاق[21] قصته، وأنه كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه. ويؤيد التعدد ما أخرجه ابن حبان[22] من وجه آخر أن النبي ﷺ قال لهم: «مالي أرى ألوانكم تغيرت». ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير.

٤) **وفد بني حنيفة**: روى البخاري[23] من حديث ابن عباس أن مسيلمة الكذاب قدم على النبي ﷺ في بشر كثير من قومه بني حنيفة، فجعل يقول: «إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته»، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مُسَيْلِمَة في أصحابه، فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني

---

(١٨) له ترجمة في ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٩٦) و (٤/ ٤١٧).

(١٩) رواه البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٢٦ - ٣٢٧)، وأبويعلى والطبراني بسند جيد كما ذكر محقق دلائل النبوة للبيهقي، ونقله ابن كثير: البداية (٥/ ٥٥) عن دلائل النبوة للبيهقي، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص٢٠٥/باب: التؤدة في الأمور مطولا من وجه آخر عن رجل من وفد عبد القيس لم يسمه، كما قال ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٠٨).

(٢٠) ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٠٧ - ٢٠٨/ ب. وفد عبدالقيس.

(٢١) ابن هشام (٤/ ٢٩٣ - ٢٩٤) مرسلا عن الحسن ولم يسم ابن إسحاق من حدثه، والطبري: التاريخ (٣/ ١٦١ - ١٦٢) وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسماع وتبقى علة الإرسال عن الحسن البصري.

(٢٢) ذكره ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٠٨).

(٢٣) الفتح (١٦/ ٢١٣/ح ٤٣٧٣).

لأراك الذي أريت في ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني»، ثم انصرف عنه.

وقد سأل ابن عباس أباهريرة عن قوله ﷺ: «وإني لأراك الذي أريت في ما أريت»، فأخبره أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحي إليَّ في المنام، أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي، أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة[٢٤]».

ونـزل مسيلمة الكذاب في دار بنت الحارث[٢٥]، وكانت دارها معدة للوفود كما يفهم من رواية البخاري ومن روايات ابن سعد[٢٦]، بل يفهم من روايات ابن سعد[٢٧] والواقدي[٢٨] وابن إسحاق[٢٩] أنها كانت تستخدم في حبس الأسرى.

أما بقية خبر مسيلمة الكذاب عندما كتب إليه الرسول ﷺ فانظره في رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء من هذا الكتاب، وعند البيهقي[٣٠] والذهبي[٣١] وأبي تراب[٣٢] حيث جمعوا أخباره من مصادرها المختلفة.

٥) **وفد نجران**: ثبت في الصحيح أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ـ أي يباهلانه[٣٣]، فقال أحدهما لصاحبه: «لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا

---

(٢٤) الفتح (١٦/ ٢١٣/ح ٤٣٧٤، ٤٣٧٥). وانظر القصة كاملة عند ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة (٢/ ٥٧٥) بإسناد ضعيف، ولكن له أصل في الصحيح، كما ترى.

(٢٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢١٥/ح ٤٣٧٨).

(٢٦) الطبقات (١/ ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٦).

(٢٧) الطبقات (٢/ ١٦١)، (٧/ ١٠٢).

(٢٨) المغازي (٢/ ٥١٢) وعنده أن بني قريظة حبسوا في دار بنت الحارث قبل أن يقادوا إلى القتل.

(٢٩) ابن هشام (٣/ ٣٣٣) معلقا. وعنده أن بني قريظة حبسوا في دارها قبل أن يقتلوا.

(٣٠) دلائل النبوة (٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣٥).

(٣١) المغازي، ص ص ٦٨٢ ـ ٦٨٦.

(٣٢) وفود الإسلام، ص ص ٣٤ ـ ٤٨.

(٣٣) جاء ذكر المباهلة، وهي الدعاء باللعنة، في قوله تعالى ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ ـ آل عمران: ٦١.

من بعدنا». وقالا: «إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا». فقال: «لأبعثن رجلا أمينا حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول ﷺ، فقال: «قم ياأباعبيدة بن الجراح». فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»(٣٤) فخرج معهم أبوعبيدة ليقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه(٣٥). جاء خبر وفد نصارى نجران عند ابن إسحاق(٣٦)، وفيه أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ وهو بمكة، وهم حينئذ عشرون رجلا أو قريب من ذلك. وأعاد ذكرهم في أخبار الوفود بالمدينة وهم ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، إلى العاقب - أمير القوم، وذي رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبدالمسيح - وإلى السيّد... صاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وإلى أبي حارثة بن علقمة - أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وسرد بقية أسماء الأربعة عشر. ويفهم من هذا أنهم قدموا مرتين.

وروى البيهقي(٣٧) والذهبي(٣٨) وابن حجر(٣٩) هذا الخبر نفسه مسندا وموصولا من طريق ابن إسحاق، من حديث كُرْز بن علقمة، وفيه أن أشرافهم كانوا أربعة وعشرين بدلا من أربعة عشر كما في سيرة ابن هشام.

وقال ابن سعد(٤٠) إن النبي ﷺ كتب إليهم فخرج إليه وفدهم في أربعة عشر رجلا من أشرافهم، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وتلا عليهم

---

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢١٨/ح ٤٣٨٠، ٤٣٨١)، مسلم (٤/١٨٢٢/ح ٢٤٢٠) مختصرا.
(٣٥) ابن إسحاق، من حديث محمد بن جعفر، منقطعا - ابن هشام (٢/٢٦٦).
(٣٦) ابن هشام (٢/٣٦، ٢٥٤ - ٢٥٧) معلقا ومطولا.
(٣٧) دلائل النبوة (٥/٣٨٢ - ٨٣).
(٣٨) المغازي، ص ٦٩٥ - ٦٩٦، وفي إسناده بريدة بن سفيان، وهو ليس بالقوي، وفيه رفض كما قال ابن حجر في التقريب، ص١٢١، وابن البيلماني (محمد بن عبدالرحمن) وهو ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان.
(٣٩) الإصابة (٣/٢٩٢) وفيه أنهم سبعون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم.
(٤٠) الطبقات (١/٣٥٧ - ٣٥٨) بإسناد ضعيف، لأن فيه محمد بن علي القرشي، وهو صدوق، وأبا معشر السندي، وهو ضعيف - (التقريب ٤٩٧، ٥٥٩ على التوالي) ولكن يتقوى بالشواهد والمتابعات وثبوت الوفادة في الصحيح.

القرآن فامتنعوا، فقال إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم فانصرفوا على ذلك، ولكن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك، وقالا: «لا نلاعنك ولكن نعطيك ما سألت»، فأسلما.

وفي مرسل الشعبي عند ابن أبي شيبة أن النبي ﷺ قال: «لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعنة»[41]. وفي زيادات يونس[42] ابن بكير في المغازي بإسناد له أنه صالحهم على ألفي حلة: ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وساق الكتاب الذي كتبه بينهم مطولا. وفي هذه الرواية أن الرسول ﷺ كتب إلى أهل نجران يدعوهم إلى الإسلام، فان أبوا فالجزية، فإن أبوا فالحرب، فذعروا واجتمعوا وتشاوروا واتفقوا على إيفاد شُرَحْبِيل بن وَدَاعَة الهمداني وعبدالله ابن شرحبيل الأصبحي وصابر بن فيض الحارثي، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فجاءوا، وعندما دخلوا المدينة وضعوا ثياب السفر ولبسوا حللا لهم يجرونها وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتكلموا معه طوال النهار، فلم يكلمهم بسبب تلك الحال، فاستشاروا عثمان وابن عوف لمعرفتهم بهما، فطلبا رأي علي، فأشار بأن يضعوا حللهم تلك وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه، ففعلوا فرد سلامهم ثم ساءلهم وسألوه، وطلبوا فيه رأيه في عيسى، فطلب إمهاله إلى الغد، فنزلت الآيات: ٥٩ - ٦١ من سورة آل عمران ﴿إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم... فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... ﴾آية المباهلة فأبوا أن يقروا بذلك.

وفي الغد جاءهم النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة للملاعنة، وعندها خاف شرحبيل من الهلاك ورأى مع صاحبيه أن يحكما

---

(٤١) ابن حجر: الفتح (٢١٨/١٦)، وانظر ابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٥٨٠ - ٥٨٣) مختصرا من مرسل الشعبي بإسناد رجاله ثقات.

(٤٢) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥ - ٣٩١) مطولا جدا. وإسناده ضعيف لجهالة سلمة بن يسوع فمن فوقه، ابن كثير: البداية (٥/ ٦٠ - ٦٤)، ابن كثير: التفسير (٤٣/٢) ونسبه إلى البيهقي وقال: «وفيه غرابة».

الرسول ﷺ، فرجع رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم كتابا فيه حكمه عليهم وهو ألفا حلة: في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة، وذكر تمام الشروط، ثم أخذوا الكتاب وانصرفوا، وعندما دفعوا بالكتاب إلى أسقفهم في نجران، وكان معه أخ له من أمه يدعى بشر بن معاوية، وكنيته أبوعلقمة، فبينما الأسقف يقرأ الكتاب وأبوعلقمة معه، وهما يسيران، إذ كَبَتْ ببشر ناقته، فتعس بشر، غير أنه لا يكني عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعست نبيا مرسلا، فقال له بشر: لا جرم، والله لا أحل عنها عقدا حتى آتي رسول الله ﷺ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة، وحاول الأسقف إرجاعه مبينا أنه قصد من قوله مخادعة العرب مخافة أن يروا أنهم خضعوا للنبي ﷺ وهم أعز العرب، فلم يقبل منه بشر قولا، فجاء النبي ﷺ وأسلم ومات شهيدا في الجهاد... ثم إنه بعد ذلك أتى الأسقف ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه النبي ﷺ وأقاموا عنده يسمعون القرآن، ثم عادوا وقد كتب للأسقف وأساقفة نجران بعده كتابا فيه أمان لهم ما أصلحوا ونصحوا[٤٣]. وهو ما ذكر مختصراً في الصحيح.

وثبت أيضا أن الرسول ﷺ بعث إليهم المغيرة بن شعبة، وعندما قدم إليهم سألوه قائلين: «إنكم تقرؤون: يا أخت هارون وموسى، قبل عيسى بكذا وكذا» فلما قدم على رسول الله ﷺ سأله عن ذلك، فقال له: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[٤٤].

٦) **وفد الأشعريين**: ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري أنه عندما بلغهم مخرج النبي ﷺ وهم باليمن خرجوا مهاجرين إليه ومعهم أخوان له، هو أصغرهم، أحدهما أبوبُردة والآخر أبورهم، وهم في بضعة أو في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومه، فركبوا سفينة،

---

(٤٣) البيهقي دلائل النبوة (٥/ ٣٨٥ - ٩١) ونقله عنه ابن كثير: البداية (٥/ ٦١ - ٦٤) وخبر مجيء الأسقف والسيد والعاقب رواه ابن إسحاق، مرة معلقا، ومرة مرسلا، من حديث محمد بن جعفر. انظر: ابن هشام (٢/ ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٤٤) مسلم (٣/ ١٦٨٤/ح ٢١٣٥)، الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٧٤/ح ٣٣٧٧) وحسنه.

فألقتهم إلى النجاشي بالحبشة، ووافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فطلب منهم جعفر أن يقيموا معهم لأن رسول الله ﷺ بعثهم إلى هاهنـا وأمرهم بالإقامة، فأقاموا معه، حتى قدموا جميعا، فوافقوا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لهم[٤٥].

٧) **وفد الحميريين من أهل اليمن**: ذكر ابن حجر[٤٦] أنه وجد في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس بن عمير الحميري أنه قدم وافدا على رسول الله ﷺ في نفر من حمير، فقالوا: «أتيناك لنتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر قال كان الله ليس شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال اكتب ماهو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن واستوى على عرشه».

وهؤلاء الحميريون هم الذين جاء ذكرهم في الصحيح، وذلك عندما جاءت بنو تميم إلى الرسول ﷺ فقال: «أبشروا يابني تميم»، فقالوا: «أما إذا بشرتنا فأعطنا». فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء ناس من أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: «قد قبلنا يارسول الله»[٤٧].

وكان ذلك في العام التاسع، عام الوفود[٤٨].

٨) **وفد طيء**: قدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم زيد الخيل، الذي سماه الرسول ﷺ زيد الخير، وهو سيدهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، وأقطع الرسول ﷺ زيدا أرضا، وكتب له كتابا بذلك، ومات بالحمى في طريق عودته. ولما مات أحرقت زوجته ما كان معه من كتب لجهلها[٤٩].

٩) **وفد بني عامر**: ثبت في الصحيح أن عامر بن الطفيل أتى النبي ﷺ

---

(٤٥) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٢٢ - ٢٣/ح ٣١٣٦) وانظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٢٢). وقد ضعف قول من قال: إنهم قدموا على الرسول ﷺ بمكة قبل الهجرة، مسلم (٤/ ١٩٤٦/ح ٢٥٠٢)، وغيرهما.

(٤٦) الفتح (١٦/ ٢٢٢) و (١٣/ ٥ - ٦) حيث روى طرفا منه، ورواه كاملا في الإصابة (٣/ ٥٤٤) ترجمة نافع بن زيد الحميري، وقال إن فيه عدة مجاهيل.

(٤٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٢٣/ح ٤٣٨٦).

(٤٨) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٢٢).

(٤٩) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧)، ابن سعد (١/ ٣٢١).

فقال: أخيرك بين خصال ثلاث: «يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان، بألف أشقر وألف شقراء»، فطعن في بيت امرأة، فقال: «أغدة كغدة البعير، في بيت امرأة من آل بني فلان، ائتوني بفرسي»، فركب، فمات على فرسه[٥٠].

وروى أحمد[٥١] وأبوداود[٥٢] من حديث مطرف بن عبدالله عن أبيه أنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان».

وروى الطبراني[٥٣] في الكبير بسنده إلى ابن عباس أن إربد بن قيس ابن جزء وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فانتهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال ابن الطفيل: «يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمت؟» فقال رسول الله ﷺ: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم». قال عامر: «أتجعل لي الأمر من بعدك إن أسلمت؟» فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل». قال: «أنا الآن في أعنة خيل أهل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر. قال رسول الله ﷺ: «لا» فلما قفا من عنده، قال: «أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا»، فقال رسول الله ﷺ: «يمنعك الله»، وتآمر ابن الطفيل وإربد على قتل النبي ﷺ، وكانت خطتهما أن يشغل ابن الطفيل

---

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٦٨/ح ٤٠٩١) وقال ابن حجر/ الفتح (١٥/ ٢٦٩): إن الطبراني قد بين نسب المرأة من حديث سهل بن سهد، فقال: «امرأة من آل سلول...».

(٥١) المسند (٤/ ٢٥).

(٥٢) السنن: (٥/ ١٥٤/ ك. الأدب/ ب. كراهية التمادح/ح ٤٨٠٦). وإسناد أحمد وأبي داود صحيح كما قال محقق زاد المعاد: (٣/ ٦٠٣). وانظر الحديث في: البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣١٨) من حديث يزيد بن عبدالله بن العلاء.

(٥٣) ابن كثير: التاريخ (البداية والنهاية) - (٥/ ٦٨ - ٦٩)، والتفسير (٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧) وفي إسناده عبدالعزيز بن عمران -وهو متروك. (وكما علمت فإن أصل خبر هلاك ابن الطفيل بالطاعون ثابت في الصحيح). وروى هذه القصة ابن إسحاق معلقا، وذكر ابن هشام (٤/ ٢٨٦) سبب نزول الآيات المذكورة بنفس إسناد الطبراني ولكنه علقه إذ حذف من هم قبل زيد بن أسلم.

الرسول ﷺ بالحديث فيضربه إربد فيقتله، فلا تكون إلا الدية، لأن الناس ستكره الحرب، ولكن الله عصمه منهما، إذ لم يستطع إربد أن يفعل شيئا، وأهلك الله عامرا بالغدة وإربدا بالصاعقة، فأنزل الله فيهما: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ - إلى قوله - ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ يعني محمدا، و﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ الآيات(٥٤).

ووفد على رسول الله ﷺ أيضا من بني عامر: عامر بن مالك، المدعو بملاعب الأسنة، فدعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يارسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، . . . فكانت قصة أهل بئر معونة كما ذكرنا ذلك في مكانه.

وروي أن عامر بن مالك بعث إلى رسول الله ﷺ يلتمس منه دواء، فبعث إليه بعكة من عسل(٥٥). وروى ابن شبة(٥٦) أنه قدم على رسول الله ﷺ مع خمسة وعشرين رجلا من بني جعفر ومن بني أبي بكر، فيهم الضحاك ابن سفيان الكلابي، فاستعمل رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان عليهم، واستعمل عامرا على بني جعفر، وطلب من الضحاك أن يستوصي خيرا بعامر. وهذا يدل على أن عامرا قد وفد أخيراً مسلما، ويبدو أن ابن حجر(٥٧) قد رجح أن يكون ملاعب الأسنة في الصحابة.

١٠) **وفد جـــذام**: قدم رفاعة بن زيد الجذامي في عشرة من قومة على رسـول الله ﷺ في زمن هدنـة الحديبية وقبل خيبر، فأسلم وحسن إسلامه، وأهدى لرسول الله ﷺ غلاما، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا

---

(٥٤) الرعد: ٨ - ١٣.

(٥٥) ابن حجر: الإصابة (٢/ ٢٥٨) وعزاه إلى ابن العربي في معجمه وابن منده والبغوي، وقال إن البغوي أخرجه بإسناد صحيح.

(٥٦) تاريخ المدينة المنورة (٢/ ٥٩٧ - ٥٩٨) من حديث ابن إسحاق عن مشيخة بني عامر، وهو منقطع.

(٥٧) الإصابة (٢/ ٢٥٨) - ترجمة عامر بن مالك. وانظر مناقشة ابن حجر لهذا الأمر.

وبعثه إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا[٥٨].

١١) **وفد بني سعد بن بكر**: بعث بنو سعد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد بين أصحابه، فأخذ يسأل الرسول ﷺ عن أركان الإسلام التي سمع بها، وينشده الله أن يصدقه عند ذكر كل فريضة، والرسول ﷺ يجيبه، حتى إذا فرغ من ذلك نطق بالشهادتين، وأسلم، ثم عاد إلى بعيره، فانطلق به إلى قومه، فأخبرهم خبر الرسول ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام ونبذ اللات والعزى، فأسلموا جميعا حتى إن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: «فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»[٥٩].

وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح لأن العزى خربها خالد أيام الفتح[٦٠].

وتدل قصة إسلامه على مدى انتشار تعاليم الإسلام في وسط القبائل العربية. حتى جاء ضمام لا ليسأل عنها ولكن جاء ليستوثق منها، معددا لها الواحدة تلو الأخرى، مما يدل على استيعابه لها قبل مجيئه إلى الرسول ﷺ.

---

(٥٨) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٢٢ - ٣٢٣)، ابن حجر: الإصابة (٣/ ٤٤١) من حديث ابن إسحاق من رواية عمير بن معبد بن فلان الجذامي عن أبيه، ابن سعد (١/ ٣٥٤) من حديث الواقدي، ابن حجر: الفتح (١٦/ ٧٢) من حديث الواقدي، ابن منده، من طريق حميد بن رومان عن زياد بن سعد عن أبيه، وفيه أنه في عشرة من قومه - انظر ابن حجر: الإصابة (١/ ٥١٨)، الأموي: المغازي والمحاملي: الامالي، كما نقله عنهما ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٤١ - ٤٤٢)، الطبراني، متصلا ومنقطعا مختصرا من طريق ابن إسحاق، وفي المتصل جماعة مجهولون، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٠٩ - ٣١٠). ومما يقوي هذا الحديث ما ثبت في الصحيحين أن رفاعة بن زيد أهدى لرسول الله ﷺ غلاما أسودا اسمه مدعم، وذكرت قصة مقتله في وادي القرى حين منصرف الرسول ﷺ من خيبر، كما في الصحيح.

(٥٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن - وهو موقوف على ابن عباس (رضي الله عنه) - ابن هشام (٤/ ٢٩١ - ٢٩٣)، ورواه عنه: أحمد في المسند، الفتح الرباني: (٢١/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٧٠ - ٧٢)، والحاكم: المستدرك (٣/ ٥٤ - ٥٥)، وابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٥٢١)، وابن الأثير: أسد الغابة (٣/ ٤٢)، والبيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٧٤ - ٣٧٧)، وابن سعد (١/ ٢٩٩)، وابن ماجه: صحيح ابن ماجه - الألباني (١/ ٢٣٥ - ٢٣٦/ح ١٤٠٢) وصححه وأحال إلى تصحيحه في: صحيح أبي داود (رقم: ٥٠٤).

(٦٠) قاله ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٧٠).

١٢) **وافد دوس - الطفيل بن عمرو** - وقصته: روى ابن إسحاق[٦١] من حديث **الطفيل** بن **عمرو** الدوسي أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، لأنه كان رجلا شريفا شاعرا لبيبا، وأرادوا أن يصرفوه عن الاستماع إلى الرسول ﷺ وحاولوا إقناعه بشتى الحجج حتى أجمع ألا يسمع من الرسول ﷺ، وحشا أذنيه قطنا ثم أتى المسجد، وأقام قريبا من الرسول ﷺ وأبى الله إلا أن يسمع منه بعض قوله، فسمع كلاما حسنا ثم قال في نفسه إنه ما دام رجلا لبيبا شاعرا ما يخفى عليه الحسن من القبيح فلماذا لا يسمع من الرسول ﷺ. فمكث حتى انصرف الرسول ﷺ إلى بيته فجاءه وحكى له ما حدث من قريش وسمع منه فأعجبه ما قال فأسلم، وطلب أن يدعو الرسول ﷺ الله ليجعل له آية تكون عونا له على دعوة قومه. فكان أن جعل الله له نورا في رأس سوطه. وعندما عاد كان أول من أسلم على يديه والده وأمه، وأبطأت عليه دوس، فعاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو الله عليهم، ولكن الرسول ﷺ قال: «اللهم اهد دوسا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». فرجع وأخذ يدعو إلى الإسلام إلى ما بعد غزوة الخندق، ثم قدم بمن أسلم من قومه على رسول الله ﷺ وهو بخيبر، وهم نحو سبعين أو ثمانين بيتا من دوس، ثم لحقوا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لهم مع المسلمين[٦٢]، فلم يزل مع الرسول ﷺ حتى إذا فتح مكة طلب أن يبعثه إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة، فأحرقه[٦٣].

أما حديث الرسول ﷺ: «اللهم اهد دوسا...» فأصله في الصحيح

(٦١) ابن هشام (٢/ ٢٥ - ٢٩) - معلقا، وقال محققا دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٢٣٨): «ووصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو، وهو في سائر النسخ بغير إسناد». ولم نقف -حتى الآن- على هذا الإسناد لنحكم عليه.

(٦٢) سبق ذكر ذلك عند الكلام عن تقسيم غنائم غزوة خيبر.

(٦٣) سبق ذكره في خبر السرايا بين غزوة حنين وتبوك - الفصل ٢٤ المبحث رقم ١.

من رواية البخاري ومسلم(٦٤). ومما يثبت أن الطفيل قد قدم على الرسول ﷺ وهو بمكة ما رواه مسلم(٦٥) من حديث جابر أن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله! هل لك في حصن حصين ومنعة؟ ـ حصن كان لدوس في الجاهلية ـ فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل وهاجر معه رجل من قومه... الحديث».

١٣) **وفادة فَرْوَة بن مُسَيْك المُرَادي**: روى أهل المغازي والسير في خبر طويل أن فروة بن مسيك المرادي قدم على رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم، فأسلم، فاستعمله النبي ﷺ على مراد وَزُبَيْد وَمَذْحِج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ(٦٦).

وروى بعض أهل الحديث ما يثبت هذه الوفادة. فقد روى الإمام أحمد(٦٧) والترمذي(٦٨) بسنديهما إلى فروة بن مسيك، قال: «أتيت رسول

---

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٢٧/ح ٤٣٩٢) ولفظه: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: «إن دوسا قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوسا وأت بهم»، مسلم (٤/ ١٩٥٧/ح ٢٥٢٤) وفيه: «قدم الطفيل بن عمرو وأصحابه... إن دوسا قد كفرت وأبت... فقيل: هلكت دوس...». ورواه أحمد: المسند (١٣/ ٣٩/ح ٧٣١٣/ شاكر) وصححه، وقال ابن كثير: البداية (٢/ ١١٠): «إسناده جيد ولم يخرجوه»، وهذا مما يدل على أن لرواية ابن إسحاق أصلا. ويؤيد ذلك ما ذكرته بأسانيد صحيحة عن قدومهم إلى الرسول ﷺ بخيبر وإسهامه لهم. فانظره في مكانه من الكتاب.

(٦٥) الصحيح (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩/ح ١١٦).

(٦٦) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤)، ورواه الطبري: التاريخ (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٦) من طريق ابن إسحاق بإسناد منقطع إذ لم يسم عبدالله من حدثه، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وابن سعد (١/ ٣٢٧) مختصرا من طريق الواقدي، ويشهد لرواية ابن إسحاق ما ثبت في الروايات الصحيحة عند أهل الحديث عن خبر وفادة فروة.

(٦٧) عزاه إليه ابن كثير: التفسير (٦/ ٤٩٢). وذكر بعض المحققين أنهم لم يجدوا هذا الحديث في المسند... وقد جود ابن كثير إسناده، وإن كان فيه أبوجناب الكلبي، وقد تكلموا فيه، ثم قال: «لكن رواه ابن جرير في التفسير (٢٢/ ٥٣) عن...، فذكره».
ولهذا الحديث شاهد من طريق أخرى من حديث ابن أبي حاتم بسنده إلى علي بن رباح فقد أورده ابن كثير في التفسر (٦/ ٤٩٢) وقال عنه: «فيه غرابة من حيث ذكر اية ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم...﴾ والسورة مكية كلها.

(٦٨) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٥ ـ ٩٦/ح ٣٤٥٢) وقال الألباني: «حسن صحيح». وانظر الحديث عند: ابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥١) من طريقين ضعيفين تنجبر الطريق الثانية وتتقوى بحديث أحمد والترمذي.

الله ﷺ فقلت: يارسول الله، أقاتل بمقبل قومي مدبرهم؟» قال: نعم، فقاتل بمقبل قومك مدبرهم». فلما وليت دعاني فقال: «لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام»... الحديث.

١٤) **وفد كِنْدة**: روى ابن إسحاق[٦٩] أنه قدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة في ثمانين راكبا، فدخلوا على رسول الله ﷺ وعليهم ثياب مطرزة بالحرير، فاستنكر ذلك رسول الله ﷺ منهم، لأنهم أسلموا، فشقوه فألقوه، ثم قال له الأشعث: «يارسول الله، نحن بنو آكلِ المُرَار[٧٠]، وأنت ابن آكل المرار»، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «ناسبوا بهذا النسب: العباس بن عبدالمطلب، وربيعة ابن الحارث» وكانا تاجرين إذا شاعا في العرب فسئلا ممن أنتما؟ قالا: نحن بنو آكل المرار، يعني يُنسَبان إلى كندة ليعزا في تلك البلاد، لأن كندة كانوا ملوكا، فاعتقدت كندة أن قريشا منهم، لقول عباس وربيعة... ثم قال رسول الله ﷺ لهم: «لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو[٧١] أمنا ولا ننتفي من أبينا»، فقال لهم الأشعث: «والله يامعشر كندة، لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين».

وروى طرفاً من هذا الحديث بإسناد صحيح: الإمام أحمد[٧٢] وابن ماجه[٧٣] وابن شبة[٧٤]، وذلك من قوله ﷺ: «لا، نحن بنو النضر... إلخ».

١٥) **وفد زبيد**: ذكر أهل السير أن عمرو بن معد يكرب قدم على رسول الله ﷺ في أناس من بني زبيد، فأسلم، وله قصة في حروب الردة،

---

(٦٩) ابن هشام (٤/٣٠٧ ـ ٣٠٩) من مرسل الزهري.
(٧٠) المرار: نبت اذا أكلته الإبل ارتفعت مشافرها وتقبضت لمرارته.
(٧١) لا نقفوا أمنا: أي لا نتبعها في نسبها.
(٧٢) المسند (٥/٢١٢)، والفتح الرباني (٢٠/١٧٧) وقال الساعاتي: «أخرجه ابن ماجه وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه: هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات...».
(٧٣) الألباني: صحيح سنن ابن ماجة (٢/رقم ٢١١٥ ـ ٢٦١٢) وحسنه الألباني وقوى إسناده محقق زاد المعاد (٣/٦١٨).
(٧٤) تاريخ المدينة (٢/٥٤٧) بإسناد صحيح.

حيث ارتد[٧٥]، ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه[٧٦]. وقيل إنه لم ير النبي ﷺ استنادا إلى قوله:

إنني بالنبي موقنة نفسي * وإن لم أر النبي عيانا

وقوله:

إن نكن لم نر النبي فإنا * قد تبعنا سبيله إيمانا[٧٧]

وكان وفوده إلى النبي ﷺ سنة تسع[٧٨]، وقيل سنة عشر فيما ذكره ابن إسحاق والواقدي[٧٩].

...) قدوم أعشى بن مازن على النبي ﷺ: ـ وفادة خاصة: ـ

قدم على النبي ﷺ رجل يقال له الأعشى، واسمه عبدالله الأعور، من بني مازن، مستجيرا بالرسول ﷺ لرد امرأته الناشز التي عاذت برجل من قومه يدعى مطرف بن نهشل، فنصره الرسول ﷺ بأن كتب إلى مطرف، فدفع مطرف إلى الأعشى زوجته[٨٠].

وهذه الوفادة تعتبر وفادة في قضية خاصة كما هو واضح من قصتها.

١٦ ـ ١٧) **وفد الأزد، ثم وفد أهل جُرَش**: قدم صُرَد بن عبدالله الأزدي في وفد من الأزد على رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قبل اليمن، ففعل، فنزل جُرَش، وهي يومئذ مدينة حصينة، وبها قبائل من اليمن، وقد انضمت إليهم خَثْعَم،

---

(٧٥) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦)، الطبري: التاريخ (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٤) من رواية ابن إسحاق عن شيخه عبدالله بن أبي بكر، ولم يصرح فيه بالسماع، ابن سعد (١/ ٣٢٨) من رواية الواقدي.

(٧٦) ابن سعد (١/ ٣٢٨) من طريق الواقدي، وانظر ترجمته في الإصابة (١٨١٣ ـ ٢١)، والاستيعاب (٢/ ٥٢٠).

(٧٧) ابن كثير: البداية (٥/ ٨٢ ـ ٨٣) وعزاه إلى ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه.

(٧٨) و (٧٩) ابن كثير: البداية (٥/ ٨٢) معلقا.

(٨٠) من رواية عبدالله بن الإمام أحمد، من زيادات المسند، نقلها ابن كثير في البداية (٥/ ٨٤ ـ ٨٥) وإسنادها ضعيف. ومن رواية ابن أبي عاصم والبغوي وابن السكن من نفس طريق عبدالله ابن أحمد، نقلها ابن حجر في الإصابة (٣/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦).

فتحصنوا بها عندما سمعوا بمسير المسلمين، فحاصرهم صرد قريبا من شهر، ثم تركهم، وعندما بلغ جبلا لهم يقال له كَشَر ظنوا أنه ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه كر عليهم فقتلهم قتلا شديدا.

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ ينظران أمره، فبينما هما عنده نعى لهما قومهما، فسألاه أن يرفع الله عنهم القتل، وجاءا إلى قومهما فوجدا أن ما قاله لهما الرسول ﷺ قد وقع في الزمان والمكان الذي ذكره لهما الرسول ﷺ فقدم وفد منهم على رسول الله ﷺ فأسلموا[٨١].

وروى أبونعيم وأبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري عن الداراني عن علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي عن أبيه عن جده سويد بن الحارث، والعسكري والرشاطي وابن عساكر من وجهين آخرين وأبو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى من وجه آخر، قال: «وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ...» وذكر خصالا أمرهم بها رسل رسول الله ﷺ وخصالا تخلقوا بها في الجاهلية، وزادهم الرسول ﷺ خمسة خصال فكملت عشرين، وهذه الخمسة هي: «فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون» فانصرفوا وقد حفظوا وصيته[٨٢].

وكان ممن وفد على النبي ﷺ في وفد الأزد خباوة بن مالك الأزدي[٨٣].

---

(٨١) من رواية ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٠٩ - ٣١١)، ورواه الطبري في التاريخ (٣/ ١٥٨ - ١٥٩) من طريق ابن إسحاق بإسناد منقطع من حديث شيخه عبدالله بن أبي بكر، وقد صرح بالسماع، وابن سعد (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨) من حديث الواقدي.

(٨٢) أورده بن حجر: الإصابة (٢/ ٩٨) في ترجمة سويد بن الحارث الأزدي، وسنده ضعيف لأن علقمة ابن يزيد بن سويد لا يعرف، وأتى بخبر منكر، فلا يحتج به، كما قال الذهبي في الميزان.

(٨٣) ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٢٩٩ - ٣٠٠).

وعرف هذا الوفد بـ «وفد أزد شنوءة». ولأزدعُمان أيضاً وفادة على النبي ﷺ، سنشير إليها عند ذكر الوفود إجمالاً. وفي هذا انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٦/ ٤٠٢).

١٨) **قدوم رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم:** قدم على رسول الله ﷺ رسول حمير يحمل كتابا منهم فيه إعلان إسلامهم، وذلك عند مقدمه من تبوك، وهم: الحارث بن عبد كُلال، ونُعَيم بن عبد كُلال، والنُّعمان ـ صاحب ذي رُعَيْن ومَعَافِر وهَمْدَان، وبعث إليه زُرْعَة ذو يَزَن مالك بن مرة الرَّهَاوِي بإسلامهم، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتابا فيه مالهم وما عليهم، وبالذات أنصبة الزكاة والجزية على من بقي على يهوديته أو نصرانيته، وسمى لهم من أرسله إليهم: معاذ بن جبل وعبدالله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وغيرهم، وأميرهم معاذ، وأوصى بهم برسله خيرا[٨٤].

وكان ذلك في رمضان سنة تسع من الهجرة[٨٥].

١٩) **قدوم جرير بن عبدالله البَجَلِيّ:** كان رسول الله ﷺ يخطب في المسجد عندما دخل جرير المدينة، وذكره الرسول ﷺ في خطبته قبل أن يدخل عليهم المسجد، فقال: «يدخل عليكم من هذا الباب ـ أو من هذا الفج ـ من خير ذي يمن، إلا أن على وجهه مسحة ملك»[٨٦]. فأسلم على يدي الرسول ﷺ وبايعه[٨٧]. وأكرمه الرسول ﷺ بأن ألبسه حلته، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[٨٨].

---

(٨٤) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣١١ ـ ٣١٣)، ابن سعد (١/ ٢٥٦) مختصرا من طريق الواقدي، وعبدالرزاق في المصنف (٤/ ١٣٦)، والبيهقي: السنن (٤/ ١٣٠)، كلاهما مختصرا من طريق واحد وبإسناد صحيح.

(٨٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٨٦) من رواية الواقدي.

(٨٦) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٦)، والطبراني، ورجالهما ثقات. وثبت أيضا قدوم وفد بجيلة من حديث أبي داود الطيالسي بإسناد صحيح، كما ذكر ابن حجر: الإصابة (٢/ ٢٢٠) وفيه أن الرسول ﷺ قال: «ابدؤا بالأحمسيين»، ودعا لهم.

(٨٧) البخاري/ الفتح (١١/ ١٤٠/ح ٢٧١٤، ٢٧٩٥)، مسلم (١/ ٧٥/ح ٥٦) وغيرهما ـ انظر: ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٨٩).

(٨٨) البيهقي: الدلائل (٥/ ٣٤٧) وغيره، وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٨٩): «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

والظاهر أن إسلامه كان متأخرا عن الفتح، فإن الإمام أحمد روى عنه قوله: «أسلمت بعدما أنزلت المائدة، وأنا رأيت رسول الله ﷺ يمسح بعدما أسلمت»[89].

وذكر ابن سعد[90] أن إسلامه وإسلام من كان معه في الوفد وعددهم مائة وخمسون رجلا[91]، كان في العام العاشر، في رمضان[92]. وهناك روايات أخرى تقول بأن جريرا قدم على النبي ﷺ في مائة رجل من بني بجيلة وبني قُشَيْر[93]، وقيل وفد في سبعمائة[94]، وقيل في خمسمائة[95].

٢٠) وافد حَضْرَمَوت: وفد على رسول الله ﷺ وائل بن حُجْر، أحد أقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم، ويقال إن رسول الله ﷺ بشر أصحابه قبل قدومه به، وقال: «يأتيكم بقية أبناء الملوك»، فلما دخل عليه رحب به وأدناه من نفسه، وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»، واستعمله على الأقيال من حضرموت، وكتب معه ثلاثة كتب، منها: كتاب إلى المهاجر بن أبي أمية وكتاب إلى الأقيال والعياهلة، وأقطعة أرضا، وأرسل معه معاوية ابن أبي سفيان (رضي الله عنه) ليريه إياها، وكان يسير راجلا، ووائل راكبا، فشكا معاويةُ إليه حر الرمضاء، وطلب أن يردفه معه على الناقة، فزجره قائلا: «اسكت فلست من أرداف الملوك... انتعل ظل الناقة»، وشاء الله أن يفد حجر على معاوية (رضي الله عنه) وهو

---

(٨٩) ابن كثير: البداية (٥/ ٩٠) وقال عنه: «تفرد به أحمد وهو إسناد جيد، اللهم إلا أن يكون منقطعا بين مجاهد وبينه».
(٩٠) الطبقات (١/ ٣٤٧) من طريق الواقدي.
(٩١) وهذا العدد ثابت في: البخاري/ الفتح (١٦/ ١٩١ - ١٩٢/ح ٤٣٥٦ - ٤٣٥٧).
(٩٢) ابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٣١١ - ٣١٣) من طريق الواقدي.
(٩٣) رواه الحاكم في الإكليل من حديث البراء بن عازب، كما ذكر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩١).
(٩٤) الطبراني، بإسناد ضعيف كما ذكر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩١).
(٩٥) ذكره ابن السكن في كتاب الصحابة، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ١٩١) وانظر توجيه ابن حجر لهذه الروايات ومحاولة التوفيق بينها.

أمير المؤمنين، فذكره بقصته معه. . .[٩٦].

وطلب الرسول ﷺ منه أن يصعد إليه على المنبر ففعل، فدعا له، ومسح رأسه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»، ونودي: الصلاة جامعة، ليجتمع الناس سرورا بقدوم وائل إلى رسول الله ﷺ[٩٧].

٢١) **وفد بني المُنْتَفِق**: قدم على رسول الله لَقْيط بن عامر بن المنتفق ومعه صاحب له يدعى نهيك بن عاصم، ودخلا عليه حين انصرف من صلاة الغداة وقام في الناس خطيبا. فعندما فرغ من خطبته تقدم إليه ابن عامر وقال له: يارسول الله، ماعندك من علم الغيب؟ فأخبره الرسول ﷺ وأخذ يسأله، والرسول ﷺ يجيبه، وذلك كله في حديث طويل[٩٨].

٢٢) **وفد صُدَاء**: روى البيهقي[٩٩] بإسناده إلى زياد بن الحارث الصدائي أنه أتى رسول الله ﷺ فبايعه على الإسلام، وعندما أخبر أن رسول الله ﷺ قد بعث جيشا إلى قومه، طلب من الرسول ﷺ أن يرد الجيش ويأتيه هو بإسلام قومه وطاعتهم، ففعل الرسول ﷺ ما أراده زياد،

---

(٩٦) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٣/ ٦٤٢ - ٦٤٣)، وابن حجر: الإصابة (٣/ ٦٢٨ - ٦٢٩)، معلقا - أما قصة إقطاع الرسول ﷺ إياه أرضا فقد رواها أبوداود: السنن: (٣/ ٤٤٣/ ك. الخراج/ح ٣٠٥٨)، والترمذي: صحيح الترمذي للألباني (٢/ ٥٢/ ك. الطعام/ح ١٤١٢)، وابن شبة: تاريخ المدينة (٢/ ٥٧٩) من طريق أبي داود. ولم يذكر أبوداود قصة معاوية مع وائل وفي رواية الترمذي أن الرسول ﷺ بعث معاوية مع وائل ليسلمه الأرض المقطوعة له، ولم يزد على ذلك. وفي هذا انظر: مختصر المنذري رقم ٢٩٣٦.

أما تبشير الرسول ﷺ به أصحابه قبل مقدمه فقد رواه البيهقي: الدلائل (٥/ ١٧٥ - ١٧٦) والطبراني كما أشار إليه محقق دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٤٩)، وابن حبان كما أشار إليه ابن حجر، والبزار كما أشار إليه محقق دلائل البيهقي (٥/ ٣٤٩)، والبخاري: التاريخ الكبير (٤/ ١٧٥ - ١٧٦).

(٩٧) من رواية الطبراني وأبي نعيم، كما ذكر محقق دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٥٠).

(٩٨) رواه عبدالله بن الإمام أحمد كما في المسند: (٤/ ٢١١ - ٢١٢) ونقله عنه ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٩١ - ٩٤) وقال عنه ابن كثير: «هذا حديث غريب جدا وألفاظه في بعضها نكارة. . .».

(٩٩) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٥٥ - ٣٥٧)، وقال المحقق: «رواه البغوي، وابن عساكر، وحسنه، عن زياد بن الحارث الصدائي، وروى بعضها ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢٦ - ٣٢٧) وله شواهد ضعيفة في: أبي وداود: السنن (٢/ ٢٨١/ ك. الزكاة/ح ١٣٦٠) - وفيه عبدالرحمن الإفريقي، وقد تكلم فيه غير واحد، فهو ضعيف»، الترمذي: السنن (١/ ٢٥٣/ ك. الصلاة/ح ١٩٩/ الدعاس)، ابن ماجه: السنن رقم ٧١٧، ابن عبدالحكم: فتوح مصر ص ٣١٢، ط. ليدن.

فكتب الصدائي إلى قومه، فجاء وفدهم بإسلامهم فَأَمَّرَهُ الرسول ﷺ على قومه، وكتب له كتابا بذلك، وأمر له بشيء من صدقاتهم عندما طلب ذلك، وكتب له بذلك كتابا آخر.

وعندما رافق النبي ﷺ في بعض أسفاره سمع منه قوله في أحد العمال حين اشتكت منه رعيته: «لاخير في الإمارة لرجل مؤمن»، وسمع قوله لأحد الناس عندما طلب شيئا من الصدقة: «من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن»، عندما سمع زياد هذا كله رد الكتابين إلى النبي ﷺ، وأَمَّرَ الرسول ﷺ غيره من أفراد الوفد.

وعندما شاهد زياد معجزة خروج الماء من أصبعي الرسول ﷺ حكى للرسول ﷺ قصة بئرهم التي يقل ماؤها في الصيف ويكثر في الشتاء، فَبَرَّكَ الرسول ﷺ في سبع حصيات، وطلب أن ترمىَ واحدة في البئر مع ذكر الله، ففعلوا، فجاشت بالماء صيفا وشتاء، حتى لا يرى قعرها.

وكان مقدم زياد الصدائي على الرسول ﷺ بعد منصرفه من الجعرانة[١٠٠].

٢٣) وفد ثقيف: ارسلت ثقيف وفدا إلى رسول الله ﷺ في رمضان من العام التاسع بعد عودة الرسول ﷺ من تبوك، برئاسة عبدياليل بن عمرو ومعه ثلاثة من بني مالك واثنان من الأحلاف، فأعلنوا إسلامهم وإسلام قومهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا[١٠١]. وطلبوا من

---

(١٠٠) ابن سعد (١/ ٣٢٦) من رواية الواقدي، وعنده أن قائد ذلك الجيش كان قيس بن سعد ابن عبادة، ومعه أربعمائة رجل، وأن وفد صداء الذي قدم كان مكونا من خمسة عشر رجلا. انظر قصة خروج زياد مع الرسول ﷺ في سفر وما فيها من الفقه والدروس عند ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٦٦٤ - ٦٦٩)، وقد اختصرناها كثيرا على الرغم مما بها من الفقه والدروس.

(١٠١) أورد أبوعبيد في الأموال، ص٢٤٧، وابن زنجويه في الأموال ص٤٤٢ كتابا طويلا قالا إنه كتاب الرسول ﷺ لثقيف، وهو من مرسل عروة وفي إسناده ضعف بسبب ابن لهيعة، وفيه تحريم عضاة وصيد «وج»، وقد اخرج حديث تحريم عضاة وصيد «وج»، وقد أخرج حديث تحريم عضاة وصيد «وج» أحمد في المسند (١/ ١٦٥) وأبوداود في السنن (١/ ٤٦٨/ ك. المناسك) والحميدي في المسند (١/ ٣٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٠٠). وقام الدكتور قريبي في مرويات غزوة حنين، ص ص ٧٨٤ - ٧٩٠، بدراسة هذه الأسانيد وكانت خلاصة دراسته أن أحاديث تحريم عضاة وصيد وادي «وج» ضعيفة، لا تقوم بها الحجة على التحريم.
والعضاة: شجر له شوك، وهو أنواع، ومفرده: عضة، و «وج»: اسم موضع بالطائف.

الرسول ﷺ تأخير هدم صنمهم اللات لمدة ثلاث سنين، مخافة غضب قومهم، فرفض ذلك الطلب، ولكنه أعفاهم من القيام بذلك، وأوكل أمر ذلك إلى أبي سفيان والمغيرة بن شبعة، وطلبوا إعفاءهم من الصلاة بحجة عدم استساغتهم الركوع والسجود، فأبى عليهم ذلك قائلا: «لا خير في دين لا صلاة فيه»[١٠٢] واشترطوا إعفاءهم من الزكاة والجهاد، فوافقهم على ذلك، وهو يقول: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»[١٠٣]. وسألوه أن يعفيهم من الوضوء بحجة أن بلادهم باردة، وأن ينتبذوا في القرع وأن يعيد إليهم أبابكرة الثقفي، فأبى عليهم هذا كله[١٠٤].

وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لكنه كان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين[١٠٥].

وعادوا إلى بلادهم بعد أن مكثوا بالمدينة خمسة عشر يوما. وعاد معهم أبوسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليقوما بهدم اللات. وعندما جاءا لتنفيذ المهمة اجتمعت النساء حول اللات يبكين، حتى أتم المغيرة المهمة وأخذ ماللات من الذهب والمال[١٠٦]، والناس يظنون أن اللات ستثأر لنفسها. وقد سخر المغيرة من هذا الاعتقاد، إذ رمى معوله وركض، فقالوا: ثأرت الربة! فضحك، ونصحهم بتوحيد الله، ثم عاد لينجز عمله[١٠٧].

٢٤) وفادة عبدالرحمن بن أبي عَقِيل مع قومه:

روى البيهقي[١٠٨] بسنده إلى عبدالرحمن بن أبي عَقِيل قصة وفادته مع

(١٠٢) ابن إسحاق، بإسناد معضل، ابن هشام (٤/ ٢٤٩).
(١٠٣) أبوداود: السنن (٢/ ١٤٦) بإسناد حسن.
(١٠٤) أحمد: المسند (٤/ ١٦٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٤٥): رجاله ثقات.
(١٠٥) أحمد: المسند (٤/ ٢١٨)، ابن ماجة: السنن (١/ ٣١٦)، مسلم (١/ ٣٤٢/ح ٤٦٨). حيث أشار إلى أمارته.
(١٠٦) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٢٥١).
(١٠٧) من رواية موسى بن عقبة، معلقا، نقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٣٩).
(١٠٨) دلائل النبوة (٥/ ٣٥٨)، وقال المحقق ـ الدكتور عبدالمعطي قلعة جي: «رواه ابن منده والطبراني والبزار، برجال ثقات...». انظر ترجمة عبدالرحمن هذا في الإصابة (٢/ ٤١١ ـ ٤١٢) والاستيعاب (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧). نقل ابن كثير في البداية (٥/ ٩٦ ـ ٩٧) خبرا فيه غير ماجاء
==

قومه على رسول الله ﷺ، قال: «انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ، فأتيناه، فأنخنا بالباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فلما خرجنا ومافي الناس أحب الينا من رجل دخلنا عليه، فقال قائل منا: يارسول الله! ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان؟ فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، لأن الله (عز وجل) لم يبعث نبيا إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها، ومنه من دعا بها على قومه إذْ عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ويبدو لي - والله أعلم - أن وفادة عبدالرحمن كانت مع وفد قومه ثقيف كما هو مذكور في مكانه.

٢٥) **وافـد بكـر**: وفد على رسول الله ﷺ الحارث - أو حريث - بن حسان البكري في قضية خاصة، وهي إرادته شكوى العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ لأمر لم تبينه الرواية[١٠٩]. وعند مروره بالرَّبَذَة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فطلبت منه أن يبلغها الرسول ﷺ فحملها معه إلى المدينة. وعندما أراد الرسول ﷺ أن يجعل الدهناء حاجـزا بين تميم وبكـر، اعـترضت العجوز بحجة أن الدهناء من أرضها، فقال حسان: «إن مثلي ما قال الأول: معزى حملت حتفها. حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد...».

وفي قصة وفد شيبان عند ابن سعد[١١٠] أن حسانا كان قد حمل

==

هنا من رواية البيهقي، ومع ذلك قال محقق دلائل النبوة للبيهقي: «ونقله ابن كثير...»، وهو مختلف سندا ومتنا عنه. وانظر ابن حجر: المطالب العالية (٣٨٧/٤)، الهيثمي: مجمع الزوائد (٣٧١/١٠) وقد عزاه للطبراني والبزار وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». وزاد البوصيري أيضا نسبته إلى ابن أبي شيبة وقال: «رجالها ثقات...».

(١٠٩) رواها أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، كما ذكر ابن كثير في البداية (٩٦/٥ - ٩٧) ونقل رواية الإمام أحمد، وهو خبر صحيح وحسنه الألباني في: صحيح الترمذي (١٠٨/٣ - ١٠٩/ ك. التفسير/ح ٣٥٠٤).

(١١٠) الطبقات (٣١٧/١ - ٣٢١) في قصة طويلة، بإسناد حسن.

هذه المرأة من دياره، ديار بني شيبان، وليس من الربذة كما في هذه الرواية. وفي حديثه أن قدومه كان في الوقت الذي أراد فيه الرسول ﷺ أن يبعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، في جمادى الثانية من العام الثامن الهجري(١١١).

٢٦) **وفادة طارق بن عبدالله وقومه:** قدم طارق بن عبدالله المحاربي (رضي الله عنه) المدينة، بعيد الهجرة، ومعه جماعة من قومه ليمتاروا من تمرها. وعندما دنوا من حيطان المدينة لقيهم الرسول ﷺ وهم لا يعرفونه، وعرض عليهم بيع جملهم بشيء من تمر، فوافقوا، فأخذه ودخل به المدينة، ثم عاد إليهم بالثمن، بعد أن ندموا على مفارقته خشية ألا يعود إليهم وهم لا يعرفون عنه شيئا. وطمأنتهم المرأة التي كانت معهم بحجة أن وجهه ليس وجه كذاب. وعندما دخلوا المسجد وجدوه يخطب في أمر فضل الصدقة، فعرفوه(١١٢).

ويبدو أن هذه الرواية غير مكتملة، فالذي أرجحه أن هدف طارق وجماعته كان الإسلام والبيع والشراء، وذلك بدليل أنهم كانوا ضمن المسلمين الذين شهدوا خطبة الرسول ﷺ، وأن طارق بن عبدالله من رواة حديث فضل الصدقة الذي سمعه يومذاك(١١٣).

٢٧) **ولقوم طارق - بني مُحَارِب - وفادة أخرى** إلى رسول الله ﷺ في العام العاشر الهجري، عام حجة الوداع. وكان هدفها الأساسي البيعة على الإسلام، وكان عددهم عشرة نفر، فيهم سواد بن الحارث وابنه خزيمة، فأسلموا، وقالوا: «نحن على من وراءنا». وكان في الوفد رجل عرفه الرسول ﷺ لَمَّا كان منه ومن قومه من فظاظة أيام كان الرسول ﷺ

---

(١١١) انظر ابن حجر: الإصابة (١/ ٢٧٧).

(١١٢) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٨٠ - ٣٨١) ويونس بن بكير في زيادات السيرة كما نقله البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٨١)، وقال محقق زاد المعاد (٣/ ٦٥٠): «وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١١ - ٦١٢)، وسنده قابل للتحسين، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي».

(١١٣) انظره في: النسائي وغيره كما في الإصابة (٢/ ٢٢٠)، وفي الحديث أنه قدم على النبي ﷺ ثم قصة الحديث في فضل الصدقة واليد العليا... إلخ.

يعرض نفسه على القبائل في المواسم بمكة[١١٤].

٢٨) **وافد فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي - صاحب بلاد مُعَان**: قدم على رسول الله ﷺ مسعود بن سعد وافدا من قبل فروة بن عمرو الجذامي، عامل الروم على معان. وبعث معه فروة هدايا، منها بغلة بيضاء وفرس وحمار، وكتب إليه الرسول ﷺ يبلغه وصول رسوله بخبر إسلامه، وأهدى إليه هدايا. وعندما بلغ ملك الروم خبر إسلام فروة أرسل إليه وأمره بالرجوع عن الإسلام، فرفض فروة، فحبسه ثم صلبه وضرب عنقه[١١٥].

٢٩) **وفادة تميم الداري**: كان تميم الداري نصرانيا، وقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي ﷺ قصة الجَسَّاسَة[١١٦]والدجال، فحدث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر، وعد ذلك من مناقبه[١١٧]، وقال ابن السكن[١١٨]: أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم. وقال ابن إسحاق[١١٩]: قدم المدينة وغزا مع النبي ﷺ.

٣٠) **وفد بني أسد**: ذكر ابن سعد[١٢٠] أنهم قدموا في أول السنة التاسعة، وكانوا عشرة، منهم: ضِرَار بن الأزور ووابِصَة بن معبد وطُلَيحة ابن خويلد الأسدي، وقال رئيسهم -حَضْرَمِي بن عامر-: «يارسول الله! أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثا»، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[١٢١].

---

(١١٤) ابن سعد (١/ ٢٩٩) من رواية الواقدي.
(١١٥) ابن إسحاق، معلقا ابن هشام (٤/٣١٥ - ٣١٦)، ابن سعد (١/ ٢٨١) بإسناد منقطع، وابن منده وابن شاهين بسند ضعيف، فيما عزاه إليهما ابن حجر: الإصابة (١/ ٢٠٧)
(١١٦) الجساسة: دابة تكون في الجزائر، تجس الأخبار فتأتي بها الدجال.
(١١٧) من رواية مسلم (٤/ ٢٢٦١ - ٢٢٦٥/ح ٢٩٤٢) مطولا ومختصرا، ورواه غيره.
(١١٨) أورده ابن حجر: اصابة (١/ ١٨٤)، معلقا.
(١١٩) انظر المصدر والمكان نفسيهما.
(١٢٠) الطبقات (١/ ٢٩٢) من رواية الواقدي.
(١٢١) الحجرات: ١٧.

وروى البزار[١٢٢] بإسناده إلى ابن عباس، قال: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله، أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقـاتلك». فقال رسول الله ﷺ: «إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم»، ونزلت هذه الآية: ﴿يمنون عليك أن أسلموا ... الآية﴾[١٢٣].

٣١) **وفد بني قُشَيْر بن كعب**: قدم وفدهم على رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع وبعد حنين، فأسلموا، وكان فيهم: قُرة بن هُبَيْرة، وقد أعطاه رسول الله ﷺ شيئا وكساه بردا، وولاه صدقة قومه، وثَور بن عُروة، وقد أقطعه الرسول ﷺ قطيعة وكتب له بها كتابا، وحَيْدَة بن معاوية ابن قشير[١٢٤].

وقد روى البيهقي[١٢٥] بإسناده إلى معاوية بن حيدة القشيري خبرا فيه قدوم معـاوية بن حيدة القشـيري على رسول الله ﷺ، وسؤاله الرسول ﷺ عن قوله في النساء والعورة[١٢٦].

وذكر ابن سعد[١٢٧] أن معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري وفد على النبي ﷺ فأسلم وصحبه وسأله عن أشياء، وروى عنه أحاديث، وطلب منه أخوه مالك بن حيدة أن يذهب معه إلى النبي ﷺ ليطلق له جيرانه، وقال إنهم قد أسلموا.

٣٢) **وفد بني الحارث بن كعب**: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ـ ثلاثا ـ قبل أن يقاتلهم،

---

(١٢٢) ذكره ابن كثير: التفسير (٧/ ٣٦٩) وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١٢٣) قال ابن حجر: الإصابة (١/ ٣٤١): «وروى عمر بن شبة بإسناد صحيح إلى أبي وائل، قال: وفد بنو أسد، فقال لهم النبي ﷺ «من أنتم؟» قالوا: «نحن بنو الرثية أحلاس الخيل»، قال: «بل أنتم بنو الرشدة»، فقالوا: «لا ندع اسم أبينا»، فذكر قصة طويلة. قلت: وفي هذا دليل آخر على ثبوت وفادة بني أسد بطريق صحيح.

(١٢٤) ابن سعد (١/ ٣٠٣) بإسناد منقطع، والمنقطع كما تعلم من أقسام الضعيف.

(١٢٥) دلائل النبوة (٥/ ٣٧٨ - ٣٨٩) بإسناد ضعيف.

(١٢٦) وحديث العورة رواه أحمد: الفتح الرباني (٣/ ٨٧) وقال الساعاتي: «أخرجه الأربعة وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم».

(١٢٧) الطبقات (٧/ ٣٥) معلقا.

ونجح خالد في مهمته، إذ أسلموا بدعوته بلا قتال، ومكث فيهم يعلمهم الإسلام، ثم كتب إليه الرسول ﷺ أن يقدم ومعه وفدهم، ففعل[(١٢٨)].

وعندما جاء وفدهم، ثم عاد إلى بلاده، أرسل الرسول ﷺ إليهم عمرو بن حَزم ليفقههم في الدين ويأخذ منهم الصدقات، وكتب له كتابا بذلك[(١٢٩)].

لقد روى حديث كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم، من غير طريق ابن إسحاق: مالك بن أنس (رضي الله عنه)[(١٣٠)]، والحاكم[(١٣١)]، وابن حبان[(١٣٢)]، والبيهقي[(١٣٣)] وقال ابن كثير[(١٣٤)]: «ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبوعبدالرحمن النسائي في سننه مطولا، وأبو داود في كتاب المراسيل، وقد ذكرت ذلك بأسانيده وألفاظه في السنن...» وقال ابن كثير[(١٣٥)]: «ورواه أبوداود عن عمرو بن عون الواسطي عن عمارة بن زاذان الصيدلاني عن ثابت البناني عن أنس به...».

قال البيهقي[(١٣٦)]: «وقد روى سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده [نحو] هذا الحديث موصولا بزيادات كثيرة، وفي الزكاة والديات وغير ذلك، ونقصان عن بعض ما ذكرناه، وقد ذكرناه في كتاب السنن» - [السنن الكبرى له (٤/٨٩ - ٩٠)، وحسنه].

وقال الذهبي[(١٣٧)]: «وقد روى سليمان بن داود عن الزهري عن أبي

---

(١٢٨) و (١٢٩) روى ابن إسحاق قصتهم مطولة بإسناد معلق - ابن هشام (٤/٣١٦ - ٣٢٢)، والطبري: التاريخ (٣/١٦٢ - ١٣٠) من طريق ابن إسحاق موقوفا على شيخه عبدالله بن أبي بكر ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع.

(١٣٠) الموطأ (٢/١٧٥ - ١٧٦/ ك. العقول/ ب. ذكر العقول/ح ١٦٤٧)، مقتصرا على بعضه.

(١٣١) المستدرك (١/٣٩٥ - ٩٧)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(١٣٢) موارد الظمآن، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(١٣٣) السنن الكبرى (٤/٨٩ - ٩٠).

(١٣٤) البداية والنهاية (٥/٨٨).

(١٣٥) المصدر نفسه (٥/٨٧).

(١٣٦) دلائل النبوة (٥/٤١٣).

(١٣٧) المغازي، ص ٦٩٤.

بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده نحو هذا الحديث موصولا، بزيادات كثيرة في الزكاة، ونقص عما ذكرناه في السنن»، وقال المحقق: «أخرجه البخاري[١٣٨] مختصرا في كتاب الزكاة ٢/١٣٢/ب. العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري».

وقد تكلم الأستاذ محمد عوامة[١٣٩] عن إسناد هذا الحديث بما شفى وكفى، ونص كلامه:

«وأما صحته: فللعلماء كلام طويل فيها، فيميل إلى ضعف إسناده: ابن حزم في «المحلى» (١/٨١)، ومواضع أخرى منه، والثوري في «المجموع» (٢/٧٢) والعلاء المارديني في «الجوهر النقي» (٤/٨٦-٨٩)، والذهبي في «الميزان» (٢/٢٠٢).

«ويرى صحته جمهرة من العلماء: الإمام مالك، حيث رواه في «الموطأ» - مرسلا - . . . والطحاوي (٢/٤١٩) - اعتمد طريق قيس بن سعد - والحاكم في «المستدرك» (١/٣٩٥)، وابن حبان، حيث رواه في «صحيحه» - انظر: «موارد الظمآن»، ص ٢٠٢، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٤/٩٠) وابن العربي في «أحكام القرآن»، (٤/١٧٢٧).

«ومن المعاصرين: الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على «المحلى» و«الرسالة» للشافعي - المواضع المشار إليها - والشيخ محمد يوسف البنوري في شرحه على الترمذي، «معارف السنن»، قال فيه (٥/١٧٨): «الحديث صحيح، وعلى الأقل حسن لذاته».

«وثمة مسلك آخر لبعض العلماء في قبول هذا الكتاب، وهو كونه مشهورا متلقى بالقبول، نبه إلى هذا ابن حجر في «التلخيص الحبير»، (٤/١٨)، فقال: «وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة لا من حيث الإسناد، بل من حيث الشهرة. . .» وكأن الحافظ ابن حجر يميل إلى هذا. وتصحيح الحديث بالشهرة والتلقي له

---

(١٣٨) الفتح (٧/١١١ - ١١٤/ح ١٤٨٣).
(١٣٩) في تحقيقه لمسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز للباغندي، حاشية ص ص ١٧٩ - ١٩٨٠.

بالقبول أمر معروف سائغ، انظر تقريره والأدلة عليه في خاتمة «الأجوبة الفاضلة» بتحقيق الشيخ أبي غدة.

«ثم رأيت الحافظ نقل في فتح الباري (٢٤٧/٥) عن جامع سفيان الثوري أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رجع إلى كتاب عمرو ابن حزم وعمل به. وهذا يدل على شهرة كتابه بين الصحابة (رضي الله عنهم) واعتمادهم عليه، والله أعلم».

٣٣) **وفد هَمْـدَان**: كان لهمدان وفادتان على النبي ﷺ: الأولى بمكة قبل بيعة العقبة الأولى، وكان وافدهم قيس بن عمرو بن مالك الهمداني الأرحبي، الذي أعلن إسلامه وبايع الرسول ﷺ على قومه وطلب منه الرسول ﷺ نصرة قومه والهجرة إليهم، ولكنهم بعدم استجابتهم لطلب الرسول ﷺ خسروا رتبة عالية في الإسلام، ولقبا عظيما يناله قوم، وهو لقب الأنصار، الذي ادخره الله تعالى لأهل المدينة[140].

أما المرة الثانية فقد قدم وفد همدان مسلمين على رسول الله ﷺ بالمدينة، منهم: مالك بن نَمَط، وأبوثور، وهو ذو المِشْعَار، ومالك بن أيفَع... وكتب رسول الله ﷺ لهمدان كتابا مع ذي المشعار[141]. وقد ثبت إسلامهم على يد علي بن أبي طالب كما سيأتي.

٣٤) **قدوم الحَكَم بن حَزْن الكُلْفِي التميمي**: قدم على رسول الله ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة، وعندما أذن لهم في الدخول على الرسول ﷺ، قال: «يارسول الله! أتيناك لتدعو لنا بخير»، فدعا لهم بخير، ولبثوا أياماً عند رسول الله ﷺ بالمدينة وشهدوا الجمعة ورأوا الرسول ﷺ يخطب متوكئا على قوس أو عصا، وسمعوه يقول: «ياأيها الناس إنكم

---

(١٤٠) روى خبرهم ابن إسحاق بإسناد فيه جهالة - ابن هشام (٣٢٣/٤ - ٣٢٧)، وابن سعد (٣٤١/١) بإسناد منقطع.

(١٤١) انظر القصة كاملة عند ابن سعد (٣٤٠/١ - ٣٤١) من طريق الواقدي، وفيه الكلبي وكلاهما متروك. وانظر: علي رضوان الأسطل: الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، ص ص ١٣٢ - ١٣٦.

إن تفعلوا، ولن تطيقوا، كلَّ ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا»[١٤٢].

٣٥) **وفد عبس**: وكانوا تسعة رهط، منهم: ميسرة بن مسروق والحارث ابن الربيع . . .[١٤٣]

٣٦) **وفد بني فزارة**: قدم وفدهم في سنة تسع بعد مرجع الرسول ﷺ من تبوك. وكانوا بضعة عشر رجلا، فيهم خَارِجَة بن حِصْن والحرُ بن قيس ابن حصن[١٤٤].

٣٧) **وفد بني مرة**: قدموا المدينة حين مرجع الرسول ﷺ من تبوك، وهم ثلاثة عشر رجلا، رأسهم الحارث بن عوف[١٤٥].

٣٨) **وفد بني ثعلبة**: قدموا عليه حين مرجعه من الجِعْرَانة، سنة ثمان، وهم أربعة عشر رجلا[١٤٦].

٣٩) **وفد بني كِلَاب**: قدموا سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلا، فيهم لَبيد ابن ربيعة وجَبَّار بن سُلْمَى، وأخبروا الرسول ﷺ بمجهود الضحاك ابن سفيان في الدعوة بينهم[١٤٧].

٤٠) **وفد بني عَقِيل بن كعب**: وفيهم: ربيع بن معاوية بن خَفَاجَة ومُطَرِّف ابن عبدالله . . .، فبايعوا وأسلموا وبايعوه على من وراءهم من قومهم[١٤٨].

٤١) **وفد جَعْدَة**: جاء عنهم الرُّقَاد بن عمرو، فأعطاه رسول الله ﷺ ضيعة[١٤٩].

٤٢) **وفد بني البَكَّاء**: وفد منهم سنة تسع ثلاثة نفر: معاوية بن ثور وابنه

---

(١٤٢) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٤٥)، أبوداود: السنن (١/ ٦٥٨ - ٦٥٩/ ك. الصلاة/ ب. الرجل يخطب على القوس/ح ١٠٩٦)، أحمد: الفتح الرباني (٦/ ٩٢ - ٩٣)، وقال الساعاتي: «أخرجه أبوداود في سننه وأبويعلى في مسنده والبيهقي في السنن الكبرى، ومنده جيد وصححه ابن خزيمة وابن السكن وحسن إسناده الحافظ ابن حجر»، وانظر أحمد: المسند (٤/ ٢١٢).

(١٤٣) انظر قصتهم عند ابن سعد (١/ ٢٩٥ - ٢٩٦) من طريق الكلبي والواقدي.

(١٤٤) ابن سعد (١/ ٢٩٧ - ٣٠٠) من طريق الواقدي.

(١٤٥) المصدر نفسه.

(١٤٦) المصدر نفسه.

(١٤٧) المصدر نفسه.

(١٤٨) ابن سعد (١/ ٣٠١ - ٣٠٣) بإسناد ضعيف.

(١٤٩) المصدر نفسه (١/ ٣٠٣) بإسناد ضعيف.

بِشر والفُجَيْع بن عبدالله، وكتب للفجيع كتابا. . .[150]

٤٣) **وافد كِنَانة**: هو واثِلَة بن الأسْقَع الليثي، قدم على رسول الله ﷺ مسلما، والرسول ﷺ يتجهز إلى تبوك، ثم عاد إلى قومه فلم يتبعوه، وأقسم والده ألا يكلمه، وآمنت به أخته فجهزته فعاد إلى المدينة ووجد الرسول ﷺ قد صار إلى تبوك، فلحق به، وبعثه الرسول ﷺ مع خالد ابن الوليد إلى أكيدر دومة[151].

٤٤) **وفد بني عبد بن عَدِي**: كان فيهم الحارث بن أهبان. . . فأسلموا[152].

٤٥) **وفد أشجع**: قدموا عام الخندق، وهم مائة، رأسهم مسعود بن رُخَيْلَة، وقيل قدموا بعد فراغه من بني قريظة، وهم سبعمائة، فوادعهم الرسول ﷺ، ثم أسلموا بعد ذلك[153].

٤٦) **وافد باهِلَة**: أوفدت باهلة مُطَرِّف بن الكاهن الباهلي الى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فأسلم وأخذ لقومه أمانا، فكتب له رسول الله ﷺ كتابا في فرائض الصدقات، ثم قدم نهشل بن مالك الوائلي من باهلة، فأسلم، وكتب له الرسول ﷺ ولمن أسلم من قومه كتابا فيه شرائع الإسلام[154].

٤٧) **وفد بني سُلَيم**: قدم منهم قيس بن نُسَيْبَة ليسمع من الرسول ﷺ فسمع، فدعاه إلى الإسلام، وعاد إلى قومه ووافى رسول الله ﷺ منهم سبعمائة، ويقال ألف، فيهم راشد بن عبدربه، فلقوه بقديد، وهو في طريقه لفتح مكة، فأسلموا وشهدوا معه الفتح وحنينا والطائف، وأعطى رسول الله ﷺ راشد بن عبدربه رهاطا وفيها عين يقال لها عين الرسول، وكان راشد يسدن صنما لبني سليم، فرأى يوما ثعلبين يبولان عليه، فقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب[155]

---

(١٥٠) إلى (١٥٤) ابن سعد (١/٣٠٣ - ٣١٥) بإسناد ضعيف.
أما خبر وفادة بني عبد بن عدي فقد رواه أيضا المدائني وابن عساكر عن ابن عباس (رضي الله عنه) وغيره، كما ذكر الشامي في السيرة (٧/٥٥٧).

٤٨) **وفد بني هلال بن عامر**: كان فيهم عبدعوف بن أصرم، فسماه النبي ﷺ عبدالله.[١٥٦].

٤٩) **وفد بني بكر بن وائل**: انهم لما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن قُس ابن ساعدة، **فقال**: ليس ذاك منكم، ذاك رجل من إياد تحنف في الجاهلية، فوافى عكاظ والناس مجتمعون، فكلمهم بكلامه الذي حفظ عنه. وكان فيهم بشير بن الخَصَاصِيَّة وعبدالله بن مَرْثَد وحسان بن حَوط[١٥٧].

٥٠) **وفد تغلب**: وكانوا ستة عشر رجلا، مسلمين ونصارى، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم[١٥٨].

٥١) **وافدة بني العنبر**: قدمت عليه قَيْلَة بنت مَخْرَمَة التميمية ثم من بني العنبر في أول الإسلام، في صحبة الحارث ـ او حريث ـ بن حسان الشيباني وافد بني بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت، وكتب لها رسول الله ﷺ كتابا. ولها قصة طويلة عن هجرتها الى الرسول ﷺ مع الحارث بن حسان، ذكرت خلاصتها في وفد بني بكر[١٥٩].

٥٢) **وفد تَجيب**: قدم وفدهم سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلا، وساقوا معهم صدقات أموالهم فسر رسول الله ﷺ بهم، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد[١٦٠].

٥٣) **وفد خولان**: وكانوا عشرة، وكان قدومهم في شعبان سنة عشر، فذكروا أنهم مسلمون وأنهم على من وراءهم من قومهم، وسألهم النبي ﷺ عن صنمهم «عم أنس» فقالوا إن الله أبدلهم به ما جاء به الرسول ﷺ

---

(١٥٥) و (١٥٦) و (١٥٧) المرجع السابق نفسه، ابن سعد (١/ ٣٠٣ ـ ٣١٥) بإسناد ضعيف.
(١٥٨) و (١٥٩) و (١٦٠) من رواية ابن سعد (١/ ٣١٦ ـ ٣٥٩) بإسناد ضعيف أو ضعيف جدا. وثبتت وفادة أزد عمان من غير طريق ابن سعد، فقد ذكرها أحمد بإسناد حسن كما قال الشامي في سبل الهدى والرشاد (٧/ ٤٠٢).

وأنهم سيهدمونه عندما يرجعون، وفعلوا ذلك(١٦١).

من بين الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ غير التي ذكرنا:

٥٤) وفد خَوْلَان من بلاد اليمن، قدموا في شعبان سنة عشر من الهجرة(١٦٢).

٥٥) وفد جُعْفِيّ(١٦٣) ٥٦) وفد زُبَيْد(١٦٤)، ٥٧) وفد الصَّدِف(١٦٥)، ٥٨) وفد خشبين(١٦٦)، ٥٩) وفد سَعْدٍ هُذَيْم(١٦٧)، ٦٠) وفد بَلِيّ(١٦٨)، ٦١) وفد عذرة(١٦٩)، ٦٢) وفد سَلَامان(١٧٠)، ٦٣) وفد بَهْراء(١٧١)، ٦٤) وفد جهينة(١٧٢)، ٦٥) وفد كلب(١٧٣)، ٦٦) وفد جرم(١٧٤)، ٦٧) وفد غسان(١٧٥)، ٦٨) وفد سعد العشيرة(١٧٦)، ٦٩) وفد عنس(١٧٧)، ٧٠) وفد الرهاويين من مذحج(١٧٨)، ٧١) وفد غامد(١٧٩)، ٧٢) وفد النخع(١٨٠)، ٧٣) وفد أزد عمان(١٨١)، ٧٤) وفد خثعم(١٨٢)، ٧٥) وفد غافق(١٨٣)، ٧٦) وفد بارق(١٨٤)، ٧٧) وفد ثمالة والحدان(١٨٥)، ٧٨) وفد أسلم(١٨٦)، ٧٩) وفد جذام(١٨٧)، ٨٠) وفد مهرة(١٨٨)، ٨١) وفد جيشان(١٨٩)، ٨٢) وفد جماع جبل تهامة، وكانوا جماعة من العبيد من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم، غصبوا المارة، وكتب اليهم الرسول ﷺ كتابا أمنهم فيه، وقال فيه: « فعبدهم حر ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها...»(١٩٠) ٨٣) وفد مذحج(١٩١)، ٨٤) وفد بني نهدى من غور تهامة(١٩٢)، ٨٥) وفد بني نمير(١٩٣)، ٨٦) وفد

---

(١٦١) الى (١٨٩) من رواية ابن سعد (١/٣١٦ - ٣٥٩) بإسناد ضعيف أو ضعيف جدا.

(١٩٠) ابن سعد (١/٢٧٨) من طريق الواقدي - أي بإسناد ضعيف.

(١٩١) عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة (٢/٥٥٢ - ٥٥٩)، من مراسيل الشعبي.

(١٩٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٩) بإسناد فيه عمرو بن واقد وهو متروك وعروة بن رويم، وهو صدوق، يرسل.

(١٩٣) المصدر نفسه (٢/٥٩٢) بإسناد ضعيف للانقطاع، وقال ابن حجر: الإصابة (٣/٢٣٣) إن البخاري روى في تاريخه بعض حديث وفد نمير هذا، وإسناد البخاري في تاريخه ضعيف، لضعف فضيل بن سليمان، يخطىء كثيرا، وشيخه سكت عليه ابن أبي حاتم.

السباع[١٩٤]، ٨٧) وفد الجن[١٩٥]، الذين قدموا عليه بمكة، ٨٨) وفد هوازن، الذي قدم على الرسول ﷺ بالجعرانة حين منصرفة عن الطائف[١٩٦]، ٨٩) وفد ثعلبة[١٩٧]، ٩٠) وفادة أسيد بن أبي أناس، وقد جاء النبي ﷺ تائبا بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه[١٩٨]، ٩١) وفد بني سحيم[١٩٩]، ٩٢) وفد بني سدوس[٢٠٠]، ٩٣) وفادة أبي صفرة[٢٠١]، ٩٤) وفد عَنَزَة، وفيهم سلمة ابن سعد[٢٠٢]، وقال عنهم رسول الله ﷺ ذات يوم: «... حي ههنا مبغي عليهم منصورون»[٢٠٣]، ٩٥) وفود ربيعة ابن رواء العنسي[٢٠٤]، ٩٦) وفود قيس بن عاصم[٢٠٥].

أحكام وعبر وفوائد من أخبار الوفود:

١ - إن في أخبار وفود هذه القبائل على الرسول ﷺ لدليلا واضحا على مدى

---

(١٩٤) ابن سعد (١/ ٣٥٩) من حديث الواقدي، ومما يدل على أن معجزة تكليم السباع للإنس قد تكررت، فقد أورد ابن كثير في البداية (٥/ ١٠٨) حديثا رواه أحمد والترمذي في خبر الذئب الذي أقعى على ذنبه وأخذ يكلم الراعي، وفيه إخباره الراعي بأن محمداً بالمدينة يحكي خبر الأوائل، وقال الترمذي: «حسن غريب صحيح»، وقال ابن كثير: «وهو إسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه».

(١٩٥) انظر خبرهم في ابن كثير: التفسير (٧/ ٢٧٢ - ٢٨٧)، الآية (٢٩) من سورة الأحقاف: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن﴾، وقد ثبت خبر وفادتهم بطرق صحيحة عند البخاري ومسلم وأحمد وغيرهما، مثلا: البخاري/ الفتح (١٥/ ١٥/ح ٣٨٦٠)، مسلم (١/ ٣٣١ - ٣٣٣/ح ٤٤٩ - ٤٥٠).

(١٩٦) سبق ذكره عند الكلام على غنائم حنين.

(١٩٧) انظر: ابن سعد الطبقات (١/ ٢٩٨) من رواية الواقدي.

(١٩٨) انظر ذلك في ترجمته عند ابن الأثير: أسد الغابة (١/ ٨٩ - ٩٠) وابن حجر: الإصابة (١/ ٤٧). وقال ابن حجر: «روى قصته ابن شاهين من طريق المدائني عن رجاله من طرق كثيرة إلى ابن عباس وغيره...».

(١٩٩) من رواية المرشاطي عن أبي عبيدة (رضي الله عنه) كما قال الشامي في سيرته (٦/ ٥٢١).

(٢٠٠) من رواية البزار عن عبدالله بن الأسود (رضي الله عنه) كما نقله الشامي في سيرته (٦/ ٥٢٢).

(٢٠١) من رواية ابن منده وابن عساكر والديلمي... كما نقله الشامي في سيرته (٧/ ٥٣٧).

(٢٠٢) ورد خبر وفادتهم في ترجمة سلمة بن سعد في أسد الغابة (٢/ ٣٣٦)، والإصابة (٢/ ٦٥).

(٢٠٣) رواه أبويعلى برجال ثقات والبزار والطبراني والإمام أحمد، كما قال الشامي في السيرة (٦/ ٥٩٣).

(٢٠٤) ابن الأثير: أسد الغابة (٢/ ١٦٨)، ابن حجر: الإصابة (١/ ٥٠٨) وقال ابن حجر: «ذكره الطبراني وغيره وأخرج من طريق عيسى بن محمد بن عبدالعزيز ابن أبي بكر بن محمد عن أبيه عن عبدالعزيز عن أبيه»، وانظر ابن سعد (٢/ ١٠٦).

(٢٠٥) من رواية الطبراني بسند جيد عن قيس بن عاصم، كما ذكر الشامي في السيرة (٦/ ٦١٣) وانظر ترجمته في: أسد الغابة (٤/ ٢١٩ - ٢٢١)، والإصابة (٣/ ٥٢) وابن سعد (٢/ ٦٠).

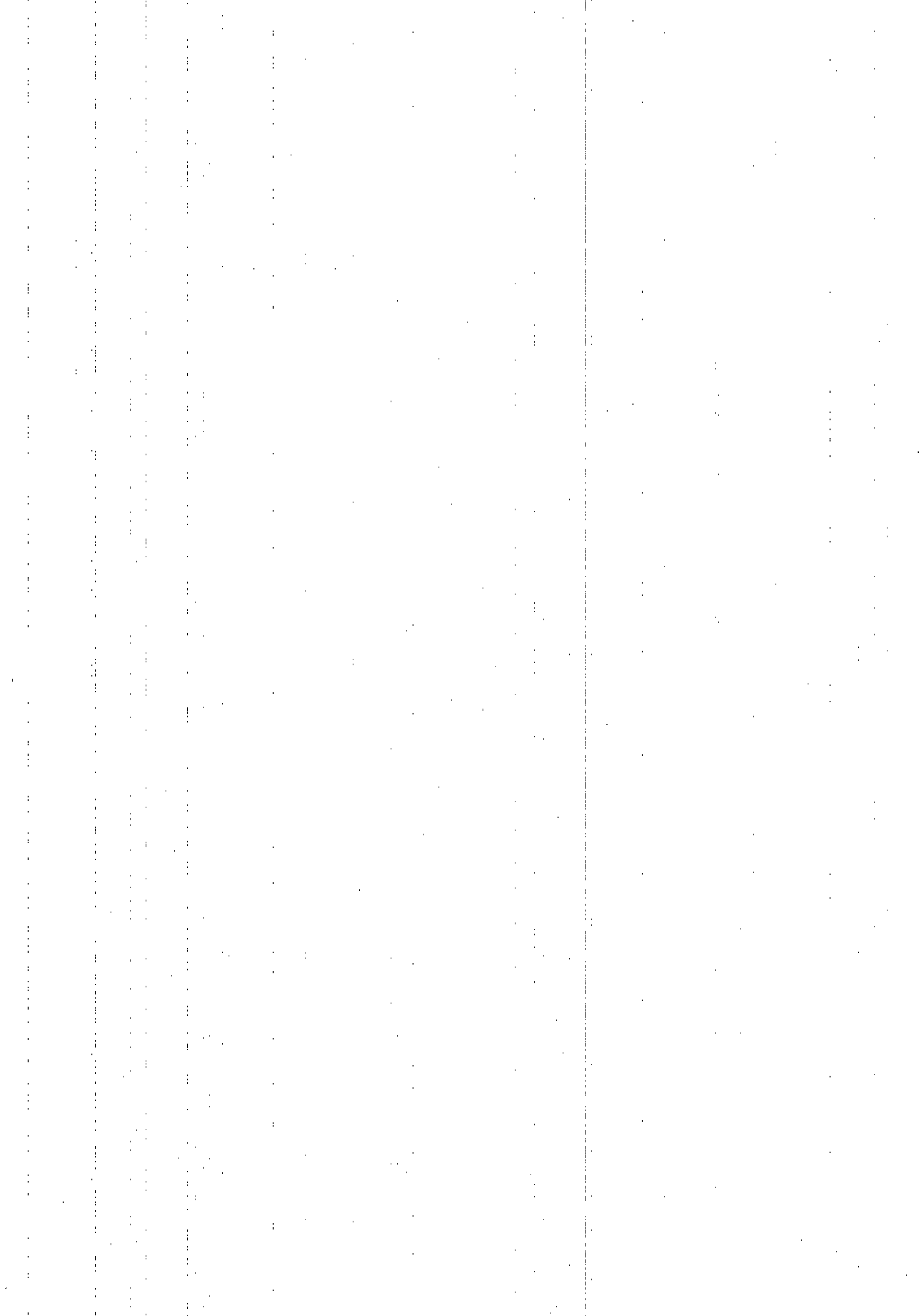
انتشار الإسلام في الجزيرة العربية في حياة الرسول ﷺ وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة هي راية الإسلام والدولة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢ - إن في تدفق هذه الوفود على المدينة لدليلا على وفاء الله بوعده النصر الذي وعده نبيه.

٣ - إن من حسن السياسة وأدب الإسلام وأخلاقه احترام ممثلي الشعوب أو القبائل وإكرامهم، وذلك بدليل ماكان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة وحسن الاستقبال وإجزال العطاء.

٤ - جواز إنزال المشرك في المسجد إذا كان يرجى إسلامه وهدايته، فقد علمنا أن النبي ﷺ كان يستقبل وفد ثقيف في مسجده لمحادثتهم وتعليمهم، وإذا كان هذا جائزاً للمشرك، فجوازه للكتابي أولى. وقد استقبل النبي ﷺ وفد نصارى نجران بالمسجد. قال الزركشي(٢٠٦):
واعلم أن الرافعي والنووي (رحمها الله) أطلقا أنه يجوز للكافر أن يدخل المساجد غير الحرم بإذن المسلم، بقيود:
أحدها: أن لا يكون قد شرط عليه في عقد الذمة عدم الدخول.
ثانيها: أن يكون المسلم الذي أذن له مكلفا، كامل الأهلية.
ثالثها: أن يكون دخوله لسماع القرآن أو علم ورجي إسلامه، أو دخل لإصلاح بنيان ونحوه.

(٢٠٦) إعلام الساجد في أحكام المساجد، ص ص ٣١٩ - ٣٢١، باختصار.



الفصل السابع والعشرون

الأحداث والسرايا والبعوث بين غزوة تبوك والمرض والوفاة:

المبحث الأول: حجة أبي بكر (رضي الله عنه):

أَمَّرَ الرسول ﷺ أبابكر على الحج في العام التاسع الهجري، فخرج في ذي الحجة إلى مكة[1]، ومعه ثلثمائة من الصحابة، ومعهم عشرون بدنة، ومع أبي بكر خمس بدنات[2].

وعندما فصل ركب الحجاج عن المدينة نزلت سورة براءة، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدرها ليعلنها على الناس في يوم النحر بمنى، وقال: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي»[3].

وعندما رأى أبوبكر عليا قال له: «أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور»، ثم مضيا[4]. وكان رهط من الصحابة، منهم أبوهريرة، يساعد عليا في النداء بآيات براءة المطلوب تبليغها للناس، ويعلنون في الناس أمر الرسول ﷺ: «أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن. ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج البيت بعد العام مشرك[5]».

---

(١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٠٤/ح ٤٣٦٣)، وجزم به ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٠٤) مسلم (٢/ ٩٨٢/ح ١٣٧٤)، ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٢٥٣)، ابن سعد (٢/ ١٦٨) من رواية الواقدي.

(٢) ابن سعد (٢/ ١٦٨) من رواية الواقدي.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن لكنه من مرسل محمد بن علي الباقر ـ ابن هشام (٤/ ٢٥٦)، وله شاهد يتقوى به وهو حديث الإمام أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٢) عن أنس، وذكر الساعاتي أن الترمذي رواه ايضا، وقال: «حسن غريب».

(٤) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ولكنه مرسل ـ ابن هشام (٤/ ٢٥٦).

(٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٠٤) (ح ٤٣٦٣)، مسلم (٢/ ٩٨٢/ح ١٣٤٧)، وقد اقتصروا على ذكر عدم الإذن بحج المشركين والعري في الطواف، ورواه كاملا أحمد، الفتح الرباني (٢١/ ٢١١) بإسناد صحيح، والترمذي: السنن (٤/ ١١٦) وصححه. وانظر رأي الطبري في أمر هذه المدة في التفسير (١٤/ ٩٥ ـ ١٠٢) ورأي ابن كثير: البداية (٥/ ٤٤). وكان هذا الإعلان بمثابة نهاية الوثنية في الجزيرة العربية.

وقد ذكر الإمام البغوي[٦] قول العلماء في سبب بعث النبي ﷺ عليا ليقرأ صدر سورة براءة على الناس في الحج ويعلمهم بأمر الرسول ﷺ في ذلك، هو أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك إلا سيدهم أو رجل من رهطه، فبعث عليا دفعا للعلة ولئلا يقولوا: هذا خلاف ما نعرفه فينا في إلغاء العهد.

المبحث الثاني: بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن:

بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، كل منهما على جهة، وأوصاهما قائلا: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا [٧]»، وقال لمعاذ: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[٨].

وعندما خرج معاذ خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ، عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري»، فبكى معاذ جزعاً لفراق رسول الله ﷺ، وفي لفظ، فقال النبي ﷺ: «لاتبك يامعاذ، للبكاء أوان، إن البكاء من الشيطان»، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: «إن أولى بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»[٩]، وبين له أنصبة الزكاة[١٠].

---

(٦) التفسير (٣/ ٤٩/ بهامش تفسير الخازن، ونقله عنه الساعاتي: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٢).

(٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٧٩ - ١٨١/ح ٤٣٤١ - ٤٣٤٥) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٥٨٧/ح ١٧٣٣).

(٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ١١٨٣/ح ٤٣٤٧)، قال ابن كثير في البداية (٥/ ١١٣): «وقد اخرجه بقية الجماعة من طرق متعددة».

(٩) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢١٥) وقال الساعاتي: «وسنده جيد ورجاله ثقات...» وانظر أحاديث بعث معاذ وأبي موسى إلى اليمن عند البيهقي: الدلائل (٥/ ٤٠١ - ٤٠٨).

(١٠) أحمد: المسند (٥/ ١١٥) والفتح الرباني (٨/ ٢١٩ - ٢٢٠) وقال الساعاتي في تخريجه: «أخرجه
==

وقال الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟ «قال: «أقضي بها في كتاب الله»، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟»، قال: «فبسنة رسول الله ﷺ»، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟»، قال: «اجتهد وإني لا آلو»، فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ»[11].

المبحث الثالث: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن:

بعث الرسول ﷺ خالدا بن الوليد إلى اليمن، ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه. وكان من ضمن مهامه أن يقبض الخمس. وعندما أخبر النبي ﷺ عليا بها يريد قال علي: «يارسول الله، إنك تبعثني إلى قوم هم أسن مني لأقضي بينهم»، فقال النبي ﷺ «اذهب، فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك»[12]، ثم أوصاه قائلا: «إذا تقدم إليك خصمان فلا تسمع كلام الأول حتى تسمع كلام الآخر، فسوف ترى كيف تقضي، فقال علي: فمازلت بعد ذلك قاضيا[13].

ثم قال النبي ﷺ لعلي: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب

==
الأربعة وابن حبان والدار قطني والحاكم، وصححه ابن حبان والحاكم... إلخ»، وأبوداود: السنن (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥/ الزكاة/ ح ١٥٧٦) (من حديث أبي معاوية والنسائي: السنن (٥/ ٣ ـ ٤ ك الزكاة/ ب. وجوب الزكاة) وليس فيه ذكر الأنصبة، من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك، وأهل السنن الأربعة من طرق عن معاذ، انظر مثلا: الترمذي (ح ٦٢٣) وقال: «حسن».

(١١) ممن أخرجه أبوداود: السنن: (١٨ ـ ١٩/ ك. الأقضية/ ب. اجتهاد الرأي في القضاء/ ح ٣٥٩٢)، الترمذي: السنن (٥/ ٨/ ك. الأحكام/ ب. ما جاء في القاضي كيف يقضي/ ح ١٣٢٧) من حديث شعبة به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. وقال ابن كثير: البداية (٥/ ١١٧): «وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه، إلا أنه من طريق محمد بن سعد بن حسان، وهو المصلوب، أحد الكذابين». وقال الدعاس ـ محقق سنن الترمذي: «وفي العارضة (٦/ ٧٢) إختلف الناس في هذا الحديث، فمنهم من قال إنه لا يصح، ومنهم من قال هو صحيح، والدين القول بصحته، فإنه حديث مشهور يرويه شعبة بن الحجاج، رواه عن جماعة من الرفقاء والأئمة، منهم يحيى بن سعيد وابن المبارك والطيالسي والحارث بن عمرو، والهذلي، وإن لم يعرف إلا بهذا الحديث فكفى برواية شعبة عنه وغاية حظه من مرتبة أن يكون من الأفراد ولا يقدح ذلك فيه، ولا أحد من أصحاب معاذ مجهولا...».

(١٢) أبوداود: السنن (١٤/ ١١ ـ ١٢/ ك. الأقضية/ ب. كيف القضاء/ ح ٣٥٨٢). أحمد: المسند (٢/ ٧٣/ ح ٦٦٦/ شاكر. وقال شاكر «إسناده صحيح» و(٢/ ٥٣/ح ٦٣٦/ شاكر) بنحوه وإسناده منقطع، وقال في آخره: «فما شككت في قضاء بين اثنين بعد».

(١٣) أحمد: المسند (٢/ ٨٣/ح ٦٩٠/ شاكر)، وقال شاكر: «إسناده صحيح».

معك فليعقب، ومن شاء فليقبل[١٤]، ومكث علي ومن معه باليمن إلى أن قدم حاجا إلى مكة فوافق النبي ﷺ في حجة الوداع[١٥].

وقد ضرب علي أروع الأمثلة في أداء الأمانة التي أنيطت به، ومن أمثلة ذلك أن أصحابه عندما طلبوا منه أن يركبوا ويريحوا على إبل الصدقة بحجة أن بإبلهم خللا وضعفا، أبى عليهم ذلك، وقال: «إنما لكم منها سهم كما للمسلمين». وعندما ذهب إلى الحج سأل أصحابه خليفته ما كان علي منعهم إياه، فوافق على ذلك، فلما جاء علي عرف أن الإبل قد ركبت، فذم خليفته ولامه، وعد بعض أصحاب علي ذلك منه غلظة وتضييقا، فشكاه أبوسعيد الخدري إلى النبي ﷺ، فوافق الرسول ﷺ على هذا المسلك من علي، فندم الخدري على شكواه، وقال: «... والله لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية»[١٦]، وعندما اشتكى الجند عليا بحجة اشتداده في معاملتهم، قال: «أيها الناس، لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكى»[١٧]، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[١٨]، وفي رواية «فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[١٩]، وكان ذلك عندما استرجع عليّ حللا وزعها عليهم نائبه، فاشتكوه، فقام الرسول ﷺ خطيبا في الناس في اليوم الثامن عشرمن ذي الحجة بغدير خُم حين منصرفه من الحج.

لقد نجح علي (رضي الله عنه) في المهمة التي لم ينجح فيها خالد (رضي

---

(١٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٨٤ - ١٨٥/ح ٤٣٤٩).

(١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٩٠/ح ٤٣٥٣ - ٤٣٥٤)، مسلم (٢/ ٨٨٨/ح ١٢١٨).

(١٦) البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٣٩٨ - ٣٩٩) مطولا، أحمد: المسند (٣/ ٨٦)، مختصرا وأورد ابن كثير في البداية (٥/ ١٢٠) رواية البيهقي وقال عنها: «وهذا إسناد جيد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة».

(١٧) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٣٣).

(١٨) ابن كثير: البداية (٥/ ٢٣٤) وعزاه لأحمد وقال: «وكذا رواه النسائي... بإسناده نحوه، وهذا إسناد جيد قوي، ورجاله كلهم ثقات».

(١٩) رواه ابن كثير في البداية (٥/ ٢٣٥) من عدة طرق، قال في إحداها: «تفرد به النسائي من هذا الوجه قال شيخنا أبوعبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح» وقال في أخرى (٥/ ٢٣٨): من رواية أحمد: «وهذا إسناده جيد ورجاله ثقات على شرط السنن». وانظر: ابن كثير: البداية (٥/ ٢٣٤ - ٢٤٠) عن مناقشة روايات هذا الحديث.

الله عنه). فقد أقام خالد ستة أشهر يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجيبوه، وعندما قدم علي اليمن ودعا همدان إلى الإسلام أجابوه جميعا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه، فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان»[٢٠].

المبحث الرابع: سرية جرير بن عبدالله البَجَلي إلى ذي الخَلَصَة:

كان لخثعم وبجيلة بيت في الجاهلية يقال له «ذو الخلصة» و«الكعبة اليمانية» و«الكعبة الشامية». فعندما قدم جرير بن عبدالله البجلي في وفد قومه، إلى الرسول ﷺ بالمدينة قال له الرسول: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» فشكا إليه جرير أنه لا يثبت على الخيل، فضرب ﷺ بيده على صدره، وقال «اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا». فنفر جرير في مائة وخمسين راكبا فكسروه وقتلوا من عنده، وأرسل جرير أبا أَرطاة حصين بن ربيعة الأَحْمَسِي بالخبر إلى النبي ﷺ، فدعا لهم عامة ولأحمس، إخوة بجيلة ـ رهط جرير ـ بصفة خاصة[٢١].

فوائد من هذه السرية:

١ ـ إن في خبر هذه السرية ما يدل على مشروعية ازالة ما يفتن الناس من بناء وغيره[٢٢].

٢ ـ ينبغي لاهل الخير أن يدعوا بالثبات لمن لا يثبت على الخيل[٢٣]، أو غيرها من وسائل الجهاد، مثل استخدام الصواريخ وما يشبهها من أدوات الحرب في زماننا هذا وغيره.

٣ ـ وفيه إشارة إلى فضيلة ركوب الخيل والثبات عليها[٢٤]. ويمكن أن يقاس

---

(٢٠) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، وقال: «أخرجه البخاري/ مختصرا من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف»، وأصل هذا الحديث في: البخاري/ الفتح (١٦/ ١٨٤/ح ٤٣٤٩)، وقال محقق زاد المعاد (٣/ ٦٢٣): «وسجود الشكر في تمام الحديث صحيح على شرطه».

(٢١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٩٠ ـ ١٩٣/ح ٤٣٥٥ ـ ٤٣٥٧)، مسلم (٤/ ١٩٢٥/ح ٢٤٧٦). ويمانية باعتبار كون ذي الخلصة كانت باليمن وشامية باعتبار جعلهم بابها مقابل الشام ـ انظر ابن حجر: (١٦/ ١٩٠ ـ ٩١).

(٢٢) و (٢٣) و (٢٤) انظر فيه ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩٤).

على ذلك فضيلة ركوب الدبابة والطائرة وغيرهما من وسائل الحرب في زماننا هذا.

٤ - استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك كثيرا، وكذلك الاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح[٢٥].

المبحث الخامس: حجة الوداع:

ذكروا أن الله تعالى فرض الحج في العام العاشر أو التاسع أو السادس، وقبل الهجرة، وهو غريب[٢٦]. وجزم ابن القيم[٢٧] بأن فرضه كان في العام العاشر لقوة الأدلة على ذلك، وهو اللائق بهديه في عدم تأخير ماهو فرض، لأن الله يقول ﴿ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[٢٨]. وقد نزلت عام الوفود، أواخر سنة تسع.

ولم يحج الرسول ﷺ من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر، وعرفت هذه الحجة بحجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع، لأنه (عليه الصلاة والسلام) ودع الناس فيها ولم يحج بعدها، وحجة البلاغ، لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولا وعملا، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عليه وهو واقف بعرفة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٢٩][٣٠].

وعندما أعلن الرسول ﷺ عزمه على الحج في العام العاشر، قدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله[٣١].

وخرج من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة[٣٢]، ووقعت له في مسيره

---

(٢٥) انظر فيه ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٩٤).
(٢٦) ابن كثير: البداية (٥/ ١٢٣).
(٢٧) زاد المعاد (٣/ ٥٩٥).
(٢٨) آل عمران: ٩٧.
(٢٩) المائدة: ٣.
(٣٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٣٥/ح ٤٤٠٧)، وانظر ابن كثير: البداية (٥/ ١٢٣).
(٣١) مسلم (٢/ ١٨٨٧ح ١٢١٨).
(٣٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٣٠) وجود ابن كثير في البداية (٥/ ١٢٥) هذا الإسناد.

هذا ورجوعه أحداث كثيرة[٣٣]، مكانها أبواب الحج من كتب فقه العبادات، وقد أفرد لها العلماء قديما وحديثا كتبا خاصة[٣٤]، تناولوا ماجاء فيها من مناسك الحج وأحكامه، ووصايا الرسول ﷺ للأمة. ومن أشهر خطبه في هذه الحجة تلك الخطبة التي ألقاها في وسط أيام التشريق، ومما قاله فيها: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - (كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل) - وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإني قد تركت فيكم مالن تضلوا بعد إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال اللهم اشهد» - ثلاث مرات[٣٥].

وقال ﷺ في خطبة خلال تلك الحجة: «... ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٣٦]، وقال: «... إن

---

(٣٣) انظر في ذلك مثلا ابن كثير: البداية (٥/ ٢٢٣ - ٢٣٣).

(٣٤) من القدماء: ابن حزم، ومن المحدثين المعاصرين الشيخ الألباني، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والدكتور فاروق حمادة، تحت عنوان: (الوصية النبوية للأمة الإسلامية)، فقد جمع من المصادر الأدبية والحديثية وكتب أهل السير ثمانية وثلاثين بندا، ثم قام بتحليلها وتخريجها وتوثيق نصوصها بميزان الجرح والتعديل الذي اعتمده أئمة المسلمين منذ الصدر الأول لأن الأمر دين وشرع كما قال. وقد أجاد وأفاد.

(٣٥) مسلم (٢/ ٨٨٩ - ٨٩٠/ح ١٢١٨) من حديث جابر الطويل المشهور في حجة الوداع.

(٣٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٣٣/ح ٤٤٠٣)، مسلم (١/ ٨٢/ح ٦٥ - ٦٦). وانظر أحكام الحج الواردة في حجة الوداع عند: البخاري/ الفتح (١٦/ ك. المغازي/ ب. حجة الوداع). الأبواب المختلفة ومسلم (٢/ ٨٣٤/ ١٠١٧/ ك. الحج/ الأبواب المختلفة أحمد: الفتح الرباني (١٢/ ٢١٠ - ٢١٢)، ابن اسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٣٣ - ٣٣٧)، البيهقي: دلائل النبوة (٥/ ٤٣٢ - ٤٥٢)، ابن القيم: زاد، المعاد (٢/ ١٠١ - ٣١١). وذلك إضافة إلى كتب الأقدمين والمعاصرين التي أشرنا إليها.

الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاورون من أعمالكم، فاحذورا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله، وسنة نبيه، إن كل مسلم أخو المسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفس...»(٣٧).

المبحث السادس: أحكام ومبادىء وعبر من حجة الوداع:

١ ـ أراد الرسول ﷺ أن يتعلم الناس منه كيفية أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، الحج، بعد أن حرم التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام الحج من تصدية وصفير وعري أثناء الطواف، وقضى على الأوثان وطهر البيت الحرام منها.

٢ ـ وأراد أن يلتقي في هذه الحجة بالمسلمين الذين تقاطروا إليه من كل حدب وصوب، ويلخص لهم تعاليم الإسلام ونظامه في كلمات جامعة مختصرة، ويحملهم أمانة تبليغها إلى من لم تبلغه من البشر في كل أصقاع الدنيا في الحاضر والمستقبل، وإلى ان يرث الله الأرض ومن عليها. ويؤدي فريضة الحج ليبين للناس عملياً هذا الركن الخامس من أركان الإسلام. ولذا فقد تضمنت خطبه ﷺ في هذه الحجة لكل أحكام الحج، وأوصى الأمة بأهم مبادىء الإسلام وأسسه.

وأهم حديث وردت فيه أحكام حجة النبي ﷺ ووصاياه فيها، هو حديث جابر، الذي رواه مسلم، وقال عنه النووي(٣٨): «وهو حديث عظيم ومشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، وهو من افراد مسلم،

---

(٣٧) من رواية البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣) من حديث ابن عباس وروى الترمذي بعضه كما في السنن (٣/ ٥٤/ ك. التفسير/ ب. ومن سورة التوبة/ ح ٣٢٩٥/ إختصار وتصحيح الألباني) من حديث عمرو بن الأحوص، وقال الألباني: «حسن»، وعزاه أيضا لابن ماجه رقم ١٨٥١. وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٨٠). وقال الساعاتي في تخريجه: «أورده ابن كثير في تاريخه بطوله وعزاه للإمام أحمد ثم قال: «وروى أبوداود بعضه، ورواه أئمة الحديث في كتبهم مقطعا في أبواب متفرقة من طرق صحيحة، والله أعلم»، والبزار: كشف الأستار، برقم ١٥٢٤.

(٣٨) مسلم/ بشرح النووي (٨/ ١٧٠).

لم يروه البخاري في صحيحه، ورواه أبوداود كرواية مسلم. قال القاضي (عياض) وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا، وصنف فيه أبوبكر ابن المنذر جزءا كبيرا، وخرج فيه من الفقه مائة ونيفا وخمسين نوعا، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه...».

وقد لخص الألباني[٣٩] فقه حجة الوداع في اثنتين وسبعين مسألة، ولأن الكتاب متيسر وحرصا منا على الاختصار فقد رأيت عدم نقلها عنه، وأكتفي بالإحالة إليه لتمام الفائدة والشرح والتعليق الذي زين به الشيخ كتابه المفيد المختصر. وزيادة في تمام الفائدة فقد ألحق الشيخ ذيلا سرد فيه بدع الناس في الحج وزيارة المدينة المنورة وبيت المقدس، لأن كثيرا من الناس لا يعرفونها فيقعوا فيها[٤٠]، وعد منها خمسا وسبعين ومائة بدعة.

ومن الكتب الهامة في فقه حجة الوداع، كتاب زاد المعاد[٤١]، وزاده فائدة تحقيق العالمين الجليلين: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط.

أما أهم وأبرز المبادىء التي أكدها الرسول ﷺ وأوصى أمته بها، فهي:

١) الإعلان عن حقوق المسلم، وأنه محرم الدم والمال والعرض[٤٢].
٢) الإعلام عن تحريم الظلم والربا، وكل عادات الجاهلية الضارة[٤٣].
٣) الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذا حقوق الزوج على زوجته[٤٤].
٤) تحريم الوصية للوارث، وتقرير قانون التوارث كما في القرآن الكريم[٤٥].

---

(٣٩) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه. ص ص ٩٤ - ١٠٠.
(٤٠) المرجع نفسه، ص ص ١٠٥ - ١٤٩.
(٤١) ابن القيم (٢/ ١٠١ - ٣٢٤).
(٤٢) مسلم (٢/ ٨٨٩/ح ١٢١٨) من حديث جابر الطويل في حجة الوداع، وغيره.
(٤٣) المصدر والمكان نفساهما.
(٤٤) المصدر والمكان نفساهما، وأبوداود (٣/ ٨٢٤/ ك. البيوع والإجارات/ ب. في تضمين العارية/ح ٣٥٦٥). والترمذي (٣/ ٥٤/ ك. التفسير/ ب. ومن سورة التوبة/ح ٣٢٩٥) اختصار وتصحيح الألباني، وحسنه الألباني، ابن ماجه (٢/ ك. التجارات/ح ٢٢٩٥)، عبدالرزاق: المصنف (٩/ ٤٨/ح ١٦٣٠٨)، أحمد المسند (٥/ ٢٦٧).
(٤٥) عبدالرزاق: المصنف (٩/ ٤٨/ح ١٦٣٠٨)، أحمد: المسند (٥/ ٢٤٨)، أبوداود (٣/ ٨٢٤/ ك. البيوع/ ح ٣٥٦٥).

٥) حرمة التبني والانتساب لغير الأب أو تولي غير الموالي، رغبة عنهم[٤٦].

٦) تقدير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه، وأن العاهر لاحق له فيه وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنى[٤٧].

٧) أخبرهم أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى[٤٨]. وطلب ممن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها[٤٩].

٨) حذر من الكذب عليه، فقال: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار[٥٠].

٩) وأوصاهم بالاعتصام بالكتاب والسنة، فقال: وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به: كتاب الله، وسنة نبيه[٥١].

١٠) وأوصاهم بأن المؤمنين إخوة وأنه لا يحل لامرىء مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه[٥٢].

١١) أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر مهما كان جنسهم أو لونهم أو وضعهم الاجتماعي ماداموا يقيمون فيهم كتاب الله (عز وجل)[٥٣].

١٢) قرر أن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى وليس بأي اعتبار آخر[٥٤].

١٣) الوصية بالأرقاء[٥٥].

---

(٤٦) انظر: المصادر والأمكنة نفسها، إضافة إلى أبي داود: (٥/ ٣٣٩/ ك. الأداب/ح ٥١١٥)، ابن ماجه رقم ٢٧١٢.

(٤٧) انظر: المصادر والأمكنة نفسها.

(٤٨) أخرجه ابن حبان: موارد الظمآن، رقم ٢٥، بإسناد رجاله ثقات.

(٤٩) أحمد: المسند (٥/ ٧٣)، البزار: المسند ـ كشف الأستار (٢/ ٣٤) وفيه موسى بن عبيد الرنذي وهو ضعيف.

(٥٠) ابن ماجه، رقم ٣٠٥٧، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح»، وأحمد: المسند (٥/ ٤١٢).

(٥١) مسلم (٢/ ٨٩٠/ح ١٢١٨).

(٥٢) الترمذي (٣/ ٥٤/ ك. التفسير/ ب. ومن سورة التوبة/ إختصار وتصحيح الألباني/ ح ٣٢٩٥/ من حديث عمرو بن الأحوص وحسنه الألباني، الحاكم (١/ ٩٣) وأحمد: المسند (٣/ ٤٢٣).

(٥٣) مسلم (٢/ ٩٤٤/ح ١٢٩٨).

(٥٤) انظر الهيثمي: مجمع الزوائد (٣/ ٣٧٢) وقال: «رواه الطبراني في الكبير بأسانيد وهذا ضعيف، وتقدم له إسناد صحيح في الخطبة يوم عرفة»، انظر: جمع الفوائد (١/ ٥١٠) والتعليق على هذا النص. وحديث: «إن أباكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم وآدم من تراب» رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح كما في كشف الأستار (٢/ ٤٣٥).

(٥٥) أحمد: المسند (٤/ ٣٥)، وقال ابن حجر: الإصابة (٣/ ٦٥٣): «أخرجه البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منده والأزدي وغيرهم» وإسناده صحيح.

١٤) وأوصاهم بأن ثلاثا لا يغل عليهن قلب المسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين[٥٦].

المبحث السابع: سرية أسامة بن زيد إلى الشام:

رجع النبي ﷺ من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة من العام العاشر، وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر ندب الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار[٥٧]، ودعا ﷺ أسامة بن زيد، فأمره على هذا الجيش. فطعن بعض الناس في إمارته، فقام ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليَّ بعده»[٥٨].

وكان سبب طعن بعض الناس في إمارة اسامة لكونه صغير السن، إذ كان ابن ثمان عشرة سنة[٥٩].

ومرض رسول الله ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين ولذا لم يتحرك هذا الجيش، وظل معسكرا بالجرف، ورجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم أنفذه أبوبكر (رضي الله عنه) عندما استخلف، وكانت عدته ثلاثة آلاف[٦٠].

---

(٥٦) أحمد: المسند (٤/ ٨٠، ٨٢)، الدارمي: السنن رقم ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ابن ماجه: السنن رقم ٣٠٥٦، الطبراني في الكبير (٢/ ١٣٠، ١٣١)، والحاكم (١/ ٨٧) وقال: «على شرطهما»، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠٩) وحسنه.
وقد جاء هذا المتن من رواية عدد كبير من الصحابة، أوصلهم السيوطي إلى ثلاثين صحابيا، ولهذا عد من المتواتر، انظر: الكتاني: نظم المتناثر، ص٢٣، كما ذكر الدكتور فاروق حمادة: الوصية النبوية، ص ١١٠)

(٥٧) ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٧/ ك. المغازي/ ب. بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد...)، الواقدي (٣/ ١١١٧ - ١١١٨)، ابن سعد (٢/ ٢٤٨) من طريق الواقدي ومرسلا، ابن إسحاق، معلقا- ابن هشام (٤/ ٣٣٧).

(٥٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٧/ح ٤٤٦٩).

(٥٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن، ولكنه مرسل - ابن هشام (٤/ ٣٩٦)، الواقدي (٣/ ١١١٨) وذكر السهيلي سببا ثانيا وهو لكونه مولى -انظر: الروض الأنف (٤/ ٢٤٨)، ولم نقف على مصدره في هذا، ويبدو أنه استنتاج خاطىء.

(٦٠) ابن إسحاق، بإسناد حسن ولكنه مرسل - ابن هشام (٤/ ٣٩٦)، وابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٧ - ٢٨٨)، والواقدي (٣/ ١١٢٠ - ١١٢٢). وقد انفرد الواقدي بذكر عدد هذا الجيش.

عظـات وعبـر:

١ ـ بيان فضل أسامة بن زيد وأبيه زيد ومكانتهما عند الرسول ﷺ فلا صغر السن ولا الرق القديم الذي وقع على أبيه زيد منع رسول الله ﷺ من أن يجعله أميرا على جيش فيه عامة الصحابة في غزوة كبرى. وهكذا حطمت شريعة الإسلام قيم الجاهلية ومقاييسها التي كانوا يتفاضلون بها.

الفصل الثامن والعشرون

المـرض والوفـاة:

اشتكى رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري[1].

وطلب يومئذ من مولاه أبي مُوَيهِبَة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع، لأنه أمر أن يستغفر لأهل البقيع، وعندما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنى لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»، ثم أقبل على أبي مويهبة قائلا: «يأبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». فقال أبومويهبة: «بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة»، فقال رسول الله ﷺ: لا والله يأبامويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف[2] إلى بيت عائشة، وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وجعه في بيت ميمونة[3]، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة (رضي الله عنها)[4]، واستغرق مرضـه عشرة أيام[5]، ثم توفاه الله يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع

---

(١) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٨٥)، وانظر اختلاف أهل المغازي والسير في تاريخ ابتداء شكواه وتاريخ وفاته عند ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠ - ٢٦١).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٨٥ - ٣٨٦).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٨٦ - ٣٨٧). قال ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠): «ووقع في السيرة لأبي معشر: في بيت زينب بنت جحش، وفي السيرة لسليمان التيمي: في بيت ريحانة والأول المعتمد - أي في بيت ميمونة».

(٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٣ - ٢٧٤/ح ٤٤٤٢، ٤٤٥٠)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٨٧).

(٥) قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦٠): «واختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوما، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه، وقيل عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح».

الأول[6]. وقد تم له من العمر ثلاثة وستون عاما[7].

وكانت عائشة (رضي الله عنها) تقرأ بالمعوذتين والأدعية الكثيرة التي حفظتها من رسول الله ﷺ، وتنفث بذلك على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة[8].

ويوم زادت درجة حرارة جسمه، طلب أن يصبوا عليه سبع قرب من ماء حتى يخرج للناس فيعهد إليهم، ففعلوا، حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»، وعند ذلك أحس بخفة، فعصب رأسه ثم قام فدخل المسجد وجلس على المنبر، وخطب الناس قائلا: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وفي رواية: «قاتل الله اليهود والنصارى...»[9]، وقال: «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد»[10]. وكانت هذه الوصية الخاصة بعدم اتخاذ القبور مساجد قبل أن يموت بخمس[11].

وعرض نفسه للقصاص قائلا: «من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه»، ثم نزل فصلى الظهر، ثم عاد لمنبره لمواصلة حديثه في الحقوق وغيرها، فقال رجل: «إن لي عندك ثلاثة دراهم»، فقال: «اعطه يافضل». وقال آخر إنه غل ثلاثة دراهم، فقال «خذها يافضل»[12].

ثم أوصى الناس بالأنصار، قائلا: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وَعْيبَتِيْ، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم،

---

(٦) وهو قول الجمهور كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦١)، وقد اعتمد ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠ - ٢٦١) قول أبي مخنف إنه مات في الثاني عشر من ربيع الأول، وقال إن الآخرين زادوا «عشر» بعد الثاني» واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضا من غير تأمل... قلت: وأبومخنف لوط بن يحيى ضعيف لا يحتج به.

(٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٦/ح ٤٤٦٦)، وروى أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٩/ ٢١٠) و (٢١/ ٢٦٠) بإسناد صحيح انه توفي عن ثلاثة وستين عاما. وانظر مناقشة الساعاتي للروايات التي قالت بغير هذا.

(٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦٢، ٢٨٧/ح ٤٤٢٩، ٤٤٥١)، وشرح ابن حجر للحديث الأول، مسلم (٤/ ١٧٢١/ - ١٧٢٤/ح ٢١٩١ - ٢١٩٢).

(٩) البخاري/ الفتح (٣/ ٩٨ - ٩٩/ح ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧) و(٦/ ٢٤٤/ح ١٣٣٠)، مسلم (١٠/ ٤٧٥٦ - ٣٧٨/ح ٥٢٩، ٥٣٢)، مالك الموطأ، ص ٣٦٠.

(١٠) مالك: الموطأ، ص ٣٦٥.

(١١) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ١٦٩ - ١٨٠)، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية، وقال عنه: «في إسناده ومتنه غرابة شديدة».

(١٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣٧٣/ح ٣٧٩٩ - ٣٨٠١)، مسلم (٤/ ١٩٤٩/ح ٢٥١٠).

وتجاوَزا عن مسيئهم». وقال في رواية أخرى: «إن الناس يكثرون، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم»[١٣].

ثم قال في آخر خطبة له: «إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، قال الراوي: «فبكى أبوبكر (رضي الله عنه) فعجبوا لبكائه، فكان المخير رسول الله ﷺ وكان أبوبكر أعلمهم بذلك»، فقال النبي ﷺ: «لا تبك ياأبا بكر، إن آمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر، لو كنت متخذا خليلا غير ربي لا تخذت أبابكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر»[١٤].

وعندما حضرته الوفاة واشتد به الوجع، وذلك يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام، قال للصحابة الذين كانوا حوله بالمنزل، وفيهم عمر: «هلموا أكتب إليكم كتابا لن تضلوا بعده»، فقال عمر: «قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله»، فاختلفوا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني»[١٥].

وأوصى في ذلك اليوم بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، ونسي الراوي الوصية الثالثة، ولعلها عامة وصيته حين حضره الموت وهي: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»[١٦]، وفي لفظ: «الله الله، الصلاة وما ملكت أيمانكم»، كان يتكلم بها وما يكاد يفيض[١٧].

وقبل الوفاة بثلاث أوصى قائلا: «أحسنوا الظن بالله (عز وجل)»[١٨]،

---

(١٣) البخاري/ الفتح (٣/ ١٣٣/ح ٤٦٧)، مسلم (٤/ ١٨٥٤/ح ٢٣٨٢)، وغيرهما.
(١٤) البخاري/ الفتح (١٦/ - ٦٧/ح ٤٤٣١ - ٤٤٣٢)، مسلم (٣/ ١٢٥٧ - ١٢٥٩/ح ١٦٣٧).
(١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦٦/ح ٤٤٣١).
(١٦) رواه التيمي موصولا إلى أنس (رضي الله عنه) كما ذكرالذهبي في السيرة ص٥٥٧.
(١٧) رواه الذهبي في السيرة، ص٥٥٧، وقال: «وهذا أصح» - يعني من حديث التيمي. ورواه ابن ماجه. انظر: الألباني: صحيح ابن ماجه (١/ ٢٧١/ ك . الجنائز/ح ١٦٢٥)، وقال: «صحيح». وصححه أيضا الهيثمي: المجمع (٤/ ٢٣٧) وفيه عبيدالله أبوالوليد الوصافي، وهو متروك.
(١٨) رواه الذهبي في السيرة، ص٥٥٧، وقال: «هذا حديث صحيح من العوالي».

ثم اخذ يثقله المرض ويمنعه من الخروج للصلاة بالناس فقال: «مروا أبابكر أن يصلي بالناس»، فقالت عائشة: «يارسول الله، إن أبابكر رجل أسيف - أي رقيق - وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر»، فقال: «مروا أبا بكر أن يصلي»، فقالت عائشة لحفصة: «قولي له إن أبابكر رجل أسيف وإنه متى... فقال ﷺ: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبابكر أن يصلي بالناس....» ولما لم يكن أبوبكر موجودا في تلك اللحظات، دعا عبدالله بن زمعة عمر ليصلي بالناس، فعندما سمع الرسول ﷺ صوته، قال: «يأبى الله ذلك والمسلمون - مرتين -» فبعث إلى أبي بكر، فجاء فصلى بالناس[19].

وظل أبوبكر يصلي بالناس تلك الأيام، وفي أحدها وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبوبكر يصلي بالناس، وعندما رآه أراد أن يتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، فأجلسه بجانبه، فجعل أبوبكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر[20].

وقبل يوم من وفاته، أعتق غلمانه[21]، وتصدق بدنانير - ما بين التسعة والسبعة - كانت عنده[22]، وقال: «لا نورث ما تركنا صدقة...»[23] وفي رواية «لا يقتسم ورثتي دينارا، ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[24] ولذا لم يترك رسول الله ﷺ عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل

---

(١٩) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٢٦ - ٢٢٧) من طريق ابن إسحاق، قال الساعاتي: «وحديث الباب صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي»، أبوداود: السنن (٥/ ٤٧ - ٤٨) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن، ويونس بن بكير من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٥/ ٢٦١).

(٢٠) البخاري (١/ ١٧٥/ ك. الصلاة/ ب. الرجل يأتم بالإمام/ رقم ٦٨ واللفظ للبخاري، مسلم (١/ ٣١٣ - ٣١٤/ح ٤١٨).

(٢١) ابن سعد (٢/ ٣١٦ - ٣١٧) من عدة طرق تتقوى بعضها يبعض ولها شاهد من حديث البخاري أن الرسول ﷺ لم يترك عند موته عبدا ولا أمة.

(٢٢) ابن سعد (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨٩) من عدة طرق تتقوى ببعضها البعض.

(٢٣) البخاري/ الفتح (٢٥/ ٢١٢٧ - ١٣٠/ح ٦٧٢٦ - ٦٧٢٨، ٦٧٣٠)

(٢٤) البخاري/ الفتح (٢٥/ ١٢٩/ح ٦٧٢٩).

صدقة[٢٥].

واستعارت عائشة (رضي الله عنها) في الليل الزيت للمصباح من جارتها[٢٦] وكانت درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من الشعير[٢٧]. ولعل باقي هذه الثلاثين صاعا هو ما ذكرته عائشة (رضي الله عنها) في قولها: «لقد توفى النبي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فاكلته ففني»[٢٨]. ولم تشر الروايات إلى ما تبقى من الثلاثين صاعا في بيوت زوجاته الأخريات.

وكانت الأشياء مثل البغلة والحربة والكسوة والسلاح والسرير وقفا يتجمل به الأئمة المسلمون بعده ويتبركون به كما كان يتجمل به، وكان ذلك في أيدي الأئمة واحدا بعد واحد[٢٩].

وفي اليوم الذي مات فيه، فاجأ الرسول ﷺ المسلمين بكشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم يصلون الصبح، ثم تبسم، فنكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف، ظنا منه أن الرسول ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ، فأشار اليهم بيده أن اتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[٣٠].

وعند الضحى دعا إليه ابنته فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فسئلت عن ذلك بعد وفاته ﷺ، فقالت «سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني

---

(٢٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٣/ح ٤٤٦١) - وفي هذا الحديث دليل على أن من ذكر من رقيق للنبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتق قبل وفاته، واستدل به على عتق أم الولد بناء على أن مارية أم إبراهيم عاشت بعد النبي ﷺ وأما على قول من قال إنها ماتت في حياة الرسول ﷺ فلا حجة فيه - انظر ابن حجر: الفتح (١١/ ٩٥). قلت: إنما الحجة في قوله ﷺ عندما ولدت له ابراهيم: «أعتقها ولدها...» رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٦) ويتقوى بالشواهد والمتابعات التي ذكرها الماrديني في الجوهر النقي في ذيل السنن الكبرى.

(٢٦) قاله ابن رجب الحنبلي في: «مجالس من سيرة النبي ﷺ»، بتحقيق ياسين السواس ومحمود الأرناؤوط، ص ١٠٤، دون إسناد.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٦/ح ٤٤٦٧) و (١٠/ ١٣٠/ح ٢٥٠٩).

(٢٨) البخاري/ الفتح (٢٤/ ٦٣ - ٦٤/ح ٦٤٥١)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٣/ح ٢٩٧٣).

(٢٩) حماد بن إسحاق بن إسماعيل: تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها، تحقيق الدكتور أكرم العمري، ص ١١٣.

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٧/ح ٤٤٤٨).

أني أول أهله يتبعه - يلحقه - فضحكت[٣١]»، وفي رواية أن سبب ضحكها كان لقول الرسول ﷺ لها: «يافاطمة، أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة....؟»[٣٢].

والحديث دليل من دلائل نبوته ﷺ لأن فاطمة (رضي الله عنها) كانت أول الناس لحوقا به (عليه السلام) من أهله.

ولما رأت فاطمة ما بأبيها من الوجع الشديد، قالت: «واكرب أباه»، فقال لها الرسول ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»[٣٣].

وكان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبة ماء، يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»[٣٤].

وبعد هذا ثقل عليه المرض فأصبح لا يتكلم، ولذا فعندما دخل عليه أسامة بن زيد (رضي الله عنه) دعا له بالإشارة[٣٥].

ويبدو أن ذلك كان الوقت الذي لَدُّوه فيه، أي جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهو يشير إليهم بألايفعلوا ذلك، وهم يظنون أن ذلك كان منه كراهية المريض للدواء[٣٦]، ولكنه كان ينفي عنه تهمة الإصابة بمرض ذات الجنب الذي ظنوه[٣٧] به، وهو نوعان: أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، وهو المنفي عنه هنا، وثانيهما: ريح محتقن بين الأضلاع[٣٨].

وقد روى أبويعلى بسند فيه ابن لهيعة من وجه اخر عن عائشة أن النبي ﷺ مات من ذات الجنب. ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الجنب المعنية هنا هي الريح المحتضنة بين الأضلاع[٣٩].

---

(٣١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦٧ - ٢٦٨/ح ٤٤٣٣ - ٤٤٣٤) مسلم (٤/ ١٩٠٤/ح ٢٤٥٠).
(٣٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ١٢٤/ح ٣٦٢٣)، مسلم (٤/ ١٩٠٥/ح ٢٤٥٠).
(٣٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٣ - ٢٨٤/ح ٤٤٦٢).
(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٨/ح ٤٤٤٩).
(٣٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٩٨).
(٣٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨١ - ٢٨٢/ح ٤٤٥٨).
(٣٧) رواه عبدالرزاق بإسناد صحيح عن أسماء بنت عميس، كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٨٢)، وابن سعد (٢/ ٢٣٥) بإسناد فيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق، ويقويه حديث عبدالرزاق وغيره من الشواهد الأخرى التي ساقها ابن سعد.
(٣٨) ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٣).
(٣٩) قاله ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣).

ثم بدأت اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ. فبينما كان في حجر عائشة، دخل عليه عبدالرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه الرسول ﷺ، فعلمت عائشة أنه يريد السواك، فتناولته ولينته له فاستاك به، وعندما فرغ منه رفع يده وأصبعه وشخص ببصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة، وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»، كررها ثلاثا[40] وكان هذا آخر ما تكلم به[41]، ثم مالت يده ولحق بالرفيق الأعلى[42].

وكان ذلك حين اشتد الضحى[43] أو في منتصف النهار[44]، فقالت فاطمة: «ياأبتاه، أجاب رباً دعاه، ياأبتاه، من جنة الفردوس مأواه، ياأبتاه، إلى جبريل ننعاه»[45].

ولم يصدق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نبأ وفاة الرسول ﷺ فأخذ يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة. والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون ـ أو قال: يقولون ـ إن رسول الله ﷺ قد مات»[46].

وجاء أبوبكر من السُّنح، فكشف عن وجه النبي ﷺ، ثم قبله وبكى وقال: «بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها»، ثم خرج إلى الناس، وهم بين منكر ومصدق، لهول

---

(٤٠) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٨/ح ٤٤٤٩).
(٤١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٥/ح ٤٤٦٣)، ومسلم (٤/ ١٨٩٤/ح ٢٤٤٤) وغيرهما.
(٤٢) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٨/ح ٤٤٤٩).
(٤٣) ابن إسحاق، بإسناد متصل ولكن لم يصرح فيه بالسماع ـ ابن هشام (٤/ ٤٠٤).
(٤٤) الطبري: التاريخ (٣/ ٢٠٠) من رواية في إسنادها الكلبي وأبو مخنف وهما متروكان في الحديث.
(٤٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٤/ح ٤٤٦٢).
(٤٦) أحمد الفتح الرباني (٢١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، ابن سعد (٢/ ٢٦٦)، عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤)، وجميعهم من طريق الزهري عن أنس، وإسنادهم صحيح. ورواه ابن إسحاق بإسناد متصل من طريق الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، ولم يصرح فيه بالسماع، ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة ـ ابن هشام (٤/ ٤٠٦).

الأمر، فرأى عمر وهو يكلم الناس منكرا موت الرسول ﷺ، فطلب منه أن يجلس، فأبى، فأقبل الناس إلى أبي بكر وتركوا عمر، فحدثهم أبوبكر قائلا: «أما بعد: من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين﴾[٤٧]. فهدأ الناس وكأنهم لم يسمعوا الآية من قبل، وقعد عمر على الأرض لا تحمله رجلاه لما علم بموت الرسول ﷺ[٤٨].

وفي يوم الثلاثاء، وهو اليوم التالي لوفاته ﷺ، غسلوا رسول الله ﷺ في ثيابه[٤٩]، غسله العباس وعلي والفضل وقُثَم ابنا العباس وشُقْران مولى رسول الله وأسامة وأوس بن خولي[٥٠].

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة[٥١].

ثم حفروا له قبرا في حجرة عائشة[٥٢].

وصلى عليه الناس أرسالا أرسالا، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد[٥٣]. وقيل صلى عليه أولا بنو

---

(٤٧) آل عمران: ١٤٤.
(٤٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٩ - ٢٨٠/ح ٤٤٥٢ - ٤٤٥٤).
(٤٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٤١٦) ورواه غيره من هذا الطريق.
(٥٠) ابن إسحاق، بإسناد حسن فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف - ابن هشام (٤/ ٤١٥).
(٥١) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٦٤/ح ١٢٦٤، مسلم (٢/ ٦٤٩ - ٦٥٠/ ٩٤١)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٤١٦)- وسحولية يعني نقية أو منسوبة إلى سحول وهي مدينة باليمن، تحمل منها هذه الثياب، والكرسف: القطن.
(٥٢) ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبدالله - ابن هشام (٤/ ٤١٦ - ٤١٧)، ابن سعد (٢/ ٢٩٢) بأسانيد مختلفة، والتي من طريق أبي الوليد الطيالسي صحيحة. وهو خبر مشهور، وممن وراه: ابن ماجه في السنن (١/ ٥٢١/ ك. الجنائز)، قال ابن عبدالبر: «... ولكنه صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها». نقله فؤاد عبدالباقي في حاشية الموطأ (١/ ٢٣١) فيكون الحديث صحيحا من طريق الطيالسي، وتتقوى الطرق الأخرى الضعيفة وتعتضد بعضها ببعض ويشهد لها حديث الطيالسي.
(٥٣) أحمد الفتح الرباني (٢١/ ٢٥٣ - ٢٥٤)، وقال الساعاتي: «... ورواه الهيثمي وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن سعد (٢/ ٢٨٨ - ٢٩٢) من عدة طرق أحدها طريق أحمد هذا. وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٢٩٩): «وهذا الصنيع - وهو صلاتهم عليه فرادى - أمر مجمع عليه لا خلاف فيه».

هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الناس حتى فرغوا، ثم النساء، ثم الصبيان(٥٤)، ثم العبيد(٥٥).

ثم دفنوه في ليلة الأربعاء(٥٦).

إنا لله وإنا إليه راجعــون! إنا لله وإنا إليه راجعون!!.

ولا يملك المرء المسلم إلا أن يبكي مع حسان(٥٧)، وهو ينشد:

فَبَكِيْ رسـول اللـه ياعيـنُ عبـرة * ولا أعرفنـك الدهـر دمعك يجمـد
ومالك لا تبكيـن ذا النعمـة التي * علـى النـاس منهـا سابـغ يتغمـد
فجـودي عليه بالدمـوع وأعولـي * لفقـد الذي لا مثله الدهـر يوجد
وما فقـد الماضـون مثـل محمـد * ولا مثلـه حتـى القيامـة يفقـد

عظـات وعبـر وأحكـام ووصايـا:

١ ـ كفى بالموت عظة وعبرة... لقد شاء الله تعالى أن يكون الموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره، ومهما كان موقعه من الحياة، وتلك سنة الحياة كما عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون؟ كل نفس ذائقة الموت ونَبلوكُم بالشر والخير فتنة، وإلينا ترجعون﴾(٥٨)، وفي قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾(٥٩). فها هو محمد بن عبدالله خير البشر، يموت بعد أن عانى من سكرات الموت وآلام المرض... وإذا وعى الناس هذه الحقيقة استشعروا معنى العبودية والتوحيد، وخضعوا لله الواحد القهار، واستعـدوا للموت بالإكثار من العمل الصالح وطاعة الله وإخلاص

(٥٤) ابن سعد (٢/ ٢٩١) من رواية الواقدي.
(٥٥) الطبري التاريخ (٣/ ٢١٣) من رواية ابن اسحاق، ولم يصرح بالسماع، وفيه حسين بن عبدالله وهو ضعيف
(٥٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٤١٨).
(٥٧) من داليته في رثاء الرسول ﷺ عن أبي زيد الأنصاري وهي قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتا ـ انظر ابن هشام (٤/ ٤٢٤).
(٥٨) الأنبياء: ٣٤ ـ ٣٥.
(٥٩) الزمر: ٣٠.

العبادة له في كل مجال من مجالات الحياة، لا سيما عبادة الله في تحكيم شرعــه والجهـاد في سبيل ذلـك، لأن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن، لأن الله تعالى الذي خلق البشر خبير بما يصلحهم في الدنيا والاخرة... ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[٦٠].

٢ ـ مشروعية الرقية ـ التعويذ ـ ما ثبت في ذلك في الصحيحين. وقد نقل النـووي[٦١] وابن حجـر[٦٢] وغيرهما الاجماع على مشروعية الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وأن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى.

٣ ـ بيان فضل أبي بكر الصديق عندما أصر الرسول ﷺ على أن يؤم الناس.

٤ ـ النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

٥ ـ لقد تضمن ما سقناه من أحاديث في خبر مرض وفاته ﷺ دروساً وعظات وعبراً وأحكاما يستطيع المرء أن يستنبطها بيسر.

---

(٦٠) الملك: ١٤.
(٦١) شرح مسلم (١٤/ ١٦٩).
(٦٢) فتح الباري (١٩/ ٣٢٠/ ك. الطب/ شرح أحاديث باب الرقي بالقرآن والمعوذات).

الفصل التاسع والعشرون

أمهــات المؤمنيــن:

تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة[1]، دخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع[2]، فأما اثنتان منهن فأفسدتها النساء فطلقهما، وذاك أن النساء قلن لإحداهما: إذا دنا منك فتمنعي، فتمنعت فطلقها، وأما الأخرى فلما مات إبراهيم قالت: لو كان نبيا ما مات ابنه، فطلقها، منهن خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم سَلَمة وسَوْدَة وأم حبيبة، ومن غير قريش: ميمونة الهلالية، وجُويرية الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية وصفية الخيبرية. وهؤلاء التسع هن اللاتي قبض عنهن[3]. وقد سبق الكلام عن زواجه من خديجة (رضي الله عنها)، وسأتناول هنا بإيجاز قصة زواجه من الثماني الباقيات، ومن تسرى بهن.

٢ ـ سودة بنت زمعة بن قيس:

كانت من المؤمنات المهاجرات في سبيل الله. فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها السَّكْرَان بن عمرو، ابن عم أبيها، فأغضب ذلك أهلها. وعندما عادت مع زوجها من هجرتها توفي زوجها السكران، وقيل توفي عنها في

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ٢٨٨) من مرسل قتادة.
(٢) أبوعبيدة بن المثنى: تسمية أزواج النبي ﷺ، ص٧٧، ابن حبيب: المحبر، ص٩٨. وانظر تفاصيل أخبار من تزوج رسول الله ﷺ من النساء فلم يجمعهن ومن فارق منهن وسبب مفارقته إياهن، وذلك عند ابن سعد (٨/ ١٤١ ـ ١٥٠) وانظر تفاصيل من خطب النبي ﷺ من النساء فلم يتم نكاحه ومن وهبت نفسها من النساء لرسول الله ﷺ عند ابن سعد (٨/ ١٥٠ ـ ١٦١).
(٣) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ٢٨٩).

الحبشة[٤]. وتركها من غير عائل، فخشي الرسول ﷺ أن يبطش بها قومها، وكانوا أشداء وأعداء ألداء للإسلام، وأراد أن يجزيها على إسلامها ومصابها خيرا، فلم يجد غير أن يتزوجها في رمضان سنة عشر من النبوة[٥]، بعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) بلا خلاف والراجح زواجه بها في شوال بعد عائشة(*).

وعندما طعنت في السن خشيت أن يطلقها الرسول ﷺ وحرصت على أن تحشر في أزواجه، ولذا وهبت ليلتها لعائشة[٦] (رضي الله عنها). وروي أن الآية الكريمة ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾[٧] نزلت في هذا السبب[٨].

وكانت بدينة الجسم ثقيلة الحركة، قالت ذات يوم للرسول ﷺ: «صليت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم»، فضحك رسول الله ﷺ من قولها[٩]. ولثقلها وكبرها أذن لها الرسول ﷺ ولمن في حالها أن يدفعوا ليلة مزدلفة قبل الناس[١٠].

٣ ـ عائشة بنت أبي بكر:

كانت لأبي بكر (رضي الله عنه) مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ لما كان له من مواقف في سبيل الله في أدق اللحظات وأحرجها من مسيرة الدعوة، فلعل الرسول ﷺ أراد أن يكرم صاحبه الوفي الأمين، ويوثق عرى المحبة بينه

---

(٤) وردت روايتان في مكان موت السكران بن عمرو، الأولى أنه مات بالحبشة والثانية أنه مات بعد عودته من الحبشة إلى مكة. وقد حكاهما ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/ ١٢٥) ـ ترجمة السكران، وعلى القول الأول موسى بن عقبة وأبو معشر، وعلى القول الثاني: ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢٥٤ ـ ابن هشام (٢/ ٩) والواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد (٨/ ٥٣) قال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٩): «وزعم أبوعبيدة في كتابه «تسمية أزواج النبي ﷺ» أنه رجع إلى الحبشة فتنصر بها ومات. وقال البلاذري: «الأول أصح»، يعني موته مسلما بمكة.

(٥) ابن سعد (٨/ ٥٢ ـ ٥٣) من طريق الواقدي. (*) كما حققه ابن كثير في البداية (٣/ ١٤٩).

(٦) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢٧٣/ح ٥٢١٢)، مسلم (٢/ ١٠٨٥/ح ١٤٦٣)، أبوداود (٢/ ٦٠٢/ ك. النكاح/ح ٢١٣٥)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٨) و (١٦/ ٢٣٩): صحيح ابن ماجه (١/ ٣٣٤/ح ١٩٧٢) وقال: «صحيح».

(٧) النساء: ١٢٨.

(٨) انظر الطبري: التفسير (٩/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨) بإسناد صحيح، أبوداود (٢/ ٦٠٢/ ك. النكاح/ح ١٢٣٥) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ك. التفسير/ح ٢٤٣٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني أيضا، وانظر البيهقي: دلائل النبوة (٣/ ٢٩٧).

(٩) ابن سعد (٨/ ٥٤) ورجاله رجال الصحيح، ولكنه مرسل. انظر ترجمتها في الإصابة (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(١٠) البخاري/ الفتح (٨/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦/ح ١٦٨٠ ـ ١٦٨١).

وبين أخيه في الإسلام أبي بكر، وذلك برباط المصاهرة، فتزوج من ابنته عائشة.

وكانت عائشة (رضي الله عنها) صغيرة السن عندما عقد عليها الرسول ﷺ، في شوال من السنة العاشرة للبعثة النبوية، ولم يدخل بها إلا في شوال من السنة الثانية للهجرة[١١].

قالت عائشة (رضي الله عنها): «تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة، قبل الهجرة وأنا بنت ست، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع سنين...»[١٢] وفي رواية أنه تزوجها وهي ابنة سبع[١٣].

ولقد رأى رسول الله ﷺ في المنام ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ أن رجلا يحملها إليه في قطعة من جيد الحرير، فيقول: «هذه امرأتك، فيكشف فيراها، فيقول: إن كان هذا من عند الله يمضه»[١٤].

ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها[١٥].

ومن يقف على سيرة هذه السيدة العظمى تأخذه الدهشة لذكائها وفطنتها وغزارة علمها وفقهها وسمو أخلاقها، وسيعلم حينها، لماذا كانت بتلك المكانة الكبيرة عند رسول الله ﷺ[١٦].

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب:

لقد توفي عنها زوجها خُنَيس بن حُذَافَة السَّهمي المهاجري البدري، صاحب الهجرتين ـ الحبشة والمدينة[١٧] ـ، إذ أصابته جراحة يوم أحد، فمات

---

(١١) ابن سعد (٨/ ٥٨ ـ ٥٩) بأسانيد من طريق الواقدي، وزواجه وبناؤه بها في شوال ثابت في الصحيح: مسلم (٢/ ١٠٣٩/ح ١٤٢٣).

(١٢) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢٢٨/ح ٥١٣٣)، مسلم (٢/ ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩/ح ١٤٢٢)، وغيرهما مسلم (٢/ ١٠٣٩/ح ١٤٢٢). وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينها بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجبره ومنهم من يحذفه: انظر الساعاتي: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩).

(١٣) مسلم (٢/ ١٠٣٩/ح ١٤٢٢) وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينها بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجبر الكسر ومنهم من يحذفه: انظر: الساعاتي: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩).

(١٤) البخاري/ الفتح (١٩/ ١٤٦/ح ٥٠٧٨)، مسلم (٤/ ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠/ح ٢٤٣٩٨).

(١٥) البخاري/ الفتح (١٩/ ١٤٥/ح ٥٠٧٧، وحديث ترجمة الباب)، انفرد به البخاري.

(١٦) انظر ترجمتها في الإصابة، وأبواب المناقب من كتب الحديث وما جمعه الساعاتي من أحاديث المسند: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩ ـ ١٢٨)، والأحاديث المتفرقة في كتب الأحاديث الأخرى. وهو من أهم مصادر المعرفة بحياة عائشة (رضي الله عنها).

(١٧) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢١١/ح ٥١٢٢) الإصابة (١/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

منها[18]. وروي أنه توفي بعد بدر[19].

وتزوجها رسول الله ﷺ للحكمة ذاتها التي تزوج من أجلها عائشة وسودة (رضي الله عنهما)، إضافة إلى حزنها الشديد على زوجها المجاهد، وحزن عمر لحزنها، فعرض زواجها على حبيبيه أبي بكر وعثمان، لعل في الاقتران بهما مواساة لها وإخراجها من أحزانها. فاعتذر عثمان بحجة عدم حاجته في النساء، وسكت أبوبكر، ولذا وجد عمر في نفسه عليه أكثر مما وجد على عثمان. وما لبث ليالي حتى خطبها رسول الله ﷺ، ولقيه أبوبكر وأوضح له سبب سكوته، وهو أن الرسول ﷺ كان قد ذكرها، فكره إفشاء سر رسول الله ﷺ وقال: «لو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»[20]. وفي هذا دليل على أن الرسول ﷺ كان يشعر بما تعانيه حفصه من تأيم، فأراد أن يواسيها، ويواسي أباها لمكانته عنده.

وروي أن الرسول ﷺ طلقها ثم راجعها[21]. ودخل عليها عمر وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك؟ إن النبي ﷺ طلقك وراجعك من أجلي، والله لئن كان طلقك مرة أخرى لاكلمتك كلمة أبدا»[22].

وعندما طلقها الرسول ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال له: «راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة[23].

وفي هذه الأحاديث ما يكفي للدلالة على حكمة زواج الرسول ﷺ من حفصة.

---

(١٨) ابن حجر: الإصابة (١/ ٤٥٦)، ابن عبدالبر: الاستيعاب (١/ ٤٣٨).

(١٩) ابن سعد (٨/ ٨١ ـ ٨٢) من طريق الواقدي، وقد جزم بذلك.

(٢٠) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢١١ ـ ٢١٣/ح ١٥٢٢). أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٠)، وإسناده صحيح.

(٢١) أبوداود: السنن (٢/ ٧١٢/ ل. الطلاق/ ب. في المراجعة/ح ٢٢٨٣) بإسناد صحيح، ابن ماجه: السنن (١/ ٦٥٠/ ك. الطلاق/ح ٢٠١٦) والدارمي (٢/ ١٦١ ك. الطلاق ب. في المراجعة)، النسائي: السنن (٦/ ٢١٣/ ك. الطلاق/ ب. الرجعة).

(٢٢) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٠ ـ ١٣١)، وقال: «قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٣٣) ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص٢٥٧، بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه. برقم ١٣٢٥ بإسناد صحيح كما قال الألباني في إرواء الغليل (٧/ ١٥٨).

(٢٣) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣١) وقال: «قال الهيثمي: ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

٥ - زينب بنت خُزَيمة الهِلالية:

كانت زوجة للطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف، فطلقها[٢٤]، وقيل كانت عند جَهم بن عمرو بن الحارث[٢٥]، فتزوجها بعده عُبيدة بن الحارث، فقتل ببدر شهيدا[٢٦]، وقيل كانت تحت عبدالله بن جحش، وقتل عنها يوم أحد شهيدا[٢٧]، وكانت تدعى أم المساكين في الجاهلية لرحمتها إياهم ورقتها عليهم[٢٨]. فقد روى الزبير بن بكار[٢٩] أن الرسول ﷺ عندما تزوجها أَوْلَمَ عليها جزورا، فكثر المساكين، فتركهم الناس والطعام..

وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) لأمها[٣٠]، هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية[٣١].

إن امرأة تعاقب عليها هذا العدد من الأزواج منهم شهيدان، وما عرف عنها من الصلاح والرأفة على المساكين، لجديرة بأن تحظى بعطف الرسول ﷺ وتقديره لظروفها، ولم يكن هناك أفضل من تكريمه لها بالزواج منها، فتزوجها الرسول ﷺ في رمضان، على رأس واحد وثلاثين شهرا من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة[٣٢]. ولم يمت من أزواجه في حياته ﷺ غيرها وغير خديجة بنت خويلد.

وقيل إن عمرها كان نحو ثلاثين عاما عندما توفيت[٣٣]، ويستبعد ذلك،

---

(٢٤) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي، وابن بكار، ص٤٩، بإسناد ضعيف، وذكره ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥) بصيغة التمريض «قيل...» وهي ضعيفة
(٢٥) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٩١). والمعلق من أقسام الضعيف كما تعلم.
(٢٦) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.
(٢٧) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٣١٣) معلقا، ولم يعزه لأحد، ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥) معلقا، وقد جزم به.
(٢٨) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٩١)، ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.
(٢٩) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، ص ٤٨، وإسناده ضعيف.
(٣٠) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٣١٣)، ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥).
(٣١) ابن حبيب: المحبر، ص ١٠٥ - ١٠٩.
(٣٢) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.
(٣٣) ابن سعد (٨/ ١١٦) من طريق الواقدي.

لأن امرأة كانت تدعى في الجاهلية بأم المساكين، ثم عاشت في الإسلام خمس عشرة سنة، لابد أن يكون عمرها عندما ماتت أكثر من ذلك بكثير. وقد ذكر الصواف[٣٤] أنها بلغت الستين من العمر عندما تزوج بها النبي ﷺ، ولكنه لم يبين لنا مصدره، ولو ثبت ذلك لكان هو الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

ولم تهتم المصادر بسيرتها في بيت الرسول ﷺ لا سيما علاقاتها بزوجاته: سودة وعائشة وحفصة، مما يدل على أنه لم يكن بها ما يدعو لغيرة النساء عليها، فلم يأبه بها أحد، ولم تأبه بأحد، ولعل قصر مدة إقامتها في بيت النبوة كان سببا في ذلك.

٦ ـ أم سلمة ـ هند بنت أبي أمية ـ المخزومية:

لقد حفظ التاريخ لهذه السيدة ذكرا مجيدا، إذ كانت من شهيرات المؤمنات، العاملات وراء صفوف المجاهدين في غزوة أحد، كما ذكرنا، وكان لها رأى سديد كما ذكرنا في قصتها مع النبي ﷺ يوم الحديبية. ومن أبرز مجاهداتها أنها هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة، عبدالله بن عبدالأسد، ابن عمة النبي ﷺ وأخيه من الرضاعة.

وكان لزوجها بلاء حسن يوم أحد، حتى جرح جرحا كبيرا، اندمل بعد فترة، ثم عاوده واشتد عليه ألمه، وكان سببا في وفاته كما ذكرنا.

لقد مات (رضي الله عنه) وخلف وراءه أربعة من الأولاد، هم: زينب وسلمة وعمر ودرة[٣٥]. وقد حرص الرسول ﷺ على مواساتها عمليا بأن يكرمها بضمها إلى نسائه والقيام بأمرها، لأنها من المهاجرات، ولم يكن لها أهل بالمدينة، غير أبنائها.

و روي عنها أنها قالت: «أتاني أبوسلمة يوما من عند رسول الله ﷺ قولا فسررت به، قال: «لا تصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند

---

(٣٤) زوجات النبي ﷺ الطاهرات، ص ٤٩.
(٣٥) ابن سعد (٨/ ٨٧، ٨٩).

مصيبته ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبوسلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منه، ثم رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ . . . وأذنت له. . . فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يارسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة في، ولكني امرأة فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني الله به، وأنا امرأة دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله (عز وجل) منك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ﷺ»(٣٦).

وفي رواية انه لما انقضت عدتها من أبي سلمة خطبها أبوبكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث اليها رسول الله ﷺ فقالت: «مرحبا برسول الله ﷺ إني امرأة غيرىٰ، وإني مصبية وليس أحد من أوليائي حاضرا، فبعث اليها رسول الله ﷺ أما قولك إني مصبية فإن الله يكفيك صبيانك، وأما قولك إني غيرىٰ فسأدعو الله ان يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، فقالت: ياعمر: قم فزوج رسول الله ﷺ(٣٧). . . .».

وكان زواج الرسول ﷺ بها في شوال سنة أربع(٣٨).

---

(٣٦) مسلم (٢/ ٦٣٢ - ٦٣٣/ح ٩١٨، ٩١٩)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧)، الألباني: صحيح الترمذي (١/ ٢٨٨/ ك. الجنائز/ح ٩٩٠)، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٥/ح ١٤٤٧)، ابن سعد (٨/ ٨٩) بإسناد صحيح.

(٣٧) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧ - ٦٨)، وإسناده صحيح، وذكر الساعاتي أن ممن أخرجه: النسائي والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. قلت: وصحح ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٥٩) إسناد النسائي. وفيه أنها رفضت الزواج من أبي بكر ولم يذكر عمر. ورواه ابن سعد (٨/ ٨٩) بإسناد صحيح، وعمر المذكور في الخبر هو عمر بن الخطاب وليس عمر بن أبي سلمة لأن عمره إذ ذاك كان ثلاث سنين، ووهم من قال إن المعني هنا هو ابنها عمر. قاله ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ١٠٧ - ١٠٨)، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ١٠٣) إنه عمر آخر غير ابنها.

(٣٨) ابن سعد (٨/ ٨٧) من طريق الواقدي.

٧ ـ جويرية بنت الحارث:

لقد سبق الكلام عن قصة زواجها في غزوة بني المصطلق.

أراد الرسول ﷺ إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات، فسوى بينهن وبين الحرائر، وضرب للناس أصدق الأمثال على سماحة الإسلام. فأزال من الأذهان ما كان قد علق بها من احتقار للإماء، واتخاذهن فقط للبيع أو للخدمة، وحرمن من نعمة العتق إلا بالمكاتبة وشراء أنفسهن من مالكهن. فتعلم المسلمون من هذه الزيجة كيفية صيانة سيدات الأسر الكريمة بين قومها ورحمة عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر. وقد زخر التاريخ الإسلامي بعد هذا بالسبايا اللائي تزوجهن أسيادهن من الخلفاء والأمراء والسادة والكبراء، وأنجبن الخلفاء والأمراء والقادة العظماء والعلماء، وتأمل في ذلك تاريخ خلفاء بني العباس(٣٩).

٨ ـ زينب بنت جحش:

هي ابنة عمة الرسول ﷺ أُمَيمَة. وقد زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، الذي أعتقه وتبناه إلى أن أبطل الله عادة التبني. ونزل في قصة زواجها من زيد (رضي الله عنه) ثم الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، إذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا﴾(٤٠)(٤١).

فقد روى البخاري(٤٢) أن زيدا جاء يشكو زوجته، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قالت عائشة: لو كان رسول

---

(٣٩) ومن أمثلة المراجع في هذا الجانب: زكريا كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ.

(٤٠) الأحزاب: ٣٧.

(٤١) البخاري/ الفتح (١٨/ ١٣٩ ـ ١٤٠/ح ٤٧٨٧).

(٤٢) البخاري/ الفتح (٢٨/ ١٩١ ـ ١٩٢/ح ٧٤٢٠)، الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٢ ـ ٩٣ وصححه.

الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

لقد كان زواج الرسول ﷺ منها لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري، وهي بنت خمس وثلاثين[43] لحكمة، وهي إبطال عادة التبني كما هو واضح من آية سورة الأحزاب المذكورة.

وخلاصة ما ورد في تفسير هذه الآية أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه[44]، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني، وليس أبلغ في إبطاله من تزوج امرأة الذي يدعي ابنا، ووقوع ذلك أمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم[45].

هذا الذي ذكرناه من الصحيح يغنينا عن مناقشة الروايات الكثيرة الساقطة التي نسجت حول قصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، لا سيما روايات الواقدي، وكانت مرتعا خصبا لأهل الأهواء في القديم والحديث، من زنادقة ومستشرقين ومن على شاكلتهم.

٩ - رَيحانة بنت زيد بن عمرو بن خُنَافة:

قيل: ومن أزواجه ريحانة بنت عمرو النضرية[46]، وقيل: القرظية[47]، سبيت يوم غزوة بني قريظة، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها[48]، ثم طلقها تطليقة، ثم راجعها[49].

---

(٤٣) ابن سعد (٨/ ١١٤).

(٤٤) عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم، هو أقسط عند الله﴾». الأحزاب: ٥، انظر الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٢) وصححه.

(٤٥) ابن حجر: الفتح (١٨/ ١٤٠/ ك. التفسير/ ب. قوله ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ شرح حديث الباب، من تفسير السدي عند ابن أبي حاتم، وقتادة عند عبدالرزاق، والترمذي في سننه، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٠ - ٤٢١).

(٤٦) و (٤٧) لأنها كانت من بني النضير ومتزوجة في قريظة. قاله الواقدي (٢/ ٥٢٠). وانظر تفصيله في الإصابة (٤/ ٣٠٩)، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٤/ ٣١٠): «والأكثر أنها من بني قريظة».

(٤٨) قاله الواقدي في أحد قوليه (٢/ ٥٢١) من مرسل الزهري، وعلق عليه قائلا: «فهذا أثبت الحديثين عندنا»، وابن بكار: منتخب أزواج النبي ﷺ، ص ص ٥٥ - ٥٦، مرسلا من حديث أيوب بن عبدالرحمن بن صعصعة، وهو صدوق، وفيه ابن زبالة، وهو متروك في الحديث.

(٤٩) ابن سعد (٨/ ١٣٠) من رواية الواقدي.

وقالت طائفة: بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين، فهي معدودة عندهم في السراري[٥٠]، واختلفوا في تاريخ وفاتها، هل كان قبل الرسول ﷺ أم بعده؟ ولم يرجحوا قولا على آخر[٥١]، والذي نميل إليه أنها ماتت في حياة الرسول ﷺ لقوة أسانيد القائلين بهذا، وهو ما جزم به ابن عبدالبر[٥٢].

١٠ - أم حبيبة - رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب:

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي إلى الحبشة، ولما تنصر زوجها، فارقها.

وعندما علم الرسول ﷺ بارتداد زوجها وثباتها على الإسلام أرسل عمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها له، فزوجها إياه بصفته وكيلا عن النبي ﷺ، فوكلت هي خالد بن سعيد بن العاص ابن عم أبيها. وبعث بها النجاشي إلى المدينة مع شُرَحْبيل بن حَسَنَة، وكان مهرها وجهازها من عند النجاشي[٥٣].

وكان ذلك سنة سبع، وكان لها بضع وثلاثون سنة. وولدت لابن جحش ابنته حبيبة، قيل بالحبشة وقيل بمكة[٥٤].

وحكمة هذا الزواج لا تخفى على أحد يعلم ثبات هذه السيدة على دينها عندما ارتد زوجها بالحبشة، وموقف والدها من الدعوة الإسلامية وقيادته لكل

---

(٥٠) قاله ابن إسحاق، من حديث أيوب بن عبدالرحمن بن صعصعة، المشار إليه - مرسلا - انظر: ابن هشام (٤/ ٣٣٩)، والواقدي (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١)، وابن سعد (٨/ ١٣١) من طريق الواقدي، وبقية رجاله ممن يحتج بهم، ورواية ابن اسحاق تقوي رواية ابن سعد، وقد اختار هذا ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١٣).

(٥١) الواقدي (٢/ ٥٢١): أنها ماتت عند الرسول ﷺ، ورجاله ممن يحتج بهم ماعدا الواقدي، ابن سعد (٨/ ١٣٠ - ١٣١) روايتان من طريق الواقدي، وفي رواية لابن سعد (٨/ ١٣١) من طريق الواقدي أنها توفيت بعده.

(٥٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٣١٠). ويقال كانت وفاتها سنة عشر مرجعه من حجة الوداع - قاله ابن سعد (٨/ ١٣٠) من طريق الواقدي، وابن بكار: منتخب أزواج النبي ﷺ ص ٥٦ بإسناد ضعيف جدا.

(٥٣) انظر في هذا: الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٣)، وقال الساعاتي: «وسنده جيد وأخرجه أبوداود والنسائي»، وابن هشام (٤/ ٣٨٩) مختصرا وبإسناد حسن لان فيه زيادا البكائي وهو صدوق، ثبت في المغازي، ابن سعد (٨/ ٩٦ - ٩٩) من رواية الواقدي، وفيه من الزيادة على حديث أحمد وابن هشام ان الرسول ﷺ أرسل عَمْراً الضمري إلى النجاشي ليخطبها له.

(٥٤) ابن سعد (٨/ ٩٦ - ٩٩) من رواية الواقدي.

حروب قريش ضد المسلمين ماعدا غزوة بدر، لأنه كان صاحب القافلة التي جعلها الله سببا في تلك الغزوة. ففي زواجه منها مواساة لها في مصيبتها في زوجها وغربتها، وقطع الطريق أمام شماته الأعداء، وفيه تخفيف من غلواء عداوة قومها بني أمية للإسلام ونبي الإسلام، وقد حرص الرسول ﷺ على ذلك كما هو واضح من موقفه من أبي سفيان يوم فتح مكة وعند تقسيم غنائم حنين، وغيرها من المواقف، إلى أن هداهم الله إلى الإسلام، فأصبحوا قوة وعزة ونصرة للإسلام في مستقبل أيامه.

١١ ـ صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية:

عندما افتتح المسلمون خيبر، سبيت النساء، منهن صفية، فاشتراها الرسول ﷺ من دحية، حيث وقعت في سهمه، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها[٥٥]. ودخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبوأيوب الأنصاري خوفا منه على الرسول ﷺ أن تغدر به[٥٦]، ولكن اتضح أنه لم يكن في قلبها يومذاك أي حقد على الرسول ﷺ، لأنها آمنت بالرسول ﷺ من أول وهلة، يوم اصطفاها له أصحابه يوم خيبر، أو يوم اشتراها من دحية. ومن أدلة ذلك أن الرسول ﷺ عندما أراد أن يدخل عليها وهم على بعد ستة أميال من خيبر، أبت عليه، وعندما وصل إلى الصَّهْبَاء، على بعد بريد من خيبر، وافقت، فسألها عن سبب الامتناع في المرة الأولى، فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده محبة[٥٧]. وقال لها الرسول ﷺ: «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله»، فقالت: «يارسول الله، إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾»، فقال لها رسول الله ﷺ: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك»، فقالت: «يارسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن

---

(٥٥) مسلم (٢/ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٦/ح ١٣٦٥) وعند البخاري أنه اصطفاها لنفسه. انظر: الفتح (١٥/ ٥٩ ـ ٦٠/ح ٤٢١١).

(٥٦) ابن سعد (٨/ ١٢١) من رواية الواقدي بأسانيده.

(٥٧) ابن سعد (٨/ ١٢٣) من طريق الواقدي.

تدعوني حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي». فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

كانت أمها إحدى نساء بني قينقاع، فتزوجها سَلَّام بن مِشْكَم النضيري، ثم فارقها فتزوجها كِنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر. ولم يسمع النبي ﷺ ذاكرا أباها بحرف مما تكره.

لقد كان في زواج الرسول ﷺ منها ذات الحكمة من زواجه من جويرية. فهي ابنة زعيم من زعماء اليهود، مات هو وزوجها وأخوها في صراعهم ضد الرسول ﷺ، فكان لابد من إكرامها لمكانها عند اليهود.

ودل هذا الزواج على أن تهمة العنصرية ضد اليهود لم تكن واردة في قاموس الرسول ﷺ السياسي والاجتماعي، وليفهم اليهود أن قضيتهم مع الرسول ﷺ والمسلمين ليست قضية عنصرية كما أشاعوا.

عاشت صفية (رضي الله عنها) في بيت النبوة معززة مكرمة. وكان الرسول ﷺ يلقنها الحجج عندما يقع بينها وبين بعض بقية نسائه ما يقع بين الضرائر. فقد أخرج الترمذي[٥٨] من طريق أنس، قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك»، ثم قال: «اتقي الله ياحفصة».

وهجر الرسول ﷺ زينب بنت جحش ثلاثة شهور لأنها عيرت صفية

---

(٥٨) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٢٤٤ ـ ٤٤٥/ ك. المناقب/ ب. في فضل أزواج النبي ﷺ/ ح ٤١٦٦)، وقال: «صحيح». وقوله: «ابنة نبي ـ يريد إسحاق (عليه السلام) ـ وعمك نبي» ـ يريد إسماعيل (عليه السلام). رواه أحمد: المسند (٣/ ١٦٣) بإسناد صحيح. وفي رواية عند الترمذي: السنن (٩/ ٣٩٨/ ك. في المناقب/ باب أزواج النبي ﷺ/ ح ٣٨٩١) أن عائشة (رضي الله عنها) اشتركت مع حفصة في هذه المقولة، والرواية ضعيفة لضعف هاشم بن سعد الكوفي.
ورواه الترمذي: (٩/ ٣٩٨/ ك./ المناقب/ ب فضل أزواج النبي ﷺ/ ح ٣٨٩١ وفي سنده هاشم ابن سعيد الكوفي، وهو ضعيف، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي وليس إسناده بذلك» كذا في جامع الأصول (٩/ ١٤٤).

باليهودية. ولما رفع الرسول ﷺ عنها الهجران أهدته جارية لها فرحا بهذا العفو وندما على تلك الزلة[٥٩]. وكان ذلك في حجة الوداع كما يفهم من سياق القصة في هذا الحديث الصحيح وفي غيره من الأحاديث.

١٢ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية:

تكلمنا عن قصة زواجها عند الحديث عن عمرة القضاء. وما يمكن إضافته هنا هو أن مما رغب الرسول ﷺ في الزواج منها ما عرفه عنها من الصلاح والتقوى، فقد قالت عائشة عنها «.... أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»[٦٠]. وقال رسول الله ﷺ عنها وعن أخواتها: «الأخوات مؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسماء»[٦١].

وكان عمه العباس حريصا على أن يقترن الرسول ﷺ بها، فقد قال له: «يارسول الله، تأيمت ميمونة بنت الحارث.. هل لك في أن تتزوجها؟»[٦٢] ولا شك أن العباس (رضي الله عنه) كان من أعرف الناس بها، لأنها أخت زوجه أم الفضل.

وامرأة هذا شأنها لجديرة بأن يضمها الرسول ﷺ إلى بيت النبوة مواساة لها في فقدها زوجها واعترافا منه بفضلها وتحبيبا لقومها في الإسلام.

١٣ ـ السـراري:

لم يتسر رسول الله ﷺ بغير مارية القبطية[٦٣]، أم ولده إبراهيم، وجارية أخرى أصابها في بعض السبي[٦٤]، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش[٦٥]،

---

(٥٩) أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٤٤)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير أحمد وسنده جيد». ورواه أحمد من طريق ثان، وإسناده حسن لأن فيه سميسة وهي مقبولة، ورواه ابن سعد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧) بمثل هذا الطريق الثاني بإسناد جيد ورجاله ثقات كما قال الساعاتي.

(٦٠) ابن سعد (٨/ ١٣٩) وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٤/ ٤١٣).

(٦١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤١٢) وعزاه إلى ابن سعد، وصحح إسناده.

(٦٢) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٤/ ٤٠٧) من حديث شرحبيل بن سعد، مرسلا.

(٦٣) انظر خبرها في فصل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء ـ المقوقس.

(٦٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٣٤٤)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٤٨)، ابن القيم: زاد المعاد (١/ ١١٤) ولم يذكر مصادرهم.

(٦٥) ذكرنا ذلك في قصة صفية وتعيير زينب لها باليهودية، من حديث أحمد بإسناد جيد.

وريحانة بنت زيد التي اختلف في أمرها، والراجح أنه كان يطؤها بملك اليمين، وروي أن الرسول ﷺ قال عن مارية عندما ولدت له إبراهيم: «أعتقها ولدها»[٦٦].

ولو أراد الرسول ﷺ أن تكون له آلاف الجواري والسراري لما انتقص من حقه في مجتمع كان لا يرى بأسا من التعدد في الزوجات واتخاذ السراري متى ما تيسر له ذلك ماديا وجسديا، وما سمعنا أن اليهود والنصارى قد جعلوا من كثرة زوجات وسراري سليمان عليه السلام[٦٧] قضية كما فعلوا مع تعدد الزوجات عند الرسول ﷺ.. ولا شك أن الغرض الباطل هو المحرك لهذه القضية في زماننا هذا...

حكمـة هـذا التعـدد

وخلاصة القول: إن أمهات المؤمنين اللائي توفي عنهن رسول الله ﷺ

---

(٦٦) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٣٤١) عن الدارقطني بإسناده إلى ابن عباس وقال ابن كثير: «رواه ابن ماجه (ك. ١٩/ ب ٢٠) من حديث حسين بن عبدالله.. بمثله. ورويناه من وجه اخر...». وقال البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٣٤٦) عن سند هذا الحديث «وفي الحديث أبوبكر بن أبي سبرة ضعيف لا يحتج به إلا أنه قد روى عن غيره عن حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس بهذا اللفظ، وحسين ضعفه أكثر أصحاب الحديث..» كذا رواه أبوأويس مرسلا (وقيل) عن أبي أويس موصولا بذكر ابن عباس فيه... ورواه سعيد بن كليب وعبدالله بن سلمة بن أسلم عن حسين بن عبدالله، كما رواه بن أبي سبرة، ثم رواه البيهقي من حديث علي بن عمر الحافظ، من طريق زياد بن أيوب موصولا إلى ابن عباس وقال: «علي تفرد بحديث ابن أبي حسين زياد بن أيوب وزياد ثقة...» وقال ابن التركماني في الجوهر النقي بذيل السنن الكبرى للبيهقي (ص٣٤٧): «وقد أخرج الحاكم في المستدرك الرواية المرفوعة وقال: صحيح الإسناد، ثم ذكر لها متابعة، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي عاصم عن أبي بكر النهشلي عن حسين، والنهشلي أخرج له مسلم ووثقة جماعة. وقد جاء للحديث متابعة من وجه آخر بسند جيد. وقال ابن حزم: روينا من طريق قاسم بن أصبغ... ثم قال ابن حزم: هذا خبر جيد السند، كل رواته ثقات وقال في كتاب البيوع: صحيح السند...» وخلاصة القول إن الحديث يتقوى بالمتابعات.
وانظر الحكم الفقهي في أمهات الأولاد عند ابن قدامة: المغني (٩/ ٥٢٧ وما وبعدها) وعند البيهقي: السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٢ - ٣٤٩)، كتاب: «عتق أمهات الأولاد».

(٦٧) وردت روايات عند البخاري ومسلم وأحمد أنه كان لسليمان (عليه السلام) عدة زوجات عددهن في بعض الروايات يصل إلى المائة، وأقل عدد ذكرته إحدى الروايات أنهن كن ستين. انظر في هذا -مثلا: البخاري/ الفتح (١٣/ ٢١٥/ح ٣٤٢٤) وابن حجر: الفتح (١٣/ ٢١٧ - ٢١٨/ شرح الحديث ٣٤٢٤)، ومما قاله ابن حجر هنا: «وقد حكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان لسليمان ألف وثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية، ونحوها مما أخرج في المستدرك من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب، قال: بلغنا إنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب منها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية» قلت: وروايتا ابن وهب وأبي معشر ضعيفتان.

كن معلمات ومفتيات لنســاء الأمة الإسلامية ورجالها في القضايا النسائية والأحكام الشرعية والآداب الزوجية والحكم النبوية، وكن قدوة صالحة في الخير والبر والإحسان كما كان الرسول ﷺ المثل الأعلى في حسن الخلق وطيب العشرة مع نسائه. فقد عاشرهن بالمعروف، وعدل بينهن وعلمهن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء. وسياسة النبي ﷺ في تعدد الزوجات هي السياسة الرشيدة التي اقتضتها ظروف الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، ومن الصعب أن تقوم زوجة واحدة بمهام تبليغ تلك الأحكام إلى الناس»[٦٨].

ولم يكن هناك ما يغريهن بالبقاء في بيت الرسول ﷺ سوى هذه المهمة الجليلة، لأن الأخبار قد تواترت لتقطع بأن زوجات الرسول ﷺ كن يعشن في شظف من العيش إلى الحـد الـذي طالبنه فيه بزيادة النفقة عليهن، فخيرهن الرسول ﷺ بين الطلاق وبين قبول هذه المعيشة الصعبة معه[٦٩]، وذلك في قصة طويلة وثابتة بنص القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحـا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسـوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما[٧٠]﴾.

ويلحظ أن من بين زوجات الرسول ﷺ، الصغيرة التي ما تزال تلعب مع أترابها بلعب الأطفال، والمسنة، وابنة عدو لدود، وابنة صديق حميم، ومنهن من كانت تشغل نفسها بتربية الأيتام، ومنهن من تميزت على غيرها بكثرة الصيام والقيام... إنهن نماذج لأفراد الإنسانية، ومن خلالهن قدم رسول الله ﷺ للمسلمين تشريعا فريدا في كيفية التعامل السليم مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية.

وعنـدمـا انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة لم يكن أمر العداء قاصرا على

(٦٨) انظر الصواف: زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، ص١٧.
(٦٩) انظر تفاسير الآية رقم ٢٨ من سورة الأحزاب والآثار الواردة في ذلك.
وانظر أحاديث: البخاري/ الفتح (١٨/ ١٣٦ - ١٣٩/ح ٤٧٨٥ وما بعده) ومسلم (٢/ ١١٠٣ - ١١١٣/ح ١٤٧٥ - ٢٤٧٩) وغيرهما.
(٧٠) الأحزاب: ٢٨.

قريش، بل تعداها إلى غيرها من قبائل العرب، فاقتضت الحكمة أن يجمد الرسول ﷺ بعض أطراف هذا العداء وذلك بالإصهار إلى قبائل شتى، لأن أعراف العرب كانت تقضي بأن يحمي أهل المرأة زوج امرأتهم كما تفيد ذلك لغتهم، اذ يسمون أنفسهم بالأحماء ـ من الحماية ـ.

ولما كانت هذه المصلحة يمكن أن تستغل استغلالاً سيئا، نظرا لأن الأمور الجنسية تتبعها النفوس اللاهثة، فقد جعل الله تعالى ذلك التعدد بتلك الكيفية خاصا برسول الله ﷺ، وحدد عدد الزوجات لغيره بأربع زوجات كحد أقصى[71].

---

(71) انظر الدكتور محمد رواس قلعة جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ط ٢، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٤م، ص ص ٣٤ ـ ٣٥.

الفصل الثلاثون

بعض شمائل الرسول ﷺ

لقد تميز الرسول ﷺ بصفات خلقية وأخلاقية كثيرة وأريد هنا أن أقف عند بعض صفاته الأخلاقية لحاجة الناس الماسة في كل زمان ومكان لمعرفة هذه الصفات والاقتداء بها. ولما كانت صفات الرسول ﷺ الأخلاقية انعكاسا لما في قلب الرسول ﷺ من قيم ومبادىء، كان لابد لكل مسلم أن يلم بها، ويتحلّى بمحاسنها. ومن أبرز هذه الصفات أو الشمائل:

١ - التقشف في الطعام:

قال أنس (رضي الله عنه): «إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف[١]»، وفي رواية عن مالك بن دينار، قال: «ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف[٢]»، وقالت عائشة (رضي الله عنها): «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»[٣]. وفي رواية أخرى عنها: «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة، من طعام بر، ثلاث ليال تباعا حتى قبض»[٤] وهناك روايات أخرى عند مسلم[٥] وأبي الشيخ[٦] والترمذي[٧] بهذا المعنى.

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني في مختصر الشمائل المحمدية، ص٨٤، «إسناده صحيح على شرط الشيخين...» وأخرجه ابن حبان في الموارد برقم ٢٥٣٣، وأحمد في المسند (٣/ ٢٧٠) وابن سعد (١/ ٤٠٤) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص٢٧٨. ومعنى على ضفف، أي عندما ينزل عليه الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجاملة.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني في المختصر، ص٧٦: «إسناده مرسل صحيح».

(٣) مسلم (٤/ ٢٢٨٢/ح ٢٩٧٠)، الترمذي في الشمائل وصححه الألباني والدعاس في المختصر، ص٨٦، وانظر الألباني: صحيح الترمذي (٢/ ٢٧٦/ ك. الزهد/ ٢٤٧٦) وصححه أبوالشيخ/: أخلاق النبي ﷺ، ص٢٧٦.

(٤) البخاري/ الفتح (٢٠/ ٢٤٩/ح ٥٤١٦)، مسلم (٤/ ٢٢٨١/ح ٢٩٧٠) وغيرهما.

(٥) مسلم (٤/ ٢٢٨١ - ٢٢٨٢/ح ٢٩٧٠ - ٢٩٧١).

(٦) أخلاق النبي ﷺ، ص ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٧) الألباني: صحيح الترمذي (٢/ ٢٧٦ ك. الزهد/ح ٢٤٧٨ و ح/ ٢٤٧٩).

وقال ابن عباس (رضي الله عنه): «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»(٨).

وذكرت عائشة أنه كان يأتيها فيقول: «أعندك غداء؟» فتقول «لا»، فيقول: إني صائم...»(٩).

٢ - التقشف في الفراش:

قالت عائشة (رضي الله عنها): «إنما كان فراش الرسول ﷺ الذي ينام عليه، أدما حشوه ليف»(١٠).

٣ - تواضعه:

قال رسول الله ﷺ: «لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله»(١١).

وعن أنس (رضي الله عنه) أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: «يارسول الله إن لي إليك حاجة» فقال: «يا أم فلان، انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك»، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها(١٢).

وكانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت(١٣).

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السخنة - الدهن الجامد المتغير الرائحة من طوال المكث - فيجيب(١٤). وقال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت»(١٥).

---

(٨) الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ٨٧، وصححه المحققان، ابن سعد (١/ ٤٠٠) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢١١١٩.
(٩) مسلم (٢/ ٨٠٨ - ٨٠٩/ح ١١٥٤)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي ص ١٠٢ وحسناه.
(١٠) البخاري/ الفتح ٢٤/ ٧٧/ ٤٦٥٦)، مسلم (٣/ ١٦٥٠/ح ٢٠٨٢) واللفظ لمسلم.
(١١) البخاري/ الفتح (١٣/ ١٥٠ - ١٥١/ح ٣٤٤٥).
(١٢) مسلم (٤/ ١٨١٣/ح ٢٣٢٦)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ١٧٦.
(١٣) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٨٥/ح ٦٠٧٢).
(١٤) البخاري/ الفتح (١٠/ ٢٢٩/ح ٢٥٠٨)، الألباني والدعاس: مختصر الشمائل للترمذي ص ١٧٧.
(١٥) البخاري/ الفتح (١١/ ٦/ح ٢٥٦٨)، الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ١٧٩، بإسناد صحيح.

وعلى الرغم من أنه لم يكن شخص أحب إلى الصحابة (رضي الله عنهم) من رسول الله ﷺ، إلا أنهم كانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك[١٦].

وقال ﷺ في الثناء على التواضع وذم الاستكبار: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جَوّاظ مستكبر»[١٧]. وقال: «... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[١٨]، والكبرياء من صفات الله (عز وجل)، ولذا حرم الله ذلك على المؤمنين، وفي ذلك قال الرسول ﷺ: «... العز إزاره، والكبرياء رداؤه - أي الله (عز وجل) - فمن ينازعني عذبته»[١٩].

وكان ﷺ لا يستكبر عن خدمة أهله[٢٠].

٤ - خلقــــه:

كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم. يتألفهم بذلك[٢١].

خدمه أنس (رضي الله عنه) عشر سنين، فما قال له أف قط، وما قال له لشيء صنعه: لم صنعته، ولا لشيء تركه لم تركته[٢٢].

وما كان فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزيء بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح[٢٣]، ويقول: «خياركم أحسنكم أخلاقا»[٢٤].

---

(١٦) الألباني والدعاس: مختصر شمائل الترمذي، ص ١٧٨، بإسناد صحيح، البخاري: الأدب المفرد، ص ٩٤٦، أبوالشيخ: اخلاق النبي ﷺ، ص ٦٣.

(١٧) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٨٥/ح ٦٠٧١).

(١٨) مسلم (٤/ ٢٠٠١/ح ٢٥٨٨). وظاهر الحديث يعني الرفعة في الدنيا والآخرة.

(١٩) مسلم (٤/ ٢٠٢٣/ح ٢٦٢٠).

(٢٠) في معنى حديث رواه: البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٤٩/ح ٦٠٣٩) وله أحاديث أخرى بهذا المعنى.

(٢١) طرف من حديث رواه الترمذي بإسناد حسن كما في: الألباني والدعاس: مختصر الشمائل، ص ١٨١.

(٢٢) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٤٧ - ٢٤٩/ح ٦٠٣٨)، مسلم (٤/ ١٨٠٤/ح ٢٣٠٩) وهو طرف من حديث رواه الترمذي بإسناد صحيح، انظر الألباني والدعاس: مختصر الشمائل ص ١٨١،..

(٢٣) أخرجه الترمذي: السنن (٦/ ٢٢٢/ ك. البر/ ب. ما جاء في خلق النبي ﷺ/ح ٢٠١٧) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصحح إسناده الألباني والدعاس في مختصر الشمائل للترمذي، ص ص ١٨٢ - ١٨٣، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٩٦/ ك. البر/ ب. خلق النبي ﷺ/ح ٢١٠٢)، وللشطر الأول منه شواهد عند البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٤٥/ح ٦٠٣٥) وأبي الشيخ: أخلاق النبي ﷺ، ص ٣٧.

(٢٤) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٤٥/ح ٦٠٣٥) وهو الشطر الثاني من الحديث المذكور في الحاشية التي قبل هذه، رقم ٢٣.

وقال لعائشة (رضي الله عنها): «إن شر الناس من تركه الناس ـ أو ودعه الناس ـ إتقاء فحشه»[٢٥].

ونهى عن اللعن، فقال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا»[٢٦]. وقال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٢٧]. وعندما قيل له: ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»[٢٨].

أما من لعنه الرسول ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان ذلك له زكاة وأجرا ورحمة، لأن الرسول ﷺ شارط ربه على ذلك كما في الحديث: «... اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا»[٢٩].

وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، وما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله[٣٠].

وما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله[٣١].

وما سئل رسول الله ﷺ قط فقال: «لا»[٣٢].

قال أنس (رضي الله عنه): «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له عُمَير، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟

---

(٢٥) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٦٢/ح ٦٠٥٤)، مسلم (٤/٢٠٠٢/ح ٢٥٩١).
(٢٦) مسلم (٤/٢٠٠٥/ح ٢٥٩٧).
(٢٧) مسلم (٤/٢٠٠٧/ح ٢٥٩٨).
(٢٨) مسلم (٤/٢٠٠٧/ح ٢٥٩٩). وفي باب النهي عن اللعن أحاديث أخرى انتقينا منها ما ذكرناه، فانظرها إذا أردت الاستقصاء.
(٢٩) روى مسلم عشرة أحاديث في هذا الباب، فانظرها فيه (٤/٢٠٠٧ ـ ١٠١٠/ح٢٦٠٠ ـ ٢٦٠٤)، وما ذكرته هنا هو أول حديث منها.
(٣٠) البخاري/ الفتح (٢٥/٢٢٣/ح ٦٧٨٦)، مسلم (٤/١٨١٣/ح ٢٣٢٨)، الألباني والدعاس: مختصر الشمائل، ص١٨٣، وإسناده صحيح، وأبوداود في كتاب الأدب رقم ٤٧٨٥.
(٣١) طرف من حديث رواه مسلم (٤/١٨١٤/ح ٢٣٢٨)، الألباني: مختصر الشمائل، ص ١٨٧، بإسناد صحيح، وغيرهما.
(٣٢) مسلم (٤/١٨٠٥/ح ٢٣١١) وغيره.

نغر كان يلعب به[٣٣]، فمات، فدخل عليه النبي ﷺ يوما فوجده حزينا لموته، فقال ما قال[٣٤].

٥ - شجاعتـــه:

قال أنس بن مالك (رضي الله عنه): «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»، وقال عن الفرس: «وجدناه بحرا، أو: إنه لبحر»، قال الراوي: وكان فرسا يبطأ»[٣٥].

وقال علي (رضي الله عنه): «لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ وكان من أشد الناس ما كان، أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه»، وعنه من طريق ثان، قال: «رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس بأسا»[٣٦].

وقد رأيت موقفه يوم بدر وأحد وحنين حين امتحن الله المسلمين.

٦ - حيـــاؤه:

قال أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): «كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه»[٣٧]. وقال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[٣٨]. وروى ابن عمر أن النبي ﷺ مر على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: «إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضرَّ بك»، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان[٣٩]»، وقال ﷺ: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٤٠].

---

(٣٣) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦/ح ٦٢٠٣). والنغير طائر معروف يشبه العصفور، وقيل هو فرخ العصافير، وقيل نوع من الحمر، والراجح أنه طائر أحمر المنقار.
(٣٤) البيهقي: السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٨) والأدب ص ١٣٥.
(٣٥) مسلم (٤/ ١٨٠٢/ ٢٣٠٧) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٢/ح ٢٨٦٦، ٢٨٦٧) مختصرا.
(٣٦) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٣٦) والمسند (٢/ ٦٥٣/ح ٦٥٤/ شاكر) وصحح الساعاتي وشاكر إسناده.
(٣٧) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣١٤/ح ٦١٠٢) وغيره.
(٣٨) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٢/ح ٦١١٧).
(٣٩) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٣/ح ٦١١٨).
(٤٠) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٥/ح ٦١٢٠).

أما الحق فلم يكن الرسول ﷺ يستحي منه، لأن ذلك من التفقه في الدين. فقد روت أم سلمة أن أم سليم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يارسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟»، فقال: «نعم، إذا رأت الماء»[٤١].

٧ - التيسير والرفق:

قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا»[٤٢]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن أعرابيا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهرقوا على بوله ذنوبا من ماء، أو سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[٤٣].

وقال في الرفق: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[٤٤]، «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[٤٥]، «وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٤٦].

٨ - الحذر من الغضب:

إن من أوصاف المؤمنين وسجاياهم الصفح والعفو عن الناس وعدم الانتقام عند الغضب، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿. . . . واذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[٤٧] ويقول الرسول ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٤٨]. وعندما قال رجل للنبي ﷺ: «أوصني، قال: «لا تغضب»، ورددها مرارا»[٤٩].

---

(٤١) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٥/ح ٦١٢١).
(٤٢) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٦/ح ٦١٢٥).
(٤٣) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٨/ح ٦١٢٨).
(٤٤) مسلم (٤/ ٢٠٠٣/ح ٢٥٩٢).
(٤٥) مسلم (٤/ ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤/ح ٢٥٩٣).
(٤٦) مسلم (٤/ ٢٠٠٤/ح ٢٥٩٤).
(٤٧) الشورى: ٣٧، وانظر تفسيرها عند ابن كثير في التفسير (٧/ ١٩٧).
(٤٨) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣١٩ - ٣٢٠/ح ٦١١٤)، مسلم (٤/ ٢٠١٤/ح ٢٦٠٩).
(٤٩) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٢٠/ح ٦١١٦).

٩ ـ الحلـم والأنـاة:

كان مما يحبـه ﷺ هاتان الصفتان وقد قال لأشج عبدالقيس إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: «الحلم والأناة»[٥٠].

١٠ ـ الوصيـة بالجـار:

قال ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٥١].

وقال لأبي ذر (رضي الله عنه): «ياأبا ذر، إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»[٥٢]، وفي رواية: «. . . . ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف»[٥٣]. وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره[٥٤] . . »، وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره[٥٥]. . . ».

١١ ـ رحمتـه بالأطفـال:

عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه[٥٦].

وجعل الرسول ﷺ الجنة لمن يموت وله ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، بفضل رحمته إياهم[٥٧].

وكانت تفيض عيناه لموتهم، وقد سأله مرة سعد بن عبادة: «يارسول الله: ما هذا؟»، فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[٥٨]. وعندما ذرفت عيناه لوفاة ابنه إبراهيم، قال له

---

(٥٠) جزء من حديث أخرجه مسلم (١/٤٨/ح ١٧ ـ ١٨). وسبق الإشارة إلى هذا في فصل الوفود ـ المبحث الخاص بوفد عبدالقيس.

(٥١) البخاري/ الفتح (٢٢ ـ ٢٦/ح ٦٠١٤)، مسلم (٤/٢٠٢٥/ح ٢٦٢٤ ـ ٢٦٢٥).

(٥٢) مسلم (٤/٢٠٥/ح ٢٦٢٥).

(٥٣) مسلم (٤/٢٠٢٥/ح ٢٦٢٥).

(٥٤) البخاري/ الفتح (٢٢/ح ٦٠١٨).

(٥٥) الألباني: صحيح سنن ابن ماجة (٢/٢٩٦/ح ٣٦٧٢).

(٥٦) البخاري/ الفتح (٦/٢١١/ح ١٣٠٣).

(٥٧) البخاري/ الفتح (٦/٢٩٨/ح ١٣٨١).

(٥٨) البخاري/ الفتح (٦/١٨٩ ـ ١٩٠/ح ١٢٨٤).

ابن عوف: «وأنت يارسول الله؟» فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة لمن اتبعها بأخرى»، وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك ياإبراهيم لمحزونون»[٥٩].

وخرج على الصحابة (رضي الله عنهم) وأُمامة بنت ابن الربيع، ابنة زينب، على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها[٦٠].

وقبل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا»، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»[٦١].

وجاءه أعرابي فقال: «تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم»، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»[٦٢].

١٢ ـ بكاؤه عند المريض:

عندما اشتكى سعد بن عبادة ذات مرة، عاده فوجده في غشاية أهله، فقال: «قد قضى؟» قالوا: «لا يارسول الله»، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم»[٦٣].

١٣ ـ النهي عن تعذيب الناس بغير حق:

ويقول الرسول ﷺ في هذا: «إن الله يعذب الذين يضربون الناس في الدنيا»[٦٤].

١٤ ـ رحمته ﷺ بالإناث:

شبه الرسول ﷺ النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة

---

(٥٩) البخاري/ الفتح (٢١٢/٦/ح ١٣٠٣).
(٦٠) البخاري/ الفتح (٢١٠ ـ ٢١١/ح ٥٩٩٦).
(٦١) البخاري/ الفتح (٢١١/٢٢/ح ٥٩٩٧).
(٦٢) البخاري/ الفتح (٢١٢/٢٢/ح ٥٩٩٨).
(٦٣) البخاري/ الفتح (٢١٤/٦/ح ١٣٠٤).
(٦٤) مسلم (٢٠١٧/٤ ـ ٢٠١٨/ح ٢٦١٣).

والـرقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن، ولذا فإنهن يحتجن إلى الرفق. وله توجيهات كثيرة ومواقف عملية في هذا المجال. ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

١) كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وكانت معه نساء منهن أم سليم، وغـلام أسـود يقـال له أنجشة يحدو، فقال له النبي ﷺ: «ياأنجشة رويدك، سوقاً بالقوارير»(٦٥).

٢) وقد عثرت ناقته ـ ذات مرة، ومعه عليها زوجته صفية، فطرحا على الأرض، فلحق بهما أبوطلحة (رضي الله عنه)، فقال له النبي ﷺ: «عليك بالمرأة»(٦٦).

٣) روى أنس أن النبي ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو»، وضم أصابعه(٦٧).

٤) وقال ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»(٦٨).

٥) وقال ﷺ: «أفضل الصدقة إعالتك ابنتك الفقيرة التي رفضها زوجها، وليس لها غيرك»(٦٩).

٦) وكان عليه السلام يحب بناته حباً جما. فقد روي أن ابنته فاطمة كانت عندما تأتيه يقوم لها، ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها في مكانه الذي كان يجلس فيه(٧٠).

٧) وقـال ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»(٧١).

١٥ ـ النبي ﷺ الزوج المثالي:

كان ﷺ: كثيراً ما يوصي بالـزوجات خيراً، ويقول: «خيركم خيركم

---

(٦٥) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٤٩ ـ ٥٠/ح ٦١٤٩) و (٢٢/ح ٦١٦١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٩, ٦٢١١).
(٦٦) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠/ح ٦١٨٥).
(٦٧) مسلم (٤/ ٢٠٢٧/ح ٢٦٢٩).
(٦٨) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٠٩/ح ٥٩٩٥)؛ مسلم (٤/ ٢٠٢٨/ ح ٢٦٣١).
(٦٩) البخاري/ (٧/ ٧٥/ ك. الأدب/ ب ١٨)؛ ابن ماجة (٢/ ٣٠٩/ ك. الأدب/ح ٣٦١١).
(٧٠) أبوداود (٥/ ٣٩١/ ك. الأدب/ ب ١٥٥/ح ٥٢١٧).
(٧١) البخاري/ الفتح (٤/ ٩٧/ح ٧٠٧)؛ مسلم (١/ ٣٤٢ ـ ٤٣/ح ٤٧٠).

لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم»[72]. وأوصى بهن خيراً في حجة الوداع كما ذكرنا ذلك في مكانه. وقال: «حبب إليَّ من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»[73] ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة (رضي الله عنها)، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها [صديقاتها] وذلك بعد مماتها. وقد أقرت عائشة (رضي الله عنها) بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه[74].

وقد روي أنه وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية (رضي الله عنها) رجلها حتى تركب على بعيرها[75].

وأوصى ﷺ بالمرأة الزوجة، فقال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»[76]. وقال: ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم...»[77]. وقال: «بم يضربُ أحدكم امرأته ضرب الفحل ثم لعله يعانقها»، وفي رواية: «... جلد العبد...»[78].

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً؛ وخياركم خياركم لنسائهم»[79]، وفي رواية: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[80].

---

(٧٢) رواه ابن عساكر عن علي، والترمذي عن عائشة، وابن ماجه، عن ابن عباس (١/ ٦٣٦/ح ١٩٧٨) وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده على شرط الشيخين».

(٧٣) أخرجه أبوالشيخ في: أخلاق النبي (رقم ٢٤٧) والنسائي في كتاب عشرة النساء (٧/ ٦١) وأحمد: المسند (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) وابن سعد (١/ ٣٩٨). وهو حديث صحيح كما ذكر الدكتور الصباغ في مختصر المقاصد الحسنة، ص ٩٥ ـ حرف الحاء المهملة.

(٧٤) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٩٠ ـ ٩١/ح ٣٨٢١).

(٧٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٦٠/ح ٤٢١١).

(٧٦) البخاري/ الفتح (١٩/ ٣٠٣/ح ٥١٨٦)، مسلم (٢/ ١٠٩٠/ح ١٤٦٨).

(٧٧) طرف من حديث رواه الترمذي (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤/ح ١١٦٣)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، (رقم ١٨٥١)، وله شاهد عند الإمام أحمد: المسند (٥/ ٧٢، ٧٣).

(٧٨) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٥٢ ـ ٥٣/ح ٦٠٤٢).

(٧٩) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) بإسناد حسن؛ والترمذي (٤/ ١٣٥/ح ١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٨٠) أحمد (٦/ ٤٧)، والترمذي (٧/ ٢٧٧/ح ٢٦١٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال: «إن من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل»[٨١].

١٦ ـ رحمته بالضعفاء عموماً:

لقد بعث الرسول ﷺ رحمة[٨٢] للعالمين: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٨٣] ويقول ﷺ عن هذه الرحمة الإلهية: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»[٨٤].

وشملت رحمته ﷺ الضعفاء حتى وهو في الصلاة. فقد أوصى الأئمة قائلاً: إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»، وفي رواية: «إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة»[٨٥].

وشملت رحمته الخدم والأرقاء. وفي ذلك قال:

١) على المسلم أن يعامل خادمه أو مولاه كأخ له. فقد روى أبوذر أن الرسول ﷺ قال: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن كلفتموهم فأعينوهم»[٨٦].

٢) روى أبوهريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به، وقد ولي حره ودخانه، فليقعد معه، فليأكل، فإن كان الطعام قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين» أي لقمة أو لقمتين[٨٧].

---

(٨١) مسلم (٢/٦٩٢/ح ٩٩٥، ٩٩٤).

(٨٢) طرف من حديث من رواية أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال قيل يارسول الله: ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة». أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٧/ح ٢٥٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد، باب لعن الكافر، حديث رقم (٣٢١).

(٨٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٨٤) البخاري/ الفتح (٣/١٠/ح ٣١٩٤).

(٨٥) البخاري/ الفتح (٢/٢٠٠/ح ٧٠٤/ المطبعة السلفية تبويب محمد فؤاد عبدالباقي)؛ مسلم (١/ ٣٤٠ ـ ٤١/ح ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨).

(٨٦) مسلم (٣/١٢٨٤/ح ١٦٦٣/).

(٨٧) مسلم (٣/١٢٨٤/ح ١٦٦٣).

٣) وكان الرسول ﷺ يوصي - وهو في فراش الموت - بحسن معاملة الأرقاء[٨٨].

٤) وروى أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال: «من أساء معاملة من هم تحت يديه فلن يدخل الجنة»[٨٩].

٥) وقال ﷺ: من كانت له أمة فأدبها ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران[٩٠].

٦) وأمر ﷺ بأن يعامل المماليك مثل معاملة الأبناء[٩١].

٧) وقال ﷺ: من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه[٩٢].

٨) وقال لأبي مسعود، عندما رآه يضرب مملوكاً له: اعلم أبامسعود!! أنّ الله أقدر عليك منك على هذا الغلام. فانتهى عن ضربه، وأعتقه حتى لا يمسه الله بعذاب نتيجة هذا الفعل[٩٣].

وحث على كفالة الأيتام لضعفهم وحاجتهم للرعاية، فقال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بأصبعه السبابة والوسطى[٩٤].

وحث على إعالة الأرامل والمساكين، فقال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أوكالذي يصوم النهار ويقوم الليل»[٩٥] وقال: «اللهم إني أُحَرِّجُ[٩٦] حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»[٩٧]. وقال: «ابغوني الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»[٩٨].

وشملت رحمته حتى البهائم، قال: «ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه

---

(٨٨) انظر: أحمد (٣/١١٧)؛ ابن ماجه (١/٢٧١/ ك. الجنائز/ح ١٦٢٥)؛ أبوداود (٥/ ٣٥٩/ ك. الأدب/ح ٣١٥٦).
(٨٩) الترمذي (٦/ ١٨٣ - ٨٤ ك. البر/ح ١٩٤٧)؛ ابن ماجه (٢/ ٣١٣/ ك. الأدب/ح ٣٧٣٥).
(٩٠) البخاري (٦/ ١٢٠ - ٢١/ ك. النكاح/ ب٢١)؛ مسلم (٢/ ٤٥ - ١/ح ١٤٢٩)
(٩١) انظر: ابن ماجه (٢/ ٣١٤/ ك. الأدب/ ح ٣٧٣٥).
(٩٢) مسلم (٣/ ١٢٧٨/ح ١٦٥٧).
(٩٣) مسلم (٣/ ١٢٨٠/ح ١٦٥٩).
(٩٤) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢١٩ - ٢٠/ح ٦٠٠٥).
(٩٥) البخاري/ الفتح ٢٢/ ٢٢١/ح ٦٠٠٦).
(٩٦) أي ألحق الحرج، وهو الإثم، بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك وأزجر عنه بشدة.
(٩٧) أحمد (٢/ ٤٣٩) من حديث أبي هريرة - وإسناده حسن.
(٩٨) أبوداود (٣/ ٧٣/ح ٢٥٩٤)؛ أحمد (٥/ ١٩٨)، وإسناده صحيح.
وأخرج البخاري نحوه في كتاب الجهاد/ باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ورقم الباب (٧٦).

إنسان أو دابة إلا كان صدقة»[٩٩]. وقال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فعلأ فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له. قالوا: يارسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[١٠٠].

١٧ ـ رحمته بالأعداء في الحرب والسلم:

كان الرسول ﷺ يصلي الفجر مع المسلمين في الحديبية، فنزل سبعون أو ثمانون رجلاً من التنعيم يريدون الفتك بالمسلمين، فأخذوا، فأعتقهم رسول الله ﷺ دون عوض عقاب[١٠١].

وقد قبل الفداء من أسرى بدر، وعفا عن قريش وأهل مكة، يوم فتح مكة، وأطلق سراح أسرى حنين[١٠٢].

وعفا عن غَورث بن الحارث على الرغم من محاولته قتل الرسول ﷺ، فجاء غورث إلى قومه بعد هذا فقال لهم: جئتكم من عند خير الناس[١٠٣].

روى البخاري[١٠٤] أنه مر عليه بجنازة، فقام لها، فقالوا يارسول الله ﷺ إنها جنازة يهودي!! فقال: «أليست نفساً منفوسة؟» ونهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان والأجير، ماداموا غير مشاركين في قتال المسلمين[١٠٥] فكان إذا بعث بعثاً أو جيشاً أوصاهم قائلا: «لاتغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولاتقتلوا وليداً»[١٠٦].

وكان له خادم يهودي، فكان إذا مرض عاده، فعاده مرة، فعرض عليه

---

(٩٩) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٢٣/ح ٦٠١٢).
(١٠٠) البخاري/ الفتح (٢٢/٢٢٢/ح ٦٠٠٩).
(١٠١) انظره في مكانه من غزوة الحديبية، وهو من رواية البخاري كما ذكر.
(١٠٢) سبق ذكر ذلك. انظره في مكانه عند الكلام عن هذه الأحداث.
(١٠٣) انظره في مكانه من هذا الكتاب، وهو من رواية البخاري.
(١٠٤) الفتح (٦/ ٢١٩ ـ ٢٢٠/ح ١٣١٢).
(١٠٥) انظره في مكانه من الكتاب.
(١٠٦) مسلم (٣/١٣٥٧/ح ١٧٣١).

الإسلام وأبوه حاضر، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقال الرسول ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[107].

١٨ - عدله ﷺ:

ذكرنا من قبل بمناسبة الكلام عن غزوة الفتح[108] أن الرسول ﷺ رفض شفاعة أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في المرأة المخزومية التي سرقت، وأهم أمرها قريش، وقال: والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

١٩ - حثه ﷺ على صلة الأرحام:

لقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بأن من أحب الأعمال إلى الله تعالى بر الوالدين[109].

قال له رجل من الصحابة، يارسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك[110].

وقال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: ألك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد»[111].

وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، قال لأصحابه: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالها ثلاثاً، فقال الصحابة: بلى يارسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»[112]. وقال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات...»[113] وحث على صلة الوالدين المشركين والأقارب المشركين[114].

---

(١٠٧) البخاري/ الفتح (٦/ ٢٦٩/ح ١٣٥٦).
(١٠٨) انظر الفقرة رقم (١٣) من دروس وعبر وأحكام غزوة الفتح.
(١٠٩) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٧٧/ ح ٥٩٧٠).
(١١٠) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٧٨/ ح ٥٩٧١)؛ مسلم (٤/ ١٩٧٤/ح ٢٥٤٨).
(١١١) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٨٠/ ح ٥٩٧١)؛ مسلم (٤/ ١٩٧٤/ح ٢٥٤٨).
(١١٢) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٨٦/ ح ١٩٠/ح ٥٩٧٦).
(١١٣) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٨٣/ ح ٥٩٧٥).
(١١٤) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٩٢ - ١٩٣/ح ٥٩٧٨، ٥٩٧٩، ٥٩٨١).

وجعل صلة الرحم من أسباب دخول الجنة[١١٥]، والبسط في الرزق[١١٦]، وقطعها من أسباب دخول النار. قال: «لا يدخل الجنة، قاطع»[١١٧] أي قاطع رحم.

وقال رجل للنبي ﷺ: يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فإنما تسفهم المَلّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك»[١١٨].

٢٠ - إعراضه ﷺ عما يكرهه:

روي عن أنس أنه ﷺ كان عنده رجل به أثر صفرة. وكان ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه. فلما قام الرجل، قال النبي ﷺ للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة»[١١٩] لأن الصفرة من أثر طيب النساء، ويكره للرجل أن يتطيب بما له لون، بل يتطيب بما له رائحة فقط.

وروي عن عائشة (رضي الله عنها) أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فقال: «ائذنوا له، فبئس رجل العشير، أو بئس رجل العشيرة، فلما دخل ألان له القول. قالت عائشة: يارسول الله، قلت له الذي قلت، فلما دخل ألنت له القول؟ قال: «ياعائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة، من وَدَعَه أو تركه الناس إتقاء فحشه»[١٢٠].

وقالت عائشة (رضي الله عنها): كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل له قلت كذا وكذا، قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»[١٢١].

---

(١١٥) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٩٣ - ١٩٤/ح ٥٩٨٢)؛ أحمد (٣/ ٤٢٩)، عبدالرزاق (٥/ ١٧٦).
(١١٦) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٩٤ - ١٩٥/ح ٥٩٨٥، ٥٩٨٦)؛ مسلم (٤/ ١٩٨٢/ح ٢٥٥٧).
(١١٧) البخاري/ الفتح (٢٢/ ١٩٤/ح ٥٩٨٤).
(١١٨) مسلم (٤/ ١٩٨٢/ح ٢٥٥٨) - والمل هو الرماد الحار.
(١١٩) ممن أخرجه: أبوداود (٥/ ١٤٣ - ١٤٤/ح ٤٧٨٩)؛ الترمذي: الشمائل (رقم ٣٣٩)؛ أحمد (٣/ ١٥٤، ١٦٠)، وإسناده صحيح.
(١٢٠) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٢٤٠ - ٢٤٢/ح ٦٠٣٢)؛ مسلم (٤/ ٢٠٠٢/ح ٢٥٩١).
(١٢١) أبوداود (٥/ ١٤٣/ح ٤٧٨٨)، قال المنذري: «وأخرجه النسائي بمعناه. وهو صحيح».

٢١ - عدم ذكره عيب الطعام واستحبابه مدحه

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»(١٢٢).

وعن جابر (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ سأل أهله إداماً، فقالوا: ما عندنا إلاخل، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل»(١٢٣).

٢٢ - من جامع صفاته وإرشاداته ﷺ:

روي عن عبدالله بن عمرو وعبدالله بن سلام (رضي الله عنهم) أنهما قالا: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، ﴿ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وتفتح به أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف»(١٢٤)».

وكان ﷺ لا يحب من مدحه ما ينقص من غيره من الأنبياء، ويقول: لا تخيروا بين الأنبياء»(١٢٥).

وكان يحث على الصبر والشكر، وفي ذلك يقول: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»(١٢٦).

وجعل مقياس القوة تملك النفس عند الغضب(١٢٧).

وكان ينهى عن سيىء الخلق، وفي ذلك يقول: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عبادالله إخوانا»(١٢٨).

---

(١٢٢) البخاري/ الفتح (٢٠/ ٢٤٥ - ٢٤٦/ ٥٤٠٩).
(١٢٣) مسلم (٣/ ١٦٢٢/ح ٢٠٥٢).
(١٢٤) البخاري/ الفتح (٩/ ١٩٩ - ٢٠٠/ح ٢١٢٥).
(١٢٥) البخاري/ الفتح (٢٦/ ٩٢/ح ٦٩١٧)، مسلم (٤/ ١٨٤٤/ح ٢٣٧٣).
(١٢٦) البخاري/ الفتح (٢٤/ ١١٤/ح ٦٤٩٠).
(١٢٧) البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣١٩ - ٣٢٠/ح ٦١١٤).
(١٢٨) البخاري/ الفتح (٢٥/ ١٢٦/ح ٦٧٢٤).

وفي وصف جوامع خُلقه وخَلقه نورد الحديث الذي رواه الترمذي في الشمائل[١٢٩]. عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال: سألت خالي هند ابن أبي هالة[١٣٠]، وكان وصافاً، عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: «كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجِلَ الشعر، إن انفرقت عقيقته[١٣١] فَرَقَها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج[١٣٢] الحواجب سوابغ في غير قرن[١٣٣]، بينهما عرق يُدرُّه الغضب[١٣٤]، أقنى العِرْنَيْن[١٣٥]، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم[١٣٦]، مفلج الأسنان[١٣٧]، دقيق المسرُبة[١٣٨]، كأن عنقه جيد دُمية، في صفاء الفضة[١٣٩]، معتدل الخلق، بادن متماسك[١٤٠]. سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس[١٤١]، أنور المتجردَّ[١٤٢]، موصول ما بين اللبة[١٤٣] والسرة بشعر يجري كالخط، عاري

---

(١٢٩) ص ص ١٨ ـ ٢٦، وقال المحقق ـ الشيخ الألباني: «تفرد به المؤلف، ورواه الطبراني [في الكبير] والبيهقي [في الشعب] إسناده ضعيف، وله علتان بينتهما في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٠٥٣)، وقد أخرجت فيه شاهداً لطرفه الأول، وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق أخرى، ولكن فيه على بن جعفر بن محمد، سكت عنه في «الكاشف»، وقال في «الميزان»: «مارأيت أحداً لينه. نعم ولا وثقة: وساق له حديثا في فضل أهل البيت استنكره جداً، وكذلك خرجته في «الضعيفة» (٢١٢٢). قلت: رواه أبونعيم في الدلائل مطولاً (٢٢٧) وابن سعد (١/ ٤٢٢) والبغوي في شرح السنة تاماً برقم (٣٧٠٥).

(١٣٠) هند هو أخو فاطمة أم الحسن والحسين من أمها خديجة، كما مر بك. قتل مع علي يوم الجمل.

(١٣١) العقيقة: شعر رأسه الذي على ناصيته، أي جعلها فرقتين.

(١٣٢) أزج: أي مقوس الحاجبين.

(١٣٣) أي كاملات، والقرن: اقتران الحاجبين بحيث يلتقي طرفاهما.

(١٣٤) يدره الغضب: أي يصيره الغضب ممتلئا دماً.

(١٣٥) أقنى العرنين: أي طويل الأنف مع دقة أرنبته، والعرنين: ما صلب من الأنف وقيل الأنف كله.

(١٣٦) ضليع الفم: أي واسع الفم، وهذا عند العرب يدل على الفصاحة.

(١٣٧) الفلج: انفراج ما بين الأسنان.

(١٣٨) دقيق المسربة: أي دقيق الشعر الذي من الصدر إلى السرة.

(١٣٩) الجيد: العنق، والدمية: الصورة المتخذة من عاج أوغيره.

(١٤٠) البادن: المعتدل السمنة، ومتماسك: أي قوي ومعتدل الجسم.

(١٤١) الكراديس: رؤوس الأعضاء كالكتف والركبة والمرفق.

(١٤٢) أي نير العضو المتجرد عن الشعر أو عن الثوب.

(١٤٣) اللبة: موضع الثغرة فوق الصدر.

الثديين والبطن ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أو قال: شائل الأطراف[١٤٤] خُمصان الأَخْمَصَين[١٤٥]، مسيح[١٤٦] القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً يخطو تكفيا[١٤٧] ويمشي هوناً، ذريع[١٤٨] المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه[١٤٩]، ويبدر[١٥٠] من لقي بالسلام».

قال: فقلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفِكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى[١٥١]، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير.

ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة، وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذَواقاً[١٥٢] ولا يمدحه.

ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعُدِّي الحقُ لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قَلَبها، وإذا تحدث اتصل بها[١٥٣]، وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى.

وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه. جل ضحكه التبسم، يَفْتَرّ عن مثل حبّ الغمام»[١٥٤].

---

(١٤٤) شك من الرواي. والسائل: الطويل، والشائل: كذلك الطويل.
(١٤٥) الأخمص من القدم هو الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند التوطء، والخمصان المبالغ منه، والمراد أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض.
(١٤٦) مسيح: أي ملساوان، ليس فيهما تكسر ولا شقاق: أي تشقق.
(١٤٧) تكفيا أو تكفُؤاً كما في رواية، أي يمشي تقلصاً يخطو تكفُؤاً: مائلاً قليلاً إلى الأمام.
(١٤٨) ذريع: واسع الخطا، والصبب: الأرض المنحدرة.
(١٤٩) أي يمشون أمامه ويمشي هو خلفهم.
(١٥٠) يبدر: أي يسبق.
(١٥١) في رواية الطبراني: ويختمه بأشداقه، أي يتكلم بملء فمه، وهو من الرجولة.
(١٥٢) الذواق: المأكول والمشروب. وجوامع الكلم: ما قل لفظه وكثر معناه وحسن سبكه.
(١٥٣) أي بكفه، بمعنى أن حديثه يقارن تحريكها وبين ذلك بقوله: «وضرب...».
(١٥٤) الغمام: السحاب، وحب الغمام: البَرَد شبه به أسنانه البيض.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئاً. قال الحسين: فسألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: «كان إذا أوى إلى منزله جَزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة[١٥٥] ولا يدخر عنهم شيئاً.

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مساءلتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة»[١٥٦].

لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون رواداً[١٥٧]، ولا يفترقون الا عن ذواق[١٥٨]، ويخرجون أدلة[١٥٩]، يعني على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: «كان رسول الله ﷺ يخزن[١٦٠] لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم[١٦١]، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه.

---

(١٥٥) المراد بالخاصة: الصحابة الذين يكثرون الدخول عليه كالخلفاء الأربعة. والمراد بالعامة الذين لم يعتادوا الدخول عليه. فالخواص يأخذون عنه وهم يبلغونها بقية الناس.

(١٥٦) قال الشيخ العلامة الألباني ـ محقق شمائل الترمذي، ص ٢٢ ـ الحاشية: «من قوله: أبلغوني...» إلى هنا له طريق أخرى عن علي، لكن إسناده ضعيف جداً، وكذلك أوردته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم (١٥٩٤).

(١٥٧) جمع رائد، وهو في الأصل من يتقدم القوم لينظرهم الكلأ ومساقط الماء. والمراد هنا كبار الصحابة.

(١٥٨) الذواق: المأكول والمشروب، وضرب الذواق مثلاً لما ينالون عنده من الخير، أي لا يتفرقون الا عن علم وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم (النهاية) وهذا حمل للفظ على المجاز، وهناك من حمله على الحقيقة، والله أعلم.

(١٥٩) أدلة: أي يدلون على الخير، هداة للناس.

(١٦٠) أي يحبس، أو يتكلم.

(١٦١) وفي معنى هذا يقول الله تعالى في وصفه: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك..﴾ آل عمران: ١٥٩.

ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه.

معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يفضلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عَتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه.

[الذين] يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه. فقال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك. يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس علم وحلم وحياء وأمانة وصبر، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن[١٦٢] فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته[١٦٣]، متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال الحسين: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان رسول الله ﷺ دائم البشر[١٦٤]، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مشاح[١٦٥]. يتغافل عما لا يتشهى، ولا يؤيس[١٦٦] منه راجيه، ولا يخيب فيه.

---

(١٦٢) أي لا تعاب، من (الأبن)، وهو: العيب. والمراد لا يقدح فيه بحرمة أحد.
(١٦٣) أي لا تشاع ولا تذاع، كما في (النهاية).
(١٦٤) أي طلاقة الوجه وبشاشته مع الناس.
(١٦٥) من الشح، وهو البخل.
(١٦٦) أي لا يجعله آيساً من بره.

قد ترك نفسه من ثلاث: المراء[١٦٧]، والإكثار[١٦٨]، وما لا يعنيه[١٦٩]. وتـرك النـاس من ثلاث: كان لا يذم أحـداً، ولا يعيبـه، ولا يطلب عورته[١٧٠]، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

وإذا تكلم أطرق جلسـاؤه كأنما على رؤوسهم الطير[١٧١]، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم.

يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة[١٧٢] في منطقه ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم[١٧٣]، ويقول: «إذا رأيتم طالب حاجة، يطلبها فأرفدوه»[١٧٤]. ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[١٧٥]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز[١٧٦]، فيقطعه بنهي أو قيام»[١٧٧].

---

(١٦٧) المراء: الجدال. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «من ترك المراء، وهو محق، بنى الله له بيتاً في ربض الجنة»، أي في أول الجنة. انظر: أبوداود (٥/ ١٥٠/ ك. الأدب/ ب. في حسن الخلق/ح ٤٨٠٠) وفي رواية الترمذي (٦/٢٠٨/ح ١٩٩٤): (... ومن ترك المراء وهو محق بنى له في وسطها...) يعني الجنة، وقال: حديث حسن...».

(١٦٨) أي الإكثار من الكلام أو المال. وفي نسخة: الإكبار، أي استعظام نفسه في المشي والجلوس وغيره.

(١٦٩) والله تعالى يقول: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾. المؤمنون: ٣. ويقول الرسول ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وممن رواه: الإمام أحمد: المسند (٣/١٧٧/ح ١٧٣٧/ شاكر) وصحح شاكر إسناده.

(١٧٠) أي لا يكشف عورة أحد أو لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه عن الناس.

(١٧١) أي كانوا لإجلالهم إياه لا يتحركون، فكان صفتهم صفة من على رأسه طائر يريدر أن يصيده، فهو يخاف أن يتحرك.

(١٧٢) أي على الجفاء والغلظة مما كان يصدر من بعض الجفاة.

(١٧٣) أي يتمنون أن يجيء الغرباء إلى مجلسه (عليه السلام)، ليستفيدوا بسبب أسئلتهم ما لا يستفيدون في غيبتهم، لأنهم كانوا يتهيبون أن يسألوه.

(١٧٤) أي أعينوه على طلبته.

(١٧٥) أي مقتصد في المدح غير متجاوز اللائق به.

(١٧٦) أي يجاوز الحق ويتعداه.

(١٧٧) أي يترك ذلك المجلس.

قال الشيخ الألباني ـ محقق شمائل الترمذي: «وأعلم أن الحديث كان في الأصل مفرقاً في عدة أبواب بسند واحد، فجمعته هنا في سياق واحد، باجتهاد مني، ثم رأيته مطابقاً لرواية يعقوب ابن سفيان الفسوي الحافظ، فإنه ساقها مجموعة في سياق واحد، فيما نقله ابن كثير في «البداية». ثم قال: وقد روى هذا الحديث بطولة الحافظ أبوعيسى الترمذي ـ رحمه الله ـ في «كتاب الشمائل» عن سفيان بن وكيل... ودون أن يشير إلى أنه رواه فيه مفرقاً. ثم رأيته عند أبي نعيم أيضاً في سياق واحد». وقد أفرد البيهقي في الدلائل (١/٣٠٨ ـ ٣٣٢) بابا خاصاً ذكر منه أخباراً رويت في شمائله وأخلاقه على طريق الاختصار تشهد لما رواه في حديث هند بن أبي هالة بالصحة قلت. ومعظم هذه الأخبار من روايات البخاري ومسلم فلتراجع في مكانها من الدلائل.

ومن الأحاديث الجامعة في وصفه ﷺ حديث أم معبد الخزاعية، الذي سبقت الإشارة إليه في أخبار الهجرة إلى المدينة المنورة. فعندما طلب أبومعبد من أم معبد أن تصف له الرسول ﷺ، قالت: «رأيت رجلاً ظاهرَ الوَضاءة أبلجَ[178] الوجه لم تَعِبْه ثُجْلَة[179]. ولم تُزْر به صُقْلَة[180]. وسيم قسيم[181]. في عينيه دعج[182] وفي أشفاره[183] وطف[184]. وفي صوته صَهَل[185]. وفي عنقه سَطع[186]. وفي لحيته كثاثة. أزجُّ أقرن[187] إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء. أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. حلو المنطق، فصلٌ[188] لا نَزْرٌ، ولا هَذَرٌ[189]، كأن منطقه خرزات نظم يَتَحَدَّرْنَ[190]. ربعة[191]، لا بأسَ[192] من طول، ولا تقتحمه عين من قِصر. غصن بين غصنين. فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً. له رفقاء يَحُفُّون به، إن قال أنصتوا، وان أمر تبادروا لأمره. محشود[193] محفود[194]. لا عابس، ولا مُفَنَّد..»[195][196].

---

(١٧٨) ابلج الوجه: يعني مشرق الوجه، يقال تبلج الصبح إذا أشرق.
(١٧٩) لم تعبه ثجلة: الثجلة هي ضخامة البطن (النهاية).
(١٨٠) لم تزر به صقله: أي لم يقصر والصقل والصقلة: دقة ونحول (النهاية) والصقلة أيضا جلدة الخاصرة. تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخاصرة. وهو اسم للأوصاف الحسنة.
(١٨١) وسيم: أي جسيم والوسامة: الحسن.
(١٨٢) الدعج: شدة سواد العين.
(١٨٣) و (١٨٤) الوطف: طول شعر أشفار العين.
(١٨٥) وفي رواية صحل: يُريدُ أنه ليس بحاد الصوت.
(١٨٦) سطع: أي إشراف وطول.
(١٨٧) الكثاثة: دقة نبات شعر اللحية، مع استدارة فيها، وقولها: أزج أقرن: الزج، دقة شعر الحاجبين مع طولها والقرن أن يتصل ما بينهما بالشعر.
(١٨٨) و (١٨٩) فصل لا نذر ولا هذر: الفصل هو الكلام البين والنزر الكلام القليل. والهذر الكلام الكثير.
(١٩٠) يتحدرن: يتساقطن من فمه.
(١٩١) ربعة: أي الوسط وإلى الطول أقرب.
(١٩٢) لا يأس: لا يؤيس من طوله، لأنه كان إلى الطول أقرب.
(١٩٣) محشود: أي محفوف به.
(١٩٤) محفود: أي مخدوم، والحفدة: الخدمة، ويقال حفدت الرجل إذا خدمته.
(١٩٥) في رواية البغوي: مفند. وفي رواية ابن إسحاق: معتد: أي غير ظالم.
(١٩٦) هذا الخبر أخرجه البغوي في شرح السنة، الحديث رقم (٣٧٠٤) وفي: الأنوار في شمائل النبي المختار ـ تحقيق إبراهيم اليعقوبي، الجزء الأول، ص ٣٤٠، حديث رقم (٤٥٦)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٣٠ ـ ٣١)، والحاكم في المستدرك (٩١٣ ـ ١٠)، وأقره الذهبي. وأخرج بعضه ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٨) بإسناد حسن لذاته. وله شواهد، والقصة مشهورة.

وخلاصة القول: إن النبي ﷺ قد اتصف بصفات الكمال، ولا غرو فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وخاطبه بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[197]. وقالت عائشة (رضي الله عنها): «كان خلقه القرآن[198]».

وهذه الشمائل التي ذكرناها هي نقطة من بحر، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو الحديث إلا وكان الرسول ﷺ يتصف بها، وهو أول العاملين بها، وهي خصال يصعب جمعها في فصل من كتاب كهذا، وقد حاول الترمذي[199] والبيهقي[200] وأبو الشيخ[201] وابن المقري[202] والفيروزبادي[203] والمستغفري[204] وجعفر بن حيان الأصبهاني[205] والبغوي[206] وغيرهم أن يفرد كل منهم كتابا جمع فيه جانبا كبيرا من هذه الشمائل. وحاول ابن القيم[207] ان يستقصي كل ما ينبغي معرفته عن النبي ﷺ وأحواله فاستوعب ذلك أكثر من كثير من غيره من المؤلفين.

ومن أجل وأنفس ما ألف في الشمائل كتاب «الأنوار في شمائل النبي المختار» من تأليف الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ). وقد حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي، وقد صدر في جزأين، وفي نحو ثمانمائة صفحة. وجمع فيه مؤلفه سبعة وخمسين ومائتين وألفاً من الأحاديث والآثار التي تتعلق بالشمائل، بينما جمع الترمذي ـ مثلا ـ في

---

(١٩٧) القلم: ٤.

(١٩٨) ذكره ابن كثير في الشمائل ونسبه للبيهقي، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦١٣) وأقره الذهبي، وأحمد في المسند (٦/٥٤)، وأبو الشيخ ص٢٨. وانظر: البغوي: الشمائل (١/١٦٤ - ٦٥) وحاشيته رقم ١٩٧

(١٩٩) انظر كتابه الشمائل. وقد كتب كبار العلماء زيادات عليه أهمها وأطولها ما كتبه القاضي عياض في كتابه الشفا في حقوق المصطفى، وقد شرحه الشهاب الخفاجي وسماه نسيم الرياض.

(٢٠٠) انظر كتابه: الأدب. وقد اعتنى به وعلق عليه أبوعبدالله السعيد المندوة ـ وهو في ثلثمائة وخمسين صفحة.

(٢٠١) انظر كتابه: أخلاق النبي ﷺ وآدابه، وقد حقق وهو في ثلثمائة صفحة.

(٢٠٢) انظر كتابه: النور الساطع. وقد توفي سنة (٥٥٢ هـ).

(٢٠٣) انظر كتابه: سفر السعادة. وقد توفي سنة (٨١٢ هـ).

(٢٠٤) انظر كتابه: شمائل النبي ﷺ وقد توفي سنة (٤٣٢ هـ).

(٢٠٥) انظر كتابه: أخلاق النبي، وقد توفي سنة (٣٦٩ هـ) وقد قام بتحقيقه الدكتور السيد الجميلي، وهو في نحو أربعين ومائتي صفحة.

(٢٠٦) سنخصه بالذكر بعد قليل.

(٢٠٧) زاد المعاد: في هدي خير العباد.

الشمائل أربعمائة من الأحاديث والآثار.

وكتاب الأنوار هو المرجع الأهم والأول في التعرف على كيفية أخذ تلك الشمائل من مظانها ومن مواطنها كما يذكر محققه[٢٠٨]، وهو كما ذكر.

أما الشامي في «السبل» فقد جمع مادة غزيرة بهذا الشأن، ولكنها مازالت مخطوطة ـ أي في الأجزاء التي لم تحقق[٢٠٩].

---

(٢٠٨) انظر مقدمة: محقق الكتاب، ص ص ٤٠ ـ ٤١.
(٢٠٩) انظر فهرس موضوعات الكتاب في الجزء الأول المطبوع.

ثبت المصادر والمراجع

أ - : المصادر القديمة

القــرآن الكريــم.

ابن الأثير : علي بن محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ).

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

(٢) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ -/١٩٦٦م.

ابن الأثير : أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر.
تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحبلي، مصر د. ت.

الأزرقي : ابوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٥٠).

(٤) أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت ومكة المكرمة، ط ٣ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ).

(٥) السـير والمغـازي، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

البخاري : أبوعبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).
(٦) **التاريخ الكبير**، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ودار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

(٧) **الجامع الصحيح.**
المكتب الإسلامي، استانبول، تركية، ١٣٩٩هـ ٣ -/١٩٧٩م.

(٨) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.**
تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
(٩) **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، د. ت.

البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).
(١٠) **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
(١١) **السنن الكبرى**، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).
(١٢) **سنن الترمذي**، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس، دارمكتبة دار الدعوة، حمص، سورية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
(١٣) **مختصر الشمائل المحمدية**، إختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية بالأردن ومكتبة المعارف بالرياض، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).
(١٤) تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير، تحقيق ونشر مكتبة الآداب، مصر، د.ت.
(١٥) زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
(١٦) الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

ابن أبي حاتم : أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)م.
(١٧) الجرح والتعديل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط ١، ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م، ودائرة الكتب العلمية، بيروت.

الحاكم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
(١٨) المستدرك على الصحيحين، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د.ت.

ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ).
(١٩) الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
(٢٠) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تصحيح وتعليق الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
(٢١) صحيح ابن حبان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكناني (ت ٨٥٢هـ).

(٢٢) **الإصابة في تمييز الصحابة**، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م.
(٢٣) **تقريب التهذيب**، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب العربي، مصر، د. ت. وتحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، سورية، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
(٢٤) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
(٢٥) **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعد (ت ٤٥٦هـ).
(٢٦) **جوامع السيرة**، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد، ومراجعة أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د. ت.
(٢٧) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م.

الحموي : ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ).
(٢٨) **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

الحميدي : أبوبكر عبدالله بن الزبير (ت ٢١٩هـ).
(٢٩) **مسند الحميدي**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من سلسلة منشورات المجلس العلمي، كراتشي، باكستان، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

ابن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
(٣٠) **المسند**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
(٣٠) **المسند**، تحقيق أحمد محمد شاكر، لم يذكر الناشر، مصر، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.

(٣١) **فضائل الصحابة**، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ابن خياط : **خليفة بن خياط العصفري** (ت ٤٦٣هـ).

(٣٢) **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

الدارمي : **أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل** (ت ٢٥٥هـ).

(٣٣) **سنن الدارمي**، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة، د. ت.

أبو داود : **سليمان بن الأشعث السجستاني** (ت ٢٧٥هـ).

(٣٤) **سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي**: أبو سلميان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، إعداد وتعليق عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد على السيد، سورية، ط ١ ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

(٣٥) **المراسيل**، تحقيق عبدالعزيز السيرواني، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

أبو داود : **سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي** (ت ٢٠٤هـ).

(٣٦) **مسند الطيالسي**، ترتيب أحمد بن عبدالرحمن البنا الساعاتي، المنيرية بالأزهر، مصر، ط ١، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ).

(٣٧) **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مؤسسة شعبان، بيروت، د. ت، والمطبعة الوهبية، مصر، رجب ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م.

الذهبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
(٣٨) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
(٣٩) تذكرة الحفاظ، إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
(٤٠) ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

ابن زبالة : محمد بن الحسن بن زبالة (ت ١٩٩هـ).
(٤١) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، رواية الزبير بن بكار، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، إحياء التراث الإسلامي، ط ١ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الزرقاني : محمد بن عبدالباقي بن يوسف أبو عبدالله (ت ١١٢٢هـ).
(٤٢) شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر، شهاب الدين، أبو العباس (ت ٩٣٢هـ)، دار الطباعة الأميرية، مصر، ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م.
(٤٣) شرح موطأ الإمام مالك بن أنس، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٤م.

الزركشي : محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ).
(٤٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

الزهري : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ).
(٤٥) المغازي النبوية، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ).
(٤٦) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

السمهودي : علي بن عبدالله بن أحمد الحسيني (ت ٩١١هـ).
(٤٧) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

السهيلي : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (٥٨١هـ).
(٤٨) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ابن سيد الناس : محمد بن محمد أبو الفتح اليعمري المصري (ت ٧٣٤هـ)
(٤٩) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار المعرفة، بيروت د. ت.

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
(٥٠) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المعروف بـ «الخصائص الكبرى»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٨٩٦م.

ابن شبة : أبوزيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ).
(٥١) تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، دار الأصفهاني، جدة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

أبو الشيخ : عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ).
(٥٢) أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الصالحي : محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢هـ).
(٥٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).
(٥٤) المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، إحياء التراث الإسلامي، العراق، ط ١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (٣١٠هـ).
(٥٥) تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ط ٤، د. ت
(٥٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، د. ت

طرهوني : الشيخ محمد بن رزق بن طرهوني.
(٥٧) صحيح السيرة النبوية - المسماة: السيرة الذهبية، دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١ ١٤١٠هـ .

ابن طولون : محمد بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ).
(٥٨) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تحقيق محمود الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ابن عبدالبر : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ).
(٥٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش الإصابة لابن حجر.

(٦٠) الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦.

ابن عبدالحكم : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ).
(٦١) فتوح مصر، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م.

عبدالرزاق : بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني (ت ٢١١هـ).
(٦٢) المصنف، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

أبو عبيد : القاسم بن سلام البغدادي اللغوي (ت ٢٢٤هـ).
(٦٣) الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ودار الفكر، القاهرة ـ بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

عروة : بن الزبير بن العوام (ت ٩٣هـ).
(٦٤) المغازي، برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

العجلي : أحمد بن عبدالله بن صالح أبو الحسن العجلي (ت ٢٦١هـ).
(٦٥) تاريخ الثقات، تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله أبوالقاسم الدمشقي (ت ٥٧١هـ).
(٦٦) تاريخ مدينة دمشق، قسم السيرة النبوية، تحقيق نشاط غزاوي،

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار اللفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

أبو عوانة : **يعقوب بن إسحاق الإسفراييني** (ت ٣١٦هـ).
(٦٧) **المسند**، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

الفاكهي : أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس (ت ٢٨٠هـ).
(٦٨) **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق عبدالملك بن عبدالله ابن دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

ابن قتيبة : **أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري** (ت ٢٧٦هـ).
(٦٩) **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

ابن قيم الجوزية : **أبو عبدالله محمد بن أبي بكر** (ت ٧٥٢هـ).
(٧٠) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق، شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن كثير : **أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي** (ت ٧٧٤هـ).
(٧١) **البداية والنهاية**، تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ويطلب من مكتبة الفلاح بالرياض، د. ت.
(٧٢) **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميليه، كتاب الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

ابن ماجه : **أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني** (ت ٢٧٥هـ).

(٧٣) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
(٧٤) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٨٩٨٠م.

النسائي : أبو عبدالرحمن بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).
(٧٥) سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.

النووي : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ).
(٧٦) شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د. ت.

أبو نعيم : أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ).
(٧٧) دلائل النبوة، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ).
(٧٨) السيرة النبوية، تحقيق الدكتور همام عبدالرحيم سعيد ومحمد عبدالله أبوصعيليك، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

الهيثمي : أبوبكر نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ).
(٧٩) كشف الأستار عن زوائد البزار، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٨٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
(٨١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق محمد بن عبدالرزاق حمزة، دار مكتبة الهلال، بيروت، د. ت.

الواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ).
(٨٢) أسباب النزول، مطبعة هندية، مصر، ١٣١٥هـ / ١٨٩٧هـ.

الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ).
(٨٣) كتاب المغازي، تحقيق الدكتور مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت ٧٤٩هـ).
(٨٤) تاريخ ابن الوردي، جمعية المعارف، القاهرة، ١٢٨٥هـ / ١٩٦٨م.

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢هـ).
(٨٥) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

ب ـ : المراجع الحديثة

آرثر كريستنسن :

(٨٦) إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

الألباني : محمد ناصر الدين الألباني.

(٨٧) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٨٨) تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي، بحاشية فقه السيرة للغزالي.

(٨٩) حجة النبي ﷺ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٧، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٩٠) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه «فقه السيرة»، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

(٩١) سلسلة الأحاديث الصحيحة،

(٩٢) صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٩٣) صحيح سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

الآلوسي : محمود شكري.

(٩٤) بلوغ الأرب في أحوال العرب، تحقيق بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م.

الباكــري : حسين أحمد الباكري.
(٩٥) مرويات غزوة أحد، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

باوزيــر : أحمد محمد العليمي باوزير.
(٩٦) مرويـات غزوة بدر، رسـالـة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة طيبة، ط ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

أبو بكر الجزائري :
(٩٧) هذا الحبيب محمـد رسول الله ﷺ يامحب، مكتبة لينة، دمنهور، مصر، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

البلادي : عاتق بن غيث.
(٩٨) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

البوطـي : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
(٩٩) فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط ٧، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

بوكاي : موريس.
(١٠٠) دراسـة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

حامد عبدالقادر.
(١٠١) زرادشت الحكيم، نبي قدامي الإيرانيين ـ حياته وفلسفته، مكتبة

نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

حسن شحاته سلطان.
(١٠٢) كونفوشيوس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

الحكمي : حافظ بن محمد عبد الله الحكمي.
(١٠٣) مرويات غزوة الحديبية، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الحيدرابادي : محمد حميد الله الحيدرآبادي.
(١٠٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الدوم : محسن أحمد الدوم.
(١٠٥) مرويات غزوة فتح مكة، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٨٠م.

رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي.
(١٠٦) إظهار الحق، إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

أبو زهرة : الشيخ محمد أبو زهرة.
(١٠٧) الديانات القديمة، دار الفكر العربي، مصر، ١٣٨٥هـ / ١٩٥٦م.

زهير سالم.
(١٠٨) عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

الساعاتي : أحمد بن عبدالرحمن البنا.
(١٠٩) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني، دار الشهاب، القاهرة، د. ت.

السامرائي : عبدالله سلوم.
(١١٠) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، رسالة ماجستير منشورة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

السعود : سليمان بن علي السعود.
(١١١) أحاديث الهجرة، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

السندي : أكرم حسين علي السندي.
(١١٢) مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

السندي : عبدالقادر حبيب الله السندي.
(١١٣) الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

الشامي : صالح أحمد الشامي.
(١١٤) من معين السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

أبو شهبة : محمد محمد.
(١١٥) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

الشهري : عوض أحمد سلطان الشهري.
(١١٦) مرويات غزوة خيبر، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

الصوري : الكاهن السامري أبوالحسن إسحاق (مترجم).
(١١٧) التوراة السامرية، نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

عرجون : محمد الصادق إبراهيم عرجون.
(١١٨) محمد رسول الله ﷺ ـ منهج رسالة ـ دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

العمري : الدكتور أكرم ضياء العمري.
(١١٩) المجتمع المدني في عهد النبوة ـ الجهاد ضد المشركين ـ لم يذكر الناشر ومكان النشر، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
(١٢٠) المجتمع المدني في عهد النبوة ـ خصائصه وتنظيماته الأولى، المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

العـودة : الدكتور سليمان حمد العودة.
(١٢١) السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ـ دراسة مقارنة في العهد المكي ـ رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الإمام محمد ابن سعـود الإسلامية بالـرياض للحصـول على درجـة الـدكتـوراه، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الغزالي : محمد.
(١٢٢) فقه السيرة، عالم المعرفة، ط ٧، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

الغضبـان : منير محمد.
(١٢٣) المنهج الحركي للسيرة النبويـة، مكتبـة المنار، الأردن، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

عمير : إبراهيم بن محمد عمير.
(١٢٤) مرويات غزوة الخندق، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

عـون : الدكتور عون الشريف قاسم.
(١٢٥) دبلوماسية محمد ﷺ، رسالة دكتوراه منشورة، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، د. ت.

فاروق : الدكتور فاروق حمادة.
(١٢٦) مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

قريبـي : الدكتور إبراهيم بن إبراهيم قريبي.

(١٢٧) **مرويات غزوة حنين**، رسالة غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الدكتوراه، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(١٢٨) **مرويات غزوة بني المصطلق**، رسالة منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، د. ت.

المباركفوري : الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

(١٢٩) **الرحيق المختوم**، بحث في السيرة النبوية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

محمد جمال الدين سرور - الدكتور.

(١٣٠) **قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

محمد رواس قلعه جي - الأستاذ الدكتور.

(١٣١) **دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة**، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

النـدوي : أبو الحسن علي الحسني.

(١٣٢) **السيرة النبوية**، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مطابع علي بن علي، الدوحة، ط ١٠، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

هارون رشيد محمد إسحاق.

(١٣٣) **صحيفة المدينة** - دراسة حديثية وتحقيق - رسالة غير منشورة، قدمت لجامعة الملك سعود بالرياض للحصول على درجة الماجستير، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ملاحظـة : المصـادر والمراجع التي ورد ذكرها أقل من ثلاث مرات، أو كانت الاستفادة منها قليلة جدا لم نذكرها هنا، واكتفينا بذكرها في حواشي الكتاب.

فهـرس الآيـات القرآنيـة

فهـرس أقـوال الرسـول ﷺ

فهـرس الأعـلام

« أ »

« ب »

« ت »

« ث »

« ج »

« ح »

« ذ »

« ر »

« ز »

« س »

« ش »

« ص »

« ظ »

« ع »

« غ »

« ف »

« ق »

« ك »

« ل »

« م »

« ن »

« و »

« ي »

فهرس الأماكن

٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٧، ٢٨٢،
٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩،
٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٦،
٣٠٧، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧،
٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣،
٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢،
٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠،
٣٤١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢،
٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢،
٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢،
٣٨٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٠،
٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٦،
٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣،
٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٤،
٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣،
٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧١،
٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٨، ٤٧٩،
٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٤،
٥٠٨، ٥١٠، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٩،
٥٢٢، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٥،
٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٨، ٥٥١،
٥٥٢، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠،
٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٧٨، ٥٨١،
٦٠٠، ٦٠٧، ٦١٥، ٦١٨، ٦١٩،
٦٢٥، ٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٣،
٦٣٦، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦،
٦٤٨، ٦٥٢، ٦٥٦، ٦٦٠، ٦٦١،
٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩،
٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٩، ٦٨٠،
٦٨٣، ٦٨٥، ٦٩٩، ٧٠٢، ٧٠٦،

فهرس الغزوات والسرايا والحروب

فهـرس القوافـي

فهـرس أنصـاف الأبيـات

فهـرس الحكـم والأمثـال

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة